kitabweb-2013.forumaroc.net

معلمة المغرب

15

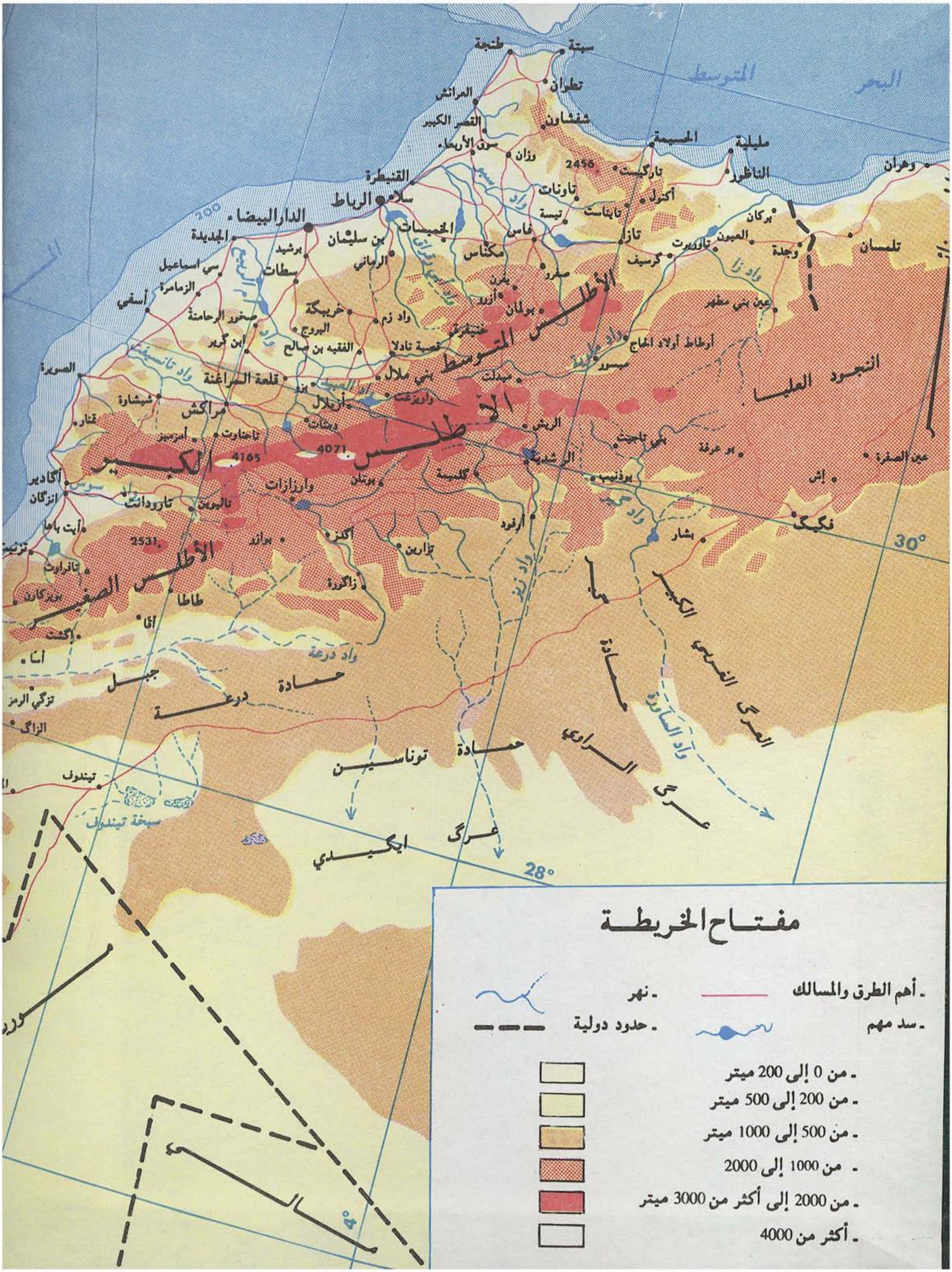

البحر المتوسط
سبتة
طنجة
تطوان
العرائش
القصر الكبير
شفشاون
سوق الأربعاء
وزان
الحسيمة
مليلية
الناظور
وهران
2456
تاركيست
القنيطرة
سلا
الرباط
تاونات
أكنول
الدارالبيضاء
200
الجديدة
بن سليمان
برشيد
الخميسات
تيسة
تايناست
فاس
تازة
بركان
العيون
تاوريرت
وجدة
تلمسان
مكناس
الرماني
سطات
سي اسماعيل
الزمامرة
أسفي
خريبكة
وادزم
صخور الرحامنة
البروج
ابن جرير
الفقيه بن صالح
قصبة تادلا
خنيفرة
صفرو
يفرن
أزرو
بولمان
كرسيف
واد زا
عين بني مطهر
الأطلس المتوسط
أوطاط أولاد الحاج
ميسور
ميدلت
النجود العليا
الصويرة
قلعة السراغنة
بني ملال
أزيلال
واويزغت
واد تانسيفت
شيشاوة
مراكش
قنارة
تاحناوت
أمزميز
دمنات
الأطلس الكبير
4165
4071
الريش
الراشيدية
بوعرفة
عين الصفرة
إش
بودنيب
كلميمة
بومالن
ورززات
تنغير
أكادير
إنزكان
واد سوس
تارودانت
تاليوين
أرفود
فكيك
30°
بشار
أيت باها
تزنيت
2531
الأطلس الصغير
تافراوت
بويزكارن
طاطا
أقا
إكشت
أكدز
تازارين
زاكورة
واد زيز
واد غير
العرق الغربي الكبير
حمادة
أسا
جبل
واد درعة
حمادة درعة
تزكي الرمز
الزاك
واد الساورة
حمادة تيناسين
حمادة الساورة
تيندوف
سبخة تيندوف
عرق
عرق ايكيدي
28°
موريتانيا
مالي
4°
مفتاح الخريطة
- أهم الطرق والمسالك
- نهر
- سد مهم
- حدود دولية
- من 0 إلى 200 ميتر
- من 200 إلى 500 ميتر
- من 500 إلى 1000 ميتر
- من 1000 إلى 2000
- من 2000 إلى أكثر من 3000 ميتر
- أكثر من 4000

المغرب
خريطة عامة
مقياس : 1/5000.000
200 كلم 100 0 50 كلم
الجزر الخالدات
تنريف
لاكوميرا
لنزاروت
فويرتفنتورا
لاس بالماس دي كناريا
الأطلسي
طرفاية
الطاح
سبخة الطاح
أبطيح
طنطان
العيون
المكونية
الكعدة
ايلر
واركزيز
المسيد
بوجدور
سبخة اريدال
بوكراع
الساقية الحمراء
اسمارة
الحوزة
الفرسية
المحبس
امكالة
البئرحلو
عين بن تيلي
بئر أم اكراين
أشتوكن
امريكلي لبيض
وراد الخط
اوغرانات
كلتة زمور
سبخة أغزومال
سبخة أم الدروس
الداخلة
العركوب
أحجر
بئر أنزران
البكاري
أودرات
ادرار سطوف
أوسرد
أغيلاس
بئر كندوز
لكويرة
تيشلا
الزوك
أدفال
لقروف
الزويرات
أكادير
انزكان
تزنيت
افني
كلميم
أسا
تزكي الرمز
الزاك
200
12°

معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

15

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2002 - 1423

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
1984/629

جميع حقوق النقل والترجمة ـ جزئيا أو كلياً بأي شكل كان ـ محفوظة
للجمعة المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولمطابع سلا

ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك X - 021 - 03 - 9981 (الجزء 15)

بسم الله الرحمن الرحيم

أعد هذا الجزء من معلمة المغرب
بدعم من وزارة الثقافة والاتصال
ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة
أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق
عبارات الشكر والامتنان.

المدير المشرف : محمد حجي

لجنة التحرير : أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط
محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الإنسانية : محمد بنشريفة، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية، الرباط
إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط
سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط
مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة، أستاذ الجيمورفولوجيا بكلية الآداب، الرباط
مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية الآداب، الرباط
إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
محمد رمضاني، باحث في البيولوجيا الحيوانية بالمعهد العلمي وأستاذ بكلية العلوم، الرباط

اختصارات

تـ .	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. تـ	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. تـ	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

المشاركون في هذا الجزء

محمد **إحدي**، كلية الآداب - أگادير
عبد الحميد **احساين**، كلية الآداب - الدار البيضاء
ميلود **أحمَّنْ**، كلية الآداب - مراكش
محمد **أخريف**، وزارة التربية الوطنية - القصر الكبير
الفقيه **الإدريسي**، كلية الآداب - بني ملال
محمد **أديوان**، كلية الآداب - الرباط
شفيق **أرفاك**، كلية الآداب - أگادير
عبد الرزاق **ازريكم**، كلية الآداب - مراكش
مصطفى **أعشي**، معهد الدراسات الافريقية - الرباط
عمر **أفا**، كلية الآداب - الرباط
محمد **الأكلع**، كلية الآداب - مراكش
العربي **اكنينح**، وزارة التربية الوطنية - فاس
محمد **الأمراني**، أستاذ باحث
حسن **أميلي**، كلية الآداب - المحمدية
خالد **أوشن**، باحث - أگادير
عباس **برادة السني**، وزارة الخارجية
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب - المحمدية
عبد اللطيف **برحو**، المعهد الوطني للبحث في الصيد البحري
محمد **بلعربي**، باحث - الرباط
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب - القنيطرة
عائشة **البلغيتي**، كلية الآداب - الرباط
رقية **بلقدم**، كلية الآداب - القنيطرة
علي **البليشي**، كلية الآداب - الرباط
أحمد **بنجلون**، باحث - الرباط
محمد **بندعنون**، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا
زينب **بنرحمون**، أستاذة باحثة - الرباط
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب - المحمدية
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا
عثمان **بناني**، كلية الآداب - الرباط
رحال **بوبريك**، كلية الآداب - أگادير
محمد **بوخبزة**، باحث - تطوان
عبد القادر **بوراس**، المركز الجهوي التربوي - القنيطرة
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب - فاس
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية - الرباط
مصطفى **بوشعراء**، باحث - سلا
عبد الله **بوصحابة**، كلية العلوم، فاس

إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب - الرباط
عبد المحيد **بوكاري**، باحث - الرباط
أحمد **بومزگو**، وزارة التربية الوطنية - تيزنيت
جامع **بيضا**، كلية الآداب - الرباط
محمد ابن **تاويت التطواني**، كلية الآداب - الرباط
عبد الله المرابط **الترغي**، كلية الآداب - تطوان
أحمد **التوفيق**، محافظ الخزانة العامة - الرباط
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية - مراكش
الحسين **جهادي الباعمراني**، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء
محمد **الحاتمي**، كلية الآداب - أگادير
عبد اللطيف **حافظ**، كلية الآداب - بني ملال
حسن **حافظي علوي**، كلية الآداب - مراكش
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب - الدار البيضاء
محمد **حجي**، كلية الآداب - الرباط
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب - وجدة
أحمد **حرزني**، المعهد الزراعي، سطات
عبد الرحمان **الحريشي**، باحث - الرباط
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب - فاس
محمد **حمام**، كلية الآداب - الرباط
محمد **حنداين**، وزارة التربية الوطنية - أگادير
يحيى **الخالقي**، كلية الآداب - بني ملال
علال **الخديمي**، كلية الآداب - الرباط
محمد **خربوعة**، المعهد العلمي - الرباط
خالد **الخضري**، وزارة الثقافة - الرباط
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم - الرباط
محمد عبد العزيز **الدباغ**، وزارة الثقافة - فاس
محمد معروف **الدفالي**، كلية الآداب - الدار البيضاء
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب - القنيطرة
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب - مراكش
علال **ركوگ**، كلية الآداب - بني ملال
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي - الرباط
بوجمعة **رويان**، كلية الآداب - القنيطرة
فريد **الزاهي**، وزارة الثقافة - الرباط
أحمد **زروال**، كلية الآداب - مراكش
قاسم **الزهيري**، باحث - الرباط
خليل **السعداني**، كلية الآداب - بني ملال

محمد **السعدين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا
عبد السلام **السعيدي**، باحث ـ مراكش
المهدي **السعيدي**، كلية الآداب ـ أگادير
أحمد بن بنعاشر **السفياني**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا
م. الحسن **السكراتي**، كلية الآداب ـ أگادير
رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **السماحي**، كلية الحقوق ـ الرباط
إبراهيم **السودي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
محمد **السوسي البهاوي**، باحث ـ تطوان
أحمد **السوسي التناني**، باحث ـ سلا
مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط
إدريس **شحو**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **الشريف**، باحث ـ تطوان
محمد عزيز بن عبد الله **الشفشاوني**، مهندس باحث ـ الرباط
أحمد **الشكري**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط
صالح **شكاگ**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
الحسن **شوقي**، وزارة التربية الوطنية ـ قلعة السراغنة
المصطفى **شويكي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط
مبارك **الشيكر**، باحث ـ القنيطرة
مبروك **الصغير**، المعهد الوطني لعلوم الآثار ـ الرباط
علي **الصقلي**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
علي العزيز **الضعيفي**، كلية الآداب ـ بني ملال
أحمد صالح **الطاهري**، المعهد الوطني لعلوم الآثار ـ الرباط
محمد **الطيلسان**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **الظريف**، كلية الآداب ـ المحمدية
عبد العزيز ابن **عبد الجليل**، وزارة الثقافة ـ مكناس
زين العابدين ابن **عبد النبي**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
عدي **عَزّي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
أحمد **عزّاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد ابن **عزوز** [illegible] ـ تطوان
محمد **علالي**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
عبد العزيز **العلوي**، باحث ـ فاس
أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة
الحاج موسى **عوني**، كلية الآداب ـ فاس
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب ـ الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب ـ الرباط
حياة **الغراس**، أستاذة باحثة ـ مراكش

إدريس **الفاسي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد الإلاه **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **فتحة**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
حسن **الفگيگي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **الفقير**، باحث ـ سلا
بوشتى **الفلاح**، المعهد العلمي ـ الرباط
محمد **الفلاح العلوي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
المصطفي **فنيتر**، كلية الآداب ـ مراكش
أحمد أبو **القاسم**، باحث
حمزة **الكتاني**، باحث ـ الرباط
محمد **كربوط**، كلية الآداب ـ الرباط
مصطفى **لالي**، باحث ـ وجدة
محمد **اللبار**، كلية الآداب ـ فاس
عبد الإله **مالك**، مدرسة الشرطة ـ القنيطرة
الملكي **المالكي**، كلية الآداب ـ تطوان
محمد **ماگامان**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش
أحمد **متفكر**، باحث ـ مراكش
الحسن **المحداد**، كلية الآداب ـ أگادير
المكي **مربي**، باحث ـ مراكش
نجاة **المريني**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد العربي **المساري**، جريدة العلم ـ الرباط
مصطفى **المسناوي**، وزارة الثقافة ـ الرباط
عبد العلي **مشروح**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **المكاوي**، كلية الآداب ـ الجديدة
محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **المنوني**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **الموسوي**، وزارة الشبيبة والرياضة
محمد **الناصري**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
عبد الله **نجمي**، كلية الآداب ـ الرباط
علي **نجيب**، باحث مغربي في السويد
محمد **هشمي**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش
أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة
إبراهيم **الوافي**، كلية الآداب ـ أگادير
محمد **وحيد**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
عبد الرحيم **وطفة**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد عزيز **الوكيلي**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

ببليوغرافيا إضافية
إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة

أحد تلاميد الشيخ سيدي الغازي
- *مناقب الشيخ أبي القاسم الغازي*، مخطوط.

إسماعيل ابن **الأحمر**،
- *حديقة النسرين في أخبار بني مرين*، مخطوط.

ف. **الإدريسي**،
- *الجباية في عهد الدولة السعدية*، د. د. ع. كلية الآداب فاس 94 ـ 1995 .

ارشيبالد لويس،
- *القوة البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط*، القاهرة، 1960.
- مجموعة جريدة *السعادة*، خ. ع الرباط،
- *ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية* باريس ونانط.

أحمد سعيد **أعراب**،
- *ترجمة مطولة للشيخ الشطيبي*، جريدة الميثاق طنجة، ع. 42 ـ 43 ـ 44.
- *حول تأليف كتاب الجمان في مختصر أخبار الزمان*، مجلة دعوة الحق، ع. 1 السنة 13، 1969.
- *نظرة في كتاب صنعة الفلاحة لأبي عبد الله الشطيبي*، مجلة دعوة الحق، ع 1.
- *أبو عبد الله بن صالح الغماري من شعراء البادية*، مخطوط.

حسن **أفا**،
- *ديوان البونعماني*، الرباط، 1996.
- *الشعر العربي في سوس بين الاتباع والابتداع*، أطروحة مرقونة بكلية الآداب، أگادير، 2001.

م. بن التهامي **أفيلال**،
- *تنبيه الأكياس للاقتصاد في المآتم والأعراس*، تطوان، 1976.

محمد **الأكلع**،
- *دراسة جيومورفولوجية للنهاية الشرقية للحوز*، الرباط، 1989.

أ. **أمزيان**،
- *مساهمة في دراسة المجتمع الواحي بالجنوب الشرقي المغربي خلال القرن 19. فكيگ ما بين 1845 ـ 1903*، د. د. ع مرقون كلية الآداب الرباط.

محمد فال بن **بابه العلوي**،
- *كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والترارزة*، تح. أ. ولد الحسن، تونس، 1986.

ع. الجليل **بادو**،
- *الأثر الشاطبي في الفكر السلفي بالمغرب*.

أبراهيم **باشا البغدادي**،
- *هدية العارفين*، بيروت، 1982.

ماريا نوايباس **بالاو**،
- *بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة*، مجلة تطوان، ع 8، 1963.

يوسف **بجاجا**،
- *رحلة إلى كتامة وما جاورها عبر تضاريس المخدرات والتهريب* أسبوعية *الصحيفة*، ع 18، 2001.

محاند علال **البخلالي**،
- *مؤرخ طنجة محمد بن الحاج العياشي سكيرج*، مرقون.

م. فهد **بدري**،
- *العمامة*، مطبعة الحكومة، 1968.

كينيت **براون**،
- *موجز تاريخ سلا 1000 ـ 1800*، تر. محمد حيدة و انس لعلو، 2001.

عكاشة **برحاب**،
- *التهريب والحدود في شمال شرق المغرب (1845 ـ 1912)*، ضمن *وقفات في تاريخ المغرب* كلية الآداب، الرباط، 2001.
- *السعيدية أو سعيدة عجرود صلة وصل بين المغرب والجزائر*، مجلة جمعية *تاريخ المغرب*، وجدة، 1993.

م. بن حمو **البنحياتي**،
- *مذكرات*، مرقونة.

سعيد **بنسعيد العلوي**،
- *الاجتهاد والتحديث، دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب*.

ع. العزيز **بنعبد الله**،
- *مظاهر الحضارة المغربية*، الدار البيضاء، 1957.
- *معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى*، المحمدية، 1972.

محمد بنعبد الله،
- *فكرة تأسيس مسجد باريس بين اقتراح المولى محمد بن عبد الله وتنفيد المولى يوسف*، دعوة الحق. ع 268، مارس، 1988.
شوقي بنعزوز،
- *الماء ذلك التحدى المستمر*، الرباط، 1994.
عبد العزيز بنكاعو،
- *الأركيولوجية المغربية من خلال أعمال لويس شاتلان*، بحث لنيل الاجازة مرقون كلية الآداب، الرباط، 1989.
ع. اللطيف بنمنصور،
- مجموع *أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية*.
م. بنهاشم،
- *العلاقات المغربية الأمريكية، دراسة في تاريخ التمثيل الدبلوماسي الأمريكي بالمغرب*، فاس، 2000.
الزاكي بنيونس،
- *أبو القاسم السهيلي مفسراً*، د. د. ع. مرقونة كلية الآداب، وجدة.
ع. القادر بوراس،
- *جانب من مقاومة أيت عطا، مقاومة بوگافر بجبل صاغرو*، مراكش، 1990.
إبراهيم بوطالب وآخر،
- سبتة ومليلية - *تاريخ وواقع*، الدار البيضاد، 1981.
- *لويس شينيي قنصلاً ومؤرخاً*، *المناهل* عدد 16 سنة 1987.
م. بوطربوش،
- *أبو عبد الله الشطيبي، آثاره ومنهجه في التفسير*، د. د. ع. مرقون كلية الآداب الرباط، 1990.
محمد بوعزيز،
- *اليسار المغربي الجديد ... النشأة والمسار*، مراكش، 1993.
بوشتى بوعسرية،
- وطنيو *مكناس الموقعون على عريضتي المطالبة بالاستقلال*، جمعية *أساتذة التاريخ*، مكناس، 1990.
م. بوغالي،
- *الفكر الباطني بالمغرب والأندلس والحركة المناهضة له حتى أواسط القرن السادس الهجري*، د.د. ع. مرقون كلية الآداب، مراكش، 2000.
م. بوكبوط وأحمد البوزيدي،
- وثيقة مغربية عن معركة بوگافر هيسبريس *تمودا*، ع 35، 1997.
محمد بوهلال،
- *المهرجان الأول لإبداعات الشباب*، 1998.
ضياء الدين ابن البيطار،
- *الجامع لمفردات الأدوية والاغدية*، 1992.
إبراهيم التادلي،
- *زينة النحر بعلوم البحر*، مخطوط خ. ع رقم 1347 د.
ع. الهادي التازي،
- *أزمور مولاي بوشعيب من خلال التاريخ المحلي والدولي للمغرب*، مجلة *المناهل*، ع 35 دجنبر، 1986.
- جامع *القرويين*، بيروت، 3، 798.
- *قصر البديع*، مجلة *البحث العلمي* ع. 28، 1978.
المهدي التجكاني،
- *دار بريشة أو قصة مختطف*، الدار البيضاء، 1987.
عبد السلام تشاح،
- *جغرافيا النبات*، الدار البيضاء، 1990.
ابن مريم التلمساني،
- *البستان*، الجزائر، د. ت.
ع. الرحمن التمنارتي،
- *الفوائد الجمة*، مخطوط، ص 48 - 49 - 154.
م. التميمي،
- *المستفاد في مناقب العباد*، مخطوط.
الجزيري،
- *المقصد المحمود*، مخطوط.
عبد الحميد الجلامي،
- *مونوغرافية صخور الرحامنة*.
الجماعة القروية سيدي العايدي،
- مونوغرافية *سيدي العايدي*، مرقون.
جماعة من الكتاب،
- *أعمال ندوة الحاضرة الإسماعلية*، 1988.

- دراسات حول *المختار السوسي*، ضمن أعمال ندوة المختار السوسي، الدار البيضاء، 1986.
- زهرة *الآس في فضائل العباس*، الرباط، 1997.
- *العرب وإفريقيا*، بيروت، 1993.

مصطفى **الجنابي**،
- *البحر الزخار والعيلم التيار*، مخطوط.

جواهري،
- جامع *الفنا*، الرباط، 2001.

يسرى **الجوهري**،
- شمال *إفريقية دراسة في الجغرافية الاقليمية*، القاهرة، د. ت.

عبد الرحمن **حجي**،
- *تقديم شرح بحرق الكبير على لامية الأفعال*، سلا، 1939.

م. المهدي **الحجوي**،
- *حياة الوزان الفاسي*، 1935.

المحجوب بن **الحرش**،
- *سيدي رحال، مركز هامشي في طريق التمدن*، بحث لنيل الاجازة مرقون كلية الآداب، مراكش، 1996.

أحمد ابن **حسون الوزاني**،
- *فهرسة*، *69*، مخطوط.

ح. **حسني عبد الوهاب**،
- *مختصر تاريخ تونس*، تونس، 1980.

المفضل **الحضري**،
- *عبد الصادق شقارة*، الاتحاد الاشتراكي 15 ـ 11، 1998.

م. **الحلوي**،
- *معجم الفصحى في العامية المغربية*، الدار البيضاء، بيروت، 1988.
- *الروض المعطار*، بيروت، 1975.

محمد **حمام**،
- *جوانب من تاريخ وادي دادس وحضارته*، الرباط، 2001.
- *النساء في الصلاح والولاية بالمغرب في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري* (14 م)، الرباط، 1998.

حوالة أحباس المساكين لمكناس، مخطوط.

م. **الحيمر**،
- *جيش العبيد والدولة المغربية منذ التأسيس إلى 1757.*

الفقيه **الحيوني**،
- *رحلة الحيوني*، مخطوط.

يحيى **الخالقي**،
- *الأنظمة الهيدرولوجية الكارستية للهضاب الجنوبية الغربية للأطلس المتوسط*، أطروحة مرقونة، الرباط.

خالد **الخضري**،
- *موقع الأدب المغربي من السينما المغربية*، الرباط، 1981.

ف. **خشيم**،
- *أحمد زروق والزروقية*، ليبيا.

محمد العربي **الخطابي**،
- *أمير سعدي في خدمة البلاط الإسباني*، مجلة *المناهل*، ع 13، 1978.
- *سبتة رجالها ومكانتها وصلاتها العلمية بمختلف الحواضر الاسلامية*، *المناهل*، ع 22، يناير، 1982.
- *المغرب في طريق الاستقلال*، الدار البيضاء، 1955.
- *مساهدات ديبلوماسي في عهد المولى عبد الرحمان*، مجلة دعوة الحق، ع 264، 1987.

عبد الكريم **الخطيب**،
- *مسار حياة*.

ل. ابن **الخطيب**،
- *مثلى الطريقة*، الرباط، 1973.

إدريس **خليفة**،
- *الحركة العلمية الثقافية بتطوان*، 1994.

ع. العزيز **الخمليشي**،
- *المخزن والضرائب المفروضة على التجارة الداخلية 1856 ـ 1896*، د. د. ع، الرباط، 1989.

المهدي **الخياري**،
- *مدرسة سيدي الزوين، نشأتها ومنهجها في القراءات*، بحث جامعي مرقون بمراكش، 1986.

نعيمة **الداويميش**،
- *الجماعة المحلية والتنمية نموذج صخور الرحامنة.*

عصمت ع. اللطيف **دندش**،
- *دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا*، بيروت، 1988.

أشفورد **دوكلاس أي**،
- *التطورات السياسية في المملكة المغربية*، تر. عائدة سليمان عارف وآخر، الدار البيضاء، 1964.
علال **ركوك**،
- *الغناء الشعبي المغربي، أنماط وتجليات*، مراكش، 2000.
محمد بن سليمان **الروداني**،
- *صلة الخلف*، تح. م. حجي، بيروت، 1988.
ميشيل روسي،
- *المؤسسات الإدارية المغربية*، الدار البيضاء، 1993.
د. **رينو**،
- *الطب والأطباء بالمغرب*، *صحيفة معهد الدراسات الشرقية*، 1937.
ع. المجيد **الزبادي**،
- رحلة، مخطوط.
مرتضي **الزبيدي**،
- *ألفية السند*، مخطوط.
- *تاج العروس من جواهر القاموس*، تح. عبد الستار أحمد فرج، الكويت، 1965.
م. **الزجالي**،
- *أمثال العوام في الأندلس*، تح. م بن شريفة، فاس، 1986.
محمد **زروال**،
- *دراسة جيومورفولوجية للحاشية الشمالية لأطلس مراكش ما بين وادي الزات وغدات*، الرباط، 1987.
عبد القادر **زمامة**،
- *هذه الألوان وهذه الأسماء*، مجلة الثقافة المغربية، ع 7، 1970.
محمد **زنيبر**،
- *شذرات من تاريخ مدينة سلا*.
الزهري،
- *كتاب الجغرافية*، تح. م حاج صادق، الإسكندرية، د. ت.
قاسم **الزهيري**،
- *جنيف والعالم العربي*، الرباط، 1988.
- *مذكرات دبلوماسي*، الرباط، 1990.
أ. **سجلماسي**،
- *المغرب السينمائي*، منشورات شراع، العدد 65، الرباط، 1999.
العباس **السجلماسي الحجرتي**،
- *الروض الطيب العرف*، مخطوط.
السخاوي،
- *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، بيروت، د. ت.
محمد المكي **السرغيني**،
- *الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة*، مخطوط، خ. ع.
الميرالاي إسماعيل **سرهنك**،
- *حقائق الأخبار في دول البحار*، مصر، 1312.
ع. ابن **سعيد المغربي**،
- *القدح المعلى*، تح. إ. الابياري.
- *مختصر المغرب في حلى المغرب*، تح. شوقي ضيق.
م. **السقطي**،
- *في أدب الحسبة*، بيروت، 1987.
أحمد **سكيرج**،
- *منهل الورود الصافي*، مخطوط.
ع. الغني **سكيرج**،
- *ديوان حب الحصيد*، تطوان، 1987.
محمد بن الطيب **سكيرج**،
- *الشافي في علمي العروض والقوافي*، مخطوط.
م. بن العياشي **سكيرج**،
- *قرة العين، برحلة يومين*، مخطوط.
سلفاتوري،
- *العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط*، مجلة البحوث التاريخية، 1986.
أبو عبد الرحمن **السلمي**،
- *طبقات الصوفية*، تح. نور الدين شريبة، ط 3، القاهرة، 1997.
محمد **السليماني**،
- *اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب*، الرباط، 1971.

محمد **السمار**،

- *مدينة الرباط من التأسيس إلى نهاية القرن السابع عشر الميلادي*، أطروحة مرقونة، الرباط، 2000.

ع. السلام **السميح**،

- مقدمة *تحفة الأنجاب في تسهيل علم الفرائض ومسائله الصعاب*، مخطوط.

م. الرضي **السناني**،

- *إعانة ذوي الخصاصة والإملاق بإخراج واجب زكاة الأوراق*، فاس، 1341 هـ.
- *الشذرات والتقاط الفوائد وغرر العوائد*، الدار البيضاء، د. ت.

أحمد ابن **سودة**،

- *في حديث المفتي*، مسيرة نضال وثبات، ط 2، الدار البيضاء، 1987.

علي **السوسي الفاسي**،

- عناية *الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة*، مخطوط.

م.المختار **السوسي**،

- *أنا والأدب*، مخطوط.

عبد الله **السويسي**،

- *تاريخ رباط الفتح*، الرباط، 1979.

مصطفى **الشابي**،

- *النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر*، المحمدية، 1995.

التهامي **الشاكري**،

- *الأدوية الرواقي من أداء الاختلافات في ماء السواقي*، تح. حسن حافظي علوي، مراكش، 2001.

عبد القادر **الشاوي**،

- *السلفية والوطنية*، مجلة *المناهل*. عدد خاص : *السلفية ثوابت وسياقات*.

عمر كمال **شبانة**،

- *الدولة الموحدية وتأملات في تاريخها* ، مجلة *البحث العلمي* ع 20 / 21 السنة العاشرة 72 ـ 1973.

شجرة عائلة شعشوع،

- رسم محرر بفاس بتاريخ 5 ربيع الثاني *1292*، مخطوط.

محمد المعطى **الشرقي**،

- *سفر المرائي والبشارات*، مخطوط.

م. بن الطيب **الشركي**،

- *إرسال الأسانيد*، مخطوط.
- *إضاءة الراموس وإضافة الناموس على إضاءة القاموس*، تح. ع. السلام الفاسي وآخر، المحمدية، 1983.

أ. **الشريشي**،

- *أنوار السرائر وسرائر الأنوار*، مخطوط، ع. ع.

أبو القاسم **الشريف السبتي**،

- *رفع الحجب المستورة*، تح. محمد الحجوي، المحمدية، 1997.

محمد **الشريف**،

- *الأسطول السبتي بين الجهاد والتجارة في القرن (12 ـ 14 م)*، مجلة البحث العلمي، ع. 15، 1998.

ع. الله **شقرون**،

- *فجر المسرح العربي بالمغرب*، تونس، 1988.

علال ابن **شقرون الكريمي**،

- *كناشة علمية*، مخطوط.

أحمد **شقور**،

- *ديوان سليمان الحوات*، مخطوط.

أ. **الشكري**،

- *الإسلام والمجتمع السوداني*، أبو طبي، 1999.

حمو بن محمد **الشكري**،

- *تقاييد*، مخطوط.

محمد **شلال**،

- *كناش محمد شلال*، خ. ح 1319 ـ 1323.

محمد **شماعو**،

- جريدة *الوداد*، سلا.

الشيخ أ. ابن **الشمس**،

- *النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*، القاهرة، 1330 هـ.

ابن **الشماع**،

- *الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية تح : العموري، ليبيا ـ تونس*، 1984.

محمد الأمين **الشنكيطي الصحراوي**،

- *مقدمة الارتجال*، مخطوط خ. ع.

م. **الشنكيطي السباعي**،
- *مجموع مختصر من كلام الشيخ أحمد التيجاني*، مخطوط خ. ع.
أحمد **شهبون**،
- *كتاب الجغرافية المغربية*، فاس، 1315 / 1898.
أليكس **شوتان**،
- *الرحلة الفنية إلى الديار المصرية*، تعريب عبد الكريم بوعلو، الرباط، 1932.
الحسن **شوقي**،
- *قبيلة السراغنة خلال القرن التاسع عشر*، مرقون.
محمد **الشوكاني**،
- *إتحاف الأكابر في إسناد الدفاتر*، حيدر أباد.
المصطفى **شويكي**،
- *علاقة مدينة سطات بالشاوية*، حوليات كلية الآداب عين الشق - الدار البيضاء، ع 5، 1988.
زينب **الشيكل** وأخرى،
- *الزاوية المعاشية ودورها الاجتماعي والسياسي*، بحث للإجازة في التاريخ، مرقون، الجديدة 93 - 1994.
أحمد **الصبيحي**،
- *باكورة الزبدة في تاريخ أسفي وعبدة*، الرباط، 1993.
ع. الله **الصبيحي**،
- *كناشة علمية*، مخطوط خ. ص.
أ. ابن **الصديق**،
- *سبحة العقيق بذكر مقامات الشيخ سيدي محمد ابن الصديق*، مخطوط.
خالد، **بن الصغير**،
- *المغرب وبريطانيا العظمى في القرن 19 (1856 - 1886)*، الدار البيضاء، 1990.
م. **الصفريوي**،
- *فهرس*، مخطوط.
علي **الصقلي**،
- *لمحة عن الشاعر محمد الفاطمي الصقلي*، الدار البيضاء، 2001.
عمر **صلادي**،
- *كاتلوغ تأبين*، مراكش، 1993.
ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية،
- *تطوان*، تطوان، 1952.
لحسن **ضعيف**،
- *عوامل التطور العمراني بالمدن الصغرى نموذج شيشاوة*، بحث مرقون.
م. بن الوليد **الطرطوشي**،
- *سراج الملوك*، تح. جعفر البياتي، لندن، 1990.
عبد الفتاح **الطوخي**،
- *السحر الأحمر*، بيروت.
محمد **الظريف**،
- *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، د. د. ع مرقون كلية الآداب، الرباط، 1986.
- *ديوان العلامة الأديب محمد البيضاوي الشتكيطي*، سلا، 2000.
م. ابن **عاصم**،
- *جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى*، تح. صلاح جزار، عمان، 1989.
محمد ابن **العباس السوسي**،
- *المواهب القدسية في أسانيد المشايخ الصوفية*، مخطوط.
محمد ابن **العباس القباج**،
- *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية*.
ح. ابن **عبد الوهاب**،
- *تاريخ القضاء في شمال المغرب*، تطوان، 2000.
محمد **العبدوني**،
- *يتيمة العقود الوسطى في مناقب محمد المعطى*، مخطوط.
ص. **العبيدي**،
- *الملابس العربية الإسلامية*، بغداد، 1980.
ماء العينين **ابن العتيق**،
- *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط.
أحمد ابن **عجيبة**،
- *رحلة ابن حمادوش الجزائري*، الجزائر.
محمد **العرايشي**،
- *الثقافة بمكناس، أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية*، 1988.

ابن **العريف**،
- *محاسن المجالس*، نشر أسين بلا سيوس، باريس، 1933.
أحمد **عزاوي**،
- *الأسطول، التجارة، القرصنة فيما بين القرنين 6 و8 (12 - 14 م) ضمن البحر في تاريخ المغرب*، المحمدية، 1999.
محمد ابن **عزوز حكيم**،
- معلمة *معركة وادي المخازن*، تطوان، 2002.
أحمد **العزفي**،
- *إثبات ما لابد منه لمريد الوقوف*، مخطوط.
- دعامة *اليقين في زعامة المتقين*، تح. أحمد التوفيق، 1989.
ابن **عطاء الله الاسكندري**،
- *لطائف المنن*، بيروت، 1998.
ع. الله علي **علام**،
- *الدولة الموحدية في عهد عبد المومن بن علي*، مصر، 1968.
التقي **العلوي**،
- *أصول المغاربة*، مجلة البحث العلمي، ع 33.
- *التنظيم الجماعي والإداري*، مراكش، 1992.
الزكي **العلوي**،
- *مطالع الزهراء، الجامع لأسماء بني الزهراء*، مخطوط خ. ح رقم 656.
عبد الحميد **العلوي**،
- تاريخ وجدة وأنكاد في *دوحة الأمجاد*، الدار البيضاء، 1958.
محمد بن الطيب **العلوي**،
- *العلامة محمد السدراتي*، دعوة الحق، ماي 1978، ص 98.
محمد ابن **علي الدكالي السلوي**،
- *نبذ من تاريخ سلا*، مخطوط خ. ص.
ابن **العماد الحنبلي**،
- شذرات *الذهب في أخبار من ذهب*، بيروت، د. ت.
محمد **عمارة**،
- *الإسلام وفلسفة الحكم*، ط. 2، بيروت، 1979.
عمالة شيشاوة،
- مونوغرافية شيشاوة، الدا البيضاء.
ج. د. **العمراني اشيطار**،
- *طنجة بين سنتي 1900 - 1912*، د. د. ع، الرباط، 95 - 1996.
محمد **عمراني**،
- *جامعة القرويين*، 1914 - 1934، د.د. ع مرقون كلية الآداب الرباط، 1988.
محمد **عمراوي**،
- دور *التجارة والخدمات في التوسع الحضري لمدينة شيشاوة*، بحث مرقون.
العمري،
- *مسالك الأبصار*، الجزائر، 1924، الرباط، 1979.
أحمد **العمّاري**،
- *نظرية التحديث والمواجهة عند علي السوسي السملالي ضمن أعمال ندوة الاصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، الرباط، 1986.
عبد الله **عنان**،
- *فهارس الخزانة الملكية*، الرباط.
م. **عناني**،
- *الشاشية التونسية*، مجلة الأمل الثقافي، أكتوبر، 1970.
ف. **العيساوي**،
- *كلف البوادي المغربية*، ندوة البوادي المغربية الرباط، 1999.
ألبير **عياش**،
- *المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية*، 1985.
المختار **غازي**،
- *إشارات من تاريخ سطات*، الدار البيضاء، د. ت.
عبد الرحيم **غنيمة**،
- *تاريخ الجامعات الإسلامية*.
محمد **الغيث النعمة**،
- *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية*، تح. م المختار المداح، د. د. ع مرقون، الرباط.
عبد الاله **الفاسي**،
- *مدينة الرباط وأعيانها*، الرباط.

ع. الحفيظ **الفاسي**،
- *الترجمان المعرب عن أشهر فروع الشاذلية بالمغرب*، مخطوط. خ. ع.
ع. **الفاسي**،
- *تحفة الأكابر*، مخطوط.
علال **الفاسي**،
- *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة.
محمد **الفاسي**،
- *شعراء الملحون*، مجلة *المناهل* عدد 23.
محمد المهدي **الفاسي**،
- *الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع*، مخطوط.
أبو **الفدا صاحب حماة**،
- *الأخبار القويمة عن الحوادث القديمة*، مصر، 1919.
ابن **فركون**،
- ديوان *ابن فركون*، الدار البيضاء، 1987.
ابن الفقيه **الهمداني**،
- *مختصر كتاب البلدان*، ليدن، 1302.
حسن **الفكيكي**،
- *الموريسكيون بمنطقة مضيق جبل طارق الثلث الأول من القرن الحادي عشر (17 م)* مجلة *الأكاديمية*، عدد 15.
أحمد **القادري**،
- مع هؤلاء : *أبحاث ومذكرات*، الرباط، 2001.
القاضي النعمان بن محمد،
- *تأويل الدعائم*، تح. محمد حسن الأعظمي، مصر، د. ت.
- *كتاب المجالس والمسامرات*، تح. الحبيب الفقي وآخرون، تونس، 1978.
محمد **القبلي**،
- *حول التحركات البشرية بمجال المغرب الأقصى فيما بين منتصف القرن الثاني عشر ونهاية القرن الثالث عشر للميلاد*، مجلة *كلية الآداب*، الرباط، ع. 21 ـ 22، 1997.
- *قراءة في زمن أبي محمد صالح*.
عبد المجيد **قدوري**،
- *ابن أبي محلي الفقيه الثائر*، الدار البيضاء.
أ. **القدميري**،
- *إطلالة على دائرة تاهلة عمالة إقليم تازة*، 1982.
صالح بن **قربة**،
- *المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد*، الجزائر، 1986.
زكريا **القزويني**،
- *آثار البلاد وأخبار العباد*.
- *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات*.
ع. بن يوسف **القفطي**،
- *إنباه الرواة عن أنبا النحاة*، تح. م. أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1952.
عثمان **الكاديكي**،
- *الأمراض المعدية*، بنغاري، د. ت.
جاك **كايي**،
- *السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا*، مجلة *تطوان*، ع. 6، 1961.
إدريس **الكتاني**،
- *المغرب ضد اللادينية*، الدار البيضاء، 1958.
عبد الكبير **الكتاني**،
- *روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية*، مخطوط.
محمود **كعت**،
- *تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس*، تح. هوداس ودولافوس، انجي، 1913.
الكفيف الزرهوني،
- *ملعبة الكفيف الزرهوني*، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1987.
عبد الصمد **كنون**،
- *مواكب النصر وكواكب العصر*، طنجة.
عبد الله **كنون**،
- *التعاشيب*، تطوان، د. ت.
عبد القادر **الكوهن**،
- *فهرس*، مخطوط.

محمد **الكيكي**،
- *مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال*، تح. أ. التوفيق، بيروت، 1997.
محمد **اللبار**،
- *حول مقاومة المغرب للأهداف التوسعية الرومانية خلال منتصف القرن 1 م. أعمال مهادة لابراهيم بوطالب*، الرباط، 2000.
- دور *المغرب الشرقي في عرقلة الوجود الروماني في إفريقيا الشمالية*، جمعية *تاريخ المغرب*، يونيه، 1993.
سعيد بن عمر **لمعاشي**،
- *تحفة الحواشي في مناقب سيدي علي المعاشي*، الرباط، د. ت.
أبو بكر **المالكي**،
- *رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية*، تح. بشير البكوش ومحمد العروسي، بيروت، 1983.
المؤتمر التأسيسي لحزب الشورى والاستقلال،
- ميثاق *الاستقلال القومي*، الدار البيضاء، 1946.
أحمد **متفكر**،
- *ذيل الإعلام*، مخطوط.
مجهول،
- *تقييد في ترجمة الصفار*، مخطوط.
- *الرئاسة البحرية، ورجال القوة في المغرب*، مخطوط، خ. ع.
- *مجموع مؤلف من ظهائر شريفة وعقود أنكحة متعلقة بالشرفاء السجلماسيين وغيرهم*، مخطوط. خ. ع.
- *مراحل رحلات مولاي الحسن*، مخطوط.
الحسن **المحداد**،
- *الماء بحوض سوس، إسهام في دراسة نظام مائي مغربي جنوب أطلسي*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1999.
محفظات المولى عبد الرحمان بن هشام، *وثائق خ. ح.*
محفظة 1323، *وثائق خ. ح.*
حسن أحمد **محمود**،
- *قيام دولة المرابطين*.
عبد الحليم **محمود**،
- *أبو الحسن الشاذلي الصوفي*، القاهرة، 1967.
- *المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي*، القاهرة، د. ت.
مصطفى **محمود**،
- *السر الأعظم*، القاهرة، د. ت.
مديرية الإحصاء،
- *المغرب في أرقام 1999*، الرباط، 2000.
م. خليل **المرادي الدمشقي**،
- *سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر*.
مربيه ربه،
- *قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين*، مخطوط.
مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية،
- *التقرير الاستراتيجي للمغرب 1995 - 1996*، مجلة *أبحاث*، عدد خاص، الرباط، 1977.
المركز السينمائي المغربي،
- *الفيلم المغربي الطويل*، جرد فيلموغرافي، الرباط، 2000.
- *الفيلم المغربي القصير*، جرد فيلموغرافي، الرباط، 2000.
نجاة **المريني**،
- *الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي*.
محمد العربي **المساري**،
- *المغرب ومحيطه*، الرباط، 1998.
محمد **المسعودي**،
- *بطاقة تقنية حول الصباغة النباتية*، الدار البيضاء، 1989.
مصطفى **المسناوي**،
- *أبحاث في السينما المغربية منشورات الزمن*، العدد 27، الرباط، 2001.
المشرفي،
- *الأنوار السنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف الحسنية*، تح. ع. الكريم الفيلالي، المحمدية، 1966.
حسن أحمد **المصمودي**،
- *صفحات في تاريخ المغرب المعاصر*، تطوان:
أحمد **معنينو**،
- *المجلس الوطني الاستشاري ومعارضة حزب الشورى والاستقلال 1956 - 1959*، الدار البيضاء، 1986.
الشفيق **مقار**،
- *السحر في التوراة والعهد القديم*، لندن، 1990.

المقريزي،
- *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تح. ع. القادر عطا، بيروت، 1997.
المكاوي،
- *صورة أروبا في الكتابات المغربية خلال القرن 19 تنازع الانفتاح والانغلاق*، أطروحة، فاس، 1996.
- *مسألة الإصلاح عند المفكرين المغاربة في النصف الثاني من القرن 19*. د. د. ع مرقون، فاس، 1988.
محمد **مكيمل** وآخر،
- *زاوية سيدي إسماعيل*، بحث لنيل الإجازة مرقون بكلية الآداب، الجديدة، 1991.
عمر ابن **الملقن**،
- *طبقات الأولياء*، تح. نور الدين شريبة، القاهرة، 1973، تح. مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 1998.
صلاح الدين **المنجد**،
- *تقرير بعثة معهد المخطوطات العربية إلى المغرب*، 1959.
المندوبية السامية للمقاومة،
- *تراجم الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال*، الرباط، 1996.
م. **منصور**،
- *تصوف الشرفاء، الممارسة الدينية والاجتماعية للزاوية من خلال مناقبها*، الرباط، 1989.
ابن **منكلي**،
- *كتاب الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية في البحر*، مخطوط، دار الكتب المصرية، القاهرة.
م. **المنوني**،
- *ركب الحاج المغربي*، تطوان، 1953.
- *المولد النبوي الشريف في المغرب المريني*، دعوة الحق، ع 1. 1988.
م. **المهناوي**،
- *بعض مظاهر أزمة ممارسة الشورى بدولة الاسلام من خلال فتوى ابن ناجي في قضية تمليك الحراطين.*
ع. **المودن**،
- *منوغرافيا دائرة بولمان إقليم بولمان 1982.*
سوزان **ميلار**،
- *صدفة اللقاء مع الجديد رحلة الصفار إلى فرنسا (1845 - 1846)*، الرباط، 1995.
أحمد الخليفة ابن **ناصر**، والحسين ابن **شرحبيل**،
- *رسائل ووصايا ناصرية*، مخطوط خ. ع.
جعفر **الناصري**،
- *سلا ورباط الفتح واسطولهما الجهادي*، مخطوط.
المهدي **الناصري**،
- *نعت الغطريس الغسيس هيان بن بيان المنتمي إلى سوس*، مخطوط.
م. **الناني ولد الحسين**،
- *صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا*، أطروحة مرقونة كلية الآداب، الرباط، 1997.
أبو الحسن **النباهي**،
- *المرقبة العليا، تاريخ قضاة الأندلس*، بيروت، 1983.
درويش **النخيلي**،
- *السفن الإسلامية على حروف المعجم*، جامعة الاسكندرية، 1974.
أ. **النويري**،
- *نهاية الأرب في فنون الأدب*، تح. م. أبو ضيف، الدار البيضاء، 1985.
دافيد منتغومرى **هارت**،
- *أيت عطا بالوسط الجنوبي المغربي*، مجلة واجهة، ع مزدوج، 2001.
م. **الهبطي المواهبي**،
- *مفتون منسيون بغمارة وشفشاون*، 2000.
إبراهيم **الهلالي**،
- *التبيان لمعركة ماء أبي فكران*، الدار البيضاء، 1985.
أ. **الهلالي**،
- *فهرست*، تح. رشيد المصلوت، 1981.
تقي الدين **الهلالي**،
- *الهدية الهادية للطائفة التجانية.*
م. بن سعيد **الهنا**،
- *كنز الأسرار لواقع الأفكار*. مخطوط.
ابن جابر **الوادي آشي**،
- *برنامج ابن جابر الوادي آشي*، تح. م. الحبيب الهيلة، تونس، 1981.
وثائق كوسومار، الدار البيضاء.
وثائق المكتب الوطني للسكك الحديدية.

محمد **وحيد**،

ـ *مساهمة في دراسة الحركة الوطنية، مقاومة الدار البيضاء نموذجاً*، أطروحة دكتوراة مرقونة، الرباط، 2001.

ابن **الوردي**،

ـ *خريدة العجائب وفريدة الغرائب*، القاهرة، 1939.

وزارة الاشغال العمومية،

ـ *تعبئة المياه بواسطة السدود الكبرى*.

عبد العلي **الوزاني**،

ـ *خاطبات من فاس*، *مجلة المناهل*، دجنبر، 1979.

محمد حسن **الوزاني**،

ـ *خطب وتصريحات صحفية، أربعة أجزاء* ـ بيروت، 1988.

ـ *دراسات وتأملات، ثلاثة أجزاء ـ بيروت*، 1987.

م. أيت بومهاوت **الوسخيني**،

ـ *مدار السعود عن تفراوت الملود ومدرستها العتيقة*.

وفد حزب الشورى والاستقلال بالشرق،

ـ *هذه هي الحماية في مراكش*، القاهرة، 1953.

بنعبد الله **الوكوتي**،

ـ *مذكرات مقاوم*، الرباط، 1996.

مختار **الوكيل**،

ـ *جنيف والسياسة الدولية*، جنيف.

محمد التهامي **الوكيلي**،

ـ *السحر*، الرباط.

ولاية أگادير،

ـ *منوغرافية جهة سوس ـ ماسة ـ درعة*، أگادير، 1999.

المختار **ولد حامد**،

ـ *حياة موريتانيا* ـ الجغرافيا ـ بيروت، 1994.

جعفر بن منصور **اليمن**،

ـ *كتاب الكشف*، تح. مصطفى غالب، بيروت، 1984.

Supplément
à
la bibliographie des ouvrages et des articles
cités dans l'encyclopédie

AIMEL, G., *Le Palais d'El-Badi, A.B.*, III, 1918.

ALLAIN, Ch., *Reconnaissances archéologiques dans le Massif des Rehmna et la Bahira, Hesp.*, 1er - 2e tri., 1954.

ARRIBAS PALAU, M., *Cartas de recomendación cursadas Al Sultan Abu Said Utman III de Marruecos por el Rey de Aragon Fernando I. El Antequra, H.T.*, 1960, fasc. 3, vol. 1.

ARRIBAS PALAU, M., *Intercambio de embajadas entre Abu Said Utman III de Marruecos y Fernando I de Aragon*, Tetuan, 1956.

ARRIBAS PALAU, M., *Las treguas entre Castilla y Granada firmadas por Fernando I de Aragon*, Tetuan, 1956.

AYAD, M., LE COZ, J., *Vers une nouvelle ère hydraulique au Maroc*, in *Aspects de l'agriculture irriguée au Maroc*, Rabat, Montpellier, 1991.

BARDEL, G., *L'urbanisme*, Paris, 1959.

BARROUQUERE, C., CLARET, C., *Settat: centre historique de la Chaouia*, Paris, 1919.

BASSAC. *Note sur le Tafilalet et sur le Ziz, B.S.G.A.*, 3e trim., 1929.

BEGUIN, H., *L'organisation de l'espace au Maroc*, Bruxelle, 1974, 2 vol.

BELAL, A., *L'investissement au Maroc, 1912 - 1964*, Paris, 1976.

BELKAID, S., *La tannerie dans la ville de Marrakech*, Th. 3e cycle, Nice, 1983.

BELLAKHDAR, J., *La pharmacopée marocaine traditionnelle : médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

BENEVOLO, L., *Aux sources de l'urbanisme*, Paris, 1972.

BENCHENEB, M., *Origine du mot chéchia, R.A.*, n° 51, 1907.

BENHATI, A., *La politique marocaine des barrages*, in *Les problèmes agraires au Maghreb*, Paris, 1977.

BENZAKOUR, S., *Essai sur la politique urbaine au Maroc 1912 - 1975*, Casablanca, 1978.

BERNARD, P., *Les anciens inpôts de l'Afrique du Nord.*

BERQUE, J., *Note sur l'histoire des échanges dans le Haut Atlas occidental, A.E.S.C.*, n° 3, 1953.

BONO, S., *Les corsaires en Méditerranée*, Rabat, 1998.

BOUBE, J., *Documents d'architecture maurétanienne au Maroc, B.A.M.*, 7, 1967.

BOUBE, J., *Fouilles archéologiques à Sala, H.T.*, 1966.

BOUBE, J., *Les nécropoles de Sala*, Paris, 1999.

BOULANGER, P., *Le cinéma colonial de l'Atlantide à Lawrence d'Arabie*. Paris, 1975.

BOURDON, G., *Ce que j'ai vu au Maroc : les journées de Casablanca*, Paris, 1908.

BRESSOLETE, H., DELAROSIERE, J., *Fès-Jdid : de sa fondation en 1276, au milieu du 20e S, H.T.*, fasc. un, 1982-1983.

BRUNOT, L., *Les babouches et leur décoration, F.M.*, n° 3, 15 mai 1917.

CAILLE, J., *Une ambassade autrichienne au Maroc en 1805*, Paris, 1957.

CANARD, M., *Les relations entre les mérinides et les mamelouks au XIVe siècle*, *A.I.E.O.*, V, 1939-1941.

CARCOPINO, J., *La côte océanique du Maroc : ce qu'en ont connu les anciens*, Rabat, 1949.

CASTELLS, M., *La question urbaine*, Paris, 1972.

CATTENOZ, G., *La fiscalité marocaine*, Paris, 1927.

CERDA, I., *La théorie générale de l'urbanisme*, Paris, 1973.

CHACK, P., *Du Maroc à l'Océan indien*, Paris, 1939.

CHALMETA, P., *Le barnamag d'Ibn Abi l-Rabi'*, *Arabica*, fasc. 2, juin 1968.

CHOAY, F., *L'urbanisme : utopies ou réalités*, Paris, 1980.

CHOUIKI, M., *Settat et son rôle régional*, Th. 3e cycle : Géo, Univ. Tours, 1985.

CHOUIKI, M., *Settat une ville moyenne au rôle régional compromis*, in *Petitles villes et villes moyennes dans le monde arabe*, Tours, 1986, T. 2.

CHOVIN, G., *Aperçu sur les relations de la France avec le Maroc, des origines à la fin du Moyen Age*, *Hesp.*, 3e -4e trim., 1957.

COLIN, G., *Shawia*, *E.I.*, 1ere éd.

CORNEVIN, R. et M., *Histoire de l'Afrique : des origines à nos jours*, Paris, 1956.

CORNICE, *Notice sur les Cherarda*, *A.B.*, vol. 4, fasc. 1-2, 1919-1920.

COTE, M., LEGRAS, J., *La variabilité pluviométrique inter annuelle au Maroc*, *R.G.M.*, n° 10, 1966.

COUR, A., *Les derniers mérinides*, *B.S.G.A.*, 1905.

CUOQ, J., *Recueil des sources arabes concernant l'Afrique occidentale*, Paris, 1985.

DELORME, H., *Note sur l'origine des Sraghna*, Dactyl.

DEMUCE, J., *L'Afrique au 16e siècle et le commerce anversois*, Anvers, 1937.

DERMENGHEM, E., *Le culte des saints dans l'Islam maghrébin*, Paris, 1954.

DESMAZIERES, B., *L'évolution des grands courants commerciaux à l'intérieur du Maroc*, Mémoire C.H.E.A.M., 1948.

DEVERDUN, G., GHIATI, M.B.A., *Deux Tahbis Almohades*, *Hesp.*, 3-4 trim., 1956.

Dossier sur le cinéma marocain, *Souffles*, n° 2, 1966.

DRESCH, J., LEPINY, J., *Guide alpin de la montagne marocaine : le Massif de Toubkal*, Rabat, 1938.

DUCROCQ, M., PASCON, P., *La mise en valeur du périmètre de la Tassaout (Haouz de Marrakech)*, *H.T.E.*, n° 6, 1973.

DZIUBINSKI, A., *L'armée et la flotte de guerre marocaine à l'époque des sultans de la dynastie saadienne*, *H.T.*, XIII, fasc. uni., 1972.

ECOCHARD, M., *Casablanca : roman d'une ville*, 1955.

EISENBETH, M., *Les juifs au Maroc*, Alger, 1948.

EL MOUVTASSER, M., *Collectivités traditionnelles et espaces montagnards dans les zônes d'arrière pays atlasiques méridionaux*, Th. : Géo, Aix-Marseille II.

EMBERGER, L., *Aperçu général sur la végétation du Maroc*, Berne, 1939.

EMBERGER, L., *Aperçu général sur la végétation du Maroc : commentaire de la carte phytogéographique du Maroc au 1/1.500.000*, Rabat.

ESCALIER, R., *Citadins et espaces urbains au Maroc*, Tours, 1984, 2 vol.

EUZENNAT, M., *Le limes de Tingitane : la frontière méridionale*, Paris, 1989.

FAGNAN. E., *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 1924.
FLOURIOT. J., *L'oleiculture dans la région de Marrakech, R.G.M.*, n° 9, 1966.
GALLAOUI. M., *La critique au pluriele*, Casablanca, 2002.
GODINHO. *L'économie de l'empire portugais, 15-16e s*, Paris, 1930.
GOULVEN, J., *Les Mellahs de Rabat-Salé*, Paris. 1927.
GRAILLOT, M., *Le culte de Cybèle, mère des dieux à Rome et dans l'empire romain, B.E.F.A.R.*, 1912.
GRAILLOT. M., *Les dieux tout puissants Cybèle et Attis et leur diffusion dans l'Afrique du Nord, R.A.*, I, 1904.
GRASSET. Cap., *A travers la Chaouia avec le corps de débanquement de Casablanca*, Paris, 1906.
GROVE. A.T., *Africa South of Sahara*, Oxford, 1967.
GUIHO, P., *La nationalité marocaine*, Paris, 1961.
HEIM, M., *A travers le vieux Maghreb*, Paris, 1926.
HOST. G., *Histoire de l'empereur du Maroc Sidi Mohammed Ben Abdallah*, Rabat, 1998.
HUOT. *La situation politique en Chaouia. Août-Décembre 1907, B.S.G.M.*, fasc. 2-3, 1922.
L'industrie marocaine des parures, B.I.D.M., juil. 1942.
JAIDI, M. D., *Cinégraphiques*. Rabat, 1995.
JAIDI, M. D., *Le cinéma au Maroc*, Rabat, 1991.
JAIDI. M. D., *Public(s) et cinéma*. Rabat, 1992.
LA CHAPELLE? F. de., *La formation du pouvoir monarchique dans les tribus berbères du Haut Atlas Occidental, Hesp.*, vol. 8, 3e-4e trim., 1928.
LE CORBUSIER. *La charte d'Athènes*, Paris, 1971.
LE CORBUSIER, *Manière de penser l'urbanisme*, Paris, 1963.
LE TOURNEAU, R., *Les débuts de la dynastie saadienne jusqu'à la mort de Mohammad Ach-Chaykh, 1557*, Alger, 1954.
LAHBABI. A., *Villes et politiques urbaines au Maroc*, Th. 3e cycle, Grenoble, 1976.
LAHLIMI, A., *Les terres irriguées et le monde rural dans la Tassaout moyenne, R.G.M.*, n° 11, 1967.
LENOIR. E, BRONQUIER-REDDI, V., *Bibliographie du Maroc antique, Africa Romana*, 1998.
LINARES, F. J., *Voyage au Tafilalet avec S. M. le sultan Moulay Hassan en 1893, B.I.H.M.*, juil. - sept. 1932.
LLABADOR, F., *Port Say et son fondateur*, Oran, 1955.
LUCCIONI. J., *Avénement de Sidi Mohammed Ben Youssef au trône du Maroc, 1927, R.O.M.M.*, XII, 1972.
MAILLOT. D., *Le régime administratif du cinéma au Maroc*, Rabat, 1961.
MAS-LATRIE, *Traité et documents divers concernant les relations des chrétiens et des arabes au Moyen Age*, Paris, 1868.
MASSON, P., *Histoire des établissement et du commerce français. 1560-1793*, Paris, 1903.
MATHIAS. J., *L'artisanat marocain, B.E.S.M.*, n° 96-97, 1963.
MAUDUIT, R., *Le makhzen marocain, A.F.*, n° 12, 1903.
MAUNY. A., *La magie et l'astrologie*, Paris, 1860.
MAUNY, R., *Découverte à Gao d'un fragment de partie émaillée du Moyen Age musulman, Hesp.*, 3e-4e trim., 1959.

MEUNIER. J., *Le grand riad et les batiments saadiens du Badi à Marrakech, selon le plan publié par Windus. Hesp.*, 1-2 trim., 1957.
MICHAUX-BELLAIRE. E., *Les habous de Tanger, A.M.*, XXII. 1914.
MICHAUX-BELLAIRE. E. *Les impôts marocains, A.M.*, vol. 1, n° 1, mars 1904.
MICHAUX-BELLAIRE, E., *Tanger et sa zône, in villes et tribus du Maroc*, vol. 7, Paris, 1921.
MINISTERE DU TOURISME, *Randonnées pédestres dans le massif du Mgoun*, Casablanca, 1989.
MORSY, M., *North Africa, 1800-1900*, London, 1974.
MORSY, M., *La relation de Thomas Pellow : une lecture du Maroc au 18e s*, Paris, 1983.
MURDOCK, G.P., *Africa : its peoples and their culture history*, New York, 1959.
NIANE. Dj. T., *Le Soudan occidental au temps des grands empires*, Paris, 1975.
OLIVIER. F., *Mémoire sur l'évolution économique des tribus de la banlieue de Meknès depuis l'occupation française*, Mémoire C.H.E.A.M., 1937.
PAVIS D'ESCURAC, H., *Le Magna Mater en Afrique, B.A.A.*, VI, 1975-1976.
PERUGIA, J. D., *Noms de lieu d'origine berbère dans le sud-ouest de la France, H.T.*, vol. 18, fasc. un, 1978-1979.
PIANEL, G., *Conquête du Soudan par Mawlay Al-Mansour, Hesp.*, 1953.
RENE - LECLERC, C., *La presse au Maroc : aperçu historique et situation en juillet 1908*, in *Congrès de l'Afrique du Nord, Paris, 6 - 10 octobre 1908, compte-rendu de travaux*, Paris, 1909, tome 1.
ROUCH. J., *Saïdia. port méditerranéen du Maroc français. La géographie*, LX, n° 1-2, 1933.
SEGONDS. *La Chaouia et sa pacification*, Paris. [s.d].
SIGELMASSI, *Les plantes médicimales au Maroc*, Casablanca, 1993.
SMAILI. M.A., *Les années terribles du Maroc Oriental, 1844-1945*, Oujda, 1996.
SOUIBA, F., EL-ALAOUI, F.Z., *Un siècle de cinéma au Maroc, 1907-1995*, Rabat, 1995.
TARRIT. C., *Le cercle de BeniMellal : étude sur le front chleuh, pays Aït Srir, B.S.G.M.*, III, 1923.
TASSERIE, G., *Contribution à l'étude de la tuberculose au Maroc*, Th, Doct., Paris, 1921.
TERRASSE, H., *Note sur les ruines de Sigilmassa, R.A.*, 3e-4e trim., 1936.
TIMOULE. A., *Les chroniques maritimes du Maroc : les statuts du marin et du navire marocains*, Casablanca, 1980.
TROIN? J.F., *Vision et utilisation des souks au Maroc*, in *Connaissances du Maghreb : sciences sociales et colonisation*, Paris, 1984.
TUBERT, *La Chaouia, Bull. Sté. d'Alger, et de l'Afrique du Nord*, 1e-2e trim., 1914.
VOINOT. L., *Une époque d'entente cordinale avec l'Amel d'Oujda, 1881-1885, R.A*, 1926.
WEISGERBER, F., *Les Chaouia*, Paris, 1907.
ZAFRANI, H., *Mille ans de vie juive au Maroc*, Paris, 1983.
ZARTMAN, I.W., *Government and politics in Northern Africa*, London, 1963.

Liste des principales abréviations des périodiques

A.A : *L'Afrique et l'Asie.*
A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.G.M : *Bulletin de Géographie du Maroc.*
B.I.D.M : *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.B : *Encyclopédie Berbère.*

E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerranéennes.*
F.M : *France - Maroc.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*
Hesp : *Hespéris.*
H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
M.E.F.R : *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
R.G.L : *Revue de Géographie de Lyon.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.C.M : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.E : *Revue Maroc-Europe.*
R.M.F : *Revue Militaire Française.*
R.M.F.P.E : *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
Rev. Inst. Hist. Mil. : *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*
S.G.L : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

سجلماسة تطلق على مجال جغرافي واسع، وهي كنفيس ودرعة تحمل معنى مزدوجا لأنها اسم لمدينة ولمحيطها القروي. وقد ضبط القلقشندي لفظ سجلماسة بكسر السين المهملة وكسر الجيم وسكون اللام وفتح الميم ثم ألف وسين مهملة مفتوحة وهاء في الآخر (*صبح الأعشى*، 5: 163). وذكر الوزان أن قائدا رومانيا بنى هذه المدينة وسماها سجلوم ميسي لأنها كانت آخر ما افتتحه من مدن ماسة، لأنها كانت كالخاتم الذي يسجل نهاية فتوحاته، فحرف هذا الاسم بعد ذلك وتحول إلى سجلماسة (*وصف إفريقيا*، 2 : 127).

صارت رواية الوزان هاته مصدر آراء عدد كبير من المؤرخين في موضوع تسمية سجلماسة، فذهب كولين Colin إلى القول بأن هذه الكلمة مشتقة من سجلوم Sigillum، وهي كلمة لا تينية مأخوذة عن الكلمة اليونانية Giyihhiov، واستعملت في اللغة العربية للدلالة على صكوك المبايعات، وعلى كتاب يكتب به القاضي صورة الدعاوي والحكم فيها، كما استعملت للدلالة على الكتابة، وقد سلم فقهاء اللغة ومفسرو القرآن بأن كلمة سجيل من الدخيل على اللغة العربية، ونسبها بعضهم إلى الحبشية والبعض الآخر إلى الفارسية. والسجل بمعنى الوثيقة المكتوبة شائع معروف في اللغة العربية، لكن يبقى الجزء الأخير من الاسم غير مفهوم، ويظهر أنه ليس لا تينيا ولا عربيا (*دائرة المعارف الإسلامية*، 1 : 297).

أورد ماكوك ملاحظات في غاية الأهمية حول رواية الوزان الخاصة باسم سجلماسة، وأشار إلى أن المعنى الشائع لكلمة سجلا Sigilla هو مجموعة من الرسوم أو الصور ولكن مفردها الذي هو سجلوم، يمكن أن يعني أثراً أو سمة أو علامة، وقال بأن كلمات مشابهة لها سميت بها بعض الأماكن في بريطانيا الرومانية، كما هي الحال في مدينة Sigilocom، مع العلم بأن Locom تعني المكان، وأضاف بأنه حتى وإن كان لفظ سجيل دخيلاً على العربية فهو لا يدعم حتما التعليل الذي أتى به الحسن الوزان (*الرواية التاريخية*، 42).

وخلص الأستاذ العربي مزين إلى القول بأن تركيب هذه الكلمة غريب عن اللاتينية والعربية معا، وقال بأنها من أصل أمازيغي وأنها مركبة من كلمتي سيگ + إلماس. وكلمة سيگ تعني فوق أما إلماس فتعني الماء في الأمازيغية قبل أن تتأثر هاته الأخيرة باللغة العربية فيكون معنى سجلماسة هو المكان المشرف على الماء، أو المكان الذي يوجد به الماء، وقد أضيفت إلى هذه الكلمة المركبة تاء الآخر بغرض تعريبها (*مذكرات من التراث المغربي*، 2 : 25 و*sur l'etymologie*, p. 20).

ويستعمل لفظ تافيلالت كمرادف للفظ سجلماسة، وذهب مونيي Meunié إلى القول بأن لفظ تافيلالت وليد العصور الحديثة، واستدل على ذلك بكون الوزان الذي ألف كتابه *وصف إفريقيا* في النصف الأول من القرن العاشر (16 م) لم يستعمل قط لفظ تافيلالت وإنما ذكر تلك المناطق باسم عاصمتها القديمة سجلماسة (*Abbar*, p. 10) والحقيقة أن هذه التسمية تعود إلى تاريخ أقدم من ذلك، فقد استعمل ابن خلدون لفظ تافيلالت كمرادف لسجلماسة أثناء حديثه عن مواطن أولاد حسين وأولاد أبي الحسين من عرب المعقل (*العبر*، 6 : 77 ـ 87 ـ 89).

اختلفت الروايات في شأن تاريخ تأسيس مدينة سجلماسة اختلافا بينا، ويمكن تقسيمها إلى قسمين : روايات تجعل تاريخ بنائها في الفترة الإسلامية وأخرى تعود به إلى الفترة الرومانية. وأقدم الروايات الإسلامية التي هي رواية البكري تؤرخ لتأسيس هذه المدينة بثلاثة تواريخ مختلفة. ذكر البكري في موضع من كتابه *المسالك والممالك* أن سجلماسة بنيت عام 140 / 757، وفي موضع آخر عام 104 / 723، وفي موضع ثالث قال إن بانيها هو مدرار بن اليسع بن أبي القاسم الذي قدم إليها من الأندلس عند وقعة الربض (*المغرب*، 148 و149). وثورة الربض كما

هو معروف تمت على مرحلتين بقرطبة زمان خلافة الحكم بن هشام بن عبد الرحمان : الأولى سنة 189 / 806 وقد تمكن هذا الخليفة من إخمادها بسهولة، والثانية في سنة 202 / 818، وكانت أعنف من سابقتها، وهي التي أسفرت عن تشريد أهل الربض في جميع أقطار الأندلس ومنهم من جاز البحر إلى العدوة بالأهل والولد (*البيان*، 2 : 77) ويذكر البكري لاسم مدرار بن اليسع يكون قد نسب تأسيس سجلماسة إلى ثلاثة أمراء من أمراء بني مدرار وهم بالإضافة إلى مدرار المذكور أبو القاسم سمكو بن واسول وعيسى بن يزيد الأسود. غير أنه قال بعد كل ذلك بأن الرواية القائلة بتأسيسها من قبل أبي القاسم سمكو بن واسول وعيسى بن يزيد الأسود أصح في عمارتها من غيرها (*المغرب*، 149).

ويبدو أن سجلماسة أسست عام 140 / 757 وهو الأرجح، لأن تاريخ 104 ما هو إلا تحريف لرسم سابقه وهو من صنع الناسخين، أما تأسيسها إثر ثورة الربض

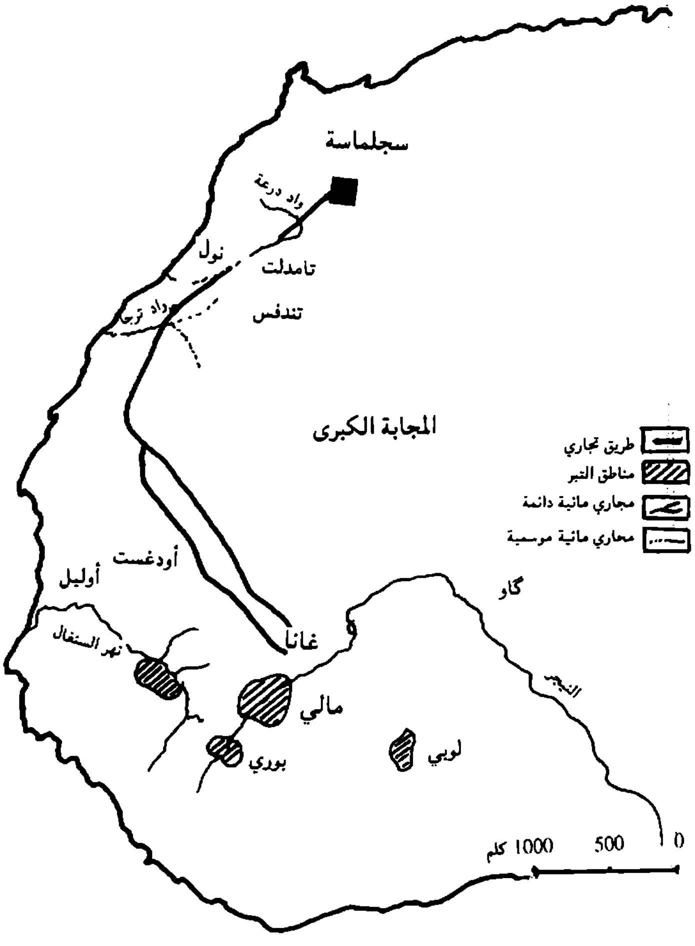

فمستبعد، لأنه لا يعقل أن يتأخر بناء سجلماسة حتى عهد الرابع من أمرائها الصفرية.

وقد نقل صاحب *الاستبصار* عن البكري روايات التأسيس هاته وحرف فيها بعض التحريف (*الاستبصار*، 101) وعنهما نقل كل من الحميري والقلقشندي (*الروض المعطار*، 305 - 306 وصبح *الأعشى*، 5 : 163).

أما الروايات القائلة ببناء سجلماسة في الفترة السابقة للفتح الإسلامي فأولها رواية ابن سعيد الغرناطي الذي قال بأنها من بناء الإسكندر الأكبر (Fagman, *Extraits*, 19)، وهو ما قاله الوزان أيضاً في إحدى رواياته ونسبه للعامة (*وصف إفريقيا*، 2 : 127). وقال الزياني إنها من بناء بني مدرار قبل الإسلام (*الترجمانة*، 97) وقال الوزان إن مؤسسها حسب بعض مؤلفينا قائد روماني ذهب من موريطانيا فاحتل نوميديا بأسرها، ثم زحف شطر الغرب حتى ماسة، وسماها بـ : سجلوم ميسي (*وصف إفريقيا*، 2 : 127).

أثارت رواية الوزان هاته اهتمام الدارسين الأوربيين على وجه الخصوص، وحاول بعضهم البحث عن عناصر مدعمة لها، فنسبوا كل الآثار المبنية بالحجارة المقطوعة بتافيلالت إلى أصل روماني (Bassac, *Note sur le Tafilalet*, 409 : *الرواية التاريخية*، 39) مع العلم بأن ما سجله التاريخ من حضور روماني بتلك المناطق لم يتجاوز حملة سريعة قام بها القائد الروماني Seutonius Paulinus سنة 41م لتأديب قبائل Getules (De la chapelle, *L'expédition de Seutonius*, p. 107).

وإذا كانت لفظة سجلماسة تعني المدينة وإقليمها كما سبق الإلماح إليه أعلاه فان المجال الذي شمله نفوذ هذه المدينة لم يكن ثابتا على الدوام، فقد اتسع ليشمل مناطق بعيدة عنها أحيانا، وتقلص ليقتصر على مساحات ملتصقة بها أحيانا أخرى تبعا للتطورات السياسية التي شهدتها تلك المناطق في مختلف مراحلها التاريخية. فسجلماسة في فترة حكم المدراريين تدل على إمارة واسعة امتد نفوذها غربا حتى مناطق درعة وقسم كبير من بلاد القبلة، ثم عرفت هذه الإمارة اتساعا كبيراً في عهد المغراويين الذين سلطوا نفوذهم على مناطق قريبة جدا من فاس، ثم خضعت بعد ذلك لمختلف الدول المغربية الكبيرة كالمرابطين والموحدين والمرينيين، ثم أصبحت في القرن الثامن (14 م) قاعدة لإمارة شمل نفوذها كل المناطق الجنوبية للمغرب الأقصى بعد أن استقل بها أبو علي عمر المريني وكون بها جيشا من عرب المعقل افتتح به معاقل الصحراء والسوس ومراكش. ثم استقل بها بعده أبناؤه وحفدته قبل أن تعرف اضطرابات كثيرة بسبب حروب بطون عرب المعقل فيما بينهم ويأتي عليها الخراب شيئاً فشيئاً (*سجلماسة*، 23).

كانت مدينة سجلماسة تضم مباني جميلة قارنها ابن حوقل بمباني الكوفة (*صورة الأرض*، 90) وأكد غيره على

جمالية معالمها المعمارية، لكن ما وصلنا من معلومات في هذا الباب لا يساعد على وصف تلك المعالم وصفا دقيقا ولا يوفر المادة الكافية لمعرفة خطط هذه المدينة، وكل ما نعرفه أن شكلها كان مستطيلا بناء، على ما أثبتته الصور الجوية التي أخذت على علو خفيف والتي أكدت أن خرابها يمتد على مساحة 3 كلم طولا وما بين 500 و1000م عرضا (Terrasse, *Note sur les ruines*, p. 581) وموضع خرابها الذي تظهر به بقايا الهدم اليوم يحد من جهة الشمال بالساقية المسماة "واد الشرفاء" وفي الغرب بوادي زيز وفي الشرق بالريصاني وقصر أبو عام وقصيبة الحدب وفي الجنوب بقصر گرينفود (*سجلماسة*، 102).

انفرد الإدريسي بقول إن سجلماسة لم تكن محاطة بسور (*وصف إفريقيا الشمالية*، 37). وذكر المقدسي أن سورها من طين (*أحسن التقاسيم*، 231) وذكر البكري أن بانيه هو اليسع أبو منصور بن أبي القاسم سنة 199 / 815 (*المغرب*، 148). ويرى مارگا Margat أن بقايا السور التي تظهر إلى اليوم بموضع سجلماسة تعود لعهد متأخر، لكن مواد بنائها لا تختلف عن مثيلتها التي بني بها سور سجلماسة القديم (*Note sur la morphologie*, p. 256) في حين ذهب تيراس Terrasse إلى القول بأن تلك البقايا ليست من السور الذي بناه اليسع، لكن تاريخ بنائها يعود إلى القرن السادس (12 م)، ومنها ما يعود إلى القرنين السابع والثامن (13 و14 م) (*Note sur les ruines*, p. 584). وقال ليسار Lessard إن سور سجلماسة كان مكونا من سورين : سورخارجي لا يحمل الأبراج وآخر داخلي به الأبراج يبلغ سمكه مترين، وبينهما مسافة تتراوح ما بين سبعة وثمانية أمتار (*Sigilmassa*, p. 9).

كان لسجلماسة عدد كبير من الأبواب حصرها البكري في اثني عشر باباً، الثمانية منها حديد (*المغرب*، 148) وأورد المقدسي أسماء بعضها وهي : باب القبلي، باب الغربي، باب غدير الجزارين، باب موقف زناتة (*أحسن التقاسيم*، 131). كما ذكر ابن أبي زرع اسم أحدها وهو باب تاخنست (*القرطاس*، 296) وهو باب تاحسنت عند الناصري (*الاستقصا*، 3 : 18).

لا نعرف تاريخ اندراس مدينة سجلماسة بنوع من التدقيق. ذكر الوزان أن تخريبها كان في نهاية فترة حكم السلطان المريني أبي العباس أحمد، أي سنة 796 / 1393. غير أن العملات المرينية التي ضربت بها تفيدنا أن دار سكتها استمرت في ضرب النقود حتى السنوات الأخيرة من القرن الثامن (14 م). وقد ضرب بها أبو فارس عبد العزيز المريني ثلاث عملات ذهبية بعد التاريخ المذكور أعلاه (*سجلماسة*، 101). ويغلب على الظن أن سجلماسة عانت كثيراً من غارات عرب المعقل في أواخر القرن الثامن (14 م) وبداية التاسع (15 م) ، واضطرب حبل الأمن بها بسبب حروب عرب المنابهة والعمارنة من جهة وأبناء عمومتهم أولاد حسين من جهة ثانية، فاختفت المدينة في خضم تلك الحروب (*سجلماسة*، 408 - 413) لكن التنقيب الأثري وحده قادر على إعطاء جواب شاف لهذا الموضوع.

اشتهرت سجلماسة بنشاطها التجاري مع بلاد السودان الغربي حتى كاد ذكر اسمها أن يقترن بالتجارة الصحراوية. وارتبطت مع أودغست وولاته بطرق ظلت لفترة طويلة من الزمن نشيطة وحيوية. لكن سجلماسة التي ازدهرت على حد زعم الكثيرين، بفعل مرور التجار في الذهاب إلى بلاد السودان والإياب منها، واختفت بتحول اتجاه الطرق التجارية عنها، عرفت بوفرة إنتاجها الفلاحي وجودة مصنوعاتها الصوفية والمعدنية، الأمر الذي يؤكد أنها لم تكن مجرد محطة للعبور بل قطب إنتاج مهم زود التجار بحاجياتهم من السلع التي تلقى إقبالا في الأسواق السودانية.

وقد اختصت منطقة سجلماسة بإنتاج بعض المواد الفلاحية التي لا تنمو أشجارها أو نباتاتها إلا في مثل وسطها الطبيعي. يتعلق الأمر بالتاكاوت التي كانت تستعمل في الدباغة، كما يتعلق بالحناء والنيلة اللتين كانتا تستعملان في الصباغة (*المغرب*، 152 ؛ *الاستبصار*، 201 ؛ *وصف إفريقيا الشمالية*، 38). كما أنتجت سجلماسة القطن (*وصف إفريقيا الشمالية*، 38) لكن المصادر الجغرافية والتاريخية لم تشر إلى صناعة المنسوجات القطنية بها على الرغم من أن النساء السجلماسيات اشتهرن بمهارتهن في غزل الصوف، حتى بلغ ثمن الإزار من نسيجهن خمسة وثلاثين دينارا وأكثر (*آثار البلاد*، 42 ومعجم *البلدان*، 192).

وأكدت المصادر الجغرافية وفرة إنتاج سجلماسة من الكروم في الفترة الواقعة بين القرن الخامس والقرن الثامن (11 و14 م). وذكرت أن عنبها الذي لا تناله الشمس لا يزبّب إلا في الظل ويعرف باسم الظلي (*المغرب*، 148 ؛ *الاستبصار*، 801 ؛ *آثار البلاد*، 42 وصبح *الأعشى*، 5 : 164).

كما أنتجت سجلماسة الحبوب بكثرة في العصر الوسيط، ولم يقتصر إنتاجها على توفير حاجياتها المحلية منها، بل تعداه إلى التصدير، فكان قنطار القمح السجلماسي يباع بأودغست بستة مثاقيل (*صورة الأرض*، 90). وتجب الإشارة هنا إلى أن هذا القمح السجلماسي لم يكن من النوع الجيد فهو رقيق صيني يسع مد النبي ﷺ منه خمساً وسبعين ألف حبة، وخلقه ما بين القمح والشعير (*صورة الأرض*، 90 و*المغرب*، 151) وقد سماه الإدريسي بيردن تزواو (*وصف إفريقيا الشمالية*، 37 - 38) وإذا ما استبدلنا واو الآخر بنون كطريقة للاستقراء، لتصير هذه الكلمة على النحو الآتي : يردن تزوان يكون معناها القمح الذي ذهبت بقوته رياح الشرقي فضعف وتغيرت حاله، وهو ما يسميه أهل تافيلالت اليوم بالقمح المشروب (*سجلماسة*،

303) ونظراً لارتفاع كمية الحبوب المنتجة بسجلماسة في العصر الوسيط، اضطر فلاحوها إلى الحد من المساحات المزروعة من القمح حتى لا يكثر القمح في الأسواق ويهون ثمنه. قال القزويني : "حدثني بعض الفقهاء من المغاربة وقد شاهدها - يعني سجلماسة - أن مزارعها اثنا عشر فرسخاً من كل جانب، لكن لا يزرع في كل سنة الاخمسها ومن أراد الزيادة على ذلك منعوه" (*آثار البلاد*، 42).

لكن ما اشتهرت به سجلماسة أكثر في مجال الإنتاج الزراعي هو التمور. ذكر ابن حوقل أن بها رطباً أخضر في غاية الحلاوة (*صورة الأرض*، 90) وذكر القزويني أن بها ستة عشر صنفا ما بين عجوة ودقل (*آثار البلاد*، 42). وقال الإدريسي إن بها أنواعاً من التمر لا يشبه بعضها بعضاً، وفيها الرطب المسمى بالبرني وهي خضراء جداً وحلاوتها تفوق كل حلاوة ونواها صفار في غاية الصفر (*وصف إفريقيا الشمالية*، 38) وقال أبو حامد الغرناطي إن بها نوعاً من التمر الجيد يسمى البتوني (Fagman, *Extraits*, 28) وورد في *التشوف* اسم نوع آخر من الأنواع الجيدة هو اليراري (*التشوف*، 307). وقال القلقشندي إن تمرها يفضل تمر سائر بلاد المغرب حتى يقال إنه يضاهي التمر العراقي (*صبح الأعشى*، 5 : 164) وقال ابن بطوطة : "وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر، لكن تمر سجلماسة أطيب وصنف إيران منه لا نظير له في البلاد" (*تحفة النظار*، 2 : 773).

كان التجار يتجهزون بتمور سجلماسة إلى مختلف المناطق المغربية (*مسالك الأبصار*، 140) وإلى بلاد السودان الغربي. ذكر الإدريسي أن أهل للم لا يصلهم شيء من الفواكه الرطبة، إلا ما يجلب إليها من التمر من سجلماسة أو بلاد الزاب، يجلبه إليهم أهل وارگلان (*وصف إفريقيا الشمالية*، 5) كما وصل التمر السجلماسي إلى الأسواق الأوربية في القرن السابع (13 م) والقرن الثامن (14 م) (Mas Latrie, *Traité*, 99).

كما اشتهرت سجلماسة بجودة مصنوعاتها النحاسية معتمدة في ذلك على مناجم النحاس في كل من تيحمامين وهي تازلافت في وقتنا هذا وتنودادن وهي مجران في وقتنا هذا (*المغرب*، 156). كما عرفت سجلماسة صناعة الأواني الفخارية على نطاق واسع، وأثبتت التنقيبات الأثرية التي أنجزت في بعض المواقع السودانية أن أكثر من 60٪ من الأواني الفخارية التي نقلت إلى أودغست ما بين القرن الثالث (9 م) والقرن السادس (12 م) هي من صنع سجلماسي (J. Devisse, *Sigilmassa*, 19) كما تم العثور على الفخار السجلماسي والفاسي في ضواحي مدينة گاو (R. Mauny, *Découverte à Gao*, 516).

كان لهذه المنتجات السجلماسية أثر كبير في إنعاش قطاع التجارة بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي في العصر الوسيط. وعليه فإن سجلماسة لم تكن مجرد محطة للاستراحة كما زعم الكثيرون بقدرما كانت مركزاً فاعلا في عملية المبادلات التجارية بما وفرته من سلع فلاحية وسلع مصنعة.

المقدسي، *أحسن التقاسيم*، لندن، 1909 : ابن حوقل، *صورة الأرض*، بيروت، د. ت : البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الجزائر، 1965 : مجهول، *الاستبصار*، الدار البيضاء، 1985 : القزويني، *آثار البلاد*، بيروت، 1969 : الإدريسي، *وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية*، الجزائر، 1957 : ابن عذاري، *البيان*، الدار البيضاء، 1985 : ي. الحموي، *معجم البلدان*، ج 3، بيروت، 1957 : العمري، *مسالك الأبصار*، تح. مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء : ابن بطوطة، *الرحلة*، ج 2، بيروت، 1975 : القلقشندي، *صبح الأعشى*، ج 5، القاهرة، 1915: ابن خلدون، *العبر*، ج 6 و7، بيروت، 1981 : الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1984 : الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1 و2، الرباط، 1982 : مال كوك، *الرواية التاريخية*، الدار البيضاء، 1895 : ح. حافظي علوي، *سجلماسة وإقليمها في القرن 8 هـ / 14م*، المحمدية، 1997.

E. Fagman, *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 1924 ; Mas Latrie, *Traité et documents divers concernant les relations des chrétiens et des arabes au Moyen Age*, Paris, 1868 ; Bassac, *Note sur le Tafilalet et sur le Ziz*, *B.S.G.A*, 3ème trim., 1929 ; R. Mauny, *Découverte à Gao d'un fragment de partie émaillée du moyen âge musulman*, *Hesp.*, XXXIX, 3 et 4ème trim., 1959 ; J. M. Lessard, *Sigilmassa la ville et ses relations commerciales au XI siècle d'après El Bekri*, *H.T*, vol. X, fasc. 1 - 2, 1969 ; H. Terrasse, *Note sur les ruines de Sigilmassa*, *R.A*, 3 - 4ème trim., 1936 ; De laChapelle, *L'expédition de Suetonius Paulinus dans le Sud-Est du Maroc*, *H.T*. XIX, 1939 ; L. Mezzine, *Sur l'étymologie du toponyme Sigilmassa*, *H.T*, vol. XXIII, 1984.

حسن حافظي علوي

السجلماسي الحجرتي، أسرة فيلالية انتقل بعض أفرادها إلى فاس في القرن الثاني عشر (18 م) وكان منهم العالم الكبير محمد بن عبد الرحمن السجلماسي الحجرتي شيخ الجماعة بفاس آتي الترجمة، فنسب الحجرتيون الفاسيون إليه ودُعُوا أولاد ابن عبد الرحمن. وكان في فاس فرقة أخرى يدعون أيضاً أولاد ابن عبد الرحمن أصلهم من قبيلة لمطة انقرضوا أواسط المائة الثالثة عشرة (19 م).

ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج. 2 : 106.

السجلماسي الحجرتي، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الفيلالي ثم الفاسي. فقيه مشارك كأبيه آتي الترجمة، متمكن من فروع الفقه المالكي. نشأ بفاس ودرس بها على والده ومن في طبقته من الشيوخ، حلاه في *إتحاف المطالع* بقوله : "كان فقيها مدرساً في جل الفنون، تولى النيابة عن قاضي الجماعة بمقصورة الرصيف وبقي عليها إلى أن توفي".

توفي بفاس زوال يوم الخميس حادي عشر جمادي الثانية عام 1303 / 18 مارس 1886 ودفن بالقباب بروضة العلماء أو قريباً منها.

العباس السجلماسي الحجرتي، *الروض الطيب العرف في التعريف بأهل المائة الثانية بعد الألف*، مخطوط ؛ إ. الإدريسي، *وفيات أهل القرن الثالث عشر والرابع عشر*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2765.

السجلماسي الحجرتي، العباس بن محمد بن عبد الرحمن الفيلالي ثم الفاسي. حلاه صاحب *إتحاف المطالع* بـ "العلامة المعتني المطلع المشارك المحرر النحرير" وذكر أن له عدة كنانيش علمية وقف على بعضها واستفاد منها مادة لكتابه *الإتحاف*.

ألّف العباس عدة كتب في التراجم، منها *الروض الطيب العرف في التعريف بأهل المائة الثالثة بعد الألف*، تركه مخطوطاً في مسودته غير مرتب على السنين إلاّ قليلاً ؛ *ولوامع الدرر من رجال أهل القرن الثالث عشر*، مخطوط كذلك.

توفي بفاس يوم الأربعاء عاشر ذي القعدة عام 1311 / 15 ماي 1894 ودفن بالقباب قريباً من والده آتي الترجمة.

العباس السجلماسي الحجرتي نفسه، *الروض الطيب العرف*، مخطوط ؛ إ. الإدريسي، *وفيات أهل القرن القرن الثالث عشر والرابع عشر*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 2797.

السجلماسي الحجرتي، محمد بن **إدريس**، حفيد شيخ الجماعة محمد بن عبد الرحمن آتي الترجمة. ولد بفاس عام 1282 / 1865 وبها نشأ ودرس على عمه أحمد السجلماسي الحجرتي، وعلى الشيوخ محمد گنون وأحمد ابن الخياط والمهدي الوزاني وغيرهم، وتخرج فقيهاً متمكناً كأبيه وجده. وأسند له القضاء على التوالي في مدن ابن سليمان وسيدي قاسم والقنيطرة، وتولى رآسة مجلس الاستيناف الشرعي بالرباط.

توفي بالقنيطرة وهو قاض بها يوم الخميس سابع عشر جمادى الثانية عام 1366 / 8 ماي 1974، ودفن في الزاوية الدرقاوية.

أ. الإدريسي، *وفيات أهل القرن الثالث عشر والرابع عشر*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 9 : 3223.

السجلماسي الحجرتي، محمد بن **عبد الرحمن** الفيلالي أصلاً ثم الفاسي. ولد بفاس عام 1201 / 1787 وبها نشأ ودرس على شيوخ عصره، أمثال الطيب ابن كيران، ومحمد بن عمرو الزروالي، وإدريس العراقي وغيرهم. فتخرج فقيهاً متمكناً من أصول الفقه وفروعه واشتغل بالتدريس طيلة حياته حتى عدّ شيخ الجماعة في عصره.

قال عنه ولده عباس الحجرتي في *الروض الطيب العرف* : "انتهت إليه في وقته رياسة التدريس قد أعطي ملكته، وسلم له أهل عصره، وانفرد برياسة العلم في وقته ومصره، جميل المخاطبة، حسن الأخلاق عالي الهمة، كثير التؤدة، مجلسه مجلس سكون ووقار، وخشية وتذكار، كذلك سمعت من غير واحد ممن حضر مجلسه، ولم يتفق لي أن (أحضره) لصغر سني" وقد اعتذر مؤلف الروض عن التقصير في حق المترجم قائلاً " ولولا الرحم والقرابة لوفيته بعض حقه من غير إطراء". مع أن ترجمته أطول ترجمة في الكتاب، اشتملت على إجازات المترجم والكتب الفقهية التي درّسها من شروح *خليل* وحواشيه ولامية *الزقاق* و*تحفة ابن عاصم* وغير ذلك من كتب فروع المالكية. كما أورد نصوص ما قيل فيه من مراث قصائد كثيرة ومقطعات لأشهر شعراء فاس وفقهائها.

توفي بفاس ضحوة يوم الجمعة 17 محرم عام 1275 / 27 غشت 1858، ودفن بالقباب قرب الشيخ عبد العزيز الدباغ.

عباس السجلماسي الحجرتي، *الروض الطيب العرف*، *مخطوط*. إ. الإدريسي، *وفيات بعض أهل القرن الثالث عشر والرابع عشر*، مخطوط ؛ ص. 22 ـ 25 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7 : 2612.

محمد حجي

السجلماسي الحسني (أسرة) ← **شرفاء سجلماسة**

السجلماسي الحسني، أحمد بن عبد الواحد ← **الحسني السجلماسي، أحمد**

السجلماسي الحسني، عبد الله بن علي بن ظاهر ← **الحسني السجلماسي**، عبد الله

السجلماسي الحسني، عبد الهادي ← **الحسني السجلماسي**، عبد الهادي

السجلماسي الحسني، عبد الواحد ← **الحسني السجلماسي**، عبد الواحد

السجلماسي الحسني، عمر بن هاشم أمير ركب الحاج من سجلماسة إلى الحجاز، كان رحيما بالحجاج في السعة والضيق، يشبع الجائع ويكسي العاري، ويدفع العدو عن الحجاج (*الأنوار السنية*، 71). قال الزكي العلوي إنه كان أميراً لركب الحاج مرات متعددة (*مطالع الزهراء*، 115) وتذكر الرواية الشفوية أن عدد إمارته على الركب بلغ ستّاً وثلاثين مرة.

كان يسافر إلى الحجاز بأهله وخصوصا زوجه الشريفة وله عيال بطيبة وعيال ببلده سجلماسة (*مطالع الزهراء*، 115). يقصد زاوية أو فوس بالرتب وهي الزاوية التي أسسها المترجم له لإطعام ابن السبيل.

ذكره أحمد بن عبد القادر القادري الحسني في رحلته

المسماة بنسمة *الآس* عقب ما ذكره فيها من أنه لما قفل من الحج سنة 1101 / 1689 ونزل بطرابلس رابع عشر شعبان / 17 ماي 1689 مع الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي لقي هناك الركب القادم من فاس مشرقا ومعهم العلامة الحسن اليوسي وابن السلطان مولاي إسماعيل وهو مولاي المعتصم والأميرة ست الملك قال : "وكان للركب أميران : أحدهما مولاي عمر بن هاشم الحسني السجلماسي والآخر الحاج محمد الحسيني كان الله لهما وأعانهما" (*سلوة الأنفاس*، 2 : 270 و*رسالة مولاي إسماعيل إلى أمير مكة*، 140).

كان عمر بن هاشم يحمل إلى السلطان مولاي إسماعيل مراسلات من شريف مكة أحمد بن غالب كلما زار الحجاز، وكان العاهل المغربي يتقبل هذه الخطابات ويجيب عنها برد السلام وليس أكثر من رد السلام (*رسالة مولاي إسماعيل إلى أمير مكة*، 140).

توفي عمر بن هاشم سنة 1101 / 1689 أو في السنة التي بعدها. فقد جاء في الرسالة التي بعث بها السلطان مولاي إسماعيل إلى أمير مكة والمدينة سعد بن زيد إثر توليته أميراً سنة 1102 / 1690 ما يلي : "ولقد كان ابن عمنا مولاي عمر بن هاشم رحمه الله أيام قدومه للحجاز تعارف معه - يعني شريف مكة أحمد بن غالب - واصطحبا وعمل معه خيراً كثيراً" (*رسالة مولاي إسماعيل إلى أمير مكة*، 140). وعليه تكون سنة 1101 / 1689 هي آخر سنة تأمر فيها عمر بن هاشم على الركب السجلماسي، وأنه توفي في تلك الحجة أو بعدها بقليل لكن قبل تاريخ مراسلة مولاي إسماعيل لأمير مكة المشار إليه أعلاه. وقد خلفه في إمارة الركب السجلماسي ابنه حفيد بن عمر (*ركب الحاج*، 35) وتذكر الرواية الشفوية أن وفاة عمر بن هاشم كانت بالحجاز وأنه دفن هناك.

المشرفي، *الأنوار السنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف الحسنية*، تح. ع. الكريم الفيلالي، المحمدية، 1966 ؛ الزكي العلوي، *مطالع الزهراء الجامع لأسماء بني الزهراء*، مخطوط خ. ح.، رقم 656 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 2، فاس، 1316 ؛ م. المنوني، *ركب الحاج المغربي*، تطوان، 1953 ؛ ع. الهادي التازي، *رسالة هامة من السلطان مولاي إسماعيل ملك المغرب إلى الأمير سعد بن زيد أمير مكة والمدينة في بداية القرن الثاني عشر الهجري أواخر القرن 17 الميلادي*، مجلة *دعوة الحق*، العدد 282، مارس، 1991.

السجلماسي الحسني، الفضيل بن علي،

ذكره الفضيلي في الفرع السابع من فروع مولاي يوسف بن مولاي علي الشريف وحلاه بالفقيه العالم النحرير (*الدرر البهية*، 1 : 315). أخذ عن جماعة من أعيان علماء عصره ببلده خصوصا أحمد بن عبد العزيز الهلالي وهو عمدته (*مطالع الزهراء*، 153 و*الدرر البهية*، 1 : 315).

كان فقيها عاقلا لبيبا عارفاً بأمور القضاء. ولاه السلطان سيدي محمد بن عبد الله قضاء بلده الرتب بسجلماسة، فحسنت سيرته، وأقام قاضيا مدة من السنين على كبر سنه، سالم الحواس، لينا في فصال الناس، قوالا للحق، قائما مع الحق لا يراقب إلا الله (*مطالع الزهراء*، 153 و*الدرر البهية*، 1 : 316).

ذكره ابن زيدان في سلسلة من أخذ عنهم مولاي العباس بن عبد الرحمن بن هشام *دلائل الخيرات* (*الإتحاف*، 5 : 421).

قرظ الفضيل بن علي كتاب *الأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي* لمؤلفه التهامي بن عبد الله الحسني (*الأدوية الرواقي*، 77) وعليه، يكون الفضيل قد توفي بعد سنة 1210 / 1795.

الزكي العلوي، *مطالع الزهراء الجامع لأسماء بني الزهراء*، مخطوط خ. ح.، رقم، 656 ؛ الفضيلي، *الدرر البهية*، تح. أ. ابن المهدي العلوي وم. بن أحمد العلوي، المحمدية، 1999 ؛ عبد الرحمن بن زيدان، *الإتحاف*، ج 5، الرباط، 1933 ؛ التهامي ابن عبد الله الحسني، *الأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي*، تح. ح. حافظي علوي، مراكش، 2001.

السجلماسي الحسني، محمد الأمين بن جعفر،

يتصل نسبه بمولاي علي الشريف كان له خبرة بعلم الحساب والتنجيم وعلم الأزياج والجداول (*الدرر البهية*، 1 : 316 و*مطالع الزهراء*، 153) وكان له إلمام بالفقه ويتعاطى طريق القوم، يقرأ كتب التصوف ويتقرب من أهله، ولا يجالس إلا المساكين، وكان ألين الناس جانبا ولأهل الشر مجانبا، يميل للخمول ويتحمل ثقل الكل المملول (*مطالع الزهراء*، 153). صاهره السلطان مولاي سليمان بابنته السيدة عائشة، ولم تزده مصاهرة أمير وقته إلا تواضعا (*الدرر البهية*، 1 : 316 و*مطالع الزهراء*، 153).

توفي بفاس قبل سنة 1255 / 1839 وهي السنة التي انتهى فيها الزكي العلوي من تأليف كتابه *مطالع الزهراء*. ففي بداية ترجمته له قال : "ومنهم خليلنا الأود" وفي آخرها قال : "ولم يزل كذلك دأبه - يعني اتباع طريق القوم - إلى أن لقي الله" (*مطالع الزهراء*، 153).

الزكي العلوي، *مطالع الزهراء الجامع لأسماء بني الزهراء*، مخطوط خ. ح.، رقم، 656 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، تح. أ. ابن المهدي العلوي وم. بن أحمد العلوي، المحمدية، 1999.

السجلماسي الحسني، محمد الصادق بن محمد

الهاشمي المدغري يتصل نسبه بمولاي علي الشريف (*الدرر البهية*، 1 : 284 ؛ *الروضة المقصودة*، 2 : 739 و*الإعلام*، 7 : 339). قرأ ببلده سجلماسة ثم ارتحل إلى فاس، وأخذ عن عدد كبير من شيوخها كالإمام الرهوني وأحمد بن التاودي ابن سودة المري وعبد القادر بن شقرون والزروالي والطيب ابن كيران (*الدرر البهية*، 1 : 284 و*الإعلام*، 7 : 339).

اشتغل بالتدريس في فاس وسجلماسة وانتفع به خلق كثير (*الدرر البهية*، 1 : 284). وكان له باع في الأصول والفروع والتفسير والمنطق والبيان غير أنه كان لا يجارى في أمور الفتوى وأحكام القضاء، كان ملما بكتاب *المعيار* للونشريسي يكاد يمليه من حفظه (*الدرر البهية*، 2 : 284 ؛ *الإعلام*، 7 : 339).

تولى قضاء سجلماسة ونواحيها في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن وابنه سيدي محمد (*الإعلام*، 7 : 38)، وكانت ترد عليه النوازل من سائر أقطار المغرب ويفتي فيها (*الدرر البهية*، 1 : 284).

وهو شيخ السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن في علم الحديث، وكان لهذا السلطان فيه كبير اعتقاد. يدعوه كل سنة لقراءة *صحيح البخاري* (*الإعلام*، 7 : 341 ـ 342).

حلاه في *الروضة المقصودة* بالعالم الذكي، الفاضل السري، الماهر المتفنن الأصيل الجاري على سنن أسلافه في علمه ودينه ومروءته وإنصافه وقال بأنه أديب وقته وأورد له قصيدة رائية في المديح من البسيط (*الروضة*، 2 : 739).

كما حلاه الفضيلي بالولي الصالح العامل الناصح، وقال بأنه كثير العبادة والأذكار مع جلال قدر ونفوذ وكان قد أخذ طريق القوم عن الشيخ سيدي أحمد البدوي زويتن الفاسي (*الدرر البهية*، 1 : 284 و*الإعلام*، 7 : 239 ـ 240).

له ختمة على *المختصر* أخذها مولاي محمد العلوي ومولاي عبد المالك الضرير في ختمتيهما على المختصر، ثم أخذ سيدي محمد العراقي القاضي ختمته على المختصر من ختمة مولاي محمد العلوي كما قال محمد القادري (*الإعلام*، 7 : 341 ـ 342).

توفي محمد الصادق بمراكش يوم 3 شوال عام 1279 / 22 مارس 1862 لما وفد على السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن لقراءة *صحيح البخاري* على عادته، ودفن بداخل قبة مولاي علي الشريف بجنب ضريح السلطان مولاي سليمان. وذكر الفضيلي أن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن هو الذي وضعه في قبره بيده (*الدرر البهية*، 1 : 258).

س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. ع العزيز تيلاني، ج. 2، الدار البيضاء، 1994 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، تح. أحمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، المحمدية، 1999 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 7، الرباط، 1997.

السجلماسي الحسني، محمد بن عبد الرحمن المدغري من ذرية مولاي محمد بن علي بن طاهر. أخذ عن قاضي سجلماسة الصادق العلوي المدغري والقاضي عبد الهادي بن عبد الله العلوي وعن الفقيه محمد بن عبد الرحمن الحجرتي الفيلالي وأخذ عنه جعفر الكتاني ومحمد القادري.

كان آية باهرة في العلوم، وله مشاركة في جميع الفنون، إماما حافظا ضابطا ثقة أمينا ثبتا صدوقا، تقيا نقيا مهذبا لا تأخذه في الله لومة لائم (*الدرر البهية*، 1 : 310).

اشتغل بالتدريس بأمسيفي، إحدى قرى الغرفة بتافيلالت، بلد عبد العزيز المغراوي. ولما كتب السلطان مولاي عبد الرحمان لقاضي سجلماسة محمد الصادق بن محمد المدغري أن يبعث إليه برجل من أهل العلم والدين والشرف ليعلم أولاده بمراكش أشخصه إليه، فطلب منه السلطان أن يعلم أولاده مبادئ العلوم كالمقدمة في النحو، فأجابه بأنه يصلح لقراءة التفسير والحديث والفقه. فأذن له بالتدريس بجامع ابن يوسف.

ولاه السلطان عبد الرحمن بن هشام خطة القضاء بفاس بعد وفاة القاضي الطالب ابن الحاج وذلك في 7 صفر سنة 1274 / 18 يوليوز 1832 فحسنت سيرته، قالوا : ولا يعرف أنه أخذ مدة توليته رشوة، أو حابى في دعوة، إلا أنه كان لا يبرم الأحكام عن عجل بل كان يماطل الخصوم رجاء أن يتصالحوا، وكان يعاب عليه ذلك فيعتذر بكثرة الفجور، وأنه لا يعرف المحق من المبطل.

حج سنة 1282 / 1866 وحضر دروسا كثيرة لشيخ المالكية بالديار المصرية محمد عليش في إقرائه *للمختصر* من غير أن يعرف. وكان له اعتقاد في الشيخ العارف الزاهد محمد بن علي الحبشي الإسكندري، وأخذ عنه كغيره من المتأخرين، وكان الحبشي المذكور يحضر درسه أيضاً فيما كان يُقرئه.

توفي في 27 رمضان سنة 1299 / 12 غشت 1882 ودفن بزاوية الصقليين قرب باب الجيسة بفاس. قال الفضيلي : وقبره الآن مزارة.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج. 1، فاس، 1316 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 7، الرباط، 1997.

السجلماسي الحسني، محمد بن عبد الله ←
الحسني السجلماسي، محمد بن عبد الله

السجلماسي الحسني، محمد بن عبد الواحد ←
الحسني السجلماسي، محمد بن عبد الواحد

السجلماسي الدويري، عمر بن عبد الواحد، اشتغل بالتدريس بمسجد سيدي غانم بالزاوية العباسية بمراكش. حلاه العباس بن إبراهيم بمفتي مراكش وصنو قاضيها (*الإعلام*، 9 : 306). وهو من الذين أفتوا في قضية إمضاء بيع الصفقه التي وقع التداعي فيها بمراكش عام 1286 / 1869 وقال بإمضاء بيع الصفقة حيث اتحد المدخل ولا يتوهم ضم وقد ثبتت الحاجة وأمضى القاضي (*الإعلام*، 3 : 269).

توفي بعد سنة 1286 / 1869.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج. 9 و3.

حسن حافظي علوي

السجلماسي الرباطي، محمد بن أبي القاسم، الفيلالي الزيزي أصلا، فقيه متمكن من أصول الفقه وفروع المذهب المالكي، ورع زاهد. أخذ أكثر ما أخذ عن الشيخ المعطى ابن الصالح الشرقي في بوجعد ولازمه حتى مات فبقي ملازماً لولده الفقيه العربي بن المعطى. قال عنه الحجرتي في *الروض الطيب العرف* : "كان فقيهاً مجتهداً في القراءة والتدريس، وبلغ مبلغاً عظيماً في نهاية العلم من غير كثرة رواية ولا تدريس" وتصدر للإفتاء فكان الناس يستفتونه من مختلف الجهات، فلا يأخذ عن الفتوى سوى "موزونة" (ربع درهم) لقوته، لأنه لم يكن يأخذ من بيت المال شيئاً.

طلب منه السلطان المولى سليمان الانتقال لحاضرته لقراءة صحيح *البخاري*، فامتثل مكرهاً، وكان بذلك من شيوخ هذا السلطان العالم. وألف السجلماسي عدداً من الكتب في الفقه والنوازل وما جرى به العمل في أحكام القضاء، وكذلك في قواعد اللغة وتراجم المالكية والسير. منها : شرح *العمل الفاسي* لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، طبع مراراً على الحجر بفاس وعلى الحروف، واعتمد كمرجع أساسي في التدريس والإفتاء ؛ وشرح العمل المطلق المسمى *فتح الجليل الصمد في شرح التكميل والمعتمد*، وقد طبع كذلك واعتمده الدارسون والمفتون ؛ *ومفتاح الأقفال ومزيل الإشكال على ما تضمنه مبلغ الآمال من تصريف الأفعال*، طبع كذلك بفاس مرتين ؛ وشرح *اليواقيت الثمينة فيمن انتمى لعالم المدينة* ؛ ونظم رجال بدر، إضافة إلى مجموعة *فتاواه الفقهية*.

أقام السجلماسي مدة برباط الفتح فنسب إليه. وأكثر إقامته بأبي الجعد دارساً ومدرساً ومؤلفاً إلى أن توفي هناك عن سن عالية ليلة الأربعاء سابع وعشري رمضان عام 1214 / 22 فبراير 1800، ودفن قريباً من شيخه المعطى ابن الصالح.

عباس الحجرتي، *الروض الطيب العرف*، مخطوط ؛ ع. القادر الكوهن، *فهرس*، مخطوط ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، بيروت، 1349 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، تونس، د. ت ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974 ؛ سركيس، *معجم المطبوعات* ترجم له ـ خطأ ـ ثلاث مرات بأسماء مختلفة ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، مخطوط.

محمد حجي

السجلماسي السلوي، أحمد بن **مَحمد** بن ناجي، فقيه تولى القضاء بسلا والرباط ونواحيهما نحو عشرين سنة. ثم ولي قضاء فاس العليا والسفلى مراراً وعزل عنه، "وكان يتعاقبه مع القاضي أبي عبد الله بردلة". كما أسند إليه قضاء مدينة مكناس ومهمة الخطابة والفتيا بالقرويين، وكان يشرف على أوقاف هذه الأخيرة وتجريد حوالاتها التي يصادق عليها قائد المدينة، أبو علي الروسي.

اشتغل ابن ناجي كذلك بالتدريس في سلا، وكان يعظم العلم وأهله، ويعتبر أحمد بن عاشر الحافي السلاوي من أبرز تلامذته. ذكر مترجموه أنه كان من خواص الحضرة الإسماعيلية، وأن كلمته كانت نافذة عند السلطان المولى إسماعيل وغيره، الأمر الذي يفسر تصدي المترجم للدفاع عن وجهة نظر المخزن الإسماعيلي في قضية تمليك الحراطين، والرد على علماء فاس المناهضين لهذه العملية. وكانت فتوى ابن ناجي في هذا الموضوع خلال عامي 1120 و1121، عالج فيها الحيثيات التي ارتبطت بتمليك الحراطين، مبرزا نية السلطان من جمعهم ومؤكداً احتياج السلطة المركزية لهم.

توفي أحمد بن ناجي السجلماسي بمكناس يوم الجمعة 24 رجب عام 1122 / 17 شتنبر 1710، ودفن بروضة عائشة العدوية.

أ. السجلماسي ابن ناجي، *فتوى ابن ناجي*، *خزانة خاصة* ؛ أ. ابن عاشر الحافي، *فهرس*، تح م. السعديين، د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، ص. 216 ـ 217 ؛ م. القادري، *نشر*، 3 : 210 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، 1986، ص. 111، *إتحاف أشراف الملا*، مخ. خ. ع، 11 د، ص. 64 ؛ ع. التازي، جامع القرويين، 3 : 798 ؛ م. المنهاوي، *بعض مظاهر أزمة ممارسة الشورى بدولة الإسلام من خلال فتوى ابن ناجي في قضية تمليك الحراطين*، جريدة الاتحاد الاشتراكي، الملحق الثقافي، عدد 12، دجنبر، 1993 ؛ م. الخيمر، *جيش العبيد والدولة المغربية منذ التأسيس إلى 1757*، رسالة د. د. ع، مرقون كلية الآداب بالرباط، 1996 ـ 1997، ص. 122 وما بعدها.

محمد السعديين

السجلماسي، عبد الرحمن بن علي "من لا يخاف" كان عبداً صالحاً كثير الخشية ورعاً زاهداً منزوياً عن الدنيا وأهلها (*التقاط الدرر*، 20 ودوحة *الناشر*، 90). حدث عنه الثقات بأنواع من الكرامات. قال ابن عسكر : وكان الفقيه الأستاذ أبو الحسن بن عبد العزيز إذا ذكره يثني عليه بخير ويقول هو والله من الأولياء (دوحة *الناشر*، 90 ونشر *المثاني*، 1 : 41). كان يحفظ كتاب الله العزيز ويجوده للطلبة (*درة الحجال*، 3 : 100).

اختُلف في تاريخ وفاته قال ابن القاضي إنه توفي سنة 999 / 1591 (*لقط الفرائد*، 323 ودرة *الحجال*، 3 : 100) وقال القادري إنه توفي سنة 1002 / 1593 حسب ما جاء في *مرآة المحاسن* (نشر *المثاني*، 1 : 41) وقبره اليوم مزار معروف بزاوية أولاد من لا يخاف جنوب الغرفة بالريصاني لكن ابن القاضي قال في درة الحجال إنه توفي بمكناس (*درة الحجال*، 3 : 100).

م. ابن عسكر، دوحة *الناشر*، تح. م. حجي، الرباط، 1977 ؛ أ. ابن القاضي، *لقط الفرائد / ألف سنة من الوفيات*، تح. م. حجي، الرباط، 1976 ؛ درة *الحجال*، ج. 3، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1970 ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي القاسمي، بيروت، 1983 ؛ *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، ج. 1، الرباط، 1977.

حسن حافظي علوي

السجلماسي الفاسي، علي بن الزبير الملقب بالعضد، فقيه أديب شاعر. ونحوي متمكن حتى اعتبر إمام النحاة في عصره. أخذ عن مشيخة فاس كالقاضي عبد الواحد الحميدي، والعارف عبد الرحمن الفاسي ويحيى السراج، وأحمد الزموري ولازمه سنين عديدة، وعبد الرحمن أعراب المكناسي.

درّس بفاس وتطوان، وقال عنه المحبي في *خلاصة الأثر*: "كان يحسن التدريس، إذا قرر المسألة لا يزال يكررها بعبارات مختلفة حتى تظهر، لذلك كثر الآخذون عنه" وفي مقدمة تلاميذه الشيخ عبد القادر الفاسي.

لقيه أحمد المقري في فاس أثناء رحلته الأولى إليها عام 1009 /1600، وقال عنه في *روضة الآس* (ص. 340) : الفقيه النحوي الأديب المشارك المتفنن البارع الخط ... وأورد له مقطعات ومساجلات شعرية مع أدباء عصره.

يلاحظ في أدبيات المترجم الإكثار من الغزل المذكر وذكر الخمر. ولعل الجانب الأخلاقي هذا في شخصيته هو الذي سبب له المتاعب سواء في جانب التدريس حيث لُطخ كرسيه مرة في تطوان بالنجاسة أو في حياته المهنية حيث أقصى عن مصاف أقرانه الأدباء من الكتاب وغيرهم في مرافق الدولة، وذلك ما تحدث عنه بحسرة أحمد المقري : "أخّره الدهر وحقه أن يقدّم، وهدم بناء علمه وحقه أن لا يهدم".

توفي بفاس عام 1035 / 25 ـ 1626.

أ. المقري، *روضة الآس*، الرباط، 1983، ص. 340 ـ 341 ؛ م. المحبي، *خلاصة الأثر*، مصر، 1284 هـ، ج. 1 : 116 ـ 117 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط حجر فاس، د. ت. ص. 124، ج. 1 : 338 ـ 339 ؛ م. القادري، *نشر المثاني* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 3 : 1272 ؛ ع. گنون، *النبوغ*، ط 2، بيروت، د. ت، ص. 753 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ط 2، تطوان، د. ت.

محمد حجي

السجلماسي الفيلالي، عبد الرحمن الفقيه الصالح البركة، الناسك المتعبد. كان أسمر اللون، طويل القامة، بإحدى عينيه بياض. وكان دأبه الاعتكاف بجامع القرويين بسارية لا يبدلها بغيرها، ولا يرى عندها إلا قائما يصلي أو جالسا يذكر الله (سلوة الأنفاس، 3 : 297).

توفي بفاس سنة 1195 / 1781.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 297.

السجلماسي اللّمطي، أحمد بن مبارك بن محمد بن علي نسبة إلى لمطة، قرية من قرى سجلماسة تعرف اليوم باللماطي، يتصل نسبه بأبي بكر الصديق، ولد في حدود سنة 1090 / 1679 (*الروضة المقصودة* : 1 : 290، *التقاط الدرر* : 393 *وسلوة الأنفاس*، 2 : 203). أخذ بسجلماسة القراءات السبع عن ابن خالته وابن عم جد والده الإمام أحمد الحبيب اللمطي كما قرأ عليه شيئا من النحو. ثم رحل إلى فاس سنة 1110 / 1698، وسنه يومها عشرون سنة، فأخذ عن عامة شيوخها في العلم وقتئذ كمحمد بن عبد القادر الفاسي ومحمد بن أحمد القسنطيني وعلي الحريشي وأحمد الجرندي ومحمد بن العربي بن أحمد بردلة ومحمد المسناوي الدلائي (*الروضة المقصودة*، 1 : 290 ؛ *سلوة الأنفاس*، 2 : 203 ؛ *التقاط الدرر*، 393 وLakhdar, *La vie littéraire*, 185). أخذ عنهم جميع فنون العلم السائدة وقتئذ من عربية وكلام ومنطق وحساب وفلسفة وأصول وفقه وحديث وتفسير وقراءات.

اشتهر أحمد بن مبارك بسرعة الحفظ وجودة الضبط والاتقان، فانتهت إليه الرياسة في جميع العلوم (*الروضة المقصودة*، 1 : 291). واشتغل بالتدريس وكانت له عارضة فيه، لم تكن لغيره، حفظاً وبحثاً ومعارضة واستنباطا، وربما أدركه البكاء وهو على الكرسي في مجلس درسه، وربما غلبه الضحك وتمادى به جداً، وكان يصرح لنفسه بالاجتهاد في المسائل، ولا يبالي بمن يخالفه فيما ينفرد به، ويرد على الأكابر من المتقدمين والمتأخرين، ويقول إنهم لو أدركوه لانتفعوا به، وكان يقرأ صحيح البخاي زمن الشتاء قبل طلوع الشمس بضريح سيدي أحمد بن يحيى (الروضة المقصودة، 1 : 291 ؛ التقاط الدر، 393 وسلوة الأنفاس، 2: 203 و204).

سلك أحمد بن مبارك طريق أهل الحقيقة على يد قريبه الشيخ أحمد الحبيب اللمطي ثم اتصل بالولي الصالح أبي فارس عبد العزيز بن مسعود الدباغ قبل سنة 1130 / 1718 ولازمه، وكان يجالسه في الأسواق التي لا يمر بها غير من له فضل علم ومروءة، ويناوله ما يحتاج إليه مما ليس شأن مثله أن يناوله، فظهرت عليه آثار صحبته، وانتفع غاية النفع بمعرفته. وألف في شيخه الدباغ هذا مجلداً ضخماً سماه : *الذهب الابريز في مناقب الشيخ عبد العزيز*، وقال الكتاني : "وألف بعضهم في الرد عليه فحاد عن سواء السبيل (*سلوة الأنفاس*، 2 : 204).

وله تآليف أخرى في مختلف الفنون منها : *تأليف في تفسير قوله تعالى* "وهو معكم أينما كنتم" وكشف *اللبس عن المسائل الخمس*، ورد *التشديد في مسألة التقليد*، اختصره تليمذه محمد بن الحسن التناني، *وتأليف في دلالة العالم على بعض أفراده*، وهو بحث في الأصول. *وطرر على شرح سعيد قدورة على شرح السلّم في المنطق*، وله تقاييد عديدة وأجوبة (*سلوة الأنفاس*، 2 : 204 *والتقاط*

الدرر، 393 و394 ونشر *المثاني*، 4 : 42) وأضاف محمد الأخضر إلى هذه المؤلفات العناوين التالية :

القول المعتبر في بيان أن جملة الحمد إنشاء لا خبر ؛ *ومبلغ الآمال لطالبي التصريف في الأفعال*؛ وتقاييد وأجوبة؛ وحاشية على *جمع الجوامع* ؛ وفهرسة. ووقفت له على عدد آخر من المؤلفات هي :

تقييد في *النفقة على العالم* على من تكون ؛ ورسالة في *أحكام الطاعون* ؛ ورسالة في *الدلالات* وجواب في شأن *الفرار من الطاعون* ؛ ورسالة في *الأفعال الداخلة على المبتدإ والخبر* : ورسالة في قول خليل في فرائض الوضوء ؛ وشرح أرجوزة في *المجاز والحقيقة* للطيب بن كيران ؛ وجواب لمن سأل عن *دلالة المعجزة* ؛ ومقالة *الصواب في بيان حال بني مزاب*. ومع هذا كله فإن ما ألفه أحمد بن مبارك ما يزال غير معروف بتمامه.

توفي بالطاعون يوم الجمعة 18 جمادى الأولى عام 1156 على ما ذكره تليمذه محمد بن الطيب القادري وتاريخ 18 جمادى الأولى لا يوافق يوم الجمعة بل يوافق يوم الأربعاء، ويقابله في التاريخ الميلادي 10 يوليوز 1743. وفي *السلوة*، *والتقاط الدرر* *وشجرة النور* تواريخ أخرى متقاربة..

م. القادري، *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي القاسمي، بيروت، 1983 ؛ *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1986 ؛ ابن مخلوف، *شجرة النور الزكية*، بيروت، د. ت.

M. Lakhdar, *La vie littéraire au Maroc sous la dynastie Alawite (1075-1311/1664-1894)*, Rabat, 1971.

السجلماسي المراكشي، محمد بن الطيب، كان فقيهاً مؤدباً ومجوداً لكتاب الله يعطي مخارج الحروف حقها، ويحسن نطقها. قرأ القرآن بالروايات السبع على الأستاذ المعطي بن أحمد السرغيني المراكشي. وكان صاحب جد ومتجر رابح، حج بيت الله الحرام مرتين (الإعلام، 6 :315 - 316).

توفي بالمدينة المنورة في حجته الثانية سنة 1864/1281.

ع. إبراهيم، *الإعلام*، ج. 6، الرباط، 1977.

حسن حافظي علوي

السحر في المغرب، حقيقة السحر السعيُ إلى قلب قوى النور واستنباط نقيضها منها هي ذاتها، وتحويلها بالتالي إلى قوى من ظلمات أوقوى تضرّ ولاتنفع، أو تنفع في بعض الأحيان ولكن إلى حين، لأن نفعها مؤقت وزائل، لأنها، وهذا هو الأهم، صادرة عن اعتقاد خاطئ وعن إصرار من لدن الساحر على المعصيّة وعلى مخالفة الشرع. وهذا وحده كاف لتجريد الفعل السحري من المنفعة.

إن السحر بهذا التعريف ليس إلا نقيضاً للدين، وقلباً لحقائقه الثوابت وقواه النورانية. ولذلك كان الكفار قديماً ينعتون الأنبياء بالسحرة لما كانوا يرونه منهم من المعجزات ويسمعونه من الكلام الحكيم المؤثر في العقول والأفئدة.

إن أحسن مثال يمكن أن نضربه لتقريب الفعل السحري من الأذهان لهو مثال الصورة في المرآة، حيث تعكس المرآة الأشياء والموجودات كأنها هي فعلاً، ولكنها في حقيقتها صور مقلوبة بالمقارنة مع واقع الأشياء وحقائقها. ومن هنا تأتي قوة الفعل السحري على الانطلاء على أشد العقول صلابة وأوفرها علماً، ومن هنا أيضاً تأتي قدرة السحرة على الإغواء وعلى تحريف الاعتقاد وتزييف الشعائر بتحويلها إلى طقوس وتطبيقات غالباً ما تكون متلبسة بلباس الحق والنور والخير والفضيلة. وكم من عالم زاهد سار على درب القرب من الحق جلّ جلاله حتى إذا بلغ من مساره شأواً عالياً نزل فتصدر عنه أعمال سحرية قد يعتقدها هو نفسه من صميم الممارسة الدينية، كأن يصنع الأوفاق والجداول ويستعمل في ذلك آيات بينات وأسماء حسنى ويقول إن ذلك من الأسرار الإلهية التي جعلها الله سبحانه وتعالى هبة لعباده المقربين.

وبما أن الظلمات يحكمها التعدد والتنوع والتضارب والاختلاف، فإن السحر يتصف هو الآخر بهذه الصفات، فتتعدد أنماطه وتطبيقاته وأشكاله بحسب الاعتقادات التي يقوم عليها والأهداف التي يرمي السحرة إلى إصابتها.

من هنا جاء تعدد الطرق السحرية وتنوعها في جميع بقاع العالم عموماً، وفي المغرب على الخصوص. ولو أن الدارس سعى إلى تصنيف الممارسات السحرية في بلادنا وترتيبها بناء على فكرة ارتباط السحر بالعقيدة، لوجد على الخصوص الأشكال التالية :

1 - السحر الأسود، كما يسميه سحرة الغرب، وهذا يقوم على استخدام أشياء كانت في ملك الضحية (ضحية عمل الساحر) بجعلها لباساً أو جزءاً من دمية تصنع خصيصاً لهذا الاستعمال، وترافق هذا الاستخدام طقوس أخرى تتعدد وتختلف بحسب الطريقة التي ينتمي إليها الساحر، والمدرسة التي ينحدر منها، كأن تراق دماء أضاحي من الحيوانات أو الطيور على الدمية مع ترداد حروف وأعداد وكلمات لها صلة باسم الضحية المراد إصابته بالفعل السحري، أو غير ذلك من التطبيقات التي من شأنها أن تجعل علاقة باطنية خفية بين الدمية والشخص الذي تمثله، حتى إذا استعملت الدمية في نهاية المطاف لغرض من الأغراض صار ذلك قابلاً للانتقال إلى الشخص المستهدف (بالفتح)، فيتلوى من الوجع أو من الأرق أو تتراجع حالته الصحية أو يأخذ في الهلوسة والهذيان دون سبب ظاهر... وكل ذلك بحسب الاستعمال الذي تخضع له الدمية والتمائم والتعازيم التي ينطق بها الساحر أثناء الفعل السحري.

ويجدر القول إن هذا النمط من السحر إفريقي المنشأ، إذ يكثر العمل به عند الزنوج على الخصوص، وربما كان هؤلاء هم من نقلوه إلى جنوب القارة الأمريكية وإلى بقاع

أخرى كالهند على سبيل المثال، علماً بالسبق الزمني للحضارة السوداء النابعة في العالم القديم أو القارة القديمة إفريقيا.

2 ـ السحر القائم على الوفق، ويرجع هذا النوع إلى علم الفلك والتنجيم. ويقوم على استعمال الحروف المكونة لاسم الشخص المستهدف واسم أمه، وإخضاع هذين الإسمين لعمليات حسابية بعد تحويل كل حرف إلى عددين يدلان على ترتيبه الأبجدي وقوته الخفية (مثلاً حرف اللام ترتيبه الأبجدي 12 وقوته 30)، وتوزيع حروف الاسم على خانات جدول من الجداول المستعملة لهذا الغرض (رباعي أو خماسي أو سداسي أو نحوه بحسب عدد الحروف في الإسمين) والسعي من وراء ذلك إلى إدراك الشخص المستهدف من خلال طالعه أو طابعه من أجل التغيير فيهما بحسب قوة الساحر ورغبته أو الرغبة المعبر عنها من لدن طالب العمل السحري والمستفيد منه.

وقد لوحظ من خلال العينات المستعملة في هذا النمط استخدام أسماء أخرى لملائكة أو شياطين بحسب نوع العمل المراد إنجازه إن كان خيراً أو شراً، واستخدام بعض الآيات القرآنية أو أسماء الله الحسنى، ممّا يضفي على العمل والوفق مسحة دينية مغلوطة سرعان ما تنطلي على العامة، كما يلاحظ أن هذه الآيات والأسماء تصير مقلوبة ومحرفة عن مواضعها بمجرد توزيع حروفها على خانات الجداول، ذلك أنها تصير مكتوبة من اليمين إلى اليسار والعكس، ومن أعلى إلى أسفل والعكس، وهذا مالا يصح فعله في أسماء الله عز وجل وآياته الكريمة.

أما السبب في الاستخدام المزدوج لاسم الشخص المستهدف واسم أمه، فإنه يعود بالأساس إلى الرغبة في ضبط لحظة تكون الشخص ذاته عندما كان جنيناً في رحم أمه، وضبط لحظة ميلاده وتوافقاتها الفلكية من برج وسمت وكواكب وحالات هوائية أو مائية أو نارية أو ترابية، ومن حالات الرطوبة والجفاف ... إلى آخر قائمة هذه التوافقات، وكل ذلك بغرض توجيه العمل السحري إلى تلك اللحظات والرموز بالذات، فكأنما الساحر يمس ويصيب المسحور في لحظة نشوئه الدنيوي الأول أو لحظة ميلاده، وبطبيعة الحال فإن هذا المستهدف يكون في تلك الآونات بالذات أكثر ضعفاً وتعرضاً لكل الأضرار مهما كانت عليلة كنسائم الأماسي الربيعية !

3 ـ السحر المستعمل (بالكسر) لبعض الشخص المسحور أو المستهدف (بالفتح) للعمل السحري. وهذا يختلف عن النمط الأول القائم على استعمال متاع المسحور وحاجاته وأشيائه. إذ يتعلق الأمر هنا باستخدام جزء من الشخص نفسه، كمنيه، أو أظافره، أو شعره، أو حتى بوله وغائطه، أودمه وهذا يعتبر الأكثر قوة وفعالية في نظر مستخدمي هذه الطريقة.

4 ـ السحر المستخدم (بالكسر) للأعضاء البدنية للموتى والذي يقوم على الاعتقاد بقدرة الميت على سلب الشخص الحي المستهدف، فيسلبه صحته وعافيته، أو يسلبه قدرته البدنية، أو فحولته، أو يصيب عمله وتجارته بالبوار والموت... الخ.

وقد لوحظ وجود هذا النوع من الممارسة السحرية بكثرة في المغرب على الخصوص، ربما بسبب الانتماء الإفريقي لبلادنا، ولحضارتها وجزء من ثقافتها المتعددة والمتنوعة، وهو الانتماء الذي جعل في موروثنا الثقافي بعضاً من ثقافة "الڤودو" السحرية وعقدياتها التي كانت تصل بين الأموات والأحياء، فتجعل الأوائل أكثر قدرة على الفعل وعلى التأثير مما كانوا عليه إبان حياتهم !

كما لوحظ تواتر هذا النوع لدى القبائل البدوية من الأعراب، مما يدعو إلى احتمال وجود علاقة بين هذه الممارسة وثقافات الشرق الأوسط (الفرعونية والآشورية والكلدانية والبابلية ...).

5 ـ السحر القائم على الخط والكتابة والرمز وعلى الطلاسم. وهذا يقوم على اعتقاد راسخ بأن الحروف والكلمات كائنات حية في الباطن وفي وسعها أن تؤثر بالتالي في أصحابها وفي غيرهم من المستهدفين، ولذلك يكون العمل في هذا النمط من السحر معتمداً على الحروف والكلمات كتابة أو نطقاً أو بهما معاً.

وفي هذا النمط نجد كتابات يطلب محوها بالماء أو بأي محلول آخر يصفه الساحر، فيُشرب أو يُدهن به أو يُغسل به أو تُرش به الأمكنة أو الملابس ... إلى غيرها من الاستعمالات المرتبطة بالسوائل.

وفي هذا النمط أيضاً نجد كتابات تُعلق كالرّقيات، أو تحفظ في أماكن معينة، وتحاط بالجلد أو النحاس اعتقاداً بأن ذلك يحفظها من البطلان، وغالباً ما تصاحب هذه الكتابات جداول كتلك المستعملة في النمط التنجيمي، أو صور ترمز إلى أشخاص معينين أو إلى خدام مفترضين من الجان أو غيرهم. وقد لوحظ هذا النوع من الاستعمالات في منطقة سوس على الخصوص، وبدا ذلك دليلا على وجود علاقة له مع المعتقدات التي سادت لدى السكان الأصليين بالمغرب والشمال الافريقي، والتي ربما كان لها احتكاك فعال ومؤثر مع حضارات أخرى كالفينيقية والوندالية والبيزنطية والرومانية ...

6 ـ السحر السيميائي (Archimique) القائم على استعمال المعادن والأتربة والمحاليل الكيماوية، والذهاب بذلك إلى غاية سقيه للشخص المستهدف أو إدخاله إلى بدنه بطرق أخرى مختلفة، لكي يحدث تأثيره الفعال والمباشر داخل أحشاء هذا الأخير وفي مجرى عروقه ودورته الدموية.

ويعتبر هذا النوع من السحر تسميماً بكل معنى الكلمة، وهو الذي يطلق العامة عليه اسم "التوكال" (أي الإطعام السحري) ويغلب على الظن أن الأشخاص

المتعرضين لهذا النوع من السحر يكونون مرضى بدنيين ومصابين بتسممات متعددة ومختلفة أكثر منهم مسحورين ومسلوبي الإرادة. فالرجل الذي ينزف الدم من دبره أو يتقيأ طعامه وشرابه بدون أدنى سبب ظاهر لا يعتبر مسحوراً بل مصاباً بتسمم يكون السبب الأساسي فيما يقع لنفسه وعقله وصوابه من تيهان وقلق وخوف وهلوسة.

7 ـ السحر القائم على استخدام قوى عقلية يقال إنها من الجن، تكون ساكنة في جسم الساحر فتتحدث من خلال لسانه بلغة أو لغات لا يعرفها الساحر الوسيط ذاته، وتكتب بها، وتمارس بها كتاباتها السحرية، وقد تزيد على ذلك بأن تطلب من الشخص اللاجئ إلى خدماتها القيام ببعض الترتيبات الأخرى والتي قد تكون منتمية إلى أحد الأنماط الستة السابقة الذكر، كأن تطالبه بأضحية مصحوبة بطقوس وتطبيقات معينة، أو بحرق أنواع من البخور ومن المواد القابلة للاحتراق، أو إقامة ليلة زار وحضرة تنضم إليها فرق متخصصة في هذا النوع من النشاط البدني العقلي، مثل گناوة أو عيساوة، أو غيرهم.

8 ـ السحر القائم على الحركات الجسدية وعلى الغناء أو الإنشاد، وهذا النمط إفريقي لا محالة، ويعتمد على الإيقاع الشديد والحركات الجسدية العنيفة، ولكنه ظهر في مواقع أخرى خارج إفريقيا كالهند وأمريكا اللاتينية، ويغلب الظن أنه إفريقي المنشأ.

هذه، إذن هي الأنماط السحرية المعروفة والمتداولة في المغرب، وهي كما ذكرنا، ذات أصول عقدية مختلفة، هي عين الأصول التي فعلت فعلها في الثقافة المغربية المتميزة بالتعدد والتنوع، حيث منها ما يعود إلى الحضارة السوداء أو حضارة الزنوج الأفارقة، ومنها ما ينتمي إلى الحضارات الشرق أوسطية، كالفرعونية، والعبرانية، ومنها ما ينحدر من أصول مشتركة هندية إفريقية مايوية (نسبة إلى حضارة المايا بأمريكا الجنوبية).

ويبقى القول، من باب التذكير، إن السحر هو النقيض الفعلي للدين، ولذلك وردت فيه آيات بينات تصفه بعدم الفلاح وبالكذب والتلبيس والتلفيق، وتصف أهله واللاجئين إليه والمنتفعين من تفاعلاته بالضالين وبالمشركين لأنهم يتخذون مع الله أرباباً آخرين من الجن والملائكة والشياطين ومن أئمة الطرائق السحرية القدامى ورؤوس أعلام مدارسها الضاربة في الضلالة والابتداع.

ع. الفتاح الطوخي، *السحر الأحمر*، بيروت، م. التهامي الوكيلي، *السحر*، الرباط : الشفيق مقار، *السحر في التوراة والعهد القديم*، لندن، 1990 ؛ مصطفى محمود، *السر الأعظم*، القاهرة ؛ م. الوكيلي، *المدارس الباطنية بين العلم والفلسفة والعقيدة والدين*، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة، جامعة محمد الخامس، 1998.
A. Mauny, *La magie et l'astrologie*, Paris, 1860.

محمد عزيز الوكيلي

سْحَيِّتَة، الجيلالي مقاوم ولد سنة 1930 بمدينة الدار البيضاء، تشبع بالروح الوطنية منذ صغره، الشيء الذي دفعه إلى العمل ضمن منظمة المقاومة السرية المغربية بهذه المدينة تحت مسؤولية المرحوم الزيراوي وأحمد بركات.

وقد شارك مشاركة فعالة في تنفيذ العمليات الفدائية صحبة أخيه محمد سحيتة من تاريخ 20 غشت 1953 إلى غاية 7 شتنمبر 1955 حيث استطاعت الشرطة أن تطوق الحي لتلقي عليهما القبض لكن الشهيد رفض الاستسلام فقتلته الشرطة رميا بالرصاص أمام المنزل ـ أما أخوه، فقد جرح واعتقل، وذلك يوم 7 شتنبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم، رقم 409197.

السُخْرة لغةً كلُّ عمل أُنجز تكليفاً وقهراً بلا أجرة. بيد أن دلالته في سياق التداولات الوظيفية للخطاب المخزني المغربي، يحيل على معنى مغاير للمعنى اللغوي، إذ يقصد به المال الذي كان يقدمه قواد وحكام الإدارات المخزنية المحلية نيابة عن جماعات القبائل على وجه الإلزام والوجوب لموظفي وموفدي المخزن المركزي أجرة وتعويضا عن الخدمات ومشاق التنقل التي تجشموا عناءها. وتتقاطع السخرة عبر هذا المؤدى مع المئونة وتتكامل معها من جهة التكليف والفرض، فكلاهما يدفعان للوافدين من ممثلي ومبعوثي المخزن على القبائل برسم تنفيذ أمر سلطاني أو تفقد حال من الأحوال أو القيام بمهمة من المهام، مع فارق شكلي، يتمثل في كون الأولى، تقدم نقدا والثانية عينا في غالب الأحيان، إما على شكل مواد غذائية أو علوفات للبهائم والدواب.

وليس ثمة من شك، في أن السخرة كتكليف ضريبي، لازمت سيرورة الممارسة الجبائية والمالية المغربية عبر حقب تارخية مختلفة. إذ اقترن وجودها دائما بأنماط التسخيرات والوظائف والكلف غير الشرعية المتعددة التي كان المخزن لا يتورع عن مطالبة السكان بها في البوادي والحواضر على السواء، وذلك بهدف إنجاز الأعمال والخدمات الأساسية والحيوية التي يقتضيها الوجود الوظيفي للمؤسسة المخزنية عبر المجال، أداء وتسييراً وتنظيماً، ومن جهة أخرى، للاقتصاد في حجم الإنفاقات المالية المسرفة حفاظا على السيولة النقدية والتوازنات المالية المأمولة.

وإذا كانت الأستغرافيا المغربية لاتتحدث بما يكفي من الوضوح والبيان عن نظام السخرة وحيثيات فرضها على المجتمع القبلي تقديراً وتحصيلاً وتكلفة، فإن الوثائق والكنانيش المخزنية إبان القرن الثالث عشر (19 م) تقدم إفادات بالغة الأهمية والتنوع عن كلف السخرات وطرق تحصيلها ومقاديرها المالية ورموز الهيئات المخزنية المستفيدة منها والنتائج المترتبة عنها وسط مجموعات القبائل. إذ يتجلى بكيفية أوضح، من خلال مستندات وسجلات تلك الوثائق والكنانيش أن السخرات كانت

تستهدف بوجه مخصوص الكيانات القبلية من خلال القواد والعمال الذين كانوا يتولون توزيع أعبائها بسعر متساو على مجموع السكان، كما هو الحال بالنسبة لباقي النفقات الأخرى الطارئة، اعتماداً على أنساق التقسيمات والتفريعات الاجتماعية التي كانت تنتظم عضويا البنيات القبلية بدءاً بوحدات الكوانين والخيام وانتهاء بالأرباع والأخماس. وعلى خلاف ذلك، كانت الفئات صاحبة ظهائر الإنعام والتوقير من الشرفاء ورجال الزوايا والعلماء والقضاة، معفاة من هذه السخرات وغيرها من أصناف الأعباء الجبائية الأخرى غير الشرعية اعتباراً لمقتضى الأعراف والعادات المتواترة في هذا الشأن منذ عدة قرون خلت.

ولما كانت السخرة أجرة تدفع تعويضا عن خدمة مخزنية معينة، فإن تحديد سعرها لم يكن موكولا للتلقائية أو لتقديرات الجهة الدافعة، بل كان خاضعا في واقع الأمر، لشروط ومقاييس معيارية ترتبط في الأغلب الأعم بالاعتبارات التالية :

- مكانة ومركز المسخر في بنية الجهاز المخزني
- نوعية وأهمية العمل الموكول للمسخر
- المدة الزمنية المستغرقة في تنفيذ المهمة
- عدد المسخرين
- قيمة صرف العملة

وإذا حصل في بعض الأحيان أن المسخر لم يقتنع بقيمة السخرة المدفوعة له بناء على المقاييس والتقنينات المتداولة، فإن القائد أو الممثل المخزني يطلب في رسالة استشارية تدخل السلطان لتحديد القدر الواجب أداؤه لفائدة الجهة المسخرة. غير أن مثل هذه الحالة كانت تمثل في الواقع، وضعا شاذا لا يحدث إلا في ظروف نادرة واستثنائية للغاية. لأن ممثلي المخزن في مختلف الإيالات والأقاليم كانوا يحرصون حرصاً شديداً على أن يكون مقدار السخرات المدفوعة مرضيا ومقنعا للأطراف المسخرة، بل كانوا في أحيان كثيرة يمنحون مبالغ إضافية على شكل أعطيات ورشاوي، إذا كان الأمر يتعلق بجهات نافذة في دواليب المخزن المركزي، قد يستعان بها في وقت من الأوقات العصيبة لقضاء حاجة من الحاجات، أو لدرء خطر من الأخطار المحتملة.

ويستفاد من خلال الوثائق المخزنية والمصادر التاريخية التي يزخر بها مغرب القرن الثالث عشر (١٩م) أن مستويات ودرجات هيئات المسخرين الذين ترددوا في مهمات رسمية على البوادي المغربية كانت تتسم بقدر من التنوع والتراتبية، سواء على مستوى إطارها الوظيفي والمهني أو على مستوى أصولها ومراكزها الاجتماعية. ويمكن رصد عناصر هذه الهيئات على سبيل النمذجة في الفئات التالية :

- الخراصون والأمناء والجباة
- الرقاصة وأصحاب البريد
- القواد وفرق الجيش
- أعوان المخزن
- المسخرون أو المخازنية التابعون لإدالات الجيش الموجودة باستمرار داخل دار المخزن
- رموز وشخصيات مدنية

على أن القضايا والانشغالات التي استأثرت بصورة أساسية بأنشطة وأعمال المسخرين عبر المجالات القبلية ارتبطت بوجه أعم بمسائل التخريص والجباية وخدمة أملاك المخزن، فضلا عن المظالم والنزاعات والحركات العسكرية وغيرها. وعلى الرغم من أن السخرات لم تكن تؤدى إلا في مناسبات استثنائية على عكس باقي الأداءات الجبائية الأخرى المنتظمة والواجبة كالزكاة والأعشار وهدايا الأعياد، فإنها مع ذلك كانت تشكل إلى جانب الفروض والكلف الأخرى الطارئة عبئا ثقيلا ومرهقا لكواهل مجموعات القبائل، مما كان يؤدي بالبعض منها إلى الفرار من مواطن استقرارها صوب مجالات أخرى جديدة، أو البحث بشتى الوسائل الممكنة عن امتيازات الإعفاء، وإن كانت هذه الوسائل والمسالك تتعارض أحيانا مع الشرعية القانونية وأسس الانتماء إلى الجماعة الوطنية (الحمايات الفردية). ولعل ما كان يزيد من شدة وطأة هذه السخرات، سطوة القواد وتعسفاتهم أثناء توزيع قسماتها وأعبائها على أفراد الجماعات القبلية، إذ كانوا عادة ما يكيلون بمكيالين للسكان، يحابون المقربين وأولي "النسب والحسب" ويتشددون في المقابل، مع عوام الناس، ناهيك عن الأسلوب المشترط في عمليات التوزيع الذي لم يكن يقيم اعتباراً للتفاوتات القائمة موضوعيا بين وحدات الكوانين والخيام سواء على مستوى حجم ثرواتها الاقتصادية أو على مستوى مكوناتها العددية وهي ظاهرة لسوء ما خلفته من أضرار فادحة على صعيد المجتمع القبلي، وما رافقها من اختلالات جبائية أخرى موازية على صعيد الإدارة المالية، أدت بالمخزن المركزي إلى القيام ببعض المبادرات الإصلاحية للنظام الجبائي والمالي ككل، توجت الأولى على عهد السلطان الحسن الأول بإحداث ترتيب 1884، بينما أثمرت المبادرة الثانية على عهد المولى عبد العزيز ترتيب 1891.

ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 1 : 192 - 239، *إتحاف أعلام الناس*، 2 : 397 - 98 ؛ 4 : 423 - 24 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، 2 : 64 - 66 ؛ ن. هراج التوزاني، *الأمناء بالمغرب*، 38 - 46 - 171 - 182 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي*، 513 - 517 ؛ ع. الرحمن المودن، *البوادي المغربية*، 351 - 353 ؛ ج. عياش، *دراسات*، 79 - 120 ؛ ف. العيساوي، *كلف البوادي*، ندوة البادية المغربية، 1999 ؛ ف. الإدريسي، *الجباية في عهد الدولة السعدية*، 1 : 316 - 317، رسالة جامعية، كلية الآداب، 1994 - 1995، ظهر المهراز، فاس.

E. Michaux-Bellaire, *Les impôts marocains*, *A.M.*, vol. I, n° 1, mars 1904 ; J. Erckmann, *Le Maroc moderne*, Paris, 1895, p. 126 ; G. Cattenoz, *La fiscalité*

marocaine, Paris, 1927 ; P. Bernard, *Les anciens impôts de l'Afrique du Nord*, juin 1924, janvier 1925, p. 59.

الفقيه الإدريسي

السَّخيري، أسرة تطوانية قديمة انقرضت، ورد ذكرها في وثائق القَرن الثاني عشر (18م) وكان منها عدول، منهم عبد السلام بن قاسم السخيري عام 1116 ؛ وعبدالسلام بن محمد السخيري ورد ذكره بشكله العدلي بين عدول عام 1119 ومحمد بن عبد السلام السخيري كان يشهد عام 1157 ـ 1184.

م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

محمد بوخبزة

السداهِي المكي بن الحاج علي. مقاوم ولد سنة 1925 بدوار تبرانت قبيلة بني بشير قيادة تبرانت إقليم الحسيمة، انضم إلى جيش التحرير بمركز باب الحيط في أكتوبر 1955 وكان ينتمي إلى التشكيلة التي يرأسها علوش والحطاط. وقد قام بأعمال جليلة مع إخوانه المجاهدين حيث أبلى البلاء الحسن إلى أن سقط في ساحة الشرف شهيداً على إثر إصابته برصاص جنود الاستعمار يوم 11 مارس من سنة 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520860.

سد مجنون : مستنقعة موسمية سبخة، بقعر سهل البحيرة جنوبي مراكش، وهو مقعر مستطيل محصور بين سلسلة الجبيلات الهرسينية جنوبا وهورست هضبة الرحامنة شمالا، تبلغ مساحته حوالي 2000 كلم2 قسمه الشرقي منفتح على واد تساوت وأم الربيع، أما قسمه الأوسط والغربي فهو حوض مغلق ذو جريان داخلي، مساحته حوالي 1200 كلم2 تتجمع به مياه المسيلات الموسمية النابعة من الجبيلات ومياه واد گاينو ذي الجريان الموسمي، والكثير من هذه المجاري يكمل مسيرته بجريان منتشر، تتجمع مياهها بقعر الحوض مكونة مستنقعة أو بحيرة موسمية تتراوح مساحتها ما بين 16 إلى 35 كلم2 لكن عمقها لايزيد عن 60 إلى 80 سنتيمتراً هذا إن امتلأت في سنوات غزيرة المطر لكنها تفقد جل مياهها صيفا بالتبخر، يبلغ علوها عن سطح البحر 404م. تنتشر المستنقعة بين جماعة المحرة وواد أملول بدائرة بن گرير بإقليم قلعة السراغنة فوق أراضي جماعية لقبيلة بني حسان ولذلك كانت تعرف قديما بگلتة بني حسان، كما يسميها سكان سهل البحيرة بسد المسجون باعتبار مائها مسجونا لامسلك له ليتصل بالوديان المجاورة، لكن الجغرافيين الفرنسيين الأوائل الذين وضعوا الخرائط للمنطقة كتبوا عليها (خطأ) سبخة سد مجنون.

وبتوالي سنوات الجفاف منذ بداية عقد الثمانينيات وتراجع معدل الأمطار إذ سجل بأقرب محطة إليها بمركز سيدي بوعثمان 219 ملم في الفترة 1974 ـ 1994، جفت مياه البحيرة ولاتعاود الظهور شتاء بعد هطول الأمطار إلا

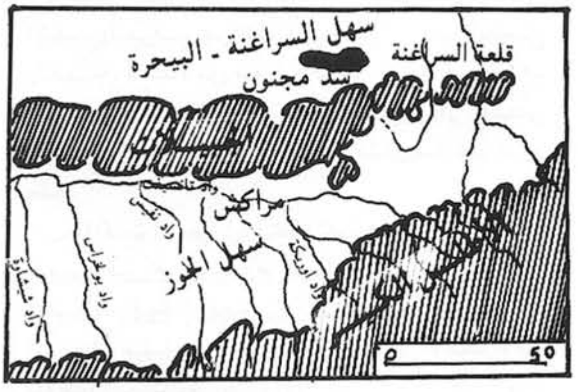

على شكل ضايات منفصلة وأراضٍ موحلة، لكنها تتحول صيفا إلى مرعى جماعي وإن كانت نباتاتها هزيلة ضعيفة القيمة الغذائية أهمها الغسول والحرمل وأعشاب صغيرة، ذلك أن المياه سواء السطحية الموسمية أو الجوفية للآبار المجاورة لها تتميز بملوحتها التي تتراوح ما بين 2 غرام / لتر بالهوامش إلى 5 بوسطها حيث تجمعت المياه وتبخرت تاركة أملاحها طيلة آلاف السنين. ويرجع سبب ملوحتها إلى التبخر السطحي لمياه فرشة باطنية كانت عميقة، بل تعتبر مياه السبخة جزءها العلوي، كما أن بعض المجاري المغذية لها خاصة واد گاينو الذي يتميز بحوض واسع 640 كلم2 يمر على سحنات سطحية ملحية تعود إلى الكريتاسي وأحيانا إلى اللياس والبرموترياس. ويلاحظ أن الملوحة متركزة في الطبقة العليا للمياه الجوفية والتربة حيث يسود طمي حديث ضعيف النفاذية ورصيص وحصى ومواد رملية وقشرات كلسية مستنقعية. أما المياه العميقة التي يتجاوز عمقها 100 متر فإنها عذبة أو ضعيفة الملوحة، توجد في خزانات شبه منفصلة لتكوينات قارية رباعية وبليوفرانشية ترتكز فوق طبقات من الإيو سين. إن ملوحة مياه المستنقعة وتربتها ومياهها الجوفية دفعت الدواوير إلى الاستقرار بعيداً عنها بعدة كيلومترات. ويطرح استغلالها اليوم إشكالا إذ لا تجود الحبوب ولو كانت شعيراً بضفافها ولهذا تحولت منذ القديم إلى أراضي رعي جماعي. وقد أنشأ فلاح مقدام بضفافها ضيعة لزراعة القمح الصلب والرطب باستعمال المياه الجوفية في الرش لكن المردودية جاءت ضعيفة جداً. وتقوم حاليا مصالح البحث الزراعي تحت إشراف المركز الفلاحي لقلعة السراغنة بتجارب علمية لاستنبات نباتات تتحمل الملوحة، فنشروا بها بذور أعشاب

مستوردة وزرعوا عينات من الفصة تتحمل الملوحة كما شرعوا في برامج تشجير بأشجار لكَطف وأنواع من السنط والكينا والكولزا والزيتون البري وفستق مهجن من إيران ونوعيات خاصة من الأوكلبتوس. إن الجفاف المتزايد يتسبب في إفراغ المنطقة مما يدعو إلى إعادة إعداد المجال الفلاحي على أسس إيكولوجية علمية تساهم في حماية البيئة وترشيد استغلال مواردها.

بحث ميداني، ملعومات من *المرشدين الفلاحيين* لسيدي بوعثمان وتقارير علمية حول الدراسات والتجارب العلمية بسهل البحيرة ومستقعتها من المركز الفلاحي لقلعة السراغنة.

أحمد هوزالي

سدراتة أو أيت سَدْرات، قبائل توجد في وقتنا الحاضر في ثلاث مناطق مختلفة في إقليمي ورزازات وزاگورة، وتحديدا في عالية ووسط وادي دادس، وكذا في عالية وادي درعة جنوب مركز أگدز الحالي. وتفيد المعلومات التاريخية القليلة المتناثرة في بعض المصادر أن هذه القبائل نزحت إلى هذه المناطق الجنوبية الشرقية من مناطق أخرى من المغرب الأقصى في فترات معينة. فماذا نعرف عنها ؟

ورد عند ابن أبي زرع في *القرطاس* أن أيت سدرات هم من القبائل الزناتية الأولى التي استقرت بشمال المغرب الأقصى وكانوا من جملة القبائل التي بايعت إدريس الأول سنة 789/172. أما الباحث الفرنسي جورج كوفرور Georges Couvreur فقد أعتبرها من قبائل المخزن الإدريسي معتقداً أن استقرارها بمنطقة دادس تم خلال القرن الخامس (11 م) وذلك بإيعاز من بعض الشرفاء الأدارسة الذين كانوا قد أحكموا سيطرتهم عليها قبل ذلك. وجدير بالذكر هنا تواتر رواية شفوية لدى أيت سدرات إلى اليوم تزعم أن أصلهم من أيت سادن القريبين من فاس عاصمة الأدارسة، وحسب نفس الرواية فإن قدومهم إلى أسيف - نْ - دادس كان بطلب من شريف إدريسي يدعى مولاي بوعمران كان حاكما على المنطقة وقتئذ. ولما توفي دفن في المكان الذي يحمل اسمه إلى اليوم. وظهرت به زاوية لاتزال تحمل اسمه على الضفة اليمنى لوادي دادس قريبا من مركز قلعة مگونة الحالي. وهذه الزاوية يقام بها موسم ديني كل سنة في عاشوراء.

غير أن المادة المصدرية المتوفرة لا تؤكد ما تناقلته هذه الرواية الشفوية وتبين بالتالي أن استقرار أيت سدرات بوادي دادس لم يتم في غضون القرن الخامس الهجري كما ذهب إلى ذلك جورج كوفرور، بل تؤدي بنا إلى الاعتقاد أن استقرارهم به ربما تم في فترة متأخرة عن القرنين الخامس والسادس (11 و12 م) بدليل أن المصادر التي أشارت إليهم خلال نفس الفترة ذكرت وجودهم في أماكن أخرى من المغرب غير منطقة دادس. ففي سنة 1062/454 ورد ذكرهم ضمن قبائل فاس التي قامت في وجه يوسف بن تاشفين أثناء محاصرته لهذه المدينة. وذكر ابن أبي زرع أيضاً أن هذا السلطان المرابطي قاتل أيت سدرات وأهل صفرو سنة 465 / 1072. ويظهر أن أيت سدرات ربما توغلوا داخل الأطلس المتوسط في غضون النصف الأول من القرن السادس (12 م). ذلك أن البيذق تحدث عنهم بعد استيلاء عبد المؤمن بن علي على بلدة أزرو بالأطلس المتوسط. وإثر ذلك تفرق جيشه إلى فريقين : فريق توجه إلى بني كانون وآخر إلى تيظاف "فوجد أيت سدرات، وبني أمرسال وأهل ملوية". أما الشريف الإدريسي فقد سجل أن أيت سدرات أو على الأقل فريقا منهم كان يراقب الطريق الرابط بين تلمسان وسجلماسة.

كما نجده يوطنهم في مكان آخر بين مدينتي مراكش وسلا على الساحل الأطلسي. وفي هذا الصدد يقول : "ومن مدينة مراكش إلى مدينة سلا على ساحل البحر تسع مراحل أولها تونين. وتونين قرية على أول فحص أفيح لا عوج به ولا أمتا، وطول هذا الفحص مرحلتان ويسكنه من قبائل البربر قزولة ولمطة وسدرات".

وورد في *المقصد الشريف* لعبد الحق بن إسماعيل البادسي ما يفيد أن فصيلا من أيت سدرات كان موجوداً في المناطق الشمالية قريبا من فاس. ذكر ذلك في ترجمته للفقيه إسحاق بن مطهر الورياغلي المعروف "في وقته بالأعرج لأنه خرج عليه اللصوص ليلا في مسجد من بلاد سدراتة، حين قراءته فيها".

وقد ظلت جموع من أيت سدرات متمركزة شمالي فاس أثناء ظهور حركة بني مرين في شمال شرق المغرب في بداية القرن السابع (13 م) وكانوا من جملة القبائل التي بايعت الأمير عثمان بن عبد الحق بعد مقتل أبيه الأمير عبد الحق المريني مع ابنه إدريس من طرف قبائل بني رياح العربية سنة 614 / 1217. ولم يكتف أيت سدرات بمبايعة إخوانهم بني مرين بل وقفوا إلى جانبهم وشدوا عضدهم في القضاء على خصومهم الثائرين عليهم. وهكذا اعتمد عليهم الأمير يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني في محاربة الثائر عمر بن عثمان بن يوسف الذي تحصن في قلعة فندلاوة بجبال بني يازغة في بداية ولايته. وفي هذا الشأن يقول ابن أبي زرع : "وأمر الأمير يوسف قبائل بني عسكر ومن في تلك الجهات من قبائل البربر من سدراتة وبني وارثين وبني يازغة وبني سيتان وغيرهم بحصاره وقتله، فحاصروه مدة من شهر ثم خرج أمير المسلمين إليه بنفسه ... [ولما] علم أن لا طاقة له بالحصار ولا مقدرة له على مدافعة أمير المسلمين، فبعث إليه الصلحاء يأخذون له الأمان منه، فأمنه ونزل إليه فبايعه وصرفه إلى تلمسان بجميع أهله وماله".

إن ما يمكن استخلاصه من التحليل السابق، هو أن وادي دادس ربما شهد استقرار أيت سدرات به في غضون القرن السابع (13 م). وهذه الفترة هي فترة عرف فيها المغرب الأقصى انهيار النظام الموحدي وقيام النظام المريني محله. وقد صاحب ذلك تحركات بشرية كبرى همت المجال

المغربي برمته شمالا وجنوبا كان من نتائجها إعادة توطين كثير من القبائل في مواطن غير المواطن التي كانت فيها إلى ذلك الحين. وهذه التحركات الكبرى قامت بها خاصة قبائل زناتة بزعامة بني مرين وقبائل عرب بني معقل. ويبدو أن هذه القبائل كانت متنافسة في السيطرة على المجال المغربي. ففي الوقت الذي بسطت فيه قبائل بني مرين نفوذها على مناطق شمال المغرب، نزحت قبائل بني معقل مضطرة إلى سهل سوس عبر ما سماه محمد القبلي "بالمغرب الخارجي" أي مناطق القبلة أو بلاد الواحات. ولمنع تسرب بني معقل إلى السهول الشمالية الغربية قام بنو مرين بإبعادهم عن مداخلها ورصدوا من أجل ذلك حواجز بشرية دونها "على طول وادي ملوية ما بين بلاد الزيز ووادي صا، وذلك إما بواسطة قبائل مرينية أو زناتية أخرى كمكناسة وبني ونجاسة وبني يرنيان، وإما بواسطة قبائل حليفة ...". ولهذا ليس مستبعداً أن يكون أيت سدرات قد استقدموا إلى دادس من طرف عشيرتهم بني مرين وذلك في إطار هذه السياسة التي كانت ترمي إلى محاصرة بني معقل في مناطق الواحات وسهل سوس التي امتسحوها من قبل. وكونهم سيطروا على دادس الأوسط وكذا عاليته يدل دلالة واضحة على أنهم أحكموا السيطرة عليه لمنع كل تسرب محتمل لهذه القبائل نحو مناطق الشمال عبر ممراته.

ومن جهة أخرى، أدى هذا النزوح الزناتي إلى وادي دادس ممثلاً في قبائل أيت سدرات إلى حدوث نزاعات بينها وبين قبائل صنهاجة القبلة التي كانت تستوطنه من قبل وخاصة منها قبائل إيمْگون التي تم استيطان هذه القبائل النازحة على حساب بعض أراضيها. وقد اشتدت حدة هذه النزاعات بين الجانبين مع مرور الوقت بسبب التنافس على مجالات الرعي وخاصة في جبل صاغرو الذي حاولت السيطرة عليه قبائل أخرى مثل إيمغران وأيت عطا. ونظراً لتضارب مصالح مختلف هذه القبائل فإن ذلك كان مدعاة للتحالف في ما بينها ضد بعضها البعض. فبرز حلفان قويان في مناطق القبلة والأطلس الكبير والأوسط والشرقي هما حلف أيت عطا وحلف أيت يفلمان. فالأول حسب المهدي الناصري في مؤلفه *نعت الغطريس* كان ينتصر له في المعارك أيت مصّادْ ومن تبعهم من قبائل إحنصالنْ وأيت بوگمّاز وإيمگون وبني محمد وأهل الغرفة ومن تبعهم في تافيلالت وأيت يوسي وأيت نضير وأيت إمگليد وإشقيرن بالأطلس المتوسط. أما الثاني فكان يقف إلى جانبه في المعارك أيت سدرات وإيمغران وأيت يسري وزيان وإيگروان.

ويبدو أن أيت سدرات شكلوا قوة سياسية وعسكرية مهمة كان يحسب لها حسابها في هذه المناطق. ويتجلى هذا الأمر بصفة خاصة في استنجاد سكان درعة العليا بهم للوقوف أمام استفزازات وتعسفات قبيلة أولاد يحيى خلال الثلث الأول من القرن الثاني عشر (18 م). وحسب الرواية الشفوية المتداولة فإن الولي الصالح سيدي منديلْ دفين قصر تانسيخت هو الذي توسط في أمر تدخلهم هناك لما كان يحظى به لديهم من احترام وتقدير. وتضيف نفس الرواية أن سكان درعة العليا تعهدوا لأيت سدرات بأن يتخلوا لهم عن نصف الأرض التي سيحررونها من قبضة أولاد يحيى. وقد انتهز أيت سدرات الفرصة وأبعدوا أولاد يحيى عن درعة العليا وفرضوا حمايتهم على المنطقة وأقاموا فيها قصورهم. وهذا التوسع زادهم قوة ونفوذاً في هذه المنطقة كلها. كما يظهر أن أيت سدرات استطاعوا إدماج قبائل جديدة ضمن قبيلتهم الكبرى وهذا ما حدث في فترة يصعب تحديدها ويتعلق الأمر بقبيلة أيت تُوخْسينْ التي يوجد مجالها حاليا في عالية دادس وتحديداً بين المضايق (تيسضْرينْ) وامسمريرْ. وهذه القبيلة انضمت إلى أيت سدرات وقدمت لهم تيغرسي (أي الذبيحة) بعدما غادرت موطنها الأصلي في أيت سيدي علي أوبورك بجبل صاغرو. وإذا كنا نجهل أسباب وظروف مغادرتها هناك فمن المحتمل أن يكون أيت عطا الذين سيطروا على جزء كبير من جبل صاغرو هم الذين كانوا وراء ذلك.

وكما سبق الذكر فقد شكل أيت سدرات قوة بشرية وسياسية مهمة في جنوب شرق المغرب ضمن النسيج القبلي لهذه المنطقة. كما أنهم شكلوا وحدة ثقافية متميزة سواء بلهجتهم أو بتراثهم الثقافي المتراكم المتمثل في التقاليد والأعراف المرتبطة بالحياة الخاصة والعامة. فرصيدهم في الغناء الأمازيغي بمختلف ألوانه (تمديازتْ، وتمنضين أو تيماويين، وأحيدوس بشقيه : إزلي وتكوري) يعتبر غنياً وأصيلاً لبراعتهم فيه أداءً ولغة. وقد اشتهر لديهم شعراء كثيرون أمثال أوردّو وأوفارق وحدو أوكمانْ وآخرون.

ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، بور سعيد، الظاهر، د. ت. المجلد الأول ؛ البيدق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ *المقتبس من كتاب الأنساب*، الرباط، 1971 ؛ ي. التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1404 / 1984 ؛ ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، تح. سعيد أعراب، الرباط، 1402 / 1982 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. م. حجي وأخرين، الرباط، 1408 - 1409 / 1988 - 1989، ج. 2 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار*، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ المهدي الناصري، *نعت الغطريس الغسيس هيان بن بيان المنتمي إلى السوس*، مخطوط ؛ م. القبلي، حول *التحركات البشرية بمجال المغرب الأقصى فيما بين منتصف القرن الثاني عشر ونهاية القرن الثالث عشر للميلاد*، *مجلة كلية الآداب*، الرباط، عدد مزدوج، 21 - 22، 1997 - 1997، ص. 74 - 75 ؛ م. حمام، جوانب من تاريخ وادي دادس وحضارته، الرباط، 2001.

G. Couvreur, *La vie pastorale dans le Haut-Atlas Central*, *R.G.M.*, n° 13, 1968 ; Charles de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* (1883-1884), Paris, 1985 ; D. Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien, des origines à 1670*, Paris, 1982, 2 vol. ; J. Mazel, *Enigmes du Maroc*, Paris, 1971 ; L. Mezzine, *Le Tafilalt, contribution à l'histoire du Maroc au XVII° et XVIII° siècles*, Rabat, 1987 ; G. Spillman, *Districts et tribus de la haute vallée du Dra*, Paris, 1931 ; H. Zafrani, *Mille an de vie juive au Maroc*, Paris, 1983.

محمد حمام

السدراتي، أسرة سلوية عريقة، اشتهر منهم أشخاص احتلو مكانة مرموقة في القضاء والأمانة، كما اشتغلوا بالحرف والتجارة والفلاحة، منهم أحمد بن الحاج محمد السدراتي من فقهاء سلا توفي سنة 1282 / 1865 وأبو بكر السدراتي من شعراء الملحون له قصائد في موضوعات متنوعة. توفي سنة 1135 / 1722، وعبد الحق السدراتي كبير رجال المدفعية بسلا توفي بعد سنة 1292 / 1875، والحاج عبد الله بن عبد السلام السدراتي الرئيس البحري والأمين بمرسى العدوتين توفي قبل سنة 1244 / 1828.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 2، ص. 172 : *معلمة المغرب*، ج. 5، ص. 1539 : ع. الرحمن المودن، *البوادي المغربية*، ص. 64 . 81 . 171 : *التنظيم الجماعي والإداري*، 1992.

Villes et tribus du Maroc. Rabat. Tome III, p. 150.

السدراتي، أحمد بن المكي (الحاج –) فقيه سلاوي أخذ عن علماء بلده وعلماء فاس وولي القضاء بمسقط رأسه سنة 1203 وأعفي منه، ثم أعيد إليه سنة 1226 وأخر عنه ثانية وولي القضاء مرة ثالثة سنة 1247 حتى توفي سنة 1253 ودفن قرب ضريح الشيخ الحراثي إزاء مقبرة الشيخ الحاج أحمد بن عاشر.

له تقاييد تاريخية، وهو من شراح *الموطأ* في نحو 850 صفحة وعنوانه *تقريب المسالك لموطإ الإمام مالك* يوجد بالخزانة الصبيحية السفر الأول من أسفاره الأربعة تحت رقم 136.

ومن مآثره أنه حبس آباراً للشرب بين عين إسمير (الولجة) والخندق بسلا.

م. بن علي، *الإتحاف الوجيز*، 49 . 87. ط 2 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، 259 . 260، ط 2 : التعريف، 2 : 57 . 149 . 164. 241 . 249 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 21 و171 و 9 : 46 : *تاريخ الضعيف*، 366 و368 ؛ أ. ابن القاضي، درة *الحجال*، 2 : 249 ؛ جعفر الناصري، *سلا ورباط الفتح*، 5 : 963 (مرقون بالخزانة الصبيحية) ؛ م. بن الطيب العلوي، *العلامة محمد السدراتي*، دعوة الحق، ماي 1978، ص. 98 ؛ وثائق بنسعيد ؛ وثائق خ. ص ؛ *رواية شفوية للحاج محمد بنسعيد شيخ الملحون.*

مصطفى بوشعراء

السدراتي، أبو ثابت عامر بن فتح الله، من أيت سدرات إحدى قبائل الأطلس المتوسط. وأسرة السدراتيين معروفة كأسرة مخزنية خدمت ملوك بني مرين منذ قيام دولتهم، وكان من أشهر أفرادها أبو سالم فتح الله السدراتي والد المترجم ووزير السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (656 / 1258 . 685 / 1286). أما عامر فقد استطاع، بفضل رصيد أسرته السياسي وتربيته المخزنية وما تمتعت به شخصيته من سماحة وكرم وجود ودهاء، استقطاب اهتمام السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب (710 / 1310 . 731 / 1331) إليه وخلق موقعا متميزاً له بين حاشيته حتى أدرك المناصب العليا والثقة الكبرى في إسناد خطة الوزارة إليه. وعندما استعاد أبو سعيد نفوذه على مدينة سبتة بعد ثورة بني العزفي بها سنة 728 / 1328 استعمل كبار رجالاته وخواص مجلسه في أعمالها ومن بينهم وزيره عامر الذي عقد له على حاميتها.

وفي عهد السلطان أبي الحسن (731 / 1331 . 752 / 1351) ظل عامر أحد أبرز وزرائه والأقرب إلى قلبه حتى إنه كان لا يعقد مجالسه السياسية والعلمية إلا بحضوره، كما أنه كان يخصه بمهام خطيرة وأمور ثقيلة دون غيره لثقته به، ومن ذلك أن ولاه إلى جانب الوزارة النظر في أمور العمال ومعرفة أخبار النواحي والأقطار البعيدة. وقد استمر السدراتي على اتصاله الوثيق بالسلطان أبي الحسن المريني والتفاني في خدمته إلى أن استشهد في وقعة طريف عام 741 / 1340.

مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، الرباط، 1972، ص. 87 . 160 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973، ص. 298 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 174 . 177 . 248 . 249 . 253 . 361 . 362 ؛ ابن الأحمر، روضة النسرين، الرباط، 1962، ص. 18 . 24 . 26 ؛ *النفحة النسرينية واللمحة المرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 37 . 48 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 515 . 636 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 461؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ج. 3، ص. 44 . 115 . 177 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج. 8، ص. 11 . 12.

A. Khaneboubi, *Les premiers sultans mérinides. Histoire politique et sociale*. Paris, 1987.

رشيد السلامي

السدراتي، عبد الله بن عبد السلام السلوي، من رياس الأسطول المغربي خلال عهد سيدي محمد بن عبد الله، ومن أبرز قواده السلاويين العاملين تحت الإشراف المباشر لقائد الأسطول عبد الله العسري. وقد ورد ذكره في لائحة الرياس الذين أنعم عليهم السلطان بهبته الملكية في سنة 1198 / 1784.

عبد الهادي العسري، *كناش في أمور البحر*، خ. ع. مخطوط رقم 1907 د، ص. 34.

حسن أميلي

السدراتي، محمد (الحاج –) بن أحمد بن الحاج المكي فقيه مدرس أخذ عن علماء سلا وفاس، وكان سنة 1282 / 1865 كاتباً لسفارة الشرگي وبنسعيد إلى فرنسا. ولي القضاء بسلا سنة 1316، وبأسفي سنة 1319. كان إماماً وواعظاً وخطيباً بالمسجد الأعظم بسلا، وتوفي في ذي القعدة عام 1330 / أكتوبر ـ نونبر1912.

مصطفى بوشعراء

السِّدْرة، سبق لنا أن عالجنا هذه المادة تحت مدخل أزگارْ الاسم الأمازيغي الشائع لنبات السدرة أو النَّبق أو العُنَّاب أو الضال الذي ينتمي إلى جنس زيزيفوس Zizyphus وفصيلة السدريات أو النبقيات Rhamnaceae.

وهو جنس زيزيفُوسْ يضم نوعين طبيعيين من السدرة بالمغرب، ونوعين دخيلين على الأقل من العناب أو الزَّفيزَف أو الزفزُوف :

- النوع السائد من السدرة في المغرب هو زيزيفُوسْ لُوتُسْ Zizyphus lotus : إضافة إلى الاستعمالات التي أشرنا إليها تحت مادة أزگار، بعد التفاصيل المتعلقة بالصفات النباتية والتوزيع البيوجغرافي نود أن نشير إلى أن النبق يعتبر مقوّياً ومضاداً للحمى والديدان التي تعيش في الأمعاء، ولمرض الجذري والحصبة. بينما تستعمل الأوراق في صيانة الشعر وضد الإسهال ومرض الجهاز البولي. وفي بعض الحالات يستعمل رماد السدرة مخلُوطاً مع الخل لمعالجة لدغات الثعابين

أما من حيث التغذية فإن طحين الثمر من الممكن أن يعطي خبزاً جد محبب عند الرحل الذين يعتبرون كذلك النبق المجفف مادة رئيسية في تكوين زادهم في تنقلاتهم الكبرى.

ينتج النحل الذي يرعى في أزهار السدرة عسلا رفيعا وثمينا.

- النوع الطبيعي الآخر هو زيزيفُوسْ موريسيانا Zizyphus mauritiana الذي لا يصادف بالمغرب إلا في السافانات الصحراوية في منطقة وادي الذهب. يتميز هذا النوع عن النوع الأول بأوراقه المكسوة بوبر كثيف على وجهها السفلي، وبسيقانه الفتية المزغبة، وبصغر حجم ثماره.

لا تختلف استعمالات هذا النوع عن تلك التي ذكرت بالنسبة للنوع الأول.

- النوعان الدخيلان من العناب هما زيزيفُوسْ فُولْگاريسْ Zizyphus vulgaris وزيزيفُوسْ سْبيناكْريسْتي Zizyphus spina-christi. إن أصلهما من آسيا بالنسبة للنوع الأول ومن إفريقيا السودانية والساحلية. وقد غرسا كنوعين شجريين مثمرين لأن ثمارهما أكبر حجما من النبق العادي. وقد انتشرت زراعتهما كما هو الشأن بالنسبة لأنواع أخرى تغرس لثمارها في كل أرجاء بلدان المناطق الحارة وشبه الحارة، لكن في الأراضي المروية. وهكذا نجدهما يغرسان، وخاصة النوع الأول، في حدائق فاس ووجدة ومكناس ومراكش وفي جل الواحات.

ثمار العُنَّاب لحمية وذات لب أبيض ولذيذة المذاق، تؤكل طازجة أو مجففة، وتستعمل لعدة أغراض في التطبيب التقليدي.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

السَّدود بالمغرب، ظلت تمثل على الدّوام إحدى المقومات الحيوية والثابتة التي يتأسس عليها الاقتصاد الحضري والريفي وباقي القطاعات الاجتماعية على حدّ سواء. وإلى الآن ما زالت البادية المغربية تحفل بعدد هائل من منشآت خزن ونقل الماء قد شيّدت منذ أقدم العصور، من حواجز لتحويل المجاري المائية ونشر مياه الفيضانات وغُدران وخطارات وناعورات وشادوفات و "نطفيات"... لكن السدود القارة والمرتكزة على قواعد تكنولوجية عصرية لم تبرز للوجود إلا مع نهاية العشرينيات من القرن العشرين.

إن افتقار المغرب من جهة إلى مصادر الطاقة، وتوفره من جهة أخرى عل شبكة مائية مستقلة وكثيفة نسبيا في المناطق الشمالية وعلى تضاريس متباينة تسمح في العديد من النقط بتخزين المياه قد دفعا سلطات الحماية في أول الأمر إلى استغلال الموارد المائية لأغراض الشرب والإنارة وتزويد خطوط السكك الحديدية بالطاقة الكهربائية وتشغيل الصناعة العصرية الناشئة. أما قطاع الري فظل مهمشاً ولم يتستأثر بالاهتمام إلا في مطلع الأربعينيات،

وسواء تعلق الأمر بالسدود المشرفة على القطاعات المسقية أو التي تزود المدن، فإن إدارة الحماية لم تعمل على إنشائها وتوطينها إلا بالقدر المحدود الذي يخدم مصالح المعمرين قبل كل شيء. فكانت الحصيلة مع بداية الاستقلال متواضعة : 12 سداً كبيراً وحقينة إجمالية لا تتعدى 1.75 مليار م3 ومساحة مسقية تبلغ 56.000 هـ ورقعة قابلة للري لا تتجاوز 150 000 هـ وإنتاج مائي يتراوح بين 770 و850 كو / س.

تعتبر العشر سنوات الأولى من الاستقلال فترة انتقالية

ومناسبة إعادة هيكلة التركة الاستعمارية وتحديد السياسة المائية وتحضير القوانين (قانون الاستثمار الفلاحي) واسترجاع أراضي الاستعمار الرسمي (1963) والقيام بدراسات حول الري بالقطاعات الصغيرة والمتوسطة. خلالها سيفضّل المغرب الانكباب على تجهيز الأراضي القابلة للري وسيكتفي باستهلاك الإرث الاستعماري وبناء ثلاثة سدود فقط ذات مخزون ضعيف لتسديد نفقات الواردات وجلب العملة الصعبة لتحقيق التوازنات والزيادة في الإنتاج الغذائي والحد من النزوح نحو المدن. وتجدر الإشارة إلى أن المكتب الوطني للري، كان يهتمّ بجميع مراحل الري ويتوفر على صلاحيات واسعة، حيث قام بدراسة مشروع سبو كأول خطة فلاحية ـ مائية مندمجة واتخذ دائرة تادلة كمختبر لبرامجه، لم يعمّر طويلاً (1961 ـ 1965) بسبب نهجه سياسة إصلاحية عاجلة حسب اعتقاد السلطات العمومية.

أما المرحلة الثالثة (1967 ـ 1980) فعرفت أوجاً لتكثيف بناء السدود والتجهيزات المائية. ذلك أنه تم بناء 12 سداً كبيراً بمخزون إجمالي يفوق كل ما تم تجميعه في السدود 12 التي شيدت في العهد الاستعماري أربع مرات تقريباً. ولم يتسنّ ذلك دون رصد نصيب ضخم من ميزانية الدولة بشأن التهيئة المائية وإقامة السدود. فبلغت ذروة 26٪ في مخطط 1968 ـ 1972 لتتراجع في مخطط 1973 ـ 1977 (13٪).

لقد تم إنشاء المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي سنة 1966 لجعلها مؤسسات عمومية ذات شخصية معنوية واستقلال مالي، وذلك لتكليفها بالإشراف اللامركزي على تجهيز وتدبير القطاع الفلاحي في الدوائر المسقية الكبرى التسع. وفي السنة الموالية تم إنشاء مديرية المياه لتشرف على التحكم في الموارد المائية واستغلالها ودراسة وبناء السدود، كما تم الإعلان في خطاب العرش عن سياسة ري مليون هكتار في أفق سنة 2000. وهي سياسة اكتست أبعاداً رمزية في الأول قبل أن تتضمن حقائق تاريخية فيما بعد. فضلاً عن ذلك تم صدور قانون الاستثمار الفلاحي عام 1969 صحبة مجموعة من قوانين الماء، ثم استرجعت كل أراضي الاستعمار الخاص سنة 1973 لتنضاف إلى الأراضي المسترجعة من الملك الاستعماري الرسمي سنة 1963. بهذا الرصيد العقاري ستتمكن الدولة من نهج سياسة تقنقراطية في بداية المرحلة تستهدف الإنتاجية والمردودية (اعتماداً على الري بالخصوص) قبل أن تتخذ سياسة لرأسمالية الدولة عبر الشركات العمومية وفي إطار الجهوية المستحدثة ابتداء من 1971.

غير أن مخطط 1978 ـ 1985 صادف حلول أزمة غذائية دفعت إلى ردّ الاعتبار إلى القطاع البوري بهدف الاكتفاء الذاتي الغذائي وإعادة التوازن بينه وبين القطاع المسقي.

المرحلة الرابعة الممتدة في 1981 و1992 تميزت بمواصلة التجهيزات وبناء السدود الكبيرة (10) ولكنها اتسمت على الخصوص بتدشين عهد جديد في هذا الميدان، وهو عهد السدود الصغيرة (54) والمتوسطة (1). وللمحافظة على التقدم المسجل في هذا المجال تمت خلال هذه العشرية مراجعة قانون الاستثمارات الفلاحية ومباشرة البرامج الفلاحية القطاعية والمشاريع المندمجة بإشراك القطاع الخاصّ. وبالمقابل كان يتعين على البلاد أن تواجه ضغوط ومخلفات العمل بسياسة التقويم الهيكلي وأن تراجع نسبة الميزانية الاستثنائية التي كانت تحول لقطاع الماء والسدود وأن تعيدها لمستوى قريب من 5٪ من ميزانية الدولة. كما اضطرت أن تقاوم آثار أطول مرحلة جافة في التاريخ المائي المغربي المعاصر.

لقد ترسّخت سياسة السدود منذ انطلاق سلسلة الأعوام الجافة والمتعاقبة بداية من 1981، وهي السنة التي تأسس فيها المجلس الأعلى للماء والمناخ. فأوصى بدفعة قوية تقضي بتشييد سدّ كبير خلال كل سنة ابتداءً من 1987 لاستنفاد المساحة المسقية الموعودة، وكذا لبناء 500 سد صغير في الأفق البعيد للتخفيف من الاختلال القائم بين القطاعات المسقية العصرية الكبرى والتقليدية الصغرى، وذلك بهدف ترقية الوسط الريفي وتثبيت سكانه وتحسين دخلهم ومحاربة البطالة والعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي وأيضاً تطوير تكنولوجيا وطنية حديثة في ميدان السدود وهندسة المياه والبناء بمواد مستخرجة عموماً في عين المكان أو مصنوعة محلياً. هكذا، وبعد أولى الدراسات التي ترجع إلى 1973 والتي تم التخلي عن تطبيقها على أرض الواقع لمدة عقد كامل، تقرر الشروع في تشييد السدود الصغرى والمتوسطة ابتداءً من 1984 بتعاون بين وزارات الفلاحة والداخلية والتجهيز، على أن تتكلف هذه الأخيرة بالدراسات التصورية والتأطير والإمداد بالآلات الضرورية للبناء. وبعد إحصاء 352 موقع محتمل آنذاك وقع الاختيار على 210 موقع لدراستها.

وأخيراً تميزت الحقبة الحالية (انطلاقاً من 1993). بانتهاء "العصر الذهبي" للسدود الصغرى (3 فقط) ولكن ببروز واضح للسدود المتوسطة (8) والاحتفاظ بوتيرة بناء السدود الكبيرة (11). كما شهدت هذه المرحلة وضع مشاريع ودراسات، بل وحتى الشروع في تشييد 23 سداً كبيراً و31 سداً متوسطاً و136 سداً صغيراً. وهو ما يعادل على التوالي، مقارنة بالرصيد الموجود إلى حدّ الآن النصف و3,5 مرات ومرتين ونصف. في هذه الفترة أيضاً تم إنشاء سد الوحدة الذي يعد أكبر سد في إفريقيا بعد السد العالي المصري، وتم في 1995 تحديث النظام القانوني للماء الذي

أسس بموجبه لإحداث الأحواض النهرية ومكن إبرام شراكات بين الإدارات والجماعات المحلية في ميدان الاستغلال وسمح للقطاع الخاص بتدبير القطاع المائي والاستثمار فيه. وقد تبلورت إنجازات هذه الحقبة في ظرفية حافلة بالإكراهات التي ترجع بالأساس إلى تجذر وتوالي سنوات الجفاف، وكذا استفحال المستلزمات التنموية المتقلصة بفعل السياسة السابقة للتقويم الهيكلي ومختلف المتطلبات الاجتماعية المتراكمة (شغل، تعليم، صحة، سكن ...)، وأيضاً تزايد المنافسة الأوربية لصادراتنا وإغلاق الأبواب دونها عقب تحقيق وحدتها.

الآن وبعد مرور أكثر من 70 سنة على التجربة المائية يمكن الإقرار بدون مغالاة واستناداً على الحصيلة الكمية الإيجابية، بأن المغرب يتفرد باكتفائه المائي الذاتي لمدة قد تطول أو تقصر وبتوقعه وتجنبه الأزمات المائية التي تتخبط فيها الكثير من دول جنوب البحر المتوسط. فهو حالياً يتوفر على 112 سدّ منها 48 كبيرة و9 متوسطة و55 صغيرة، وعلى مخزون يعادل 16،3 مليار م3 من مجموع الكمية القابلة للتعبئة (22.5 مليار م3)، كما تمكن من تحقيق منجزات استثنائية في هذا الميدان، حيث يعتبر سد الوحدة ثاني أكبر سد إفريقيّاً والحسن الأول أكبر سد إفريقي مبني بالتراب والمركب المائي لسد علال الفاسي - مطماطا فريداً من نوعه. وذلك علاوة على الأنظمة الكبرى لتحويل المياه بين المناطق (من سبو إلى الجنوب ونحو ملوية، ومن اللكوس نحو الجنوب ومن المجاري المتوسطة نحو ملوية السفلي) والتكثيف من بناء السدود الصغيرة والمتوسطة.

غير أن الاستعمالات القطاعية لمخزون المياه مازالت تمنح الامتياز المطلق للقطاع الفلاحي على حساب الماء الصالح للشرب والمستغل في تشغيل الصناعات، إذ كانت الفلاحة المسقية تستأثر بحوالي 95٪ من مجموع الذخيرة المائية قبل أن تتحول النسبة إلى 91،5٪ ابتداءً من 1990 و83٪ انطلاقاً من سنة 2000.

توفر التساقطات المطرية والثلجية في المغرب 150 مليار م3 سنوياً، مع تباينات سنوية في حجم الموارد تخلف دورياً تذبذبات قد تصل تارة إلى أقل من ثلث ذلك المعدل وتارة أخرى أكثر منه بمرتين ونصف. أما "التساقطات النافعة" غير المبخرة التي تصرف بالمجاري والفرشات المائية فلا تتعدى 30 مليار م3، والكمية القابلة للتعبئة السطحية تناهز 22.5 مليار م3 (مقابل 7.5 مليار م3 من المياه الجوفية). الآن يتم استغلال حوالي 70٪ من الاحتياطي القابل للتخزين، والملفت للنظر أن الفلاحة المسقية هي أكبر مستهلك للماء، حيث لا تترك للقطاعات الأخرى سوى 17٪ مقتسمة بين الماء الصالح للشرب والماء المستعمل في الصناعات، وذلك في أحسن الأحوال.

بالنظر إلى الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية المتكاملة أحياناً والمتعارضة أحياناً أخرى، والتي يكتسي بعضها صبغة استراتيجية والبعض الآخر طابعاً اضطرارياً واستدراكياً، هناك صراع ملموس حول الماء بين شتى القطاعات. إذ بصرف النظر عن أهمية القطاع السياحي الذي يعوّل عليه أكثر فأكثر في الأمد القريب والمتوسط، وعلاوة على ضغوطات النمو الديمغرافي والتمدين، مازال قطاع الري يمثل إحدى أهم الأولويات التي تعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي وتوفير العملة الصعبة والشغل والتقليل من الهجرة إلى المدن وتقليص الفوارق بين الدوائر المسقية الكبرى والصغرى... والتي تبرز بإصرار الحاجة إلى ترقية نمط العيش بالاستهلاك وكذا تحسين أوضاع وظروف عيش الوسط الريفي الذي انتقلت فيه نسبة الأسر المنخرطة في شبكة توزيع الماء الصالح للشرب من 14٪ سنة 1990 إلى 53٪ سنة 2002.

كل هذه العوامل تبرز مدى إلحاح الطلب على الماء والمنافسة على استعماله، والذي من شأنه حث الدولة على البحث عن طرق أنجع لتدبيره وكذا بذل المزيد من الجهود الاستثمارية لمواكبة العرض للطلب.

فضلاً عن ذلك يعرف قطاع السدود عجزاً وتدهوراً في الموارد السطحية يرجع بالأساس إلى توحل الحقينات وتلوث الماء وتقلبات المناخ التي تسفر عن تباينات بين الفصول والسنوات والمناطق التي يستقبل بعضها 2000 ملم سنوياً (أعالي الريف والأطلس) وبعضها أقل من 100 ملم (الجنوب والجنوب الشرقي). ويجدر التأكيد على أن المغرب يعيش سنوات متوالية من الجفاف منذ 1981 (باستثناء 1989 و1994 و1996 و1997)، إلى درجة اعتماد تقنين توزيع الماء أحياناً في بعض المدن والإخلال بتطبيق المخططات الاجتماعية والإنتاجية والسياحية والسقوية. وقد أدى نقص الماء المهول في صيف 1995 إلى تنظيم رحلات مكوكية لأربعة سفن لنقل 30 000 طن لكل واحدة منها من الجرف الأصفر إلى طنجة.

وقد نجم عن ذلك مباشرة استمرار تراجع مخزونات السدود التي وصل بعضها إلى درجة الإفراغ التام (ابن بطوطة، الحاشف، الدخيلة...). مما انعكس سلباً على الوضعية الاقتصادية بالمغرب ودفع سكان الأرياف إلى استغلال المياه الجوفية التي لا تفي بالحاجيات. وللتخفيف من وطأة الأزمة تم فتح حساب بنكي عمومي (رقم 111) مخصص لتبرعات المتضامنين سنة 1995.

وبلغت نسبة ملء الخزانات في منتصف شهر فبراير 2002 حوالي 46٪ أي أقل من مثيلتها في سنة 2001 (52٪)، من بينها تسعة سدود كبيرة بلغت نسبة أقل من 20٪ و12 سداً كبيراً فاقت نسبتها 80٪.

كما تعتبر ظاهرة التوحل الوجه السيء للتساقطات التي تعرف نظاماً تتناوب فيه الفترات الجافة والفترات المطيرة العنيفة التي تجرف بعمق التكوينات السطحية

السدود الكبرى (إلى سنة 2002)

(الوظائف : إ ـ مقاومة الإطماء. ت ـ إعادة تزويد الفرشة المائية. ر ـ ري. ش ـ شرب. ص ـ صناعة.
ف ـ الوقاية من الفيضانات. ك ـ كهرباء. م ـ توريد الماشية)

السدود	المجاري المائية	سنة الشروع في العمل أو التجميع	الأحواض النهرية	طاقة التخزين (مليون م3)	الوظائف	المساحة القابلة للري	أقرب مدينة
س. سعيد معاشو	أم الربيع	1929	أم الربيع	2.00	ش ـ ص ـ ك	-	أزمور
المالح	الملاّح	1931	الرباط البيضاء	8.20	ر ـ ش	400	البيضاء
قصبة تادلة	أم الربيع	1931	أم الربيع	0.10	ر ـ ك	27970	ق. ـ تادلة
علي التهيلات	لاو	1935	الشمال الغربي	30.00	ر ـ ف ـ ك	1816	شفشاون
الكنصرة	بهت	1935 (1969)	سبو	273.00	ر ـ ش ـ ص، ك	28750	س. سليمان
للاّ تاكركوست	نفيس	1935 (1980)	تانسيفت	68.80	ر ـ ش	9800	مراكش
إمفوت	أم الربيع	1944	أم الربيع	18.20	ر ـ ش ـ ص ـ ك	50000	سطات
زمران	زمران	1950	أم الربيع	0.60	ر.	60	خريبكة
الدورات	أم الربيع	1950	أم الربيع	9.50	ك.	-	سطات
بين الويدان	العبيد	1953	أم الربيع	1300.30	ش ـ ك	105120	أزيلال
أيت أوعرضة	العبيد	1954	أم الربيع	4.00	ر ـ ك	.	أزيلال
تاغدوت	عمارة	1956	جنوب الأطلس	3.00	ر.	200	تازناخت
النخلة	النخلة	1961	الشمال الغربي	5.70	ر. ش ـ ص	700	تطوان
أسفي	سحيم	1965	الجديدة ـ آسفي	2.00	ش . ص	.	أسفي
محمد الخامس	ملوية	1967	ملوية	410.90	ر. ش. ص. ف. ك	65 400	تاوريرت
أجراس	أجراس	1969	الشمال الغربي	3.00	ر.	700	تطوان
مولاي يوسف	تاساوت	1969	أم الربيع	190.00	ر. ك	31 520	دمنات
الحسن الداخل	زيز	1971	جنوب الأطلس	346.80	ر. ف	2750	الرشيدية
المنصور الذهبي	درعة	1972	سوس ماسّة	528.90	ر. ف ـ ك	25000	ورزازات
يوسف بن تاشفين	ماسّة	1972	سوس ماسّة	303.80	ر. ش	18260	تزنيت
إدريس الأول	إناون	1973	سبو	1207.00	ر. ف ـ ك	72 300	فاس
س. م. ب. عبد الله	بورقراق	1974	أبورقراق	486.00	ش. ص	.	الرباط
ابن بطوطة	مهرهر	1977	الشمال الغربي	39.00	ش. ص	.	طنجة
واد المخازن	اللوكوس	1979	الشمال الغربي	772.70	ر . ش. ص. ف. ك	39 050	القصر الكبير
تيمي نوتين	تاساوت	1980	أم الربيع	5.30	ش.	.	دمنات
عبد المومن	إيسّن	1981	سوس ماسة	214.60	ر. ش. ص. ف	13 000	أكادير
م. ب.ع.ك الخطابي	نكور	1981	الساحل المتوسطي	33.50	ر. ش. ص	5 720	الحسيمة
وقاية اللوكوس	اللوكوس	1981	الشمال الغربي	4.00	ر.	.	العرائش
سيدي إدريس	لخضر	1983	أم الربيع	3.70	ر. ف	.	قلعة السراغنة
الدّخيلة	إيسّن	1986	سوس ماسة	0.70	موازنة	.	آكادير
الحسن الأول	لخضر	1986	أم الربيع	262.60	ر. ش. ص. ك	43 400	أزيلال
علال الفاسي	سبو	1990	سبو	81.50	ر. ش. ص. ك	24 600	صفرو
أولوز	سوس	1991	سوس ماسة	108.20	ت. ش. ص.	.	أولوز
سمير	سمير	1991	الشمال الغربي	43.00	ش. ص.	.	تطوان
وقاية سبو	سبو	1991	سبو	40.10	ر.	11500	القنيطرة
9 أبريل 1947	الحاشف	1995	الشمال الغربي	300.90	ش. ص.	.	طنجة
الوحدة	ورغة	1996	سبو	3800.00	إ. ر. ش. ص. ف. ك	100 000	وزان
سيدي شاهد	ميكس	1997	سبو	170.00	ش. ص.	.	فاس
الحسن الثاني	زا	1998	ملوية	275.00	ر. ش. ص. ف	2000	تاوريرت
أحمد الحنصالي	أم الربيع	2001	أم الربيع	740.00	ر. ش. ص. ك	36 880	زاوية الشيخ
أسفالو	أسفالو	2001	سبو	317.00	ر. ك	8300	فاس
مشرع الحجر	سبو	2001	سبو	18.00	ر.	74 000	فاس
الطواهر	إناون	2001	سبو	40.00	ر. ش	3350	تازة
أيت مسعود	أم الربيع	2002	أم الربيع	13.00	ك.	.	قصبة تادلة
مداز	سبو	2002	سبو	597.00	ر. ش. ص. ك	16 000	صفرو
عين تيمدرين	سبو	2002	سبو	3.00	ك.	.	صفرو

السدود المتوسطة (إلى سنة 2002)

جمعة	جمعة	1992	الشمال الغربي	6.50	ش.	-	تارگيست
إمي الخنگ	برحيل	1993	سوس ماسة	11.00	ت. ر.ف	-	أولاد برحيل
ساهلة	ساهلة	1994	سبو	62.00	ت. ر.ش	5000	تاونات
الساقية الحمراء	الساقية الحمراء	1994	الصحراء	110.00	ت. ف	-	العيون
أكاي	آگاي	1994	سبو	1.25	ف	-	صفرو
أنجيل	تاغوشت	1995	سبو	12.70	ر. ش	-	بولمان
بوهودا	حوض ورغة	1999	سبو	56.00	ت.	-	تاهلا
باب الوطا	حوض ورغة	1999	سبو	37.00	ش.	-	تارودانت
شاكوكان	حوض سوس	2000	سوس ماسة	50.00	ر.	-	تارودانت

السدود الصغرى (إلى سنة 1998)

عالية القواسم	الشگگة	1984	أم الربيع	0.30	ر.	-	أولاد عبّو
سيدي الضاوي	أم الربيع	1984	أم الربيع	5.50	ر. ش. ص	1000	أزمور
أيت المرابطية	ختازة	1985	بورقراق	0.20	ر.	-	ألماس
عريض	عريض	1985	بورقراق	0.70	ش.	-	الرماني
إمي الأربعاء	تيغزنيت	1985	تانسيفت	0.78	ر.	80	أيت ورير
سافلة القواسم	الشگگة	1985	أم الربيع	3.00	ر.	-	أولاد عبّو
مسخخة	مسخخة	1985	ملوية	3.00	م.	-	عين بني مطهر
نزالة العزري	بومرهان	1985	تانسيفت	0.50	ر.	100	س. بوعثمان
الصفا	الصفا	1985	سوس ماسة	0.70	ف.	-	أيت باها
سيدي علي	سيدي علي	1985	ملوية	1.00	م.	-	بني مطهر
تاگنزا	تاگنزا	1986	سوس ماسة	0.35	ر.	60	أگادير
سيدي المباري	تاغزريت	1986	أم الربيع	1.10	ر.	300	ق. تادلة
بوكردان	بوكردان	1986	ملوية	0.44	ر.	50	مبسور
أكروز	أكروز	1986	جنوب الأطلس	0.65	ر.	30	گلميمة
أشبارو	گايز	1986	جنوب الأطلس	1.00	ر.	50	أرفود
بوتاعريشت	بوتاعريشت	1986	جنوب الأطلس	0.70	ر.	30	الريش
حمّو أورزاك	حمّو أورزاك	1986	جنوب الأطلس	1.60	ش. م.	-	بوعرفة
سافلة تيزگيت	تيزگيت	1986	سبو	0.12	ف.	-	إفران
بني سمير	واد زم	1986	أم الربيع	0.94	ت.	-	واد زم
أگافاي	عريسة	1986	تانسيفت	0.52	ر. م.	-	گنتاوت
ثلاث بوبكر	إرهان	1986	ملوية	3.00	ر.	250	عين زورة
أقا نوسيكيس	أوسيكيس	1986	ملوية	1.00	ر. م.	70	بولمان
غزالة	رمان	1986	الرباط البيضاء	0.07	ر. م.	-	بوزنيقة
بوموسى	سطات	1986	الرباط البيضاء	0.015	استجمام	-	سطات
خنگ الهدا	مسيد	1986	ملوية	3.80	م.	-	دبدو
الرويضات	الرويضات	1987	الرباط البيضاء	2.92	ر. م.	600	سيدي يحيى
عزيب الدويراني	شعبة الابيض	1987	تانسيفت	0.60	ر. ف. م.	-	شيشاوة
بطمة الرّما	عين حمّو	1987	ملوية	0.76	ر. م.	-	تاوريرت
أمان سايرنين	الدفالي	1987	سبو	0.35	ر. ف.	-	الحاجب
إمي الخدّ	زدّير	1987	تانسيفت	0.40	ر.	50	سبمر
عين تاورطوت	بانگران	1987	أم الربيع	0.85	ر. م.	200	أگلمرس
مويلح	مويلح	1987	أم الربيع	0.46	ر. ف.	60	بجعد
مزامزا	بالآبار	1987	الرباط البيضاء	0.066	ر. استجمام.	-	سطات
عين كرمة	عكراش	1987	الرباط البيضاء	1.31	ر. م.	-	عين العودة
عين عودة	سهب عرگوب الكلخة	1988	الرباط البيضاء	0.12	م.	-	عين العودة
طويلتس	طويلتس	1989	أم الربيع	1.00	ر. م.	85	واد زم
إتزر	تيفيتشوت	1989	أم الربيع	0.66	ر.	55	إتزر
بوخالف 3.2.1	مصابر - ماگابور سوناريت	1989	الشمال الغربي	0.028-1.10 0.002	ر.	300	طنجة
عريشة	عريشة	1990	أم الربيع	1.80	ر.	300	بنحمد
راس بلفيران	بلفيران	1990	سبو	0.30	ر. ش. م.	20	فريطيسا
الدويس	الدويس	1991	جنوب بالأطلس	0.95	ر. م.	80	بودنيب
بلاد الگعدة	بوفكران	1991	سبو	2.90	محاربة التلوث	-	فاس
عالية تيزكيت	تيزگيت	1991	سبو	0.75	استجمام	-	إفران
الصابون	الصابون	1991	الشمال الغربي	1.10	ر.	250	طنجة
الصغير	الصغير	1991	الشمال الغربي	2.30	ر.	530	طنجة
جرف الغراب	جرف الغراب	1992	سبو	0.90	إ.ش.	-	أورتزاغ
السّاف	السّاف	1992	سبو	1.00	ر.	250	طنجة
إيماون	إيماون	1992	جنوب الأطلس	0.23	ف.	-	بويزاكارن
أغرغيس	أسيف تنفلاً	1992	جنوب الأطلس	0.28	ش. ف.	-	بويزاكارن
مهراز	مهراز	1992	سبو	0.62	ف. محاربة التلوث	-	فاس
عربات	عربات	1995	سبو	1.70	ش.	-	سلوان
بن يخلف	-	1997	ملوية	0.028	ف.	-	بركان
غربية	-	1998	سبو	0.75	ر. ش. م.	-	تاونات

لائحة السدود في طريق أو نهاية الإنجاز أو لها دراسات جاهزة (1998 ـ 2002)

السدود الكبرى

السدود	المجاري المائية (أحواض)	طاقة التخزين (مليون م3)	الوظائف	المساحة القابلة للري	أقرب مدينة (إقليم)
مريجة	أم الربيع الأسفل	20.00	ك.	-	(سطات)
مشرع الصف	أم الربيع الأسفل	22.00	ك.		(سطات)
إمزبلفان	أم الربيع الأعلى	72.00	ك.		(خنيفرة)
تاسكدرت	أم الربيع الأعلى	20.00	ك.		(خنيفرة)
تاجموت	أم الربيع الأعلى	7.00	ك.		(خنيفرة)
تاغزيرت	درنة (أم الربيع)	235.00	ر. ش. ك	-	(بني ملال)
أمسا	أمسا	82.00	ش. ص.	-	(تطوان)
مارتيل	مارتيل	100.00	ر. ش. ص.	3000	(تطوان)
الرّوز	الرّوز	30.00	ش.	-	(تطوان)
إقاسيّن	غيس	230.00	ر. ش. ص.	13000	(الحسيمة)
س. م. ب عبد الله	أبورقراق	480.00	ش. ص.	-	(الرباط)
(الزيادة في الارتفاع)		1280.00			
أيت حمّو	أوگزر	110.00	ش. ص.	-	(أكادير)
تامري	تامري	50.00	ش. ص.	-	(أكادير)
سيدي سعيد	ملوية	400.00	إ. ر. ص.	-	-
انسگمير	أنسگمير	130.00	ر. ش.	-	(ميدلت)
طركة أوماضي	زيزيت	250.00	إ. ر. ف.	-	(تازة)
تيلبدانين	ملوية	800.00	إ. ر. ش.	-	(گرسيف)
كرّوسة	گير	220.00	ر. ف.	1800	(نكيگ)
الكلتة الزرگا	درعة	9.50	ر. ش.	-	(طانطان)
أكلموس	(جنوب الأطلس)	-	-	إ. ف.	-
الصبّاد	الصباد	30.00	ت. ر. ش.	-	(كلميم)
الصاكا	الصاكا	65.00	ر. ش.	-	(گلميم)
جبل الكحل	بوعنان	430.00	ر.	4800	بوعنان

السدود المتوسطة

شاشا نلاح	أم الربيع الأعلى	193.00	إ.	-	(خنيفرة)
النكور	النكور	15.60	إ.	-	(الحسيمة)
تيزملال	(الساحل المتوسطي)	21.25	إ. م.	-	(تارگيست)
بوكركور	(ساحل الرباط البيضاء)	30.00	ر. ش. م.	-	(بنحمد)
نفيفيخ	نفيفيخ	53.00	ش. ف. م.	-	(بنسليمان)
عين كواشيا	إيكم	11.00	ر. ش.	-	(الصخيرات)
الشراط	الشراط	7.00	ش.	-	(بوزنيقة)
خنوسة	خنوسة (أبورقراق)	23.00	ش.	-	(الرماني)
سيدي عمّار	(أبورقراق)	63.00	ش. ف.	-	كهف النسور (خنيفرة)
سيدي عمر	(أبورقراق)	35.00	ر.	-	(المعازيز)
إبكي نأوعقا	(سوس ماسّة)	10.50	ت. ر.	-	أولاد برحيل (تارودانت)
سيدي عبد الله	(سوس ماسّة)	10.37	ت. ر.	-	تاملوكت (تارودانت)
المداد	(سوس ماسّة)	11.30	ت.	-	(تارودانت)
أن زمّور	(سوس ماسّة)	9.50	ر. ش. م	-	أمسكرود (أگادير)
زا	زا (ملوية)	55.00	إ.	-	كفيت (جرادة)
تيمكيت	(جنوب الأطلس)	14.00	ت. ر.	-	(تينجداد)
تيرزاگين	(حوض گير)	10.20	ر. ش.	-	(گورامة)
فالت	(جنوب الأطلس)	15.00	ت. ر.	-	(بوعرفة)
خنگ گرو	(خنگ گرو)	90.00	ت. ر.	-	(بوعنان)
تيوين	درعة	-	ف.	-	(ورزازات)
تادبغوست	حوض زيز	-	ر.	-	(الرشيدية)
أمزميز	(تانسيفت)	11.00	إ.	-	(أمزميز)
تاسكورت	(تانسيفت) •	-	ر.	-	(إمينتانوت)
بولعوان	سكسارة	80.00	ر.	-	(سيدي بوعثمان)
تازاران	(سبو)	9.20	إ. ر. م.	-	(باب برّد)
عين عبدون	(سبو)	10.50	إ. ر.	-	(تاونات)
أولاي	(سبو)	22.50	إ. ر.	-	(غفساي)
سيدي عبّو	(سبو)	-	ر.	-	(عين عيشة)
أداروش	بهت	48.00	ر. ش. م.	-	(أزرو)
زريزر	إسلان	6.00	إ. ر. ش.	-	(تاونات)
أزغار	(سبو)	-	ر.	-	(رباط الخير)

+ قناة الساقية الحمراء (10,5 كلم) صبيب 9 م3/ث، تزويد الماشية، العيون

والتربات العارية والصخور اللينة، ثم تلقي بها في الأودية في مدة وجيزة. وتتضافر عدة عوامل لتشدد على استفحال عملية زحف الطمي على الخزانات المائية، أهمها شكل التضاريس الجبلية والمتموجة التي تبلغ حوالي 70٪ من المساحة الإجمالية، والضغط البشري الذي يخلف اجتثاث المساحات بما يناهز 000 100 هـ. سنوياً (من بينها 000 31 هـ تقتطع كل عام من الغابة).

إدارة هندسة المياه، وزارة الأشغال العمومية، *تعبئة المياه بواسطة السدود الكبرى*، الخطة الخماسية 1993 . 1997، يونيو 1992 ؛ شوقي بنعزو، *الماء ذلك التحدي المستمر*، منشورات بانوراما، الرباط، 1994 ؛ م. گربوط، *الري التقليدي بالمغرب*، *معلمة المغرب*، ج. 14، 2001، ص. 4573 . 4578.

A. Benhati, *La politique marocaine des barrages*, in *les problèmes agraires au Maghreb*, Paris, 1977 ; M. Ayad et J. Le Coz, *Vers une nouvelle ère hydraulique au Maroc*, in *Aspects de l'Agriculture irriguée au Maroc*, Rabat, Montpellier, 1991 ; *Les petits barrages, réalisation 1984-1992*, Pub. de l'Administration de l'Hydraulique. Min. des Travaux Publics. fév. 1993 ; *Les grands barrages au Maroc*, Pub. de l'Adm. de l'Hydraulique, Min. des Travaux Publics. 1994 ; *Les barrages du Royaume*, Direction de l'Hydraulique, juin 1998 ; *Annuaires statistiques du Maroc*, Direction de la Statistique, Min. de La Prévision éco. et du Plan, 1980-2000.

مصطفى عياد

سِرَاج، محمد، مقاوم ولد سنة 1905 بخنيفرة انخرط في صفوف جيش التحرير منذ انطلاقته بجبال الريف تحت قيادة السيد عبد الله الصنهاجي، شارك في عدة هجومات على قوات المستعمر بالمنطقة كما كلف عدة مرات بإيصال السلاح والتعليمات إلى بعض المراكز المجاورة بالناحية.

توفي في 25 شعبان عام 1415 / 26 يناير 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 516805.

سِرَار، صالح، مقاوم ولد سنة 1926 بأبي الجعد. انضم لصفوف النضال الوطني عند انطلاق الشرارة الأولى للمقاومة حيث أصبح عنصراً نشيطاً داخل الحركة الوطنية، وهو ما جعله يتحمل مسؤولية خلية المنظمة السرية بأبي الجعد، كما كان صلة وصل بين المنظمة بالدار البيضاء ومقاومي أبي الجعد. وقد قام بأعمال جليلة في مجال الفداء والتضحية من أجل استقلال البلاد حيث خطط لثورة 20 غشت التي عرفتها مدينة وادي زم.

توفي في 4 جمادى الأولى عام 1416 / 29 شتنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 528308.

السراغنة، المجال السرغيني جزء من المجال الأطلنتي الداخلي. يمتد على سهلين تفصل بينهما سلسلة الجبيلات الشرقية هما : سهل السراغنة ـ البحيرة شمالا وسهل الحوز الشرقي جنوبا. يحده من الأطراف الشمالية جزء من منخفض وادي أم الربيع الذي يفصل السراغنة عن هضاب قبيلتي الشاوية وبني مسكين. وتحده من الشرق النهاية الغربية لأطلس بني ملال وودي العبيد الذي يفصله عن بلاد تادلا السهلية. تتمثل حدوده الجنوبية في الحاشية الشمالية لأطلس دمنات التي تستوطنها قبيلتا فطواكة ولتانة. أما حدوده الغربية فتتمثل من الجنوب نحو الشمال في الحوز الأوسط، الجبيلات الوسطى، سهل البحيرة الوسطى، الكنتور. وهي مجالات تشغلها قبيلتا زمران (جزء من الحوزين الأوسط والشرقي) والرحامنة الذين يشغلون ما تبقى من هذه المجالات. وتنتمي القبيلتان إدارياً لإقليم قلعة السراغنة (انظر الخريطة 1 والخريطة 2). وبذلك تمثل بلاد السراغنة صلة وصل بين عالمين بشريين هما العرب شمالا والبربر جنوبا، بين مجالات الري ومجالات الزراعة البعلية. كما كان يمر منها الطريق التجاري الذي كان يربط بين مراكش وفاس ـ مكناس. تعتبر بلاد السراغنة حاليا جزءاً من جهة مراكش ـ تانسيفت الحوز.

1 ـ التضاريس

يتكون المجال السرغيني من أربع وحدات مورفلوجية هي من الجنوب نحو الشمال : منخفض الحوز الشرقي، الجبيلات الشرقية، الجزء الشرقي من السهل المقعر للسراغنة ـ البحيرة ثم تضاريس الكويسطا المشكلة في الحوض الرسوبي الفوسفاطي للكنتور الشرقي.

1 . 1 ـ منخفض الحوز الشرقي :

هذه الوحدة هي الامتداد الشرقي لمنخفض الحوز السهلي الذي يعتبر أخدود فصل من أصل بنائي. وقد لعب هذا المنخفض دور حوض رسوبي قاري تراكمت فيه تدريجيا تكوينات فتاتية غرينية ناتجة عن تحطيم السلسلة الأطلسية خلال النيوجين والرباعي. يصل سمك هذا الردم إلى أكثر من 200 م. وتشكل هذه المواد الفتاتية رصيصا عناصره متغايرة القياس والنوع الصخري. تتكون ركيزة من الزمن الأول. تتوضع فوق هذا الأخير مواد حثية طينية حمراء بريموترياسية. في الحاشية الجبلية نجد فوق الترياس مواد كلسية من اللياس تتعاقب من دكات صلصالية. يبرز اللياس بتجاعيد الصهريج المحدبية، ثم يغوص شمالا لينتهي مائلا.

تشكل المواد الفتاتية النيوجينية والرباعية مخاريط انصباب مختلفة الأحجام أهمها اطلاقا مخروط واد تساوت، أو منخفضات سهلية كمنخفض الصهريج.

1 ـ 2 ـ الجبيلات الشرقية :

تتكون أساسا من مواد أولية قديمة تتمثل في الصفحث (الفليش) الفيزي الذي تغطيه فرشة زاحفة أولية كمبرو أردوفيسية. وانطلاقا من كديتي مولاي علي (747 م) والمنجل (693 م)، وبالضبط شرق واد كاينو، تنتظم التضاريس على شكل أعراف متوازية شمالية ـ جنوبية

الاتجاه مكونة من صخور مقاومة (مروة، حث سيليسي). تفصل بين الأعراف منخفضات مشكلة في صخور هشة مالحة (صلصال مصفر، فليش). تتخللها أحيانا عروق صخرية متواضعة الارتفاع تدعى محليا "الصخور" مثل صخر علال بن علال وصخر الزو صخيرات القطاع، أو تدعى الريش مثل الصخور التي توجد شرق مدينة القلعة بدوار "الرويش"، تصْغيراً للريش. ويستمر هذا التنظيم حتى ثغرة وادي تساوت حيث تقل الارتفاعات وتغوص الأعراف الأولية تحت الغطاء البريموترياسي والبليورباعي. هذا التنظيم هو تنظيم التضاريس الابلاشية.

1 . 3 . مقعر السراغنة ـ البحيرة :

عبارة عن أخدود مقعر عريض محصور بين كتلة الجبيلات جنوبا وتضاريس الكويسطا ثم نجد الرحامنة ـ السراغنة شمالا. تتكون ركيزته الجيولوجية من صخور أولية تغطيها صخور رسوبية ثانوية تنتمي للترياس والكريطاسي، وثلاثية تتمثل في الإيوسين ثم في الردم القاري النيوجيني ـ الرباعي الناتج عن تحطيم سلسلة الجبيلات. ويحمل هذا الأخدود اسم سهل البحيرة ـ السراغنة. وهو عبارة عن منخفض بنيوي حوضي الشكل شبه مغلف داخلي التصريف، حيث نجد في وسطه غرب مدينة قلعة السراغنة سد المسجون الذي يبلغ طوله 15 كلم وعرضه بين 2 و3 كلم. ويطلق عليه السكان اسم سد المجنون تحريفا لسد المسجون.

تتكون الجبيلات على طول الحاشية الشمالية من مجموعة من المخاريط الانصبابية أهمها المخروطان اللذان شكلهما كل من واد تساوت بعد خروجه من ثغرته الحالية بالجبيلات الشرقية وأحد فروعه القديمة بعد خروجه من ثغرة وادي كاينو، حيث خلف تكوينات بليورباعية متراصة بالقرب من قلعة السراغنة.

1 . 4 . منطقة الحدرة :

يطلق على المجال الممتد بين جبل خاو بالرحامنة وسافلة وادي تساوت عند مقرنه بواد أم الربيع اسم الحدرة. وهي منطقة هضبية فسيحة تعتبر امتداداً لهضبة الشاوية ـ بني مسكين الكريطاسو إيوسينية نحو الجنوب. ويفصل الحدرة عن هذه الهضبة واد أم الربيع بعد أن تعمق فيها. ومن نتائج هذا التعمق تقطع هضبة الحدرة وخلق مناظر تضاريسية متنوعة هي :

ـ تضاريس الكويسطا التي يطلق عليها وعلى سكانها اسم الحافات والتي تطل على منخفض متضرس شاسع، ينحدر سطحه في اتجاه وادي أم الربيع حيث يوجد سد المسيرة.

ـ كما نجد هنا وهناك تلالا شاهدة مسطحة القمم ومتوجة بصخور كلسية صلبة، ودراديق. وتدعى هذه الأشكال محليا بالأوتاد.

ـ تضاريس أولية مبعوثة أشار إليها مارمول كربخال في *وصف إفريقيا* باسم الجبال الخضراء الشبيهة بجبال صخور الرحامنة غربا (وارد عند J. Péguricr 1972). وتشكل صخور هذه الجبال (النضيدية والمروية) ركيزة الحدرة الجيولوجية والشبيهة كذلك بما نجده بالمسيطا المغربية الغربية. ويطلق السكان على هذه التضاريس اسم الضلوع أو الصخور.

2 ـ البيومناخ والأتربة :

2 . 1 ـ البيومناخ :

2 . 1 . 1 . المعطيات المناخية :

رغم أن المناخ لا يمثل سوى عنصر من عناصر النظام الطبيعي ببلاد السراغنة، فإن تأثيره حاسم. ذلك أنه يتحكم في الثروات النباتية الطبيعية التي يتوقف عليها النشاط الفلاحي خاصة النشاط الرعوي، وفي نوعية النباتات التي يمكن زراعتها أو إدخالها، وأخيراً في نوع الأتربة وكمية الثروات المائية.

مناخ المجال السرغيني عامة مناخ قاري طابعه الأساسي الجفاف وعدم الانتظام الزمكاني.

2 . 1 . 1 . 1 ـ الحرارة مفرطة (انظر الجدول 1)

المتوسطات الحرارية السنوية مرتفعة إذ يصل المعدل الحراري السنوي بمحطة القلعة عاصمة بلاد السراغنة 19,7 مئوية. كما أن معدل الحرارة العليا السنوي قوي في كل مكان إذ يصل 29.2 بنفس المحطة، في حين تكون الحرارة العليا القصوى في فصل الصيف جد عالية إذ تسجل أرقاماً قياسية خاصة أثناء هبوب رياح الشركي. فهي دائما أكثر من 45°، بل سجلت 50,5° في شهر يوليوز من سنة 1924. معدل الحرارة العليا لأسخن شهر 39°.

أما معدل الحرارة الدنيا السنوي فهو 11,7°. والحرارة الدنيا القصوى التي سجلت هي 3° بشهر يناير من سنة 1918. معدل الحرارة الدنيا لأبرد شهر هو 4,5°، مما يجعل المنطقة تتعرض لظواهر الجمد والصقيع "الجريحة" من نونبر إلى أبريل.

كما يتميز مناخ بلاد السراغنة بفروق حرارية يومية وفصلية قوية : المدى اليومي في المتوسط 17° صيفا و13° شتاء. أما المدى السنوي فهو 17,5°.

2 . 1 . 1 . 2 ـ التساقطات ضعيفة وغير منتظمة زمانيا ومجاليا (الجدول 2).

يتراوح المعدل السنوي للأمطار بالمجال السرغيني بين 200 و500 ملم. متوسط محطة قلعة السراغنة 257 ملم سنوياً. ويعرف هذا المتوسط تغيرات مجالية إذ تزداد التساقطات من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي، أي نحو أطلس دمنات : 200 ملم بسد المسجون بالبحيرة الذي يعتبر جزيرة صحراوية حقيقية بهذه المنطقة، يصبح المعدل حوالي 500 ملم بسور العز بالقرب من دمنات ارتباطا بعامل الارتفاع.

كما تعرف الأمطار تغيرات بيسنوية إذ تتوالى على

المنطقة سنوات رطبة مثل 1939 حيث تلقت محطة قلعة السراغنة 469 ملم، وأخرى جافة مثل 1982 حيث لم تسقط سوى 92.3 ملم بنفس المحطة أي بنسبة تفوق 5. كما تعرف الأمطار تغيرات فصلية : الشتاء أرطب الفصول (40٪ من الأمطار)، والصيف أجفها (5.2٪ فقط)، مما يظهر الحاجة الملحة للماء في هذا الفصل.

2 . 1 . 1 . 3 . الرطوبة، التبخر ونظام الرياح :

متوسط الرطوبة عموما ضعيف. الرطوبة النسبية تتراوح بين 73٪ في شهر يناير و33٪ في يوليوز. كما أنها تتغير على طول اليوم الواحد وبكيفية مهمة، بحيث يمكن أن تنزل إلى 18٪ بعد الظهر خلال فصل الصيف وأحيانا 0٪ عندما تهب رياح الشركي والسيروكو الجافة.

الرياح السائدة بالسراغنة غربية وشمالية - غربية، أي رياح محيطية وهي المسؤولة عن التهاطلات المطرية. كما تتعرض المنطقة لهبوب رياح قارية جافة شرقية (الشرگي) وجنوبية (السيروكو أو القبلي) ينتج عنها انخفاض عنيف في الرطوبة وتزايد مفرط في التبخر وحدوث عواصف رعدية وغبارية وتجفيف وذبول للنباتات وسقوط أوراق وثمار وأزهار الأشجار المثمرة. ويبلغ هبوبها في المتوسط أربعين يوما مع انخفاض خلال شهور الربيع وارتفاع خلال شهور الصيف.

لذا فإن مناخ بلاد السراغنة يتميز بضعف الأمطار وانخفاض الرطوبة الجوية، وعدم انتظام التهاطل مجاليا وزمانيا، مما يؤدي إلى حدوث فترات عجز مطري (جفاف) يمكنها أن تؤدي حسب طبيعتها ومدتها إلى كوارث حقيقية. وبتوالي عدة سنوات جافة، يتخذ الجفاف مظاهر فظيعة : هلاك القسم الأعظم من القطيع، هبوط الأثمان وحدوث مسغبات ثم مجاعات. كما يتميز المناخ بمتوسطات وفروق حرارية قوية، وبحدوث موجات صقيعية متأخرة غير مرتقبة وغير عادية وموجات ريحية ساخنة وجافة مبكرة أحيانا. كلها عوامل بنيوية تشكل عوائق حقيقية يجب التكيف معها من طرف سكان بلاد السراغنة وخاصة مع الأوضاع القصوى لأن المتوسطات أقل أهمية. ذلك أن لهذه الظروف المناخية انعكاسات على النبات والمياه والأتربة والأنشطة البشرية بمجال السراغنة.

2 . 1 . 2 . الغطاء النباتي :

تتجلى القحولة التي تطبع المجال السرغيني في نوع ومظهر الكساء النباتي السائد، بحيث يتكون من أنواع متدهورة جداً مخلفة عن التشكيلة المناخية. وحسب R. Négre يجب أن تسود بالسراغنة غابة مفتوحة مكونة من الأصناف التالية : السنط أو الأقاقيا من نوع Acacia gummifera الذي يدعى محليا "بالطلح"، والعفصية Tetraclinis articulata مصحوبين بالعتم أو الزيتون البري الذي يسمى "الزبوج" محليا Olea europea، والدوم Chamaerops humilis خاصة بالأطراف الجنوبية المحادية للأطلس الكبير (صنهاجة، المحمادنة، سور العز)، أي أطلس دمنات.

وحسب L. Emberger، تسود بالمنطقة سهوب مفتوحة من العناب أو السدر Ziziphus lotus، البطم أو فستق الأطلس Pistacia atlantica اللذين يميزان المستوى الجاف. وقد تعرض فستق الأطلس للتدهور الكبير. كما توجد بالمنطقة بضعة عناصر من نبات الخروب Ceratonia siliqua كما هو الحال بجبل خروبة بالجبيلات الشرقية.

بالإضافة إلى هذه الأصناف توجد أنواع تميز المجال الجاف وهي الهليون بنوعيه الأخضر الذي يدعى محليا "بالسكوم" والأبيض الذي يطلق عليه اسم "الشبرك" Asparagus alba و Asparagus stipularis. كما نجد نبات "تيرمط" أو "تيرنط" "Withania frutescens"، الحرمل Peganum harmala، الشيح Artemisia herba-alba، العلمد Ephedra fragilis الذي يتسلق السدر. كما نجد أنواع الفملحية أهمها "القطف" Atriplex halimus.

كل هذه الأصناف تعرضت للتدهور الشديد، مما أدى إلى اختفاء بعضها كالدوم والعفصية، أو ندرتها الكبيرة كالزيتون البري والخروب ما عدا بالأطراف الجنوبية الشرقية من مجال السراغنة حيث نجد بعض العناصر لكنها محدودة. كما أن العناصر الأخرى المتبقية بكثرة نسبيا (العناب، السنط، الهليون بنوعيه، و "العلمد" تعرضت للإفقار بفعل التدخل البشري القوي، خاصة في السنوات الأخيرة. وقد أصاب هذا الافقار كل المجال السرغيني وبالخصوص الجبيلات والشمال الغربي الذي يطلق على سكانه حاليا اسم أهل الغابة نسبة إلى الغابة التي كانت تغطيه بكثافة حتى القرن الثالث عشر (19 م) كما أشار إلى ذلك الغوجدامي قائلاً : "في بلد السراغنة قدام القلعة في محل يسمى ازنادة ... كانت حينئذ غابة من الزرب (السدر) المتصل لا يمكن حرثها لتراكم السدر فيها"، ثم اختفت لعوامل مناخية (نزوح نحو التجفيف) وبشرية كما أشار إلى ذلك الحسن الوزان. وهكذا يلاحظ حاليا تصحر تدريجي وتصاعدي من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي.

2 . 2 . الأتربة :

تسبب إفقار الغطاء النباتي وتدهوره في إفقار وتدهور الأتربة وتعرية السطح على مجالات شاسعة. وقد ساهم في هذا التدهور والافقار الاستعمال البشري المكثف وغير العقلاني للمجال (توسع مهم للزراعة رعي واسع جائر).

وتوجد ببلاد السراغنة مجموعة من الأتربة التي تطلق عليها أسماء محلية كباقي مناطق البلاد وهي : تربة الحمري، ورقوان، وبياضة، والتيرس واملاحة.

كما نجد أتربة هيكلية قليلة التطور فوق السطوح الأولية أو بظهر الكويسطا بالحدرة.

3 ـ الثروات المائية :

3 ـ 1 ـ الثروات المائية السطحية :

يعبر المجال السرغيني وادان دائما الجريان هما واد تساوت وواد الأخضر اللذان تتفرع عنهما شبكة كثيفة من السواقي. ذلك أن السراغنة كانوا دائما يعملون على تعبئة وتحريك الماء الذي يعتبر العائق الرئيسي للإنتاج الفلاحي في مثل الظروف المناخية التي تميز مجالهم. وهكذا نجد ما يزيد على أربعين ساقيــة مـأخـوذة من الوادين فـقـط من دخولهما بلاد السراغنة حتى مقرنهما بالحاشية الجنوبية للجبيلات، بل إن جزءاً من مياهمها تم تحريكه وتوجيهه إلى سهل السراغنة ـ البحيرة شمال غرب قلعة السراغنة. عبر ثغرة واد كاينو بواسطة ساقيتي اليعقوبية نسبة إلى يعقوب المنصور الموحدي والغابية نسبة إلى أهل الغابة. هذا بالإضافة إلى شبكة ثانية من السواقي تتفرع عن واد تساوت من مقرنه بواد الأخضر إلى مصبه بوادي أم الربيع؛ والتي تروي جزءاً مهما من سهل السراغنة ـ البحيرة.

كما يحد المجال السرغيني من الشمال واد أم الربيع. ورغم أن هذه المحاور المائية تعبر أو تحد بلاد السراغنة، فإن هذه الأخيرة تستفيد من مياهها بعد تشييد ثلاثة سدود كبرى هي : سد مولاي يوسف (أيت عادل سابقا) على واد تساوت، سد مولاي الحسن الأول (أيت اشواريت سابقا) على واد الأخضر ثم سد المسيرة على واد أم الربيع. ويوجد بسافلة كل من سد مولاي يوسف ومولاي الحسن الأول سد احتياطي : سد تيمينوتين بواد تساوت وسد سيدي إدريس بواد الأخضر شرق الصهريج. توجه مياه هذه السدود للشرب أو الري داخل بلاد السراغنة أو خارجها نحو بلاد زمران والحوز الغربي. كما تستقبل بلاد السراغنة جزءاً من مياه واد العبيد (سد بين الويدان) عبر قناة تساوت 2 لري سهل السراغنة شمال مدينة القلعة. كما تجري ببلاد السراغنة سيول موسمية منحدرة من الأطلس الكبير نحو وادي تساوت والأخضر، ومن الجبيلات في اتجاه سهل السراغنة ـ البحيرة الذي تتحول بعض أجزائه لحظيا وخلال فترات التهاطل إلى مستنقعات تجف بفعل التبخر الشديد لدرجة أنها تدعى ببلاد السراب.

3 ـ 2 ـ الثروات المائية الباطنية :

يمكن التمييز داخل بلاد السراغنة بين أربع مناطق متفاوتة الأهمية من حيث الثروات المائية الجوفية. وهي من الأقل أهمية إلى الأكثر أهمية الحدرة، الجبيلات الشرقية، الحوز الشرقي ثم منخفض السراغنة ـ البحيرة.

3 ـ 2 ـ 1 ـ الحدرة :

هي امتداد لكتلة الرحامنة الهرسينية نحو الشرق. تتكون هذه الوحدة الهيدروجيولوجية من مواد قديمة قليلة النفاذية جداً. وبذلك فإن السريان الباطني للماء يتم على مستوى الشقوق والتصدعات ومجالات التفسخ التي أصابت الصخور النضيدية والمروية (الكوارتزيتية).

وبالتالي فإن امكانية خزن وتوفير الماء للشرب وورد الماشية قائمة. لكن إمكانات الري تبقى محدودة. ومع ذلك يلاحظ حاليا وتحت وطأة الجفاف، تطور لعمليات حفر الآبار وضخ مياهها، مما سمح بظهور واحات خضراء وسط مجال بوري قاحل واسع.

3 ـ 2 ـ 2 ـ الجبيلات (انظرها في *المعلمة*، ج. 9 : 2921).

3 ـ 2 ـ 3 ـ الحوز الشرقي جزء من خزان سهل الحوز (انظره في *المعلمة*، ج. 11 : 36359).

3 ـ 2 ـ 4 ـ خزان سهل السراغنة ـ البحيرة (انظرها في *المعلمة*، ج. 4 : 1083).

النشاط الفلاحي :

بلاد السراغنة منطقة فلاحية بالدرجة الأولى كما يظهر ذلك من خلال المساحة المنزرعة أو الانتاج الفلاحي أو التجهيزات الهيدروفلاحية واستثمار الأراضي الفلاحية. الرقعة الزراعية المستغلة مهمة وتتوزع كما يلي : 52٪ أراضي بعلية (بورية)، 28٪ مراعي، 19٪ أراضي سقوية و1٪ غابات. ومن حيث إمكانات الانزراع حسب التغيرات المطرية توجد بلاد السراغنة ضمن المجال حيث الزراعة بدون سقي تكون تارة ممكنة وتارة أخرى غير ممكنة، أي ضمن المنطقة شبه القاحلة (Cote Legras, 1966). ذلك أن المناخ يتحكم في التوزيع الزمكاني للثروات المائية : فكلما كانت التحولات المناخية مرتفعة كلما أصبح اللجوء إلى الموارد المائية غير المطرية ضرورة حيوية. وهذه حالة بلاد السراغنة إذ يلاحظ أن هناك علاقة بين استغلال الثروات المائية وقدم التعمير وانزراع الأرض، بينما قلة الماء أو انعدامه يفسر اللجوء إلى الكسب والرعي.

تحتل زراعة الحبوب الدرجة الأولى من حيث المساحة المخصصة لها. ويحتل الشعير المقدمة من حيث المساحة (53٪) والانتاج (49٪)، ثم القمح الرطب (21٪ من المساحة و32٪ من الانتاج)، القمح الصلب (23٪ من المساحة المخصصة للحبوب و17٪ من الانتاج). الذرة (3٪ من المساحة و2٪ من الانتاج).

كما يتعاطى السراغنة لزراعة الكمون خاصة بالمجالات البورية ذات التربة الخشنة النسيج كما هو الحال بمنطقة الحدرة. وتخضع هذه الزراعة من حيث الانتاج والمردود للتقلبات المناخية : في السنوات الرطبة يرتفع الانتاج، لكن الثمن ينخفض دون أن ينزل عن 25 درهما للكيلوغرام، وفي السنوات الجافة حيث يقل الإنتاج ويرتفع الثمن الذي قد يصل إلى 100 دهم.

كما يمارس السراغنة الغراسة أو الشجارة بكيفية متنوعة. وهي حسب الأهمية : الزيتون، اللوز، المشمش، التين، الحوامض، الرمان، التفاح، البرقوق، ثم أنواع أخرى. وتعتبر شجرة الزيتون رمز بلاد السراغنة التي تمثل جزءاً مهما من مجالات انتشارها بالمغرب. وتمتد مجالات زراعة الزيتون حول مدينة القلعة وعلى طول وادي الأخضر

وتساوت وبالقطاعات السقوية الحديثة. وشجرة الزيتون لا ترتبط بنوعية التربة. فهي كما يقال "نبات غني لتربة فقيرة" بل تطورها مرتبط بحصيلة التربة من الماء أي بإمكانية الري. وإذا كانت شجرة الزيتون منذ قرون الشجرة الأساسية بالمجال السرغيني، فإن الحركة السريعة في غراستها ترجع للخمسينيات ابتداء من 1950، إذ يعتبر هذا التاريخ بداية ظهور المغارس الجديدة. وفي هذا الصدد قال J. Flouriot : "من الأكيد أنه يتم الغرس أكثر بدائرة السراغنة. في كل مكان نرى الفلاحين بالحقول يغرسون فسيلات جديدة. وتظهر المنطقة وكأنها أصيبت بجنون غراسي" (R.G.M., n° 9, p. 94) وتبقى أسباب هذا التوسع غير واضحة، لكن ترتبط كلها بعوامل اقتصادية وبشرية. ذلك أنه إذا كانت الظروف الطبيعية عموما ملائمة لشجرة الزيتون، فإن من المؤكد أن مغارسها هي قبل كل شيء من عمل وصنع الإنسان السرغيني. لذا ارتبط انتشارها بالعوامل التالية :

- إمكانية تحريك المياه السطحية.

- غراسة الزيتون وسيلة لتمليك الأرض ذات النظام الجماعي، الشيء الذي يفسر التزايد المدهش للمغارس والذي عززه أيضاً إبطال نظام الكلفة "التويزة" منذ 1956.

- تطور استغلال الثروات المائية بعد تشييد سدي مولاي يوسف والحسن الأول وكذلك توسع عملية حفر الآبار والضخ الآلي للمياه الجوفية.

- اعتبار شجرة الزيتون ثروة أساسية، خاصة بعد ارتفاع ثمن المنتوج.

وتتم هذه الزراعة في إطار استغلاليات متفاوتة الحجم : هناك استغلاليات صغيرة تضم بضعة أشجار وأخرى كبرى. الاستغلاليات الصغرى عديدة جداً هدفها الاستهلاك الذاتي وتسويق جزء من المنتوج. ويتم الاستغلال بطريقتين : مباشرة وهي الأكثر انتشاراً وغير مباشرة عن طريق الشراكة بالمغارسة أو بالرباعة أو عن طريق الاقطاع. أما الاستغلاليات الكبرى فيتم استغلالها بكيفية واسعة أو عن طريق البيزرة. وبصفة عامة يتم الاستغلال بتقنيات بسيطة وعتيقة سواء في الجني أو العصر. ولقد شهدت غراسة الزيتون توسعا ملحوظا في السنوات الأخيرة من القرن (20م) وبإيقاع سريع جداً لدرجة أنها تسيطر بنسبة 85٪. كما أدخلت بجوار نوع Ascolana، أصناف جديدة إلى بلاد السراغنة مثل البيكوات "Piquate" والمانزاني "Manzani". ويلاحظ كذلك تحسن في تقنيات الاستغلال : استعمال الأسمدة والأدوية، التقليم (الزبير)، تعميم الجني باليد حتى لا تتحطم الفروع المتفننة المنتجة، إنشاء صناعات تحويلية للمنتوج، تسويق نحو الخارج خاصة وأن انتاج بلاد السراغنة من الزيتون يفوق 100 ألف طن سنويا.

كما أدخلت إلى بلاد السراغنة أنواع جديدة من التفاح مثل "Hana"، والمشمش من نوع جيليتانو "Gelliitano"، واللوز مثل فيرانيس "Veranisse" وفيرادوي Verradouille، والكروم من نوع الجوهرة الملكية "King's Rubis"، التي تستعمل أساساً لإنتاج سائل السكر والزبيب. كما أدخلت لبلاد السراغنة مزروعات صناعية مثل القطن والفلفل الأحمر. كما عرفت زراعة الخضروات أو البقالة وزراعة الكلأ (الفصة والبرسيم) توسعا مضطرداً ارتباطا بأهمية قطاع تربية الماشية.

ومن الناحية البشرية تم تعمير بلاد السراغنة التي كانت خالية أو قليلة السكان إثر توافد وتدفق الموجات العربية. وبحكم الاختلاط وترسبات الفتح الإسلامي وتوالي حكم الدول المغربية الكبري وتوالي النزوح العربي من الشرق، تعرب الصنهاجيون وامتزجوا وأصبح العنصر العربي هو الغالب.

ومن ترسبات الهلاليين بالسراغنة دريد، أولاد صبيح، أولاد عطية سفيان، بنو جابر، بنو عامر، أولاد عريف، أولاد بوعلي، أولاد يعگوب، أولاد سعيد.

ومن الشرفاء ببلاد السراغنة نجد العلويين المتمثلين في أولاد سيدي أبي الغيث الذين قدموا في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان بالقرن الثالث عشر (19 م) من تافيلالت عبر تادلة، ثم الشرفاء الأدارسة وجلهم متمركزون بشمال ووسط بلاد السراغنة وهم أولاد عطية قرب العطاوية، أولاد الكرن بالوناسدة، الدشرة، أولاد سيدي بوعنان، أولاد الشيخ إبراهيم ببني عامر، أولاد سيدي إدريس بواد امهاصر، أولاد سيدي رحال المتمركزون بالسراغنة الغربية بالجبيلات وبالجنوب المجاور لبلاد زمران حيث مدفن جدهم بقرية أغماي (الزاوية الرحالية حاليا).

كما توجد ببلاد السراغنة عناصر مصمودية مثل ركراگة بني عامر إخوة ركراگة الشياظمة.

وهكذا عرفت بلاد السراغنة تعميراً واستقراراً قديمين. كما أنه من الصعب فرز البربر الذين عمروا البلاد قبل مجيء الهلاليين. لذا فإن سكان بلاد السراغنة متنوعون أتوا من جميع الآفاق وأسسوا تنظيماتهم الاجتماعية والاقتصادية بطرق مختلفة. وكانت حياتهم في البداية مرتبطة بالرعي ارتباطا قويا. وكان هذا النشاط يعتمد على الترحال والنجعة. ثم بدأوا يتخلون عن حياة التنقل بفعل استئناسهم بحياة الزراعة. إلا أن هذا الاستقرار لم يكن متزامنا في كل أنحاء بلاد السراغنة.

ورغم نوبات الجفاف والمجاعات والأمراض الفتاكة التي مرت على بلاد السراغنة خلال القرن الثالث عشر (19 م)، والتي كانت تؤدي إلى نقصان حاد في أعداد السكان، فإن الكابتان Cornnet ذكر في كتابه "A la conquête du Maroc du sud" أن سكان السراغنة كانوا ستين ألفا سنة 1912. بكثافة 34 ن / كلم2. وبذلك تحتل السراغنة المرتبة الثانية في المغرب بعد الريف وعبدة، كما كانت بلاد السراغنة دائما أرض لقاء وهجرة (وارد عن J. Pégurier, 1981).

الجدول 1 : الحرارة المتوسطة الشهرية والسنوية (25 ـ 1963 بالسهل، 33 ـ 1963 بالدير)

المحطة	الارتفاع بالمتر	الموقع الجغرافي	المعدلات الشهرية بالدرجات المائوية												المعدل السنوي
			1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	
قلعة السراغنة	470	السهل قلب بلاد السراغنة	11	13	15,6	17,1	21,2	25	29,1	29,4	25,6	21,2	16,2	12,5	°19,7
دمنات	950	الدير : الحدود ج. ش. لبلاد السراغنة	10,8	11,8	13,94	15,11	18	21	25,41	26,56	22,41	18,27	12,43	9,91	°18.3
سيدي رحال	660	الدير : الحدود ج. غ. لبلاد السراغنة	10,9	13,1	14,4	15,6	18,3	22,3	27,5	27,1	24	19,7	15,8	12,2	°18,5

الجدول 2 : معدلات التساقطات الشهرية والسنوية

المحطة	الارتفاع بالمتر والموقع الجغرافي	المعدلات الشهرية بالملم												المتوسط السنوي بالملم
		1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	
قلعة السراغنة	470 بالسهل قلب بلاد السراغنة	32	32	35	30	14	7	2	3	14	19	30	39	257
دمنات	950 بالدير : الحدود ج. ش. لبلاد السراغنة	56,2	64	86.5	93.5	50,3	13,9	2.8	3	23,3	47.8	66,8	79.5	587,6
سيدي رحال	660 الدير : الحدود ج. غ. لبلاد السراغنة	41	44	53	55	29	7	3	5	17	51	35	52	392

الجدول 3 : تطور سكان بلاد السراغنة من 1971 ـ 1994

الإحصاء / الدائرة أو المدينة		1971		1982		1994	
		العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
الحضريون	مدينة قلعة السراغنة	17163	7,26	33330	10,53	51373	14
	مدينة تاملالت	1593	0,67	3498	1,10	8700	2,37
	مدينة العطاوية	تعتبر مركزا ربفيا	.	3200	1,01	11215	3,05
الريفيون	دائرة قلعة السراغنة	94946	40,17	118613	37,48	141378	38,50
	دائرة العطاوية	122684	51,90	157863	49,88	154453	42,07
	المجموع	236376	100	316504	100	367119	100

وضع الجدول اعتمادا على الجريدة الرسمية

بلغ سكان منطقة السراغنة 367119 نسمة حسب إحصاء 1994 جلهم يقطنون في الريف بنسبة 80.58٪ (انظر الجدول 3)، وبالتالي لا يمثل السكان الحضريون سوى 19,46٪.

تراوحت نسبة التزايد السكاني بين 2٪ و3٪ خلال الفترة 1971 ـ 1982 المعدل الوطني 2,6٪. أما خلال الفترة 1982 ـ 94 فلم تتعد 2,11٪. الكثافة السكانية العامة حوالي 70 نسمة / الكلم2. غير أنها تختلف من مكان لآخر : فهي تفوق 100 نسمة / الكلم2 بالقطاعات السقوية، في حين تتراوح بالمجالات البعلية (البورية) بين 20 و100ان / الكلم2. وتزداد الكثافة عموما من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي. عدد المهاجرين السراغنة بالخارج يتراوح حاليا بين أربعة وستة عمال من كل ألف ساكن. وهو في تزايد مستمر خاصة نحو إيطاليا.

يستقر سكان الريف ببلاد السراغنة في دواوير يزيد عددها على 413 دواراً موزعة على 30 فخذاً وخمسة بطون هي أهل الغابة، بنو عامر، أولاد خلوف، أولاد يعقوب وأولاد سيدي رحال (عبد الوهاب بن منصور 1976). وتشكل هذه البطون قبيلة السراغنة. والدوار أو العظم أو "الجذرة" ببلاد السراغنة وحدة سكنية تضم عدة أسر أو كوانين أو عائلات. وكان الدوار قديما مؤلفا من "نوالات" أو خيام، في حين كانت الدور والقصور والقصبات المبينة بالطابية محدودة ومقتصرة على القواد والعمال المخزنيين.

حاليا يلاحظ تطور عميق في السكن الريفي الذي أصبح صلبا 100٪ تقريبا. وتستعمل فيه بالإضافة إلى المواد المحلية (الحجارة، الآجور الطيني، القصب والخشب) مواد الاسمنت المسلح. وظهرت مساكن من الطراز الحضري العصري.

إداريا تتجمع الدواوير في إطار دائرتين هما : دائرة العطاوية ودائرة القلعة، تضم كل دائرة عدة قيادات وجماعات قروية إذ يصل عدد الجماعات 37 جماعة قروية بمجموع التراب السرغيني حسب التقسيم الجديد.

أهم التجمعات الحضرية بالمجال السرغيني مدينة قلعة السراغنة مقر لعمالة إقليم قلعة السراغنة ولبلديتها، مدينة العطاوية مقر بلدية، ثم تاملالت مقر بلدية كذلك. كما عرف المجال السرغيني تجمعات حضرية قديمة بسهل البحيرة - السراغنة والتي كشفت عنها تنقيبات Ch. Allain وهي سبتة، للاكارة، بنكفيز والصافي التي تسمى كذلك مدينة الهري. وتعتبر الصافي أهم تجمع سكني قديم. حاليا تعتبر مدينة قلعة السراغنة أهم تجمع حضري ببلاد السراغنة إذ تضم أكثر من 72٪ من الحضريين (الجدول 3). وقد كانت عبارة عن حصن عسكري مرابطي مزامن تقريبا لمدينة مراكش والذي أسس في مجال شبه فارغ وغير آمن لمحاربة البرغواطيين ومراقبة بربر الأطلس وليكون كحصن متقدم على الخط التجاري الرابط بين مراكش وفاس ومكناس. وظل هذا الحصن يحمل اسم لكرار الذي يعني الحصن العسكري المبني بالحجارة والدائري الشكل إلى عهد السعديين وإلى أن جدده المولى إسماعيل. ومنذ ذلك الوقت أصبح يحمل اسم قلعة السراغنة.

ع. ابن خلدون، العبر، بيروت، 1968 ؛ أبو عبيد البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*، باريس، 1823 ؛ ش. الإدريسي، *المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس*، ليدن، 1823 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن (19 م)، إينولتان، 1850 ـ 1912*، ط. 2، الدارالبيضاء، 1983 ؛ أ. زروال، *الجبيلات*، معلمة *المغرب*، الجزء 9، مطابع سلا، 1998/1419 ؛ *دراسة جيومورفلوجية لدير أطلس مراكش*، الرباط، 1987 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1980 ؛ ح. شوقي، *قبيلة السراغنة خلال القرن (19 م)*، 1822 ـ 1912، الرباط، 1991 ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. م. حجي وجماعة من الأساتذة، الرباط، 1984 ؛ م. الغجدامي، *التسلي عن الآفات بذكر الأحوال وما فات*.

A. Lahlimi, *Les terres irriguées et le monde rural dans la Tassaout moyenne*, *R.G.M.*, n° 11, 1967 ; Ch. Allain, *Reconnaissances archéologiques dans le massif des Rehmna et la Bahira*, *Hesp.*, T. XLI, 1er et 2ème trim., 1954 ; Direction de l'Hydraulique, *Carte hydrogéologique de la plaine du Haouz (Maroc occidental)* au 1 : 200.000, Rabat, 1980 ; E. Laoust, *Mots et choses bérbères*, Paris, 1920 ; Ed. Michaux-Bellaire, *Villes et tribus du Maroc*, T. I, vol. X, *Région des Doukkala*, Paris, 1932 ; H. Delorme, *Note sur l'origine des Sraghna*, dactylographiée ; H. Delannoy, *Aspects du climat de Marrakech et sa région*, *R.G.M.*, n° 20, 1971 ; J. Flouriot, *L'oléiculture dans la région de Marrakech*, *R.G.M.*, n° 9, 1966 ; J. Péguriet, *Espaces urbains en formation dans le Tensift*, Rabat, 1981 ; L. Emberger, *Aperçu général sur la végétation du Maroc, commentaires de la carte phytogéographique du Maroc au 1 : 1.500.000* ; M. Cote et J. Legras, *La variabilité pluviométrique inter-annuelle au Maroc*, *R.G.M.*, n° 10, 1966 ; M. Ducrocq et P. Pascon, *La mise en valeur du périmètre de la Tassaout (Haouz de Marrakech)*, *H.T.E.*, n° 6, 1973 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, T. 1 et 2, Rabat, 1977 ; P. Hevelin, *Carte géologique et gitologique des Jbilets au 1 : 200.000* ; *Etude géologique et gitologique du massif hercynien des Jbilets (Maroc occidental)*, Rabat, 1977 ; R. Negre, *Recherches phytogéographiques sur l'étage de végétation méditerranéen aride (sous étage chaud) au Maroc occidental*, Rabat, 1959.

أحمد زروال

سرانُو ويكتب أيضاً شرانُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Serrano ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف *أسماء عائلات تطاون* تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1378.

السرايري، أسرة تطوانية ـ رباطيّة، تنسب ـ على غير قياس ـ إلى صناعة السراير أو الأسرة أي البنادق. وذكر الشيخ داود في كتابه عائلات تطوان أن فرع الرباط أصله من تطوان. وقد انقرضت هذه الأسرة اليوم من تطوان.

م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*. مخطوط ؛ م. ابن عزوز حكيم، كشاف *أسماء عائلات تطوان*، تطوان، 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

السرايْري، أحمد بن **محمد** التطاوني، والسرايري نسبة إلى السرير والمراد به هنا: سرير البندقية (المكحلة) وسريرها : الخشبة التي تنجر وتجعل فيها الجعبة والزناد، ويربط على الجميع بربائط من الفضة أو الذهب أو النحاس أو الرصاص وتستعمل هذه النسبة للمحترفين بهذه الحرفة بتخفيف الهمزة ولعل والد المترجم له أو أحد أسلافه كان يحترف هذه الحرفة. وهو تطاوني المولد والمنشأ والوفاة. قال القادري : لستُ أعرفه حق المعرفة إلا أني سمعتُ الثقات يُثنون عليه خيراً، وكان خطيبا بليغا حضرت خطبته لعيد الأضحى في تطوان عام 1151 فرأيت عليه أثر الخشية والخير والبركة، وخطب يومئذ خطبة حسنة وكانت فيه دُعابة خفيفة.

من تلاميذة الفقيه محمد بن أحمد العباس نسباً التطاوني، والفقيه الرحالة الشيخ عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري. أخذ عنه وكان ينزل بفندق للمترجم له إذا ورد تطاون، قرأ عليه *ألفية العراقي* في السيرة، قال : ولم أر من يُحسنها مثله، خبيراً بها نصا وشرحا على حد تعبيره، وكان يدرسها بجامع العيون قرب زاوية الشيخ علي بن مسعود الجعيدي، واستجاز ابن حمادوش المترجم له فأجازه سنة وفاته، وأثبت نص إجازته في *رحلته*. والمترجم له هو الذي أخرج حواشي شيخه بركة على *شرح المكودي لألفية ابن مالك* في النحو، وهي مخطوطة. كما وقفت له على نسخة من أرجوزة شيخه التي حاذى بها المرشد المعين لابن عاشر مع الذيل عليه.

توفي بالطاعون يوم الخميس 17 شوال 1156 / 4 دجنبر 1743 ودفن خارج باب المقابر من تطاون.

م. القادري، *نشر المثاني*، تح. حجي والتوفيق، الرباط، 4 : 42 ؛ *التقاط الدرر*، طبع الرباط، تح. هـ. العلوي، ص. 394 ؛ أ. بن عجيبة، *أزهار البستان في طبقات الأعيان*، مخطوط ؛ *رحلة ابن حمادوش الجزائري*، الجزائر، ص. 32 . 67 . 68 . 99 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، 4 : 132 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، تطوان، 3 : 41.

محمد بوخبزة

السرايري، البدوي الرباطي، فقيه مدرس خطيب، بعد تخرجه على يد صهره الفقيه المكي البناني مفتي الرباط رحل إلى فاس فدرس بالقرويين واتصل برجال المخزن فكان له نفوذ ووجاهة. كان خطيبا بجامع مولاي سليمان ومدرسا بجامع عطية يدرس فيه *المختصر*. ومن تلاميذه عبد الله ملين والعربي التهامي الوزاني، ويقال إنه تشوف إلى القضاء في آخر عمره إلا أن المنية أدركته قبل أن ينال أمنيته.

توفي في 28 جمادى الأولى سنة 1295 / 30 ماي 1878.

دينية، مجالس، مخطوط، ص. 198 ؛ بوجندار، *الاغتباط*، ص. 278.

السرايري، عبد الرحمن الرباطي، فقيه مفت نوازلي تولى القضاء بالرباط بعد أن أخذ العلم عن شيوخ وقته ورحل إلى فاس فتتلمذ على شيوخ عصره. ذكره سليمان الحوات من جملة تلاميذ الشيخ بناني. له جملة وافرة من الفتاوي. اضطلع بالإفتاء والإرشاد والتدريس. له عدة تآليف، منها شرح *الزقاقية* جمع فيه بين شرح شيخه أبي حفص الفاسي وشرح ميارة.

ذكره الضعيف في معرض حديثه عن أحداث جمادى الأولى من سنة 1205 عندما روى الفتنة التي نشبت بين أهل الرباط بمناسبة توجيه محمد البوعزاوي بولقرايع على رأس خمسين فارسا من طرف السلطان مولاي اليزيد إلى الرباط للبحث عن المال الذي سلبه الوزير قادوس في عهد أبيه سيدي محمد بن عبد الله. وقال الضعيف بأن الفقيه عبد الرحمان السرايري كان على اتفاق مع محمد البوعزاوي والحاج عباس السرايري وابن القاضي التلمساني ضد ثلة معارضة من أعيان الرباط الذين ألقي القبض على بعضهم وجلد بعضهم الآخر كالفقيه ابن إبراهيم فرج والرايس محمد بن مبارك وأولاد مرسيل ومحمد فرج. لكن يظهر أن هؤلاء أقنعوا السلطان ببراءتهم مما جعل الكفة تنقلب على عبدالرحمن السرايري وأصحابه الذين أخرجوا بنسائهم من الرباط إلى سلا ثم وجهوا إلى مكناس.

توفي سنة 1207.

م. الضعيف، تاريخ *الدولة السعيدة*، تح. ذ العماري، الرباط، 1986، ص. 224 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 365 ؛ دينية، *مجالس*، ص. 127.

السرايري، محمد بن عبد الرحمان ليست هناك معلومات عنه سوى ما جاء عند الضعيف الذي قال "وفي يوم الأحد 6 شوال 1230 توفي الطالب محمد ولد الفقيه السيد عبد الرحمان السرايري الرباطي ودفن بوزان".

م. الضعيف، تاريخ *الدولة السعيدة*، تح. ذ العماري، الرباط، 1986، ص. 392.

عبد الإله الفاسي

سرْبيرَة وتكتب أيضا سلبيرَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Servira وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1189 / 1775.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1380.

محمد ابن عزوز حكيم

السرج من أهم وسائل تجهيز الخيل وتطوير النقل والتنقل بواسطة الدواب في مختلف العصور. والسروج والبراذع لها دور مزدوج الفائدة فهي تحافظ على الدابة وتريح الراكب، وصناعة السروج كانت مهمة فيما مضى لشدة الطلب عليها ولما تتطلبه من مهارة وإتقان ومواد أولية؛ وتختص الخيول عند امتطائها بالسروج، أما البراذع فخاصة بالبغال والحمير. وقد نجد في بعض الفترات والجهات وعند بعض الفئات اختلافا في الاستعمال مثل وضع سروج على ظهور البغال والحمير. ووضع براذع على ظهور الخيول : أما الإبل فلها سروج وبراذع خاصة بها تلائم طبيعتها الفيزيولوجية.

اشتهر المغرب بسروجه (*التشوف*، 120 ؛ *وصف إفريقيا*، 2 : 259 . 260 و261) فصناعتها تطورت عبر التاريخ خاصة في المدن والحواضر الكبري حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم لتصبح تحفة وقطعة فنية تغني تراثنا

الصناعي الأصيل لما أودعهُ فيها الصانع المغربي من إبداع وفن متنوع من تزويق وتطريز وترصيع وتوشية وما إلى ذلك حتى أصبحت هذه السروج والخيول الفارهة تكون قطعة متجانسة تسر الناظرين وكلاً لا يتجزأ، أي لا تكتمل جودة الفرس وقيمته وأناقته الا بسرج ثمين.

تختلف السروج باختلاف المستوى الاجتماعي لمقتنيها فالصانع المغربي لبى طلب جميع الفئات الاجتماعية وجميع الأذواق، فالمصادر أشارت إلى سروج باهظة الثمن. منها من أشار إلى سروج من الذهب (*تاريخ الضعيف*)، وهناك السروج المتوسطة والبسيطة، وقد اشتهرت بصناعتها في المدن العتيقة مثل فاس وسلا ومراكش وغيرها عائلات ما تزال بعض ألقاب حفدتها تذكر بها (عائلات السراج) (وصف إفريقيا) (موسوعة أعلام المغرب) لشدة إتقان الصناع المغاربة للسروج كان الطلب عليها كثيراً من داخل البلاد ومن خارجها وبلغت أثمنتها في مختلف العصور أرقاماً خيالية (مارمول، 1 : 69 و70 و71) وأرسلها الملوك. ومن الهدايا الملوكية التي يتردد ذكرها في المصادر كثيراً : الخيول بجهازاتها ويقصد بها السروج واللجم والركابات (*المسند*، 453).

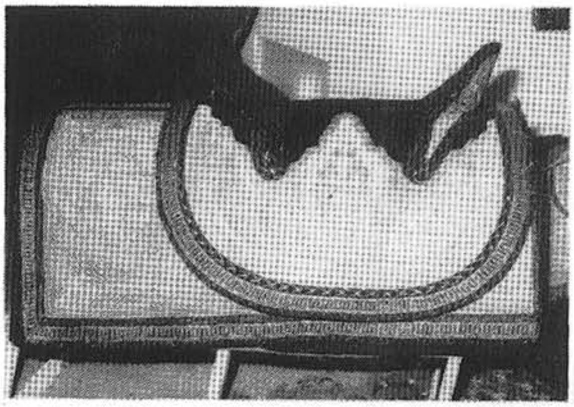

تأخذ الأحزمة التي تشد السروج إلى الخيول أسماء ومصطلحات خاصة : النطاق وهو حزام البطن.

- الصدرية وهو حزام الصدر وله تواشيح وتزيين يحمل الاسم نفسه.

- الطفر أو الثفر (*أمثال العوام*، 2 : 107) وهو الحزام الذي يشد السرج إلى الخلف ويمر أسفل الذنب ؛ وتتدخل في صناعة السروج عدة صناعات فرعية منها الدباغة بجميع أنواعها والنجارة (صناعة القرابيس) والنسيج والخياطة والطرز والزواقة والصباغة ؛ السروج العصرية المستعملة في رياضة الخيول اليوم لا علاقة لها بالسروج المغربية الأصيلة فهذه ما تزال موجودة في الفروسية التقليدية (التبوريدة) وما تزال صناعتها رائجة في نطاق محدود تقتصر على مدينة أو مدينتين (فاس ومراكش).

ي. التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1948، بيروت، 1983 ؛ العمري، *مسالك الأبصار*، الجزائر، 1924، الرباط، 1979 ؛ ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، المحمدية، 1976 ؛ *نفاضة الجراب*، القاهرة د. ت ؛ الزجالي، *أمثال العوام*، فاس، 1971 ؛ الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. العماري، الرباط، 1986 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ مارمول، *إفريقيا*، الرباط، 1989 ؛ م.الطويل، *النقل والتنقل في المغرب الوسيط*، أطروحة مرقونة، كلية الآداب بالرباط، 1998.

محمد حجاج الطويل

السَّرْدُورْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Sardor وSardon ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1156 / 1743.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1382.

محمد ابن عزوز حكيم

سرْديرا ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازلت هناك أسرَ إسبانية تحمل اسم Cerdera وCerdeira ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1383.

محمد ابن عزوز حكيم

السردين، سمك بحري مشهور في المغرب العربي بصفة عامة، يصنف إلى طائفة الأسماك الشائكة الزعانف وفصيلة الصابوغيات Clupeidae. والكلمة معربة تنسب إلى جزيرة سردينيا الإيطالية. يدعى أيضاً البلشار في بعض المعاجم وفي الشرق العربي نسبة إلى اسمه العلمي ساردينا بيلشاردس، Sardina pilchardus walbaum 1792. يعيش في بحار المناطق المعتدلة وشائع في البحر المتوسط والأماكن الدافئة من المحيط الأطلسي. سمك سطحي وينتقل عموديا وأفقيا في أسراب متعددة الأفراد ويصاد بكميات كبيرة على طول السواحل المغربية.

الجسم ممدد وتقطيعه بيضوي، تحمل الجانبية البطنية سلسلة من الدرقات الصغيرة، الفكان شبه متساويين ؛ الجهة السفلية للغشاء الخيشومي محززة ب.5 . 3 خطوط شعاعية واضحة، مصدر الزعنفة الظهرية في الجهة الأمامية من وسط الجسم. مصدر الزعنفة الشرجية في الجهة الخلفية ومبتعدة من الزعنفة الظهرية، الشعاعان الأخيران أطول بوضوح من الأشعة الأخرى. الطول الأقصى للكبر لا يتعدى 25 سم وشائع بين 15 . 20 سم.

الظهر أخضر زيتوني، الجوانب مذهبة إلى فضية جهة البطن، مجموعة من البقع الداكنة على الجهة العلوية من الجانبيتين، يعلوها أحيانا صف ثان أو ثالث من البقع. يعرف لنوع السردين صنفان وعدة سلالات محلية موزعة كالتالي :

1 . Sardina pilchardus sardina في المحـيط الأطلسي من مضيق جبل طارق إلى النرويج.

2 . Sardina pilchardus sardina في البحر المتوسط وفي البحر الأسود وفي المحيط الأطلسي من مضيق جبل طارق إلى موريتانيا.

سمك سطحي ساحلي يعيش على طول الهضبة القارية في أعماق تصل إلى 180 م وتكثر كثافته في أعماق تتراوح بين 25 . 55 م في النهـار وبين 15 . 35 م في الليل. تعـرف أربعة مخزونات طبيعية للسردين في السواحل المغربية : المخزون المتوسطي ويمتد على طول السواحل المتوسطية من سبتة إلى السعيدية والمخزون الأطلسي الشمالي بين طنجة والجديدة والمخزون الأطلسي الوسطي بين آسفي والعيون والمخزون الجنوبي بين بوجدور ولگويرة.

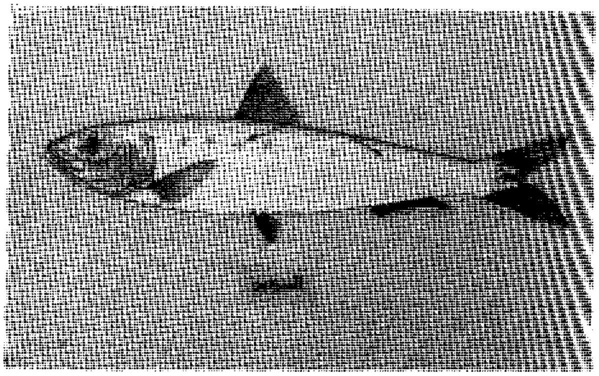

تقوم مجموعات المخزونات الأطلسية بتنقلات متزامنة على طول السواحل الأطلسية، نحو الشمال في فصل الصيف ونحو الجنوب في الشتاء. تقترب من السواحل المغربية منذ أواخر الربيع إلى الخريف وتكون أسرابا كثيفة وتبتعد عن السواحل متوجهة نحو أعالي البحار خلال الشتاء وبداية الربيع في أسراب صغيرة الحجم ومتفرقة. يتوالد من نونبر إلى مارس وتعتبر المناطق الممتدة من رأس درعة إلى طرفاية ومن رأس كـارنيت إلى رأس بارباس من الأماكن الأكثر استقرارا لتكاثر السردين بالمغرب. يستقر البيض بداخل الكتلات المائية السطحية وتصير الصغار ناضجة جنسيا بعد سنة يتراوح طولها بين 10 . 20 سم. تقدر الخصوبة ب 5300 إلى 38500 بيضة. يتكون غذاؤه من القشريات الصغيرة العالقة ومن حيوانات أخرى من العوالق.

صيد السردين في المغرب تقليدي في شمال البلاد وشبه صناعي وتقليدي في الجنوب. يصاد بحبال الصنانير العمقية والساحلية وبالشباك المزودة بالإنارة وبالجيبيات القعرية والسطحية وبالشباك المستقيمة القعرية والسطحية. وهو سمك موجود بانتظام في الأسواق السمكية الوطنية ويباع طريا، مبرداً، مجمداً، مملحا، مبخراً، معلبا أو على شكل زيت أو دقيق. يستعمل أيضاً طعماً للصيد.

بدأ استغلال سمك السردين في المغرب بشكل مكثف منذ بداية القرن العشرين مع ظهور صناعة تعليب وتصبير الأسماك السطحية (Industrie de conserve) وكانت الأساطيل آنذاك تتكون من وحدات أجنبية مجهزة بأحدث معدات الصيد والتبريد ومن وحدات مغربية أقل أهمية تقوم بصيد موسمي فصولي لتزويد مصانع التصبير. كثفت وحدات الصيد نشاطها على المخزون الأطلسي الشمالي بين طنجة والجديدة خلال النصف الأول من القرن العشرين وكانت كمية الصيد السنوية لا تتجاوز 15000 طنا (سنة 1942). عرفت هذه المنطقة انخفاضا ملموسا في مخزون السردين خلال الفترة الممتدة بين 1960 . 1973 ويعتبر ميناء الدار البيضاء وميناء العرائش من أهم موانئ المنطقة لاستقبال سمك السردين.

شرع استغلال صيد سمك السردين في المنطقة الممتدة بين أسفي وسيدي إفني مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية تلبية لرغبة الحاجيات إلى الأسماك المعلبة خلال 1930 .1950. وقد كان الأسطول يتكون من الوحدات المغربية فقط. كانت تتراوح. كميات صيد الأسماك السطحية الصغيرة بين 100000 . 200000 طنا (300000 طنا سنة 1973 و91000 سنة 1978) يشكل فيها سمك السردين حوالي 94٪ ؛ وقد عرف المخزون انخفاضا ملحوظا خلال العقد الأخير إذ لم تتجاوز كمية الصيد 50000 طنا خلال 1881 . 1992.

عرفت المنطقة الممتدة بين سيدي إفني والعيون نشاطا مكثفا لصيد الأسماك السطحية الصغيرة خلال العقود الثلاثة الأخيرة وقد بلغت كمية الصيد 130000 طنا سنة 1977 و1982 و1985. يتكون أسطول الصيد من وحدات مغربية ووحدات الاتحاد الأوروبي حسب اتفاقية الصيد المبرمة بين الطرفين. وقد أعطى ميناء طانطان المشيد سنة 1982 نفسا جديداً لاستقبال الأسماك إذ ارتفعت كمية الصيد من 25000 طنا سنة 1983 إلى 230000 طنا سنة 1991. وبالنسبة لميناء العيون المشيد سنة 1989 ارتفعت كمية الصيد السنوية من 16000 طنا سنة 1989 إلى 235350 طنا سنة 1997.

عرف مخزون الأسماك السطحية الممتد من بوجدور إلى لگويرة استغلالا مكثفا من طرف الأساطيل السوفياتية والبولونية خلال السبعينيات والثمانينيات تبعا لاتفاقيات الصيد المبرمة بين المغرب وهذين البلدين. وهي أساطيل كبيرة تتوفر على معامل للتصبير ومجهزة بمعدات الصيد والتبريد الحديثة. يكثر نشاطها في أعالي البحار حيث تقضي مدة طويلة دون أن تعود إلى الموانئ.

يعطي الجدول التالي مقارنة بين كميات الأسماك الساحلية وكميات سمك السردين المصطادة في البحار المغربية خلال السنوات الأخيرة.

السنة / الكمية بالطن	1994	1995	1996	1997	1998	1999
الأسماك الساحلية السطحية والقاعية	609952	728722	525022	661646	607129	622160
السردين	463681	570914	393362	497821	436048	430715

يعتبر السردين من أكثر الأسماك استهلاكا في المغرب وتتراوح كمية المصايد الشهرية بين 15000 . 70000 طنا يتم توزيعها على مصانع دقيق الأسماك والتعليب ويستهلك منها حوالي 25 . 30٪ أي ما يعادل حوالي 10000 طن في السنة. ويقدر معدل الاستهلاك السنوي الفردي للأسماك بست كيلوغرامات وهو معدل يقل بكثير عن 9 كغم المتوقع خلال السنوات الأخيرة. ومن باب المقارنة فإن معدل الاستهلاك السنوي الفردي للأسماك في فرنسا يبلغ 20 كغم وفي بريطانيا يبلغ 30 كغم و32 كغم في إسبانيا. يوضح الجدول التالي كميات السردين الموجهة إلى التعليب ودقيق الأسماك خلال سنتي 1998 . 1999 :

	1998	1999
التعليب : الكمية بالطن	164111	190000
عددوحدات التعليب	61	65
دقيق الأسماك : الكمية بالطن	255309	230000
مجموع السردين المصطاد : بالطن	436048	430715

م. رمضاني، *الأنشوفة*، *معلمة المغرب*، الجزء، 3، ص. 642 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, Rome, FAO, 1998 ; Ministère des Pêches Maritimes, *Rapport d'activité, 1999*, 63 p. ; *La mer en chiffre*, Rabat, 1999.

محمد رمضاني وعبد اللطيف برحو

سر الحروف والكلمات، علم روحاني يرجع أصله إلى ما كان من تركيز أحبار اليهود على الأسلوب الكتابي في التوراة فوجدوا أن الحروف موضوعة بتنسيق محكم ينمّ عما يرمي إليه من استعمال لقوى النور الكامنة في كل حرف، حسب استعمالاته في الكتاب المنزل.

ولأنهم كانوا كعادتهم منذ القديم يرمون إلى استخدام تلك القوى بقلبها لتصبح آلة هدم في أيديهم يحققون بها الغلبة، فقد استنبطوا من تموضعات الحرف وشكله وهيروغليفيته قاعدة حسابية أطلقوا عليها اسم "علم الحساب"، جعلوا فيها حرف "اليا ء" وينطق عندهم هكذا "يود" ويكتب بهذا الشكل (لا) أساسا لجميع الحروف، واعتبروه كالواحد في الأعداد، وأقاموا عليه ميزانا جعلوا على إحدى كفتيه حروفا قالوا إنها مذكرة وترمز إلى الرجل، وعلى الكفة الثانية حروفا قالوا إنها مؤنثة وترمز إلى المرأة، ثم جعلوا للحروف تقسيما يوافق الأبراج السماوية الاثنى عشر، وتموضعات توافق مواقع الكواكب السيارة، واستخدموا كل ذلك في الاتصال بأسماء أئمة الكفر القدامى من الأولين والآخرين، واستعملوه كذلك في التأثير على الناس، وفي استجلاب القوى الباطنية الظلمانية والإتيان بكرامات على غرار سحرة فرعون.

اعتمد بنو إسرائيل في هذا الأمر على ترتيب الحروف الأبجدية العبرية (المطابق لترتيب الأبجدية اللاتينية، ثم العربية فيما بعد : أ ـ ب ـ ج ـ د ـ ه ـ و ـ ز ـ ح ـ ط ـ ي ـ ك ـ ل ـ م... إلخ) وهذا الترتيب كان نتيجة العلوم التي جاء بها الأنبياء على امتداد الحقب الإسرائيلية، واستخرجوا منه قوى كل حرف بجعل علاقة بين رقمي الترتيب في الأبجدية ومقدار قواه وجعلوا يطبقون حساب هذه القوى والترتيبات لاستخراج الأسرار المتعلقة بالأسماء والأفعال التي تكوّنها الحروف الخاضعة لعمليات الحساب، للتأثير بها على الأشياء، أو التأثير على أصحابها.

وهكذا جعلوا للحروف المذكورة ترتيبا تتابعيا من 1 إلى 22، وترتيبا آخر للقوى يبدأ من الواحد إلى عشرة، تم من عشرة إلى مائة (بالعشرات) ومن مائة إلى ألف (بالمئات).

وأخذوا يضربون ترتيب الحرف في قوته ويضربون الحاصل في حواصل الحروف المكونة للاسم المراد التأثير فيه أو معرفة أسراره، ويستخرجون من عملية الضرب رقما كبيرا يحولون أعداده إلى حروف من جديد حسب الترتيب التتابعي للحروف، فيعطيهم اسما غريبا يعتبرونه "اسما لخادم الاسم" الخاضع للعملية ("جفرا") فيكون بمثابة العدد الذي يكرّر به ذكر اسم الخادم في كل عملية اتصال به، ويخضعون هذا الجفر لحسابات أخرى معقدة يعرفون بها الكوكب المطابق للاسم، وبرجه، وموقع الكوكب فيه، واليوم والساعة والدقيقة التي ينبغي أن تتم فيها عملية الاتصال وممارسة التأثير، وسموا كل ذلك "سحرا عاليا" (أو ساميا) (Haute Magic) ونسبوه إلى من سموه بالسامري الطيب.

وكان بنو إسرائيل بما وصلوا إليه يحاولون معرفة سر اسم الله تعالى بحثا عن الاسم الأعظم أو غير المنطوق الذي يعتقدون بأن الوصول إليه يعتبر منتهى المطلوب لكونه تتحقق به جميع المآرب، فكانوا يخضعون أسماء الله للقلب والتحريف عن المواضع مع جعل صلة لها بعناصر الطبيعة هكذا مثلا :

الله = ا ل ل ه

ا	ل	ل	ه	العنصر الأول للماء
ل	ا	ه	ل	العنصر الثاني للهواء
ل	ه	ا	ل	العنصر الثالث للتراب
ه	ل	ل	ا	العنصر الرابع للنار

وتبعاً لذلك،، يلجأ الذين يستعملون أسرار الحروف بالمغرب كما هو الشأن في مختلف البلاد العربية والإسلامية، إلى نفس الأساليب المذكورة باستخدام الأبجدية العربية المرتبة على نسق الأبجدية العبرية (ا ج ا د ه و ز ح ط ي ك م ن س ع ف ص ق ر ش ت ...) المكونة من 22 حرفا فحسب، مع إضافة في العربية تشمل الحروف الهجائية العربية المتبقية ظ، خ ... الخ.

وتستخدم في الطرق الأساليب المشار إليها أسماء لها علاقة بالكائنات التالية :

- الشخص موضوع العمل السحري ؛
- أمه، من أجل ضبط لحظة الميلاد ، وتلك هي اللحظة الحاسمة التي يتم فيها العمل بصورة بعدية ؛
- الكواكب المتوافقة مع الإسمين الأولين ؛
- الملائكة المتوافقون مع الكواكب المعنية إن كان العمل المراد تنفيذه خيرا ؛
- الشياطين والجان من المردة أو العفاريت بحسب المهمة، وحين يكون الفعل المراد إنجازه لا يدخل في مجالات اختصاص الملائكة في زعم السحرة.

غير أن النمط الأكثر شيوعا بين المشتغلين بسر الحروف المغاربة، المتمكنُ منهم والمشعوذُ على السواء، هو نمط الأوفاق القائم على الجداول، والذي تنقسم فيه هذه الأخيرة إلى خانات بعدد حروف الأسماء المعروضة على الفعل السحري، وبطبيعة الحال، فإن الحروف تحول إلى أعداد (كما سبقت الإشارة) ثم إلى أسماء جديدة منبثقة عن ضرب الأعداد في بعضها وطرحها وقسمتها ... الخ باستخدام أعداد جديدة لها علاقة بالحروف المكونة لرموز الكواكب السيارة...

ب	ط	د	و	ا	ح
ا	و	ب	ح	د	ط
د	ح	ط	ا	ب	و
ح	ا	و	د	ط	ب
و	ب	ا	ط	ح	د
ط	د	ح	ب	و	ا

نموذج جدول للوفق يستعمل في علاج "جريان الدم عند المرأة وقطعه عنها" وفيه تسعة أشكال، والشكل أعلاه لعلاج الدورة الشهرية الغزيرة عند المرأة.

ويلاحظ استعمال نفس السداسية من الحروف الرامزة إلى الأسماء والخدام المراد استخدامهم في هذا الفعل السحري (ب، ط، د، و، ا، ح) وقد تم وضعها هي ذاتها في أوضاع مختلفة في باقي الخانات. ويراد بهذه الأوضاع المختلفة الممكنة حصر الأسماء المطلوب استخدامها من جميع جوانبها والإحاطة بها من كل جهة خلال كل وضع محتمل مثلا :

فالإحاطة الكلية بالتركيبة الرباعية (1.2.3.4) هي :

4.3.2.1
1.4.3.2
2.1.4.3
3.2.1.4

وليس معنى هذا أن هذه هي الأوضاع الوحيدة المحتملة فهناك مثلاً الوضعان 4.2.3.1 و4.1.3.2 وهما غير واردين أعلاه، ولكن المطلوب هو عمل دورة كاملة على التركيبة العددية بحيث تبدأ بالعدد الأول إلى الأخير، ثم بالتالي إلى الأول، ثم بالثالث إلى الثاني، ثم الرابع إلى الثالث.

ومن المؤلفين المغاربة في الأوفاق وسر الحرف ابن عزوز المراكشي في مؤلفه *ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة* ؛ وأبو محمد بن تومرت في مؤلفه *قطرة الصانع في سمة الطبائع* ؛ ومحمد بن أبي بكر التواتي في مؤلفه *السر المغتبط في المخمس الخالي الوسط* ؛ وابن البناء في تأليفه *بذل المشتاق في علم الأوفاق* ؛ جلال الدين السيوطي، *كتاب الرحمة في الطب والحكمة*، بيروت، ص. 217.

Papus, *La Cabbale* (Tradition secrète de l'occident), Docteur Gerard Encause, p. 17 : *La Cabbale*, p. 74 : *Le tarot des bohémiens Clef absolue de la science occulte. Le plus ancien livre du monde.*

محمد عزيز الوكيلي

السرابة في الشعر الملحون منظومة شعرية يمهد بغنائها غالبا لإنشاد القصائد. وكانت العادة في البدء أن يمهد الناظم لقصيدته بسرابة تضبط ميزانها. ولذلك قالوا : "من لايوزن بسرارِبْ ميزانُو يبقى عايبْ".

وقد كان الشيخ الجيلالي امثيرد أول من سن هذه العادة، غير أنها انقطعت فيما بعد، فأصبح الأشياخ ينظمون قصائدهم دون اسرارب.

وقد ضاعت أغلب السرارب المنظومة، وأصبح أكثر الموجود منها مجهول المؤلف، وهي التي يطلق عليها "اسرارِبْ احراميينْ". وممن اختص في نظمها الشيخ نصيلة ومولاي الحسن البوعناني وبعض كبار أشياخ الملحون أمثال الجيلالي امثيرد، والتهامي المدغري، وسيدي قدور العلمي، والحاج أحمد الغرابلي.

تقوم السرابة من حيث النظم على ثلاثة اجزاء هي :

- الدخول : وهو أبيات قليلة يمهد بها للسرابة.
- الناعورة : أبيات قصيرة لاتقل عن الثلاثة، وهي ذات شطرين من نوع لمبيت. وتتلو الناعورة بقية أبيات السرابة.
- الردمة : شطر يتيم من النظم المرسل، تختم به السرابة، ويفضي إنشاده إلى الدخول في إنشاد القصيدة.

أما البنية الموسيقية للسرابة فتقوم من حيث اللحن على نفس الطبع الموسيقي الذي تنشد عليه القصيدة الممهد لها، ومن حيث الإيقاع على أحد الأسلوبين التاليين :

الأسلوب الأول : الكَباحي، وهو إنشاد حثيث خماسي الإيقاع، يصاحبه ضرب قوي ومتواصل بالأكف.

الأسلوب الثاني : الحضاري وهو إنشاد سريع مسترسل يقوم على إيقاع ثنائي الضربات.

ومن خلال تتبع نموذج كامل للسرابة يمكن ملاحظة أن أداءها يقوم على حركتين موسيقيتين هما :

1 ـ مقدمة آلية تتلوها توشية قصيرة.

2 ـ غناء أجزاء السرابة، وعبرها يسير الغناء في تجاوب بين المنشد المنفرد وبين المجموعة الصوتية (الشدادة) التي يكاد ينحصر دورها في ترديد القفلات النهائية للأبيات، وكأن غناءها صدى لما ينشده المغني المنفرد. وفي نهاية السرابة يجنح الانشاد إلى البطء تمهيداً للدخول في أقسام القصيدة :

ع. الجراري، معجم *مصطلحات الملحون*، مجلة *الفنون*، السنة الخامسة، العدد الأول، رمضان 1398 / 1978، ص. 32، م. الفاسي، *معلمة الملحون*، القسم الأول من الجزء الأول، السفر الرابع عشر، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1986، ص. 91 و148.

عبد العزيز بن عبد الجليل

السَّرَّاج، أسرة فاسية ـ تطوانية كبيرة أصلها من حمير من مدينة رندة بالأندلس انتقل فريق منهم إلى فاس في النصف الثاني من القرن السابع (13م) وأشهرهم الشيخ يحيى بن أحمد السراج صاحب *الفهرس الكبير*، وحفيده يحيى بن محمد السراج مفتي فاس وخطيب القرويين آتيا الترجمة.

كما انتقل فريق آخر من أولاد السراج إلى تطوان. ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Abencerraje ؛ وكانت هجرتها من غرناطة سنة 897 / 1492. ومن بين أفرادها محمد ابن محمد السراج الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1186 / 1772، ومحمد السراج آخر كان يزاول خطة الحسبة سنة 1292 / 1875.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون ؛ م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1377.

محمد ابن عزوز حكيم

السَّرَّاج، يحيى بن **أحمد** الحميري الرندي (الجدّ). فقيه محدث انتهت إليه رآسة الحديث في وقته. انتقل إلى فاس واستوطنها وصحب بها بلديّه الصوفي الكبير محمد بن عباد، وكانت بينهما مراسلات وإشارات. وإلى يحيى السراج هذا كتب ابن عباد *رسائله الكبرى* الشهيرة.

اشتهر السراج *بفهرسته* التي قال عنها صاحب *فهرس الفهارس* : "أجمع ما ألفه أهل فاس في هذا الباب وأوسع". وكان المترجم واسع الاطلاع كثير القراءة والرواية والسماع قال عنه ابن القاضي في *الجذوة* : "قلما تجد كتاباً في المغرب ليس عليه خطه، انتهت إليه رياسة الحديث وروايته".

توفي بفاس عام 805 / 2 ـ 1403 على الأصح، ودفن مع ابن عباد في ضريحه داخل باب الفتوح.

أ. ابن القاضي، جذوة، الرباط، 1974، 2 : 539 ؛ درة *الحجال*، تح. م. الأحمدي، القاهرة، 1970 ؛ م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 2 : 143 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، باعتناء إحسان عباس، ط 2، بيروت، 1982، 2 : 993 ـ 994 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، بيروت، د. ت. ص. 356 ـ 357.

السراج، يحيى بن **محمد** (الحفيد) مفتي فاس وشيخ الجماعة بها وخطيب القرويين، صاحب كراسي التفسير والفقه والنحو في جامعي القرويين والأندلس ومدرستي العطارين والحلفاويين.

ولد بفاس سنة 921 / 1515 وكان أكثر قراءته الفقهية *مختصر خليل*، والنحوية مغنى *اللبيب* لابن هشام. وكانت طريقته في الإلقاء والتفهيم حسنة وصفها تليمذه إبراهيم الگلالي في كتابه *تنبيه الصغير من الولدان*، ولو أنه كان كثير الصياح على من تكلم في مجلسه بكلام عيي أو ملحون.

توفي بفاس يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى عام 1007 / 17 دجنبر 1597، ودفن يوم السبت الموالي بإزاء الشيخ عبد الرحمن الهزميري.

أ. المنجور، فهرس، الرباط، 1976، ص. 79 ؛ أ. ابن القاضي، جذوة، الرباط، 1974، 2 : 540 ـ 541 ؛ درة *الحجال*، تح. م. الأحمدي، القاهرة، 1970 ؛ *لقط الفرائد* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 3 : 1098 ؛ إ. الگلالي، *تنبيه الصغير من الولدان*، مخطوط ؛ ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ ع. الرحمن الفاسي، *المنح البادية*، مخطوط ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ط. حجر فاس، 2 : 332 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 2 : 362.

محمد حجي

السَّرُّوخ، عبد السلام بن المبارك، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني گرفط انضمّ إلى صفوف المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف أحمد الريسوني؛ وشارك في عدة معارك ولقي الشهادة في المعركة التي جرت باللوزيين يوم 18 مارس 1919.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

سرطان البحر، يطلق في مفهومه الواسع على أجناس وأنواع حيوانات بحرية يفوق عددها مائتي نوع في المياه المغربية، وهي من اللافقريات المفصليات ومن طائفة القشريات ورتبة عشاريات القوائم القصيرات الذيل

الماشيات. تسمى بعض الأنواع منها بوجنيبة وأبو جلمبو. والكلمة اللاتينية Cancer مشتقة من الكلمة الهندية القديمة كرناتي Crnati وتعني الكسر أو التفتيت أو القتل، ولعل هيئة السرطان التي تبعث الاشمئزاز والانزعاج ومنظر درقته الخشنة وقوائمه الخطافية وملاقيطه المهددة ومشيه على الجوانب هي سبب تسميته هكذا. ولكن على الرغم من هذه المميزات البشعة فهو حيوان غير شرير يخشى الإنسان بصفة عامة ويستخدم ملاقيطه فقط في حالة الدفاع عن النفس والقبض على الفريسة أو في العراك مع بعضه بعضا.

والسرطان Cancer في علوم الحيوانات اسم يطلق في مفهومه الضيق على جنس من فصيلة السرطانيات Canceridae ويشتمل على نوعين يعيشان في البحار المحيطة بالمغرب :

ـ السرطان المسنن Cancer billianus Johnston, 1861 يسمى بالفرنسية Tourteau denté وبالإنجليزية Toothed rock crab وبالإسبانية Jaiba de roca dientuda درقته الظهرية بيضوية الشكل ومسطحة تتخللها تجاعيد قوية، يبلغ طولها 13 ـ 14 سم ويتعدى عرضها أحيانا 20 سم، لونها أسمر بني شاحب إلى رخامي داكن ومحمر. مؤخرة القوائم سوداء، شعيراته طويلة ومصفرة. تحمل الجبهة 5 أسنان مفرجة وصغيرة، تحمل الجهة الجانبية الأمامية 9 أسنان. تنتهي زوجة القوائم الأمامية بملاقط قوية وخشنة يحمل كفها درينات مستدقة الرأس وبداخلها أسنان حادة. زوجات القوائم الأربعة الأخيرة متشابهة ونحيلة تحمل شعيرات وصفوفا من الشويكات.

سرطان البحر

يقتصر توزيعه الجغرافي على السواحل الأطلسية الشرقية الممتدة من شمال أوروبا إلى شواطئ العيون جنوب المغرب وشائع أيضاً في البحر المتوسط وبضواحي جزر الكناريا ومديرا والآصور. يعيش بعيداً عن الشواطئ في أعماق تتراوح بين 37 ـ 620 م. يصاد في المغرب بالجيبيات العمقية وغالبا ما يصدر إلى الأسواق الأوروبية حيث يكثر الإقبال عليه.

يتكاثر بالبيض وغالبا ما تضع الأنثى في فصل الشتاء بضعة آلاف من البيض تفقس يرقات غريبة الشكل شفافة وصغيرة. تعيش اليرقات طافية فوق الماء وتسلخ غطاءها الكيتيني من وقت لآخر، مغيرة شكلها في كل انسلاخ. وفي النهاية تستقر في القاع وتأخذ شكلها الأخير.

ـ الجنبري الصالح للأكل يدعى علميا سرطان باجارس Cancer pagurus Linnaeus يسمى بالفرنسية Tourteau poupart وبالإنجليزية Ox crab وبالإسبانية Jaiba de roca masera. درقته الظهرية بيضوية الشكل، محدبة وقليلة التجاعيد، يبلغ طولها الأقصى 20 سم وعرضها 30 سم، لونه أسمر محمر شاحب والصغار شديدة الحمرة. مؤخرة القوائم والملاقط سوداء. تحمل الجبهة 5 أسنان منفرجة وصغيرة، تحمل الجهة الجانبية الأمامية 9 أسنان عريضة ومنفرجة ذات رأس دائري. تنتهي زوجة القوائم الأمامية بملاقط كبيرة جداً وملساء خالية من السنينات وخشنة يحمل كفها درينات مستدقة الرأس وبداخلها أسنان حادة. زوجات القوائم الأربعة الأخيرة متشابهة ونحيلة تحمل شعيرات سوداء وعديمة الشويكات.

يقتصر توزيعه الجغرافي على السواحل الأطلسية الشرقية الممتدة من شمال أوروبا إلى شواطئ القنيطرة شمال المغرب التي تمثل الحدود الجنوبية لانتشاره الطبيعي. ويعيش أيضاً في السواحل المتوسطية الشمالية. يعيش قريبا من الشواطئ في أعماق تتراوح بين 6 ـ 100 م ويفضل الأماكن الصخرية والرملية. يصاد في المغرب بالجيبيات العمقية وبالأقفاص المخصصة لصيد القشريات. تصدر معظم المصايد إلى الأسواق الأوروبية حيث يكثر الإقبال عليها. تؤكل عضلات البطن والملاقط ويستهلك طريا. نادر في الأسواق السمكية المغربية.

م. منيوي، بوجنيبة، *معلمة المغرب*، الجزء 5، ص. 1647 ـ 1648 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, Rome, FAO, 1998.

محمد رمضاني

السرغيني، صالح بن محمد. مقاوم ولد عام 1918 بقلعة السراغنة. والتحق بصفوف جيش التحرير المغربي بصحراء المغرب تحت مسؤولية لمرابط الأنصاري محمد بن المختار وخاض مع رفاقه عدة هجومات منها الهجوم الذي وقع على دار المراكشي بدوار عركوب ناحية إفني واستشهد في الساعة الخامسة صباحا من يوم فاتح يناير 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 501104.

السرغيني، الكبير فقيه صالح زاهد، ترجم له صاحب *السلوة*، وذكره بالعنبري كذلك، ناعتا إياه بالفقيه الإمام العلامة الهمام الزاهد الورع الصوام القوام الذاكر المسبح

الساجد الراكع في تفرغ أوقاته على الدوام، المدرس المحصل النفاع، المنور التلامذة والأتباع، ذو الخشية والمراقبة، والدأوب على الطاعة والمواظبة، مواصلا عنه بقوله بأن هذا العالم كان أحد أعلام الزمان المشهورين بالعلم والتحصيل والإتقان والزهد والورع والولاية والعرفان ".

ظهرت ألمعية الكبير السرغيني بفاس وسط العامة والخاصة، فكان أن ولي خطبة جامع الحمراء بفاس العليا، حيث كانت إقامته هناك مدة، بعدها انتقل للاستقرار بفاس الإدريسية، فتصدر لتدريس الفقه وعلم التوقيت والفلك.

توفي بفاس في 4 جمادى الثانية عام 1164 / 30 أبريل عام 1751 ودفن هناك بقبة سيدي أحمد اليمني.

م. القادري، *نشر المثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، 4، ص. 84، الرباط، 1986 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج. 2، ص. 342 ؛ الحسن شوقي، *قبيلة السراغنة خلال القرن التاسع عشر*، مرقون.

الحسن شوقي

السرغيني، محمد فنان تشكيلي ولد بمدينة أصيلا سنة 1341 / 1923 وبها قضى مرحلة الصبا وتلقى الدروس الابتدائية ليرحل بعد ذلك إلى مدينة تطوان قصد متابعة الدراسة الثانوية وبعد نهايتها عاد إلى مسقط رأسه استعداداً للرحيل خارج أرض الوطن من أجل التخصص في الفن التشكيلي. وقد تأتي له ذلك حين التحق بالمدرسة العليا للفنون الجميلة (San Fernando) بمدريد شعبة الحفر (Gravisme) وبموازاة دراسته الفنية حصل كذلك على الإجازة في العلوم الاجتماعية من جامعة غرناطة. كما كان يؤدي بعض الدروس في مؤسسات إسبانية في الفن التشكيلي وبعد حصول المغرب على الاستقلال التحق بأرض الوطن ليعين أستاذاً للرسم في التعليم الثانوي وبمدرسة الفنون الجميلة حيث كان أول إطار مغربي يدرس هذه المادة التي كانت حكراً على الأوربيين، وقد تخرج على يده العديد من الفعاليات في ميداني التشكيل والمعمار،

يعد محمد السرغيني رائداً للتشكيليين المغاربة الذين عملوا ومازالوا على الغور في جذور أصالة الثقافة المغربية والبيئة الصرفة التي نشأوا فيها، وقد أهله لذلك المحيط الأسروي الذي نشأ فيه وكذا المدينة الشاطئية الصغيرة أصيلا التي ألهمته بجمالهما وبساطة أهلها.

شارك محمد السرغيني في عدة معارض جماعية وفردية في كل من الرباط والدار البيضاء وتطوان ومدريد والأسكندرية وتونس والكويت وموريتانيا وفرنسا والسويد والدانمرك وسان فرانسيكو بالولايات المتحدة وعدة بلدان أخرى.

اتسمت أعمال السرغيني بالأصالة حيث جاءت تعكس رؤيا فاحصة للواقع المعيش وللحياة اليومية التي تعج بالمعاناة ولتكشف عن خبايا المجتمع المغربي من خلال نظرة ناقبة توحي بها رسوماته ومنحوتاته. يعتبر محمد السرغيني من المؤسسين الأوائل للجمعية المغربية للفنانين التشكيليين .

توفي حوالي سنة 1415 / 1995.

م. أديب السلاوي، *أعلام الفن التشكيلي العربي بالمغرب*، بغداد، 1982، ع 1، سنة 1999.

محمد بلعربي

السرغيني، محمد الصالح بن محمد المدني بن المقرئ محمد المعطي بن أحمد ينتهي نسبه ـ كما ورد في كتاب *حديقة الأزهار* ـ إلى الولي الصالح أبي موسى عمران ابن عمران بن محمد دفين غريس بدادس في ضاحية قلعة مگونة.

ولد بقبيلة السراغنة، فرقة فطناسة حوالي عام 1267 / 1850 ولما بلغ الرابعة من عمره أخذ والده يعلمه القراءة والكتابة مع تحفيظه القرآن الكريم في الكتاب التابع لمدرسة زاوية جده أبي محمد المعطي ولم يكد يبلغ (14) من عمره حتى كان قد حفظ القرآن الكريم، وأتقن تجويده، مضيفا إلى ذلك حفظ جملة غير قليلة من الأحاديث النبوية مع إلمام بمبادئ العقيدة والشريعة، وأهم علوم اللغة العربية.

وفي سنة 1281 / 1864 بعثه والده إلى مدرسة سيدي الزوين القرآنية القريبة من مراكش. وقد مكث بهذه الزاوية مدة ثلاث سنوات استظهر فيها القرآن الكريم بالقراءات السبع على يد منشئ الزاوية وإمامها الذي أجازه في ذلك وفي استيعاب معطيات علوم القرآن.

وفي عام 1283 / 1866 عاد إلى مسقط رأسه ليمضي هناك زهاء سنتين اختبره والده خلالهما في حصيلة رحلته العلمية الأولى قبل أن يأذن له في التوجه إلى مدينة مراكش حوالي عام 1284 / 1867 بنية الأخذ عن مشايخ العلم بجامعة ابن يوسف.

ثم شد الرحال إلى مدينة فاس عام 1288 / 1871 للأخذ عن علماء جامعة القرويين. ولم أقف على شيوخه بكلتا الجامعتين. وقد كانت السبع سنوات التي قضاها بفاس كلها كد واجتهاد مما لفت إليه أنظار شيوخه، ولما لمسوا فيه من تضلع في شتى المعارف الإسلامية، والآداب العربية، فأجازوه كتابة، أو ثناء عليه في المجالس العلمية وهذه الحضوة التي نالها من شيوخه جعلتهم يرشحونه للتدريس بجامعة القرويين، وفي بعض المساجد الأخرى، فاستجاب لدعوتهم. وقضى السنوات الثلاث الأخيرة من مقامه بفاس في القيام بمهمة التدريس والوعظ.

ويغادر مدينة فاس عام 1298 / 1880 عائداً إلى مسقط رأسه حيث تأهل ووضع اللبنات الأولى لبناء أسرته، وقضى هناك سنتين تخللتهما عدة رحلات إلى مراكش، ورباط شاكر، ورباط أبي محمد صالح.

وفي سنة 1300 / 1882 حل بمراكش وسكن بحي باب

أيْلاَنْ، ولم تمض على إقامته بمراكش مدرساً واعظاً مرشداً أكثر من سبع سنوات حتى أجمع علماء المدينة على تقليده منصب شيخ الجماعة للمدينة.

وعندما احتُل المغرب من طرف الاستعمار الفرنسي رأى الشيخ محمد الصالح أن يلزم بيته لا يغادره إلا للصلاة في المسجد المقابل لبيته، أو المسجد الكائن قرب درب قايد راسو يتطوع فيه بإعطاء دروس، ويتولى فيه إمامة الخمس وخطبة الجمعة.

وفي أوائل ربيع الثاني عام 1321 / 1903 التحق ـ على رأس جماعة من علماء مراكش ـ بالشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني بقصد الرفقة لأداء فريضة الحج عبر البحر.

توفي صبيحة يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر محرم عام 1347 / 26 يونيه 1928.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

السرغيني، محمد بن **محمد** المراكشي، ولد في أوائل العشرة الأخيرة من القرن (13 هـ / 19 م). وعاش يتيما في كفالة أعمامه وإخوته (*الإعلام*، 7 : 177).

درس العلوم الإسلامية على عدد من شيوخ العلم بمراكش وفاس منهم : عمه محمد المدني (ت. 1309 / 1891)، وابن عمه محمد الصالح، وأخوه للأب عبد السلام، والشيخ محمد ازنيط المراكشي. ثم لقي الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني بمراكش واخذ عنه، فأجازه في العلم والطريقة : (فظهر عليه فضله وانتشرت اسراره) (*الإعلام*، 7 : 177). وله فيه أمداح. كما حضر دروس الشيخ عبد الحي الكتاني بمراكش ووالده عبد الكبير بفاس.

أشار مترجموه إلى مكانته العلمية وتفوقه في الكتابة النثرية والنظم الشعري، فقال فيه صاحب : (*السعادة الابدية*، 1 : 53) : (كان من الحفاظ المحصلين، والفقهاء المحدثين، مليح الخط، جيد الضبط، كثير التقييد، ماهراً، أديباً، شاعراً) وقال فيه صاحب *الإعلام* (7 : 180) (كان ... ذا قلم بارع في النظم والنثر، واقدام على شرح الحقائق الصوفية).

مؤلفاته :

ـ *ديوان شعر في مدح النبي* ﷺ وأمداح شيوخه : أورد صاحب *الإعلام* (7 : 178) نماذج منها.

ـ شرح *الطلاسم في شرح صلاة القاسم*، للشيخ محمد الكتاني (مطبوع بمصر).

ـ *روض الجنان* في ما لشيخه من الخصوصية والعرفان.

ـ *المنحة العطوفية* في جواز الرقص للصوفية : قرظه إدريس بن علي السناني.

ـ شرح على *الانموذجية*، وآخر على *الحكم* (لم يكمل).

توفي يوم 9 أو 10 رجب عام 1329 / 7 يوليوز 1911 بمراكش ودفن بروضة باب اغمات.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، ط. 2، 1974 ـ 1983 ؛ م. ابن المؤقت، *السعادة الابدية*، طبعة حجرية، 1335.

حسن جلاب

السرغيني، محمد بن **المعطي** المراكشي، ينتسب إلى السادات العمرانيين، جاء أسلافه إلى السراغنة بتاساوت.

ولد في حدود 1245 / 1829. نشأ في بيت محافظ، مرفه العيش، وترعرع في وسط علمي حيث تعهده والده بالرعاية والتربية والتعليم. قرأ القرآن على الشيخ المهدي الدكالي. وبعد حفظه للقرآن الكريم انكب على تلقي العلم، ومجالسة الشيوخ. ويعتبر والده أول شيوخه حيث درس عليه القرآن بالروايات السبع، وسمع منه *الشاطبية*، وضبط الخراز، وشيئا من مورد *الظمآن*، و*المرشد المعين*، و*الآجرومية*. كما درس على محمد بن الطيب السجلماسي المراكشي، وعلى أحمد بن حنين السرغيني الحمزاوي، والحاج أحمد المرنيسي والطالب بن حمدون ابن الحاج الفاسي بفاس زمن قضائه بمراكش وغيرهم كثير.

وبعد استكماله الدراسة وحصوله على الإجازة من جل شيوخه تصدر للتدريس والإفتاء بمراكش، وأخذ عنه جماعة من أهل العلم، وختم قراءة صحيح *الإمام مسلم* بضريح مولاي علي الشريف بمراكش، وحضر هذا الختم علماء المدينة والخليفة ووزراؤه وقال في ذلك قصيدة تضمنت مدح الكتاب ومؤلفه.

توفي ليلة ثاني عشر محرم 1296 / 6 يناير 1879، ودفن بجانب ضريح القاضي عياض عن يسار الداخل. أما تآليفه فهي :

1) *حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخيار* : فهرسة شيوخه ترجم فيها لجماعة من مشايخه وهي أشبه بمجموعة أدبية. مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط.

2) *شرح بردة المديح* سماه *التوشيح لبردة المديح*. مخطوط خ. ع.

3) *كناشة* : مشحونة بالفوائد، متنوعة الموضوعات، مخطوط خ. ع.

م. الموقت، *السعادة الأبدية*، 1 : 91 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 29 ؛ م. السرغيني نفسه، *حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخبار*.

أحمد متفكر

سركوح، يحيى بن أحمد مقاوم من مواليد سنة 1930 بزيني ناحية طنطان. كان شديد الغيرة على وطنه، وعلى الرغم من تنقل عائلته التي تمارس الكسب المستمر بحثا عن الكلأ لماشيتها فقد كان من الأفراد الأوائل الذين التحقوا بصفوف جيش التحرير المرابط بالصحراء المغربية حيث عمل بالمقاطعة السابعة تحت قيادة إيدا ولد التامك.

شارك مشاركة فعالة في جميع المعارك التي خاضها جيش التحرير أبان خلالها عن شجاعة صادقة وواصل كفاحه بكل تفان وإخلاص إلى أن استشهد سنة 1959 بالساقية الحمراء.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 500495.

سَرْنُـو، (قرية -) ذكرها ابن الزيات على أنها بدكالة، وزاد مارمول أنها مدينة صغيرة مسوَّرة، ويقول أحمد التوفيق، معلقاً على ما ورد في *التشوف* إن آثارها معروفة ولا ينطبق موقعها على موضعه عند ماسينيون في خريطة دكالة، كما رسمها في كتابه *المغرب في أوائل القرن السادس عشر*.

وما تزال أطلال هذه المدينة قائمة على بعد ثمانية عشر كيلومتراً تقريباً من مدينة أسفي، شمال شرقي هذه المدينة وغيرَ بعيد عن سيدي مبارك مولى الوليد. ويظهر من الأطلال التي تغطي مساحة تبلغ اثني عشر هكتاراً أن هذه المدينة كانت واسعة جداً، غير أنه لم يبق منها اليوم سوى سور غليظ كان مبنيّاً على الطريقة الإفريقية القديمة (التّابْية).

وسرنو من الأماكن التي تتوفر على الماء بواسطة الآبار التي كانت موجودة فيها. وفي داخل هذه المدينة، توجد مئات المطامير في حالة إهمال كامل، وهي شديدة الشبه بالآبار، الشيء الذي جعل دوتي يعتقد أن سرنو هي مدينة مائة بير التي وصفها الحسن الوزان. وفي هذا الصدد يقول بوشرب إنه لا عبرة بهذا الإدّعاء، لأن الأوصاف التي أعطاها الرحالة المغربي تنطبق على مدينة كانت على الجرف الرابط ما بين سهل عبدة ونجد الكنتور.

أما الحفر غير المنتظمة التي توجد خارج سور المدينة والتي تبعد عن بعضها بعضاً بخمسة وعشرين متراً، فيظهر أنها كانت مجرد مقاطع لا ستخراج الأحجار التي شيدت بها جدران هذه المدينة وأبراجها. وما زلنا نلاحظ آثار بعض هذه الأبراج خارج السور. وتدل آثار المطامير الكثيرة الموجودة في هذه المدينة على كثرة إنتاج الحبوب بهذه الناحية.

ولقد كانت سرنو مقراً للمتعاون يحيى بن تاعفوفت الذي كان يتصرف فيها ويستخلص ريعها كما لو كانت ملكاً خالصاً له، بعد أن وهبها له ولأولاده ملك البرتغال إيما نويل الأول برسالة مؤرخة في 25 غشت 1514، جزاءً له على صموده في وجه الوطاسي وعلى الهزيمة التي ألحقها بقواد هذا الأخير في معركة الجمعة يوم 14 أبريل 1514.

ولما حاول الناصر الوطاسي مطاردة يحيى بن تاعفوفت، تفادى هذا الأخير الاصطدام معه واكتفى بتسميم الآبار وإغلاقها لإرغام الوطاسي على مغادرة المنطقة، فلم يبق في استطاعة الناصر الوطاسي إلاّ تخريب سرنو. وتقول بعض المصادر البرتغالية إنه بقي بسرنو بعد تخريبها من الحبوب الشيء الكثير.

وفي سنة 1517، قام أهل عَبده وبعض رجال الغربية بنهب قرية سرنو. ويقول مارمول إن هذه القرية عمرت مرة ثانية بعد أن أخلى المسيحيون أسفي، لأن البلاد جيِّدة كثيرة القمح والمراعي.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء ؛ بوشرب، *دكالة*، الدار البيضاء ؛ دوتي، *مراكش* ؛ مارمول، *إفريقيا*، الرباط.

محمد الشياظمي

السرنوف العكري أو السرفوق العكري كما هو شائع في المغرب، وعقاب نسرانية كما في بعض معاجم الحيوانات بالشرق العربي، طائر من الكواسر النهارية، كبير الحجم يألف الصخور والأجراف الساحلية وضفاف الأنهار. ومصبات البحيرات. يصنف في رتبة الجوارح Rapaces falconiformes وفصيلة الصقريات Accipitridae. السرنوف إسمه الشائع في المغرب ويسمى في الشرق العربي وفي مصر المنسوري والناسوري والقريع والكتاف. يدعى علميا Pandion haliaetus وبالفرنسية Bulbuzard pêcheur وBulbuzard fluviatile وبالإنجليزية Osprey وبالإسبانية Aguila pescadora وبالإيطالية Falco pescatore.

يشبه السرنوف العقاب الصغير في شكله ؛ وتتميز الذكور منه برأس أبيض متوج بريش بني. العينان محفوفتان بالسواد، قزحيتهما صفراء شاحبة، الريش بني داكن على الظهر وأبيض على البطن والصدر. المنقار معقوف وقوي أبيض مخضر، المخالب مقوسة بيضاء مخضرة. تتميز الإناث بشريط طويل من الريش البني على الصدر. أسفل الذيل مخطط بالأبيض والبني : يبلغ طول الجسم 60-70 سم ويزن 1200-2000 غراما، تبلغ بسطة الجناحين 150-190 سم. يعيش منعزلا أو مزدوجا ونادراً وسط مجموعات قليلة الأفراد. يشتهر بالمهارة في صيد الأسماك ويقدر نجاح حصوله على فريسته أثناء الغطس بـ 90٪. يحلق في الفضاء راسما حلقات دائرية واسعة وبعد تمييز فريسته بداخل الماء يطوي جناحيه إلى الخلف ويرخي مخالبه ثم ينطلق عمودياً كالسهم ليغطس في الماء بضعة ثوانٍ ثم يعود إلى صخور الأجراف ماسكا السمكة بين مخالب إحدى القائمتين.

السرنوف العكري

السرنوف العكري طائر نادر على الصعيد العالمي ويرجع إحداث المنتزه الوطني للحسيمة إلى وجود سرب كبير من هذا الطائر يفوق عدده 40 فرداً مستقر طول السنة في المنطقة الوسطى لجبال الريف. وتعتبر هذه المجموعة من أكبر المجموعات في العالم تتوالد غرب الحسيمة وعلى صخور أجراف مناطق بقوية Massif de Bokkoyas. يأوي هذا المنتزه الوطني أيضاً عدة مجموعات من أنواع الطيور كنورس أودواني وغيره وتبلغ مساحته 4700 هكتاراً. يحمل خاتم المنتزه الوطني للحسيمة صورة لطائر السرنوف كما يظهر ذلك على الرسم وذلك لتحسيس سكان وزوار المنطقة بحماية هذا الطائر.

يتوالد السرنوف في بضعة مناطق ساحلية بحوض البحر المتوسط وفي شمال أوروبا، ومن بين هذه المجموعات 30 ـ 50 زوجة تأتي من أوروبا كل سنة لتشتو من شتنبر إلى مارس في بضعة مناطق رطبة بشمال المملكة نذكر منها مرجة مولاي بوسلهام ومحمية سيدي بوغابة وسد سيدي محمد بن عبد الله ومشرع كليلة وسد القنصرة وسد عبد المومن الذهبي قرب ورزازات ووادي تنكرت ووادي سوس ووادي ماسة ووادي شبيكة ومصب وادي ملوية. يتراوح عدد الأفراد في هذه المناطق بين 1 ـ 5. من المحتمل أن بعض الزوجات تضاف كل سنة إلى السرب المستقر بالحسيمة. يمكن مشاهدة هذا الطائر طول السنة في المنطقة المتوسطية الساحلية الممتدة بين الحدود الجزائرية وسبخة بوعرك ومن الحسيمة إلى وادي مطير. تمت مشاهدة تسعة أفراد تحمل خاتما وضع في السويد وفرد من فنلندا وآخر من شمال بريطانيا وفردين يحملان خاتمين من السنغال.

يتوالد في المغرب منذ أبريل إلى غاية شهر يوليوز. ينصب الزوجان العش بين أطراف صخور الأجراف الساحلية الصعبة المنال غرب الحسيمة وعلى بعض صخور الجزر الجعفرية Iles Chaffarines وعلى الصخور المقابلة لها بمنطقة مصب وادي ملوية ورأس كبدانة، وهو عش ضخم قد يبلغ قطره أحيانا متراً ونصف ويتعدى علوه مترا : يتكون من الأغصان اليابسة ومن الطين ويفرش بقطع الأعشاب وأوراق الأشجار. يستعمله الزوجان كل سنة مع إعادة ترميمه. تبيض الإناث 2 ـ 4 بيضات بيضوية الشكل مصفرة ومزركشة أو منقطة بالبني المحمر وأحيانا بالرمادي، يبلغ طول قطريها 61.6 × 36.6 ملم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 33 ـ 38 يوما. تبقى الصغار بداخل العش حوالي شهرين قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا بين شهر يونيو وشهر يوليوز.

السرنوف طائر محمي لا يصاد، يتكون غذاؤه خاصة من الأسماك ويأكل أحيانا الطيور الصغيرة والقشريات المائية. يعيش في مختلف المناطق الساحلية المغربية وبالمناطق الرطبة القارية بكثافة ضعيفة جداً. بعض المجموعات تتوالد في شمال أوروبا وفي جزيرة كورسيكا وجنوب فرنسا وإسبانيا.

م. رمضاني، بولحية، معلمة المغرب، الجزء 6، ص. 1845 ؛ *الرخمة*، *معلمة المغرب*، الجزء 13، ص. 4323 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان ـ ط. 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

P. Bergier, *Les falconiformes marocains. Statuts, Répartition et Ecologie. Annales CEEP (ex. CROP)*, n° 3, 1987 ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North African and the Middle East*, 1979 ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977.

محمد رمضاني

السَّرْو شجر، أو سروال أو عريش بالعربية، أو أزل أريلاً أو بَسْتان بالأمازيغية، سيبري Cyprès بالفرنسية هي أسماء لجنس كوبريسوس Cupressus الذي ينتمي إلى فصيلة السّرويات Cupressaceae التي تضم أجناس العرعر (انظر العرعر، أزوگا، أيفس، أوال) والتُوي الشرقية أو تُويا الصين وهي علميّاً بيوطا أوريونطاليس Biota orientalis.

يُمثل جنس السرو في المغرب بعدة أنواع، منها نوع واحد طبيعي وقبسي خاص بالسفوح الجبلية لوادي نفيس بالأطلس الكبير الغربي. أما الأنواع الأخرى فهي دخيلة.

من أهم أنواع السرو بالمغرب :

ـ سرْو الأطلس بالعربية أو آزل أو آريلاً بالأمازيغية المحلية هو كوبريسوسْ أطْلنطيكا Cupressus atlantica. إنه النوع الطبيعي الخاص بالمغرب. ويتميز عن الأنواع الأخرى بجمال هيئته ولون أوراقه.

نوع شجري طويل القامة قد يبلغ 40 م من الارتفاع. وقد يتجاوز قطر جذعه المتر. له هيئة مخروطية الشكل ومنتصبة لكنها متهدلة. لحاء جذعه رقيق أملس في الصغر وقشرته مشققة طولانيا في الكبر وذات لون أشهب ومسمر. أغصانه رشيقة ومتدلية وغير منتصبة. أوراقه حرشفية، مثلثة، فضية اللون. ثماره كروية أو شبه كروية الشكل، صغيرة الحجم إذ يتراوح قطرها ما بين 18 و22 مم.

تصادف الأنظمة البيئية لسرو الأطلس في غابة أغبار الموجودة في حوض وادي نفيس العلوي على مساحة تقدر بحوالي 6000 هـ، ما بين 1100 و1800 م من الارتفاع أي في الطابقين المتوسطي الدافئ والمتوسطي وفي البيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب.

سرو

يختلط سرو الأطلس في المستويات السفلى مع العرعر البربري والعرعر الأحمر، وفي المستويات العليا مع البلوط الأخضر.

نظراً لندرة وخاصية هذا النوع القبسي، أحدثت محمية أغبار للمحافظة على أنظمته البيئية الفريدة، والمحيطة بمسجد تينمل العتيق مهد الدولة الموحدية.

يعطي سرو الأطلس خشبا متينا مستديما غير متعفن يصلح لنجارة الأثاث وللخدمات وللمعادن، ولإنشاء سقوف المنازل كما هو الشأن بالنسبة لخشب أنواع العرعر. كما تستعمل أوراقه في التطبيب التقليدي.

لكنه نادراً ما يستعمل في عمليات التشجير بالرغم من سعة نموه وجمال هيئته ولونه.

- السرو المتوسطي أو السرو دائم الاخضرار هو كوبريسوسْ سمبرفيرينس Cupressus sempervirens الذي هو أكثر شيوعا في كل المناطق المتوسطية العالمية حيث يوجد طبيعيا واستعمل منذ أقدم العصور للزينة ولإنشاء الأسيجة الحية المحيطة بالضيعات أو بمقابر المسيحيين واليهود.

وموطنه الأصلي هو حوض البحر المتوسط حيث مازال ينظم بعض الغابات في كل من تونس (غابة مكثر) وليبيا بالجبل الأخضر واليونان وسوريا وإيران ...

يتميز السرو المتوسطي عن النوع السابق بقصر قامته إذ لا يتعدى 30 م من الارتفاع، وبأغصانه الكثيفة غير المتهدلة التي تكون إما أفقية بالنسبة للضرب الأفقي var. horizontalis أو منتصبة بالنسبة للضرب الهرمي var. pyramidalis. كما يتميز أيضاً بأوراقه ذات اللون الأخضر الداكن، وبثماره الكروية أو البيضوية الشكل ذات الحجم المتراوح ما بين 20 و40 مم طولا. (الهرمي : ما بين 20 و35مم، الأفقي : ما بين 35 و40 مم).

استخدم السرو المتوسطي منذ أقدم العصور للزينة في الحدائق أو بجوانب الطرق أو لإنشاء الأسيجة الحية كمصدات الرياح حول الحقول والضيعات، أو لإحاطة الأماكن المقدسة عند المسيحيين واليهود، وذلك في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة الحارة منها والمعتدلة والباردة.

يستخدم خشب السرو المتوسطي في الخراطة لصناعة الخزائن وأشياء أخرى وكذلك الأعمدة وصناعة الصناديق.

كما تستعمل الصمغة والأوراق والثمار في التطبيب التقليدي.

- سرو لامبيرْ أو سرو كالفورنيا أو كوبريسوسْ ماكروكاربا Cupressus macrocarpa وهو أكثر الأنواع استعمالا في المناطق المتوسطية الساحلية، وذلك لتكوين الأسيجة الحية ومصدات الرياح.

ينفرد عن النوعين السابقين بهيئته ذات الشكل الهرمي وقاعدته الموسعة وقمته المسطحة عند تقدمه في العمر الذي لا يدوم طويلا، وكذلك بأغصانه التي تكوّن مع الجذع بصفة منتظمة زاوية قدرها 45 درجة. لحاء جذعه أكبر سمكا. أوراقه ذات لون أخضر مفتوح يميل إلى الاصفرار، وجد عطرة، وعطرها يشبه عطر الليمون. ثماره ذات حجم يتراوح ما بين 25 و35 مم، ولون أسمر يميل إلى الاحمرار، ومجتمعة في أغلب الحالات في مجموعات مشكلة من 6 إلى 10 مخروطات.

الموطن الأصلي لسرو لا مبير هو منطقة خليج مانتوري على ساحل المحيط الهادي بوسط كالفورنيا ذات المناخ المتوسطي الشكل. ولأنه سريع النمو فقد أدخل بعد اكتشاف أميركا إلى كل المناطق الساحلية من البلدان المتوسطية بحوض البحر المتوسط ووسط الشيلي، وجنوب إفريقيا وجنوب غرب استراليا.

ففي المغرب نجده يفضّل عن النوع السابق في استخدامه على طول السواحل حيث تسمح الحرارة الملطفة والمعتدلة بغرسه لأجل إنشاء مصدات الرياح أو الأسيجة الحية حول الحقول والبساتين.

يغرس بدون ري في البيومناخات شبه الرطبة والرطبة.

نظراً لنموه السريع وعمره القصير، يعطي هذا السرو خشبا أقل جودة، لا يستعمل إلا استثنائيا في النجارة والخدمات.

- سرو أريزونا أو كوبريسوسْ أريزونيكا Cupressus arizonica الذي يتميز عن سابقيه بقامته التي لا تتجاوز 15م من الارتفاع وبجذعه القصير وتاجه الكثيف والمخروطي الشكل، وبقاعدته العريضة وقمته المستديرة، وبفروعه الأفقية، وباللون الأحمر المفتوح الظاهر على لحاء الأغصان والجزء الأعلى من الجذع، وبقرفه الليفي والمشقق على الجزء السفلي من الجذع. لكن أهم ما ينفرد به هو اللون الأخضر الفضي المائل للزرقة الظاهرة على أوراقه ذات العطر القوي. ثماره شبه كروية وذات قطر يبلغ 20 مم.

الموطن الأصلي لسرو أريزونا هي المناطق الجبلية الجافة أو شبه الجافة المتواجدة في غرب الولايات المتحدة الأمريكية وشمال غرب المكسيك حيث يصادف إلى ارتفاع 2500 م فوق سطح البحر.

أدخل هذا السرو كشجرة زينة نظراً لجمال لونه وهيئته في جل المناطق المعتدلة والمتوسطية وشبه المدارية.

يغرس في المغرب للزينة أو في عمليات التشجير الجبلية في جل البيومناخات ما عدا الصحراوية منها والجافة. وأهم عمليات التشجير بهذا النوع هي التي أنجزت بالجزء الأوسط من الأطلس المتوسط، وخاصة بفرجات غابات الأرز والبلوط الأخضر.

من الممكن استعمال خشبه ذي اللون الأسمر المفتوح والعطر الزكي في النجارة وبعض الخدمات.

A. Benabid, *Flore et écocystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000 ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

سْرُو (واد -) يحد حوض واد سرو (الشكل رقم 1) شمالا وغربا بحوض نهر أم الربيع، شرقاً وجنوباً بواد ملوية العلوي. ويصرف كل المنطقة الجنوبية والجنوبية الشرقية لهضبتي أجدير وسرو، ويأخذ منبعه من المنخفض الطولي للزاد وجبل إكردان (2258 م) حيث يوجد واد زاد الذي يعد من أهم روافده العليا.

يعتبر واد سرو من أهم روافد نهر أم الربيع، ويتميز بحوض شبه طولي ذي اتجاه عام شرق شمال شرق - غرب جنوب غرب، يصل مؤشر تراصه (k) إلى 1,2 وهي قيمة تقترب من المربع (k = 1.12) الشيء الذي يجعل فيضاناته شبه قوية. فإذا كان مؤشر التراص يساوي 1 فهذا يعني أن الحوض يتميز من جهة بشكل دائري ومن جهة ثانية باستجابة سريعة للتساقطات مما يؤدي إلى فيضانات كارثية، في حين تدل القيم العليا لهذا المؤشر على أحواض طولية وعلى فيضانات ضعيفة وغير مدمرة. ومن أهم روافده نجد واد اشبوكة في الضفة اليمنى وأسيف ندونا في الضفة اليسرى.

تشكل معظم حوض واد سرو فوق صخور طينية ملحية ترياسية غير نافذة، يتلقى تساقطات تتراوح بين 500 ملم (محطة شاشا نملح، 780 م) و900 ملم في المرتفعات الشرقية (Martin, 1981) تتساقط على شكل ثلوج فوق المرتفعات التي يفوق ارتفاعها 1900 م. ويصل معدل الحرارة إلى 20,8C° بمحطة دشر الواد، في حين يمكن للنهايات العليا أن تسجل 40,3C° خلال شهر شتنبر، و1,3C° بالنسبة للنهايات الدنيا خلال شهر يناير.

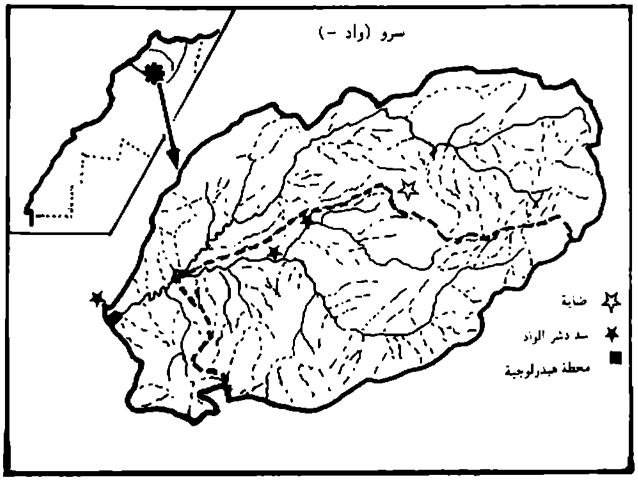

يندرج حوض واد سرو من الناحية البيومناخية ضمن نطاقين : نطاق شبه جاف في الواجهة الغربية من الحوض ونطاق شبه رطب ويوافق المناطق التي تتعدى ارتفاعاتها 1600 م.

يتميز بغطاء نباتي منفتح ومتدهور على شكل ماطورال يتكون أساسا من العرعار الأحمر والمجنح والزيتون البري والخروب وينتشر في المنخفضات وفي السفوح الجنوبية الشرقية الجافة، في حين تعرف منطقة ثالرين - كروشن وجزء كبير من هضبة سرو غطاء نباتيا عبارة عن غابة حقيقية تتشكل أساساً من الأرز والبلوط الأخضر.

النظام الهيدرلوجي : يعرف واد سرو نظاما هيدرلوجيا يتميز بتغيرات فصلية مهمة (الشكل رقم 2) :

- فترة المياه العليا وتوافق شهور دجنبر، يناير، فبراير، مارس وأبريل.

- فترة المياه الدنيا وتوافق شهور ماي، يونيو، يوليوز، غشت، شتنبر، أكتوبر ونونبر.

تعد المياه العليا والدنيا ظواهر هيدرلوجية فصلية تتميز بها جميع الأنهار كيف ما كانت ظروفها البيومناخية والصخارية، أما الفيضانات وفترات الشح فتعتبر من الظواهر الهيدرلوجية الاستثنائية وتتميز بعدم انتظامها في الزمان والمكان : الفيض عبارة عن انتفاخ سريع ومهم للصبيب ويمكن أن يحصل في أي لحظة خلال الدورة الهيدرلوجية، أما الشح فهو عبارة عن صبيب هزيل وضعيف، غير اعتيادي. ولإعطاء صورة واضحة عن الخصائص الهيدرلوجية، نسوق الجدول التالي الذي يمثل مقارنة بين الصبيب الاعتيادي لواد سرو عند محطة شاشا نملح (1400 كلم2) ونهر أم الربيع عند محطة ثغاط بخنيفرة (1060 كلم2) :

المحطات	DCM	DC1	DC3	DC6	DC9	DCE
شاشا نملح	13,5	9,1	5	3,4	1.9	1,4
ثغاط	24	22,2	18.8	14	12.6	11.2

DCM : الصبيب الاعتيادي للفيض وهو صبيب يتم تجاوزه 10 مرات خلال السنة.

DC1 : صبيب يتم تجاوزه 30 مرة خلال السنة.

DC3 : صبيب يتم تجاوزه 60 مرة خلال السنة.

DC6 : الصبيب الإعتيادي الوسيط وهو صبيب يتم تجاوزه 6 أشهر خلال السنة.

DC9 : صبيب يتم تجاوزه 9 أشهر خلال السنة.

DCE : الصبيب الإعتيادي للشح وهو صبيب يتم تجاوزه 355 يوما خلال السنة.

تكمن أهمية دراسة صبيب الشح للأودية في كونها ظواهر هيدرلوجية عادة ما توافق فصل الصيف وهي الفترة التي تعرف فيها المجالات المتوسطية طلبا متزايداً على الماء لأغراض مختلفة (سقي، تزويد المدن بالماء الصالح للشرب، إنتاج الطاقة الكهرومائية).

ويتضح من خلال الجدول أن واد سرو يعرف فترة شح طويلة وحادة نتيجة عوامل مناخية (جفاف) وعوامل بشرية (السقي) وعوامل صخارية تتمثل أساسا في بروز مواد

ترياسية غير نافذة من جهة وفي ضعف الخزان الكارستي المتمثل في فرشات مائية معلقة لا تسمح وضعيتها البنيوية بتشكيل خزان مهم يدعم وينظم الصبيب طيلة السنة من جهة ثانية. في حين يتميز نهر أم الربيع بالرغم من صغر مساحته بصبيب شح مرتفع يصل إلى 11.2م3/ ث، وذلك بفضل الدور الكبير الذي يلعبه الخزان الكارستي في تغذية وديمومة الصبيب. كما يتضح هذا الإختلاف على مستوى الصبيب النوعي إذ يصل إلى 15,8 ل / ث / كلم2 بنهر أم الربيع، بينما لا يتعدى 4,8 ل / ث / كلم2 بواد سرو.

الموارد المائية : تشكل العيون والأودية المورد الأساسي داخل الحوض، فسيادة الصخور الكلسية والدلوميتية المتشققة والمكرستة تسمح بتسرب مياه الأمطار التي تخرج على شكل عيون انسكابية عادية، تتمركز أساساً عند اتصال الصخور الكاربوناتية بالمواد الطينية الملحية الترياسية التي تشكل قاعدة غير نافذة للفرشة اللياسية. كما توفر المواد الغرينية على طول الأودية موارد مائية لا بأس بها تتمثل في فرشات طليقة تشتغل بواسطة آبار يتراوح عمقها بين 2 و5 أمتار. سمحت هذه الموارد، خاصة العذبة منها، بوجود فلاحة سقوية تتمثل في الأشجار المثمرة والخضروات، تنتشر بكيفية أساسية على طول أسيف ثومليلين، أروكو وأقا تاشبانث.

إشكالية الملوحة : تشكل ملوحة مياه واد سرو عائقا كبيراً في تطور القطاع الفلاحي بالمنطقة، إذ تتراوح كمية الأملاح (NaCl) بها بين 3200 و5800 ملغ / ل (أي 3,2 و5,8 غ / ل)، أما الموصلية فتتأرجح، من العالية إلى السافلة، بين 11400 و6040 µs/سم. وتعود أهمية الأملاح بمياه واد سرو إلى الانتشار الواسع للمواد الطينية الترياسية الغنية بالملح، وهي مواد تتميز بإذابة سريعة تفوق 1500 مرة إذابة الصخور الكاربوناتية وبدون تدخل غاز ثاني أكسيد الكاربون. وهكذا ينقل واد سرو كمية مهمة من الأملاح تتراوح بين 460000 و620000 طن سنويا (مشروع واد سرو، ص. 57 - 58).

إشكالية التعرية : فبالإضافة إلى مشكلة ملوحة المياه، يعرف حوض سرو تعرية مهمة تتمثل أساسا في التعرية المائية وفي الإنزلاقات، وتتداخل مجموعة من العوامل لتفسير هذه الظاهرة، من بينها نجد :

- الصخارة : وتتجلى من جهة في الإنتشار الواسع للمواد الطينية الملحية الترياسية في القاعدة ومن جهة ثانية في وجود مواد قفصية دلوميتية المرتفعة النفاذية في الأعلى.

- المناخ : ويتمثل في عدم انتظام التساقطات وتركزها في الزمان والمكان إذ تأخذ خلال فصل الصيف والخريف طابعا عاصفيا.

- نظام الإنحدارات : ويتجلى في شدتها ووعورتها، الشيء الذي يساعد على قوة وعنف السيل.

- الغطاء النباتي والإنسان : ويتجلى في تدهور وانفتاح الغابة وكذا في طرق الحرث واستغلال الأرض والرعي.

تفاعل كل هذه العوامل من شأنه أن يرفع من حدة التعرية التي تزود الواد بحمولة صلبة تتراوح بين 500000 و700000 طن في السنة (مشروع واد سرو، ص. 58)، الشيء الذي سيعرض المنشآت المائية، خاصة منها سد دشر الواد، إلى خطر التوحل. ولهذا يجب على المتدخلين في السياسة المائية وضع برنامج تهيئة مندمج للحوض يأخذ بعين الإعتبار جميع مكونات الوسط الطبيعي في علاقاتها مع احتياجات الإنسان القروي، يكون هدفه الأساسي الحد من التعرية ومواجهة التحديات المستقبلية (الماء الصالح للشرب والسقي).

إ. أمراروم، *أيت تدارت*، 1992 - 1993، عالية أم الربيع، دراسة هيدرلوجية بحث لنيل الإجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال؛ *المعطيات الهيدرلوجية*، وكالة الحوض المائي لأم الربيع، بني ملال.

P. Dubreuil, *Initiation à l'analyse hydrologique*, Paris, 1974 ; J. Martin, *Le Moyen Atlas central : étude géomorphologique*, Rabat, 1981 ; G. Remenieras, *L'hydrologie de l'ingénieur*, 1986 ; *Projet Oued Serou, Etude de base. Rapport général : analyse de la situation actuelle*. Rabat, 1988.

يحيى الخالقي

** مشروع واد سرو. يعرف هذا الحوض مشاكل متعددة تظهر على ثلاث مستويات:

المستوى الأول يتجلى في الاستغلال المفرط للموارد الطبيعية التي لا يمكن لوحدها أن تلبي حاجيات ساكنة تتزايد بشكل كبير.

المستوى الثاني اقتصادي يتمثل في قلة المجالات الزراعية وضعف مردوديتها التي لا تعوض المجهود المبذول في الاستغلال (1500 درهم كمعدل سنوي للفرد).

المستوى الثالث يتجلى في كونه مجالا معزولا يعرف فقراً شديداً في التجهيزات الأساسية إذا ما قورن بباقي مناطق المملكة.

نظراً لهذه الأسباب فقد شهد هذا المجال تدهوراً كبيراً خاصة في المجال الغابوي الذي أدى كنتيجة حتمية إلى تراجع إمكانية تسرب المياه وإلى تسريع نشاط التعرية وكلها عوامل ساهمت بالإضافة إلى ضعف الدخل في الزيادة من وتيرة الهجرة التي قدرت ب 10٪ من الساكنة الإجمالية.

ضمن هذه المعوقات يدخل مشروع واد سرو في إطار التعاون الثنائي التقني بين المملكة المغربية والجمهورية الفدرالية الألمانية وقد بدأ العمل به سنة 1987 بتوقيع الاتفاقية بين البلدين تكلفت بتنفيذه عن الجانب المغربي مديرية المياه والغابات والمحافظة على التربة وعن الجانب الألماني Deutsche Gesellschaft für technische Zusammenarbeit GTZ وقد اختيرت 5 محاور أساسية للتدخل بعد جمع وتحليل المعطيات الطبيعية والبشرية وهي :

- تجهيز المناطق المسقية بمنشآت مائية صغيرة ومتوسطة بإعداد وحفر الآبار، خلق صهاريج شرب الماشية، تجهيز

العيون وإنشاء قنوات سقي إسمنتية. وقد تمت هذه الأوراش بشكل يجعل عملية الاستغلال جماعية تهدف إلى التوافق وتجاوز الصراعات بين السكان.

- المحافظة على التربة عن طريق مقاومة أساليب التعرية بإعداد وتجهيز الخدات ميكانيا وبيولوجيا، بإنشاء أحزمة من الحجارة كسدود لمقاومة الانحراف وبخلق وتطوير مشاتل لتشجيع التشجير داخل الحوض. وقد لعبت هذه التدخلات دوراً كبيراً في حماية المنشآت المائية من التعرية خاصة الموجودة منها في المناطق المنحدرة.

- تنمية وتشجيع الأغراس المثمرة لدورها المزدوج سواء في حماية التربة أو الزيادة من مردود الاستغلاليات الفلاحية.

- تنمية وتطوير تربية الماشية بتشجيع الزراعات العلفية من جهة وتحسين المؤهلات الجينية للأبقار من جهة ثانية.

- تنمية وتحسين ظروف عيش المرأة القروية.

Projet Oued Srou (déc. 1988), *Rapport Général. Analyse de la situation actuelle*, DPA, Khénifra ; *Projet Oued Srou* (Fév. 2001), *Note de présentation du projet Oued Srou*, DPA, Khénifra.

عبد اللطيف حافظ

سرويلُ، أسرة سلوية يظن أن أصلها من الأندلس، من ذوي المروءة والعفاف، كانوا يسكنون بحي حمام الطالعة. واشتغلوا بالتجارة والعدالة والإدارة والجهاد.

وتذكر الوثائق منهم محمد سرويلُ الطبجي، ورد اسمه تحت عدد 81 في قائمة المجاهدين الطبجيين السلويين الذين أنعم عليهم السلطان الحسن الأول بصلة في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875 ؛ ومنهم محمد بن بنعيسى سرويل الذي كان سنة 1292 عدلاً بمرسى العدوتين.

وثائق خ. ص ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996 ؛ *التعريف بني سعيد السلاويين*، الرباط، 1991، ج 2 : 151 و279.

محمد حجي

سْري (أيت -) إحدى إتحاديات قبائل جنوب الأطلس المتوسط أو مجموعة واد العبيد، إلى جانب اتحادية أيت سخمان واتحادية أم البخت وغيرها.

وكان عدد كوانينها إبان مطلع عهد الاستعمار حوالي 4500 خيمة. وتحدد موقع ترابها من الشرق بواسطة خندق واد واويزغت، وفي الغرب بسهل تادلا، وفي الشمال الشرقي بواسطة إيشقيرن وعيون واد واويزغت وأيت حودي وفي الجنوب الغربي بواسطة جبل تاسميطت الذي يرتفع حتى 2138 متراً.

ويعد جميع أيت سري تقريباً مستقرين لأنهم أقاموا في بلاد غنية مشهورة بسقيها وبزراعة الحبوب وبقطعانها الجيدة.

وبينما قسم الضابط بيروني أيت سري إلى ثلاث قبائل هي ايت ويرا ؛ وأيت سعيد أوعلي ؛ وأيت عبد لولي، قسمهم القبطان طاري إلى قبيلتين فقط، متجنباً ذكر أيت سعيد.

وإلى جانب الزراعة وحياة الاستقرار بواد العبيد، اشتهر أيت سري إلى جانب أيت سخمان بحركاتهم الانتجاعية، مستفيدين من شساعة ترابهم وأهمية جريان الماء لديهم والمتمثل في أودية درنة، وواد رنت، ودرنت، وأم الربيع أيت أم البخت. وظلت مراعي القبيلة من الأهمية بمكان، وكان المنتجعون يقيمون في الربيع على منحدراتهم. وينظم السكان كل عام في أحنو وأغبالو نتروسو موسم حيدوس أيت ويرا احتفالاً بمقدم الربيع. واستفاد أيت سري من مراعي أيت داود أُوعلى المجاورين في ممر واد العبيد والمنحدرات الجنوبية لجبل غنيم المواجهة للشمس والأقل برداً من بلاد "الظل".

وأما مراعي أيت سعيد أوعلي من أيت سري فكانت قطعانهم ترعى فيها من ماي إلى غشت على مرتفعات البراكيك أو البراقيق وفي إيغرغر، وعلى الجانب الشمالي في أمازرو تيميسكر. وكانت قيعان الأودية أشبه بسهول صغيرة تتدرج مثل طوابق مسرح وتستغل للزراعة في كل من إيكيس وإيفيرد وغيرها.

وأهم مسالك التوغل في بلاد أيت سري العليا خط درنت - أسارات المطابق لسلسلة تاداوت ناري ؛ ثم خط أغزيف - إيفسفس - أغبار المطابق لتاسميطت، وبوحازم، وتاوريرت نتيني ؛ وأخيراً واد العبيد الذي تجاور مع جبل أسناين وجبل أحنو وجبل أو تروسو، وأدار إيمليوي، وتاماروشت.

وتمثلت وظيفة المواصلات في تنشيط الأسواق، سواء في الدير عند نقطة انطلاق الشرايين الكبرى، أو في محطاتها النهائية بواد العبيد. وأهمها أسواق الدير وهي سوق السبت بزاوية الشيخ، وسوق الحد بقصيبة أحسن أسواق بلاد أيت ويرا، وسوق الخميس بتاگزيرت ومثيله بفرياطة، وسوق اثنين فم العنصر، وسوق أربعاء أدوز، ومثيله ببنشرو، وسوق أربعاء ناور.

ثم أسواق واد العبيد : خميس أيت حمزة بتيفرت، وحد إيمداحن بتاگلفت، وسوق أيت بوتفردة وأربعاء أيت أو مناسق باغبالا.

وأهم الفجاج التي تسهل مرور المسافرين في واد درنة العليا : تيزي نيفار ؛ وتيزي نوسعيد ؛ وتيزي نيشوان وتفضي إلى ناور وقصيبة وأنوفي ؛ ثم إيمي نوفسو في حوض أغبالا.

H. Catherine, in *R.G.M.*, t. VI, 1927 ; R. Peyronnet, *Tadla, pays Zaïan, Moyen Atlas*, Alger, 1922 ; C. Tarrit, Commandant, *Le Cercle de Beni-Mellal. Etude sur le Front Chleuh, Pays Aït Sri, B.S.G.M.*, 1923, t. III.

المنكي المالكي

سريري، الصديق، مقاوم ولد سنة 1937 بقصر أولاد غانم قيادة الجرف دائرة أرفود إقليم الرشيدية، من والده أحمد بن حمادي وأمه عائشة بنت حماني.

كان عضوا نشيطا بصفوف جيش التحرير، حيث شارك في العديد من المعارك الطاحنة. وعندما أحرز المغرب على استقلاله انخرط في القوات المسلحة الملكية إلى أن أحيل على التقاعد.

وافاد أجله المحتوم بتاريخ 17 ربيع الثاني عام 1416 / 13 شتنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 506190.

سريف (أهل –) قبيلة جبلية تنسب لجبل سريف، والاسم مشتق من اسم أسرة "سرافة" أو "السريفي" جزء من قبيلة غمارة أو كتامة. كانت قبيلة سريف في الماضي تنقسم إلى خمسة أخماس، ثم أصبحت مكونة من أربعة أرباع هي : ربع اللوطويين، وربع مرقد الضباب، وربع بني إدريس، وربع الجبلية، واليوم بعدما اقتطع منها خمس بني يقمح وضم إلى بني گرفط، وجزء قرب سد وادي المخازن ضم إلى إقليم سيدي قاسم، أصبحت اليوم تضم جماعتين هما : جماعة أبي جديان، وجماعة تطفت.

كانت بلاد سريف تحتوي على عدة أسواق منها ما اندثر مثل سوق أربعاء الجائزة أو سوق سيدي أبي بكر الجناتي الذي كان في الطريق المؤدى إلى سوق اثنين بني زكار والذي كان ياتي إليه تجار البندقية كما أشار إلى ذلك الحسن الوزان. إضافة إلى سوق اثنين سيدي أحمد الجباري، وسوق خميس أبي جديان وسوق تطفت الحاليين.

ويتميز جبل سريف بوجود أنهار مهمة نظرا للتساقطات المهمة التي كانت تتراوح بين 400 و800 مم في الغالب وقد تزيد لأنها تدخل في المناخ الرطب الذي يميز منطقة الشمال الغربي المغربي، رغم ما يعرفه المناخ من تذبذب وجفاف على العموم، وأهمها نهر لكوس الذي أنشئ عليه سد وادي المخازن. ونهر وادي المخازن الذي وقعت على ضفافه معركة وادي المخازن. إضافة إلى أنهار صغيرة مثل وارور، ورشكاوة.

وكان لأهل سريف دور فعال في مقاومة الاحتلال البرتغالي لثغور الشمال، واشتهر من قواد المجاهدين السريفيين ابن غانم السريفي، وشاركوا في معركة وادي المخازن وفي محاصرة سبتة، وأثناء ثورة الأمير ابن عبد الكريم الخطابي كان للسريفيين دور مشرف في مناصرته ومهاجمة الإسبانيين المحتلين.

م. أخريف، *أخطاء ميشو بلير في قبيلة أهل سريف*، مخطوط ؛ *وثائق محلية، وروايات شفوية.*

E. Michaux Bellaire, *Quelques tribus de montagne de la région du Habt*, *A.M.*, vol. XVII, 1911.

محمد أخريف

السريفي، إبراهيم بن محمد، شهرته بالصياد القصري، أصله من جبل سريف. ذكره مترجموه وخاصة أبناء الزاوية الفاسية بما يدل على حسن انتسابه لأهل التصوف ورووا من سيرته ما يفيد إدراكه لمرتبة الولاية بما أثر عنه من الأحوال والكرامات وصفات الورع. يعد إبراهيم السريفي أحد أبرز أصحاب الشيخ أبي المحاسن الفاسي فقد انقطع عن داره وأهله منذ أول لقاء بينهما وقضى عشرين سنة في خدمته، ونقل رسائله، والسهر على أمور زاويته. وقد بلغت بينهما المودة حدا جعل شيخه ينزله منه منزلة الولد ويكثر من الثناء عليه ويقدمه في رفقته.

توفي بفاس عام 1008 / 1599 - 1600.

ع. الفاسي، *ابتهاج*، مخطوط، 287 - 289 ؛ م. الفاسي، *ممتع*، طبع حجر، 210 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 55 ؛ م. القادري، *نشر*، ج. 1، 73 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج. 2، 325.

نفيسة الذهبي

السريفي، عبد السلام بن الطاهر بن حمّ. لا توجد مصادر تتحدث عن هذا القائد باستثناء ميشو بيلير Michaux Bellaire الذي تحدث عنه ولكنه أخطأ في كل ما يتعلق به، من مقر سكناه وكيفية توليته ومدة حكمه، يقول : "ومن أجل التهدئة المؤقتة لانتفاضة أهل سريف الذين لم تخضعهم الحملة الموجهة ضدهم، قام المخزن بتعيين حاكم خاص ينتمي إلى القبيلة نفسها، هو القائد عبد السلام من مدشر عين بوعامر الذي ابتدأ يحتاط من أعدائه فاتخذ القصر إقامة له في جل الأوقات... كيفما كان الحال فقد حكم القبيلة لمدة سنة واحدة".

جاء في إحدى الوثائق غير المنشورة التي توجد لدينا : "الحمد لله وحده اشترى الخليفة الأسعد الرئيس الأمجد السيد عبد السلام بن الطاهر بن حم الخلف السريفي... أحد عشر وثلاثمائة وألف".

يرى بيلر أن توليته كانت نتيجة لعدم قدرة المخزن على إخضاع قبيلة أهل سريف، في حين أن الفتنة أو الانتفاضة التي قامت بها القبيلة كانت موجهة بالدرجة الأولى ضد عامل العرائش الذي أغلظ عليهم في الضرائب، والذي استدعى الإمدادات لمحاربة القبيلة بدعوى أنها خارجة عن الطاعة. ولما افتضح أمره أثناء المعارك استدعى السلطان أعيان القبيلة فحكوا له، فما كان من السلطان إلا أن عين عليهم قائدا منهم هو عبد السلام بن حم السريفي الذي كان شيخا على القبيلة منذ سنة 1284.

لم يكن القائد عبدالسلام بعيدا عن قبيلته بل كان يعيش في مدشره، وهناك صور أخذتها في عين المكان لإقامته بمدشر الغراف، وكان يقوم بعمله العادي من رسائل وغيرها مثل الرسالة الموجهة إلى الشريف المختار بن الحاج الخراز لتوقيره واحترامه، تقديراً للعلم والأستاذية.

توفي بعد عام 1311 / 93 - 1894.

وثائق عند حفيد القائد السيد عبد الحميد بن حمّ السريفي ؛ رسالة من القائد عبد السلام السريفي إلى الشرفاء الشبليين.

Michaux Bellaire, p. 239 - 240.

محمد أخريف

سطات، مدينة تقع على مقربة من الحافة الفاصلة بين الشاوية السفلى [سهل] والشاوية العليا [هضبة]. وتمتد على ضفاف واد بوموسى الذي يتعمق داخل الهضبة فيشكل ممرا طبيعيا بين جزءي الشاوية.

يرجع أصل المدينةإلى وجود عين متفجرة على الضفة اليمنى للواد، استغلت قديما كمحطة على الطريق الرابطة بين مراكش والمدن الساحلية وخاصة منها الدار البيضاء والرباط. وتعززت وظيفة هذا الموقع كنزالة مع تشييد السلطان مولاي إسماعيل قصبة بجوار عين سطات في نهاية القرن السابع عشر، ضمن سلسلة القصبات التي أقامها لضمان الأمن والاستقرار بالسهول الأطلنتية الوسطى. وكان لتشييد هذه القصبة دور كبير في نشأة وتطور المدينة بتوفيرها للأمن بالنسبة للمسافرين الذين يضطرون لعبور الحاجز بين طرفي الشاوية عبر الممر الطبيعي الذي يوفره وادي بوموسى، وباجتذابها السكان للاستقرار بجوار أسوارها، وبالتالي بخلقها للظروف الملائمة لتطور تجمع تجاري بهذا الموقع. كما أن تشييد القصبة أعطى لسطات مبكرا وظيفة إدارية باتخاذها مقرا للقواد الذين حكموا الشاوية الداخلية. وكان أبرزهم القائد الغازي بل المدني (1792 ـ 1818) الذي فرض على أعيان القبائل الاستقرار بسطات مع أتباعهم. فظهرت نتيجة لذلك تجمعات سكنية حول القصبة كانت تسمى النزالات وتحمل أسماء أعيانها أو أصول سكانها. ومازالت العديد من أحياء المدينة تنعت بالنزالة وتحمل اسم نواتها الأصلية.

وشهدت سطات انطلاقة جديدة لتوسعها ونموها خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) مع تطور المبادلات بين المغرب وأوربا انطلاقا من ميناء الدار البيضاء. فانتصبت كمركز تجاري مهم داخل الشاوية جلب العديد من التجار اليهود ومن فاس لكثافة دوره في تجميع المنتجات الفلاحية [حبوب، صوف، جلود...] وفي توزيع المنتجات المستوردة.

وعززت سطات مكانتها كمركز تجاري مع الاحتلال الفرنسي الذي أحيا دورها كموقع عسكري لمراقبة الشاوية الداخلية والمحور الطرقي بين الساحل والداخل ولتوفير الحماية للمعمرين الذين جلبتهم خصوبة الأراضي الفلاحية المجاورة لسطات. وبذلك رسخت سطات دورها كعاصمة إدارية للقبائل المجاورة لها. ونتيجة لذلك أصبحت خلال عهد الاستعمار أكبر سوق أسبوعي داخل الشاوية وأول تجمع للتجارة القارة بالشاوية الداخلية وقطبا مهما للهجرة القروية بها. فتطورت ساكنتها بسرعة كبيرة.

تطور ساكنة مدينة سطات خلال عهد الاستعمار

السنة	عدد السكان	السنة	عدد السكان
1913	2032	1931	12804
1916	2975	1936	18146
1926	7834	1952	25205

ومع نهاية عهد الاستعمار دخلت المدينة فترة أزمة حادة ارتبطت بمغادرة التجار اليهود والأجانب وحتى بعض الفاسيين لها، وببزوغ مراكز حضرية أخرى داخل الشاوية (برشيد وابن احمد والبروج...). كما أن تطور وسائل المواصلات قلص المسافة الفاصلة بين سطات والدار البيضاء وبالتالي قوى من نفوذ هذه الأخيرة داخل الشاوية. فجاءت محاولة إنعاش المدينة عن طريق تقوية وظيفتها الإدارية. فتمت ترقيتها إلى منصب عاصمة إقليم سنة 1967. ونتج عن ذلك استقطاب المدينة للعديد من المصالح الإدارية ولفئات واسعة من الموظفين، وبالتالي ساهمت هذه الترقية الإدارية في تنشيط الحركة التجارية والعمرانية بالمدينة. فانتعشت من جديد وتيرة نموها الديموغرافي :

تطور ساكنة مدينة سطات خلال النصف الثاني
من القرن العشرين

السنة	عدد السكان	السنة	عدد السكان
1960	29617	1982	65203
1971	42325	1994	96217

وعلى إثر التقطيع الجهوي لسنة 1997 أصبحت سطات عاصمة لجهة الشاوية ـ ورديغة التي تضم إلى جانب إقليم سطات إقليمي خريبگة وبن سليمان. وبذلك أضحت سطات تحتل اليوم مواقع متميزة سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو الجهوي، الشيء الذي انعكس إيجابيا على الحياة العمرانية والاقتصادية بها.

فمدينة سطات التي ظلت منحصرة داخل قاع واد

بوموسى إلى غاية العقد الأول من عهد الاستقلال، أصبحت اليوم تمتد على السفوح المشرفة عليه وتتعداها لتنتشر على سطح الهضبة في اتجاه الشرق والغرب والجنوب. فتعددت أحياؤها وتباينت أشكالها العمرانية والهندسية. ففي الشمال تشكل حي إداري من مستوى راق جدا، ومع تهيئة وسط المدينة ابتداء من عقد الثمانينيات توسع المركز التجاري واتخذ طابعا عصريا وتهيكل المجال الحضري حول محور حديث من حيث شكله ووظائفه. وفي الجنوب تشكل حي صناعي (20 هك) يزداد اتساعا باستمرار. وبشكل عام شهدت المدينة حملات متعددة وواسعة لمحاربة السكن غير اللائق وإعادة هيكلة مجالها الحضري جعلت هذه المدينة تكتسب بنية حضرية حديثة وواضحة المعالم.

فقدت سطات اليوم الكثير من دورها كمركز تجاري وكمحطة طرقية داخل الشاوية، لكنها أصبحت أساسا مركزا إداريا ذا بعد إقليمي وجهوي وتجمع سكاني ارتقى إلى مصاف المدن الكبرى وينوع باستمرار من أنشطته ووظائفه داخل محيطه. فإلى جانب قطاع التجارة والخدمات الذي يتطلبه الحجم الديموغرافي المتنامي للمدينة تطورت العديد من الخدمات المرتبطة بالوظائف الإدارية للمدينة. وبشكل مواز لذلك شهد العقد الأخير من القرن العشرين استقرار العديد من الوحدات الصناعية بها، تجاوز عددها 40 وحدة تهم ميادين الزجاج، النسيج، الدباغة، المواد البلاستيكية، المعدات الفلاحية، الطباعة، الشموع، مواد البناء، المعدات الكهربائية، المواد الغذائية (مشتقات الحبوب، تصبير الخضر، المواد الدهنية...).

وإذا كانت الصناعة لم ترق بعد إلى مستوى قطاع أساسي في ميدان التشغيل حيث تظل الصدارة لكل من التجارة والخدمات، فإنها مع ذلك قد دشنت تنوع سوق الشغل بهذه المدينة التي ظلت منذ نشأتها تعتمد بالأساس على الأنشطة المرتبطة بشكل أو بآخر بالفلاحة. وتعزز تنوع وظائف المدينة من خلال ترقيتها إلى مستوى مدينة جامعية مع إنشاء جامعة الحسن الأول التي تتكون من كلية للحقوق وأخرى للعلوم والتقنيات ومدرسة عليا للتجارة والتدبير. هذا فضلا عن معهد للبحث الزراعي ومعاهد للتكوين والتأهيل المهني. وفي نفس الاتجاه تبحث المدينة عن سبل الارتقاء إلى مستوى قطب سياحي من خلال تجهيز مركب سياحي وملاعب للكولف وللفروسية...

إن مدينة سطات التي شهدت انتعاشا ملحوظا خلال عهد الاستعمار الذي عززت خلاله موقعها كقطب إداري وتجاري قد ارتقت بعده إلى مصاف المدن الكبرى مع تقوية وظائفها الإدارية وتنويع أنشطتها الاقتصادية. وبذلك دخلت نادي المدن التي تواجه مشاكل التطهير السائل والصلب والنقل الحضري والتعمير والتشغيل... وإذا كانت تعتبر من المدن التي استفادت كثيرا من تدخل الدولة، فإن نشأتها وتطورها على مقربة من الدار البيضاء جعل إيجابيات هذا القرب تتآكل مع مرور الوقت، هذا في الوقت الذي عززت فيه سطات موقعها كقطب محوري للهجرة بالشاوية الداخلية. وذلك ما يفرض على هذه المدينة، اليوم أكثر من الأمس، أن توسع قاعدتها الاقتصادية.

* * أما إقليم سطات فقد أُحدث سنة 1967 على إثر تفكيك إقليم الدار البيضاء الذي كان يضم أقاليم سطات، الجديدة، خريبگة، بني ملال، أزيلال، بن سليمان. ويحده من الشمال ولاية الدار البيضاء الكبرى وإقليم بن سليمان ومن الشرق إقليمي خريبگة وبني ملال ومن الغرب إقليم الجديدة ومن الجنوب إقليم قلعة السراغنة. ويمتد الإقليم على مساحة 9.750 كلم2 أي ما يفوق 58٪ من مساحة جهة الشاوية ـ ورديغة التي تضم أيضا إقليمي خريبگة وبن سليمان.

يطابق إقليم سطات إلى حد كبير منطقة الشاوية المتكونة من سهل برشيد (الشاوية السفلى) والشاوية العليا التي تشكل جزءا من هضبة الفوسفاط. ويتوفر على منفذ ضيق على البحر (جماعة سيدي رحال الشاطئ) بين ولاية الدار البيضاء وإقليم الجديدة. ويتميز بمناخ معتدل تتراوح به التساقطات ما بين 450 ـ 500 مم بالساحل و250 ـ 300 مم بالداخل حيث تظهر المؤثرات القارية وتطغى معالم الجفاف.

يتكون إقليم سطات من قبائل : أولاد حريز، أولاد سعيد، المزامزة، أولاد بن داود، أولاد بوزيري، امزاب بالإضافة إلى بني مسكين الذين لا ينتمون إلى قبائل الشاوية. وقد بلغت ساكنته حسب إحصاء 1994 : 847.500 نسمة، يقطن منها ما يزيد عن 72٪ بالعالم القروي. ويرجع ضعف نسبة التمدين بهذا الإقليم إلى قرب مدينة الدار البيضاء التي تشكل الوجهة الأولى للمهاجرين من الأرياف والمدن على السواء. ورغم ذلك فقد شهد الإقليم تطورا سريعا لساكنته الحضرية التي لم تكن تمثل سوى 4٪ سنة 1931 لتتجاوز 14٪ سنة 1960، أي أن هذه الساكنة التي تزايدت بمعدل 1.100 نسمة في السنة ما بين 1931 و1952 قد أصبحت تتكاثر بمعدل 5.500 نسمة سنويا بين 1982 و1994. ويرجع ذلك إلى ترقية العديد من التجمعات السكانية إلى مستوى مراكز حضرية وتطوير وظائفها الإدارية وتجهيزاتها العمومية، الشيء الذي زاد من جاذبيتها للسكان. وبالتالي فمدينة سطات التي كانت تحتكر حوالي 73٪ من السكان الحضريين للإقليم سنة 1931 لم تتعد نسبتها منهم 40٪ سنة 1994.

بشكل مواز لسرعة التمدين بالإقليم تعرف الأرياف هجرة مكثفة تتجلى أبرز انعكاساتها في تراجع وتيرة نمو السكان القرويين. ومع ذلك تشهد العديد من الأرياف بالإقليم تزايدا ملحوظا في كثافاتها السكانية بحيث انتقلت الكثافة العامة بالبوادي من حوالي 30 نسمة / كلم2 في منتصف القرن العشرين إلى حوالي 65 نسمة / كلم2 في نهايته. وانتقلت بذلك الكثافة العامة للسكان من مستوى

40 نسمة / كلم2 إلى حوالي 90 نسمة / كلم2 خلال نفس الفترة.

بعد ترقية دائرة بن سليمان إلى إقليم قائم الذات سنة 1975 أصبح إقليم سطات يتكون من أربع دوائر (سطات، برشيد، ابن احمد، البروج) تنقسم إلى 36 جماعة قروية. وإذا كانت الدوائر لم تتغير منذ ذلك الحين فإن عدد الجماعات القروية قد بلغ حاليا 62 جماعة. وبشكل مواز انتقل عدد البلديات من واحدة (سطات) إلى 8 حاليا.

وتبعا لتزايد عدد السكان ولتطور التقطيع الإداري شهدت البنية الحضرية للإقليم تحولا واضحا. فخلال النصف الأول من القرن العشرين لم يكن الإقليم يتوفر على مدن من الحجم الكبير والمتوسط، بحيث كانت أكبر مدينة هي سطات ولم يتجاوز عدد سكانها 25.000 نسمة في منتصف القرن. وحاليا أصبح الإقليم يضم مدينة كبيرة تفوق 100.000 نسمة (سطات) ومدينة متوسطة تفوق 50.000 نسمة (برشيد) و11 مركزا يتراوح حجمها بين 4.000 و20.000 نسمة. لكن هذا التحول لم يؤد إلى تشكل شبكة حضرية قائمة الذات. فالقرب من الدار البيضاء يعوق تطور العديد من مدن الإقليم كما يعوق تطور العلاقات بينها، بحيث تخضع كلها بدون تمييز لنفوذ العاصمة الاقتصادية للمغرب التي لم يفقدها احتلالها لقمة الهرم الحضري للمغرب مكانتها كعاصمة للشاوية، رغم ترقية سطات إلى رتبة عاصمة إدارية لهذا الإقليم.

تتركز أهم ومعظم المراكز الحضرية للإقليم على المحاور الطرقية التي تربط الدار البيضاء بالمناطق الداخلية للمغرب وخاصة منها الحوز وتادلة. وهكذا بحجم موقعه على مشارف الدار البيضاء التي تستقطب أهم المحاور الطرقية للبلاد، يستفيد إقليم سطات من ثلاثة من بين المحاور الأربع الكبرى التي تربط العاصمة الاقتصادية بمختلف جهات المغرب : محور الدارالبيضاء - أگادير عبر الجديدة ومحور الدار البيضاء - مراكش عبر سطات ومحور الدار البيضاء - بني ملال عبر برشيد. وهذا ما يجعل الإقليم عبارة عن منطقة عبور، الشيء الذي ساهم في تطور العديد من المراكز الحضرية والتجمعات الطرقية وبالتالي توسع أنشطة التجارة والخدمات.

رغم التحولات العميقة التي شهدها يحتفظ إقليم سطات بمكانته ضمن الأقاليم الفلاحية ذات البعد الوطني، بحيث ظل إلى عهد قريب يعرف بخزان الحبوب للمغرب. وتبعا لهذه التحولات أصبح الإقليم يتكون من ثلاثة نطاقات فلاحية متباينة :

- النطاق الساحلي حيث تسود زراعة الخضر وتتوسع في ارتباط بالسوق البيضاوية وبالتصدير نحو الخارج. ويتشكل بالأساس من جماعات سيدي رحال الشاطئ والسوالم والساحل حيث تمتد زراعة الخضر على حوالي 25.000 هك. ويتوسع هذا النطاق باستمرار نحو الداخل على حساب زراعة الحبوب عبر محاور متعددة : مديونة - برشيد وبرشيد - سطات وبرشيد - أولاد عبو وبرشيد - ابن أحمد، والسوالم - أولاد عبو.

- نطاق السهل الداخلي الذي يغطي الجزء الأكبر من الشاوية السفلى أو ما يعرف بسهل برشيد حيث تسود زراعة الحبوب (القمح والذرة) في تناوب مع القطاني. ويشهد هذا النطاق منذ حوالي عقدين تحولات عميقة تتمثل في تراجع زراعة الحبوب أمام زراعة الخضر مع توسع السقي عبر استغلال المياه الجوفية.

- نطاق الشاوية العليا حيث تتكامل زراعة الحبوب وتربية الماشية. ففي الجزء الشمالي حيث تنتشر تربة التيرس تشكل زراعة الحبوب في تناوب مع القطاني النشاط الرئيسي للسكان، أما في الجزء الجنوبي حيث يزداد الجفاف وتقل التربة الصالحة للزراعة فتسود تربية الماشية (الأغنام من فصيلة الصردي التي تشتهر بها بني مسكين). وبين هذين الجزئين (امزاب، أولاد بوزيري، أولاد بن داود) يعتمد السكان على التكامل بين زراعة الحبوب وتربية المواشي (أغنام وأبقار).

لقد أدى توالي سنوات الجفاف خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين إلى حدوث تحولات عديدة في النشاط الفلاحي بالإقليم، بحيث أصبح الفلاحون يتجهون أكثر فأكثر نحو زراعة الخضر عبر كل أنحاء الإقليم، في ارتباط بحركة التمدين وبتنامي مكانة الدار البيضاء كأكبر سوق استهلاكية بالمغرب. وتبعا لذلك تطور اللجوء إلى السقي الذي تعززت مكانته بالإقليم بانتشار تقنية الأذرع المحورية بكل من بوفروج (600 هك) وخميسات الشاوية (280 هك) وبولعوان (1.500 هك) والحمري (6.000 هك) ودخل بذلك الإقليم عهد تنويع الإنتاج الفلاحي بإدخال المزروعات العلفية والمعدة للصناعة.

شهد إقليم سطات خلال العقدين الأخيرين تطورا ملموسا في الميدان الصناعي إذ أصبح يضم 165 وحدة صناعية يتركز معظمها ببرشيد وعلى مقربة من الدار البيضاء، أي أن القرب من العاصمة الاقتصادية قد مكن من جلب الإقليم للأنشطة الصناعية التي لم يعد لها مكان بأكبر تجمع سكاني بالمغرب أو التي تبحث عن الاستفادة من الامتيازات التي يمنحها الخروج عن الحدود الإدارية للدار البيضاء الكبرى. وبذلك أصحبت الصناعة بالإقليم توفر ما يزيد عن 10.000 منصب شغل. وهي بذلك لا ترقى إلى مستوى الفلاحة التي تشغل ما يزيد عن نصف السكان النشيطين أو التجارة والخدمات التي تشغل ما يزيد عن ثلث هؤلاء السكان. ومع ذلك فقد أصبح الإقليم يتوفر على ثلاثة أقطاب (برشيد، سطات، السوالم) التي يمكنها أن توفر المحيط الضروري لانطلاقة فعلية للتصنيع بالإقليم.

في انتظار ذلك يشهد هذا الإقليم تطورا مضطردا لأنشطة التجارة والخدمات. ويرتبط هذا التطور بالدينامية

التي يعرفها القطاع الفلاحي وبدور الإقليم كمنطقة عبور على أبواب الدار البيضاء. ويتجلى ذلك من خلال عدد الأسواق الأسبوعية الذي بلغ 35 سوقا، من بينها 5 تعد من أكبر الأسواق بالمغرب (اثنين برشيد، اثنين بن احمد، أحد السوالم، أحد البروج، جمعة قيصر) ومن خلال التزايد المضطرد للمحطات الطرقية وتجمعات التجارة القارة بالأرياف. هذا فضلا عن ارتكاز كل مدن الإقليم على التجارة والخدمات كأنشطة أساسية لسكانها وكقاعدة اقتصادية لإشعاعها داخل محيطها.

اشتهر إقليم سطات منذ القرن الثالث عشر (19م) كمنطقة فلاحية تحتل مكانة متميزة في إنتاج الحبوب بالمغرب. وكان لقربه من الدار البيضاء دور كبير في تطور النشاط الفلاحي به وفي حركة التمدين التي أعادت هيكلته خلال القرن العشرين. غير أن هذا القرب قد تحول إلى مصدر من العديد من المعوقات. يتمثل أبرزها في تركز حركة التصنيع بالإقليم على الهوامش المحيطة بالدار البيضاء، وفي استقباله للصناعات الملوثة التي اضطرت لمغادرة المجال الحضري البيضاوي، وفي جلبه العديد من المبادرات الحرة التي لا تولي أي اهتمام بالتوازنات البيئية من خلال انتشار العديد من الوحدات الصناعية داخل المجالات الفلاحية وما يصاحب ذلك من انتشار للسكن غير اللائق نتيجة استقرار اليد العاملة بطرق عشوائية قرب المصانع. هذا بالإضافة إلى تحويل العديد من الضيعات الفلاحية إلى قصور لإيواء الفئات الميسورة من سكان العاصمة الاقتصادية. وبذلك يتعزز نفوذ الدار البيضاء داخل هذا الإقليم في اتجاه تحويله إلى ضاحية يتخلص فيها عملاق المدن المغربية من العديد من مشاكله ونفاياته.

المصطفى شويكي، *علاقة مدينة سطات بالشاوية، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق*، الدار البيضاء، عدد 5، 1988، ص. 77 - 84.

S. Arraki, *Trois petites villes de la Chaouia intérieure: Settat, Ben Ahmed, El Gara*, Mémoire de D.E.S., Rabat, 1966 ; C. Barrouquere - Claret. C. *Settat, centre historique de la Chaouia*, Paris, 1919 ; M. Chouiki, *Settat et son rôle régional*, Thèse de Doctorat de 3ème cycle, Géographie, Université de Tours, 1985 ; *Settat une ville moyenne au rôle régional compromis*, in *Petites villes et villes moyennes dans le monde arabe*, Tours, 1986, T. 2 ; F. Weisgerber, *Casablanca et les Chaouia en 1900*, Casablanca, 1935.

المصطفى شويكي

الـسَّطَّاشْ وتكتب أيضا بالصاد (الصطاش)، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Astaz ؛ وكان مقر سكناها بحومة العيون. وجاء في رسم وصية مؤرخ في عام 1193 هـ : "أشهدت السيدة خديجة بنت السطاش الأندلسي التطاوني". وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط ؛ م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1385.

م. ابن عزوز حكيم

السَّطِّي، أسرة تطوانية نسبة إلى قبيلة سطّة قرب مدينة وزان. انقرضت الآن. وكان منها الفقيه السيد عبد السلام السطي التطاوني عام 1192 هـ والفقيه الكاتب في الحكومة الخليفية بتطوان السيد العربي السطي المتوفى عام 1380 هـ وهناك عائلة طارئة على تطوان تدعى أيضا السطي من قبيلة بني يحمد مازالت.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

السطي، العربي، الفقيه العلامة المشارك الكاتب، رائق الخط والإنشاء. قال محمد داود : "أخبرني رحمه الله أن أصل عائلته من بني الوزير".

وهو آخر من بقي من أعضاء الحكومة الخليفية التي أسست برئاسة الصدر محمد ابن عزوز المراكشي لأول عهد الحماية الإسبانية بشمال المغرب بعاصمته تطوان، والخليفة السلطاني مولاي المهدي بن إسماعيل العلوي.

انتقل المترجم له بعد انتهاء عمله في الحكومة المذكورة من الشمال وتولى القضاء بعدة ثغور. واستقر أخيراً بمدينة وزان. ولما حصل المغرب على استقلاله أحيل على المعاش لكبر سنه.

توفي بمدينة وزان آخر المحرم عام 1380 / 25 يوليوز 1960

م. داود، *عائلات تطوان*، نسخته بخطه بخزانته الداودية بتطوان ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 9 : 3354، 1996.

محمد بوخبزة

السطّيّ، محمد بن علي بن سليمان، ولد بفاس حيث كانت عائلته قد استقرت حديثا، فنشأ بها وأخذ العلم عن كبار علمائها. فقد تتلمذ على أبي الحسن الصغير في الفقه، وأخذ الفرائض عن أبي الحسن الطنجي اليفرني، وختم عليه كتاب *الحوفي* ثماني مرات. كما أخذ الفقه عن إبراهيم اليزناسني.

كان أبو عبد الله السطي من أحفظ الناس للمذهب، حتى وصفه ابن مرزوق في *المسند* بخزانة مذهب مالك مع مشاركة تامة في الحديث والأصلين وعلوم اللغة. وقد أثبت له الونشريسي في المعيار عدداً من الفتاوي التي تدل على علو كعبه في الفقه ومنهجه في الفتوى. له شرح جليل على *الحوفية*، وتعليقان على *المدونة* وعلى *ابن شاس* فيما خالف فيه المذهب. أخذ عنه خلق كثير من أشهرهم ابن خلدون والعقباني والمقري الجد والعبدوسي والقباب ومحمد ابن مرزوق، وهم جميعا من أعلام المغرب.

عرف محمد بن علي بن سليمان السطي بحظوته لدى السلطان المريني أبي الحسن الذي اختاره مع آخرين لمصاحبته ومجالسته، فكان يدرس في حضرته ويؤم به ويخطب، ويقوم بإنجاز المهام التي يكلفه بها بين الحين والآخر، كالنظر في المظالم إلى جانبه، حينما كان يجلس بقباب العدل التي أنشأها لتلقي الشكايات؛ أو توزيع صلاته على أهل الجزيرة بالأندلس بعد أن استولى عليها العدو صلحا، أو المشاركة في الوفد الذي كلفه السلطان أبو الحسن بخطبة ابنة السلطان أبي يحيى أبي بكر التي عقد عليها قرانه.

كان محمد السطي، من ضمن كبار العلماء الذين استصحبهم أبو الحسن المريني في حركته إلى إفريقية سنة 748 / 1347. وهنالك كان له المقام الرفيع والصيت الحسن، فقد لازمه محمد ابن عرفة وأتم على يده قراءة *الحوفية*، وجملة من كتاب *التهذيب* قراءة بحث ونظر، وأخذ عنه محمد ابن خلدون كتاب التبصرة لأبي الحسن اللخمي. كان أبو عبد الله السطي يحضر مجالس السلطان العلمية بتونس إلى جانب ثلة من الفقهاء والنحاة وغيرهم. وأعجب كثيراً بالفقيهين التونسيين ابن عبد السلام والرماح ونوه بهما.

اشتهر السطي بمتانة دينه وشدة ورعه حتى وصفه المقري في *أزهار الرياض*، بالرجل الصالح وبولي الله، علاوة على ما يؤثر عنه من كثرة المطالعة والتأمل، والإقلال من الكلام إلى أن يسأل، وكان ذلك دأبه حتى في مجلس السلطان.

حضر موقعة القيروان التي انهزم فيها أبو الحسن سنة 748 / 1347. ثم انسحب صحبة السلطان إلى تونس التي حوصر المرينيون بها مرتين إلى أن قرر أبو الحسن الرجوع إلى المغرب. وفي طريق العودة فاجأت العاصفة الأسطول المريني قبالة ساحل بجاية، وغرق جل من كان فيه ومن جملتهم الفقيه محمد السطي رحمه الله.

م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح*؛ اع. الرحمن ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلته*؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*؛ أ. بن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ج. 1؛ أ. المقري؛ *أزهار الرياض*، ج 3، أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 3.

محمد فتحة

السْطيطو، ـ بطاء مرققة ـ أو الستيتو أسرة تطوانية أصلها من قبيلة (وادْراسْ) الجبلية القريبة من تطوان من مدشر (التجالة) ومن غيرها، مازالت حتى اليوم بتطوان، منهم الفقيه المفتي العربي السطيطو نزيل طنجة.

م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

السطيطو، العربي بن العياشي بن أحمد بن الطيب الودراسي التجالي ثم الطنجي، الفقيه العلامة المدرس المفتي النوازلي الخطيب المجاهد.

ولد بمجشر (التجالة) من قبيلة ودراس الجبلية التي تقع على بعد خمسة وعشرين كيلومترا من تطوان تقديراً عام 1287 / 1870 وتربى في حجر والديه، وحفظ القرآن على الفقيه محمد بن عبد الرحمن بوتفاح الودراسي، ثم انتقل إلى قبيلة بني حسان فأخذ بها رجزي ابن عاشر المرشد المعين وتحفة الحكام لابن عاصم الغرناطي و*ألفية ابن مالك* وغيرها. ثم قصد قبيلة بني جرفط مع أخويه الفقيهين أحمد ومحمد ومكث بها خمس سنوات بمجشر (لاهْرا) يتلقى الفقه وغيره على الفقيه عبد السلام ابن الحاج، وبعدها رحل إلى مدينة فاس لاستكمال دراسته، فأخذ بها عن ألمع شيوخها يومئذ الفقيه أحمد ابن الخياط، ولازمه وكان سارد درسه، والمهدي الوزاني وغيرهما، وأجازوه، وأشاروا عليه بالانتصاب للتدريس والفتوى. فرجع إلى مسقط رأسه، ومكث به عاما واحدا إماما ومدرسا بجامعه. ولما رأى اضطراب حبل الأمن واستحالة الاستقرار به، انتقل إلى قرية (العوَامة) قرب مدينة طنجة، ومكث بها إماماً وخطيباً، إلى أن علم بوجود السلطان عبد الحفيظ بعد اعتزاله، فاستقدمه لطنجة وأكرمه وعيّنه مدرسا لأبنائه، وظل في رعايته يخطب ويدرس ويشهد، ويفتي ويحكم في النوازل المستعصية التي ترفع إليه، إلى أن عزل عن الشهادة والفتوى من القاضي الهواري بسبب امتناعه من مجاراته في قضية، فصار يصدر الفتاوي بأسماء غيره من المفتين للجوء الناس إليه لأن فتواه ـ كما قيل ـ كانت تقطع النزاع. هذا مع استمراره في التدريس بالجامع الأعظم. وكانت دروسه تمتاز بالتحقيق واستيعاب ما يقال في الموضوع، ويحضرها نجباء الطلبة والعلماء، ويحكى أن الشيخ شعيب الدكالي زار طنجة وحضر رسالته في الفقه فقال: "إن هذا النفَس لا يوجد الآن حتى بفاس".

ومن برور مولاي عبد الحفيظ به أنه ساعده على بناء منزله بضاحية (جامع المقرع) الذي مازال به أولاده إلى الآن وامتحنه الثائر أحمد الريسوني وسُجن مع ثلة من علماء الجبل لامتناعهم عن بيعته ثلاث سنوات. ولما احتل الإسبان قبيلته ودْراس بعد خروجه من السجن، تولى قيادة المجاهدين، والإشراف على مقاومة المحتل برباط (الدَشْريين) القريب من تطوان.

وبعد تمام الاحتلال اعتزل بمدشر (التجالة) يعبد ربه حتى أتاه اليقين في شهر جمادى الثانية عام 1350 / أكتوبر ـ نونبر 1931 ودفن ثمة رحمه الله، وخلف أبناء ولم يترك أثرا إلا فتاواه المتكاثرة بصكوك الدعاوى بأيدي الناس.

م. گنون، *مواكب النصر وكواكب العصر*، طبع طنجة، ص. 70؛ *معلومات شفوية من أخيه السيد الطيب وابنه الأستاذ السيد أحمد بتطوان.*

محمد بوخبزة

سطيك تيودور Steg Théodore 1868 ـ 1950، هو ثاني المقيمين العامين الفرنسيين في عهد الحماية، خلف المارشال ليوطي، فهو أول من اقتعد كرسي المقيم العام من المدنيين. ولد بمدينة ليبورن Libourne (مقاطعة الجيروند، إقليم بوردو) يوم 19 دجنبر 1868. كان من وجهاء الجمهورية

الثالثة المرموقين. وقد سار في خطي والده جول سطيك الذي كان من بناة الجمهورية ومن مساعدي جول فيري وباقي زعماء الحزب الرادكالي الداعي إلى إخراج فرنسا من التقاليد الواهية والسير بها إلى الأمام بخطى حثيثة. نشأ تيودور سطيك في ذلك الوسط التقدمي نشأة المثقف النابغة، فإنه اجتاز مباراة التبريز في الفلسفة وجاء في الصف الأول على صغر سنه، وأيضا نشأة السياسي المقتنع بأفكاره، المناضل عنها بكل وجوه الجدل. وسرعان ما انتخب نائبا في المجلس الوطني الفرنسي تحت لواء حزبه الرادكالي الاشتراكي الذي كان في العقود الأولى من الجمهورية الثالثة منعوتا بالتطرف إلى اليسار. وتصدر تيودور سطيك المجلس بصفة كونه مقررا عن ميزانية وزارة التعليم. وصار من الخبراء بشؤون الجامعة. وما لبث أن عين وزيراً للتربية العمومية والفنون الجميلة (مارس 1911 ـ يناير 1912). وقد عاد إليها بعد ذلك مرتين سنة 1913 ثم سنة 1917، ليتقلب فيما عدا ذلك على عدة كراسي وزارية أخرى، بناء على ما كان يهيمن على النظام الجمهوري من سوء الاستقرار الحكومي.

كان تيودور سطيك وزيرا للداخلية عدة مرات، ووزيرا للعدل، ووزيرا للمستعمرات، بل ورئيسا للحكومة مدة أسبوعين (من 13 إلى 26 دجنبر 1930)، ثم وزيرا للدولة في حكومة الجبهة الشعبية بقيادة ليون بلوم (1936 ـ 1937). ولكن الذي يعني تاريخ المغرب من شأنه أنه تولى منصب الولاية العامة في الجزائر المستعمرة من 21 يوليوز 1921 إلى أن حل محل ليوطي في الإقامة العامة في الرباط يوم 11 أكتوبر 1925. وظل يمارس وظيفة المقيم العام إلى بداية 1929. وقد كان له بالغ الأثر في مسار الحماية وتاريخ المغرب المعاصر بصفة أعم. ذلك أن الحزب الرادكالي الاشتراكي الذي كان تيودور سطيك من وجهائه وزعمائه لم يبن صرح النظام الجمهوري في فرنسا فحسب، بل إنه بنى أيضا صرح إمبراطوريتها الاستعمارية في آسيا وإفريقيا، علما بأن الرابطة الجدلية بين الأمرين لا مراء فيها. فما كان النظام الجمهوري ليرسو في فرنسا بصفة ثابتة لو لا ما أتيح أمامه من إمكانيات التوسع الاستعماري والانتشار في المعمور، بحيث وجدت الطبقات المتناحرة على الحكم في فرنسا منذ الثورة الكبرى الأولى سنة 1789، متنفسا ومجالا أفرغ فيه ما كان يحفز الشرائح الاجتماعية الفقيرة من أسباب النقمة والغضب. كما وجد أبناء الأرستقراطية الفيودالية مجالا للقتال وكسب الرتب العسكرية العليا، إذ كان ذلك هو شغلهم وشغل أجدادهم. ووجد البورجوازيون مجالا لتوظيف أموالهم وتوسيع آفاق الربح السريع. ووجد صعاليك فرنسا مجالا للتحرر مما كانوا يعانون في أم ديارهم من وجود الاستغلال والكبت والحرمان. وكان الرادكاليون الاشتراكيون يعتبرون ذلك من أسباب إصلاح خاطر الفرنسيين مع أنفسهم. ومبرره في نظرهم أن رسالة حزبهم على التخصيص ورسالة فرنسا على وجه التعميم رسالة إصلاح ورقي وتقدم. ولا ينبغي أن تنحصر عند التراب الفرنسي. ولا بد أن تمتد إلى "ما وراء البحار" لتستفيد منها الشعوب التي لم تنعم بعد بفوائد العلم والتمدن العصري. ولذلك كان الرادكاليون الاشتراكيون من أنصار الاستعمار، مدفوعين إلى ذلك بدوافع المصلحة الطبقية ودوافع القناعة واليقين. وبهذه الروح تصرف سطيك بشؤون الجزائر، فهو الذي وضع اللبنات الأولى للاحتفاء بذكرى مرور مائة سنة على احتلال الجزائر، وذلك منذ دجنبر 1923. وبهذه الروح جاء إلى المغرب ليطوي صفحة ليوطي التي كانت أحزاب اليسار قد سئمتها فانتهزت فرصة تفوقها في انتخابات 1924 لتتخلص من المارشال، وتعين مكانه أحد مناضليها تيودور سطيك الذي كان قد عاد من الجزائر في طليعة سنة 1925 ليتقلد مهام وزارة العدل، ثم ليعين مقيما عاما في الرباط في أكتوبر من السنة نفسها بقصد تسكين الأوضاع بعد هزة حرب الريف وفتح أبواب الاستعمار أمام كل من هب ودب من الأوربيين خلافا لخطة ليوطي.

وأول ما قام به سطيك من الأعمال أن جعل حداً لحرب الريف. ففتح باب التفاوض مع الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي. ودارت المباحثات في وجدة في مارس 1926، ولكنها انتهت بالفشل نظرا لتعارض ما كان يتوخاه منها كل جانب، فالمجاهدون الريفيون كانوا يرغبون في شكل من الاستقلال الذاتي، بينما كان الفرنسيون ينتظرون منهم استسلاما غير مشروط بعد أن باتت أراضيهم مطوّقة بالجيوش الإسبانية والفرنسية من كل جانب. وكان يكفي أن تمتد في زحفها داخل أودية الريف ليضطر محمد بن عبد الكريم ورفاقه في الجهاد إلى الاستسلام. وقد فضل الاستسلام كما هو معلوم للجانب الفرنسي. ولعل وجود رجل من اليسار الفرنسي مثل سطيك على رأس الإقامة كان له تأثير في ذلك. وما أن وضعت تلك الحرب أوزارها حتى اشتغل المقيم العام بضمد ما خلفت من الجراح والقلق لتسترسل أعمال استعمار المغرب في تمام الهدوء والاستقرار. ففتح الأبواب أمام كل الراغبين في ذلك، وبخاصة أمام كل من لم يساعدهم الحظ في الجزائر من المرشحين للاستعمار الذين كان ليوطي متحفظا منهم ومما تعودوا عليه من الغطرسة والاستخفاف بحقوق أبناء البلد الأصليين. وكان تيودور سطيك على العكس منه يرى أنهم لا يشكلون قواعد حزبه فحسب، ولكنهم أيضا قواعد الوجود الاستعماري الفرنسي فيما وراء البحار، فتخلى عن كل تحفظات ليوطي وفتح أبواب المغرب في وجه كل من هب ودب من الشرائح الاجتماعية الأوربية الدنيا التي ستدعي بعد حين من الاستطيان أنها هي المالكة للمغرب. وقد اجتهد تيودور سطيك لإرضائها. فإنه تفطن بعد ما جرب من شؤون الجزائر أن تدبير شؤون الماء هو سر كل شيء في المغرب. ويعزى له قولة بالغة الشأو وهي أن الحكم في المغرب إمطار. وهو الذي أمر ببناء أول سد عصري في البلاد، وهو سد الكنصرة على

وادي بهت، الذي فتح سهول الغرب أمام المعمرين فجعلوها جنات زاهية بشتى أنواع الحوامض. ومن مبادرات تيودور سطيك أيضا، إحداث الغرفة الثالثة في مجلس شورى الحكومة (1926) الذي كان موقوفا منذ نشأته الأولى (1919) على المزارعين وأصحاب التجارة والصناعة من المعمرين، وكان أصحاب المهن الحرة من محامين وأطباء وصيادلة ورجال التعليم لا تمثيل لهم فيه، مع أنه كان بمثابة مجلس استشاري يأخذ المقيم برأيه فيما يرجع لقضايا استعمار المغرب. وكان إحداث تلك الغرفة الثالثة خطوة ملموسة من أجل ترسيخ الوجود الفرنسي. ويرتبط بذلك ما أقدم عليه تيودور سطيك من محاولة تعزيز النظام القضائي الفرنسي في المغرب على حساب الشرائع الإسلامية، وذلك بناء على ما كان متشبعا به من نظريات اليسار العلماني الفرنسي، ومنها أن الأنظمة القضائية الأوربية متقدمة بكثير على أنظمة الإسلام، وأن السهر على نشرها عبر العالم من أنبل مهام الحركة الاستعمارية. وذهب به الحال إلى حد إدخال الكيوتين (Guillotine) في المغرب، وهي الآلة التي ابتكرها ثوار 1789 لقطع رؤوس المحكوم عليهم بالإعدام. ولكن أخطر ما سار تيودور سطيك إليه، هو التمهيد لإصدار ظهير يفصل القبائل الأمازيغية عن مقتضيات الشرع، على اعتبار أن تلك القبائل غير العربية ليست متمسكة بالإسلام تمام التمسك، ويمكن إدخالها في حيز القضاء الفرنسي كمرحلة أولى على درب العلمنة في المغرب. وهذا الظهير هو الذي أشرف على استصداره خلف تيودور سطيك في الإقامة العامة لوسيان سان. وكان من أسباب تأخر تلك الخطوة الماكرة، مقاومة السلطان المولى يوسف لكل ما كان يعرض عليه من المقترحات التي تمس بقواعد الشريعة الإسلامية وبرسوخ جذورها في المغرب. حتى إنه نفر من تيودور سطيك تمام النفور، فإنهما كانا على طرفي نقيض. وامتنع المولى يوسف من التوقيع على ظهير إدخال الكيوتن لمنافاتها للشريعة، فأمر المقيم العام بالعمل بها دون نشر الظهير في الجريدة الرسمية، لأنها كانت في رأيه أداة ردع مرهبة. كما رفض السلطان الإصغاء لكل ما كان يعرض عليه لفصل القبائل الأمازيغية عن حكم الشريعة. بينما كان للمقيم في ذلك غايات قضائية وأخرى سياسية. وبلغ التنافر بين السلطان والمقيم ذروته بشأن ما لم يخفه تيودور سطيك من التحفظ إزاء الأمير المولى إدريس المقدم لولاية العهد، الذي لم يكن سلوكه لينال رضاه في المغرب، ولا بالأحرى في فرنسا يوم رافق والده في رحلته إلى باريس لتدشين مسجد الحي اللاتيني هناك. ولذلك ما أن توفي المولى يوسف فجأة يوم 17 نونبر 1927 حتى بادر تيودور سطيك إلى السعي في إبعاد المولى إدريس والسعي في بيعة أصغر أبناء السلطان الراحل سيدي محمد الذي كان في السابعة عشرة من عمره، على أن يكون أكثر انصياعا لرغبات السلطات الفرنسية، وأكثر انسياقا مع رياح التجديد التي أثارها الاستعمار. ولم يكن في حسبان المقيم العام أن هذا العاهل الشاب الذي رضيه الاستعمار أول الأمر هو الذي سيمقته في نهاية المطاف بعد أن تزعم هو بنفسه حركة المطالبة بالاستقلال. ولكن تيودور سطيك كان من أولئك الذين يرون أن الوجود الفرنسي في المغرب لا شيء يهدده لا في القريب ولا في البعيد لشدة ما كانت عليه فرنسا من التفوق والمغرب من التخلف. ولذلك دأب على معاملة من ظل يقاوم من القبائل المغربية بنوع من الليونة غير الخالية من الاستخفاف الأبوي. لدرجة أن صهره اختطف في تادلة في خريف 1928. ففضل سبيل التفاوض مع المختطفين وكانوا من قبائل جبال بني ملال، ولم يطلقوا سراح الشخص المختطف إلا مقابل فدية معتبرة من المال ألزموا المقيم العام بأدائها بالسكة الحسنية، مع أن تلك السكة كان قد انتهى التعامل بها في المناطق المحتلة من البلاد، فوجدت السلطات الفرنسية حرجا في جمع المبلغ المطلوب بالسكة المذكورة وفي نقلها إلى حيث طالب المجاهدون بتسلمها. وهل كان لهذه الواقعة أثر على قرار تيودور سطيك في اعتزال الإقامة العامة للعودة إلى احتلال كرسيه عضواً في مجلس الشيوخ ؟ الثابت هو أنه غادر المغرب في نهاية سنة 1928 لأنه كان مضطراً للاختيار بين البقاء مقيما عاماً في الرباط أو المحافظة على مقعده في مجلس الشيوخ، ففضل متابعة مساره السياسي في باريس كما ذكرنا آنفا. وقد ظل مع ذلك يتتبع أحوال المغرب. حتى إنه جاء في ربيع سنة 1937 على رأس لجنة برلمانية لتقصي وسائل تمويل برامج التنمية الاقتصادية في البلاد بناء على مقترحات المقيم العام يومئذ وهو الجنرال نوكيس، الذي أدرك أن ما أصبح للحركة الوطنية المغربية من الصيت والنفوذ مرتبط بما حصل من تشرذم الجماهير المغربية التي تضررت كثيراً من عواقب الأزمة العالمية ومن الجفاف الذي ضرب المغرب في منتصف الثلاثينيات. وقد كان لتقرير تلك اللجنة ولدعاية تيودور سطيك في صفوف أصدقائه من الجبهة الشعبية تأثير في رصد الأموال اللازمة للنهوض بعدد من الأوراش الاقتصادية والاجتماعية التي ستذكر في ترجمة الجنرال نوكيس من هذه المعلمة.

توفي في باريس يوم 19 دجنبر 1950.

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة. د. ت ؛
م. ابن الحسن الوزاني، *مذكرات، حياة وجهاد*، بيروت، 1982، 6 مجلدات.

R. Letourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane. 1920 - 1961*, Paris, 1962 ; G. Oved, *La gauche française et le nationalisme marocain, 1905 - 1955*, Paris, 1984, 2 vol. ; D. Rivet, *De Lyautey à Mohammed V*, Paris, 1999 ; J. Luccioni, *Avènement de Sidi Mohammed Ben Youssef au trône du Maroc* (1927), R.O.M.M., XII, 1972.

إبراهيم بوطالب

السعادة (جريدة –) أسبوعية عربية أسستها المفوضية الفرنسية في طنجة في أكتوبر 1904 وتأتي هذه المبادرة بفعل عوامل مختلفة يمكن حصر أهمها فيما يلي :

- أدرك الفرنسيون أن الصحافة من الوسائل التي يمكن أن يراهنوا عليها لتحقيق أهدافهم الاستعمارية، فهي تدخل ضمن ترسانة "التدخل السلمي" إلى جانب التعليم والطب وغير ذلك.

- أصبحت الحاجة ملحة في نظر مسؤولي المفوضية إلى إيجاد جريدة عربية تعوض القراء المغاربة عن تلهفهم إلى الصحف العربية المشرقية التي كثيراً ما تتضمن أخباراً وتعاليق لا تساير المصالح الفرنسية في منطقة شمال إفريقيا.

- اقتنعت هذه المفوضية أيضاً أن الظرف العام، داخليا وخارجيا، كفيل بأن يضمن للمشروع النجاح المرجو لدى القراء المغاربة. فعلى الصعيد الداخلي، كان الناس يتشوفون إلى معرفة تطورات حركة الجيلالي الزرهوني المعروف ببوحمارة. وعلى الصعيد الخارجي، كان من المتوقع أن تشكل الحرب الروسية اليابانية مادة تستقطب اهتمام النخبة المغربية.

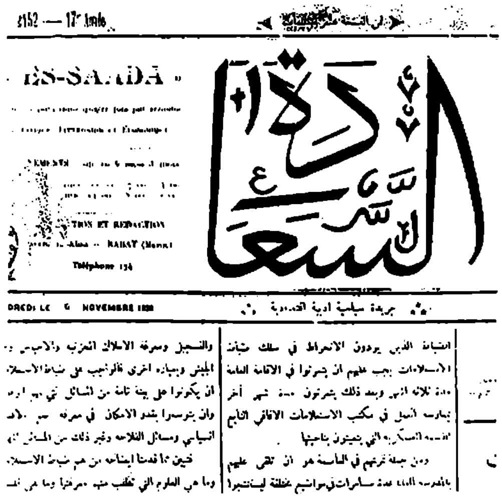

لم يكن إصدار جريدة *السعادة* يتجاوز المائة نسخة في بداية مسيرتها. ولكن بعد سنة واحدة ارتفع هذا العدد إلى خمسمائة، وفي السنة التالية بلغ ثمانمائة. وفي أجواء مؤتمر الجزيرة الخضراء، وحرصا على الدعاية لوجهات نظر الدبلوماسية الفرنسية في شأن ما يعرف آنذاك بالمسألة المغربية، تحول إصدار الجريدة الطنجاوية إلى مرتين في الأسبوع، وهي وتيرة تسمح بمواكبة التطور السريع للأحداث. وتجدر الإشارة هنا أن القيمين على المشروع سعوا جادين إلى استمالة القراء المغاربة، على قلتهم. ويمكن تتبع وسائل الإغراء بدءاً بعنوان الصحيفة المشحون بفال الخير والتفاؤل في وقت قلت فيه بشائر هذا الأفق. وللغرض نفسه، تم إضفاء رداء إسلامي على الجريدة باستجلاب محرر لها من الجزائر في شخص إدريس الخبزاوي. وقد كلف هذا الأخير، وهو الذي اشتغل بشؤون العدلية في مسقط رأسه تلمسان قبل حلوله بالمغرب سنة 1904، بأن يمرر الخطاب الفرنسي على أعمدة السعادة بأسلوب لا يتنافى والمشاعر الدينية لعموم القراء المغاربة. فقام الرجل بهذه المهمة حتى 1906 حيث رجع إلى بلده وأنعمت عليه الإدارة الفرنسية بترقيته إلى منصب قاض شرفي جزاء له على الخدمة التي أسداها للمشروع الفرنسي في المغرب.

وفي السنة ذاتها أسندت الإدارة الفرنسية مهمة تحرير الجريدة للشامي الماروني وديع كرم الذي تفنن بأسلوب أدبي راق في التجاسر على البلاد والعباد. فأثار هذا التوجه على السعادة نقمة صفوة من النخبة المغربية التي نعتتها بالشقاوة وبادرت إلى الرد عليها بكتابات أهمها :

- الطاعون : وهي جريدة مخطوطة أصدرها محمد بن عبد الكبير الكتاني سنة 1907.
- مقالة من سنان القلم لتنبيه وديع كرم : لصاحبها محمد العابد بن سودة (طبعة حجرية، فاس، 1908).
- مفاكهة ذوي النبل والإجادة حضرة مدير السعادة، لعبد الحي الكتاني (طبعة حجرية، فاس، 1908).
- تنبيه المستبد من حيث على جهله يعتمد (لمحمد بن يحيى الصقلي، طبعة حجرية، فاس 1908).
- الجيش العرمرم لهزم وديع كرم (مخطوطة لمجهول، ألفت سنة 1908).

ولعل أغرب ردود الفعل ضد السعادة تلك التي صدرت عن تجار مغاربة مقيمين بالشرق الأقصى (سنغفورا وجاوا)، ذلك أنهم وجهوا في شأنها رسالة إلى المخزن بتاريخ 3 أكتوبر 1910.

ولما استتب الأمر للفرنسيين بالمغرب بفرضهم لعقد الحماية في مارس 1912، نصب المقيم العام الجنرال ليوطي حاضرة الرباط عاصمة إدارية للبلاد. وفي إطار تنظيم أمورها استقدم إليها جريدة السعادة في أبريل 1913 حيث وكل أمر الإشراف عليها إلى الضابط الفرنسي المستعرب أوجين ماركو، كما تم تزويدها بتعليمات جديدة تجعلها تتفادى المساجلات وكل ما من شأنه أن ينفر قراءها المغاربة المسلمين. وهكذا فإنها أخذت تنشر كل ما يقدم صورة فرنسا على أنها صديقة حميمة للإسلام والمسلمين، وهو ما يتفق تماما مع السياسة التي سلكها ليوطي، خاصة بعد اندلاع الحرب العظمى. ومن جهة أخرى أولت الجريدة للكتابة الأدبية حيزاً كبيراً جعل عدداً غير يسير من القراء في المغرب يقبلون عليها ويساهمون في الكتابة على أعمدتها. وقد تجاوز عدد الذين ساهموا فيها على مدى حياتها الطويلة التي ناهزت نصف قرن خمسمائة كاتب. ولعل أغزر هؤلاء كتابة الآتية أسماؤهم : محمد الأوراوي وعبد الله القباج وعلي العلوي ومحمد بوجندار وصالح أبو رزق ومحمد الغربي وفتى الحي (اسم مستعار) وأحمد النميشي وعلي الطرابلسي وأحمد الهواري ومحمد السليماني...

ساهم عدد من الكتاب بأسماء مستعارة وآخرون أغفلوا توقيع مقالاتهم بشكل مقصود لأن السعادة كانت منبراً رسميا للإقامة العامة ولم يكن المتعامل معها في بعض

الظروف في منأى عن الغمز واللمز. ومع ذلك، فإن صفحاتها شكلت سجلا غنيا بمختلف المواضيع التي يمكن ترتيبها حسب أهميتها كالتالي : الآداب - التعليم - الإسلام - الرباط (العاصمة) - السلطان سيدي محمد بن يوسف - فاس المخزن - العلاقات المغربية الفرنسية. وطبعا، فإن هذا الترتيب يمنح فرصة قراءة تاريخية قد لا تخلو من الفائدة. إنه على كل حال رصيد متنوع عكس مختلف الأنشطة الرسمية وخلد أسماء المسؤولين والأعيان والأدباء والمفكرين. كما شكل مرآة للحياة اليومية للمواطن العادي عندما يقدم للقارئ صورة عن أوضاع السوق والمشاكل اليومية للسكان وتطور العمران، الخ. ولما تزامنت حياة هذه الجريدة مع فترة رزح فيها المغرب تحت الهيمنة الاستعمارية، فإن هذه الجريدة شكلت، علاوة على كل ما سبق، مصدراً أساسياً للتأريخ لهذه المرحلة.

وبعد حصول البلاد على استقلالها، انتهت مهمة جريدة السعادة، فصدر آخر عدد منها يوم 27 دجنبر 1956، وهو العدد 9864.

مجموعة جريدة *السعادة*، خ. ع.، الرباط. أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية في كل من باريس ونانط.

C. René-Leclerc, *La presse au Maroc. Aperçu historique et situation en juillet 1908*, in *Congrès de l'Afrique du Nord tenu à Paris du 6 au 10 ocotbre 1908.Compte-rendu des travaux*, tome 1, Paris, 1909 ; Margot, *La presse arabe en 1927*, Rabat, s.d. (1927 ?) ; J. Baïda, *La presse marocaine d'expression française des origines à 1956*, Rabat, 1996.

جامع بيضا

ابن **سعادة، عيسى**، يكنى أبا موسى : فقيه زاهد من أهل فاس، ونسبه ابن بشكوال إلى سجلماسة. كان من كبار علماء المغرب في القرن الرابع (10 م) وفضلائهم ومشاهيرهم، من طبقة أبي ميمونة دراس ابن إسماعيل الفاسي (ت. 357).

أخذ بفاس عن الفقيه الزاهد جبر الله بن القاسم الأندلسي نزيل عدوة الأندلس منها، الذي يعتبر "ممن أدخل فقه مالك إليها، ومن مشاهير فقهائها ومتقدميهم" (*المدارك*).

رحل ابن سعادة إلى الأندلس فأخذ عن علمائها مثل أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم من كبار فقهاء قرطبة وابن الخراز. ثم قام برحلة إلى المشرق سنة 352 / 963 وهو عالم يؤخذ عنه، وصحبه في رحلته عالمان شهيران هما أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت. 392 / 1001) وأبو الحسن القابسي (ت. 403 / 1012) الذي رافقه من القيروان، وقد روى الثلاثة عن حمزة بن محمد الكناني الحافظ.

وقد تصدر ابن سعادة في طريقه إلى المشرق لنشر العلم، فأخذ عنه بالقيروان الإمام أبو محمد بن أبي زيد القيرواني (310 - 386 / 922 - 996)، وغيره من علماء عصره. وفي نفس الوقت روى ابن سعادة ورفيقه الأصيلي عن كبار علمائها مثل أبي الحسن بن الإمام، وأبي الحسن علي بن محمد العبدري الدباغ، وأبي العباس عبد الله بن أحمد الأبياني.

ومن مناقب ابن سعادة العلمية شهادة أبي الحسن القابسي، التي ذكر فيها أنه "لم يتكلم قط في مسألة حتى يتقنها" (*المدارك*)، ومنها تفوقه في حفظ الحديث النبوي والفقه على السواء، بحيث فاق غيره في ذلك، مع بلاهة في أمور دنياه.

توفي رحمه الله بمصر سنة 355 / 966، وقد بلغ من مكانته عند علمائها في المدة القصيرة التي قضاها هناك أن تنازعه الفقهاء والمحدثون عندما توفي، فكل فريق كان يرى أنه أحق بالصلاة عليه.

ق. عياض، *ترتيب المدارك*، ج. 6، تح. سعيد أحمد أعراب، الرباط، ط. 1، 1401 / 1981، ص. 277 - 279 ؛ ابن بشكوال، *الصلة*، تح. السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، ط. 1، 1955، ج. 2، ص. 418، رقم 950 ؛ ابن الزبير الغرناطي، *صلة الصلة*، تح. ع. السلام الهراس وس. أعراب، الرباط، ط. 1، 1414 / 1994، ج. 4، ص. 57 - 58 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ج. 1، ص. 174، ج. 2، ص. 279.

محمد المغراوي

السعداني، هاشم، من شعراء الملحون بفاس، وشيخ أشياخها، عاصر مجموعة من فحول شيوخ الملحون، كالهادي بناني الذي كانت له مساجلات معه في تنويع الراوي على مستوى الموضوع الواحد مع الاحتفاظ بالمرمّة.

وقد سماه محمد الفاسي : "محمد بن أبي بكر السعداني، كان له دكان بسوق السبّاط بفاس، وذكر "كولان" في تقييد له أن قصيدة "دْخُولْ وجْدة" له مطبوعة على الحجر بفاس. (*معلمة الملحون*، ج. 2، ق. 2، ص. 349).

وقد أشار محمد الفاسي في *معلمته*، أن هاشم السعداني من شعراء الملحون الذين تنوعت موضوعات قصائدهم، وأدركوا حظوة رفيعة لدى معاصريهم، حتى نالوا لقب "شيخ الشيوخ"، وتعني عندهم "أمير الشعراء"، والشيخ الأثير، الذي يرجع إلى محفوظه وإنتاجاته ومعارفه في كل نازلة من النوازل الأدبية والفنية.

وحين نظم قصيده "دْخولْ وجدة" وشاع خبرها وذاع، وملأ المحافل والأسماع، لُقّب عند أهل الملحون، شاعر وجدة، حتى إن البعض جعله من شعراء المنطقة الشرقية، لأنه اشتهر بها أكثر من غيرها وسجّل بها احتلال المدينة حيث أدت دوراً كبيراً في الأوساط الشعبية التقليدية، وكانت من الإنتاجات الأدبية التي أسهمت في استنهاض الهمم والتعريف بالقضية الوطنية وبخطر الاستعمار في المنطقة الشرقية يومئذ. ويوجد النص الكامل لقصيدة "دخول وجدة" في الجزء الثالث من "معلمة الملحون" الصادر لسنة 1990، ص. 143.

وتوجد هذه القصيدة أيضا مشروحة ومحققة في سلسلة *ديوان الملحون*، المحور الثالث، الكتاب الخامس، ص. 206. مطبعة المناهل للطباعة والنشر - الرباط .. لقد ارتبط هاشم السعداني بعمله اليومي بسوق "السَبّاط" بفاس، كما ارتبط

بفنه. نعم، فإذا كان يدعوه إلى التنقل من هنا وهناك، ومن هذه المدينة وتلك، فإن حبه لفن الملحون، والتعريف بكنانيشه وكراساته، جعله يجمع في رحلاته بين الغايتين معاً : التجارة، والفن. ولعل ظاهرة "شعراء الملحون الرّحّل" انبثقت من ظروف الشعراء الشعبيين الذين كان جلهم يستقر في مدينة واحدة. وهذه الظاهرة تعتبر من الظواهر الاجتماعية، والفنية الفريدة من نوعها، والتي ساعدت بدورها على انتشار فن "الملحون" في مختلف جهات المغرب وخارجه كالجزائر وتونس وليبيا وموريطانيا.

يعتبر السعداني من شعراء الملحون الذين استفادوا استفادة كبيرة وهامة من الإنتاجات الأدبية التي كانت تروج لمجموعة من شعراء "المنطقة الشرقية"، مثل الشاعر عبد القادر الجزائري، الذي سبق أن نظم قصيدة طويلة، أرخ بها لاحتلال "الجزائر"، والشيخ الوجدي المعروف بالأكحل، وهو - أيضا - من شعراء المنطقة الشرقية الذين ساندوا القضية الجزائرية، كما استفاد السعداني من أشعار أبي عثمان التلمساني، ومن الشاعر أحمد التريكي، والمصمودي، والمغراوي، ومن الشيخ ابن مسايب، والشيخ أحمد عنقود الدالية، ومن غيرهم من فحول شعراء المحلون القدامى والمعاصرين له. (*سلسلة ديوان الملحون*، ع. 1، ص. 206) وحين جاهر الأديب الشعبي، الشيخ الأكحل الوجدي، بالدعوة إلى الجهاد من داخل المنطقة الشرقية، بواسطة قصيدته الزجلية التي ضمّنها أحداث القطر المجاور "الجزائر"، فإن هذه القصيدة قد فعلت مفعولها في النفوس، وتركت أثرا طيبا في نفس هاشم السعداني، فحذا حذوه، وأخذته الغيرة من الاحتلال الذي تعرضت له مدينة "وجدة" سنة 1907، فنظم قصيدته المعروفة بـ"دخُول وجدة" وفي حربتها "أي اللازمة" يخاطب المسلمين عامة، وسكان المنطقة الشرقية خاصة، فهو يستغيث بهم، ويدعوهم إلى البكاء، كما بكى كل غيور على ما أصاب سكان المدينة من إذلال، وخضوع للمستعمر الغاشم، الذي دخل ديارهم، في واضحة النهار، وقد غنمها بدون حرب ولا مواجهة. يخاطب أهل المدينة "وجدة" في لازمة قصيدته التي تتكرر عدة مرات، مع كل قسم من أقسام هذه القصيدة التي بلغ عددها (23) قسما، واقتربت أبياتها من مائتي بيت، وكل قسم يتكون من مجموعة أبيات، وكل بيت يتألف من شطرين، يلازم كل قسم "عروبي"، يتكون من مجموعة أشطار وردمة، تقول "حربة" هذه القصيدة ما نصّه :

يَا لِسْلامْ ابْكوا على دْخولْ وجْدة

دونْ حَرْبْ، اغْنَمْها لَعْدو، ونَالْ الـمْرادْ

توفي الشيخ هاشم السعداني بفاس في أواسط شهر رمضان عام 1352 / أوائل يناير 1934.

م. الفاسي، *معلمة الملحون*، ج. 2، ق. 2 : الجزء الثالث، الرباط، 1990.

عبد الرحمن الملحوني

السعدي ← أحمد الأعرج ابن محمد القائم بأمر الله

السعدي ← أحمد بن محمد الشيخ الأصغر (مولاي العباس)

السعدي ← أحمد المنصور الذهبي بن محمد الشيخ المهدي

السعدي ← الحران بن محمد الشيخ المهدي

السعدي ← أبو حسون محمد بن زيدان بن أحمد الأعرج

السعدي ← داود بن عبد المومن

السعدي ← زيدان بن أحمد الأعرج

السعدي ← زيدان بن أحمد المنصور

السعدي ← عبد الرحمن بن محمد الشيخ المهدي

السعدي ← عبد القادر بن محمد الشيخ المهدي

السعدي ← عبد الله بن أحمد المنصور (الزبدة)

السعدي ← عبد الله الغالب بن محمد الشيخ المهدي

السعدي ← عبد الله بن محمد الشيخ المامون

السعدي ← عبد الله بن اليزيد (مقاوم)

السعدي ← عبد الملك بن أحمد المنصور الذهبي

السعدي ← عبد الملك بن زيدان بن أحمد المنصور

السعدي ← عبد الملك بن أبي فارس

السعدي ← عبد الملك بن محمد الشيخ المامون

السعدي ← عبد الملك المعتصم بن محمد الشيخ المهدي

السعدي ← عبد المومن بن محمد الشيخ المهدي

السعدي ← عثمان بن محمد الشيخ المهدي

السعدي ← علي بن أحمد المنصور الذهبي

السعدي ← عمر بن محمد الشيخ المهدي

السعدي ← أبو فارس بن أحمد المنصور

السعدي ← محمد الشيخ الأصغر بن زيدان بن أحمد المنصور

السعدي ← محمد الشيخ المامون بن أحمد المنصور

السعدي ← محمد الشيخ المهدي بن محمد القائم بأمر الله

السعدي ← محمد بن عبد القادر

السعدي ← محمد بن عبد المومن

السعدي ← محمد القائم بأمر الله (المؤسس)

السعدي ← محمد المتوكل بن عبد الله الغالب (المسلوخ)

السعدي ← محمد بن محمد الشيخ المامون (زغودة)

السعدي ← منصور بن محمد الشيخ المهدي

السعدي ← الناصر بن عبد الله الغالب

السعدي ← الوليد بن زيدان بن أحمد المنصور

السعدية ← مريم بنت محمد المهدي الشيخ

السعديون، أسرة شريفة حكمت المغرب خمسين ومائة عام (915 - 1069 / 1509 - 1658) وتُعدّ الدولة المغربية السادسة بعد الأدارسة والمرابطين والموحدين والمرينيين والوطاسيين. وكانوا أيام ملكهم يُدعون بالشرفاء الزيدانيين الحسنيين، نسبة لجدهم زيدان بن أحمد بن قاسم من ذرية الحسن بن علي وفاطمة الزهراء. وأحمد بن قاسم هذا أتى به

الدرعيون من ينبُع النخل بالجزيرة العربية في أواخر القرن السابع (13 م) كما أتى أهل سجلماسة من بعده بأخيه الحسن الداخل جد الشرفاء العلويين، لتصلح ثمارهم وتسلم من العاهات. ولم تطرح قضية نسب السعديين إلاّ في أواخر دولتهم لما ضعفوا وثار عليهم العلويون وغيرهم في مناطق متعددة. وجاء في رسالة لمَحمد بن الشريف أمير تافيلالت رداً على رسالة عتاب بعث بها إليه سلطان مراكش محمد الشيخ الأصغر بن زيدان بن أحمد المنصور : "وعتابكم أننا عزيناكم لبني سعد بن بكر بن هوازن ... تالله ما فهنا بذلك عن معايرة لكم ولا جهلا بكم... بل اعتمدنا في ذلك بعد الله على ما نقله الثقاة المؤرخون لأخبار الناس من علماء مراكش وتلمسان وفاس ومكناسة الزيتون، ولقد أمعن الكل التأمل بالذكر والفكر فما وجدوكم إلا من بني سعد بن بكر".

والحق أن التشكيك في نسب الشرفاء الزيدانيين ونعتهم بالسعديين كان عملاً سياسياً لتحطيم ما بقي من نفوذهم وجاههم، ثم اختفت ظاهرة التشكيك لدى العلويين أنفسهم بعد أن توطد ملكهم وأصبحوا يُعلنون شرف الزيدانيين "السعديين" وقرابتهم منهم. وذكر الزياني في *الترجمان المعرب* (ص. 343) حواراً طويلا مباشراً مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله حين جرى في مجلسه ذكر السعديين وذكر له الخلاف الذي جرى في ثبوت نسبهم "قال لي - رحمه الله - اسكت ولا تعد لهذه المقالة، فإنهم إخواننا وبنو عمنا وجدنا وجدهم واحد، وقريتنا وقريتهم بالينبوع واحدة يقال لها بنو إبراهيم، وجدهم أحمد خرج للمغرب قبل جدنا حسن بنحو الثلاثين سنة، وهما أخوان ...".

كان كبير الشرفاء الزيدانيين في مطلع القرن العاشر (16 م) فقيهاً وجيها يدعى محمد بن عبد الرحمن يعلم الصبيان القرآن في أحد قصور واحة تاگمادارت في الضفة الشرقية لنهر درعة، في وقت كانت بلاد ما وراء الأطلس موكولة إلى نفسها لا أثر فيها لنفوذ الوطاسيين، والبرتغاليون يعيثون في سواحلها فساداً، ولا سلطة تقف في وجههم إلاّ جماعات متفرقة من المجاهدين المنتسبين إلى الزوايا الجزولية الشاذلية في تافيلالت ودرعة وسوس. وكان زعيم السوسيين في الجهاد ضد البرتغاليين المحتلين لمنطقتي فونتي وماسة هو الشيخ بركات بن محمد التيدسي، وكان البرتغاليون يفاجئون السكان بغاراتهم فيستفزونهم من قراهم ويأسرون من رجالهم ونسائهم وأطفالهم، فيسعى الشيخ بركات في فداء الأسرى وعقد هدنة لمدة محدودة فيأبى البرتغاليون أن يفاوضوا إلاّ أميراً سياسياً الأمر الذي دّفع سكان الجنوب إلى التفكير في إقامة حكومة جديدة قادرة على مواجهة الأوضاع المتردية وتبنى الفكرة الشيخ بركات والشيخ محمد بن مبارك صاحب زاوية أقّا. وعرضت عليهما رآسة هذه الحكومة فأبيا إلاّ مبايعة شريف درعة لشجاعته وكفايته في قيادة المجاهدين ونسبه القرشي الذي لا يعارض فيه أحد من سكان المغرب قاطبة.

وخلال عام 915 / 1509 استدعى الشيخ محمد بن مبارك الشريف محمد بن عبد الرحمن الدرعي إلى زاوية أقا، واتفقا على المبادئ والوسائل، وحضرا في السنة الموالية تجمعاً عاماً في زاوية تيدسي بضاحية تارودانت، حيث بايع الحاضرون الشريف محمد بن عبد الرحمن أميراً للمومنين ولقبوه بالقائم بأمر الله. فقام بالجهاد هو وولداه البكر أحمد الأعرج والصغير محمد أمغار الذي لقب فيما بعد محمد المهدي الشيخ.

طالت مرحلة تأسيس الدولة السعدية خمساً وأربعين سنة (915 - 961 / 1509 - 1554) لثلاثة أسباب :

أولاً : ضعف الوسائل المادية لديهم في هذه الفترة إذ لم يكن لهم بيت مال منظم، ولا مداخيل قارة غير الزكاة الشرعية نظراً لاحتلال الثغور واختلال شؤون الفلاحة والتجارة، والتعبئة العامة للسكان لمهاجمة المحتلين على طول سواحل سوس وعبدة ودكالة، وبالتالي ضعف التسلح.

ثانياً : قوة الخصم المتجددة بما كان يتلقى من إمدادات بشرية وسلاح بواسطة سفن لا تفتأ غادية رائحة بين الموانئ البرتغالية والثغور المغربية المحتلة.

ثالثاً : مناوشات الوطاسيين ملوك فاس الذين كانوا يناصرون في البداية الشرفاء السعديين كمجاهدين يقاومون الاحتلال الأجنبي في الجنوب، لكن بعد أن حقق السعديون انتصاراتهم الأولى ووسعوا رقعة نفوذهم في بلاد الحوز قلب الوطاسيون لهم ظهر المجن واستجمعوا قُواهم، وهاجموهم أكثر من مرة.

وقد تمكن محمد المهدي الشيخ المقيم في تيدسي ثم في المحمدية (تارودانت) خلال هذه الفترة من تحسين الوضع المادي للدولة الناشئة بتحكمه في تجارة القوافل الصحراوية مع السودان، وتنشيط زراعة قصب السكر وتصفيته، وإعادة فتح التجارة البحرية مع الأوربيين بعد أن طرد البرتغاليين من سواحل سوس وهدم على رؤوسهم حصن فونتي وأنشأ على أنقاضه مدينة أگادير سنة 947 / 1541، ومن ثم تزوّد بما يحتاج إليه من سلاح ناري بواسطة سفن الهولنديين والفرنسين الذين قايضهم به السكر والشمع والنيلة وغيرها من منتجات سوس. ومهّد أحمد الأعرج المقيم في مراكش بلاد الحوز وحرر قبائل عبدة ودكالة من نير البرتغاليين وإتاواتهم الجائرة بعد أن أرغمهم على الاعتصام بأسوار الحصون التي يحتلونها، وأنهى الحروب المتكررة مع الوطاسيين بصلح مشرع بوعقبة سنة 943 / 1536 الذي قسم المغرب إلى شمال للوطاسيين وجنوب للسعديين.

اعتبر محمد المهدي الشيخ أخاه أحمد الأعرج عاجزاً قصير النظر، فاعتقله سنة 951 / 1545، وباشر بنفسه قطع المراحل الباقية لتمهيد البلاد وتوحيدها، يساعده في ذلك ولداه البطلان المغواران : الحرّان وعبد القادر، ويسانده شيوخ التصوف، فقضى على نفوذ الوطاسيين في بلاد تامسنا

والغرب وسايس، وتم توحيد المغرب تحت سلطة السعديين يوم السبت 24 شوال عام 961 / 22 شتنبر 1554، وهو اليوم الذي تمكن فيه محمد المهدي الشيخ من صرع آخر الوطاسين أبي حسون على أبواب مدينة فاس، وتمزيق أنصاره من الأعراب وأتراك الجزائر.

ساءت بعد ذلك العلاقات بين محمد المهدي الشيخ وشيوخ الزوايا لـمّا حرمهم من الامتيازات وفرض عليهم "النائبة"، وبينه وبين أتراك الجزائر الذين طاردهم إلى ما وراء مجرى نهر شلف. ودفع حياته ثمناً لسياسة التحدي هذه حيث اغتيل على يد جماعة من المحتالين الأتراك. وعاش المغرب بعد ذلك نحو عقدين من الزمن في هدوء نسبي مع عبد الله الغالب الذي صرف عنايته للتعمير والتعليم، فرمّم مآثر مراكش وشيّد فيها جامع الأشراف بحومة المواسين والمدرسة العجيبة بجوار جامع ابن يوسف. لكنه لما عهد بالخلافة لابنه محمد المتوكل، أنف من ذلك أخواه عبد الملك المعتصم وأحمد، وكانا لاجئين عند العثمانيين، فدخلا إلى المغرب على رأس جيش تركي، واستطاعا أن يزيحا عن العرش محمداً المتوكل الذي التحق بعد هزائمه بسيبستيان ملك البرتغال متطارحاً عليه.

لم يكد عبد الملك المعتصم يستلم مقاليد الأمور ويبدأ في تنظيم الجيش المغربي على صورة الجيش التركي نظاماً ولباساً وأسلحة حتى نزلت القوات البرتغالية في ناحية العرائش والقصر الكبير مع محمد المتوكل المخلوع لا كتساح البلاد.

وجرت معركة وادي المخازن الحاسمة أو معركة الملوك الثلاثة يوم الاثنين متم جمادى الأولى عام 986 / 4 غشت 1578 هلك فيها غرقاً في الوادي كل من سيبستيان ملك البرتغال، ومحمد المتوكل (المسلوخ). كما مات في بداية المعركة عبد الملك المعتصم، وكان مريضاً محمولاً على محفة، فأُخفي خبر موته إلى ما بعد انتهاء المعركة. ومات مع سيبستيان أو أُسر معظم نبلاء البرتغال، وافتُدي الأسرى بمبالغ طائلة أخلت بيت مالهم فاضمحل شأن البرتغال وضُمّت بلاده وممتلكاته إلى التاج الإسباني، وبقي كذلك نيفاً و ستين سنة.

بويع أحمد أخو عبد الملك على أرض المعركة ولُقب بالمنصور ثم الذهبي، وبايعته بعد ذلك حواضر المغرب وبواديه، واستمر ملكه ستاً وعشرين سنة (986ـ1012 / 1578ـ1603) ويعتبر أحمد المنصور الذهبي واسطة عقد السعديين وعهدُه أزهى عهود هذه الدولة رخاءً وعلماً وعمراناً وقوة وجاهاً. وهو الذي بدأ ربط العلاقات السياسية والاقتصادية مع الأوربيين وبخاصة انجلترا. ومهد بلاد الصحراء ونظّم قوافلها التجارية وفتح بلاد السودان سنة 999 / 1591 وانتشر نفوذه إلى حوضي النيجر والسينغال، وشيد خلال سبع عشرة سنة بمراكش قصر البديع الذي لم يُسمع بمثله سعة وزخرفة وتذهيباً. وقد هدمه المولى إسماعيل غير تارك منه سوى الأطلال، لكن كتاب *مناهل* الفشتالي احتفظ بوصف دقيق وافٍ لهذا القصر العظيم. كما شيّد المنصور أو وسّع وزيّن مساجد وخزائن علمية وقلاعاً وحصوناً حربية وقناطر ومصانع السكر بمراكش وحاحة والسوس الأقصى، فكثر السكر في أيامه وصار يصدَّر إلى أوربا.

ولما مات أحمد المنصور سنة 1012 / 1603 تنازع أبناؤه على الملك : زيدان ومحمد الشيخ المامون وأبو فارس، وقامت حرب أهلية مريعة في فاس ومراكش وسائر الجهات هلك فيها كبار قواد الجيش ومعظم الجنود، وهلك فيها أيضاً الأمراء أبو فارس ومحمد الشيخ المامون وابنه عبد الله، واستقر زيدان أخيراً في مراكش منهوك القوى صارفاً نظره عن فاس وشمال البلاد.

توارث أبناء زيدان وأحفاده ملك مراكش، فلم تكن تطول مدتهم ويقتلون علناً أو غدراً، لأن الثورات لم تنقطع. وأشهر الثوار على السعديين في عصر الاضطراب :

ـ الدلائيون في الأطلس المتوسط، كوّنوا إمارة قوية امتد نفوذها شمالا إلى السواحل الأطلسية وبلاد الغرب بما في ذلك سلا ومكناس وفاس.

ـ والسملاليون في إيلغ شمل نفوذهم بلاد السوس وما جاورها جنوباً.

وانتهت دولة السعديين بقتل أحمد العباس حفيد زيدان سنة 1069 / 1658 بيد أخواله الشبانات. ومازال بفاس أسرتان تحملان اسم "السعدي" إحداهما شريفة يظن أنها من بقايا الملوك السعديين، منهم آل المنجرة الشرفاء.

وهذه قائمة الملوك السعديين ومدة حكمهم :

ـ محمد بن عبد الرحمن القائم بأمر الله (915ـ923 / 1509ـ1517)

ـ أحمد الأعرج بن محمد بن عبد الرحمن (923ـ951 / 1517ـ1545)

ـ محمد المهدي الشيخ بن محمد بن عبد الرحمن (951ـ964 / 1545ـ1556)

ـ عبد الله الغالب بن محمد المهدي الشيخ (964ـ981 / 1556ـ1573)

ـ محمد المتوكل بن عبد الله الغالب (981ـ983 / 1573ـ1575)

ـ عبد الملك المعتصم بن محمد المهدي الشيخ (983ـ986 / 1575ـ1578)

ـ أحمد المنصور الذهبي بن محمد المهدي الشيخ (986ـ1012 / 1578ـ1603)

ـ أبو فارس بن أحمد المنصور (1012 / 1603)

ـ محمد الشيخ المامون بن أحمد المنصور (1012 / 1603)

ـ زيدان بن أحمد المنصور (1012ـ1037 / 1603ـ1627)

ـ عبد الملك بن زيدان (1037ـ1040 / 1627ـ1630)

ـ الوليد بن زيدان (1040ـ1045 / 1630ـ1635)

. محمد الشيخ الأصغر ابن زيدان (1045 . 1056 / 1635 . 1646)

. أحمد العباس بن محمد الشيخ الأصغر (1056 . 1669 / 1646 . 1658)

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. ع. الله گنون، تطاون، 1964 ؛ أ. ابن القاضي، *المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور*، تح. م. رزوق، الرباط، 1986، *رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح*، تح. م. البوعناني، د.د.ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط ؛ أ. المنجور، *فهرس*، تح. م. حجي، الرباط، 1979 ؛ أ. ابن أبي محلي، *إصليت الخريت*، مخطوط ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، الرباط، 1976 ؛ قاسم ابن القاضي، *تنوير الزمان بقدوم مولانا زيدان*، مخطوط ؛ أ. بابا التنبكتي، *كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج*، تح. م. مطيع، المحمدية، 2000؛ ع. التمگروتي، *النفحة المسكية في السفارة التركية*، طبع مصوراً في باريز، د. ت. ؛ مصطفى الجنابي، *البحر الزخار والعيلم التيار*، مخطوط ؛ شهاب الدين الخفاجي، *خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا*، مخطوط ؛ *ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا*، بولاق مصر، 1866 ؛ محمود كعت، *تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس*، تح. هوداس ودولافوس، أنجي، 1913 ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية التكمادرتية*، تح. كولان، الرباط، 1934 ؛ ع. الرحمن السعدي، *تاريخ السودان*، باريس، 1898 ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، الرباط، 1964 ؛ ع. الرحمن بن عبد القادر الفاسي، *لمحة في تاريخ دولة الشرفاء*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، ط. 2، بيروت، 1983 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. م. حجي وآخرين، الرباط، 1984، ج 1 و2 ؛ ديكودي طريس ؛ *تاريخ الشرفاء*، م. حجي وم. الأخضر، سلا 1988؛ س. الحوات، *البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ج. 5 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1976 ؛ *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988 ؛ إ. حركات، *السياسة والمجتمع في العصر السعدي*، الدار البيضاء، 1987 ؛ إ. شحاتة، *معركة وادي المخازن في تاريخ المغرب*، الدار البيضاء، 1979 ؛ أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، الدار البيضاء، 1984 ؛ ع. الهادي التازي، قصر البديع، *البحث العلمي*، عدد 28، 1978 ؛ م. العربي الخطابي، *أمير سعدي في خدمة البلاط الإسباني*، *المناهل*، عدد 13، 1978 ؛ ع. القادر زبادية، *مملكة سنغاي في عهد الأسقيين*، الجزائر، 1971 ؛ ع. الكريم كريم، *المغرب في عهد الدولة السعدية*، الدار البيضاء، 1977 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون.

G. Aimel. *Le Palais d'El-Badi. A.B.*, III, 1918 ; P. Berthier, *Les ancienenes sucreries du Maroc*, Rabat, 1996 ; A. Cour, *L'établissement des dynasties des chorfa au Maroc*, Paris, 1904 ; J. Démucé, *L'Afrique au 16è siècle et le commerce anversois*, Anvers, 1937 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, 3 vol., Rabat, 1959 ; A. Dziubinski, *L'armée et la flotte de guerre marocaine à l'époque des sultans de la dynastie saâdienne*, *H.T.*, vol. XIII, fasc. unique, 1972 ; Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1952 ; R. Le Tourneau, *Les débuts de la dynastie saâdienne jusqu'à la mort de Muhammad ach-Chaykh, 1557*, Alger, 1954 ; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du 16è siècle*, Alger, 1906 ; P. Masson, *Histoire des établissements et du commerce français. 1560 - 1793*, Paris, 1903 ; J. Meunier, *Le grand riad et les bâtiments saâdiens du Badi à Marrakech selon le plan publié par Windus*, *Hesp.*, 1 et 2 trim, 1957 ; Ch. Penz, *Les captifs français du Maroc au 17è siècle*, Paris, 1944 ; G. Pianel, *Conquête du Soudan par Moulay al-Mansur*, *Hesp.*, 1953.

محمد حجي

سَعّود، أسرة تطوانية عريقة انقرضت، ذُكر منها عام 1116 قاسم بن محمد سعّود. وفي أسفل شارع المصلى القديم ضريح عليه قبة من طراز قباب صلحاء البلد الأقدمين يسمى سيدي سعّود. عده سكيرج والرهوني من صلحاء البلد ولم يذكرا عنه شيئاً. وأحسب أنه أندلسي لأنه دفن حيث كانت تطوان القديمة في القرن السادس (12 م) فما بعده، وعلى بُعد بضعة أمتار من ضريحه يقع (الجامع الخضراء) من أقدم مساجد تطوان أو أقدمها، وقد تحيفها الناس ولم يتركوا منها إلا القليل، وجُدد الباقي الآن.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

محمد بوخبزة

سعيد (ابن -) أو بنسعيد، أسرة سلوية عريقة، أصلها من صنهاجة سوس من فرقة الركنيين، قدموا إلى سلا في القرن الثامن (14 م) على عهد السلطان أبي عنان المريني كحرفيين وأنجبت بيوتات منهم وُلاة وأمناء وعدولاً.

ويوجد أبناء سعيد أيضا في فاس ومكناس وغيرهما، قال صاحب *إزالة الالتباس* (2 : 186) : "وقفت على أن أولاد ابن سعيد الذين هم بمدينة سلا وفاس ومكناس أصلهم واحد من سلا انتقل البعض إلى فاس وإلى مكناس".

ويرى محمد ابن عزوز حكيم أن أسرة ابن سعيد التطوانية أصلها من الأندلس، حيث ظل هناك بعض أفراد الأسرة بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Zaete - Çahet - Çaet ؛ ولم تهاجر هذه الأسرة مباشرة من الأندلس إلى تطوان بل توجهت إلى مدينة سلا ومنها أتت إلى تطوان حيث تعرف بهذا الاسم ابن سعيد وبأولاد السلاوي. ومنهم أحمد ابن سعيد الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1212 إلى سنة 1215 (1798 . 1800).

ج. الناصري، بنو سعيد *السلاويون* منشور في كتابي التعريف ببني سعيد، 1 : 1297؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 16 : 14.5 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون في جزءين ؛ م. بوشعراء، *الأصول الاجتماعية لأهل سلا*، مخطوط ؛ م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون، تطوان 1999، رقم 345.

ابن **سعيد، إدريس** بن عبد الله السلوي، أديب وصحافي. ولد بسلا عام 1300 / 1883، وعاش بطنجة. أخذ عن علماء بلده وعلماء فاس، وحضر بعض مجالس الشيخ محمد ابن عبد الكبير الكتاني. تعلم الإسبانية بطنجة، وأتقنها بعد انخراطه في أسلاك الإدارة الإسبانية، وتعلم الفرنسية على يد محمد گدُودُو الغزولي الجزائري ترجمان الحاج محمد المقري. ثم شارك في تحرير جريدة "الإصلاح" لسان الإقامة العامة الإسبانية بتطوان. وكلفته السلطات الحامية بمهمات دقيقة للاتصال بأحمد الريسوني فسجن لذلك

ثلاث سنوات بجزر كبدانة من 1916 إلى 1918، وبرجال ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي في شأن تحرير الأسارى الإسبانيين لديه، ففتحت مصالح الحماية تحقيقاً في شأن ولائه لها، فأخذت تحتاط منه، ولم تمض شهور قليلة حتى وقع اغتياله عند خروجه من المعسكر الإسباني بالكدية الحمراء بقبيلة تافرسيت على يد الجناح المتصلب من الإسبانيين، لكنها تظاهرت بعطفها عليه وشيعت جنازته إلى مقبرة سيدي وارياش قرب مليلية.

كان مولعاً بالأدب ومطالعة الصحف، ويقال إنه ترجم إلى العربية مقالات ومسرحيات إسبانية، لكن عليه مآخذ من أجل ولائه لإسبانيا وكتابته بجريدة "الإصلاح"، ثم تلبسه بالحماية الإسبانية، تقية أو خوفاً من العودة إلى السجن. وكان يسافر إلى الخارج والتقى مرات عديدة في إسبانيا بالسلطان عبد الحفيظ بن الحسن المنفي هناك.

وتوفي غيلة بنواحي الريف يوم 29 شوال 1342 / 14 يونيو 1923.

م. بوشعراء، *التعريف*، 1، ص. 43-44 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *ومضات مضيئة عن الحرب الريفية من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني*، 32-35-41-42-44-180-181 ؛ ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية بالمغرب العربي*، ص. 118 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، ص. 199 ؛ *وثائق آل بنسعيد*.

ابن **سعيد، عبد الله** بن الحاج محمد السلوي. عامل سلا بعد وفاة أبيه سنة 1310. ولد بسلا سنة 1282 / 1865. عين أميناً بمرسى العدوتين ثم أميناً بمرسى طنجة سنة 1312 مع احتفاظه بالولاية على مسقط رأسه. وفي سنة 1896 نشب خلاف بينه وبين قاضي سلا الحاج علي عواد فنقل عواد إلى القضاء بالجديدة وعين بنسعيد بدار النيابة بطنجة. وفي سنة 1905 أُقيل من منصبه بعد زيارة إمبراطور ألمانيا غليوم الثاني لطنجة. وبقي عاملا على سلا إلى أن عزل في السنة نفسها من جميع وظائفه لاتهامه بالميل إلى ألمانيا. ولكن مولاي عبد الحفيظ رده وعينه خليفة لمحمد الگباص نائبه بطنجة، ومكث هناك إلى أن نُفي خلال سنوات الحرب العظمى إلى الجديدة، وما كاد يفرج عنه سنة 1919 حتى أبعد إلى وجدة طيلة سنتين لأنه كان متضامناً مع تجار العدوتين في رفض فرض ضريبة البطانطا عليهم، وكان كثير النقمة على السلطات الفرنسية.

كان رجلا قوي الشكيمة، شديد الغيرة على وطنه ولغته وأصالته، وخلف مراسلات ووثائق وبرنامجا إصلاحيا نشر بعضها في "التعريف" يشهد له بذلك. وقد ورث ثروة كبيرة عن أبيه وجده.

توفي بسلا سنة 1342 / 1924.

م. بوشعراء، التعريف، 1 و2 في صفحات مختلفة ؛ *ذيل الإتحاف الوجيز*، 199، ط. 2.

ابن **سعيد، العربي** (الحاج -) بن عبد الله، فقيه أديب من أعيان سلا المرموقين. كان عضواً مستشاراً باللجنة البلدية بسلا في عهد الحماية. وكانت له خزانة كتب ووثائق ورثها عن أبيه وجده فكان يقدمها للراغبين في معرفة تاريخ المغرب.

ولد بطنجة عام 1315 / 1898 وتوفي بسلا فجر يوم الجمعة 4 شوال 1411 / 19 أبريل 1991 ودفن بالزاوية القادرية.

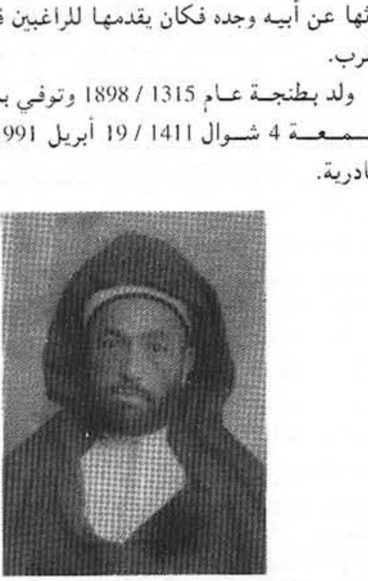

وثائق آل ابن سعيد.

ابن **سعيد، محمد** بن **أحمد**، السلوي، فقيه ومحدث وصوفي، كان مدرساً بالزاوية الكتانية بسلا، تجول بعدد من مدن المغرب، وسافر إلى مصر وحج عدة مرات. ولما احتلت فرنسا الدار البيضاء سنة 1907 سافر بأهله إلى الحجاز ومات هناك محرماً ودفن بالمعلاة بمكة.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 144 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، ص. 199.

ابن **سعيد، محمد** (الحاج -) بن محمد بن محمد (ثلاثا). عامل سلا من سنة 1278 / 1862 إلى وفاته سنة 1310 / 1893. كان أول أمره أمينا بأسفي إلى أن سُمي عاملا على مسقط رأسه؛ وكان سنة 1283 / 1865 سفيراً ثانيا مع الحاج محمد الشرگي إلى فرنسا لدى الملك نابوليون الثالث. وقد خلف وثائق كثيرة حفظها حفيده الحاج العربي ابن عبد الله بخزانته وضمها إلى وثائق والده. ومنها أيضا *رحلته إلى فرنسا*، نشرت في الجزء الأول من *التعريف*.

كان فقيها نابها وكيسا، وتأثل كثيراً.

ج. الناصري، بنوسيعد *السلاويون* ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، ج. 1 ؛ *ذيل الإتحاف الوجيز*، 199، ص. 2 ؛ وثائق بنسعيد.

مصطفى بوشعراء

ابن **سعيد، محمد** شيخ الملحون السلاوي، ولد سنة 1341 / 1923. وقد أحس في نفسه الميل إلى طرب الملحون وعمره لا يتجاوز الثانية عشرة، ويرجع الفضل في ذلك إلى الجو الفني الذي نشأ فيه. فقد كان خاله الحاج عبد القادر البهلول من مشهوري حفاظ قصائد الملحون، وكان بيته بسلا

ملتقى أشياخ الكريحة. ولم يفتأ الفتى أن تأثر بما كان يسمعه في مجالس خاله، وسرعان ما أشربت نفسه حب الملحون والولع بإنشاده.

وفي سنة 1935/1354 ضمه صهره كبير أشياخ الملحون أيامئذ بسلا محمد بن غانم إلى جوقه، وأخذ يصحبه معه موسّداً بيديه، ثم ناقراً للتعريجة. وفي سنة 1944 بدأ يحضر الحصص الإذاعية التي كانت تخصص لطرب الملحون وتبثّ من مركز الإذاعة السابق بمقر وزارة البريد.

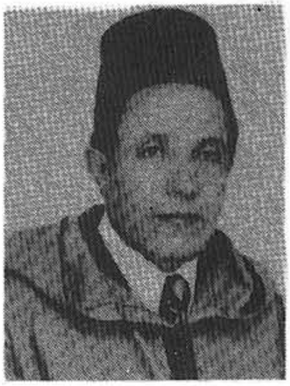

وقد تهيأ له في إطار مجموعة ابن غانم أن يتصدر يوما للإنشاد بسبب غياب شيخه، فحظي بالقبول والاستحسان، ومنذئذ انخرط في زمرة المنشدين ليصبح فيما بعد من المشهود لهم بسعة الحفظ وجودة الأداء.

شارك المرحوم ابن سعيد في كثير من التظاهرات الفنية المقامة بأرجاء المغرب، وفي المهرجانات الدولية منشدا وعراجا، ومنها المهرجان الدولي الذي أشرف على تنظيمه المجلس الدولي للبحوث الموسيقية ببرلين خلال فبراير 1986، بمدن ميونيخ وهامبورغ وبرلين.

كان مثالا لنبل الأخلاق، كثيرا ما يتمثل بغرر شعر الملحون في مجالساته. وقد وافاه الأجل يوم الاثنين 29 رمضان 1416 / 19 فبراير 1996.

جريدة الأنباء، 24 . 2 . 1982؛ *معلومات شخصية*.

Musik Aus Nordafrika, I not Fur Vergleichende Musikstudien, 8 - 12 Februar, 1986.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

ابن **سعيد، محمد** بن **محمد** الريفي، مقاوم ولد سنة 1916 بدوار اسقيمت ملحقة بني عمارت إقليم الحسيمة.

ترعرع وسط عائلة متواضعة الحال ومحافظة على القيم الإسلامية، وما أن سمع بنداء الوطن حتى بادر إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير.

شارك في عدة معارك واتصف بالشجاعة النادرة خلال كفاحه المسلح ضد جنود الاحتلال وقد واصل نضاله دفاعا عن استقلال البلاد إلى أن استشهد بمركز باب الحيط بتاريخ 23 / 11 / 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 521220.

أبو **سعيد الأول، عثمان** بن عبد الحق المريني، عرف بلقبه المختصر وهو أبو سعيد الأول كما اشتهر عند زناتة باسم أدرغال ومعناه الأعور. ولد سنة 593 / 1197 أو 597 / 1201 وعاش في كنف والده وتربى على الفروسية وحمل السلاح، وعندما اشتد عوده شارك والده عبد الحق بن محيو جد ملوك بني مرين في حروبه ضد الموحدين بالشمال الشرقي من المغرب الأقصى. وبعد مقتل والده وأخيه الأكبر إدريس في معركة واجهران (أو واجرمان) بالقرب من وادي سبو يوم الأحد 22 جمادى الثانية من سنة 614 / 26 شتنبر 1217 بايعه الأتباع أميراً عليهم وزعيما لبني مرين. تملكت أبا سعيد رغبة الانتقام من عرب رياح قاتلي والده وأخيه، لذلك استجمع قوته من جديد وشرع في محاربة أعدائه والتنكيل بأشرافهم حتى قتل منهم أعداداً كبيرة، الشيء الذي دفع بزعماء رياح إلى طلب الصلح والعفو والدخول في طاعة أبي سعيد الذي عفا عنهم مقابل إتاوة يدفعونها له في كل سنة. لقد كان إخضاع الأمير المريني لعرب رياح بمثابة الضربة القاصمة التي هدت قوتهم وساهمت في إزاحة أخطر منافس وأكبر عائق أمام طموحاته ورغبته في توسيع نفوذ بني مرين خارج مجال عصبية زناتة أي في ما وراء نهر ملوية في اتجاه فاس والمناطق الغربية والجنوبية.

كان المغرب الأقصى منذ ظهور بني مرين وخاصة بعد بيعة أبي سعيد، يعيش في وضعية متأزمة تميزت بانتشار الفتن بين قبائله واشتداد الخوف وانعدام الأمن في الطرقات، وزاد الأمر تفاقما واستفحالا إهمال وعجز ملوك الموحدين عن تأدية دورهم في مواجهة هذه الأزمات والحد من اتساع نطاقها، فخرجت عن حكمهم البوادي وكثير من الحواضر شمال وادي أم الربيع. وتحركت على خلفية هذه الأزمة جيوش أبي سعيد في أنحاء البلاد ونجح منذ سنة 616 / 1219 . 1220 في استقطاب كثير من القبائل إلى جانبه كهوارة وتسول ومكناسة وبطوية ومطلاسة وجزناية وبني يرتيان وغياثة ومجاصة وصاريوة وبني مكود، وفتح بلدانا عديدة كبلاد بني كانون وجبال زرهون وبلاد أوربة وصنهاجة وفشتالة وسدراتة ولمطة وبني واريتن وجزء كبير من بلاد غمارة وفرض عليها الخراج مالا أو زرعا خفارة على بلادهم كل سنة. كما خضعت له حواضر كبرى مثل فاس ومكناسة وتازة وقصر كتامة وغيرها وفرض عليها ضرائب سنوية مقابل أمنهم وسلامتهم. وقد ذكر المؤرخون أن ما كان يجتمع لأبي سعيد من المغارم على فاس ومكناسة ورباط تازة فقط يصل إلى 10.000 دينار في السنة مما يوحي بأن المبالغ المحصلة من تلك المناطق الواسعة كانت كبيرة جداً وهو ما جعل أبا سعيد يعين حفّاظاً لجمع تلك الضرائب وضبطها كمؤشر بداية تكوين مخزن مريني يعوض المخزن الموحدي القائم. لقد ساهمت هذه

النجاحات العسكرية في توفير إمكانيات وموارد بشرية ومالية مهمة زادت من قوة الجيش المريني وفتحت أكثر شهية الأمير أبي سعيد للتوسع وفتح مناطق جديدة نحو الأطلس المتوسط كبلاد فازاز ثم نحو بلاد الغرب في أزغار والهبط حيث أصبحت خيول بني مرين، حسب ابن عذاري، رائحة غادية تستأصل الاعداء في كل حاضرة وبادية (*البيان*، ق. م. 351) إلى حدود سنة 625 / 1228. وبعد تسع سنوات من الفتوحات استطاع هذا الأمير المحارب بسط نفوذ بني مرين على كل شمال المغرب الأقصى من وادي ملوية إلى رباط الفتح على الساحل الأطلسي. كانت مجهودات أبي سعيد العسكرية والتنظيمية انطلاقة حقيقية دَعَّمها خلفاؤه من بعد في أفق تكوين دولة مرينية في كل بلاد المغرب الأقصى. لم تعد المصادر تذكر أخبار أبي سعيد بعده سنة 625 باستثناء حادثة الاغتيال التي تعرض لها سنة 638 / 1240 (أو 636 . 637) بوادي ردات (قرب مشرع بلقصيري) حيث تمكن أحد أعلاجه، بتحريض من قائد الموحدين عبد الله ابن وانودين، من طعنه بحربة أردته قتيلا.

أبو فارس الملزوزي، *نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك*، الرباط، 1963، ص. 70 . 73 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، قسم الموحدين، تح. مجموعة من الأساتذة، بيروت، الدار البيضاء، 1985، ص. 351 . 354 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، دار المنصور، الرباط، 1972، ص. 34 . 38 . 53 . 58 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*، الرباط، 1973، ص. 287 . 289 ؛ مجهول، *الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية*، تح. س. زكار وع. القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979، ص. 172 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 112 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين في دولة بني مرين*، الرباط، 1962، ص. 16؛ نفسه، *النفحة النسرينية واللمحة المرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 33 . 34 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج 7، ص. 349 . 351 ؛ المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تح. م. ع. القادر عطا، بيروت، 1997، ج 1، ص. 404 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ط. 2، الدار البيضاء، 1954، ج 3، ص. 9 . 10.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986 ; A. Khanebouli, *Les premiers sultans mérinides (1269-1311). Histoire politique et sociale*, Paris, 1987.

رشيد السلامي

أبو سعيد الثاني، عثمان بن أحمد بن أبي سالم، درج البعض على اختصار اسمه هكذا : أبو سعيد الثاني لأنه الثاني من ملوك بني مرين الذين حملوا هذا اللقب بعد فتح مراكش سنة 668 / 1269، أو أبو سعيد الثالث وأبو سعيد الأصغر وذلك لأنه ثالث وآخر من تلقب بهذا اللقب من ملوكهم منذ ظهور أمر بني مرين بالمغرب الأقصى سنة 610 / 1211. بويع أبو سعيد بعد وفاة أخيه السلطان أبي عامر عبد الله يوم الثلاثاء 30 جمادى الثانية من عام 800 / 18 مارس 1398 ولم يتجاوز سنه السادسة عشرة، وبقي في الحكم إلى حين اغتياله هو وأسرته وبعض رجالاته من طرف وزيره عبد العزيز بن محمد اللبابي وذلك سنة 823 / 1420. اعتبرت فترة حكم هذا السلطان الأسوأ في تاريخ الدولة المرينية، فقد ابتلي منذ بيعته بخروج المتمردين والثائرين عليه طمعا في الحكم، وكان عليه أن يواجه أخطر ثورة هددت أركان دولته بزعامة أحد أقربائه الملقب بالسعيد أي الأمير محمد بن عبد العزيز بن أبي سالم. كان السعيد هذا في بداية أمره معتقلا عند صاحب غرناطة يوسف الثالث (810 / 1408 . 820 / 1417) الذي كان يعتبر صاحب فاس وراء الأزمة السياسية التي عرفتها مملكة غرناطة حينذاك خاصة بعد قيام ثورة أهل جبل طارق على بني الأحمر وإعلان رغبتهم في الانضمام إلى السلطان المغربي والدخول في طاعته. فلم يكن أمام يوسف الثالث إلا الانتقام من السلطان المغربي وإذكاء نار الفتنة في بلاده كعادة أسلافه مع أغلب ملوك فاس. في هذا الاتجاه، فسرّح صاحب غرناطة الأمير المريني المعتقل لديه وأرسله سنة 813 / 1410 في أسطول على رأس جيش كبير لمحاربة ملك فاس. وعند جوازه إلى بلاد الريف نظم حملة واسعة على العاصمة المرينية وحاصرها مدة طويلة بفضل مساعدة الأعراب، ثم احتل مدينة تازة وعاث في أرض المغرب فساداً وخرب القرى والمداشر والمدن والقصور الشيء الذي كان له وقع خطير على استقرار المغرب الأقصى وساهم في انهيار دولة بني مرين. إلا أن محاولة السعيد في الانقضاض على السلطة باءت بالفشل وانهزم جيشه بضواحي فاس سنة 816 / 1413 ثم فر إلى غرناطة أو إلى تونس حسب رواية ابن حجر، مع جملة من أتباعه. وفي السنة الموالية أي 817 / 1414 قام ثائر آخر هو يعقوب بن عبد الله الجاناتي الفاسي بعد أن حزفي نفسه ما رآه من فساد وخراب بفاس بسبب الفتنة التي تأججت نارها بين السعيد وأبي سعيد، فدعا إلى إزالة أسباب الفتنة وأخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فازدادت دعوته قبولا وانتشاراً، وتضاعف أتباعه خارج مجال فاس، فاستمر الأمر على تلك الوتيرة حتى بعد مقتل السلطان المريني.

ينفرد ابن فركون بالإشارة إلى ثورة أخرى ضد السلطان أبي سعيد تزعمها أحد إخوته وهو أبو علي الذي كان مستبداً بحكم مراكش. ومنها قام بحركة عسكرية لمحاربة أخيه سنة 819 / 1416، ولم يكن صاحب غرناطة بعيداً عن هذه الثورة بل قدم للثائر دعما كبيراً وأغراه بالملك، لكن محاولته فشلت بفشل ثورة أبي علي ومقتله بظاهر فاس. إن أخطر مشكلة واجهت السلطان أبا سعيد وكانت لها أبعاد وخيمة على السيادة المغربية فيما بعد هي بداية تعرض السواحل المغربية للتهديدات الأجنبية والتي دشنت باحتلال البرتغال لمدينة سبتة سنة 818 / 1415 في الوقت الذي كان فيه أبو سعيد غارقا في صراعاته وحروبه الداخلية، منشغلا بولائمه ولهوه. ولم يخف بعض المؤرخين المعاصرين اتهامهم الصريح لأبي سعيد بالاهمال والتردد في الدفاع عن المدينة والتفريط في

واجب الجهاد بالرغم من محاولته استرجاعها سنة 822 / 1419. وإذا كنا نجهل حقائق كثيرة بالنسبة لهذا الموضوع فإن الأمل في معرفة هذه الحقائق مازال قائما حتى يتم العثور على المصادر المعاصرة لذلك الحدث وخاصة انتاجات مؤرخ السلطان أبي سعيد ومدون أخبار دولته وسيرته الكاتب أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد التاورتي. لم يكن احتلال سبتة حدثا وحيداً في عهد أبي سعيد بل سبقه هجوم الاسطول القشتالي على مدينة تطاوين سنة 803 / 1399 ـ 1400 وتخريب دورها وتهجير ساكنتها.

كانت حدة المشاكل الداخلية تفرض على السلطان المريني نهج سياسة سلبية في علاقاته الخارجية والتخفيف من وتيرة التوتر خاصة مع جيرانه الحفصيين وكذلك بني الأحمر والذين يظهر أنهما كانا يشكلان تحالفا مناوئاً لأبي سعيد وكانا وراء إشعال الفتن بالمغرب المريني بل والتدخل مباشرة في شؤونه، ومن ذلك مثلا قيام السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز (796 / 1394 . 837 / 1434) بحملة عسكرية سنة 812/ 1409 تمكن خلالها من التوغل إلى داخل المغرب الأقصى ولم يتوقف إلا عند مشارف مدينة فاس عندما عبر السلطان المريني عن رغبته في عقد السلم والصلح مع السلطان الحفصي الذي اضطر بعدها للعودة إلى إفريقية. ومنذ فشل أبي سعيد سنة 804 / 1401 في محاولة السيطرة على تلمسان تمكن أخيراً من فرض مرشح له وهو أبو مالك عبد الواحد سنة 814 / 1411 بالمغرب الأوسط وأن يهدئ الأحوال مرحليا في الجبهة الشرقية. أما العلاقات بين المغرب المريني ومصر المملوكية فكانت طيبة في هذه الفترة كما تؤكد الرسائل المتبادلة بين أبي سعيد والسلطان المملوكي فرج بن برقوق (801 / 1398 - 815 / 1412) والتي تتناول مجموعة من القضايا التي تهم البلدين وخاصة الأخبار والتطورات المتعلقة بحملة تيمور لنك في بلاد الشام ورغبة السلطان أبي سعيد في تقديم العون اللازم لمواجهة هذا الخطر المغولي على بلاد الشام ومصر.

أما فيما يتعلق بالجانب الأوربي من العلاقات المغربية الخارجية فإن بعض المصادر والوثائق خاصة الفرنسية والأراغونية تذهب إلى إعطاء البعد السلمي موقعا متميزاً في العلاقات مع المغرب الأقصى وهذه الوثائق تحكي عن تردد السفارات والبعثات الدبلوماسية بين الطرفين وتؤكد أن مدينة فاس شهدت سنة 804 / 1402 وصول وفود من الفرنسيين والقشتاليين بهدف التفاوض مع السلطان أبي سعيد حول إطلاق سراح 258 أسيراً فكانت استجابة السلطان أسرع في تحقيق مطالب تلك الوفود. وفي سنة 813 / 1410 استطاع السلطان المريني التدخل لإنقاذ حياة أحد الفرنسيين المرتزقة بالمغرب من الأسر والإعدام. وبالنسبة لمملكة أراغون، سجلت وثائق أرشيفها أخبارا تتعلق بإرسال أبي سعيد لسفارة مغربية إلى ملك أراغون فيرناندو الأول Fernando I ورسائل وسفارات من قبل هذا الأخير إلى السلطان المريني وكذلك إلى وزيره عبد العزيز بن محمد اللبابي، وهي تهم الفترة ما بين 816 / 1413 و818 / 1415، تحث جميعها على عقد السلم بين البلدين والسماح لتجار أراغون بحرية التنقل في الموانئ المغربية والعناية بالجنود المسيحيين العاملين في الجيش المريني والإفراج عن الأسرى من رعايا الملكين.

إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين في دولة بني مرين*، الرباط، 1962، ص. 40 . 43 ؛ ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا*، ضمن كتاب *العبر*، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 1219 . 1222 ؛ *ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث*، تح. ع. الله كنون، تطوان، 1958، ص. 50 ـ 52 ـ 62 ـ 67 ـ 134 . 136 . 147 . 148 . 179 ـ 180 ـ 184 ـ 186 ؛ ديوان ابن فركون، تقديم وتعليق م. بن شريفة، الدار البيضاء، 1987، *مقدمة المحقق*، ص. 69 ـ 94 ؛ *نص الديوان*، ص. 161 . 174 . 198 . 201 . 207 . 216 . 331 . 334 . 370 . 379 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، القاهرة، د. ت. ج. 7، 407 . 411، ج. 8، 103 . 106 ؛ الزركشي، *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، تح. م. ماضور، تونس، ط. 2، 1966، ص. 123 . 126؛ المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تح. م. ع. القادر عطا، بيروت، 1997، ج. 6، ص. 368 . 369 . 400؛ ج. 7، ص. 22 . 23؛ ابن حجر العسقلاني، *إنباء الغمر*، بيروت، 1986، ج. 3، ص. 395 ـ 404 ؛ ج. 4، ص. 258 . 259 ؛ ج.6، ص. 236 . 237؛ ج. 7، ص. 28، 28 . 427 . 485 ؛ ابن الشماع، *الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية*، تح. الطاهر المعموري، ليبيا ـ تونس، 1984، ص. 113 . 116 ؛ السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، بيروت، د. ت. ج. 2، ص. 47 ؛ ج. 4، ص. 233 . 234 ؛ ج. 8، ص. 62؛ ج. 10، 283 ؛ ابن غازي، *الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون*، الرباط، 1952، ص. 15 . 16 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت، 1983، ج. 1، ص. 209، 210 . 283 . 284 . 318 ؛ الجنابي، *البحر الزخار والعيلم التيار*، ضمن كتاب Fagnan (E), Extraits inédits relatifs au Maghreb, Alger, 1924, pp. 297-300 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس*، الرباط، 1974، ص. 87، 457، 474 . 475، 539 ؛ ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، بيروت، د. ت. ج. 7، ص. 124 ؛ الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1954، ج. 4، ص. 86 . 95 ؛ ماريانو آيباس بالاو، بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة، مجلة تطوان، العدد 8، السنة 1963، ص. 197 . 198 ؛ المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1979، ص. 186 . 188 ؛ م. حجي، (محقق)، *ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب*، الرباط، 1976، ص. 139 ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، المحمدية، 1988، ج. 7، ص. 115، 150 . 151، 159 . 160، 162، 193 ؛ ع. الله العروي، *مجمل تاريخ المغرب*، بيروت، 1999، ج. 3، ص. 14، 17 . 22 ؛ ر. السلامي، *وثائق مرينية*، دراسة وتحقيق، رسالة جامعية مرقونة، نوقشت بكلية الآداب، الرباط، 1989، ص. 393 . 398.

Mas-Latrie, *Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale du moyen âge*. Paris, 1866, (introduction historique, pp. 260 - 262) ; A. Cour, *Les derniers mérinides*, *B.S.G.A.*, Alger, 1905 ; Ibid, *La dynastie marocaine des Beni Outtas*. Constantine, 1920 ; M. Canard, *Les relations entre les mérinides et les mamelouks au XIVe siècle. A.I.E.O.*, Alger, T. V, 1939 - 1941 ; M. Arribas Palau, *Las treguas entre Castilla y Granada firmadas por Fernando I de Aragón*, Tetuán, 1956 ; Ibid, *Intercambio de embajadas entre Abu Saïd Utman III de Marruecos y Fernando I de Aragón*, Tetuán, 1956 ; Ibid, *Cartas de recomendación cursadas Al Sultán Abu Saïd Utman III de Marruecos por el rey de Aragón*.

Fernando I, El de Antequera, *H.T.*, vol. 1, fasc. 3, 1960 ; G. Chovin, *Aperçu sur les relations de la France avec le Maroc des origines à la fin du moyen âge*, *Hesp.*, T. XLIV, 3 - 4e trim., 1957 ; R. Arié, *L'Espagne musulmane au temps des nasrides*, Paris, 1973 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986.

رشيد السلامي

أبو **سعيد الثالث** ← **عثمان** بن **أبي يوسف يعقوب**

سعيد بن **اليزيد** العلوي (الأمير). على إثر هزيمة زيان (1819) ومبايعة أهل فاس إبراهيم بن اليزيد في شهر نونبر 1820 انقسم شمال المغرب بين من بايعوا السلطان الجديد ومن تشبثوا ببيعة عمه المولى سليمان. وبمجرد مبايعة إبراهيم بفاس توجه الثوار الملتفون حول هذا الأمير إلى مدينة تطوان التي انضمت إلى الحركة المناوئة للسلطان سليمان. لكن إبراهيم توفي بعد حوالي أربعة أشهر من مبايعته، وكان وقتئذ بتطوان، فسارع أهل المدينة وحلفاؤهم من أهل فاس وبعض القبائل وأقطاب بعض الزوايا إلى مبايعة أخيه سعيد، وذلك يوم 17 مارس 1821.

وبينما كان سعيد وشيعته متحصنين بمدينة تطوان استنفر المولى سليمان قبائل الحوز وجيش العبيد والودايا وتوجه شمالا لتضييق الخناق على المتمردين. وقبل أن يضرب الحصار حول تطوان خرج سعيد بن اليزيد وأنصاره وقصدوا مدينة فاس. وقبل أن يصلوا إليها فاجأهم جيش الأوداية فقتل منهم العدد الكثير واستولى على أموال طائلة كان الثوار قد نهبوها من يهود تطوان. لكن سعيد بن اليزيد تمكن من دخول فاس فأغلق عليه أبواب المدينة، وبدأ التراشق بالمدافع بين فاس الجديد الموالية لسليمان وفاس الإدريسية حيث تحصن الثوار واستمرت الحرب ما يقرب من عشرة أشهر سئم على إثرها أهل فاس ويلات الحرب وقلة المدد وانقطاع الاتصال مع الخارج فقرروا الاستسلام وفتحوا أبواب المدينة في شهر أبريل 1822 وتوجهو إلى المولى سليمان طالبين عفوه، فعفا عنهم وكان في مقدمة من استفاد من هذا العفو سعيد بن اليزيد والعربي الوزاني شيخ الزاوية الوزانية ومحمد بن الغازي الزموري.

م. داود، *تاريخ تطوان*، المجلد 3، 1962 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، الجزء 8.

محمد المنصور

سعيدو (المعلم -)، الطنجي، موسيقي من بين تلامذة "الآلة" الأندلسية بدار الجامعي بفاس على عهد السلطان الحسن الأول، وبمعيته محمد بن عبد السلام البريهي، ومحمد منصور، وأحمد الشرقاوي، والطالب عمور، وإدريس بن جلون، وعبد السلام البوسدراوي، ومحمد البلغيثي المعروف بالشقيرني، وعبد الكريم القيوتي.

وقد أصبح من كبار شيوخ الطرب الأندلسي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) وبداية الذي يليه.

اشتهر ببراعته في عزف آلة الكمان "زايد نقط"، وإليه ينسب إدخال هذه الآلة عام 1915 إلى حظيرة الجوق الأندلسي.

أخذ عنه عمر الجعايدي، والحاج عبد السلام بنيوسف، وأحمد بن المحجوب زنيبر. وقد شكل هؤلاء الثلاثة امتدادا لأسلوبه في عزف الكمان وتعزيز دوره في الأجواق الأندلسية بمدن المغرب.

صالح الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، ص. 112 ؛ حاتم الوكيلي، *الموسيقى الأندلسية من خلال مسيرة الفنان مولاي أحمد الوكيلي*، ص. 87 - 88.

عبد العزيز بن عبد الجليل

السعيدي، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سعيد أقرب القبائل الجبلية إلى تطوان شرقا على شاطئ البحر المتوسط. وأسلافهم من بني سعيد الذين كانوا بإشبيلية في الأندلس. ولعل منهم سيدي السعيدي صالح تطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

محمد بوخبزة

السعيدي، أحمد بن عبد السلام بن محمد بن عبد الواحد باشا مكناس الشهير بـ"الباشا القيلو"، أصله من أولاد سعيد بالريف. ولد بمدينة طنجة سنة 1293 / 1875. ولا يعرف شيء عن مراحل نشأته وتعلمه.

صاهر أحمد السعيدي قدور بن غبريط الذي كان يعمل مترجما بالمفوضية الفرنسية بمدينة طنجة، ففتحت له تلك المصاهرة الأبواب لتولي عدة وظائف مخزنية. وهكذا شارك أحمد السعيدي صحبة صهره في الفترة ما بين 1902 / 1903 في مختلف اللجن التي كلفت برسم الحدود بين المغرب والجزائر. ثم أسندت إليه وظيفة العلاف التي كانت أولى خطواته في الوظائف المخزنية وهي بالتتابع :

- عامل على مدينة فگيگ (1907 - 1911).
- باشا لمدينة الصويرة (1911 - 1915).
- وظيفة بالبنيقة الكبرى بالرباط (1915).
- أمين للديوانة بالإدارة الشريفية المركزية بالرباط (1915 - 1918).
- باشا لمدينة آسفي (1918 - 1919).
- باشا لمدينة مكناس (1920 - 1939).

لعب أحمد السعيدي دوراً هاماً في أحداث بوفكران التي عرفتها مدينة مكناس سنة 1937، وقد تناقضت مواقفه بين التأييد لمطالب المكناسيين في بداية الأحداث والمعارضة لهاته المطالب بعد الأحداث.

وفي بداية سنة 1940 أرغمه جيرانطو Jiranto المندوب المخزني بمكناس على تقديم استقالته من منصب الباشوية، وانعزل السعيدي بعد ذلك، وضاقت حاله فاضطر إلى بيع أملاكه ليتعيش منها، وظل كذلك إلى أن وافته المنية في 19

صفر 1373 / 22 أكتوبر 1953 ودفن بمكناس بزاوية سيدي الحريشي.

أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية بنانط، Carton N° 158. inv. 4 ؛ بوشتى بوعسرية، *أحداث بوفكران*، ص. 197 ـ 198 ؛ *مكناس المدينة الجديدة*، ص. 260 و266.

رقية بلمقدم

السعيدي، عبد المالك بن علي الطنجي. يتوزع السعيديون على عدد من الفرق والشعب في جلّ جهات المغرب. ومنهم من يدّعي النسب الشريف، ومنهم من يصرّح بالانتساب إلى أصل عربي. على أن الفرع الذي نجد له ذكراً في مصادرنا، هو الذي ينتسب إلى مدينة طنجة، إذ كان منه الأمناء، والقواد على الخصوص، استخدموا في هذه المدينة ومدن أخرى، كمكناس ووجدة مثلاً.

والغالب على الظن أن المترجم من هذا البيت. فقبل تعيينه عاملاً على مدينة وجدة والقبائل التي كانت تابعة لها كبني إزناسن، وأنگاد، وتريفة، والزكارة، والمهاية، والشجع، وبني بوزگو، وبني يعلا، في يوليوز 1881، شغل منصب خليفة باشا مدينة طنجة، ثم بعده استقلّ بباشوية مدينة أصيلا.

وبالرغم من أننا لا ندري متى ولا أين ولد، ولا ظروف نشأته وتربيته، وحظّه من التعليم، ولا حيثيات وسطه الاجتماعي، فإن ما نقتطفه من معلومات في شأنه، هنا وهناك، يسمح، مع ذلك، بتكوين فكرة عن الرجل والتعريف ببعض المراحل من حياته العملية، بعد انخراطه في الجهاز المخزني، في حدود السبعينيات من القرن التاسع عشر. والسلطان المولى الحسن (1209 ـ 1311 / 1873 ـ 1894)، ينوّه به ويثني عليه، في رسالة اعتماده سفيراً له لدى رئيس الجمهورية الفرنسية وقتئذ، جول كَريفي (Jules Grévy)، في مطلع سنة 1885، حيث قال عنه ما يلي :

"... وقد انتقينا الخديم المذكور من أولي الصدق، والجدة (هكذا)، والنصيحة، والنجدة، وأذكى أقرانه، وأمثل زمانه...". ويدلّ هذا الكلام على مكانة صاحبنا عند العاهل المغربي من جهة، واطلاعه الواسع ومعرفته الدقيقة بمشاكل إيالته، وبالنصوص المتعلقة منها بالحدود والتي كانت في مقدمة القضايا التي أسندت إليه مهمة التفاوض في شأنها مع الجانب الفرنسي.

وبالفعل، فإن الرجل قد حالفه النجاح حتى الآن، في التخفيف من حدة التوتر "اللُّفوفية" التي كانت تعصف بالمنطقة، بين الفينة والأخرى، في دوامة من الحروب والافتتان، غالبا ما كان يتسبب في إضرام نيرانها فرقاء خمسة رئيسيون وأتباعهم وهم بنو إزناسن، وبنو بوزگو، والمهاية، والشجع، وأهل أنگاد للاستفادة أكثر من غيرهم من مياه العيون وأنواع مصادرها الأخرى، أو امتلاك الأرض واستغلال المراعي، أو الأخذ بالثأر من ظُلم أو حيف، أو إهانة لحقت بالأسرة أو العشيرة من قبل الخصم.

طبعا، إن ما كان يهم المخزن من هذا كله، في المقام الأول، هو استقرار الأوضاع، واستتباب الأمن في ربوع المنطقة، وتأمين السبل والمسالك، ونشر وترسيخ النفوذ المخزني، والحفاظ على حسن الجوار مع السلطات الفرنسية بالجزائر.

على أنه، في بداية سنة 1886، تأزمت العلاقات بين القائد السعيدي وقبيلة المهاية، إذ اتهمته بالانحياز إلى خصومها من قبائل بني إزناسن، والتحالف معها للوصول إلى أغراضه، متسبِّبا بذلك في ايقاد عادة اللفوفية. فثارت ثائرة قائدها بوبكر المهياوي الذي استنفر أتباعه، وتقدم على رأسهم قاصداً مدينة وجدة. وما كادت الطلائع الأولى للمنتفضين تقترب من المدينة، وتبين للعامل أن لا قدرة له على مواجهتهم، حتى بادر إلى الفرار، حيث التجأ ومن معه إلى القصبة السعيدة بعجرود.

ويبدو أن المترجم تسرّع في تنفيذ خطته، وتسرّبت معلومات وتفاصيل عنها قبل الأوان، الأمر الذي عرّضه لانتقاد عدد من أعوان المخزن المحليين، ومن بينهم أمين المستفاد بوجدة وقتئذ أحمد الركينة الذي أخبر السلطان بواقع الأمر.

وأمام استفحال الأزمة، واستعصاء أمر حلها، قرر الخليفة السلطاني بفاس الأمير مولاي إسماعيل، صنو السلطان المولى الحسن، إيفاد مبعوثين رفيعي المستوى إلى المنطقة، ويتعلق الأمر بالشريف العربي بن العباس بن عبد الرحمن بن هشام، والقائد الطيب ولد أبّ محمد الشرگي. وقد التحق بهما، فيما بعد، الفقيه الكاتب مصطفى الحاشمي، محملا هو أيضاً بمجموعة من رسائل السلطان إلى قواد ومرابطي قبائل عمالة وجدة.

وأثناء الاجتماع الذي عقدوه مع القواد النّاقمين على سلوك عاملهم، تسلم كل واحد منهم خطاب السلطان الموجه له. وبعد أن اطلعوا على مضمونه، وبدا واضحاً أن المخزن واقف إلى جانب خصمهم، إذ نصّ في الرسالة على ضرورة "شد عضده"، غادروا المكان فجأة، معلنين عزمهم على تجهيز حركة كبرى، والزحف بها إلى قصبة عجرود لإخراج العامل من معقله.

أمام فشل مجهودات البعثة الأولى، ارتأى المخزن إيفاد مبعوثين آخرين، فعيّن تسعة من كبار قواد قبائل الريف، وگلعية، وكبدانة، وأمرهم بالانتقال إلى وجدة، بعد أن عهد برئاسة الوفد إلى القائد مبارك الدوبلالي الذي كان ينسق سياسة المخزن في هذه المناطق، ويسهر على تنفيذ أوامره، فضلاً عن اضطلاعه بدور الوسيط بينه وبين سلطات الاحتلال بمدينة مليلية السليبة. بيد أن هذه المحاولة باءت بالفشل هي الأخرى، وعاد الدوبلالي ورفقاؤه بخفي حنين، أمام تشبث المهاية بمطلبهم المتمثل في عزل القائد السعيدي عن منصبه، وهو الأمر الذي ظل المخزن يرفضه، إذ فيه مس واضح بهيبته وتنصل سافر من عمل عونه.

وفي هذه الأثناء حدث ما لم يكن في الحسبان، إذ قُتل

قائد المهاية بوبكر المهياوي في معركة دارت رحاها على مشارف المدينة، فانتهزها المخزن فرصة مواتية لإشاعة خبر تجهيزه حركة كبرى بمدينة فاس، يعهد لها بتأديب المتمردين وقمعهم. وبالفعل، نجحت الخطة، وانطلت عليهم حيلة المخزن، إذ أخذ الخوف يدبّ في نفوسهم، والشقاق ينتشر في صفوفهم، وارتدعوا لهذا الخبر، ووضعوا حداً لتمردهم. وفي المقابل، وسعيا إلى طي صفحة الخلاف والنزاع هذه، اتخذ المخزن قراراً ذكياً وجريئاً في نفس الآن، وذلك بتعيين ابن القائد الهالك، ويُدعى السهلي بن بوبكر المهياوي، قائداً على إخوانه المهاية، والانفراد بشؤونهم دون حاجة إلى وساطة عامل وجدة.

وهكذا انتهت هذه المواجهة بانتصار المترجم، وهو الأمر الذي يدل على المكانة والحظوة اللتين كان يتمتع بهما في الدوائر المخزنية العليا. وهذا ما تأكدت دلالاته فيما بعد، إذ نجده أواخر سنة 1889 على رأس محلة كبرى، بصفته قائداً عسكريا لها، كلفت بالتوجه إلى بلاد قبائل هوارة الأحلاف (ناحية گرسيف)، والتسول، والبرانيص، ومكناسة ....، لاستيفاء ما تخلدَ بذمة قوادها من واجبات وفروض لفائدة المخزن.

واضح أن مهمة من هذا الحجم، وفي منطقة كالتي حلّ بها المترجم ومن كان بمعيته من الجند وحراك القبائل، وأعوان المخزن، حيث ظلوا يتنقلون في أرجائها مدة تقرب من خمسة شهور، ما بين 26 نونبر 1889 و27 أبريل 1890، دون كلل ولا ملل، لخير دليل على المكانة الرفيعة التي كانت للمترجم عند السلطان المولى الحسن وأعوانه الكبار، كإدريس بن يعيش مثلا، قائد المشور وقتئذ، والذي كان يُخاطبه في مطلع رسائله إليه ب "حبّنا ..."

ومن ذلك أيضاً تعيينه قائداً للمشور في مخزن الخليفة السلطاني بمراكش، الأمير مولاي مَحمد بن الحسن، أواسط شهر مارس سنة 1894. وظل يشغل هذا المنصب إلى أن نودي عليه، أواخر شهر يونيو من السنة الموالية، لتوليّ عمالة مدينة القصر، في منطقة الهبط، و"أمر عامّة الزاوية"، أي أهل وزان غير الأشراف، ومن كان يسبح في فلكهم، ويخوض في مياههم من الأتباع والمتعلقين بهم، علما بأن عامل العرائش هو الذي كان يختص حتى الآن، بالإشراف على شؤون "عامة" وزان وعدد من قبائل جوارها، وهو أمر له دلالته بالنسبة لما ذهبنا إليه من القول من أن السعيدي كان بالفعل رجل الأوقات الحرجة والمهمات الصعبة. فهذه المرة أيضاً، صادف مجيئه إلى منطقة الهبط وجبالة "تحرك رياح الفتن بوزان ونواحيها، بسبب خوض بعض الشرفاء وذبحهم على بني مستارة وغزاوة ورهونة، استنهاضاً لإعانتهم على فاسد قصدهم ...".

ويبدو أن مساعيه كللت بالنجاح، سيما بعد أن عزز جانبه بالقائدين الخلخالي والسريفي اللذين أُمرا بالالتحاق به، على رأس حراك إخوانهما، فعاد الهدوء إلى المدينة وناحيتها.

ومهما يكن من أمر، فإن المصادر لم تعُد تتحدث عن الرجل بعد هذا التاريخ، إذ كل ما استطعنا الظفر به من معلومات في شأنه، يتلخص في مضمون وثيقة مخزنية بتاريخ 25 ذي الحجة 1318 / 15 أبريل 1901، ويتعلق الأمر برسالة نقيب الشرفاء العلويين بمدينة تازة، عزوز بن حفيد الإمراني إلى الوزير الصدر المختار بن عبد الله بن أحمد، ينعي له فيها وفاة "الفقيه السيد عبد المالك السعيدي ...". الأمر الذي يُحتمل معه أن قد يكون أنهى خدمته في الجهاز المخزني عاملا على مدينة تازة.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي، 1873 - 1907*، د. د. ع، ك. أ. ر، جزآن، 1987 ؛ *وثائق خ، ح، كنانيش*، أرقام 162، ص. 12 ومابعدها ؛ 348، ص. 283 - 423، ص. 3 - 4، *محفظات*، عهد مولاي الحسن، رقم، 78 - 105 - 167 - 236 - 238 - 242 - 244 - 245 - 248 - 249 - 250 - 251 - 252 - 254 - 256 - 258 - 260 - 261 - 267 - 268 - 269 - 403 ؛ عهد مولاي عبد العزيز، محفظات، رقم، 401 / 1 ؛ 404 / 6 ؛ 427 / 3 ؛ 423 / 5 ؛ وثائق وزارة الحرب بفانسين.

A.G.V., 3h3, Rapp. en date du 12 août 1881 ; A.G.V., 3h3, Rapp. du Cap. Thomas n° 100, du mois de février 1893 ; Gouvion, *Kitab Aayane al-Marhrib l-Akça*, Paris, 1939.

السعيدي، العربي بن علي، يعود أصل أسرته إلى قبيلة بني سعيد الريفية، تقلد العديد من أفرادها مناصب هامة داخل المخزن المغربي من القرن التاسع عشر، خاصة منها منصب عامل مدينة طنجة (طنجة بين سنتي 1900 - 1912، I: 366). وقد تولاه المترجم خلال مرحلتين، الأولى في عهد السلطان المولى سليمان، والثانية في عهد خلفه السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام.

بالنسبة للمرحلة الأولى ابتدأت بعد خلع المولى سليمان لعبد السلام بن عبد الصادق الذي كان قد ولاه عاملا على طنجة في بداية 1817 مكان المهدي السعدي، وحتى 1818 كان لا يزال يشغل هذا المنصب (Tanger et sa zone, 101). وقد تزامنت تولية المترجم على طنجة بانتشار وباء الطاعون بها وكذلك بعموم المغرب فيما بين 1818 و1820، مما ساهم في تردي الأوضاع السياسية والأمنية بالبلاد، خاصة بعد هزيمة السلطان المولى سليمان أمام البربر في وقعة ظيان في ماي 1819 وتمرد جيش العبيد والأوداية وإقدامهم على خلعه ومبايعة ابن أخيه المولى إبراهيم بن اليزيد (*تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب*، 104 - 141). وفي هذا الإطار برز المترجم كأحد أشياع المولى سيمان المخلصين الذين وقفوا إلى جانبه في القضاء على المتمردين، إذ يذكر أكنسوس أن إبراهيم بن اليزيد عندما بويع بفاس في 24 محرم 1236 / 1 نوفمبر 1820 اشترط عليه أهلها إخراج الأوداية من المدينة، ولما فشل في ذلك توجه به البربر إلى المدن الساحلية "وكتبوا لأهل العرائش فأجابهم بالمنع والرد وكذلك أهل طنجة إلا قاضيها السيد أحمد الفلوس أجابهم بالقبول سرا واستدعاهم

وهون عليهم دخولها إذا قدموا إليها فلما تحقق عاملها العربي السعيدي وأعيانها فعل القاضي أخرجوه وطردوه وولوا موضعه السيد خالد فلم يقبلهم إلا أهل تطوان فذهبوا إليها وأخذوا ما في خزائن السلطان من مال المرسى والسلاح والملف والكتان..." (*الجيش*، 1 : 217 ـ 218).

ولما بايع أهل تطوان السعيد بن اليزيد مكان أخيه إبراهيم بعد وفاته لم ينضم إليهم المترجم وظل موالياً للسلطان المولى سليمان، وكان الذي انضم إلى هذه البيعة كما جاء في نصها "من ثغر طنجة، قاضيها السيد محمد ابن الحاج بوعزة أحرار والفقيه سيدي ابن أحمد الفلوس وقائدها الشاب السيد محمد بن عبد المالك والقائد محمد بن عمر الشرقي والقائد محمد بن عبد السلام وجم غفير" (*تاريخ تطوان*، 3 : 262). وبالرغم من موقف هؤلاء، فقد ظل المترجم متحصناً بالمدينة ولم يبرحها، ومنها كان يخبره سلطانه المولى سليمان بماجريات الأمور. فعندما علم أشياع السعيد بقرب وصول السلطان إلى تطوان قادما إليها من مراكش خرجوا به نحو فاس فأخبر المترجم المولى سليمان بذلك، فرجع هذا الأخير "يؤم فاساً ويسابق السعيد إليها فوافياها في يوم واحد" (*الاستقصا*، 8 : 153).

وقد استمر العربي السعيدي عاملا على طنجة إلى حين وفاة المولى سليمان وتولي المولى عبد الرحمان بن هشام مكانه فقام بعزله وتولية محمد أميمون الكرواني مكانه (*الجيش*، 2 : 16) ودام ذلك حتى سنة 1243 / 1827 ـ 1828 حيث عزله المولى عبد الرحمان (*الإتحاف*، 7 : 228)، وولى مكانه المترجم وهي التولية الثانية. وقد ورد خبر هذه التولية في رسالة بعثها المولى سليمان في 29 جمادى الأولى 1244 / 7 دجنبر 1828 إلى قائد تطوان محمد بن عبد الرحمان أشعاش يأمره فيها بأن يرسل من تطوان إلى طنجة حيث يوجد القائد العربي السعيدي ثلاثمائة مكحلة (*تاريخ تطوان*، 8 : 173 ـ 174)، وهكذا استمر عاملا على طنجة إلى أن ولّى عليها المولى عبد الرحمان باشا العرائش الكاتب الطالب عبد السلام السلاوي وذلك في 18 ربيع الأول 1253 / 22 يونيه 1837 (محفظة التعيينات والإعفاءات في عهد المولى عبد الرحمان، خ.ح. الرباط)، وطلب منه إبعاد المترجم عن المدينة لكي لا يجد سبيلا إلى الوسوسة والإفساد، وذلك في رسالة منه إليه بتاريخ 21 جمادى الأولى 1253 / 23 غشت 1837، مما جاء فيها بعد المقدمة (محفظة الأمن الداخلي والخارجي في عهد المولى عبد الرحمان، خ. ح. الرباط) :

"وبعد فاعلم أن خديمنا العربي السعيدي قد كبر في الخدمة وطعن في السن ولم نرد أن نجمع عليه مرارة العزل والذعيرة في آن واحد حتى تطمئن نفسه [...] وقد بلغنا أنه هو الذي كان يدخل بين ولد ميمون وقنصوات الأجناس أيام ولايته هناك بالوسوسة حتى أفسد عليه العمل معهم..."

ولم يقف الأمر عند إبعاده عن طنجة بعد عزله، بل تم في وقت لاحق سجنه هو وأولاده من أجل استخلاص الذعيرة التي فرضها عليه المخزن كما يبدو ذلك من الأمر السلطاني الصادر لعبد السلام السلاوي في 10 جمادى الثانية 1254 / 21 غشت 1838 بإطلاق سراحه، مما جاء فيه بعد المقدمة (محفظة الأمن الداخلي والخارجي في عهد المولى عبد الرحمان، خ. ح. الرباط) :

"وبعد فإن العربي السعيدي طال سجنه وأولاده بلا طائل فبوصول كتابنا هذا إليك سرحهم جميعاً للسعي على أهليهم..."

ويبدو أن عبد الرحمان لم يكن راضياً على طريقة أداء المترجم لعمله في كثير من القضايا، من ذلك النزاع بين أهل أنجرة ونصارى سبتة بشأن الحد بينهما، كما يتضح ذلك من رسالة منه إلى عبد السلام السلاوي بتاريخ 13 جمادى الأولى 1253 / 15 غشت 1837 بشأن الكتاب الذي أجاب به القنصل الاسباني مما جاء فيه (*تاريخ تطوان*، 8 : 302 ـ 303) :

"إن الحد الذي جعل أهل أنجرة العسة فيه هو الأصل الذي وقع عليه العقد بين سيدي الكبير قدسه الله وجنسكم ونحن إنما جددنا عليه وأقررناه، والحد الذي أحدث خديمنا أميمون إنما هو رجل بدوي لا يعرف مثل هذه، ولا يقتدى به في ذلك وتبعه السعيدي على ذلك ..."

هذا وسوف يستعيد أحد أفراد أسرة المترجم وهو حمان السعيدي حكم مدينة طنجة وذلك حوالي 1860 (*Tanger et sa zone*, 105).

وثائق خ. ح. بالرباط، محفظة التعيينات والإعفاءات في عهد المولى عبد الرحمان ومحفظة الأمن الداخلي والخارجي في عهد المولى عبد الرحمان ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، ط. فاس ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 5 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 8 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، مجلد 3 و8 ؛ م. أ. البزاز، *تاريخ الأوبئة والمجاعات في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*، الدارالبيضاء، 1992 ؛ ج. أ. العمراني اشطيار، *طنجة بين سنتي 1900 ـ 1912*، د.د.ع. الرباط، 95 ـ 1996.

Ed. Michaux-Bellaire, *Tanger et sa zone*, in *villes et tribus du Maroc*, vol. 7, Paris, 1921

مصطفى الشابي

السعيديّ، محمد بن موحى والمكي، مقاوم ولد سنة 1933 بأيت بوجدور إقليم خنيفرة. انضم إلى صفوف إحدى فرق المقاومة والتحرير المنبثقة من الدار البيضاء والمتسربة إلى الأطلس المتوسط والصحراء في أوائل شهر غشت 1954 بعدما اتصل بالمكوني الإدريسي مولاي عمر ومحمد بن عمير.

وقد ابتدأ عمله الفدائي مع الفرقة كعضو نشيط ينفذ الأوامر، فقام بعدة أعمال كالإتلافات والحرائق ضد مصالح الاستعمار بخنيفرة، كما كان مهيئا للثورة المسلحة التي كان من المقرر القيام بها في الأشهر الأولى من سنة 1955 وبقي متفانيا في عمله إلى يوم 20 غشت 1955 حيث شارك في المظاهرة التي عرفتها خنيفرة وأبان عن نشاط كبير في

المعارك التي شهدتها المدينة في هذا اليوم وسقط شهيدا برصاص العدو أمام مركز الشرطة بخنيفرة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاق مقاوم رقم 525371.

السعيدي، المهدي، من قبيلة بني سعيد الريفية، تقلد العديد من أفرادها مناصب هامة داخل المخزن المغربي في القرن الثالث عشر (19م)، منها منصب عامل مدينة طنجة بين سنتي 1900 و 1912، اشتهر منهم في عهد المولى سليمان شخصان كلاهما ولي عمالة طنجة هما : المهدي السعيدي والعربي السعيدي.

نكاد لا نعرف شيئا عن المترجم قبل التحاقه بمخزن المولى سليمان سوى أنه كان فقيها، وكان أيضا من أعيان المدينة (*Tanger et sa zone*, 102). ولعل هذا ما أهله لولوج الإدارة المخزنية والتدرج في أسلاكها من خليفة لعامل طنجة الحاج عبد الرحمان أشعاش حوالي سنة 1805 إلى عامل طنجة بعد وفاة عاملها مَحمد السلاوي سنة 1815.

في هذا الإطار، يخبرنا السفير النمساوي الكونت دي بويي (Le Comte de Pouilly) الذي حل بطنجة في ماي 1805 في طريقه إلى مكناس حيث يوجد السلطان المولى سليمان، أن الذي استقبله هو المهدي السعيدي بمقر إقامته بالقصبة، وذلك بالنيابة عن باشا المدينة الحاج عبد الرحمان أشعاش الذي كان يتولى أيضا حكم مدينة تطوان وبها كانت إقامته الاعتيادية (J. Caille, 14). كما رافق السفير إلى مكناس في يونيه من نفس السنة لتقديم أوراق اعتماده إلى المولى سليمان، وبأمر من هذا الأخير انتقل الحاج عبد الرحمان أشعاش إلى طنجة للقيام بشؤونها أثناء غيبة المهدي السعيدي عنها (نفسه، 47). وكان المولى سليمان قد ولى الحاج عبد الرحمان أشعاش على تطوان في 1210 / 1796 (*تاريخ تطوان*، 3 : 233) وأضاف إليه في 1800 حكم طنجة وما والاها من المراسي الشمالية (*Tanger et sa zone*, 99 - 100) واستمر في ذلك إلى أن عزله السلطان المولى سليمان عنها في 1808 وأسند أمرها إلى عامل العرائش مَحمد السلاوي الذي كان غالب استقراره بهذه الأخيرة، ومنها كان يقوم بالاتصال بالقناصل الأجانب الموجودين بطنجة (M. El-Mansour, T. I, 80). وفي هذا المضمار لا نعرف ما إذا كان المهدي السعيدي قد حافظ على منصبه كخليفة لعامل طنجة أم أنه تولى مناصب أخرى في الفترة المحصورة بين صيف 1805 ووفاة مَحمد السلاوي السابق الذكر في 5 أكتوبر 1815 (*الضعيف*، 393). ويذكر الضعيف أن المولى سليمان بعث الحاج عبد الرحمان أشعاش، الذي سبق أن عزله، في محرم 1231 / دجنبر 1815 عاملا على طنجة وتطوان، ولما وصل إلى هذه الأخيرة كرهه أهلها وكتبوا للسلطان فعزله عنهم. ولعل هذا العزل شمل أيضا مدينة طنجة إذ أن الذي كان عاملا عليها هو القائد المهدي السعيدي كما يستفاد من رسالة من المولى سليمان إلى التاجر مَحمد بن عمر بجة (قنصل المغرب بجبل طارق فيما بعد) بتاريخ 25 ذي الحجة 1230 / 28 نوفمبر 1815 (*تاريخ تطوان*، 8 : 40). وكان يقوم، في الوقت نفسه، واسطة بين المخزن المغربي وبين القناصل الأجانب بطنجة، وهو ما توضحه رسالة من المدعو محمد بن أحمد - لعله عامل العرائش - إلى القنصل البريطاني بطنجة گرين (J. Green) في 29 جمادى الأولى 1231 / 27 أبريل 1816، مما جاء بعد المقدمة (M. El-Mansour, T. II, Doc. 70)

"أما بعد فاعلم أن مولانا أمير المومنين نصره الله أمرنا مشافهة بلسانه أن نبعث إلى جبل طارق ليأتي إلينا لثغر العرائش معلم ماهر في رمي المهراس والمدفاع [...] وأنت الباب الذي يدخل عليه في هذا فنريدك بمحبتك في جانب مولانا نصره الله ونظره لك الجميل أن تعتني بأمره الشريف وترسل إلى جبل طارق ليأتي المعلم عزما ولا بد وقد كتبنا للقائد المهدي السعيدي بهذا وهو واسطة بيننا وبينك..."

وحتى شهر نوفمبر 1816 كان المهدي السعيدي مايزال عاملا على طنجة ونائباً في نفس الوقت عن السلطان في مباشرة الشؤون الخارجية مع القناصل الأجانب بها، كما تبينه رسالة من الوزير الصدر أحمد بن مبارك إلى نائب القنصل الأنجليزي گرين (J. Green) بطنجة بتاريخ 1 محرم 1232 / 21 نوفمبر 1816 (المنصور، م. س، II، وثيقة 72). ولم يلبث السلطان أن عزل المهدي السعيدي عن طنجة بعد هذا التاريخ، وولّى مكانه عبد السلام بن عبدالصادق.

ويتضح أن القصد إلى مَحمد السلاوي والمهدي السعيدي، وهو ما يفند ما ذهب إليه ميشو بيلير (Ed. Michaux-Bellaire) من أن الذي خلف مَحمد السلاوي على طنجة هو عبد السلام بن عبد الصادق وليس المهدي السعيدي (*Tanger et sa zone*, ibid., 100)، كما أنه ليس هناك ما يؤكد قوله إن المترجم تولى على طنجة في عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام (نفسه، 102).

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، مجلد 3 و8 ؛ جمال *الدين العمراني اشطيار، طنجة بين سنتي 1900 و1912*، د.د.ع، الرباط، 1995 - 1996.

J. Caille, *Une ambassade autrichienne au Maroc en 1805*, Paris, 1957 ; Ed. Michaux-Bellaire, *Tanger et sa zone*, in *villes et tribus du Maroc*, vol. 7, Paris, 1921 ; *Les Habous de Tanger*, *A.M.*, vol. XXII, 1914 ; M. El-Mansour, *Political and social developments in Morocco during the reign of Mawlay Sulayman* (1722-1822), Ph. D. 2 tomes, Londres, 1981.

ميلود أحمن

السعيديّة (مدينة وقصبة وشاطئ)، مدينة صغيرة تقع على ساحل البحر المتوسط في أقصى شمال شرق المغرب بمحاذاة الحدود المغربية - الجزائرية، وتعد مركزا إداريا تابعا لعمالة أبركان. وكانت في الأصل قصبة مخزنية بُنيت في عهد السلطان الحسن الأول سنة 1883 لتكون معلمة على خط

الحدود بين المغرب والجزائر عند مصب وادي كيس في البحر (وادي عجرود).

وترجع أسباب تشييد هذه المعلمة إلى اتفاقية مغنية حول الحدود بين المغرب والجزائر سنة 1845، التي أشهرت الخط الحدودي بين البلدين باعتبار مصب وادي عجرود في البحر المتوسط منطلق الحد في أقصى الشمال الشرقي، ويعتبر وادي عجرود امتدادا لوادي كيس، الذي أضحى يمثل حدا طبيعيا في وقتنا الحاضر بين البلدين، انطلاقا من تجمع ينابيعه جنوب مدينة أحفير إلى مصبه في البحر. وقد ورد ذكر مرسى عجرود في بعض المصادر التاريخية الوسيطية (البكري، *المغرب*).

وكان اللوبي الاستعماري في الجزائر المحتلة، يسعى إلى نقل الحدود من وادي كيس (عجرود) إلى وادي ملوية غربا، وحجته أن هذا الأخير كان في عهد السيطرة الرومانية على شمال إفريقيا يشكل الحد بين موريطانيا القيصرية (الجزائر) وموريطانيا الطنجية (المغرب)، وبرّر ذلك باعتبار فرنسا هي وريثة المستعمرات الرومانية القديمة في شمال إفريقيا، وهذا تفكير أصبح سائدا منذ احتلال الجزائر في الأوساط الاستعمارية الفرنسية، ووجد امتداده بعد توقيع عقد الحماية بالمغرب سنة 1912، وتناقلته الكتابات الاستعمارية الخاصة بالمغرب فيما بعد.

وقد نص اتفاق مغنية على عدم إشهار معالم الحدود بالحجارة أو ما شابه ذلك، كما نص على عدم البناء بخط الحدود من هذا الجانب أو ذاك. إلا أن السلطات الفرنسية بالجزائر خرقت ذلك في عدة مناسبات، منها إقدامها على بناء برج غير بعيد عن وادي كيس سنة 1882، بدعوى حماية سوق أسبوعي كان يُعقد على الضفة اليمنى للوادي المذكور، ويبعد عن البحر بحوالي 4 كلم (سوق الحِيمَر)، وفي هذا الوقت بالذات نظم بعض النواب البرلمانيين بوهران وبعض كبار الضباط حملة في الصحف الفرنسية بهدف الضغط على حكومة بلادهم لنقل الحدود إلى وادي ملوية، وادعوا أن المفاوضين الفرنسيين قد غُرر بهم أثناء مفاوضات مغنية سنة 1845، وقد حان الوقت في نظرهم لتصحيح هذه الوضعية ومراجعة ترسيم خط الحدود، وواقع الحال - كما تؤكده الوثائق المغربية والفرنسية - يكشف أن المفاوض المغربي هو الذي غُرِّر به، ووقع في شباك الإغراءات المالية فوافق على نقل خط الحدود من وادي تافنا إلى واد كيس.

أثارت هذه الأطماع مخاوف السلطان الحسن الأول، فطالب بإثبات معالم الحدود بشكل لا يترك مجالا للنزاعات في المستقبل، وهو ما رفضته السلطات الفرنسية بالجزائر، لأنها كانت تخطط لضم أجزاء أخرى من التراب المغربي إلى التراب الجزائري، مستفيدة من الغموض وعدم الدقة اللذيْن ميزا اتفاق مغنية. ووعيا من هذا السلطان بخطورة الأوضاع، فقد بادر إلى تشييد قصبة عن مصب وادي كيس (عجرود) لتكون بمثابة شهادة إثبات ومعلمة بارزة تحصّن التراب المغربي من كل توسع محتمل في شمال شرق البلاد، بينما أخفقت كل مساعيه الرامية إلى تحصين الحدود في الجهة الجنوبية الشرقية.

ويُستفاد من الوثائق أن دوافع أخرى حفزت السلطان إلى تشييد قصبة السعيدية، وفي مقدمتها محاربة التهريب الذي كان متفشيا عبر خط الحدود، إذ كان وادي كيس في مجراه الأسفل يعد من المسالك الرئيسية للمهربين بين المغرب والجزائر، إلا أن هذه التجارة المحرمة كانت مصدر نزاع وتوتر بين المخزن والسلطات الفرنسية بالجزائر. كما أن ظاهرة الجفاف والقحط والمجاعة التي كانت من السمات المميزة لشمال شرق المغرب، أدخلت قبائل المنطقة في تبعية شبه دائمة لغرب الجزائر بخصوص التزود بالقوت في أوقات الشدة، نظرا لما كانت توفره السلطات الفرنسية هنالك من إمكانيات لمد الأسواق الجزائرية في فترات الشدة بالحبوب، بينما كانت السبل البرية بين شرق المغرب وغربه غير مأمونة (وجدة وفاس)، وبالتالي كثيرا ما تعذَّر على المخزن نقل الحبوب من سهل الغرب أو من الشاوية إلى ناحية وجدة. كما أن غياب مرسى مفتوح للتجارة بشمال شرق المغرب فرض ما يشبه العزلة على المنطقة المذكورة. ومن الملاحظ أن جل المراسي المفتوحة للتجارة الخارجية كانت توجد بالساحل الأطلسي، وكانت مرسى الغزوات أقرب مرسى جزائري إلى التراب المغربي. وبدون شك فإن تفكير المخزن اتجه إلى فك العزلة عن المناطق الحدودية عن طريق إقامة محطة تجارية بعجرود، واستمالة قبائل الحدود إليها، وصادف ذلك اقتناء المخزن الباخرة المسماة "الحسني" (1882)، وعلى سبيل المقارنة فإن القصد من بناء قصبة السعيدية بعجرود شبيه بما أقامه المخزن بساحل طرفاية لحراسة المنطقة من أي تدخل أجنبي، ومن المرجَح أن تكون هذه العوامل جميعها وراء قرار المخزن القاضي ببناء "القصبة السعيدة"، وقد أبانت السِّنون فيما بعد أن القرار المخزني كان صائبا وينم عن بعد نظر في تدبير شؤون البلاد.

وتكشف الوثائق الفرنسية عن عنصر آخر شجع المخزن على بناء قصبة السعيدية، حيث كان هذا الأخير مستاءً من مواقف فرنسا أثناء انعقاد مؤتمر مدريد سنة 1880 بشأن مشكل الحماية القنصلية، فراجت إشاعات بين الهيئات الدبلوماسية الأجنبية المعتمدة بطنجة (1881 . 1882) حول نية سلطان المغرب منح ألمانيا محطة بشاطئ عجرود، بهدف تخزين الفحم الذي تحتاج إليه السفن الألمانية العاملة بحوض البحر المتوسط، وهذا امتياز من شأنه إثارة قلق فرنسا بناء على العداوة التقليدية التي كانت تكنّها لألمانيا آنذاك فسارعت إلى خرق أحد بنود اتفاق مغنية وشيدت بُرجا على مقربة من الضفة اليمنى لوادي عجرود. فقام المخزن بالمثل وبادر إلى بناء قصبة بجوار خط الحدود (السعيدية). وظل مشروع منح بعض الامتيازات لألمانيا بشاطئ عجرود قائما إلى سنة 1907، وكان يشكّل بحق مصدر قلق وانزعاج

للحكومة الفرنسية، التي حملته على محمل الجد. هذه بعض دواعي بناء "القصبة السعيدة" بعجرود، والتي صارت تعرف فيما بعد باسم السعيدية.

كان الشروع في وضع تصميم البناء في شهر رجب 1300/ مايو 1883، حيث حُدد الموقع غير بعيد عن الضفة اليسرى لوادي كيس، وتفصله عن البحر مسافة لا تتجاوز 300 متر. أما البناء فقد انطلق في بداية شهر يونيو من السنة نفسها تحت إشراف عامل وجدة وناحيتها عبد المالك ابن علي السعيدي. فاستنفر المخزن القبائل المجاورة، وألزمها السُّخرة والمساهمة بالمال حسب العادة الجارية آنذاك. ورغم الاستعجال في بناء القصبة، فإن الأشغال لم تنته إلا خلال سنة 1884. فجاء البناء على شكل مربع قُدّرت مسافة كل ضلع من أضلاعه بحوالي 125 متر، وتتخلل الأسوار أبراج كما هو معهود في القصبات المخزنية مع باب واحدة من جهة الشرق، إلا أن داخل القصبة كان خاليا من كل بناء، وقد خيمت بالقصبة حامية عسكرية بمجرد انتهاء العمل بها.

كانت وثائق وزارة الحربية الفرنسية (قصر فانسين) سبّاقة إلى نعت البناء الجديد باسم برج عجرود، (1883-1884)، لكن بعد سنوات معدودة من تاريخ البناء صارت تنعته تارة باسم Saïdia (السعيدية)، وتارة أخرى باسم قصبة السعيدية، بينما كانت الوثائق المغربية تنعته بعدة مسميات متقاربة، وهي : قصبة عجرود وسعيدة عجرود والقصبة السعيدة، والسعيدة، وظل الحال على هذا النحو إلى تاريخ احتلال القصبة المذكورة في شهر أبريل 1907.

كل المعطيات التاريخية من الجانب المغربي - منذ التأسيس إلى تاريخ الاحتلال (1883-1907) - تؤكد أن القصبة كانت تُنعت وفق القاموس اللغوي المستعمل آنذاك من كتبة دواوين الجهاز المخزني المركزي، حيث كانت التسميات الأكثر تداولا في المراسلات بشأن قصبة عجرود هي : "سعيدة عجرود - القصبة السعيدة - السعيدة"، ومن باب الاختصار نظرا لكثرة التداول جرت العادة بنعتها باسم "السعيدة"، وتختزن مديرية الوثائق الملكية بالرباط مئات المراسلات بهذا الشأن (انظر ملف وجدة).

وكان العرف المخزني يقضي أن كل ما يُنسب إلى الدولة يُنعت بصفة "السعيد" تيمّنا وتفاؤلا، والأمثلة كثيرة على ذلك في تاريخ المغرب، نذكر منها : "البابور السعيد"، ويُقصد بها سفينة في ملكية الدولة، فكان يقال مثلا "البابور الحسني السعيد"، و"البابور التركي السعيد"، وهما سفينتان مغربيتان اقتناهما المخزن في نهاية القرن التاسع عشر. كما أن جيش الدولة كثيرا ما كان يُنعت باسم "الجيش السعيد". هذا مجمل ما يُستفاد من الوثائق المغربية، التي لا تتضمن ما يفيد أن القصبة كانت تنعت باسم السعيدية، في حين كانت الوثائق الفرنسية تسمي القصبة المذكورة باسم السعيدية.

وقد اقترن اسم "السعيدة" بقصبة عجرود لمدة تزيد عن ربع قرن، في حين شيّد المخزن عدة قصبات في الفترة ذاتها ولم يلتصق بها الاسم السعيد، ويُرجّح أن يكون ذلك ناتجا عن كثرة استعمال اسم "القصبة السعيدة" في المراسلات المخزنية، إلى أن صارت تنعت باسم "السعيدة" اختصارا لاسم القصبة السعيدة.

أما اسم السعيدية الذي طغى فيما بعد وأصبح هو الاسم الرسمي لقصبة عجرود، فبدون شك أن السلطات الفرنسية بالجزائر كان لها دور في ذلك. فبعد حوالي سنتين من بناء القصبة تحول الاسم في الوثائق الفرنسية من برج عجرود أو قصبة عجرود إلى اسم السعيدية، وهذا أمر له ما يبرره. وتكشف بعض المؤشرات عن التحريف الذي طال نقل رسم "السعيدة" إلى الحروف اللاتينية، فقد ورد الاسم في النص الفرنسي لاتفاقية الجزائر الموقعة في 20 أبريل 1902 على الشكل التالي : Saidia d'Adjeroud، بينما النص العربي رسمها على النحو المستعمل في الوثائق المغربية، أي "سعيدة عجرود" (البندان الرابع والسابع). ومن المرجح أن يكون ذلك التحريف مقصودا أو مبنيا على تأويل مغلوط، إذ من

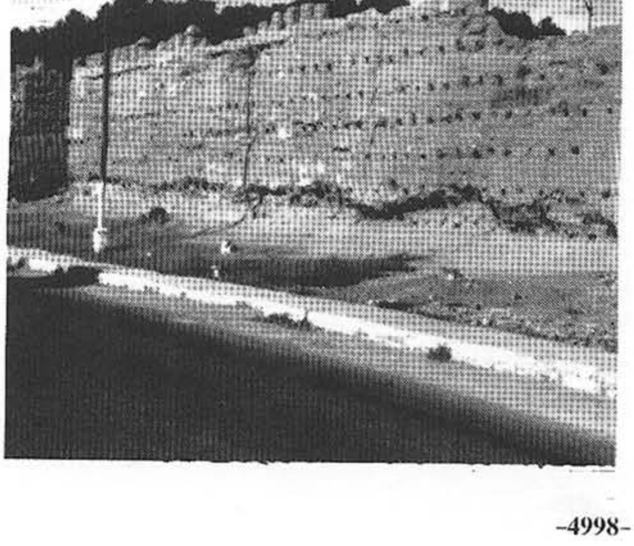

السهل إدراك الفرق بين الرسمين من حيث الدلالة والمعنى، وهذا أمر لم يكن بخاف عن التراجمة الفرنسيين.

وقد رجّح بعض الدارسين المغاربة أن يكون اسم "السعيدية" منسوبا لرجل السلطة الذي نفذ الأوامر المخزنية، وقد كان اسمه عبد المالك السعيدي، وكان آنذاك عاملا لمدينة وجدة وناحيتها، إلا أن المراسلات المخزنية في عهده لم تكن تنعت القصبة باسم السعيدية. وليس من المستبعد أن تكون السلطات الفرنسية هي التي أشاعت استعمال اسم السعيدية، خصوصا بعد السفارة التي ترأسها العامل المذكور إلى باريس سنة 1885، أي بعد مرور سنة واحدة على إنهاء القصبة وكانت المعلمة الجديدة قد أُنجزت على يده، وأبان عن جهود كبيرة بهدف تحسين العلاقات بين القبائل المغربية والسلطات الفرنسية بالجزائر، فكان تشييد القصبة بمثابة إنجاز شخصي برهن به أمام السلطات الفرنسية على إرادة المخزن لتحسين العلاقة بين البلدين عبر الحدود، وقد أشادت السلطات الفرنسية بفترة ولايته على وجدة وناحيتها، واعتبرتها فترة تفاهم وصداقة.

وإذا كانت التسمية الأصلية هي "السعيدة" كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فإن السلطات الفرنسية بعد احتلال شرق المغرب سنة 1907، فرضت التسمية التي كانت سائدة لديها، وحكّمت إدارتها فصارت هي التسمية الرسمية، رغم أن المسنين من أهل البلد ظلوا ينعتون القصبة باسم "سْعِيدَة" إلى وقت قريب (بسكون حرف السين وفتح حرف الدال).

ومن اللافت للنظر أن مدينة جزائرية تحمل الاسم نفسه، وهي مدينة "سْعيدة" الواقعة جنوب مدينة وهران بغرب الجزائر. وهذا أمر يثير تساؤلات كثيرة، ويبعث على التفكير في تفسير آخر محتمل لاسم السعيدية، ومفاده أن سلطات الاحتلال قد تعمدت تحريف اسم "السعيدة" إلى السعيدية لتمييز "سعيدة" الجزائر عن "سعيدة" المغرب، وهذا احتمال وارد، لكون السلطات الفرنسية هي التي تحكمت في البلدين معا آنذاك.

وفي بداية القرن العشرين استحدث المخزن ديوانة بالقصبة لاستخلاص رسوم التعشير، وبذلك صارت مركزا حدوديا نشيطا، وكانت في الوقت ذاته تعد محطة رئيسية لنقل الجيوش إلى شرق البلاد، وإمدادها بكل ما تحتاجه بواسطة بعض السفن المخزنية، خصوصا إبان ثورة الجيلالي الزرهوني المشهور باسم الروگي بوحمارة، وفي هذا السياق ورداً على قرار السلطات الفرنسية بإغلاق الحدود سنة 1906، بادر المخزن إلى طلب مساعدة ألمانيا لبناء مرسى بعجرود في مقدوره استقبال سفن المخزن التي كانت تتردد على "القصبة السعيدة" لأغراض مختلفة. ويؤكد هذا المعطى نية المخزن في الاستفادة من قدرات الدولة الألمانية ومنحها موطن قدم قرب مستعمرة فرنسية (غشت 1906)، رغم أن المشروع قد استفز الحكومة الفرنسية ولم يكتب له النجاح لأسباب كثيرة، حيث بادرت فرنسا إلى احتلال شرق المغرب في أقل من سنة من بدء المشاورات مع ألمانيا لتنفيذ المشروع (أبريل 1907).

وبعد الاحتلال ظلت السعيدية مركزا حدوديا بين المغرب والجزائر، حيث استأنف مركز الديوانة نشاطه سنة 1908، وظل يشتغل إلى بداية الاستقلال، ومن جهة أخرى شيدت سلطات الحماية قنطرة على وادي كيس غير بعيد عن باب القصبة لتربط بين السعيدية من جهة المغرب ومرسى پور صاي (مرسى بلْمهيدي حاليا) من جهة الجزائر. وقد ظل الجسر قائما بعد استقلال البلدين، لكن فيضايات أعوام منتصف الستين جرفته.

وقد شهدت مدينة السعيدية تطورا عمرانيا كبيرا في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وتركز نشاطها في ميدان الاصطياف نظرا لاتساع شواطئها وجودة رمالها، فلذلك يقصدها المصطافون من عدة مدن مغربية. وفي إطار فك العزلة عنها، تم ربطها بمشروع الطريق الساحلي انطلاقا من طنجة في اتجاه وجدة عبر منطقة الريف، وقد تحقق جزء منه في نهاية سنة 2000، حيث شيد جسر فوق وادي ملوية قرب مصبه في البحر غرب السعيدية، للربط بين مدينتي وجدة وطنجة عبر منطقة الريف في إطار مشروع متكامل. ويدخل هذا المشروع ضمن برامج وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية في عمالات وأقاليم الشمال المحدثة منذ سنة 1995.

ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873 - 1907*، الدار البيضاء، 1989 ؛ السعيدية أو سعيدة عجرود صلة وصل بين المغرب والجزائر، مجلة جمعية *تاريخ المغرب* - وجدة - العدد الأول سنة 1993 ؛ *التهريب والحدود في شمال شرق المغرب (1845 - 1912)* ضمن *وقفات في تاريخ المغرب*، دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب، الرباط، 2001، ص. 337 - 363 ؛ جاك كايي، *السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا*، مجلة *تطوان*، العدد السادس، 1961.

L. Voinot, *Une époque d'entente cordiale avec l'Amel d'Oujda, 1881 - 1885*, *R.A.*, 1926 ; A. Bernard, *Les confins algéro-marocains*, Paris, 1911 ; J. Rouch, *Saïdia, port méditerranéen du Maroc français*, *La Géographie*, tome LX, n° 1 & 2, 1933 ; F. Llabador, *Port-Say et son fondateur*, Oran, 1955 ; Smaïli Moulay Abdelhamid, *Les années terribles du Maroc Oriental, 1844 - 1945*, Oujda, 1996.

عكاشة برحاب

سغروشن (أيت -) اسم موحد لمجموعات بشرية متباعدة ومنشقة حاليا، ومتفاوتة أهمية ومختلفة تركيبة وعيشا، ومن ثم دينامية. يتعلق الأمر أحيانا بقبائل، أو بفخذات أودواوير سغروشنية ملحقة بقبائل أخرى.

اسم "سغروشن" - كما تتداوله الرواية - مكون من كلمتين أمازيغيتين تعنيان "جَمَّدَ الذّئب" أو يَبَّسَه، علاوة على آيت التي تعني كل من يتبعون شخصاً مّا... وهذا اسم له علاقة بما يزعمه هؤلاء من الانتماء إلى الشرفاء الأدارسة. يقال إن الجد الموحد لكل هذه المجموعات كان يصلي وبجواره قطيعه فأراد ذئب مهاجمة القطيع. إلا أن بركة المصلي كانت حاضرة بحيث جمد الذئب بمجرد نظر الشريف إليه.

إذا كان هذا الاسم موحدا، فتشتُّتُ المجموعات وعدم تجانس تركيبتهم الاجتماعية يشكلان أمرا محيرا فيما يخص وحدتهم وتاريخهم. قد يكون سبب تشتتهم مرتبطا فعلا برغبة موسى ابن أبي العافية في سفك دمائهم والقضاء عليهم كأدارسة في مطلع القرن الرابع (10م). مما دفعهم إلى التشتت والاختفاء.

على كل حال فإن اسم أيت سغروشن يحمله عدد من المجموعات البشرية المنتشرة بين الأطلس الكبير الشرقي والأطلس المتوسط المشرف على السايس مرورا بوادي ملوية.

أهم هذه المجموعات أربع :

- أيت سغروشن سيدي علي (بجبل تيشكوت).
- أيت سغروشن حريرة بكوس المنزل - مطماطة - تاهلة.
- أيت سشغروشن إيموزار كندر.
- أيت سغروشن تالسينت (الأطلس الكبير).

أما المجموعات السغروشنية المحدودة فهي :

- أيت سغروشن (الأشراف) داخل إغزران.
- أيت سغروشن المُغْلاَزْ (داخل جماعة تاروطة).
- أيت سغروشن الواتة (داخل جماعة أغبالو أقرار).

وكل هذه المجموعات السغروشنية بإقليم صفرو حاليا ولها علاقة إما مع أيت سغروشن سيدي علي أو مع حريرة.

- أيت سغروشن تسويت داخل قبيلة أيت ازدگ.
- أيت سغروشن (قصر أولاد الطير) داخل قبيلة أيت أوفلا، وجماعة ميبْلَك ن حاليا، وهم تابعون لدائرة ميدلت إقليم خنيفرة.

1 - أيت سغروشن سيدي علي، يستوطنون كتلة تيشُوكْت وهوامشها ويتجاورون مع أيت يوسي من جهات الجنوب والغرب والشمال، ومع مرموشة من الشرق، ومع بني علاهم من الشمال الشرقي. قد يكون حلولهم بموطنهم هذا تم في القرت العاشر (16م). أما تقسيمهم من طرف Reissser et B.، فشبيه بتقسيمه "لإخوانهم" بإيموزار كندر، فهم ثلاث فئات : الأصليون والآخرون والمُلحقُون، كل واحدة تنقسم بدورها إلى تقسيمات متعددة. فهم إذاً خليط يجمعهم الاسم والحدود التي سطرها المعمر للقبيلة من أجل هدف إداري (للإشارة، كان سكان سكورة ، وسكان بني غْرايَم بوادي گيگو سابقين لمجيء أيت سغروشن).

وبسبب رغبة المعمر في تسهيل الإدارة قسم أيت سغروشن سيدي علي إلى فخذات جغرافية إدارية - وهي المعتمدة إلى الآن، وبعد الاستقلال وزع المجال بين جماعتين قرويتين : سكورة (مداز) والمرس.

يغطي مجال أيت سغروشن سيدي علي مساحة تقدر ب 80000 هكتار موزعة كالتالي :

جماعة سكورة مداز 43500 هكتار.

جماعة المرس 36500 هكتار.

وهي أراض تتشكل من كتلة تيشُوكت المنتمية للأطلس المتوسط الملتوي حيث توجد إحدى أعلى قممه قمة تيشوكت (2793م) حيث التضاريس جبلية وعرة، والمناخ قاسٍ. فجزء من الكتلة تغطيه الثلوج لشهور عديدة من السنة. وتوجد هذه الظروف وراء الانتشار الواسع للأراضي الغابوية. وتوفر موارد مائية على شكل عيون (مثل عين السخون بقعر وادي گيگو بعالية سكورة، وعين تادوت بهضبة تادوت المشرفة على سكورة) ومجارٍ دائمة مثل واد مداز، وواد گيگو. وهي التي تفسر التعارض الواضح بين الواجهتين الشمالية والجنوبية للكتلة وبين الأودية وأعالي السفوح من الناحية المناخية والبيومناخية.

في هذا الإطار استقر السكان المنضوون تحت اسم أيت سغروشن سيدي علي معتمدين على تربية الماشية، وعلى الزراعة بما في ذلك الزراعة المسقية القائمة على الحبوب وضمنها الذرة، وعلى الأشجار خاصة الزياتين كما هو الحال بوادي گيگو بين سكورة وبني غْرايم.

لكن قساوة الظروف الطبيعية وضعف الموارد الرعي - زراعية المرتبطة بها قد تكون دفعت أيت سغروشن سيدي علي إلى البحث عن موارد خارج الكتلة وهو ما تسبب في صراعات مع جيرانهم نحو الشمال خاصة أيت يوسي.

ونظرا لأهمية ظاهرة انخراط رجال القبيلة في صفوف الجيوش الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية، وكإجراء لإسكات هؤلاء بعد نهاية الحرب وعودتهم إلى دواويرهم، أقدمت سلطات الحماية على إعداد القطاع المسقي المسمى بسكورة بهدف تجزئة الأراضي. وقد شرع في تنفيذ الخطة واستفادت أسر سغروشنية كثيرة من توزيع الأرض في البداية. لكن المشروع لم يتقدم كثيرا بعد الاستقلال.

في هذا الوقت تزايدت الساكنة واستفحلت المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. ومعها ظاهرة النزوح (وخاصة النزوح المرتبط بالانخراط في الجبش والقوات الأخرى).

فعدد سكان أيت سغروشن سيدي علي تزايد لكن بوتيرة بطيئة بالمقارنة بأيت سغزوشن إيموزار كندر وبأيت سغروشن حريرة. فعددهم الذي كان 8000 ن سنة 1936 ارتفع إلى 10015 في1960 ثم إلى 14061 ن في 1994. وهو ما رافقته أرقام منخفضة بالنسبة للكثافة السكانية العامة 10ن / كلم^2 في 1936 ثم 12,5 ن/كلم^2 في 1960 و17,6 ن / كلم^2 في 1994. وهذا مرتبط مع ضعف الإمكانيات الزراعية والنزوح.

فالأرض الزراعية لا تغطي سوى 8221 هـ أي 10,3٪ فقط من المساحة العامة والباقي غابات ومراع وأرض ميتة. ولا يسقى من الأراضي الزراعية سوى 1751 هكتار أي 21,3٪ معظمها بسكورة، 64٪ منها مخصصة للحبوب.

أما قطاع الماشية فيلعب دورا كبيرا في حياة واقتصاد السغروشنيين. بحيث وصل عدد رؤوس الماشية إلى 45281 رأس في 1996 موزعة بين 25130 من الغنم و19431 من الماعز و 720 من الأبقار.

وبجانب الزراعة والماشية تبقى موارد هجرة الانخراط في الجيش وموارد معاشات قدماء المحاربين ركيزة أساسية لاقتصاد أيت سغروشن سيدي علي. وهذا الوضع قابل للتحسن مع إمكانية تحسين قطاع الزراعة والماشية وتنمية أنشطة أخرى كالسياحة، لكن شريطة فك العزلة عنها وإعادة تقييم مؤهلاتها وإخضاع مواردها لاستغلال معقلن.

2 ـ أيت سغروشن حريرة، مجموعة قبلية تستوطن جزءا من الهضبة الكلسية (le Causse) شرق خوانق وادي سبو بالأطلس المتوسط الشمالي، يجاورها من الغرب بني سادَن والحياينة، ومن الشمال والشرق بني وراَين، ومن الجنوب بني يازغة.

تمتد أراضيها على مساحة 23700 هـ. وهي مشكلة من هضبة كلسية يقطعها كل من واد مطماطة وواد بُوزملان وروافدهما. وهي هضبة يتراوح ارتفاعها بين 450 م شمالا و950 م جنوبا (بالنسبة لما يهم أيت سغروشن).

وبالرغم من كون المنطقة تتوصل بكمية مطرية سنوية تفوق 450 مم تسمح بانتشار الزراعة البعلية، فالموارد المائية الدائمة التي تسمح بقيام زراعة مسقية تبقى محدودة.

إن المجال الذي يستوطنه أيت سغروشن حريرة مجال قريب من ممر إيناون الذي سلكته المجموعات البشرية والحركات السلطانية والقوافل التجارية والحجيجية... مجال يبدو أنه استوطن من طرف مجموعات بشرية قوية مثل فندلاوة، وصريَوة وبني ايستن... (ومازالت هذه الأسماء قائمة كأسماء أماكن إلى اليوم) وهي ملاحظات تطرح مسألة تاريخ حلول

أيت سغروشن حريرة بالمنطقة والظروف المصاحبة لذلك وكذلك مدى وحدة وتجانس مكونات قبيلتهم.

والواضح أن أيت سغروشن حريرة كانوا خلال القرن الثالث عشر (١٩ م) حلفاء لبني وراين النازلين من الجبل نحو إيناون، وكانوا في صراع مع بني سادن. وقد يكون لهذا الوضع علاقة بغياب القرى وبتقسيم القبيلة على أساس عشائري حتى أيام الاستعمار.

خلال هذه الفترة احتفظ بالقبيلة كوحدة إدارية تابعة لتاهلة. وفي سنة 1959 أصبحت القبيلة جماعة قروية بدائرة تاهلة، إقليم تازة. ومازال الأمر كذلك إلى اليوم (سنة 2002).

ظل سكان أيت سغروشن حريرة، شأنهم في ذلك شأن أيت سغروشن سيدي علي، ريفيين إلى الآن. لكنهم تطوروا بسرعة أكثر، الشيء الذي جعل كثافتهم أكثر بكثير كما يظهر في المعطيات التالية :

السنة	1936	1960	1994
الساكنة ن	5590 ن	9102 ن	17112 ن
الكثافة (كلم2)	23,6	38,40	72,2

ومع هذا التطور يلاحظ أن الضغط على الموارد الطبيعية كبير. فالكثافة السكانية مرتفعة بالمقارنة مع المعدل الوطني العام وجد مرتفعة بالنسبة لمعدل الأرياف.

يعتمد السكان على الزراعة وتربية المواشي في إطار يتميز بالازدواجية بين ما هو عصري وُرث عن الاستعمار وما هو تقليدي. فمساحة الأراضي الزراعية المقدرة ب 12095 هـ تمثل 51٪ من المساحة الإجمالية للقبيلة لكن لا يسقى منها سوى 371 هـ أي 3٪ فقط. ويتوزع استعمال هذه الأرضي الزراعية بين الحبوب بحصة 68٪ متبوعة بالقطاني بحصة 16٪. ولا تمثل حصة الأشجار إلا 5,4٪. ومما يدل على أهمية الضغط على الأراضي كون حصة الأراضي المستريحة لا تمثل سوى 8,8٪.

أما 49٪ الباقية من المساحة الإجمالية فمعظمها مراعٍ للماشية المكونة من 2492 رأس من الأبقار، و25897 رأس من الأغنام و 4826 رأس من الماعز، وكذلك ما يقرب من 3500 رأس من الخيول.

وإذا كان القطاع الفلاحي قد أمن حدا أدنى من التشغيل ومن الموارد للساكنة. فهو اليوم عاجز بسبب توالي سنوات الجفاف، ولم يعد أمام الساكنة التي ظلت ريفية سوى النزوح، وهي ظاهرة بدأت انعكاساتها تظهر في تركز الأسر بمركز بُوزَمْلاَن حيث ينعقد السوق الأسبوعي وحيث مقر الجماعة وبعض الخدمات.

ونظرا لهذا التطور تعمل الجهات المسؤولة مع المجلس المنتخب على تحسين الوضع اقتصاديا واجتماعيا وبيئيا بإدراج الجماعة في برامج التنمية التي أعدتها وكالة تنمية الأقاليم الشمالية.

3 ـ أيت سغروشن إيموزار كَندر، يشكلون قبيلة تشغل المجال الممتد بين ضاية إفراح جنوبا، والنهاية الجنوبية للسايس شمالا، وهي بذلك تتجاور مع أيت يوسي من الجنوب والشرق والشمال الشرقي ومع أيت عياش في الشمال وبني مطير من الغرب. وتشمل ما يسمى بمقعر إيموزار كندر، وهو مجال ينتمي للأطلس المتوسط المنضدي حيث سيادة الكلس. لتزداد ارتفاعاته من السايس شمالا نحو الجنوب.

وكونه مجالا مفتوحا نحو الشمال، جعله يستفيد من المؤثرات الرطبة المحيطية، فالأمطار تصل إلى 600 مم على شكل ثلوج أحياناً في الأجزاء الجنوبية المرتفعة.

هذه الظروف الطبيعية جعلت مجال أيت سغروشن إيموزار مجالا غنيا بالمياه على شكل ضايات مثل ضاية عوا ؛ وعيون مثل عيون الغربي، البرواك، السلطان، الجراح، أيوع، الشفاء...؛ ومجارٍ مائية مكسوة بغابات البلوط الأخضر، وهي ظروف تساعد على تنوع في النشاط الاقتصادي وعلى السياحة وعلى استقرار الساكنة.

4 ـ أما أيت سغروشن تالسينت في الأطلس الكبير فتشتمل على جماعات بوشاون، وتالسينت وبومريم.

علي ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ أ. القدميري، *إطلالة على دائرة تاهلة*؛ عمالة إقليم تازة، 1982، *منوغرافيا* ؛ ع. الموذن، *مونوغرافيا دائرة بولمان*، إقليم بولمان، 1982 ؛ ح. جباري، *الإنسان والأرض في الأطلس الكبير الشرقي (نموذج گرامة گير الأوسط)*، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1986 ؛ *إحصاءات السكان والسكنى* 1960 ـ 1971 ـ 1982 ـ 1994، مديرية الإحصاء، الرباط ؛ *خريطة قبائل المغرب أقاليم الشمال* ؛ *خريطة التقسيم الإداري*.

Kerbout M. *Quelques. aspects de l'évolution quantitative du peuplement dans le Moyen Atlas et le Bassin de la Moulouya. R.G.M...* vol. 12, n°1, 1988, pp 33-49 ; Reissier (C ne) et Bachelot (C ne). *Notice sur le cercle de Sefrou.* n°4, février 1919 ; Ministère de l'Agriculture, du Développement rural et des Pêches Maritimes, *Recensement Général de l'Agriculture. Résultats par commune Régions : Fès-Boulemane : Meknès-Tafilalet ; Oriental : Taza-AlHoceima-Taounate.* Rabat, janvier 2000.

محمد كريوط

السفرجل المستعمل في العربية أُخذ عن الفارسية وهو النبات المسمى علميا سِيدونيا مَاليفُورْميسْ Cydonia maliformis المنتمي إلى فصيلة الورديات Rosaceae التي تشمل التفاح والإجاص والمشمش والخوخ إلى غير ذلك من الأشجار المثمرة وكثيرا من الأجناس الأخرى البرية منها والمدجنة.

وتجدر الإشارة إلى الضرب ذي الثمار الصغيرة الحجم والمسمى في المغرب بـ"اللَّقِيم" الذي يظهر نادرا في أسواق بعض المدن العتيقة بأثمان مرتفعة نسبيا نظرا لكونه يستعمل لتحضير بعض الأطباق المحبذة عند المغاربة.

شجرة السفرجل قصيرة القامة لا يتعدى ارتفاعها 8 أمتار، جد مُدْغلة، ذات جذع وفروع متعرجة. أغصانها الفتية مكسوة بزغب قبل أن تتحول إلى جرداء. أوراقها قصيرة العنق، بيضية الشكل، ذات طول من 5 إلى 10 سم، وعرض من 3 إلى 7 سم، ذات وجه علوي أجرد ووجه سفلي مكسو بوبر جريري قصير يعطيه لونا أبيض. أزهارها تظهر منفردة وإبطية ذات لون وردي باهت. ثمارها كبيرة الحجم، مستديرة أو إجاصية الشكل، لحمية، ذات لون أصفر ليموني، ومغطاة بزغب ناعم.

السفرجل

السفرجل شبه طبيعي بالمغرب. وموطنه الاصلي اسيا الغربية والجزء الغربي من آسيا الغربية والجزء الغربي من آسيا الوسطى حيث مازالت ضروبه البرية تعيش في اليمن وإيران ومناطق القوقاز وتوركمانستان وأوزباكستان وقرغستان وتادجيكستان. وقد غرس كشجرة مثمرة منذ أقدم العصور في المناطق المعتدلة والمتوسطية وشبه المدارية من العالم القديم ثم أدخل إلى أمريكا واستراليا بعد اكتشافهما.

يغرس السفرجل في البساتين والحقول المروية في جل المناطق المغربية باستثناء تلك التي تشتد فيها البرودة، أي أنه ينمو في كل الطوابق النباتية ماعدا الطابقين الجبلي المتوسطي وفوق الجبلي المتوسطي أما من حيث التربة فإنه يحبذ الأراضي السميكة الموجودة في وديان جبال الريف والأطلس.

يغرس السفرجل خاصة لثماره التي تؤكل طازجة وهي حالة نادرة أو في أغلب الحالات مطهوة مع السكر والقرفة ومصحوبة بالملوخية (انظر الملوخية) بالمعنى المغربي أو البامية بمعنى المشرق العربي وهي هِيبِيسْكُوسْ إِسْكولانْتُوسْ Hibiscus esculentus. كما تستعمل وحدها أو مخلوطة مع التفاح والإجاص في صناعة المربيات والمصبرات الغذائية.

كما يغرس السفرجل لإنشاء الأسيجة الحية إضافة إلى إنتاج الثمار، أو كشجرة مطعمة حاملة للضروب الممتازة من نفس النوع أو من التفاح أو الإجاص.

وتستعمل ثمار السفرجل أو بذورها في التطبيب التقليدي لمعالجة أمراض اللثة والجهاز الهضمي ولتحسين الصوت أو لتليين الشعر.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Rabat, 1955 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

السفن المغربيّة. يعتبر جواز طارق بن زياد وجيشه من طنجة إلى الأندلس سنة 92 / 711 م على متن عدد من السفن أقدم إشارة إلى استعمال المغاربة للسفن في العصر الإسلامي. ولا ندري هل كانت هذه السفن من صنع محلي أم من عتاد البحرية الأموية، خاصة وأن القائد موسى بن نصير كان قد أنشأ دارا لصناعة السفن بإفريقية.

ورغم أن دولة الأدارسة والدويلات اللاحقة لها لم تكن دولا بحرية، فقد وردت الإشارة إلى عدد من المراسي المغربية خلال القرون الثالث - الخامس (9 - 11 م) مما يدل على ارتباط المغاربة بالبحر خاصة في التنقل والصيد، في الوقت الذي ظلت فيه سفن الأمويين بالأندلس هي المسيطرة على الملاحة بالحوض الغربي للبحر المتوسط، باستثناء مدينة سبتة التي احتفظت بتقاليدها الراسخة في التعامل مع البحر، حيث نجد مثلاً أن قطعها البحرية بقيادة المعز بن سكوت البرغواطي قد تمكنت من هزم البحرية المرابطية سنة 476 / 1083 قبل أن تتدخل بحرية إشبيلية العبادية لإنجاد المرابطين.

ومنذ استقرار الأمر للمرابطين عرفت صناعة السفن بالمغرب انطلاقها فبلغ عدد السفن المرابطية في عهد يوسف ابن تاشفين حوالي 100 سفينة ما بين شيني وطريدة وشلندي، وكان أغلبها في البداية معدا لنقل الجنود والعتاد إلى الأندلس وليس للقتال، ثم تطورت السفن الحربية بعد أن أصبح قادة البحر المرابطون، خاصة من أسرة بني ميمون، يهاجمون سواحل شمال إسبانيا وجزر البحر المتوسط الغربية. ثم تعززت تلك الصناعة خلال العصر الموحدي، وظل الأسطول الموحدي يتكون من نفس العدد تقريبا لمدة لا بأس بها، فعند تحرك عبد المؤمن لفتح المهدية سنة 554 / 1159 كان عدد قطع أسطوله يتراوح بين 70 و100 سفينة، لكن هذا الخليفة سرعان ما أحس بأهمية الأسطول فشجع صناعة السفن، وبلغت أوجها في عهد ابنه يوسف وحفيده المنصور مما جعل السلطان صلاح الدين الأيوبي يستنجد بالأسطول المغربي للقتال ضد الصليبيين. وخاضت السفن المغربية خلال هذا العصر معارك شتى في الأندلس وفي عرض البحر المتوسط. وبلغ عدد السفن الموحدية في فتح ميورقة سنة 601 / 1204 حوالي 300 سفينة، بين غراب وطريدة، ومراكب كبيرة، وأغلبها قوارب.

ومن بين المدن التي كانت بها دور صناعة السفن خلال هذا العصر سبتة وطنجة وقصر مصمودة والمعمورة، وكانت بنواحي فاس دار لصناعة المراكب الصغيرة. وكانت سفن الأسطول المغربي موزعة بين المراسي الخاضعة للدولة الموحدية (120 في سلا والمعمورة، 100 في مراسي سبتة وطنجة وبادس ومراسي الريف، و100 في مراسي وهران وهنين وتونس، و80 في مراسي الأندلس) (*القرطاس*).

خلال مرحلة ضعف الدولة الموحدية تضرر نشاط صناعة السفن كثيراً، إلى أن جاء السلطان أبو الحسن المريني (731 - 749 / 1331 - 1348) فقام بتشجيعها من جديد، وبلغت سفن أسطوله عدة مئات. وأنشأ داراً للصناعة بسبتة وأخرى بسلا، وذكر ابن منكلي أنه "لما كان في أيام السلطان أبي الحسن المريني كان بدار الصناعة بسبتة سبعمائة قادوم، وأنه عُمِلَ له طريدة في يوم وليلة فحملت ثمانين فرسا، وذلك في سنة اثنتين وأربعين أو ثلاث وأربعين وسبعمائة. وكذلك مدينة طنجة بها إنشاء مراكب" (ابن منكلي، ص. 21).

ورغم الكارثة التي تعرضت لها حملة أبي الحسن إلى إفريقية وغرق قطع كثيرة من أسطوله، فقد تابع ابنه السلطان أبو عنان الاهتمام بصناعة السفن، وقد قال الشاعر أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني نزيل الإسكندرية أبياتا في غراب لأبي عنان توجه إلى مصر برسالة سلطانية :

فلله ما أنشأته من مراكب   ترادنها في البحر منه تكاوس
قطائعها مثل النجوم قلوعها   وغربانها قطع من الليل دامس
كأن مجاذيف الغراب قوادم   يطير بها والنسر في الأفق كانس

وبعد عهد أبي عنان بدأ التدهور يدب في صناعة السفن بالمغرب. واستمر ما يقرب من القرنين، باستثناء دار صغيرة ببادس لصناعة الزوارق والمراكب الصغيرة ذكرها الحسن الوزان. ثم استأنف السعديون الاهتمام بصناعة السفن أواسط القرن العاشر (16 م)، كرد فعل ضد الغزو البحري الأيبيري، فأنشأ عبد المالك السعدي أوراشا لها بالعرائش وسلا، وظهرت محاولات بالجنوب في أگادير، وكانت بعض السفن تصنع بفاس وتنقل إلى سلا عبر نهر المعمورة. وبلغت هذه الصناعة أوجها في عهد أحمد المنصور الذهبي حيث مثلت تلك الخطورة رفعا للتحدي البحري الأوربي الكبير الذي كان مفروضا على المغرب. ولكنها سرعان ما انكسرت بعده.

وظلت حركة الجهاد البحري التي عرفتها عدد من المدن الساحلية كبادس وتطوان وأصيلا والعرائش وسلا ابتداء من القرن العاشر (16 م) مسؤولة إلى حد كبير عن ازدهار صناعة السفن خاصة الصغيرة والمتوسطة. ومما يؤكد تطور صناعة السفن المغربية في هذه الفترة أن بعضها كان يقوم بمطاردة سفن أوربية متطورة من نوع الكارافيلا. وكان البرتغاليون يسمون سفن المجاهدين المغاربة باسم Fusta. واستمر الجهاد البحري خاصة بمدينة سلا إلى أوائل القرن الثالث عشر (19 م). ومما يؤكد على قوة السفن المغربية تمكنها خلال ثلاثة قرون من أسر مئات السفن الأوربية.

ـ أنواع السفن :

من الملاحظ في المصادر المغربية عدم التدقيق في أسماء وأنواع السفن التي كانت مستعملة، كما تغيب المعلومات عن أحجامها وطاقتها في الحمولة، وتقنيات صنتاعتها. ومن الأسماء الشائعة في المصادر الزوارق والمراكب والأجفان والسفن، وكانت الفروق بينها كبيرة خاصة في الحجم والسرعة. وهناك أنواع أخرى عرفت بأسماء معربة عن اللاتينية والبيزنطية. وقد ذكر ابن منكلي (كان حيا بمصر سنة 778) : "وأما البحر الرومي يركبه من مراكب المسلمين والفرنج مراكب عدة ليس فيها مركب يشبه الأخرى، فيها صنف القراقر بثلاث ظهور وممشى، وهذه أكبر القراقر" (*الأحكام الملوكية*، ص. 112).

ومن أنواع السفن التي أشارت إليها المصادر المختلفة منذ العصر المرابطي :

ـ الجفن : مركب كبير لنقل المسافرين والبضائع والحيوانات.

ـ الزورق أو المركب : قارب صغير يستعمل عادة في الصيد يحركه رجل واحد.

ـ السفينة : مرادف للجفن.

ـ القارب (ج. قوارب) : وهو مركب صغير كان يستعمل في الصيد، وأيضاً في الملاحة النهرية بالأنهار المغربية الكبرى مثل لكوس وسبو وأبي رقراق وأم الربيع. وقد يكون من بعض المواد غير الخشب مثل الخب أو السمار.

ـ القرقورة (ج. قراقير) : سفينة طويلة ضخمة، كانت تقوم بتموين الجيوش في البحر. لها ثلاثة قلاع، وبها ثلاث طبقات، وقد تصل حمولتها إلى 80 فرسا. كما كانت تستخدم في نقل المسافرين. وهي أنواع منها قرقورة سطح تستعمل في النقل وقرقورة حربية.

ـ الشيطي (في المصادر اللاتينية Saete أو Sagecte) : مركب صغير يستخدم في الاستطلاع البحري، وتقوم بنقل المعلومات بين رؤساء السفن الكبيرة.

ـ الغراب (ج. أغربة وغربان. في المصادر اللاتينية Guarapi) : سفينة سوداء مقدمتها على شكل رأس غراب، تستعمل لحمل الجنود، وتسير بالقلاع والمجاديف التي قد تصل إلى 180 مجدافا.

ـ الطريدة أو الطراد (ج. طرائد وطرادات. في المصادر اللاتينية Taride أو Taretes) : وهي عبارة عن مركب حربي صغير وسريع غالبا ما كان يستقله قائد البحر.

ـ الشيني (ج. شواني) : وهو مركب طويل يسير بحوالي 100 مجداف، ويبلغ متوسط ركابه 150 بحاراً. ويستعمل في الدفاع والهجوم في المعارك البحرية.

ـ الحراقة (ج. حراقات) : سفينة كانت تحمل أدوات القتال الثقيلة خاصة المجانيق.

ـ الشلندي (ج. شلنديات، في المصادر البيزنطية Chelandios) : وهي سفينة مسطحة تتكون من طبقتين، يركب المقاتلون في الطبقة العلوية، ويوجد المجدفون في طبقتها السفلية.

ـ الفلوكة (ج. فلايك) : وزروق صغير يحمل حوالي 10 رجال كان مستعملا في الجهاد البحري منذ القرن العاشر (16م).

وقد أصبح المغاربة منذ العصر الموحدي يطلقون على سفنهم أسماء خاصة، فقد كان ضمن سفن سبتة مركب يعرف بالمخلوف كان يحمل الحجاج إلى المشرق. أما أبو علي ابن خلاص صاحب سبتة فقد أنشأ سفينة سماها الميمون. وفي العصر العلوي سنجد أسماء أخرى منها مثلاً مركب جهادي في عصر مولاي عبد الرحمن بن هشام يحمل اسم الأسكونة، وآخر يحمل اسم مسعودة.

وعرف المغاربة في العصور المتأخرة أنواعا أخرى مثل الباخرة التي كان يطلق عليها اسم البابور، والغليوطة (ج. غلائط، Galiote) والبارجة وغيرها. وزيادة على أسماء السفن دخلت لغة المغاربة عدة مصطلحات أوربية تتعلق بالملاحة وصناعة السفن خاصة من اللغة الإسبانية.

ابن منكلي، (كان حيا سنة 778)، كتاب *الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية في البحر*، مخطوط بدار الكتب المصرية، المكتبة التيمورية، القاهرة، مصورة عنه بدون رقم ؛ ع. بن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ع. العزيز سالم، وأ. مختار العبادي، *تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس*، بيروت، ط 1، 1969 ؛ م. الشريف، الأسطول السبتي بين الجهاد والتجارة في القرن (12 . 14 م)، مجلة *البحث العلمي*، العدد، 45 : 1998، ص. 29 . 43 ؛ أ. عزاوي، الأسطول، التجارة، القرصنة فيما بين القرنين، 6 و 8 (12 . 14 م)، ضمن *البحر في تاريخ المغرب*، منشورات كلية الآداب بالمحمدية، 1999، ص. 84.

محمد المغراوي

* * وفي العصر الحديث انتعشت السفن المغربية بعد فترة ركود طويلة مرت بها في آخر العهد المريني، اضطلعت بهذا الانبعاث قاعدتا باديس (قبل الاحتلال) وتطوان، قبل أن تتسلم الريادة منهما قاعدة سلا المستفيدة من وفود جالية أندلسية متحمسة معززة بمن انضم إليها من العلوج، لتوفر للمغرب على امتداد القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17 و18 م) أسطولا جهاديا قويا (قراصنة سلا)، لا يقل شأنا عن أساطيل الإيالات التركية في الجزائر وتونس وطرابلس، ويتميز عنها بطابعه الملاحي العامل في مجال أرحب هو المحيط الأطلنتيكي.

لقد تميزت السفن ذات المواصفات المتوسطية الخفيفة الحمولة بعدما أخضعت للعمل المحيطي، وتعززت بالسفن الدائرية المتسمة بانخفاض السطح وضعف الغاطس، والتي كانت أحجامها ونوعياتها تتباين حسب طبيعة المراسي. وقد شكلت هذه الخاصيات سمات سفن الجهاد البحري على امتداد القرنين المذكورين، باعتبارها مراكب تعتمد على أشرعة متفاوتة ومدعمة بالمجاذيف، مما كان يسمح لها باليسر في المناورة وبمجابهة مختلف الظروف الملاحية،

وبالإفلات من ملاحقة السفن الأوربية الضخمة، حيث كانت ظروف العمل تفرض على الرياس المغاربة الامتناع عن استعمال السفن المتسمة بالثقل وبالصعوبة في الانقياد وهو ما لا يتماشى وعمليات المطاردة والانسحاب، وفرضت عليهم بالمقابل التقيد بالسفن الخفيفة السريعة المجهزة بالمعدات القتالية الضاربة، التي لا تتعدى حمولتها 150 طنة، والمسلحة بدزينة من المدافع وعدد أكبر من المنجانيقات، وبطاقم يصل إلى 100 رجل.

ونظراً للانطلاقة المتأخرة للأسطول السلاوي عن أساطيل الجهاد الأخرى، وتركز جولاته في مياه المحيط الأطلنتيكي، إلى جانب الصعوبة الطبيعية التي يتسم بها مدخل مرسى سلا الجديد، فرضت على وحداته الاستفادة من الريادة المغاربية في هذا الميدان، وتحليها من جهة بمواصفات ملاحية تمكن من مجابهة مخاطر المحيط وعواصفه الهوجاء، ومن جهة أخرى التقيد بأحجام محددة يسهل عليها اجتياز أقاصير المصب.

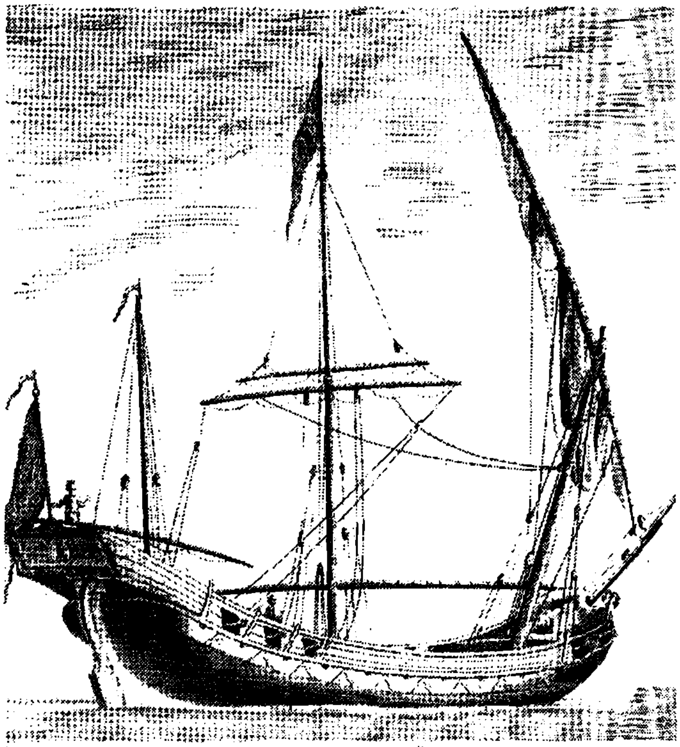

ولهذا السبب برزت السفن الشراعيـة بشكل ضارب لمناسبتها للعمل الجهادي، لا سيما وأن الرياس طعموها بالمجاذيف التي مثلت عنصر القوة في القوادس بما توفره من إمكانية التقدم والتراجع حتى في ظروف الرياح غير المواتية. وقد مكنتها هذه الشروط من الحركية المستمرة بدل الارتهان للعامل الطبيعي، مما كان يساعدها على تنفيذ الملاحقات الناجحة من جهة، والانسحاب اليسير من وجه البوارج العسكرية من جهة أخرى بامتياز مضاعف. ونتج عن هذا أنه في الوقت الذي كانت فيه السفن المجذافية تشكل العمود الفقري لأساطيل الجهاد في مراكز البحر المتوسط، كانت السفن الشراعية أساس البحرية السلاوية باستفادتها من تطور السفانة وصناعتها، وبداية انتشار الأشرعة في وحدات الأسطول التركي بالجزائر منذ 1606م.

ورغم مشكل الدلالات اللفظية التي تجعل تحديد أنواع السفن وأوصاف التقنيات أمراً عسيراً نظراً لعموميات التسميات العربية من جهة، ولتداخل التسميات الأوربية وتعارضها أحيانا وعدم تطابق مواصفاتها الهيكلية والتقنية والبشرية من جهة أخرى، فإن هذه الأنواع لم تخرج إجمالا عن نطاق مجموعتين متباينتين :

مجموعة السفن المجذافية : وهي من فصيلة القادس والغليوطة، وكانت تجهز للعمليات الموجهة على طول الشاطئ وأساساً في منطقة جبل طارق. وتأتي في الدرجة الثانية من حيث الاهتمام، ولا تبدو إلا لماما في العمليات المهمة.

- مجموعة السفن الشراعية : وهي المجهزة بالصواري، والمتسمة بشكلها الدائري، مثل السنبك والقرقورة والبينك والبولاكر ؛ وكانت هي المراكب الأساسية في العمل داخل المحيط الأطلنتيكي وبحار شمال غرب أوربا، وبها اكتسب السلويون صيتهم وشهرتهم العالمية. وحسب الأب دان فإن هذه الأنواع بمقابل افتقارها إلى نفس قوة سفن رياس الجزائر، مكنت نظراءهم السلاويين من سرعة أكبر وخفة أكثر.

وحسب الوثائق نجد ذكرا لعدة أنواع كونت وحدات الأسطول تفوق العشرين، تختلف خصوصياتها بين سفن تتوفر على صارية واحدة إلى أخرى ذات خمس صواري، وحمولة تتراوح بين الخمسين طنة والثلاثمائة، وغاطس بين المترين وثلاثة أمتار، وطواقم تتراوح بين الخمسين والثلاثمائة رجل، ومن مدفعين إلى مائة مدفع، تحت التسميات المتعددة الواردة في الدليل التقريبي أدناه.

وقد كانت أول وحدة في الأسطول السلاوي عبارة عن طراد مجهز للحرب حوالي سنة 1617 م، وهو زورق كبير بهيئة طولية، حامل لصاري مثلث الشراع. وكان معروفا استخدامه في البحر المتوسط، مما يجعل أسطول الجهاد السلاوي - باعتبار تأثره بالأسطول التركي في الجزائر - يتكون أصلا من سفن النوع المتوسطي، قبل أن يجذبه التطور السريع الذي لحقه منذ عشرينيات القرن الحادي عشر (17 م) من جراء تنوع المغانم وحصول المجاهدين على سفن من مختلف الجنسيات إلى جعله مفتوحا على كل مظاهر السفانة الأوربية الحديثة، وتأثره بها ومحاكاته لها، خاصة السفن الهولندية والانجليزية. واستمر الاعتماد على السفانة الأوربية وتجهيزاتها الملاحية المستوردة حتى خلال المراحل الأخيرة للقرن على عهد مولاي إسماعيل.

إن ما توفر من أعداد بخصوص حجم القطع المغربية العاملة موسميا خلال هذه الفترة لا يمكن أن يشكل إلا مقياسا نسبيا للأنواع الرئيسية للسفن العاملة التي لم تتجاوز فيها أفضل طنة تقديرية لأهم فترات الأسطول (1624-1640) عشرة آلاف طنة، في ظرف كانت فيه الطنة

العامة لأسطول الجزائر عشرين ألفا تقريبا، والطنة السنوية العامة لأساطيل إنجلترة وفرنسا والأقاليم المتحدة وإسبانيا في نهاية القرن العاشر (16 م) معدل مائتي ألف طنة، كل على حدة. وهذا ما كان يمثل عجزاً بليغا يصل نسبة 1 / 20 في الحد الأدنى، على اعتبار أن متوسط التجهيز المغربي لم يكن يتجاوز خمس عشرة إلى عشرين قطعة رئيسية، تتراوح حمولتها بين مائة وخمسين طنة ومائتين، أي ما يمثل ثلاثة إلى أربعة آلاف طنة.

إن أولى الإشارات إلى قوة بحرية مغربية متكاملة نسبيا تعود إلى سنة 944 / 1537، حينما أقدم محمد المهدي الشيخ على إنشاء نواة أسطول عامل في مياه مملكة مراكش انطلاقا من قاعدة تافطنة، مكون من 10 إلى 12 مركبا من نوع الشراعي (Zabra)، بالإضافة إلى قطع مملوكة للخواص بقيادة رياس من العلوج. ويبدو أن مقتله لم يحل دون استمرارية الأسطول في عهد عبد الله الغالب (30 قطعة)، ويعتقد أنه بلغ في عهد عبد المالك المعتصم 40 قطعة. بيد أن هذه التجربة أجهضت مع انشغال السلاطين اللاحقين بالسياسة القارية، باستثناء بعض الجهود المحققة محليا في بعض المراكز، مثل مصب أبي رقراق وتطوان.

ومع بزوغ القرن الحادي عشر (17 م) برزت سلا كقاعدة بحرية رئيسية بصناعتها ونشاطها البحري، ارتقى معها حجم الأسطول في ظرف بضع سنوات إلى 10 قطع في سنة 1620، وإلى ما ينيف عن 60 مركبا عاملا في سنة 1626، باستغلال النجاح المطرد لمواسم الجهاد، وبتحقيق التراكم العلمي والتقني الذي استمر في وتيرته المنتظمة لأزيد من عقد كامل، مع الإشارة إلى مساهمة مرسى تطوان بأقل من 6 فرقاطات خلال تلك الفترة.

وقد أدى الاضطراب السياسي والاجتماعي الذي عرفته منطقة مصب أبي رقراق بين سلا القديمة وسلا الحديثة (الرباط) وحصار الأميرال الانجليزي ويليام راينسبورو،

جدول تقريبي لسفن الجهاد المغربي خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17 و18 م)

النوع	المصطلح الأعجمي	البعد أو الحجم	الصواري	الغاطس	الحمولة (طنات)	الطاقم	المدافع	المنجنيقات	المجاذيف
إبريق	Brick	صغير	3-2	2,5-2م	100	100	18-8	-	-
بارجة	Vaisseau	9/25م	5-3	3-2.5م	200	200-150	30	36-26	-
بوكراع	Chebec	8/17م	3-2	2,5م	200	200-60	24-14	-	30
بينك	Pinque	8/15	3-2	2.5م	300-200	200	20	-	-
حمالة	Flûte	صغير	2-1	2,5-2م	100	140-100	22-16	-	-
خفارة	Patache	صغير	1	2م	100-70	100	24-8	-	-
خفاف	Pinasse	12/20م	3-1	2,5م	100	120	20	-	-
خيطية	Caïche	صغير	1	2,5-2م	100-50	100	10-4	24-18	-
دعومة	Brigantin	متوسط	3-1	2,5م	150-60	100-50	24-12	-	20-15
زورق	Barque	صغير	-	0,5م	30-20	50-30	1	4	25-12
سيتي	Saëttie	8/16م	3-1	2,5	100-60	120-80	24-10	-	-
سينو	Senneau	صغير	2-1	2,5-2	100-50	100	10-4	-	-
صندل	Gabarre	صغير	1	2	100-80	100	6-2	-	6-4
صيادة	Goëlette	صغير	2-1	2,5م	150-100	100	12-8	-	-
طريدة	Tartane	8/15م	3-1	2,5	300-200	200-140	20-12	-	-
غلاسة	Galléasse	متوسط	3-2	3	200	150	20	-	50-30
غليوطة	Galiote	8,5/18م	2-1	2,5-2م	150-100	120-50	10-2	-	38-26
غليون	Galion	متوسط	3-2	4	200	150-100	24	-	-
فالوشي	Balancelle	صغير	2-1	2	100	100-80	10-6	-	-
فرقاطة	Frégate	10/27م	3-1	2.5م	200-100	300-150	24-14	-	-
فليبو	Flibot	صغير	2	2م	100	100-80	10-6	-	-
فيست	Fuste	متوسط	2	2,5-2م	300-200	150	20	-	-
قاباق	Trapu	صغير	1	2	100-80	100	20-10	-	-
قادس	Galère	6/45م	2	2,5م	150-80	150	24-14	10-4	50-25
قارب	Barcasse	صغير	-	0,5م	30	50-30	-	4	30-20
قرقورة	Caraque	متوسط	2-1	2,5-2	100	120-70	20	-	-
كارافيلا	Caravelle	8/20م	5-2	3-2,5م	200-150	200-100	10-8	25-20	-
مربع الأشرعة	Polacre	متوسط	3-2	3-2,5م	200	200-100	20	-	-
1/2 قادس	D. Galère	صغير	1	2	100-50	100-50	6-2	-	30
يخت	Yacht	صغير	2-1	1,5	100-80	100-50	10	-	-

(W. Rainsborough) للمرسي إلى تقهقر كفاءة الأسطول العامل إلى بضعة مراكب فقط سنة 1638 من أصل 30 سفينة لسنة 1636، بفعل تعرضها للإحراق والإغراق، دون أن يكون بمقدور المراكز الملاحية الأخرى تقديم أكثر من 5 سفن.

إن هذا ما يفسر لجوء التقارير الأوربية إلى القول بتجديد بناء الأسطول الرئيسي ثانية خلال العهد العلوي مع سيطرة مولاي الرشيد على تلك القاعدة، حيث نهض الأسطول مجدداً من أدنى مستوياته ليبلغ 10 مراكب في ظرف ست سنوات (1666 - 1671). وقد تمركز بالأساس بمرسى سلا، مع مساهمة بسيطة لقاعدتي الوليدية وأزمور، تحت الإشراف المباشر للسلطة المركزية وتحت تأثير المواسم الجهادية، وذلك رغم الضغوط الفرنسية العنيفة بقيادة القائد دو شاطو رونو (Ch. Renaud).

واقتداء بهذا الاهتمام، برز عهد مولاي إسماعيل بمثابة انبعاث حقيقي لحجم الأسطول لم تعرفه القاعدة الرئيسية سلا فحسب، وإنما أيضاً مراكز أخرى وعلى رأسها تطوان، ولا سيما خلال العقد الأول من حكمه، حيث ارتفع متوسط الأسطول إلى معدل 16 مركبا، ثلثاها بسلا الحديثة، والثلث الباقي بتطوان. وتواصل مجهود السلطة المركزية والخواص على حد السواء للحفاظ على كفاءة المغرب الملاحية، خاصة وأن الأسطول قد تعززت قواعدة بتحرير المعمورة والعرائش وطنجة.

وقد شكل عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله مرحلة ازدهار جديدة للأسطول بفعل رغبته الشديدة في مضاهاة القوات البحرية الأخرى، الأمر الذي جعله يبدي اهتماما خاصا بالأوراش الملاحية وينفق من أجلها المبالغ الطائلة في مصب أبي رقراق والعرائش، حتى بدا عهده من أفضل الفترات التي عرفتها السفانة المحلية بعد مرحلة انحطاط، استرجعت خلالها مستوياتها السابقة (10 سفن) بعد عقد من توليته (1766). وانطلاقا من تلك السنة كان التطور محلوظا تضاعف معه العدد الإجمالي للقطع بصورة تدريجية، قبل أن يدرك مستواه الأقصى 50 قطعة منها 20 سفينة كبيرة و30 فرقاطة وغليوطة.

ورغم ارتفاع حجم الأسطول فإنه كان يتسم نوعيا بضعف الاستغلالية، حيث كان معدل السفن العاملة فعليا لا يتجاوز 15 مركبا متوسط التجهيز، مما كان يؤشر على استحالة سيره على منوال السفانة المتطورة لاعتماده على الملاحة المجذافية التي أضحت متجاوزة وشبه ميتة لدى الأساطيل الأوربية، ويجبر السلطان على الإقرار بضرورة الاعتماد على مراكب الدول الأجنبية في الضروري من المهام.

ويفسر ازدهار حجم أسطول سيدي محمد بن عبد الله احتفاظه بنصف كفاءته - على الأقل - بعد وفاة السلطان المذكور، حيث بلغت القوة البحرية في مطلع عهد مولاي سليمان 28 سفينة سنة 1793. ولم تتمكن من الحفاظ على هذا الحجم لأزيد من عقد واحد، حيث ستتراجع بسرعة وتصل في نهاية عهده إلى 10 سفن فقط، كلها في حالة تدهور. وقد سعى خلفه مولاي عبد الرحمن إلى محاولة تأجيل اندثار الأسطول عن طريق الاقتناء من جبل طارق وساردينيا والولايات الأمريكية، وإعادة بعث الأوراش.

ح. أميلي، *الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن (17)*، رسالة د. د. ع. مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1989 ؛ إ. التادلي، *زينة النحر بعلوم البحر*، مخطوط خ. ع. رقم 1347 د ؛ سرهنك، الميرالاي إسماعيل، *حقائق الأخبار عن دول البحار*، ج. 1، مصر، 1312 ؛ النخيلي درويش، *السفن الإسلامية على حروف المعجم*، جامعة الإسكندرية، 1974.

S. Bono, *Les corsaires en méditérranée*, Trad. A. Somaï, Rabat, 1998 ; L. Brunot, *La mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et Salé*, Paris, 1920 ; Henri De Castries [et al.], *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, 1° série et 2° série ; L. Chenier, *Journal du consulat général de France au Maroc (1767-85)*, Publié par Charles Penz, Casablanca, 1943 ; R. Coindreau, *Les corsaires de Salé*, Rabat 1993 ; P. Dan, *Histoire de barbarie et de ses corsaires*, Paris, 1649 ; Clas Broder Hansen et Peter Knuth, *ABC de la marine à voile*, Trad. de l'allemand par Anne-Marie Tattevin, Paris 1990 ; G. Höst, *Histoire de l'empereur du Maroc Sidi Mohammed Ben Abdellah*, Trad. E. Damgaard et P. Gailhanou, Rabat, 1998 (1e éd. 1791).

حسن أميلي

* * لم يكن عدد السفن التجارية المغربية في بداية القرن العشرين يزيد على أربع عشرة وحدة بلغت حمولتها 10000 طن سنة 1932، ثم أضيفت إليها خمس وحدات لا تتعدى حمولتها 3000 طن سنة 1944. وفي سنة 1946 تم اقتناء سفن عصرية متخصصة لنقل الحوامض والبواكر مثل "سعادة" و"مولاي بوشعيب" والباخرة المسماة "المغرب" المخصصة لتجهيز السفن. كما تم اقتناء سفينتين عصريتين تتوفران على مخازن مكيفة : "جرادة" و"الأوداية" سنة 1948 من طرف الشركة الفرنسية الشريفة التي ستأخذ اسم الشركة المغربية للملاحةCOMANAV سنة 1959. وبلغ عدد وحدات الأسطول التجاري المغربي سنة 1949، 35 وحدة حمولتها الإجمالية 32000 طن، من بينها ثلاث سفن مهيأة للمسافات البعيدة.

وعرفت السفن المغربية بعد الاستقلال نشاطاً كبيراً تلبية لما يكتسيه قطاع الملاحة البحرية من أهمية في ميدان نقل المسافرين والسيارات والشاحنات ومختلف البواكر والحوامض والمعادن والغازات والبضائع والسوائل والصيد وحماية السواحل الوطنية. وخير دليل عل هذا الاهتمام خلال العقدين الأخيرين إنشاء وزارة الصيد البحري والملاحة التجارية سنة 1981 وانفصالها إلى وزارتين مستقلتين سنة 2000 وتشييد عدة موانئ على طول السواحل الوطنية

وتجهيزها بأحدث المعدات لاستقبال مختلف أصناف السفن التجارية والنقل والصيد البحري.

لقد تطور نشاط الأسطول البحري الوطني مع قواعد الاستقلال التي وضعت أسس البحرية العصرية استجابة لتطور نشاط التجارة الخارجية، وعرفت السنوات الأخيرة تكاثر الشركات الصغرى التي أقبلت على الاستغلال التجاري للسفن الصهاريج وناقلات الركاب وحاملات المنتجات الفلاحية والمعدنية والنفط والغازات والصيد البحري. وهكذا أصبح عدد الشركات الصغرى في السنوات الأخيرة يفوق 20 وحدة أغلبها مرتكزة في الموانئ التجارية الرئيسية : الدار البيضاء وطنجة وأگادير والمحمدية والقنيطرة والناظور والجرف الأصفر وأسفي. وتعدُّ شركة كوماناف COMANAV أكبر الشركات المغربية نشاطا في قطاع الملاحة التجارية والنقل وتنافسها في هذا المجال عدة شركات نذكر من بينها :

Atlas Navigation, Ciment du Sahara, Comarid, Comapgnie Chérifienne d'Armement, Cotrama, Générale Maritime, Limadet, Maghreb navigation, Navimar, Penav, Servimar, Sofruma, Sonama, Transtour, Unimar, Union Maritime et Minière.

تبلغ الحمولة الإجمالية للأسطول المغربي في الوقت الراهن حوالي 500 000 طن وبهذا يحتل المغرب الصف الرابع على صعيد الملاحة البحرية الإفريقية.

تعد سفينة "ويرگان" حاملة الحاويات "containers" وسفينة الحسيمة حاملة البواكر، التابعتان للشركة المغربية للملاحة، من أعظم السفن المغربية، مهيأتان لقطع المسافات الطويلة ولنقل مختلف البضائع التجارية.

عرف قطاع نقل المسافرين والسيارات والشاحنات عبر البحر المتوسط وعبر المحيط الأطلنطي نشاطا مكثفا خلال العقود الأخيرة مع تزايد عدد العمال المغاربة في الخارج وازدهار السياحة. وتتوفر هذه السفن على مرافق ترفيهية ومطاعم ومقاهي ومتاجر وملاهي للأطفال. نذكر من بين هذه السفن الباخرة "مراكش" الرابطة بين طنجة وسات الفرنسية و"ابن بطوطة" الرابطة بين طنجة والخزيرات ومالقة. يتوفر المغرب على عدة خطوط بحرية تربط الناظور بألميرية ومالقة، وطنجة بالخزيرات ومالقة وسات وطرابلس، وأگادير بجزر الكناريا.

ويتوفر المغرب في ميدان الصيد بأعالي البحار على أسطول مختلف الأصناف والتخصصات ومجهز بأحدث معدات الصيد. يتكون حاليا من 450 سفينة تبلغ حمولتها الإجمالية 454 ألف طن. ويتكون أسطول الصيد التقليدي الساحلي من 2543 باخرة تبلغ حمولتها الإجمالية 470 ألف طن. يوضح الجدولان التاليان أصناف سفن الصيد وتطور عددها خلال السنوات الأخيرة.

أصناف سفن الصيد في أعالي البحار المسجلة في السنوات الأخيرة

صنف السفينة	1997	1998	1999
سفن صيد الرخويات	336	336	333
سفن الإربيان - قمرونيات	59	60	59
جيبيات مثلجة للأسماك السطحية	5	5	5
سفن صنانير التون مثلجة	4	4	4
جيبيات مثلجة	28	28	24
سفن مبردة	21	21	21
المجموع	453	454	446

أصناف سفن الصيد التقليدي الساحلي
في السنوات الأخيرة

صنف السفينة	1997	1998	1999
سفن جيابة (جيبات)	428	436	449
سردينيات	397	408	426
سفن الصنانير	971	976	970
جيبيات ـ سردينيات	286	279	287
صنانير ـ سردينيات	214	211	204
جيبيات ـ صنانير	87	86	82
سفن الطحالب	22	22	22
سفن المزربة	22	22	22
سفن المرجان	15	15	15
أصناف أخرى	65	65	65
المجموع	2507	2520	2542

تتوفر البحرية الملكية على عدة وحدات من السفن الحربية Frégates لحماية السواحل، ومنها سفينة القريب المجهزة للأبحاث في علوم البحار كمسح الخرائط وتحديد أعماق السواحل المغربية.

يتوفر المعهد الوطني في الصيد البحري على سفينتين علميتين : الشريف الإدريسي والأمير مولاي عبد الله، لدراسة وتقييم المخزون السمكي ومراقبته المستمرة من أجل استغلال رشيد للثروات البحرية والمحافظة عليها وتحقيق تنمية مستديمة. تتوفر السفينة الحديثة الأمير مولاي عبد الله على تجهيزات ومعدات ضرورية للبحث العلمي من شأنها أن تسمح بالإقدام على تقييم ومراقبة المخزون السمكي بكيفية دائمة ومستمرة، أي ما يساعد على صيانة المخزون السمكي المذكور مع السماح بالصيد المنتظم في حدود كميات هامة متزنة بدون إفراط. تم صنعها في اليابان، وسلمت إلى المغرب في مارس 2000. بفضل تجهيزاتها ومعداتها المتقدمة، تستطيع هذه الباخرة القيام بمجموعات واسعة ومتنوعة من العمليات الاستكشافية والتقنية تتعلق بدراسات علم المحيطات وموارد الصيد البحري.

تتلخص مميزات سفينة مولاي عبد الله التقنية كالآتي : الطول الكلي 38.5 م والعرض 7.8 م، الحمولة 298 برميلا عيار خام وقوة المحرك 1000 فرس (736 كيلواط)، السرعة 10 عقد، الإيواء 14 عضواً من الطاقم و7 باحثين. تتوفر على مختبرات علمية ومنظومة متكاملة لتسجيل الأصوات والصدى وتجهيزات لدراسة المحيطات وللصيد البحري وجهاز السونار للاستشعار الأفقي لأسراب الأسماك السطحية ولاستشعار أسراب الأسماك الموجودة في المناطق الضعيفة العمق، وجهاز المرجاس CTD (موصلة، درجة الحرارة، عمق) ومنظومة الضبط ومسبار الشباك لمعرفة عمق شباك الجر والمنافذ العمودية والأفقية لشباك الجر واتساع صفائح شبك الجر وكمية الأسماك التي تدخل في الشباك.

والهدف من هذه الأبحاث العلمية تحديد ورصد أهم المناطق التي تعمرها ثروات الصيد ؛ تحديد أهم مميزات الحياة المائية بالسواحل المغربية ؛ تحديد المميزات البيولوجية للأنواع المستهدفة ؛ تقييم الكتلة الحية السمكية المطلقة والنسبية ؛ تحليل البنية الديموغرافية للساكنات السمكية ؛ متابعة التغيرات التي يتعرض لها المخزون السمكي من خلال السلسلات الزمنية ؛ دراسة جودة وسلامة الوسط البحري ؛ تجريب تقنيات الصيد (الشباك الجيبية والمعدات السالبة) ؛ التنقيب في المناطق الصخرية والأعماق الكبرى ؛ المسح الخرائطي للسواحل الوطنية من أجل إنجاز خرائط المصائد وأعماقها.

ع. تيمول، *البحرية المغربية*، *معلمة المغرب*، ج 4، ص. 1077 ـ 1080.

Ministère des Pêches Maritimes, *La mer en chiffres. 1997. 1998 et 1999*, 38 p. ; A. Timoule, *Les chroniques maritimes du Maroc : Les statuts du marin et du navire marocains*, Casablanca, 1980.

نجاة الخياطي

سفيان، بطن من بطون أثبج بن ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة دخلوا المغرب الأقصى سنة 584 / 1188 على عهد يعقوب المنصور الموحدي ضمن مجموع قبائل جشم العربية. وكان المنصور قد نقل جشم من إفريقية إلى المغرب الأقصى عقابا لهم على مساند تهم لبني غانية (مادة جشم، *المعلمة*، 9 : 3028 وزهر *البستان*، 42). وأسكنهم تامسنا ما بين سلا ومراكش، وأسكن بني عمومتهم رياح بلاد الهبط وأزغار (*العبر*، 6 : 37 و*الاستقصا*، 2 : 168 ـ 169) واستفادت دولة الموحدين من عرب سفيان، كما استفادت ممن رافقوهم إلى تامسنا في فترة قوتها، فحاربت بهم برغواطة وما كان لها من آثار فكرية بمجالات تامسنا، وجبت منهم الجبايات، واستعانت بهم في جهاد الكفار بالأندلس (*العبر*، 6 : 37 ـ 38 وزهر *البستان*، 39). حتى إذا ضعفت الدولة الموحدية انقلب هؤلاء الأعراب عليها، واستعلوا على عدد من الخلفاء، وساهموا في اضطراب حبل الأمن، وأحكموا السيطرة على مجال نفوذهم. ولما أقام المرينيون دولتهم على أنقاض حكم الموحدين، لم تكن بالمغرب الأقصى قبيلة أقوى من جشم (*العبر*، 6 : 37 ـ 38).

وإذا كانت جشم أقوى قبائل العرب زمان قيام دولة المرينيين ـ على حد قول ابن خلدون ـ فإن سفيان تعد أهم بطون جشم وأقواها على الإطلاق. فقد كانت لهم الرئاسة على جميع قبائل جشم وقت مجيئهم إلى المغرب الأقصى، وكان عرب الخلط ينازعونهم تلك الزعامة. وعليه لا يمكن فهم طبيعة العلاقة بين عرب سفيان والموحدين في المائة السابعة للهجرة (13 م) بمعزل عن خلافهم مع عرب الخلط وصراعهم معهم حول زعامة جشم. فقد تقرب عرب سفيان

من خلفاء بني عبد المؤمن كلما كان هؤلاء الخلفاء في خلاف مع الخلط، وشقوا عصا الطاعة عليهم كلما تقربوا من أعدائهم الخلط. ولعل هذا ما يفسر تأرجحهم في الطاعة بين الخلفاء من بني عبد المؤمن وأمراء بني مرين (انظر تطور الزعامة في أولاد جرمون، *معلمة المغرب*، 9 : 2964 ـ 2968).

ارتبطت قوة عرب سفيان وزعامتهم على جميع عرب جشم بالعصر الموحدي؛ ومع حلول العصر المريني تخلت سفيان عن دورها في زعامة عرب تامسنا لعرب الخلط بعد أن أصهر السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني لبني المهلهل في عائشة بنت مهلهل بن يحيى بن مقدم أم السلطان أبي سعيد عثمان الثاني، فانحازت جموع سفيان منذ ذلك الحين إلى أطراف تامسنا مما يلي آسفي ومن بطونها من انتجع ضواحي مراكش وأرض السوس وقفاره كما هي الحال بالنسبة للحارث والكلابية (*العبر*، 6 : 38 ؛ *وصف إفريقيا*، 1 : 43 ؛ *الاستقصا*، 2 : 174 و*أثر القبائل العربية*، 96).

وفي عهد السلطان مولاي إسماعيل نالت سفيان حظوة كبيرة لما كان لها من فضل خئولة لفرع الدوحة الهاشمية، فهم أخوال مولاي زيدان، ولذلك أفرد لهم محمد بن العياشي المكناسي تأليفاً خاصاً سماه : *زهر البستان في نسب أخوال سيدنا المولى زيدان*، التقط فيه أخبارهم من كتاب *العبر*.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت، 188 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1، الرباط، 1980 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 2، الدار البيضاء، 1954 ؛ *معلمة المغرب*، ج 9، سلا، 1998 ؛ م. ابن العياشي المكناسي، *زهر البستان في نسب أخوال سيدنا المولى زيدان*، مخطوط خ. ع. رقم، 2152 د ؛ م. أ. أبو ضيف، *أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين*، الدار البيضاء، 1982.

حسن حافظي علوي

السفياني، أسرة سلوية عريقة أصلها من قبيلة سفيان المتفرعة عن جُشم الهلالية الكبرى. والمستقرة في سهل الغرب شمالي مدينة سلا. ومن السفيانيين السلويين الذين تحدثت عنهم الوثائق ولم نعرف لهم ترجمة مطولة : أحمد السفياني أحد عدول مدينة سلا، وكان ينظم قصائد الملحون وتوفي في منتصف القرن الرابع عشر (20 م) ؛ عبد السلام ابن المعطي السفياني من عدول سلا المنتصبين للشهادة كان حيا سنة 1307 ؛ محمد بن بناصر السفياني تاجر سلاوي عين سنة 1312 أميناً على صائر بناء قصبة القنيطرة ؛ محمد بن حجي السفياني أحد عدول سلا، كان بقيد الحياة سنة 1217 ؛ محمد بن محمد السفياني فقيه مدرس نسخ كتباً بخطه، وكان حياً سنة 1278. ويوجد السفيانيون أيضاً في الحواضر المتاخمة لسهول الغرب مثل مكناس وفاس منذ القرن التاسع (15م).

وذكر مؤلف *إزالة الالتباس* (2 : 187) أن السفيانيين قديمون في فاس أصلهم "من أيت يوسي أهل حسب ودين وصلاح ومعاش وحرفة. يدّعون الشرف ولاحظ لهم فيه. ومنهم الشيخ الصالح الحسن بن إبراهيم السفياني ـ آتي الترجمة ـ وينسب إليه مسجد سيدي الحسن السفياني ... ويوجد جنان السفياني بالمرج خارج باب الخوخة". وجاء في *كشف الحجاب* أن بفاس فرقة أخرى من السفيانيين شرفاء، أصلهم من الوداغير الحسنيين أهل فكيك، انتقل جدهم محمد بن عثمان الوداغري إلى فاس في منتصف القرن الحادي عشر (17م) ونزل عند الشيخ الحسن السفياني سابق الذكر فزوّجه إحدى بناته ومات محمد الوداغري وترك زوجه حاملاً بأحمد الذي اشتهر بالسفياني لتربيته في حجر جده لأمه.

شجرة نسب السفيانيين الوداغريين بفاس، وقف عليها ونقل عنها صاحب *كشف الحجاب* ؛ أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، ط. 3، 1381/1961، ص. 170 ـ 171 ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز* ؛ *التعريف*، 2 : 57 ـ 61 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة*، 193 ؛ *التنظيم الجماعي والإداري*، 1992 ؛ *وثائق بنسعيد ووثائق خ ص*.

محمد حجي

السفياني، إبراهيم بن محمد، قائد رئيس جيش حوز مراكش عينه السلطان عبد الملك السعدي عاملا بالقصر الكبير، وبصفته قائد القواد ترأس مقدمة الجيش في معركة وادي المخازن، وهو الذي تزعم حركة مبايعة أحمد المنصور الذهبي خلفا لأخيه عبد الملك بأرض المعركة عشية يوم 30 جمادى الأولى 986 / 4 غشت 1578.

ويقول الفشتالي في *مناهل الصفا* إنه عندما عين مولاي أحمد المنصور ابنه مولاي محمد الشيخ خليفة عنه بفاس وكان آنذاك طفلا صغيرا، عين بجانبه القائد السفياني الذي يصفه الفشتالي بعظيم الدولة وكبيرها.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، الرباط، 1972، ص. 34، 43، 47، 58، 61، 62، 66، 98.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jordana del Rey Don Sebastian* (*S.I.H.M.* France, I, p. 575 - 627) ; Bautista Morales, *Jordana de Africa del Rey Don Sebastian de Portugal*, Sevilla 1622 y Madrid 1889.

محمد ابن عزوز حكيم

السفياني، أحمد بن الطيب الحسني الفاسي، التجاني طريقة. أديب شاعر وشاح زجّال، صحب الشيخ أحمد التجاني وهو صغير، فكان لا يفارق والده المقدم الطيب السفياني في الحضور عند الشيخ أحمد التجاني ويجلس قرب والده للتمتع بكلام الشيخ والنظر في وجهه والاقتباس من مشكاة أنواره، ودعا له الشيخ بخير فظهر أثر ذلك عليه. وكان عمره يناهز ثلاث عشرة سنة حين وفاة الشيخ التجاني.

كادت تكون جميع أشعاره الفصحى والملحونة في مدح الشيخ التجاني. ووقف مؤلف *كشف الحجاب* على ديوان

لأحمد السفياني، ونقل جملة من شعره في هذا الكتاب، وفي *رفع النقاب* كذلك جملة وافرة من القصائد والمقطعات والموشحات لأحمد السفياني.

توفي يوم الاثنين ثاني صفر سنة 1285 / 25 ماي 1868 ودفن بجبل الزعفران خارج باب عجيسة قرب قبر والده.

أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، ط. 3، 1381 / 1961، د. م. ؛ *رفع النقاب بعد كشف الحجاب*، تطوان، د. ت. الربع الثاني ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7 : 2640.

السفياني، الحسن بن إبراهيم الفاسي، الشيخ الصوفي الكبير، أصله من قبيلة سفيان سهول الغرب، أخذ عن الشيخ محمد ابن سليمان الجزولي بوسائط. وكان "سالكا ومجذوبا، والجذب أغلب عليه، وكان له أصحاب وأتباع، وتلامذة وأشياع يأثرون عنه كرامات، وخوارق للعادات" (*سلوة*، 1 : 140).

إليه ينسب السفيانيون الشرفاء الوداغريون حيث نزل عليه جدهم محمد بن عثمان حين هاجر من فگيگ إلى فاس، فزوجه المترجم له ابنة فأنجبت له طفلا ولد بعد وفاة أبيه فسمي أحمد ودعي السفياني، فكان رأس السفيانيين الشرفاء بفاس كما سبق.

كان الشيخ الحسن السفياني يربي مريديه بزاويته داخل عين اصليتن من عدوة فاس القرويين، وكانت له زوايا أخرى في البوادي والحواضر.

توفي بفاس في خامس ذي القعدة عام 1098 / 10 شتنبر 1687.

م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت 1996، ج. 4 : 1694 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، 1300، 1 : 140 ؛ أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، ط. 3، عام 1381 / 1961، د. م. ص. 170.

السفياني، الطيب بن محمد الوداغري الحسني الفاسي. رفيق الشيخ أحمد التجاني. وكبير مريديه ومقدم طريقته في حياته. حلاه في *كشف الحجاب* بـ "الفقيه الجليل، الشريف الأصيل، المقدم البركة، المؤيد بتوفيق الله في السكون والحركة". كان أولا على طريق السادة أهل وزان منسوباً إليهم في جميع أموره إلى أن ذهب إلى الحج واطلع على كتاب *جواهر المعاني* للشيخ أحمد التجاني عند المقدم عبد الواحد بناني المصري وحدثه هذا بكرامات الشيخ ومناقبه. فلما رجع إلى فاس سارع إلى ملاقاة الشيخ التجاني ولقي منه إقبالا عظيما.

كان للمترجم دنيا واسعة وثروة طائلة، تمتد فروع تجارته من فاس إلى الجزائر وقسنطينة ينفق منها عن سعة في وجوه البر ويصل بسخاء آل البيت الكرام. وقد طلب يوما من شيخه التجاني أن يدعو له أن يتوفاه الله على محبته، فدعا له بذلك وقال له : "استعد للفقر جلبابا" فصارت الدنيا تنقص من يده شيئاً فشيئاً وقلبه مطمئن إلى أن وافاه الأجل وهو فقير.

ألف المترجم كتاب *الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية*، جمع فيه بعض ما تلقاه من كلام الشيخ أحمد التجاني مشافهة (وبواسطة بعض الأصحاب ممن حفظه عن الشيخ)، ويذكر السبب الذي صدر لأجله كلام الشيخ، ورتبها على حروف المعجم. وقد أخذ منها الشيخ ابن السائح في كتابه *البغية* وانتقد بعض الإفادات شاكاً في أن تكون منقولة بالنص من كلام الشيخ التجاني. وكذلك فعل أحمد سكيرج في *كشف الحجاب*، فأورد طائفة كبيرة من إفادات الطيب السفياني التي سلمها ابن السائح.

توفي صاحب الترجمة بفاس عام 1259 / 43 - 1844 ودفن بجبل زغوان خارج باب عجيسة.

الطيب السفياني نفسه، *الإفادة الأحمدية*، مخطوط ؛ أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، ط. 3، سنة 1381 / 1961، د. م. ص. 170 - 184 ؛ *رفع النقاب*، تطوان، د. ت. ص. 235 - 249 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1966، ج 7: 2567.

السفياني، عبد الرحمن بن محمد الفاسي ← **سُقّين، عبد الرحمن**

السفياني، عبد السلام بن عمر السلاوي. صحافي ساخر وكاتب مسرحي. ولد بسلا في 19 رجب عام 1340 / 20 مارس 1922 ودرس في مدرسة الشيخ زين العابدين ابن عبود بحي بارمادة سلا، قرأ عليه قواعد اللغة العربية وآدابها، والعلوم الشرعية والعقدية خاصة الفقه أصوله وفروعه. كان رياضيا يهوى الملاكمة وله موهبة في الكتابة يكيفها مع ما جبل عليه من فكاهة وهزل واصطبغ ذلك بالسياسة بعد أن أصبح محرراً في جريدة *الرأي العام* ناقدا لاذعا يقلق راحة خصومه السياسيين. وكتب عدة مسرحيات وربما شارك في تخريجها وتمثيلها منها مسرحية "*بين نارين*" التي مثلت على الخشبة في عدد من المدن المغربية.

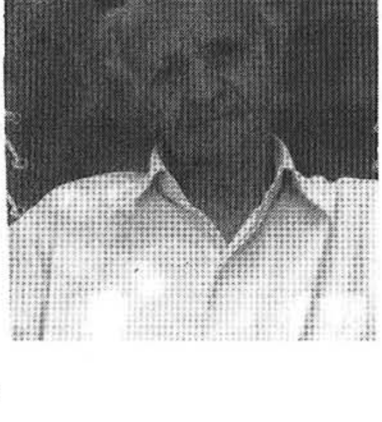

وبعد توقيف *الرأي العام* عمل محرراً في جرائد أخرى وفي الإذاعة المغربية، وأصدر جريدة *المطرقة*، نقدية هزلية، وآخر مؤسسة عمل بها هي جريدة *الميثاق الوطني*.

توفي بالرباط يوم الاثنين 29 شعبان عام 1404 / 28 ماي 1984.

وثائق عائلية ومهنية، ومعرفة شخصية.

محمد حجي

السفياني، العربي بن بنعاشر السلوي. ولد بمدينة سلا سنة 1339 / 1921. وتتلمذ على يد الشيخ زين العابدين ابن عبود وبعض علماء سلا وفاس، وكان يحسن اللغات العربية والفرنسية والإسبانية، والأمازيغية الشلحية...

عمل كمستشار فني في شركة الغزل والنسيج "لاسافط" بالرباط وشركات أخرى بالبيضاء.

انخرط مبكراً في الحركات الكشفية والسياسية لا سيما في منظمة الكشافة المغربية الإسلامية. وكمناضل في حزب الشورى والاستقلال، شارك - ضمن وفد الحزب - في اسقتبال المغفور له جلالة الملك محمد الخامس - بفرنسا ؛ وفي حفلات استقباله بالمغرب.

عرف السجون والمنافي في حوادث 1944 للمطالبة باستقلال المغرب وترسيخ نظام الشورى كأداة للحكم والنهوض بالأمة المغربية إلى مصاف الدول الراقية العصرية. وله *دراسات* فنية في مجالات صناعة الغزل والنسيج، نُشرت في مجلات كانت تعنى آنذاك بهذه الصناعة العصرية الحديثة.

مات شهيداً في مجزرة سوق أربعاء الغرب وهو يترأس كتيبة كشفية كانت في استقبال أول عامل عُين على عمالة الرباط التي كانت تضم أيضاً ناحية الغرب، وذلك يوم الاثنين 9 جمادى الثانية عام 1375 / 23 يناير 1956.

جريدة *الرأي العام*، أعداد يناير وبراير، 1956 ؛ وثائق عائلية.

أحمد بن بنعاشر السفياني

السفياني، محمد بن **عبد الرحمن** الفاسي ← **سُقَّين، محمد** بن عبد الرحمان

السفياني، مَحمد بن **عيسى** المكناسي ← ابن **عيسى، مَحمد** (الشيخ)

السقاوَة طائر من الكواسر النهارية كبير كما هو شائع في الشرق العربي وفي المعاجم، يصنف إلى رتبة الجوارح Rapaces Falconiformes وفصيلة الصقريات Accipitridae. ويعيش منه في المغرب نوعان يغلب عليهما اسم حميمق أو بافَة.

- سقاوة وحشية Buteo rufinus تسمى بالفرنسية Buse féroce وبالانجليزية Long-legged Buzzard وبالإسبانية Ratonero moro وبالإيطالية Pioana codabianca. طائر أكبر حجما من السقاوة العادية ويصعب التمييز بينهما في حالة الطيران. يختلف عنه بلون ريشه الشاحب الموحد على الذيل والأسود الداكن على البطن. المنقار أسود معقوف وقصير، المخالب مقوسة سوداء. الذيل دائري قليلا وبدون خطوط. يبلغ طول الجسم 60 - 66 سم ويزن 600 - 1800 غرام، تبلغ بسطة الجناحين 125 - 150 سم. الإناث أكبر حجما ووزنا من الذكور. يعيش منعزلا أو مزدوجا.

المجموعات المغربية مستقرة تنحدر إلى ضرب B. rufinus cirtensis وأفرادها موزعة على مختلف المناطق الجافة وشبه الجافة بجبال الأطلس والهضاب العليا الوسطى والشرقية والحوز وتافيلات وتنغير وورزازات والساقية الحمراء والعيون ورأس درعة ووادي شبيكة وگلتة زمور وشمال موريتانيا. نادر في المناطق الساحلية بخلاف مناطق طنجة والرأس الأسود قرب تطوان ونادر أيضا في المناطق الغابوية والرطبة التي تفوق تساقطات أمطارها 350 ملم في السنة. تتوالد منذ فبراير إلى أبريل وينصب الزوجان العش على صخور الأجراف وعلى أشجار الأدغال وهو عش ضخم قد يبلغ قطره أحيانا مترا ونصفاً ويتعدى علوه مترا ؛ يتكون من الأغصان اليابسة ومن الطين ويفرش بقطع الأعشاب والصوف. تبيض الإناث 1 - 4 بيضات عليها نقط شقراء، يبلغ طول قطريها 44 × 55 ملم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 28 - 31 يوما. تبقى الصغار بداخل العش حوالي 40 يوما قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا بين شهر يونيو وشهر يوليوز.

يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا الطائر على إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط وآسيا الوسطى ونادر جدا في أوروبا حيث توجد منه حوالي 100 زوجة تعيش في البلقان فقط. يتكون غذاؤه من الجيف والزواحف كالضب والثعابين والضفادع والفئران وصغار الطيور والحشرات كالجراد والخنافس. صيده ممنوع في المغرب وهو طائر محمي.

ـ سقاوة عادية Buteo buteo تسمى بالفرنسية Buse variable وبالانجليزية Buzzard وبالإسبانية Ratonero comun وبالإيطالية Poiana. يختلف هذا الطائر عن العقاب برأس دائري وصغير وبجناحين قصيرين نسبيا على شكل V عند التحليق في الفضاء. لون ريشه شاحب بني داكن ويختلف من فرد لآخر. المنقار معقوف وقصير، المخالب مقوسة سوداء. الذيل دائري قليلاً ومحفوف بريش أسود ؛ يبلغ طول الجسم 50 ـ 56 سم ويزن 500 ـ 1400 غرام وتبلغ بسطة الجناحين 110 ـ 130 سم. الإناث أكبر حجما ووزنا من الذكور.

يتوالد في أوروبا وآسيا من سيبيريا إلى اليابان ومعظم مجموعات أوروبا الغربية مستقرة، والمجموعات التي تتوالد في الشمال وفي الشرق تهاجر شتاء إلى الجنوب. يأتي إلى المغرب ما بين 3000 ـ 5000 فرد كل خريف عبر مضيق جبل طارق لقضاء فصل الشتاء في إفريقيا ثم العودة إلى أوروبا بين مارس ويونيو. تتوزع الأفراد منعزلة أو مزدوجة على مختلف المناطق المغربية بين أكتوبر ومارس شوهدت منه عدة أفراد تحمل خاتما من أوروبا الشمالية في كل من گولمين وماسة وورززات وأحفير وسيدي علال التازي وسيدي بنور وگرسيف. كما أن عدة أفراد تقطع الصحراء المغربية لتشتو في موريتانيا والسنغال والدول المجاورة.

يستبعد أن يتوالد هذا الطائر في المغرب، ويتكون قوته من مختلف أنواع الزواحف والضفادع والفئران وصغار الطيور والحشرات الكبيرة.

م. رمضاني، بولحية، *معلمة المغرب*، الجزء 6، ص. 1845 ؛ *الرخمة*، *معلمة المغرب*، ج 13 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، ط 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

P. Bergier, *Les falconiformes marocains. Statuts, Répartition et Ecologie. Annales CEEP (ex. CROP)* n° 3, 1987, 160 p. ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977.

محمد رمضاني

السِقَاية، منشأة معمارية ذات نفع عام تجمع الماء وتخزنه بعد وصوله إليها من مصادره بغرض توفيره للسكان، وتيسير سبل الحصول عليه، لتلبية ما يستلزمه عيشهم اليومي من شرب وطهارة وأشغال. ولذلك فهي مرفق حيوي مميز للمدينة المغربية قبل 1912. يلاحظ ذلك في كثافة مواقعها في النسيج الحضري لهذه المدينة، وتغطيتها لكل الأماكن التي تعرف فيها حضورا بشريا، وفي وجود درب من دروب كل حومة يحمل اسم درب السقاية.

والسقاية نهاية لشبكة من الآليات والمنشآت. كانت تستخدم في تزويد المدينة بالماء، وجعله قابلا للاستهلاك. بدءاً من مصادر استخراجه الطبيعية، مرورا بتقنيات نقله السطحية ـ السواقي ـ أو الجوفية ـ الخطارات ـ ثم جمعه وتخزينه في الصهاريج، وأخيرا إعادة توزيعه على المدينة عبر قنوات وسواق، ليصل إلى السقاية، نقطة الالتقاء بين المستهلك وهذا النتاج الطبيعي الحيوي.

سقايات مراكش، أحصى القاضي عباس بن إبراهيم عدد سقايات مراكش في زمانه بتسع وثمانين سقاية (*الإعلام*، 1 : 99). وليس بمستبعد أن يكون نفس العدد أو ما يقرب منه هو ما كان قبل القرن العشرين. ولعل مما يدعم ذلك أن عدد سقايات فاس في عهد الموحدين بلغ ثمانين سقاية حسب إحصاء مخزني رسمي (جني *زهرة الآس*، 44)، أما ما أشارت إليه الجزئيات المتوفرة عن سقايات المدينة قبل القرن العشرين، فمحدود جدا ويتلخص في اللوحة التالية :

الزمن	الوحدات	الوضعية الحالية		
		موجودة	مندثرة	بقايا آثار
المرابطون	سقاية قرب جامع ابن يوسف			x
	سقايات قرب قصر الحجر		x	
الموحدون	سقايات من جنوب المدينة إلى شمالها		x	
	سقاية خارج باب تاغزوت		x	
السعديون	سقاية جامع المواسين	x		
	سقاية جامع باب دكالة	x		
	سقاية اشرب وشوف	x		

سقاية جامع ابن يوسف : هي عنصر من مركب مائي، يقع بجوار جامع ابن يوسف، يتكون من السقاية المذكورة وخزان تتزود منه بالماء وحوض. لا تقدم المصادر المتداولة معلومات عن هذا المركب كلا أو جزءا. رغم أنه النموذج الأصلي المحتذى في بناء باقي سقايات المدينة بعده. والإشارة العرضية الوحيدة التي تكررت في بعض من هذه المصادر، ولها فيما يبدو صلة بالموضوع هي : جامع السقاية، كتسمية ثانية لجامع ابن يوسف (*المقتبس*، 58 ؛ وثيقة وقف موحدية. *Deux Tahbis Almohades*, 415 ؛ *البيان*، 4 : 98 ؛ *رحلة الوافد*، 182). ومن المرجح أن تكون للتسمية علاقة بالجوار (*Deux Tahbis*, 419 - 420).

والسقاية ذات شكل مستطيل يقدر بـ 5,14 x 4,5 مترا، تتوزع إلى أقسام ثلاثة يفصل بينها عقدان (*Marrakech*, 1:

105)، تُقابل واجهة التزود منها، الواجهة الجنوبية للجامع، وتستقبل الماء من خزان ملاصق لها عبر فتحات بها أنابيب مصنوعة من البرونز.

سقاية جامع الأشراف بالمواسين : تقع هذه السقاية في وسط المدينة، وبُنيت في عهد حكم السلطان السعدي عبد الله الغالب، وبأمر منه، كمرفق من مرافق جامع الأشراف والحومة التي انتظمت حوله، حومة المواسين (*نزهة الحادي*، 107)، تتوزع إلى ثلاث وحدات متصلة خاصة لشرب الحيوانات، وسقاية منفصلة عنها مغلقة خاصة بالماء الشروب للسكان (*Marrakech*, 1 : 371 - 372).

سقاية جامع باب دكالة : تقع غرب وسط مراكش، وهي من ملحقات جامع باب دكالة الذي أمرت ببنائه مسعودة الوزكيتي أم السلطان السعدي أحمد المنصور عام 995 / 1588 (*نزهة الحادي*، 146). وينسبها بعض أهل المدينة إلى الحْسَنْ وُعْلي، أحد صلحاء حومة باب دكالة المغمورين. يكاد تصميمها ومكوناتها المعمارية يتطابقان، وتصميم ومكونات سقاية جامع الأشراف، وهي ملاحظة تدعم رجوع تاريخ بنائها إلى عهد السعديين (*Marrakech*, 415).

سقاية اشْرَبْ وشُوفْ : تقع وسط المدينة في حومة أسول العتيقة.، لا نعرف بالضبط تاريخ تأسيسها ولا مؤسسها، إلا أن الاطمئنان إلى زمن حكم السعديين، يبدو تاريخا مقبولا لنشأتها لكون مميزاتها المعمارية، طغت عليها هندسة وجماليات معمار الفترة (*Marrakech*, 461). ولعل لاسم هذه السقاية دلالة مزدوجة، صحية وجمالية، تظهر من خلال علاقة التسمية بأداة وطريقة الشرب في حالة عدم وجود إناء للشرب، وجمالية الزخرف الذي يعلو الواجهة الخارجية لسقف السقاية. وانعكاس الزخرف في الماء، حيث تتداخل هذه العناصر فيما بينها في زمن واحد، هو زمن تناول الماء لشربه من السقاية، وذلك بعد ملء اليدين مجتمعتين، وانحناء الرأس نحوهما، حيث حوض تجمع المياه. ففي الوقت الذي تتم فيه عملية الشرب تكون العينان مفتوحتين على الحوض الذي تنعكس فيه زخارف سقف السقاية، وهذا الانعكاس يستوجب كشرط لوضوحه صفاء الماء ونقاء الحوض. وهو مؤشر على ما كانت تتوفر عليه سقاية اشرب وشوف من ضمانات صحية وثروة فنية تبرز القيمة الرفيعة التي كان الماء يحظى بها في مجتمع المدينة.

الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، طبعة الجزائر، 1957 ؛ مجهول، *الاستبصار*، تح. سعد زغلول ع. الحميد، البيضاء، 1985 ؛ البيذق، *المقتبس من كتاب الأنساب*، طبعة دار المنصور، 1971 ؛ ابن عذاري، *البيان*، ج. 4، تح. إحسان عباس، بيروت، 1967 ؛ الجزنائي، جني *زهرة الآس*، تح. ع. الوهاب بنمنصور، الرباط، 1991 ؛ الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. اللطيف الشادلي، البيضاء، 1998 ؛ التاسافتي، *رحلة الوافد*، تح. علي صدقي أزايكو، الرباط، 1992 ؛ ع. ابن إبراهيم. *الإعلام*، الجزء الأول، ط. 2، الرباط، 1974.

G. Deverdun et Mhammed ben Abdeslem Ghiati, *Deux Tahbis Almohades*, *Hesp.*, XLI, 3° - 4°, tr., 1954 ; *Marrakech des origines à 1912*, 2 tomes, Rabat, 1959 - 1966.

محمد رابطة الدين

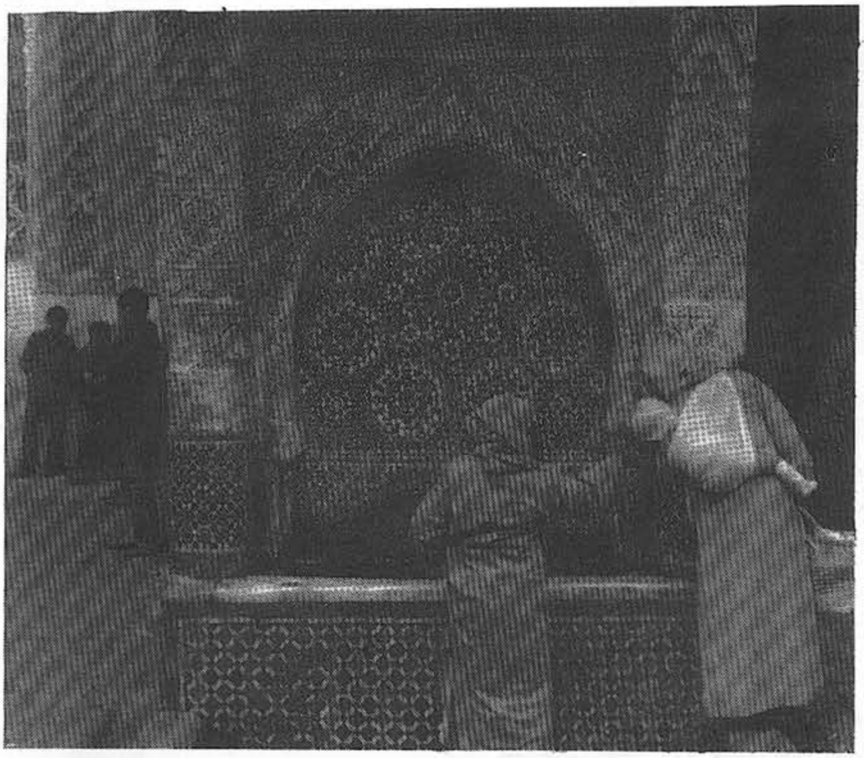

السقاط، أسرة فاسية عريقة، قال عنها في *إزالة الالتباس* : "أهل تجارة ومال ومعاش وحرفة وطلب". وذكر صاحب زهر الآس أنهم على فرق كثيرة، منهم فرقة زنقة حجامة ودرب الحمام من وسعة رحبة الزبيب ؛ وفرقة أهل القطانين واليوم بجزاء برقوقة ؛ وفرقة الفقيه المدرس محمد ابن محمد السقاط بالدرب المقابل للباب الكبرى من زاوية الولي سيدي محمد بن الفقيه، ثم درب سيدي حكيم من وسعة العيون ؛ وفرقة درب الروم.

ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002، ج 1 : 493 - 494 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون.

السقاط، عبد الرحيم، موسيقي ولد بمدينة فاس في أعوام الثلاثين، وتابع دراسته الابتدائية بإحدى المدارس الحرة، ثم التحق بثانوية المولى إدريس حيث حصل على شهادة البكالوريا عام 1953. وخلال دراسته الثانوية تفتقت موهبته الفنية، وتبدّت أمارات تعلقه بالموسيقى، فاقتنى ناياً كان يواظب على حمله طيّ أدواته المدرسية، تعلقا بالموسيقى، فإذا أسعفه الوقت اختلى بأصدقائه وأخذ ينفخ فيه مرجعا ما علق بذاكرته من ألحان ؛ ثم اقتنى عودا وراح يلامسه بأنامله موقعا عليه أولى محاولاته في العزف والتلحين.

وقد تملكه هاجس الانقطاع للموسيقى، فقرر الرحيل إلى مصر، محتذيا حذو فئة من شباب المدينة الذين اختاروا متابعة دراستهم العليا بالديار المشرقية. وهكذا غادر المغرب نحو القاهرة سنة 1953، حيث انخرط في شعبة الموسيقى بجامعة فؤاد الأول متفرغا لدراسة قواعد الموسيقى العربية والعزف على آلة العود.

وخلال السنوات الأربع التي قضاها في القاهرة، حاول أن يسجل أحد أعماله الموسيقية مع إذاعة "صوت العرب"، فلم يفلح بدعوى أن عمله لا يعكس الوجه الأصيل للموسيقى المغربية، وأن عليه أن يتعامل مع معطيات التراث الموسيقي المغربي بدل الاكتفاء بتقليد القوالب المصرية.

وأمام انسداد سبل الاشتغال في القاهرة لم يجد السقاط بديلا عن العودة إلى وطنه، فغادر مصر عام 1957، وحل بالرباط حيث التحق بالجوق الوطني لدار الإذاعة، ورئيسه يومئذ أحمد البيضاوي ؛ فلما دبت عوامل الخلاف بين عناصر الجوق بسبب التهافت على رئاسته، وآل الأمر بعد ذلك إلى تشكيل أجواق محلية بمدن طنجة وفاس ومكناس سنة 1960 آثر السقاط أن يرحل إلى فاس للعمل مع المجموعة التي كان يرأسها أحمد الشجعي.

ولم تطل إقامة السقاط بفاس، إذ لم يفتأ أن رحل مع أسرته إلى الدار البيضاء، وهناك اشتغل فترة قصيرة في إحدى المؤسسات البنكية قبل أن يتم توظيفه للعمل ضمن جوق الإذاعة الجهوية.

واكب السقاط مسيرة تطور الأغنية المغربية وهي تسير في ركاب قوالب الأغنية المصرية، ثم وهي تنفلت من قيود التقليد الأعمى لهذه الأغنية، لتشق طريقها نحو اكتساب مقومات الهوية المغربية، وقد أسهم في تطوير الأغنية المغربية بما أبدعه من مقطوعات غنائية تعامل فيها مع الشعر الفصيح والزجل العامي. وكان موفقا في اختيار الأشعار التي لحنها، مثلما كان موفقا في اختيار الأصوات التي تؤدي أغانيه. وقد غنى من ألحانه خيرة المطربين كالمعطي بلقاسم، وإسماعيل أحمد، ومحمد المزكلدي، وعبد الهادي بلخياط، وفتح الله المغاري، وعبد الوهاب الدكالي، ومحمد الحياني، وحميد شكري، وعبد المنعم الجامعي، كما غنى له من المطربات نعيمة سميح، وبهيجة إدريس، وسعاد حجي، والمطربة المصرية دلال وحيد. ويتوزع أغانيه غرضان أساسيان هما :

العاطفي، ومنه : ياقلبي هذي والتوبة، عيبو عليا، اعلاش ياغزالي، اللي بغيتو بغاني، قطار الحياة، كاس البلار، والله ما نلومك، والله ما نخون العهد، وشاية، مابان عليه اخبار...

الوطني، ومنه : عش للمنى، العرش يزهو، عيد النور، احنا معاك يا بلادنا، يا مليكي، مع النصر موعدنا، يا فرحة العيد.

وبعد حياة حافلة بالعطاء، توفي عبد الرحيم السقاط يوم الجمعة 17 صفر عام 1406 / 1 نوفمبر 1985.

م. بوهلال، *كتاب المهرجان الأول لإبداعات الشباب*، تر. السقاط، ماي 1998 ؛ *معلومات شخصية*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

السقاط، علي بن محمد بن العربي الفاسي، محدث كبير، وصوفي ناسك. أخذ بفاس عن الشيخ المعمّر محمد بن عبد السلام بناني وبتطوان عن عمر بن عبد السلام لوكس وأجازوه إجازة عامة، ولما حج سنة 1114 / 1702 أجازه أعلام شيوخ المشرق أمثال البصري، والنخلي وإبراهيم الفيومي وعبد الباقي الزرقاني ومصطفى البكري وغيرهم.

ألف *فهرساً* جمع فيه أشياخه ومروياته عنهم الحديثة والصوفية، أخذه عنه عدد من علماء المغرب وصوفيته، ثم انتقل إلى مصر فأخذه عنه كثير من مشاهير علمائه وترجموا له في مؤلفاتهم وفهارسهم وأثنوا على علمه وصلاحه الثناء العاطر. منهم الحافظ مرتضى الزبيدي في *ألفية السند*، والمرادي في *سلك الدرر* الذي قال عنه : "كان فرداً من أفراد العالم فضلا وعلماً وديانة وزهداً وولاية". ووصفه الأمير الصغير في رسالته في الحديث المسلسل بعاشوراء "بالإمام

الحافظ ذي الأسانيد العالية. وألف في أسانيد السقاط تلميذه شمس الدين بن فتح الفرغلي المصري ثبتاً سماه *الضوابط الجلية*".

توفي علي السقاط بمصر سنة 1183 / 69 ـ 1770.

علاوة على المصادر المشرقية المذكورة داخل النص أعلاه. ترجم للسقاط : ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، ط 2، باعتناء إحسان عباس، بيروت، 1986، 2 : 1006 ـ 1008 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل*، ط 2، الدار البيضاء، 1960، ج 2 : 319 ـ 320 ؛ *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2395 .

السقاط، محمد التاودي بن محمد الفاسي، أديب كاتب، وفقيه مشارك، وصوفي ناسك. ولد بمدينة فاس في العشرة الثالثة من القرن الثالث عشر، وبها نشأ وقرأ على عدد من شيوخ العلم والأدب، لكن أكثر ما أخذ عن شيوخ التصوف الصالحين، وفي مقدمتهم والده (ت. 1242)، والولي العارف الحاج المختار البقالي الفاسي، وعبد القادر العلمي المكناسي (سيدي قدور العلمي) صحبه سبعاً وعشرين سنة.

عمل السقاط كاتباً عند عامل فاس الطيب البياز، ولما قُبض على هذا الأخير سنة 1260 /1844 ووقع البحث عن أصحابه، نجّى الله المترجم من التبعة، ثم صار كاتباً مع عامل فاس القائد محمد بن الطالب الهنتيفي نحو سبع سنين. توجه بعدها إلى الحج صحبة الثري الفاسي الشهير الأمين الحاج الطالب بن جلون وكتب رحلة سماها *المنح الوهبية في الرحلة الحجازية*، أكثر فيها من مدحه. ثم توجه إلى الجزائر سنة 1277 / 1860 رفقة السفير الحاج العياشي بنيس والقائد عمر الزراري. وبعد ذلك التحق بمراكش ولقي بها الصالح الشيخ محمد الفران، وألف في مناقبه كتاب *خرق العوائد واستجلاب الفوائد* ترجم فيه لنفسه وذكر ما وقع له مع الشيخين محمد الفران وقدور العلمي وغيرهما. وفرغ من تأليفه في 20 صفر عام 1288.

توفي بفاس بعد سنة 1290 / 1873.

م. التاودي السقاط نفسه، *خرق العوائد واستجلاب الفوائد*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، 1977، ج 6 : 328 ـ 329 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل*، ط 2، الدار البيضاء، 1960، ص. 206 و 365 ؛ *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2677.

سُقَّيْن، عبد الرحمن بن علي العاصمي السفياني القصري الفاسي، نشأ بفاس ودرس على الإمام محمد ابن غازي، وهو أول من دخل عليه حين قدم من مكناسة لاستيطان فاس، والشيخ أحمد زروق ومحمد الطنجي وعيسى الواواسي وعبد العزيز البورجي وغيرهم، وارتحل إلى المشرق سنة 909 للحج والتوسع في العلم على قلة ذات يده، فلقي في مصر أبا الفتح القلقشندي وغيره من أصحاب الحافظ ابن حجر، "وأقام بالحرمين الشريفين مدة طويلة لأخذ الحديث والتوسع فيه وفي سنده وضبط ألفاظه ومشايخ السند حتى حصل له من ذلك علم كثير ورواية واسعة لم تحصل لغيره من أهل عصره من علماء فاس (*فهرس المنجور*، ص.60).

اجتاز في طريق رجوعه إلى فاس ببلاد السودان كما مرّ بها في ذهابه ودخل مدينة كنُو على ضفاف نهر النيجر، "وحدّث هناك بمحضر ملوكهم فعظموه وأجلسوه يحدث على الفرش الرفيعة ووصلوه بالصلات الجزيلة من جوار أبكار وغيرها، وافتض كثيرا جدا، حدّث بعض أصحابه عنه أنها تقرب من المائة ونال عندهم من المنزلة الرفيعة، وولد بعض أولاده هناك، ثم انفصل عنهم بعد سنين كثيرة إلى وطنه فاس مملوء الحقائب، موفى الآمال والرغائب، ووصلها سنة أربع وعشرين وتسع مائة (924 / 1518)"، (المصدر السابق من نفس الصفحة).

عاش سقين في فاس بعد سياحاته في المشرق والسودان 32 سنة قضاها في التعليم بجامع الأندلس، يلقي كل يوم دروسا عديدة في التفسير والحديث، ويقرئ كتابي *العمدة والموطأ*، وصحيحي *البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه*، وغيرها متى طُلب منه. وقد أخذ عنه جيلان من علماء فاس وطلبتها، فكان من تلاميذه الشيخ محمد اليسيتني، وعبد الوهاب الزقاق، وأحمد المنجور وأبو النعيم رضوان الجنوي وطلبتهم. فإذا انتهت الدروس وتفرق المجلس بقي قاعداً في جامع الأندلس غالب النهار في انتظار من يروي عنه شيئا من كتب الحديث. وكان علم الحديث ضعيفا في المغرب فأحياه الشيخ سقين ورواه عنه كثير من علماء فاس وأجازهم. ومن مجازيه أحمد المنجور الذي أصبح شيخ الجماعة بدون منازع، وكان سقين إلى جانب اختصاصه في الحديث مشاركا في الفقه والأدب والطب والتصوف.

وكان لسقين كرسي الفقه في المدرسة المتوكلية (البوعنانية) قبل خروجه إلى السودان فاستناب عنه الفقيه محمد المدغري وتنازل له عنه. وبعد وفاة الشيخ أحمد الزقاق سنة 932 / 1526 أسندت إلى سقين الخطابة بجامع الأندلس، وبعد مدة يسيرة أسندت إليه أيضا الفتوى بعد موت الفقيه محمد القوري.

"وكان صلاته موجزة في تمام، وكان لا يطول في خطبته في الجمعة والعيدين كما هي السنة، وما رأيت أحلى منه فيها ولا أرق سيما العيدية، وكانت تبكيني بخلاف خطبة غيره" (*فهرس المنجور*، ص. 61).

وقد وصف المنجور شيخه سقين فقال إنه كان رجلا طوالا على لون العرب وكان ذا سمت، وقيّد بخطه من الفوائد الحديثية وغيرها أدبية وغيرها ما لم يقيده أحد من معاصريه بفاس، ورأيت كثيرا من ذلك بعد موته، وعلى خطه رونق ويشكل ويضبط ما يحتاج إليه، ويقرب من شيخه ابن غازي في الضبط والاتقان لمقيداته. كما ذكر أنه كان يستأجر دائما

على نسخ الكتب العلمية ذا الخط والطلب ينفق في ذلك المال الكثير.

توفي بفاس في شهر محرم عام 956 / يناير ـ يبراير 1549.

أ. المنجور، *فهرس أحمد المنجور*، الرباط، 1976، ص. 59 ـ 62 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط، 1976، ص. 58 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، القاهرة، 1974، 3 : 96. 97 ؛ أ. بابا، *كفاية المحتاج*، تح. م. مطيع، المحمدية، 2000 ؛ *نيل الابتهاج*، بيروت، د. ت ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ م. مخلوف، *شجرة*، القاهرة، 1930، ص. 279 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، فاس، 1345، ج. 4 : 102 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، باعتناء إحسان عباس، بيروت، 1984 ؛ ل. بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، تر. ع. القادر الخلادي، الرباط، 1977، ص. 78 والهامش 2.

سُقَّيْن، محمد بن عبد الرحمن العاصمي السفياني الفاسي، ابن سابق الترجمة، ولد بفاس حوالي عام 944 / 1537 وتوفي والده الإمام والمترجم له ابن اثنتي عشرة سنة فلم يأخذ عنه، وإنما أخذ عن تلاميذه وتلاميذهم. وأشهر شيوخه عبد الرحمن الفاسي العارف. ويبدو أنه كان فقيها متمكنا فقد أسند إليه منصب القضاء، كما كان خطيباً مثل أبيه.

توفي بفاس سنة 1054 / 1644، معمرا كأبيه عن تسعين سنة.

ع. الرحمن الفاسي، *أزهار البستان*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 4 : 1420.

محمد حجي

سَقُّمْري أو اسقمري، جنس أسماك بحرية يصنف إلى طائفة شائكات الزعانف وفصيلة الإسقمريات Scombridae وجنس Scomber. هكذا هو شائع في المعاجم وفي معظم أسواق أسماك الدول العربية، ويدعى في المغرب كَبَايْلا وزروك وماكرو وتونين. إنها أسماك لاحمة شرسة تعيش بين الكتل المائية العمقية والسطحية في بحار المناطق المعتدلة وشائعة في البحر المتوسط والأماكن الدافئة من المحيط

سقمري

الأطلسي. نوعان يعيشان في البحار المحيطة بالمغرب، يتنقلان عموديا وأفقيا في أفواج ويشكلان مخزونا مهما للتغذية في المغرب، صيدهما صناعي وشبه صناعي وتقليدي على طول السواحل المغربية. يصاد الاسقمري بالشباك الحلقية الدائرية والشباك المزودة بالإنارة والجيبيات العمقية والشاطئية والشباك المستقيمة وحبال الصنانير العمقية وشباك الحواجز وصنارة اليد. يوجد بانتظام في الأسواق السمكية الوطنية. يستهلك طريا ومبرداً ومجمداً ومملحا ومجففا ومبخراً ومعلبا ومنه كميات كبيرة تستعمل في صنع الدقيق لتغذية المواشي وغيرها. يعطي الجدول الموالي الكميات المصطادة في المغرب خلال السنوات الأخيرة.

السنة	1994	1995	1996	1997	1998	1999
الكمية بالطن ـ السواحل المتوسطة	980	1756	834	757	361	1604
الكمية بالطن ـ السواحل الأطلسية	38215	28351	16154	28016	11261	16431
مجموع الكميات بالطن	39195	30107	16988	28773	11622	18035

الكمية المصطادة سنويا في المغرب من سمك سقمري

هناك نوعان شائعان في الأسواق السمكية الوطنية وفي السواحل المغربية :

ـ سقمري عادي يدعى علميا Scomber scombrus وبالفرنسية Maquereau commun وبالانجليزية Atlantic mackerel وبالإسبانية Caballa del atlantico. يسمى سكومبري في تونس كبايلا في العرائش وطنجة والحسيمة وسقمري وماكرو وزروك وتونينة وبوقة في المحمدية والبيضاء وأگادير والعيون والداخلة. يتميز بجسم طويل ممدد وبخطم مستدق الرأس، ظهره أزرق مخضر. تتخلله سلسلة من الخطوط السوداء، الجانبان معدنيا اللمعان والبطن أبيض لامع. السويق الذيلي رقيق والجوانب الأمامية والخلفية للعينين مغطاة بجفن شحمي. الزعنفتان الظهريتان مفصولتان بوضوح، تتكون الأولى من 11 ـ 13 شوكة ؛ يحمل السويق الذيلي 5 نتوءات ظهرية و5 نتوءات شرجية وغاطسين صغيرين على كل جانب بقرب قاعدة الذيلية. الأسنان صغيرة ومخروطية على الفكين وعلى القوس الفوهي؛ الأشواك الخيشومية أقصر من الخيوط الخيشومية. الحراشف كبيرة وواضحة خلف الرأس وحول الصدرتين وصغيرة وغير واضحة على الجزء الآخر للجسم. الخط الجانبي معوج بوضوح. الذيلية متشعبة جداً. عائمة السمكة منعدمة.

يعيش في مجموعات مهمة من حيث العدد ومتجانسة القامة منذ سطح البحر إلى 250 م من العمق. يفضل المياه العميقة في الشتاء ويقترب من سطح البحر في الصيف.

يتوالد في الشتاء وفي بداية الخريف في المياه القليلة العمق بالهضبة القارية. ينضج جنسيا بعد 2.3 سنوات بطول يناهز 30 سم ويتغذى من صغار الأسماك وخاصة منها السردين والأنشوفة.

ـ سقمري إسباني يدعى علميا Scomber japonicus وبالفرنسية Maquereau espagnol وبالإنجليزية Chub mackerel وبالإسبانية Estornino. كثير الشبه بالنوع السابق ويدعى بنفس الأسماء السابقة حسب المناطق. يختلف عنه في الظهرية الأولى التي تتكون من 8.10 أشواك وفي وجود عائمة السمكة. الظهر أزرق فولاذي تتخلله خطوط سوداء معوجة أو مقوسة، الجهة السفلية للجانبين والبطن صفراء فضية اللمعان وتتخللها عدة بقع سوداء. يعيش في مجموعات مهمة العدد ومتقايسة القامة منذ سطح البحر إلى 300 م من العمق. يقوم بهجرات فصولية مهمة ويتوالد في الصيف من يونيو إلى غشت. يتغذى من اللافقريات السطحية الصغيرة ومن الأسماك السطحية الصغيرة وخاصة منها السردين والأنشوفة.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي، في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, Rome, FAO, 1998 ; Ministère des Pêches Maritimes, *La mer en chiffres*, Rabat, 1999.

محمد رمضاني

سكتانة، قبيلة كبيرة وقديمة بجبل جزولة (الأطلس الصغير). وقد لعبت دورا مهما في تاريخ المنطقة، نظرا لموقعها المتحكم في الممرات التي توصل بين سهل سوس وواحات باني الشرقية من جهة، ومن جهة أخرى بين أحلاف جبل جزولة وأحلاف أيت واوزكيط وراء جبل سيروا. وتضم قبائل متعددة، جعلتها أكثر القبائل قوة وبأسا، الأمر الذي مكنها من أن يعبر اسمها عن أكبر الأحلاف في منطقة سوس : هو حلف سكتانة العدو اللدود لحلف إيگيزولن، والذي يسمى أيضا حلف "تحكات".

كانت سكتانة مناصرة للدولة الموحدية، غير أن الثورة التي قامت بها أيت واوزكيط سنة 1155 و1182 م جعلت منطقة سكتانة شبه مستقلة عن السلطة الموحدية. وازدادت استقلالا في الفترة المرينية، عندما أسس حدو بن يوسف مملكة صغيرة، واتسعت سنة 1281 في عهد عمر بن حدو، حيث اتخذ لقب "أگليد". وحكم منطقة تمتد من نفيس إلى بيباون (Montagne, *Les berbères*, p. 76)، وإلى سوس جنوباً، حتى أن عرب الحارث والشبانات كانت مساندة له. وليس من المستبعد أن تنضم إلى حكمه قبائل سكتانة المجاورة.

وفي العهد السعدي، أشار إليها صاحب *ديوان قبائل سوس* في قوله : "...وسكتانة جبلا وفحصا بما ذكر [أي خمسمائة سرجة] (الحساني، *ديوان*، 15). واشتهرت، هذه القبائل أكثر بزاويتها "زاوية ابن ويسعدان"، التي عرفت شهرة "عظيمة لكثرة من آوى إليها من المريدين والمساكين، والأيتام والأرامل، فضلا عن الطلبة الذين بلغ عددهم سبعمائة طالب..." (حجي، *الحركة*...، 2 : 565). ولم تكن علاقة سكتانة مع المخزن السعدي جيدة، حيث أيدت الملك المخلوع محمد المتوكل (...) فاعصوصبت من حوله قبائل الأطلس الكبير بإشارة من الشيخ ابن ويسعدان، ولم تنته إلا بمعركة تينزرت الكبرى التي كان الظفر فيها لجيش أحمد المنصور" (حجي، *الحركة*...، 2 : 566).

وبعد انهيار السلطة السعدية، أصبحت المنطقة شبه مستقلة. ولعلها تكن تعاطفاً لأبي زكريا الحاحي، بحكم انتمائها إلى حلف سكتانة المعارض لحلف إكيزولن الذي يتزعمه السملاليون.

ولا شك أن نفس الوضعية استمرت خلال الفترة العلوية، حيث لم تورد المصادر معلومات عن سكتانة.

ونجد في كناش مخزني، أن قبيلة سكتانة قد أدت للمخزن سنة 1251 / 1835 ما مقداره 8021 مثقال من المال وعدد مهم من الجمال، والخيول، والبغال، وزراب، وحلي متنوع (كناش رقم 15 خ / ح، الرباط). ويدل هذا على أن هذه القبيلة تدخل في مجال الأحكام المخزنية.

إ. الحساني، *ديوان قبائل سوس*، تح. عمر أفا، الدار البيضاء، 1989 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978 ؛ *كناش ما يحصل عليه المخزن*، خ. ح. رقم 15، الرباط.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, Casablanca, 1989.

محمد حنداين

السكتاني، أبو بكر بن يوسف، ويعرف في مراكش بالمغارتي (*صفوة*، ص. 112) ؛ العالم الزاهد الرحالة. والسكتاني بكاف معقودة نسبة إلى قبيلة سكتانة، إحدى قبائل سوس المشهورة، الواقعة مواطنها شرقي مدينة تارودانت.

وكما نجهل تاريخ ولادته، نجهل مراحل حياته الأولى، إذ لا تخبرنا عنه المصادر إلا في أثناء مراحل طلبه العليا. أخذ عن بعض علماء عصره، منهم أحمد بابا التنبكتي وأبو القاسم الدرعي بالمغرب. ارتحل السكتاني إلى المشرق ثلاث مرات، فجاور بالحجاز سنين عديدة، وحج أكثر من عشر مرات. ثم سافر إلى بيت المقدس، فأخذ بها العلم والتصوف عن أحمد العلمي. كما جاور بمصر التي أخذ بها عن كبار العلماء، منهم أبو الأمداد إبراهيم اللقاني، الذي أنزله بداره من جملة أولاده، وعبد الرحمن اليمني ويوسف الزرقاني.

ثم رجع إلى المغرب، فألقى عصا التسيار بمدينة مراكش، متصدرا للتدريس ونشر العلم، حيث كان عارفا بفن

القراءات، وله فيه أجوبة نظما ونثرا. كما برَّز في علم الحديث ومصطلحه. فانثال عليه الناس للأخذ عنه، وانتفع به خلق كثير (*صفوة*، ص. 112). ويرتفع إسناده إلى ابن غازي المكناسي من طريق محمد بن أحمد بن مجبر المساري.

ومن أشهر تلاميذه محمد بن سعيد الميرغثي والشيخ مَحمد بن ناصر الدرعي وأبو سالم عبد الله العياشي، الرحالة الشهير. وهذا هو الذي ترجمه، ولقيه بمصر سنة 1059 / 1649؛ ثم صحبه إلى المغرب في الرجوع. وفي أثناء تلك الرحلة سمع عنه بعض الشمائل، وأخذ عنه الذكر بظاهر بسكرة، واستجازه في سائر مروياته في علمي الظاهر والباطن، فأجازه عن جميع أشياخه، وكتب له ذلك بخطه (*اقتفاء الأثر*، ص. 115 ـ 116). لذلك لا غرابة أن يكون ثناؤه على شيخه كبيرا، حيث قال : "شيخنا الموطأ الأكناف، الكثير الإسعاف، العالم العلامة الحاج الرحالة، الفقيه المتفنن، الزاهد المتدين، النزيه المتعفف، النبيه المتصوف...". لا يعرف من آثاره المكتوبة سوى نظم العلوم الشرعية التي جعلها بعضهم اثني عشر، ذكر ذلك الحسن اليوسي في *الفهرس* (ص، 130).

توفي بمدينة مراكش سنة 1063 / 1653، ودفن خارج باب الدباغ.

أبو سالم العياشي، *اقتفاء الأثر*، ص. 115 ـ 116 ؛ ع. الله الفاسي، *الإعلام بمن غبر...*، ص. 71 ؛ اليوسي، *الفهرسة* ؛ م. بن. ع. الرحمن الفاسي، *المنح البادية*، ص. 7 ؛ الإفراني، *الصفوة*، ص. 112 ـ 113 ؛ م. المكي الناصري، *فتح الملك الناصر*، ص. 87 ـ 88 ؛ م. ابن الطيب القادري، *نشر المثاني*، 2 : 66 ؛ *التقاط الدرر*، ص. 133 ؛ الحضيكي، *طبقات*، 1 : 162 ؛ ابن الموقت، *السعادة*، 1 : 135 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 215 ـ 218 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 391.

أحمد عمالك

السكتاني، حسن بن أحمد. مقاوم ولد بتالوين سنة 1920 إقليم ورزازات، انضم إلى حركة المقاومة السرية بالدار البيضاء وشارك في عدة عمليات مسلحة إلى جانب رفاقه في الحركة. اعتقلته السلطات الفرنسية، وقامت بتعذيبه إلى أن وافته المنية تحت التعذيب بمركز الشرطة بالجديدة بتاريخ 10 شتنبر 1954.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، ورقة مقاوم رقم 400514.

السكتاني، عبد العزيز بن عبد الله. ولد سنة 950 / 1543 ـ 44. ودرس في مسقط رأسه وفي حاضرة السعديين مراكش، وتخرج عالماً أديباً شاعراً، تميز من بين معاصريه بإتقان الخطوط المغربية والأندلسية والمشرقية، وتصدر لتعليمها بجامع الاشراف بمراكش على غرار ما كان معروفاً في القاهرة، فكانت له مشيخة النساخين في عصره. وألف عدة كتب اطلع عليها ابن القاضي وكانت آنذاك لم تكمل، ولم يعرف عنها شيء بعد ذلك.

توفي بعد عام 999 / 1591.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح الأحمدي، القاهرة ـ تونس، ج. 3 : 131 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، 1977، ج. 8 : 433؛ م. حجي، *الحركة*، المحمدية، 1977، ج. 2 : 386.

السكتاني، عبد الله بن محمد بن علي السوسي من العلماء المغاربة الذين درسوا في مسقط رأسهم واستكملوا دراستهم خارج الوطن وخاصة في تونس ومصر، فتتلمذ لعدة شيوخ، منهم إبراهيم الجمنى (ت. 1134) وعبد الله بن سالم البصري وإبراهيم الفيومي (ت. 1137) ومنصور المنوفي، وأخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ أحمد بن مَحمد ابن ناصر، وله *نظم في سندها* من طريقه. وله أيضاً *ثبت شيوخه* (خ. ع. رقم 1233 ك) وتقريظ كتاب *ذخيرة المحتاج* للشيخ محمد المعطى الشرقي. يوجد التقريظ ضمن سفر الاجازات حسب ما ذكره صاحب *فهرس الفهارس*.

بحلول سنة 1130 حصل على إجازات شيوخه فتميز بمشاركته في النحو والبيان والفقه والحديث وعلم الكلام وتصدر للفتيا والتدريس بتونس وولاه الباشا على باي مشيخة المدرسة العاشورية وبقي فيها إلى حين وفاته. وخلال اشتغاله بالتدريس تخرج به الكثير من الطلبة منهم ولداه أحمد ومحمد وقاضي صفاقس حسن بن أحمد الشرفي وأخوه أحمد الصفاقسي الشرفي والحسين الورتلاني الجزائري ...

توفي بتونس عام 1169 / 1756-55.

ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 750 ـ 751 ـ 781 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، 345 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، 1 : 176.

محمد ماكامان

السكتاني، علي بن أبي بكر، من العلماء السوسيين الذين تكونوا تكويناً متيناً في مدينة فاس على كبار الشيوخ الذين تجمّعوا فيها خلال النصف الأول من القرن العاشر (16 م) : مغاربة وأندلسيين وتلمسانيين ووهرانيين وتونسيين، بحكم الظروف السياسية والعسكرية السائدة آنذاك في الضفتين الشمالية والجنوبية للبحر المتوسط. وهو رفيق الشيخ أحمد المنجور في الطلب والأخذ عن الإمام محمد اليستيتني وغيره. ترجم له المنجور في *فهرسه* ترجمة حافلة وحلاه بصفات رفيعة : الفقيه النحوي الفرضي النوازلي ... كان آية الله في الفصاحة وحفظ النقول في تدريس التفسير والفقه والنحو وغير ذلك، دأباً على التدريس والمطالعة لايمل ذاكراً لنوازل كثيرة من الفقه بحاثاً عنها ... سمعت يوماً شيخنا الإمام (اليستيتني) يمدح السكتاني ويقول "سيدي على نوازلي"...

لم يقتصر السكتاني على الأخذ عن شيوخ فاس، وإنما عُني أيضاً باستخراج أمهات الكتب من أصولها ينسخها بيده ويستأجر ويشتري بالمال الكثير، كما قال المنجور. وهذا يدل على أن السكتاني كان ثرياً موسعاً عليه في الرزق.

وإليه يرجع الفضل في استخراج *المعيار* للونشريسي من مسودته التي لم تكد تكون تقرأ.

ولي قضاء مراكش حين دخلها الشرفاء السعديون، وكان وثيق الصلة بمؤسس دولتهم محمد المهدي الشيخ يجالسه ويصاحبه في أسفاره إلى أن قُتل معه غيلةً من طرف الانكشارية الأتراك بالأطلس الكبير يوم 29 ذي الحجة عام 964 / 23 أكتوبر 1557.

ولا يُذكر للسكتاني من تأليف إلا شرح *مختصر خليل* وصل فيه إلى باب النكاح، حسبما ذكره رفيقه أحمد المنجور.

م. ابن عسكر، دوحة، تح. م حجي، الرباط، 1979، ص. 94 و104 ؛ أ. المنجور، *فهرس*، تح. م. حجي، الرباط، 1976، ص. 38-39 ؛ أ. بابا التنبكتي، *كفاية المحتاج*، تح. م مطيع، المحمدية، 2000 ؛ *نيل الابتهاج*، بيروت، د. ت. ص. 213-214 ؛ أ. ابن القاضي، درة *الحجال*، تح. الأحمدي، القاهرة، 3 : 256 ؛ *لقط الفرائد / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 2 : 897-898؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998، ص. 94-95 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، 1980، ج. 9 : 186-187 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1977، ج. 2 : 375.

محمد حجي

السكتاني، عيسى بن عبد الرحمن، الركراكي النسب، السكتاني المولد، الروداني النشأة، المراكشي الدار، أبو مهدي، أحد الأعلام المحققين، شيخ المعقول والمنقول المفتي، قاضي القضاة بمراكش. أجمع سائر من ترجموه على علو كعبه في فنون العلم، ونوهوا باستقامته وسمو همته، ومحبته لأهل الصلاح.

ذكر المحبي (*خلاصة الأثر*...، ص. 323) أن المترجم ولد بمدينة مراكش، وهو خطأ ؛ إذ الراجح أنه ولد بقبيلة سكتانة السوسية ؛ ومنها انتقل، في تاريخ غير معروف، إلى مدينة تارودانت، حاضرة سوس آنئذ، فقرأ بها. ثم انتقل وهو في سلك الطلب إلى مراكش فأخذ بها عن بعض كبار علمائها، مثل الفقيه محمد ابن أبي القاسم الشريف الفيلالي، خطيب جامع الشرفاء ؛ والفقيه مبارك بن علي السكتاني، ومفتي مراكش أحمد بن محمد السملالي. ولما ارتحل إلى فاس أخذ عن جملة من علمائها، منهم، قاضي الجماعة عبد الواحد بن أحمد الحميدي، والمفتي يحيى بن محمد السراج، والفقيه الحسن بن عبدالله بن مسعود الدرعي، والإمام أحمد المنجور وغيرهم.

وبعد مرحلة الطلب، استقر بتارودانت فتصدر بها للقضاء والتدريس. وهنالك أخذ عنه الحسن اليوسي، وعبد الرحمن التمنارتي، وعبد الله بن يعقوب السملالي، وعلي بن أحمد الرسموكي وغيرهم.

وعلى إثر استيلاء يحيى الحاحي على مدينة تارودانت، حين دعا لنفسه، وكان قد استشار العالم أبا مهدي السكتاني "فيما عزم عليه فلم يوافقه على ذلك، ولم يساعده على مراده لما فيه من الخروج على السلطان بلا موجب، فغضب عليه أبو زكرياء حتى أمر بقتله فيما قيل" (*الاستقصا*...، 6 : 61) ؛ خرج إلى مراكش حوالي سنة 1023/ 1614. فاستقر بها وتصدر للتعليم. وعلى الرغم من ولايته لقضاء الجماعة طوال أربعين سنة، فلم يصرفه ذلك عن عقد مجالس العلم، صباح مساء، ومناظرة كبار الفقهاء "في اجتهادات جرى بها العمل في جنوب المغرب كله" (*الحركة الفكرية*...، 2 : 391).

وقد دأب المترجم في كل ذلك دأب العلماء المخلصين الناصحين، الذين لم تكن تأخذهم في الصدع بالحق لومة لائم، كما يتضح ذلك من فتاواه ونصيحته لأبي زكرياء الحاحي. فضلا عن ذلك كان السكتاني يتمتع بحس سياسي قوي، يهدف إلى جمع الشمل، والتمسك بالبيعة للسلطان الشرعي حتى وإن كان جائرا. وهذا واضح من الخطاب الذي وجهه للحاحي، حين قال : "وأن الواجب في حق من رأى منهم ما يكره الصبر والاحتساب، إذ غائلة الجور، وإن تفاحش، أقل بكثير من غائلة الخروج الذي يترتب عليه فساد المهج والأموال والأعراض والأديان..." كما أبدى السكتاني تحاملا شديدا على بعض متصوفة ذلك العصر، من الذين دعوا لأنفسهم كابن أبي محلي، إذ ينبغي - في نظره - أن يكون هؤلاء قدوة في اتباع الإمام ولم الشمل ورتق الفتق.

وبالجملة، فقد أبدأ في ذلك الخطاب وأعاد من حيث الإتيان بالشواهد المتنوعة، من آيات قرآنية وأحاديث نبوية، ومن كلام العرب والأمثال والشعر، والسياسة الشرعية ؛ مما يبين عن طول باع صاحبها في ميادين علمية متنوعة (*الاستقصا*...، م. س. ص. 61-68). واستفتاه بعد ذلك، أبو حسون في قضية البيعة التي ابتناها اليهود بمدينة إيليغ، فأفتى بعدم جوازه، لكونها مدينة إسلامية حديثة البناء. فأمر صاحب سوس بهدم البيعة المستحدثة (*إيليغ قديما وحديثا*، ص. 62).

خلف السكتاني مصنفات لاتزال كلها مخطوطة، نعرف منها حاشية على شرح *أم البراهين*، وكتاب في *النوازل*، منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط (340 د)، والأجوبة الفقهية (خ. ع. 1016 ج).

توفي عيسى السكتاني حسب كل من اليوسي والتمنارتي والإفراني والقادري عام 1062 / 1652، ووافقهم عليه آخرون ؛ وهو مخالف لما جاء به محمد المختار السوسي؛ الذي ضبط تاريخ وفاته، فجعلها في سابع صفر من عام 1061 / 30 يناير 1651 (*المعسول*، 5 : 15) ؛ مجاريا المحبي. ودفن خارج باب الخميس، بضريح أبي القاسم الجراوي.

ع. الرحمن التمنارتي، *الفوائد*، مخطوط، ص. 48-49، 154 ؛ م. ابن سليمان الروداني، *صلة الخلف*، تح. م. حجي، بيروت، 1988 ؛ ع. الفاسي، *تحفة الأكابر*، ص. 4 ؛ ح. اليوسي، *فهرسة*، ص. 133؛ الإفراني، *صفوة*، ص. 111-112 ؛ *نزهة* ؛ المحبي، *خلاصة الأثر*، ص. 323 ؛ ابن الطيب القادري، *الإكليل والتاج*...، ص. 79 ؛ *نشر المثاني*، 2 : 59 ؛ *التقاط*، ص. 131-132 ؛ الحضيكي، *طبقات*، ص. 322 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 6 : 61-68 ؛ ع. ابن

إبراهيم، *الإعلام*، 9 : 413 ـ 416 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 5: 15 ؛ *إيليغ قديما وحديثا*، ص. 62 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل*، 2 : 314 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 5 : 104 ؛ ك. بروكلمان، ذيل، 2 : 695 ـ 696 ؛ ليفي بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، ص. 260 هامش 2 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 2 : 391.

أحمد عمالك

السكراتي أو السكرادي من الأسر العلمية الصوفية بسوس، اعتباراً للدور العلمي والديني الذي لعبه رجالاتها، وتعدّ فرعا من فروع الشرفاء الذين استوطنوا هذا القطر.

استمدت الأسرة تسميتها من "ايسكراد" إحدى قرى قبيلة إغير ملّولن التي توجد على بعد 45 كلم جنوب شرق تزنيت، في منطقة تفصل بين قبيلة أيت جرار وقبيلة تازروالت.

وقد اعتاد أبناء الأسرة أن يقولوا في تسمية جدهم ـ السكراتي ـ بالتاء لا بالدال، خلافا لما كتبه مؤرخ المنطقة المختار السوسي الذي يرى أن الأصل في تسمية الأسرة ـ السكرادي ـ نسبة لإيسكراد، وهي كلمة لها دلالة محلية إذ يقصد بها الأحجار الملساء من الصفوان التي تغسل فوقها الثياب، والتي اتضح من خلال المعاينة وجودها بكثرة في موطن الشيخ أحمد السكراتي، الجد الأعلى للأسرة، وباني مدرستها وزاويتها.

السكراتي، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مسعود، ويتصل نسبه بالحسن السبط بن علي بن أبي طالب"، كما تشهد بذلك مشجرات أنساب الأسرة، والظهائر السلطانية التي في حوزتها وكما أثبتها مؤرخو المنطقة.

عاش الشيخ أحمد السكراتي أواخر القرن العاشر وأكثر من نصف الحادي عشر الهجريين، تربى وتعلم على يد كبار شيوخ عصره، خاصة منهم شيخ المشايخ آنذاك وصديق أبيه، الصوفي الكبير داود الدادسي، حيث أخذ عنه علوم العصر إضافة إلى التصوف. لذا لا يستبعد أن يكون الشيخ الدادسي هو الذي أذن للشيخ أحمد السكراتي ببناء زاويته التي اختار لها مكانا عاليا فوق عين "سكرات" بقبيلة إيغير ملولن ثم أضاف إليها بناء مدرسة بجانبها.

كان هدف الشيخ أحمد السكراتي من تأسيس الزاوية والمدرسة هو مد الإشعاع الديني والصوفي والعلمي، ليسير على نهج طريقة شيخه الصوفي داود الدادسي. وعموما فقد أدت هذه الزاوية ذلك الدور، حيث أصبحت قبلة للمريدين والطلبة، بل تنازلت قبائل مجاورة لها عن جزء من ملكها لشيخها بقصد مساعدتها وتموينها. وقد بقيت هذه الزاوية تؤدي نفس الأدوار حتى بعد وفاة قطبها بفضل استمرار أبنائه وحفدته في أداء رسالته، علما أن هذا الشيخ الصوفي أعقب اثني عشر ولدا من صلبه ظلوا جميعا سائرين على نهجه في الخير والصلاح. والمعروف أن ذريتهم تفرقوا بسوس وأحواز مراكش خدمة للعلم والدين الإسلامي.

توفي بمسقط رأسه سنة 1067 / 1657.

السكراتي، الحبيب بن عبد السلام، من كبار علماء تارودانت، وإمام وخطيب مسجدها الكبير، وعضو مجلسها العلمي، إضافة إلى كونه عمل بها كمدرس وكمفت، تلك كانت أعماله وخصاله إلى أن لقي ربه في 2 شوال عام 1397/ 16 شتنبر 1977.

السكراتي، الزاكي من حفدة موسى بن الولي الشيخ أحمد السكراتي. قال عنه المختار السوسي : "فقيه حسن من المفتين الآن. ومن البارزين بين جملة العلوم العربية في (تارودانت) عرفناه وجالسناه مراراً وقد حصل على النجاح للقضاء منذ سنين كثيرة (...) ممن يجرون في مضمار الإفتاء". وقد ظل هذا العالم مخلصا لرسالة العلم بتارودانت ونواحيها إلى أن لبى داعي ربه في 2 جمادى الأولى 1407 / 3 يناير 1987.

السكراتي، علي بن **الحبيب**، نشأ في بيت علم وأدب، فاهتمّ بفنون الأدب منذ صغره وحفظ أشعاراً وقصائد. أخذ عن شيوخ كبار كالمحفوظ الأدوزي والحسين بن عمر بيبيس، وعلى يد أبيه الذي ربى فيه حب العلم، بل كان يوصي أبناءه بالاشتغال بالعلم عوض جمع المال، لأن هذا الأخير يزول والعلم يدوم. وعندما لمع في ميدان العلم والأدب، وبعد وفاة أبيه، اختاره القواد الجراريون مدرسا وقاضيا وخطيبا ومفتيا لمركز قيادتهم "تالعينت"، لذا ظل ملازما لهم.

هذا هو مؤرخ الأسرة، وأديبها الكبير، يرجع إليه الفضل في جمع وتدوين أخبار العشرات من علماء وأدباء الأسرة السكراتية، ويعتبر كتابه *تحلية الطروس وبهجة النفوس في مناقب آل سوس* مصدراً هاماً من مصادر التاريخ السوسي، ترجم فيه صاحبه لفئة معينة من السوسيين ـ الأعيان والعلماء والمتصوفة ـ فهو بهذا تاريخ إقليمي يدخل ضمن كتب التاريخ الإسلامي تضمن مادة تاريخية إلى جانب ما هو أدبي وماله اتصال بالكرامات.

أشار المختار السوسي أن الدافع لتأليف هذا الكتاب هو القائد عياد الجراري من أجل تخليد مآثره وإنجازاته تشبُّها بالأكابر. غير أنه من الارجح أن هناك دوافع أخرى وراء تأليف هذا الكتاب ومنها : دفاع السكراتي عن طريقته التجانية، وشيوخها ومريديها بسوس أمام الهجمات التي تتعرض لها من الطرق المنافسة لها، الناصرية والدرقاوية، خاصة بعد اقدام المؤرخ الإكراري على تأليف كتابه المدافع عن الناصريين أكثر من غيرهم، وقد يكون هذا التنافس من بين حوافز المختار السوسي الدرقاوي الطريقة، للكتابة أيضا في مناقب الدرقاويين.

على كل فهذا الكتاب هو مساهمة في التعريف ببعض جوانب تاريخ سوس، أثنى عليه وعلى صاحبه المختار

السوسي بقوله : "هذا هو الذي له على تاريخ رجال سوس من الفضل العظيم ما لا يقدره قدره إلا أمثالنا الذين ينقطعون على تلفيق ترجمة عن أحد علمائنا". وأضاف قائلاً : "فتركه لي فوجدته طافحا بالغرائب والعجائب وهو كتاب منشيء ساجع، يحلي كلامه بالحكم والأمثال وبطرائف الأخبار والأشعار، مع نزاهة حاول أن يلازمها في كل كتابه".

السكراتي، عيسى بن أحمد بن محمد الشيخ، درس بمراكش وأقام بها، وأسس بها في درب ابن صالح زاويته ومدرسته المعروفتين، حيث تصدر للتدريس والتربية الروحية. كان السلطان المولى الرشيد العلوي يحيطه بالكرم والعطف، مما أدى إلى مرافقته له في رحلته لسوس للقضاء على إمارة إيليغ. وعند مرور السلطان بقرية سكرات، أطلعه عيسى على قبر والده الشيخ أحمد السكراتي، فأمر المولى الرشيد بإقامة ضريح عليه مازال قائما إلى اليوم.

وبعد رجوع السلطان إلى مراكش، نصبه نقيبا على الشرفاء السكراتيين بمراكش وتارودانت وسوس.

توفي هذا العالم آخر القرن الحادي عشر الهجري بمراكش، ودفن بمسجد السمارين.

السكراتي، المامون هو أخ الزاكي الروداني سابق الترجمة، ولد عام 1335 / 1917، أخذ علوم عصره على يد شيوخ كبار، وانخرط كاتبا في وزارة الأحباس سنة 1938، وما لبث أن عين عدلا من الدرجة الأولى بنظارة الأحباس بتارودانت وعندما بدأت بوادر الحركة الوطنية في الظهور، انخرط في صفوفها مناضلا، فظلت الرقابة العامة تتعقبه إلى أن تم عزله من منصبه في يونيو 1954 كما سجن عدة مرات منذ بداية الخمسينيات.

وبحصول المغرب على استقلاله، عين قائداً على قبيلة هشتوكة، ثم في قيادات أخرى بمناطق مختلفة من المغرب إلى أن تقاعد سنة 1978، وقد اشتهر باستقامته ونزاهته في عمله إلى أن لقي ربه عام 1418 / 1997. قال عنه المختار السوسي: "من رجالات الأسرة البارزين في ميدان الرجولة، قدمته أعماله فتولى القيادة على جميع (هشتوكة) بعد الاستقلال (...) وهو من أصحابنا الذين يمثلون ما يطلب من أمثاله أن يمثلوه".

السكراتية، نجمة بنت عيسى بن أحمد سابق الترجمة، خلفت والدها على زاويته بمراكش وسارت على سيرته في التربية الصوفية حتى وفاتها بعد والدها بحوالي عشرة أعوام، وضريحُها شهير بزاوية والدها بحومة ابن صالح بمراكش.

علي بن الحبيب السكراتي، *تحلية الطروس وبهجة النفوس في مناقب آل سوس*، مخطوط : م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، 1963، ج 11 ؛ *رجالات العلم العربي بسوس*، طنجة، 1989 ؛ *خلال جزولة*، تطوان، مجهول، *وفيات الرسموكي* : م. البعقيلي، *مناقب البعقيلي*، تح. م. المختار السوسي، الرباط، 1987.

م. الحسن السكراتي

سكساوة (أو إسكساون)، تغطي منطقة سكساوة في وقتنا الحالي تقريبا المنطقة الجبلية لإقليم شيشاوة الواقع غربي مدينة مراكش. وهي تشكل حوضا لأسيف ـ ن ـ سكساون أو وادي إسكساون. وهذا الحوض محاط من ثلاث جهات بجبل عال هو بمثابة حائط طبيعي. وتقع هذه المنطقة في السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي، وينحدر وادي إسكساون شمالا في اتجاه الدير والسهل المعروف اليوم ببوجمادة. وهناك يختفي اسم هذا السيل ليحمل ـ ابتداءً من المكان المسمى تُوزُّمت (بالزاي المفخمة) ـ اسما آخر هو وادي القاهرة نسبة إلى حصن كان أبو عنان المريني قد بناه هناك سنة 753 / 1352.

ينبع أسيفْ ـ ن ـ سكساون من جبل تيشگا الذي يتراوح ارتفاعه ما بين 3000م و3400م (حسب الأماكن). وللعلم فإن أسيف المال وأسيف نفيس الموازيين لوادي سكسكاوة ينبعان أيضاً من هذا الجبل. وإذ تقف الجبال أمام وصول الرياح الرطبة القادمة مباشرة من الغرب (أي المحيط الأطلسي)، فإن ذلك لم يمنع تعرض المنطقة للسحب الكثيفة القادمة من الجنوب الغربي.

ومن المميزات الطبيعية لمنطقة سكسكاوة كذلك أنها محصنة من جهة الشرق بحائط جبلي في حين تحيط بها بعض الكثبان خصوصا من جهة متوگة وحاحا.

ومنطقة سكسكاوة بحكم طبيعتها الجبلية تشهد تساقط كميات هامة من الأمطار والثلوج خلال السنة ولا سيما في فصل الشتاء. وهذا ما جعلها منطقة غزيرة المياه مما يعني أننا في منطقة فلاحية أقل ما يقال عنها إنها منطقة استقطاب واستقرار وذات استمرار تاريخي. وقد أشار ابن خلدون إلى هذه الأهمية وذكر بها الزرهوني أو مُرابط تسافت حين نعتها بميزان المياه إشارة منه إلى أنها خزان للمياه. وكما قال جاك بيرك هي كذلك خزان لأشياء أخرى كما هو معروف.

وجبل سكسكاوة لافت للانتباه، فالذي يصعد نحوه عبر الوادي يلاحظ مدى اتصاله جنوبا وشرقاً وغرباً. ومنطقة سكسكاوة توجد محصورة بين جبلين في اتجاه الشمال والجنوب : جبل بويباون غرباً من ناحية دمسيرة، وجبل أفوزار شرقاً من جهة إگدميونْ (كدميوة). وفي هذه المنطقة يسير وادي سكسكاوة في اتجاه الجنوب على نحو مقعر.

ورغم أن منطقة سكسكاوة تبدو مغلقة إذ تحيط بها تضاريس عالية، فإن ذلك لم يحل دون انفتاحها على المناطق المجاورة البعيدة وذلك عبر الممرات التي تتخللها في أماكن معينة. غير أنها في نفس الوقت استطاعت أن تحتفظ بشخصيتها المتميزة.

من سمات أرض منطقة سكساوة أنها تتفاوت لونا وجودة وذلك باختلاف المكونات الطبيعية لها وهكذا، وانطلاقا من تيزي أوماشو يتغير لون الأرض تدريجيا بحيث يمكن التمييز بين ثلاثة أقسام مختلفة الألوان : هناك أرض بيضاء تليها حمراء وثالثة سوداء.

فالتربة البيضاء تنتشر في اتجاه الشمال الغربي وخصوصاً في مجال قبيلة متوگة وتمتد من هناك إلى إمنتانوت ودويران ومزوضة (إمزوضن) وگدميوة (إگدميون) مروراً بتمگو وأركوسْ.

وهذا التدرج في لون الأرض نجده أيضاً حينما ننتقل إلى وسط سكساوة شمالي الجهة السابقة انطلاقاً من المكان المسمى مزاوتْ. ومن هناك يمكن تتبع الألوان الثلاثة بشكل واضح، فالتربة البيضاء تغطي حوض أيت موسى في اتجاه الجانب المسطح من منطقة دويران وتحديداً في واومريغت ووافگا Waffaga وتنتشر إلى أبعد من ذلك لتصل إلى منطقة كطوس (Kattos). وبعد ذلك يظهر الحجر الأحمر المسمى بـ تافزا الذي يكتسح منطقة إميلين وعلى ارتفاع 1000 م في سافلة هذه المنطقة وبعد أن يمر الوادي بسوق الخميس القديم في اتجاه تابيا يتصادم مع جرف أسود اللون كما هو الحال في العالية.

وحينما ندرس الغطاء النباتي المنتشر بمنطقة سكساوة يتأكد لنا هذا التدرج الطبيعي ابتداءً من علو 740 م عند مجاز تاگنامتْ إلى علو 3400 عند رأس مولاي علي.

إن التفاوت في التعرض لأشعة الشمس ينعكس على التباين في العلو ونجد لذلك أثراً في أسماء الأماكن مثل أنمّر وهو المكان المعرض للشمس وأمالو الذي هو الظل. ومنطقة سكساوة تتعرض للتأثيرات الأطلسية من جهة الغرب وتقل أهمية في اتجاه الشرق خاصة في گدميوة (إگدميون).

وهذا التباين الطبيعي انعكس أيضاً على الغطاء النباتي بحيث يطبعه التنوع ويتأقلم مع التضاريس.

ففي سافلة المنطقة تنتشر شجرة الزيتون عبر الأودية إلى حدود منطقة زينيتّ (بالزاي الفخمة) ومغدير وتصل إلى حدود علو 1100م. كما تنتشر بهذه المنطقة شجرة اللوز التي تبدو كأنها في تنافس مع الزيتون ويصل انتشارها إلى علو 1800م. غير أن شجرة الزيتون نجدها هنا وهناك خاصة في وانشكرير وأضرضور. غير أن شجرة اللوز انطلق انتشارها خصوصا عند علو 1400م ليصل إلى علو 2350 م ونجدها بكثرة خاصة في مناطق أو سيكيس وأيت حديوس وإيدارجربون.

وفضلاً عن ذلك هناك سهب حلفاوية تغطي منطقة يتراوح ارتفاعها ما بين 800 و1600 م وخصوصا في منطقة إميلين التي تعتبر الحد الفاصل بين سكساوة ودويران. وهذه المنطقة مكسوة بتربة حمراء وغير آهلة بالسكان اتخذتها قبيلة أيت إدما منطقة لرعي ماشيتها. تنبت فيها النباتات الشائكة وخصوصا شجرة الحلفاء التي هي نوعان يسميان بالأمازيغية تنالت وأوري. وهذا النوع الأخير نجده خارج هذه المنطقة ليصل إلى ممر تبكورتْ حيث ينبت هناك في تنافس مع نباتات علفية أخرى مثل الصنف المسمى أزگري أو ترغا.

وتنتشر الغابة المسماة بغابة مزاوتْ في المنطقة التي تفصل بين الوادي الرئيسي ووادي أمَّرْن وعندما نخترقها عموديا نميز فيها مناطق مغطاة باللوز وأخرى بالعناب وثالثة بالعرعر. أما شجر البلوط فينمو بكثرة انطلاقا من علو 1400 م وخصوصاً منه البلوط الأخضر المعروف بالأمازيغية بتسافتّ. غير أن هذه الغابة قد اعتراها التدهور ولاسيما بين ارتفاع 1500م و1600م. وإذا أصبحت كثيفة عند ارتفاع 2000م فانها تتخللها هنا وهناك بعض الأماكن المفتوحة المخصصة للزراعة. أما انتشار هذه الشجرة فيصل إلى حدود ارتفاع 2800 م وتنتشر كذلك بهذه الغابة شجرة السرو التي يمتد مجالها إلى حدود ارتفاع 3250 م.

وهناك أصناف أخرى من الأشجار والنباتات بهذا المجال الغابوي منها على وجه الخصوص النبات المسمى بالأمازيغية أزمو Azmu الذي ينمو بكثافة في الأماكن الرطبة والمعلوم أنه يوجد في قمة تيشكا (ارتفاع 2.600م) وهو مكان مخصص للرعي. وعموما يلاحظ أن النباتات الأخرى التي تضمها غابة سكساوة هي ذات أزهار صفراء تظهر في شهري ماي ويونيو (ربيع متأخر) وهي : أغوزيرْ، وأشفود، وأناغود، وأماتر، وألوگو.

والملاحظ أيضاً أن مكان تلاقي الأودية الصغيرة بالوادي الرئيسي له طابعه الخاص. فهذا إيمي أو نسيف يضم غابة الدفلى أشجارها كبيرة.

أما إيمي لكيس فتنمو به أشجار التين والرمان. وفي هذه المنطقة نصادف أيضاً نباتا يسمى أفرتْ وكالْ وهو نبات ذو طعم حلو يستعمل في الشاي.

ومن الأشجار الأخرى المثمرة التي لها حضور مهم في أودية هذه المرتفعات شجر الجوز.

وعموماً، كما سبق الذكر، فإن الغطاء الغابوي بمنطقة سكساوة أصابه تدهور واضح في عدة أماكن وذلك بسبب عوامل متعددة منها الاستغلال المكثف (الرعي والحطب) والنزاعات والحروب التي كانت المنطقة مسرحا لها خلال القرون الماضية، وانجراف التربة وتعرض المنطقة لرياح قوية، والاجتثاث من أجل الحصول على أرض فلاحية، وكذا عدم تجديد أغراسها.

ونظراً لوعورة تضاريس المنطقة، فإن المحاط الزراعي تطلب باستمرار من ساكنة سكساوة جهدا كبيرا لتثبيت الأرض الصالحة للزراعة، والتغلب على جريان المياه المنسابة بقوة من الجبل. وهكذا قام الفلاحون بتشييد عدد من السطوح والمرتفعات لزراعة الحبوب على علو يصل إلى 2000م. واكتسح المجال الفلاحي جنبات الأودية والشعاب الضيقة مما يبرز حيوية السكان والجهود المضنية التي بذلوها

باستمرار في سبيل ذلك. وإذا كان المجال الفلاحي ثمرة مجهودات فردية وعائلية فإن المجال الرعوي ظل مجالا جماعيا تستفيد منه الجماعات المتساكنة بالمنطقة.

السكان والسكن :

أحصى جاك بيرك بالمنطقة ثمانين تجمعا سكانيا منبثا في أعماق الأودية التي تخترق المنطقة. وذلك أثناء قيامه بدراسته المشهورة حول سكساوة في الخمسينيات من القرن العشرين وكان مجموع سكانها يمثل آنئذ ما مجموعه 12.000 نسمة وهو رقم مهم ينم عن كثافة سكانية عالية. وهذه الكثافة السكانية المهمة تفسرها الظروف والمؤهلات الطبيعية التي توفرها المنطقة للسكان وتتجلى أساساً في غزارة المياه ووجود غطاء نباتي متنوع وكذا توفير الحماية الطبيعية.

ويتجمع السكان في قرى متراصة أقل ما يقال عنها أنها أشبه في تصميمها بتصميم المدن العتيقة. تتكون من عدة منازل تسمى تيگما (مفرده تيگمي) وكل واحدة منها تقطنها عائلة واحدة. وقد لا حظ جاك بيرك أن تنظيم السكان في هذه المنازل كان لا يخضع بالضرورة إلى الانتماء العظمي ولا يوجد إلا بصورة استثنائية خاصة لدى قبيلة أيت محند، وقد لاحظ في نفس الوقت وجود نوعين من المنازل يختلفان حسب طبيعة مواد البناء : فهناك المنازل المشيدة بالتراب أو الطابية (التابوت بالأمازيغية)، والمنازل المبنية بالحجر. فالصنف الأول منها ينتشر من الدير إلى وسط سكساوة تقريباً، وبعد ذلك فبقدر ما يرتفع الجبل بقدر ما تنتشر الدور المشيدة بالحجارة. فإذا كانت المنازل لدى أيت موسى بعضها مشيد بالتراب وبعضها الآخر بالحجر، فإن المنازل المشيدة بالتراب أخذت تقل خصوصاً بزينيت (بالزاي المضخمة) وإمتدانْ لتختفي تماما لدى أيت إدما ومن في عاليتهم. وما يميز المنازل المبنية بالحجر في هذه المنطقة معانقتها للسماء بحيث تتكون من طابقين إلى ثلاثة. ومن سمات هذه المنطقة أيضاً أن مجموعة من المنازل بها تكون ملتصقة فيما بينها تسمى تيگمّي يگيزْ وهي شبيهة بخلايا النحل وبإمكانها أن تؤوي عدداً من العائلات. ويوجد بهذه المنطقة نوع آخر من البناء المنمق يشبه في مظهره البناء الحضري ولاسيما في زينيتْ (بالزاي المفخمة). وقد وصل إلى ذروته لدى أيت حديوسْ وخير مثال على ذلك دار أمغار أو موليد الذي كان من كبار شيوخ سكساوة في فترة سابقة.

ويقسم المنزل إلى أجزاء محددة وفق ما تقتضيه ضرورات الحياة القروية. فالطابق الأرضي المسمى أگرورد يكون عادة إصطبلات لإيواء البهائم. وفوقه تقام بيوت العائلة أو ما يسمى ينوالينْ (مفرد تنوالت : النوالة). أما الطابق الثالث فتوجد فيه تنصريتْ التي هي مجال حياة ذكورية واستقبال الضيوف. وفي أعلى المنزل يوجد أسقيفْ الذي هو بمثابة مخزن مفتوح.

* * وعن تاريخ سكساوة تفيد المعلومات التاريخية القليلة جداً أن وجود سكاوة (إسكساونْ) بجبل درن غربي مراكش عرف منذ ما يزيد عن ثمانية قرون. وكما سبق القول فهذا الاسم ينطبق على الوادي الذي ينبع من جبل تيشكا في اتجاه السهل. وهذا الاسم يشير أيضاً إلى المجموعات البشرية المنتسبة إليه والمتناثرة في نفس الحوض. وهي مجموعات كانت تجمعها عادات وتقاليد اجتماعية ومؤسسات سياسية متقاربة. وبتعبير آخر، فإن منطقة سكساوة كانت لها شخصيتها المتميزة. بيد أننا - لسوء الحظ - لا نتوفر على معلومات دقيقة وكافية تؤرخ لها. وعلى عكس قبائل أمازيغية مغربية أخرى فإن قبائل سكساوة لا يجمعها نسب واحد، بل هي قبائل متعددة الأصول والمشارب.

وهكذا، فاسم سكساوة لا يربط بالقرابة بين الذين ينتسبون إليه بقدر ما هو مجرد لفظ يُنطق به وهو ذو محتوى محدود. ومع ذلك فهذا الاسم، من حيث الدلالة المجالية، يتضمن تدقيقات طبوغرافية يبدو أنها ظلت ثابتة منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وهي الفترة التي وصلتنا عنها بعض المعلومات المكتوبة. إننا هنا في إحدى مناطق الاستقرار القديمة بالمغرب. لكن ذلك لا يعني البتة أن السكان ظلوا دوما هم نفس السكان، وإذا ظل اسم سكساوة ثابتا لا يتغير فإن المنطقة شهدت باستمرار منذ التاريخ المشار إليه سابقا، وصول واستيطان سكان جدد قدموا إليها من مناطق أخرى وخاصة من سوس. وهذا الاستقطاب السكاني المهم أدى حتما إلى تراجع إن لم نقل ذوبان السكان القدامى (الأصليين). وقد لاحظ جاك بيرك في الخمسينيات من القرن العشرين أن عددهم أصبح ضئيلا أمام السكان الطارئين الذين أصبحوا يشكلون الأغلبية في تلك الحقبة.

واسم سكساوة ربما له دلالة طبوغرافية. ويرى جاك بيرك في هذا الصدد أن سكساوة بهذا الرسم يعود إلى الفترة السعدية. لكنه ورد بنفس الرسم قبل ذلك بكثير خاصة في العهد الموحدي (البيذق). أما ابن خلدون فقد رسمه "سكسيوة". ويظهر أن سكساوة وسكسيوة هما تصحيف للاسم الأمازيغي إسكساونْ الذي مازال سكان المنطقة يطلقونه على أنفسهم إلى اليوم. وإسكساون هو صيغة الجمع ومفرده إسيسكو. لكننا نجد في مناطق أمازيغية أخرى بالمغرب كلمة قريبة في نطقها لهذه الكلمة وهي كلمة إسكسا التي هي الأخرى صيغة جمع (مفرد أسكسي) ومعناها أمشاط (مفرده مشط) الصوف. فهل معنى ذلك أن إسكساونْ يمثل تطوراً للكلمة السابقة في هذه المنطقة ؟ وإذا سلمنا بهذا الأمر فهل معنى ذلك أيضاً أن سكان المنطقة كانوا معروفين بإنتاج الصوف وغزله في فترة تاريخية معينة؟ هذا ما نجهله.

إلا أننا نرجح أن يكون الاسم الأصلي لإسكساون هو إزگزاونْ ومعناه المخضرّون ومصدره يزگزوتْ أي الخضرة. وجغرافيا فهذه المنطقة ذات خضرة جذابة ويغطيها نبات

متنوع. لهذا ليس مستبعداً أن يكون الاسم القديم إزگزاون قد تطور بفعل تغير بعض الصوتيات وخصوصاً تغير الزاي إلى السين، وتغير الگاف إلى الكاف، وأدى ذلك إلى استقرار هذا الاسم على الشكل الذي هو عليه إلى اليوم : إسكساونْ.
وعليه يمكن رسم تطور الكلمة على النحو التالي:

ـ الاسم الأصلي : إ ـ ز ـ گ ـ ز ـ ا ـ و ـ نْ

ـ الاسم الحالي : إ ـ س ـ ك ـ س ـ ا ـ و ـ نْ

ولعل أول من أشار إلى وجود إسكساون (سكساوة) في الأطلس الكبير الغربي قريبا من مراكش هو أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق في كتابه الموسوم بـ "المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب" الذي يعتبر من المصادر الأولى والأساسية لبداية الدولة الموحدية، وحسب ما ورد فيه فإن إسكساون خلال تلك الحقبة كانوا فخذا من أفخاذ قبيلة گنفيسة الكبرى التي صنفت ضمن المهاجرين في الترتيب الموحدي للقبائل. والملاحظ أن گنفيسة وأفخاذها كانت من قبائل الأطلس الكبير التي تأخرت في مساندة الدعوة الموحدية. وربما كان هذا سببا كافيا لتمييزها (تصفيتها) من طرف محمد المهدي بن تومرت إثر وقعة البحيرة الشهيرة التي انهزم فيها الموحدون بزعامة محمد البشير أمام المرابطين خارج مراكش سنة 524 /1130 أما الاعتراف (التمييز) الثاني الذي قام به خلفه عبد المومن الگومي سنة 541 / 1147 فلم يشمل قبائل گنفيسة مما ينهض دليلا على أن هذه القبائل أدمجت نهائيا ضمن التنظيم الموحدي وقتئذ.

وخلال العهد المريني وتحديداً بعد منتصف القرن الثامن الهجري / منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، تحولت منطقة سكساوة إلى ملجإ وملاذ للناقمين والمعارضين للسلطة المرينية. فلما اختل أمر المغرب عقب الصراع المعروف بين أبي الحسن وابنه أبي عنان توالت الثورات في كثير من مناطق المغرب. ولم تشذّ منطقة سكساوة عن هذا المنحى فاستبد بها زعيمها عبد الله السكسيوي الذي استطاع أن يستقطب إليه الأمير أبا الفضل الثائر هو الآخر على أخيه أبي عنان. وقد كان ذلك بعد رجوعه من الأندلس، ولمواجهة هذه الوضعية الخطيرة هناك قام أبو عنان سنة 754 / 1353 ببناء حصن بدير جبل سكساوة سماه القاهرة "لتجمير كتائبه". ومن هناك شدّد عليهما الحصار فاضطر أبو الفضل إلى الفرار نحو درعة التي ألقي القبض عليه بها من قبل عاملها عبد الله بن مسلم الذي سلمه لأخيه أبي عنان ليلقى مصيره المحتوم أياما قليلة بعد سجنه سنة 756 / 1355.

ومهما يكن من أمر، فيبدو أن أبا عنان لم يتمكن من دحر قائد سكساوة الذي استمر في حكم المنطقة بعد وفاة هذا السلطان بدليل أن عامر بن محمد الهنتاتي المستبد بأمر مراكش وما إليها جهز جيشا قوياً إليه قدّر ابن قنفذ القسنطيني أنه كان يزيد على ستة آلاف مقاتل. ويضيف ابن قنفذ في هذا الصدد أن الهنتاتي تراجع عن مقاتلته نزولا عند رغبة الولية عزيزة السكسيوية التي "ألزمت له طاعة السكسيوي فرجع وجاءه كتابه بخدمته وطاعته". ويستفاد من المعلومات القليلة التي أوردها ابن قنفذ في كتابه "أنس الفقير وعز الحقير" عن عزيزة السكسيوية السابقة الذكر، أنها كانت عنصراً أساسياً في الحياة السياسية والدينية بجبل سكساوة خلال نفس الحقبة. كانت لها حظوة كبيرة لدى سكان المنطقة وغيرهم فطبقت شهرتها الآفاق. وأصبح ورعها محط إعجاب وتقدير وأتاها الناس من كل حدب وصوب للتبرك بها وإصلاح ذات البين.

وإذا لم يعرف تاريخ وفاة للاعزيزة فإن ذكراها ظلت عالقة بأذهان الناس ليس في منطقة سكساوة فحسب بل في مناطق أخرى من جنوب المغرب مثل سوس ودرعة ودادس وتافيلالت وغيرها. وقد استمر ذلك إلى وقتنا الحاضر. وقد ظهرت بسكساوة ـ وتحديداً بزنيتْ (بالزاي المفخمة) في تاريخ يصعب تحديده ـ زاوية تحمل اسمها، ويوجد بها ضريحها الذي يستقطب جموعا غفيرة من الناس من سكساوة وخارجها للاحتفال بموسمها السنوي الذي يتزامن مع عيد المولد النبوي الشريف. وكباقي المواسم الدينية المعروفة في كثير من المناطق المغربية، فإن موسم للاعزيزة تطبعه طقوس احتفالية غنية بالرموز والدلالات التي لها علاقة ما بالتاريخ المحلي للمنطقة. ومن ثمة فهي، إذا ما تمت دراستها دراسة دقيقة، يمكنها أن تساعد الباحث على فهم بعض جوانب تاريخ المنطقة السياسية منها والثقافية. وعموما تتمثل تلك الطقوس في ذبح عدد معين من الأغنام والأبقار بالزاوية وفق تقاليد مضبوطة. وهذه الذبائح تقدمها بعض القبائل كقرابين للولية وزاويتها. وهناك مظهر آخر لاحترام وتقدير السكان لها يتجلى في المستفاد الذي يؤدونه لها طيلة السنة. وما يسم هذا المستفاد تنوعه بحيث يشمل جميع المحاصيل الزاعية التي تنتجها المنطقة.

ويبدو واضحا على وجه الإجمال، أن الدور الديني والسياسي والاجتماعي الذي اضطلعت به عزيزة السكسيوية في حياتها بجبل درن كان بمضي الوقت وراء نسج أسطورة حول شخصيتها، ظلت متوارثة بين الأجيال إلى عصرنا هذا. وهذه الاسطورة التقطها الرحالة الفرنسي بريڤ (BRIVES) عندما كان ماراً بهذه المنطقة في بداية القرن العشرين. وقد أوردها ـ نقلاً عنه ـ جاك بيرك في كتابه حول *"البنى الاجتماعية للأطلس الكبير"*.

ولحسن الحظ فإننا نتوفر على بعض المعلومات القيمة عن منطقة سكساوة تهم الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان خلال القرن السادس عشر للميلاد. وهذه المعلومات سجلها كل من الحسن الوزان أو ليون الإفريقي ومارمول كربخال. فالأول وصف سكساوة بأنها "جبل موحش، شديد الارتفاع والبرد، تغطيه غابات كثيرة، ولا يزول منه الثلج أبدا. تعود سكانه أن يضعوا على رؤوسهم قلنسوات بيضاء". أما الثاني فأضاف أن تربية المواشي كانت النشاط الأساسي للسكان. أما زراعة الحبوب فهي منعدمة. ولذلك فسكساوة

كانت وقتئذ مشهورة بإنتاج الجبن والسمن والزبد واللبن وربما حتى الصوف. أما الحبوب فكان يؤتى بها من مناطق أخرى. وقد أكد مارمول "أن اللحم لا ينقصهم طوال السنة". وقد انعكس نمط عيشهم هذا إيجاباً على حياتهم فكانوا يُعمرون طويلا. ويقول عنهم مارمول بخصوص هذا الموضوع : "يعيشون (أي سكان سكساوة) كالمتوحشين بصحة جيدة، بحيث إنهم عندما يبلغون من العمر مائة وستا وعشرين سنة لا يظهرون مسنين، ولا يشتغلون بشيء آخر طوال حياتهم سوى رعي قطعانهم. ومن العجب كيف يرتدون ملابس قليلة يتقون بها هذا البرد الشديد، إذ ليس لهم سوى عباءة تلفهم وأحذية نصفية من الجلد الطري وخرق يلفونها حول أقدامهم". أما الوزان فسجل في هذا الصدد أن "شيخوختهم قوية خالية بطبيعتها من العلل التي تحملها معها السنون، فهم يسيرون وراء بهائمهم إلى أن يدركهم الموت ...".

وهكذا يتضح بناء على المعطيات السابقة، أن منطقة سكساوة كانت إلى حدود القرن السادس عشر للميلاد منطقة رعوية بالأساس وأن الفلاحة بها لم تنتشر بها إلا بعد ذلك. وربما كان وراء ذلك عدة عوامل كالحصار الذي يمكن أن تتعرض له المنطقة لمدة طويلة مما أجبر السكان على الاشتغال بزراعة الحبوب إلى جانب اشتغالهم بالرعي، أو نزوح بعض السكان إليها ممن لهم دراية بالفلاحة وأشغالها. وعلى أية حال، فانتشار زراعة الحبوب وغيرها بجبل سكساوة زاد السكان قوة وأمناً مهما ضد أعدائهم وجيرانهم المتربصين بهم للوقوف أمام هجماتهم المتكررة.

وقد أدت هذه الوضعية الانعزالية التي انفردت بها منطقة سكساوة إلى تنامي ظاهرة الزعامة المحلية بها فخضعت بالتالي إلى سلطة بعض الشيوخ (إمغارن) والقواد. ومن جملة الشخصيات التي تركت صدى بالمنطقة نجد بويزگمان الذي كان أمغاراً على إمتدانْ خلال فترة معينة من القرن الثامن عشر للميلاد، وإلى جانبه تظهر شخصية الحاج بوجمعة الذي استحوذ على شياخة أيت إدما في نهاية نفس

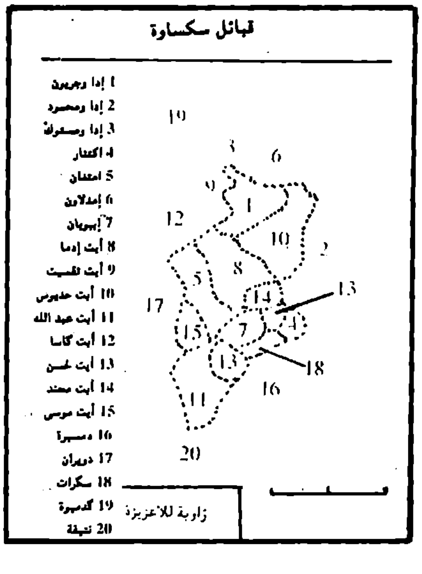

القرن ويعتبر الشيخ محمد أو منصور من قبيلة أيت باحمو من الشيوخ الذين ترقوا إلى رتبة قائد خاصة في عهد الحسن الأول. لكن الملاحظ أن قيادته على أيت حديوسْ لم تدم طويلا لرفض السكان له. وعيّن محله شخص حاحي الأصل من حاشية السلطان يدعى أمشتاك ورفضه السكان أيضاً.

في الوقت الراهن تنتمي منطقة سكساوة من الناحية الإدارية إلى دائرة إيمنتانوت التابعة لإقليم شيشاوة المحدث قبل بضع سنوات. وهي مقسمة إلى ثلاث جماعات قروية رئيسية هي : سيدي غانم، وللاعزيزة، وأيت حدو - و - يوسف.

أبو بكر بن علي الصنهاجي، البيذق، *المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب*، الرباط، 1971 : أخبار المهدي بن تومرت، الرباط، 1971 : ع. الرحمان ابن خلدون، *كتاب العبر*، بيروت، 1399 / 1979، ج. 7 : ابن قنفذ، *أنس الفقير*، تح. محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1965 : الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1400 / 1980، ج. 1 : مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. محمد حجي وآخرين، الرباط، 1989، ج. 2 : م. حمام، *النساء في الصلاح والولاية بالمغرب خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري الرابع عشر للميلاد*، نموذجا مؤمنة التلمسانية وعزيزة السكسيوية، ضمن كتاب *فكر وتاريخ*، دراسات وأبحاث مهداة للدكتور ما نويل ڤايشر، منشوات كلية الآداب بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 23، 1998، ص. 97، ص. 115.

J. Berque, *Structures sociales du Haut-Atlas*, Paris, 1955.

محمد حمام

السكساوية، لالة عزيزة بنت إبراهيم المرابطية الرگراگية، تنتسب إلى عائلة أيت علي العريقة بسكساوة، يجهل تاريخ ولادتها ووفاتها بالمنطقة لكن من المؤكد أنها عاشت في بداية عصر المرينيين في القرن السابع (13 م) حين توالت حملاتهم العسكرية على الحوز الغربي، فقامت اضطرابات والتجأ قسم من السكان إلى أعالي الجبال. ويقال إنها تدخلت لعقد صلح بين القائد عبد الله السكسيوي عندما نشب نزاع بينهم وبين أبي عنان المريني الذي دخل المنطقة بجيش لإخضاع سكانها لسلطة المخزن. ويقال إنها كانت في صباها راعية غنم أبيها، وكانت لها أحلام وتطلعات كبيرة، فسافرت خارج المنطقة لطلب العلم ووصلت في ترحالها إلى تلمسان وتلقت العلم والتصوف على يد الفقيه أبي مدين الغوث، ورجعت إلى بلدها كمتفقهة صوفية تعظ الناس خاصة النساء بكلام فصيح، تجيب عن أسئلتهم بذكاء وإقناع، وقد بدأت الزيارة إليها وهي حية حيث كان الناس يقصدونها للتبرك والاستفادة من علمها يستفتونها في مشاكلهم ويطلبون مساعدتها وتحكيمها. وكانت لها بركة "في جلب الخصب بل إنها فجرت الماء من سفح جبل عندما شكا الناس إليها من أزمة عطش وجفاف" وذلك حسب الروايات الشفوية الشائعة بالمنطقة. وتذكر الروايات أنها لم

تتزوج ولم تخلف نسلا. وبعد وفاتها أخذ الناس يتبركون بضريحها وبنيت فوقه قبة أحاطت بها غرف فتحول بعد زمن إلى زاوية يشرف عليها مقدم يختار لمدة سنة من دوار زنيث ويتوفر مقدم الزاوية اليوم على 16 ظهيراً موجهة من مختلف ملوك المغرب يأمرون بالعناية بهذه الزاوية واحترام موسمها وأملاكها. ويوجد ضريح لالة عزيزة بدوار زنيت، 311 ن، بقلب حوض سكساوة على ارتفاع 1.050م، وإلى جانبها توجد دار لالة عزيزة وهي بناية متواضعة تشبه منازل الدوار تفتح لخدمة زوار المنزل وخزن الزاد كالحبوب والحطب والسمن كما يتوفر على مطفية لخزن الماء. تحيط بهذا الدوار أضرحة أولياء آخرين وأماكن طبيعية مقدسة. يرتبط بمؤسسة لالة عزيزة موسم ديني صغير ينعقد يوم عيد المولد النبوي يخضع لتقويم السنة الهجرية القمرية مما يجعل الموسم يتصادف في بعض السنوات مع أيام الشتاء الباردة، لكن بعض السكان يذكرون أن الموسم كان يعقد في 15 يوليوز الفلاحي في بداية عقود القرن العشرين.

ولم يكن السكان المحليون يطلقون على هذه التظاهرة موسما بل معروفاً وهي كلمة عربية دخلت إلى الأمازيغية، وتعني تظاهرة دينية تقام بالأضرحة والمقابر، عبارة عن صدقة يساهم فيها السكان المستفيدون كل حسب استطاعته على مستوى دوار أو قبيلة أو فخذة لشراء أضحية : بقرة غالبا، تذبح ويتغذى من لحمها المشاركون أو يحملون نصيبهم إلى منازلهم باعتبارها "باروك". ويتخلل المعروف مجموعة من العادات تتناول قراءة أذكار وأمداح نبوية وتوزيع الخبز على الأطفال، ويشرف على سير الموسم وممتلكات لالة عزيزة أشخاص من قبيلة إيمتضان الذين يعتبرون أنفسهم خدام لالة عزيزة وتساهم جل أسر أربعة دواوير قريبة من الضريح في اكتتاب لتمويل متطلبات احتفال الموسم، وتوزع الباروك وهو قطعة من اللحم والخبز على جميع الزوار الذين يطلبونها.

يعتقد المشاركون أن روح الولية الصالحة تحميهم من المصائب والشياطين وتنزل الغيث وتكثر البركات، لكن شباب هذا الجيل بدأ ينصرف عن هذه المعتقدات، ويبدو من شهادات السكان أن موسم لالة عزيزة في تراجع منذ سنوات فلم تعد مدته تتجاوز بضع ساعات فبعد قراءة الفاتحة وذبح البقرة يتفرق السكان ويفضلون الالتحاق ببيوتهم حيث تتم الزيارات العائلية في هذا اليوم الذي هو يوم عيد المولد النبوي ولا يبقى في جوار الزاوية إلا بعض الأطفال. وقد كانت تحج إليه سابقا كل قبائل سكساوة تقدم كل واحدة أضحيتها، كان الإقبال على الموسم كبيراً تتخلله احتفالات أحواش وغيرها إذ تعقد حلقات الفرجة لترويض الأفاعي والفكاهة ورواية قصص الأنبياء والأحاديث النبوية، كما تحدث منافسة بين فرق أحواش المنتمية لكل قبيلة، تدوم الاحتفالات عدة أيام، ويشتهر موسمها بالزواج حيث تأتي النسوة الراغبات في ذلك دون ولي أو أقارب غالباً، ومن اختار امرأة من الرجال واتفق على الزواج والصداق يقسمان عند قبر الولية ويتعاهدان بضمان السعادة والوفاء لبعضهما وينصرفان متزوجين، وقد يكتب لهما عدلان العقد أو يستغنيان عنه وفي كل سنة يقدمان ذبيحة للولية. ومازالت تحدث بضع حالات زواج في كل موسم لكنها ظاهرة في طريق الانقراض خاصة بعد تدخل السلطة التي تفرض شروطا لا يفي بها الأرامل والعوانس. لكن فتيات القبيلة مازلن يزرن الولية ويقدمن لها الصدقة للتعجيل بتزويجهن.

لقد اختفت جل هذه المظاهر، لكن مازال للولية أراضيها وبساتينها ومياهها المحبسة عليها منتشرة بأراضي سكساوة بالإضافة إلى مداخيلها من صندوق الضريح، ويختلف تقسيم المداخيل بين القبائل والجيران والمشرفين من فترة لأخرى، وقد تدخل جاك بيرك وجعل المداخيل تقتسم بالتساوي بين أكبر عدد من المعنيين.

ويلاحظ اليوم أن نصف الزوار يكونون من سكساوة والباقي من أبناء البلد المهاجرين الذين أتوا لزيارة أهلهم في الدرجة الأولى ولعل أهم ما يعوق توسع الزيارة الدينية وتحويلها إلى نوع من السياحة الشعبية كما نجد في ستي فاضمة ومولاي إبراهيم هي صعوبة طريق الوصول بالوادي الجبلي : 12 كلم، فأغلب الزوار القريبين يأتون مشيا على الأقدام أو الدواب، أما البعيدون فيأتون على الشاحنات أو سيارات البيكاب العاملة بدون ترخيص. وتنعدم كذلك وسائل الترفيه فلا فنادق ولا مطاعم ولا مقاهٍ ... لكن مازال للولية تقدير ومحبة في وجدان أهالي سكساوة، فهم يقسمون باسمها ويتعاهدون عند ضريحها ولا تزال سيرتها موضوعا لأغاني وأشعار أمازيغية وابتهالات دينية، كما أطلق اسمها على الجماعة القروية الموجودة بها.

ولعل أهم ما يعوق توسع الموسم هو : ضيق المكان، كما في جميع الأودية فإن المساحة المستوية نادرة، فمكان الموسم عبارة عن زقاق طوله 200 م وعرضه 4 م يسمى تاسوكت يخترق دوار زنيت يتكدس بجوانبه التجار والحرفيون بشكل فوضوي رغم إشراف المقدم وأعوان السلطة على تنظيمه، وأهم ما يباع به، مواد التغذية من خضر ولحم وسكر ... ولا وجود للملابس ولا أوان فخارية أو معدنية ... كما أن موضع الموسم يبعد عن نهاية الطرق حيث تقف السيارات والشاحنات مما يفرض نفقات إضافية لنقل البضائع على ظهور الدواب. كما فقدت الزاوية دورها التعليمي بتقلص عدد الكتاتيب التي كان يدرس بها فقهاء يفدون من سوس غالبا. لكن يبدو أن أخطر عائق يتسبب في تراجع أهمية الموسم هو ارتباطه بالتقويم الهجري : 12 ربيع 1 إذ يتصادف أحيانا مع أيام الشتاء الباردة وقد يفيض الواد ويقطع الطريق، ولا يتفق مع العطل الصيفية وفصل جني المحاصيل عندما يحتاج القرويون إلى تجديد مشترياتهم والتمتع ببعض الراحة والترفيه. فمواسم فصل الشتاء لا يشارك فيها إلا أفراد قلائل من دوار زنيت وقبيلة إيمتضان، فتحويل تاريخ الموسم إلى 15 يوليوز للسنة الفلاحية الشمسية كما كان عليه

سابقا شيء حيوي لبقائه وتوسعه. يضاف إلى كل هذا بعده عن أي مدينة كبرى يمكن أن تنعش حركته بزوارها وأموالها.

بحوث ميدانية، معلومات من د. الإفريقي محمد كلية العلوم، مراكش ؛ أسكور إبراهيم، موسم لالة عزيزة من *الزيارة الدينية إلى السياحة الشعبية*.

P.N.U.D., *Etude monographique de la province de Chichoua*, Octobre 1997 ; J. Berque, *Structures sociales du Haut Atlas Occidental, Seksaoua*. Paris, 1955.

أحمد هوزالي

ابن **السكّاك**، أسرة فاسية عريقة، أصلها من قبيلة مكناسة الزناتية، وبيتهم بيت فقه وعلم وحسب. ومازال بنو السكاك بفاس، وينطق بهم اليوم "السكاك" - بدون - ابن -

ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، ج 2 : 178.

ابن **السكّاك، علي** أحد نساك مدينة فاس وعبادها خلال النصف الثاني من القرن السادس (12 م) ولعله أقدم من عرف من بني السكاك بفاس، ترجم له محمد التميمي في كتابه *المستفاد* وهي ترجمة مبنية على المشاهدة العيانية للمؤلف، ومن خلالها نعلم أن علياً السكاك خرج من فاس لأداء فريضة الحج وأقام بمكة مجاوراً ثم انتقل إلى دمشق وأقام بها أعواماً ثم رجع إلى مكة وأقام بها أعواماً، وهناك لقيه الفقيه محمد التميمي واجتمع به بالحرم الشريف واستمع إلى مواعظه وحكَمه، وتركهُ هناك مجاوراً، وقد انتقل الشيخ ابن السكاك إلى مدينة حلب وأقام بها، وقد وصفه التميمي بالصلاح والتعبد والنسك والاجتهاد في العبادة.

توفي بعد 603 / 1207.

التميمي، *المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد*، مخطوط خاص، ورقة 126. 127 ؛ إ. ابن الأحمر، بيوتات *فاس الكبرى*، شارك في تأليفه إسماعيل ابن الأحمر، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص. 67.

محمد الشريف

ابن **السكاك، محمد** بن أبي **غالب** المكناسي العياضي، يكنى أبا يحيى، الفقيه المشارك قاضي الجماعة بفاس. رفيق ابن خلدون في الطلب، أخذا معاً عن الشريف التلمساني "قيل إنهما باتا عند الشيخ ليلةً فُولد له تلك الليلة ولد سماه عبد الرحمن باسم ابن خلدون وكناه أبا يحيى كنية ابن السكاك.

ألّف ابن السكاك عدة كتب، منها شرح الشفا للقاضي عياض "وأجاد فيما شرح منه" ؛ وتأليف في الأذكار ؛ ونصح ملوك الإسلام بالتعريف لما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام، في ثلاث نسخ، صغرى ووسطى وكبرى. طبعت الصغرى، ووقف عبد السلام ابن سودة على الوسطى، وأما الكبرى فتعتبر اليوم مفقوده.

توفي بفاس ليلة الثلاثاء الثاني عشر لشهر ربيع الأول عام 818 / 22 ماي 1415، وصلى عليه إمام جامع القرويين أبو يوسف الحلفاوي وأدخله قبره بروضتهم مع الشيخ محمد ابن عباد الرندي داخل باب الفتوح.

أ. الونشريسي، وفيات ؛ أ. ابن القاضي، لقط الفرائد / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 2 : 732 - 733 ؛ جذوة الاقتباس، الرباط، 1973، ج 1 : 238 ؛ أ. بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، بيروت، د. ت. ص. 284 ع. الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين، موسوعة أعلام المغرب، 2 : 732.

محمد حجي

ابن **السكاك، محمد** بن **محمد** بن أبي البركات الفاسي. ولد بفاس عام 720 / 1320. ورحل مع والده إلى تلمسان فنشأ وقرأ بها على العالم الشهير أبي عبد الله الشريف التلمساني، والإمام العالم محمد الآبلي العبدري. تولى قضاء سبتة ثم قضاء الجماعة بفاس في أيام حكم السلطان موسى ابن أبي عنان. ثم عاد إلى قضاء سبتة كما امتهن التدريس أثناء ولايته الأولى بمسجد مقربة زجلو، وخلال ولايته الثانية بالمدرسة الجديدة خلفا للشيخ أبي محمد ابن أبي حجة. كما درس أيضا بمسجد زقاق ابن عيسى الأسفل وبالجامع الأعظم. فكان يقرئ التفسير والأصول والفروع. ويتحدث عن معاني القرآن وبلاغته المعجزة، وينص كلام شرف الدين في تفسيره، ويستظهر التبيان في علم البيان له، ويأتي بكلام أبي القاسم الزمخشري في الكشاف، وينبه على ما ينطوي عليه من الاعتزال. كما اعتمد في الأصول على أصلي ابن الحاجب والمستصفي للغزالي بقراءة أبي زيد ابن أبي حجة وفي الفقه على الجواهر لابن شاش والوثائق لابن القاسم الجزيري وغيرها. ويلاحظ عليه عدم اعتنائه بالرواية (*بلغة*، 184 ؛ *نيل*، 481).

من مآثر ابن السكاك أنه كان سكونا رابط الجأش جزلا مهيبا لا يعبأ بأهل الباطل مهينا لهم. يذكر أنه حضر بين يديه يوما والي سبتة في ميراث فنهاه القاضي ابن السكاك فلم يأبه لكلامه فقال القاضي : "أعوذ بالله من خطاب من لا يفهم، ولعلك تريد الاستبداد والجور". وأغلظ له القول فخرج الوالي منكسر الشوكة من دون أن ينال مطلبه. وفي نهار الغد عاد الوالي مطأطئ الرأس معتذرا عما صدر منه. فقال له الشيخ باقتضاب : "الآن أنت مسلم".

توفي بسبتة في محرم فاتح 800 / 1398 وله من العمر ثمانون سنة.

بُلْغة الأمنية ومقصد اللبيب، تح. م. ابن تاويت، مجلة تطوان، العدد 9، 1964، ص. 184 ؛ أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1398 / 1989، ص. 481 - 482 ؛ ابن محمد مخلوف، شجرة *النور الزكية*، دار الكتاب العربي، بيروت، 1349، ص. 251 ؛ الونشريسي، *وفيات*، تح. م. حجي، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1396/ 1976، ص. 138 ؛ ابن القاضي، درة *الحجال في أسماء الرجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1391 / 1971، الجزء الثاني.

زوليخة بنرمضان

السكّال، أحمد زكريا، أحد رموز المقاومة وجيش التحرير بالجنوب، من مواليد سنة 1925 بدوار الزاوية بأيت باعمران. تميزت حياته بكفاحه المستميت من أجل كرامة البلاد واستقلال الوطن وقد تكلل كفاحه بأعمال فدائية جليلة. ونتيجة نشاطه هذا تم اعتقاله عدة مرات من السلطات الاسبانية ونفته إلى الداخلة ثم إلى جزر الخالدات ولم يطلق سراحه إلا بتدخل من السلطات المغربية، وقد ظل وفيا لمبادئه إلى أن وافاه أجله المحتوم يوم 23/ 11 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 522809.

السّكّان، ولدْ حْميدُ، هذا هو الاسم الذي اشتهر به البطل الشريف محمد بن أحمد الخراز شهيد معركة السلالم التي جرت بقبيلة بني عروس يوم 10 رمضان 1340 / 7 ماي 1922.

ولد حوالي سنة 1292/ 1875 بقرية السكان من فرقة الظهر بقبيلة بني عروس في أسرة شريفة تنحدر من سلالة المولى عبد السلام بن مشيش وأفرادها هم سدنة ضريح الولي المذكور.

نجهل الكثير عن حياة هذا المقاوم فيما قبل سنة 1913 لعدم وجود مصادر مغربية تتعلق بالمقاومة المسلحة ورجالاتها في شمال المغرب، الأمر الذي يجعلنا نعتمد أساسا على ما كتبه الأجانب خصوصا منهم الإسبانيين والفرنسيين حيث تقول عنه الوثائق الاستعمارية إنه "كان رجلا مقداما يشارك بصفة فعالة في أغلب المعارك منذ أن فرضت الحماية على بلاده".

وجاء في تقرير للإقامة العامة الاسبانية بتاريخ 7 ماي 1922 أنه "كان محبوبا من طرف قومه رغم الرتبة السامية التي كان يحتلها في قيادة الثورة التي كان يتزعمها الشريف الريسوني فكان خليفته ويده اليمنى يساعده في جميع الأعمال وينوب عنه في كثير من الأشياء وينفذ أوامره بكل دقة وأمانة".

والوثيقة الاستعمارية الأولى التي أشارت إلى وجود المترجم له بجانب الشريف الريسوني هي البرقية التي وجهها المقيم العام الاسباني إلى وزير دفاع بلاده يوم 18 ماي 1913 يقول له فيها : "لقد أصبح من المؤكد أن الريسوني استطاع في الجمع الذي دعا إليه وانعقد يوم 7 من الشهر الجاري (بعزيب الحاج قدور بعين الدالية) أن يتفق رؤساء القبائل على الاعلان عن عصيانهم من أجل مقاومة حمايتنا، والجدير بالذكر أن العنصر الأكبر صلاحية الذي يعتمد عليه الشريف الريسوني هو شريف آخر اسمه احميدو السكان".

وهذا يدل على أن المترجم له قد انضم إلى المقاومة المسلحة منذ اليوم الأول الذي اندلعت فيه الثورة فأصبح يقوم مقام زعيمها في جميع الأمور التي لم يتمكن الشريف الريسوني من القيام بها أو مباشرتها بنفسه ؛ وقد شارك في 50 معركة منذ اندلاع الثورة يوم 3 ماي 1913 إلى أن لقي الشهادة في معركة السلاليم التي جرت يوم 7 ماي 1922.

وكان المترجم له رجل الثورة الوحيد الذي كلفه الشريف الريسوني بالقيام بمذاكرات سياسية مع ممثلي الدولة الإسبانية مثل المذاكرات التي أدت إلى اتفاقية الهدنة المبرمة بقرية اتمطوط بقبيلة بني گرفط يوم 6 غشت 1915.

وتشهد الوثائق الإسبانية بأن للشريف ولد حميد السكان يعود الفضل في التحاق المجاهدين الريفيين بصفوف المقاومة المسلحة الهبطية الغمارية الجبلية حيث التحق الشريف حميدو الوزاني من قصبة اسنادة بالريف بمعسكر الشريف الريسوني يوم 9 يونيو 1919.

وفي يوم 20 ماي 1920 انعقد بقبيلة بني يسف مؤتمر مصغر بين قيادة الثورة بالشمال وقيادة الثورة بناحية وزان حضره الشريف الريسوني وبجانبه المترجم له من جهة ومن جهة أخرى الشريف ولد سيدي الحماني زعيم المقاومة بمنطقة الحماية الفرنسية بحوض اللوكوس ؛ وقد أسفرت المذاكرات عن تكوين جبهة موحدة للمقاومة المسلحة ضد التدخل الفرنسي والاسباني بالناحية.

وفي يوم 4 سبتمبر 1920 كتب المقيم العام الاسباني الجنرال بيرينگير Berenguer يقول في مذكراته : :"لقد فشلت جميع المحاولات التي قمنا بها من أجل جلب حميد السكان إلى جانبنا، ولم نحصل إلا على مقاومته الشديدة لنا".

والجدير بالذكر هنا أن المترجم له كان ذات يوم يتفاوض مع المقيم العام المذكور وقال له هذا الأخير : "عليك أن تعلم أن إسبانيا دولة قوية تتوفر على جيش عظيم لا طاقة لكم به أنتم معشر المجاهدين" فكان جواب ولد حميد هو "والله لولا أن الموت تأكل الموت ما دخلتم بجيوشكم حتى بيت العنكبوت".

وقد أصبحت هذه المقولة على ألسنة الجميع لدرجة أن الأمير شكيب أرسلان كان يذكّر بها قادة الحركة الوطنية فيقول لهم في رسائله : "هذه الجملة هي زبدة الكلام عن مصائب الإسلام، جملة قصيرة تفيد أكثر من رسالة ومن كتاب ولا يبلغ مداها كلام بليغ لما فيها من الانطباق على الأحوال".

وقد استشهد البطل ولد حميد السكان بمعركة السلاليم التي جرت بقبيلة بني عروس يوم 10 رمضان 1340 / 7 ماي 1922.

م. ابن عزوز حكيم، *بطل جبالة ولد احميدو السكان*، الرباط، 1982؛ والمصادر المذكورة في آخر الكتاب.

محمد ابن عزوز حكيم

السكة الحديدية بالمغرب، عرفت ظهوراً مبكراً ابتداء من سنة 1860، حيث وضعت الجيوش الإسبانية 11 كلم من السكة بين ريومارتان وتطوان، اعتبرت من بين السكك الحديدية الأولى بإفريقيا، وقد تم التخلي عنها سنة 1862 بعد أن أحبطت انجلترا هذه المحاولة الأولى للاستعمار.

وبعد 27 سنة حاولت الحكومة البلجيكية إنجاز استعراض سككي بالمغرب، حيث طلب المهندس "لوكران"، وهو أصل هذا المشروع، من معمل كروب بميونيخ، صنع قاطرة صغيرة، أنزلت بالعرائش في دجنبر 1887 ونقلت إلى مكناس لتقدم هدية إلى السلطان مولاي الحسن الذي حضر إلى تجربتها على سكة (حوالي 1 كلم) وضعت في شكل دائرة بحدائق بأگدال، إلا أن هذه التجربة لم تكلل بالنجاح، الشيء الذي جعل السلطان لا يبدي اهتماما كبيراً بهذا الإنجاز. وتم الاحتفاظ بهذه القاطرة لتعرض فيما بعد بمحطة الرباط من طرف إدارة شركة السكك الحديدية المغربية. ومن المؤسف أن تختفي هذه القاطرة الأولى في دوامة الحرب العالمية الثانية.

وهكذا، فإن تاريخ السكك الحديدية في المغرب يتميز بتطورات هامة حيث خضع للتقلبات السياسية الدولية التي عرفتها البلاد. خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م). كما طبع التطور الذي عرفته الشبكة الحديدية حدثان من التاريخ السياسي هما : معاهدة الجزيرة الخضراء سنة 1906 والأتفاقية بين فرنسا وألمانيا سنة 1911. وقد نصت هاتان الاتفاقيتان على أنه لا يمكن بناء أي خط سككي قياسي بالمغرب قبل بداية استغلال الخط الدولي طنجة - فاس.

1 - سكة بتباعد 0,60 متر

ابتداء من سنة 1911 اضطرت السلطة العسكرية الفرنسية إلى بناء سكك حديدية بالمغرب لضمان تنقلاتها. وطبقا للاتفاقيتين سالفتي الذكر لم يكن ممكنا إنشاء هذه السكك الحديدية بسكة قياسية. وهكذا، انطلقت خطوط الشبكة العسكرية بسكة ذات تباعد 0,60 متر من وجدة في اتجاه موانئ الدار البيضاء والقنيطرة. وقد أنشئت أول الخطوط ذات التباعد 0,60 متر بسرعة وباقتصاد متتبعة تعرجات التضاريس، ومجتنبة كلما أمكن المنشآت الفنية.

وقد بدأ استعمال مختلف الخطوط في التواريخ التالية :

- الدار البيضاء - الرباط : 1912
- القنيطرة - فاس : 1915
- الدار البيضاء - وادي زم لنقل الفوسفاط : 1917
- الدار البيضاء - بن جرير : 1918
- بن جرير - مراكش : 1920
- وجدة - فاس 1921

ومن المثير للانتباه أن الشبكة العسكرية ذات تباعد 0,60 متر كانت سنة 1921 تشبه الشبكة الحالية المؤلفة من خطوط قياسية.

فتحت هذه السكك ذات تباعد 0,60 متر في وجه العموم يوم 27 مارس 1916. ومن الناحية التجارية، قدمت سكة 0,60 متر خدمات جليلة مكنت من تطور البلاد في انتظار إنشاء سكة قياسية ابتداء من سنة 1923، حيث كانت محاذية لسكك 0,60.

وفيما يخص المعدات الموجودة آنذاك فقد تم استعمالها لأغراض عسكرية وكذلك للحاجيات التجارية على خطوط 0,60 متر التي أنشئت فيما بعد، وهي كالتالي :

- خط فرعي يمتد في اتجاه ملوية العليا بين گرسيف وأوطاط الحاج ابتداء من سنة 1923 ليبلغ ميدلت سنة 1930.
- تطعيم خط القنيطرة - ثلاثاء - بلقصيري سنة 1923 بثلاثة خطوط فرعية هي :
- ثلاثاء - مشرع الحادر في الشمال الغربي للغرب سنة 1924.
- مشرع بلقصيري - عين الدفالي - فاس البالي - أو تزاغ - عين عائشة والذي يخترق بعمق سلسلة الريف، بين 1923 - 1928.
- عين الدفالي - وزان عبر سهل ورغة سنة 1924.
- خط فرعي يربط بئر طمطم وأهرمومو ليتصل بخط فاس - وجدة ويلج نحو منطقة بني وراين سنة 1925.
- خط القائد التونسي - الجديدة بخط مراكش سنة 1927.
- خط فرعي يربط كذلك الرباط بتيفلت والخميسات سنة 1927.
- التمهيد لبناء الخط الفرعي ذي السكة المترية بين مكناس وأزرو سنة 1928 والذي تم التخلي عن أشغاله قبل الانتهاء منها.

انطلاقا من سنة 1928 بدأ العمل تدريجيا في بناء الطرق الكبرى وتطوير النقل الطرقي، وتم التخلي عن خطوط 0,60 متر المتفرعة عن الخطوط القياسية. وآخر خط من هذه الخطوط هو خط سهل ملوية الذي تم التخلي عنه سنة 1935، ومن تلك الشبكة ذات تباعد 0,60 متر والتي بلغت أيام توسعها الكبير نحو 1500 كلم لم تبق إلا الذكرى.

2 - خط طنجة - فاس :

تطبيقا لمعاهدة الجزيرة الخضراء الموقعة يوم 7 أبريل 1906 والمعاهدة الفرنسية - الألمانية الموقعة يوم 4 نونبر 1911، منح سلطان المغرب امتياز بناء واستغلال خط طنجة - فاس للشركة الفرنسية - الإسبانية وذلك في 18 مارس 1914. وتسببت الحرب العالمية الأولى في تأخير بناء هذا الخط حتى شهر غشت 1917، وقد فتحت مختلف الخطوط في التواريخ التالية :

- سيدي قاسم - مكناس - فاس : 5 أبريل 1923
- سيدي قاسم - مشرع بلقصيري : 12 غشت 1925
- مشرع بلقصيري - سوق الأربعاء 1 يوليوز 1926
- سوق الأربعاء - طنجة : 25 يوليوز 1927
- طنجة المدينة - طنجة البحرية : يونيو 1934

3 ـ خطوط شركة السكك الحديدية المغربية

بعد سنة 1918 أُلغيت الاتفاقيتان المبرمتان بين فرنسا وألمانيا سنتي 1906 و1911، وفي 29 يونيو 1920 منحت الحكومة الشريفة لشركة السكك الحديدية المغربية امتياز استغلال الخطوط التالية :

ـ سيدي قاسم ـ القنيطرة

ـ القنيطرة ـ الرباط والدار البيضاء

ـ القنيطرة سوق الأربعاء

ـ الدار البيضاء ـ مراكش

ـ سيدي العايدي ـ وادي زم

ـ فاس ـ الحدود الجزائرية (بعد وجدة)

وفي 6 نونبر 1929، وقعت اتفاقية تكميلية مع شركة السكك الحديدية المغربية، تمنح بموجبها خطا سابعا هو خط بن جرير ـ آسفي.

وقد بدأ تشغيل مختلف الخطوط على النحو التالي :

ـ يوم 5 أبريل 1923 : خط الرباط ـ القنيطرة ـ سيدي قاسم. وقد مكن هذا المقطع إضافة إلى خط طنجة ـ فاس من توفير استمرارية الربط بين الرباط ـ القنيطرة ـ سيدي قاسم ـ مكناس ـ فاس.

ـ في 1 شتنبر 1923 : الدار البيضاء ـ خريبكة

ـ في 13 يوليوز 1925 : خريبكة ـ وادي زم

ـ في 21 أبريل 1925 : الدار البيضاء ـ الرباط

ـ في 7 نونبر 1928 : سيدي العايدي ـ مراكش

ـ في 15 ماي 1932 : وجدة ـ تازة

ـ في 15 أبريل 1934 : تازة ـ فاس

ـ في 7 ماي 1936 : بن جرير ـ آسفي

ولم يتم بناء خط القنيطرة ـ سوق الأربعاء

إضافة إلى ذلك، وحتى يتسنى استيعاب نمو حركة نقل الفوسفاط، تمت تثنية السكة على الخط الرابط بين الدار البيضاء وخريبكة على عدة مراحل :

ـ 1950 / 1951 : الدار البيضاء ـ النواصر

ـ 1957 / 1958 : النواصر ـ سيدي العايدي

ـ 1962 / 1964 : سيدي العايدي ـ خريبكة

4 ـ خطوط شركة السكك الحديدية للمغرب الشرقي

برسم اتفاقية وقعت يوم 25 نونبر 1928، منحت الحكومة الشريفة امتياز استغلال خط وجدة ـ بوعرفة إلى شركة السكك الحديدية للمغرب وشركة معادن بوعرفة.

وقد تكونت شركة السكك الحديدية للمغرب الشرقي من هاتين الشركتين لاستغلال هذا الخط الجديد.

أما أشغال البناء التي بدأت في أكتوبر 1927 فقد تم الانتهاء منها في فبراير 1931.

كما حصلت هذه الشركة على امتياز خط قنفودة ـ حاسي بلال التي بدأ تشغيلها يوم 18 أبريل 1952.

5 ـ إنشاء المكتب الوطني للسكك الحديدية(الم.و.س.ح)

بعد إعلان استقلال المغرب سنة 1956، انطلقت المحادثات من أجل استرجاع الدولة المغربية للشركات الحاصلة على امتيازات استغلال الخطوط الحديدية. وابتداء من فاتح يناير 1963 قام المكتب الوطني للسّكك الحديدية مقام شركة السكك الحديدية المغربية وشركة سكك حديد المغرب الشرقي.

أما عن الشركة الفرنسية ـ الإسبانية لسكة حديد طنجة ـ فاس، فقد استمر الامتياز الممنوح لها إلى غاية 31 دجنبر 1999. إلا أنه في إطار عقدة أبرمتها مع المكتب الوطني

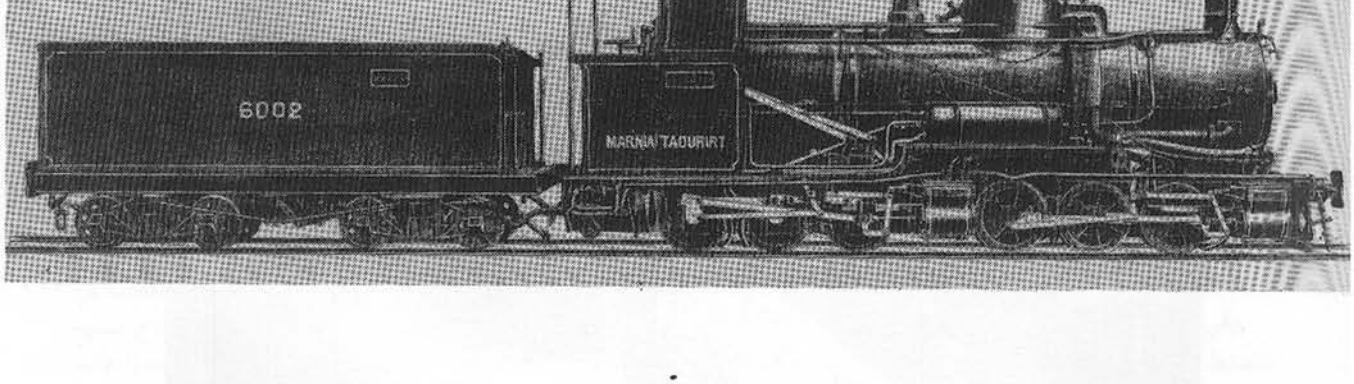

للسكك الحديدية في 12 غشت 1964، فوضت لهذا الأخير ولصالحها التدبير الإداري والتقني والمالي للخط الممنوح لهذه الشركة.

وفي إطار الاتفاقيات المصادق عليها في 5 غشت 1965 حولت مجموع أملاك وحقوق والتزامات الشركات سالفة الذكر لصالح المكتب الوطني للسكك الحديدية. ومنذ إنشائه، قام المكتب الوطني للسكك الحديدية فيما بعد بأشغال تجديد السكة وعصرنة المحطات والمعدات ومنشآت الأمن.

أما فيما يتعلق برفع القوة الاستيعابية للشبكة، فقد قام المكتب بأعمال :

- تثنية الخط بين الدار البيضاء - خريبكة (143 كلم) سنة 1964.

- تثنية الخط بين الدار البيضاء والرباط أگدال (80 كلم) سنة 1984 وتشغيل قطارات مكوكية سريعة تربط الدار البيضاء والرباط بسرعة تجارية تبلغ 160 كلم / ساعة مما يمثل إنجازا ينفرد به المغرب في القارة الإفريقية والعالم العربي.

- تثنية السكة بين الرباط أكدال والقنيطرة (43 كلم) سنة 1996.

- تثنية السكة بين القنيطرة وسيدي قاسم (83 كلم) 1999.

- وفي طور الإنجاز، تثنية السكة بين سيدي قاسم ومكناس (53 كلم) والتي سيتم الانتهاء منها في متم سنة 2003.

- مشروع تثنية السكة بين مكناس وفاس (57 كلم) وسيتم الانتهاء منها سنة 2004.

وفيما يخص توسيع الشبكة تم إنجاز :

- خط النواصر - الجرف الأصفر (111 كلم) سنة 1987.

- ربط مطار محمد الخامس بالشبكة (12 كلم) سنة 1992.

أما فيما يخص المشاريع المستقبلية، فيجب التذكير بمشروع تاوريرت الناظور (117 كلم) ومراكش العيون (961.6 كلم) وخاصة مقطع مراكش أگادير اللذين سيخرجان إلى الوجود على المدى المتوسط.

6 - الاستراتيجية المستقبلية

تستمد الاستراتيجية التي اعتمدها المكتب لتنمية النمط السككي على المدى القريب والمتوسط خطوطها العريضة من التحولات الجديدة التي يشهدها المحيط الاقتصادي عموماً وقطاع النقل خصوصا. فهذا المناخ المتغير، أصبح يفرض على المؤسسة تحقيق مستويات مرتفعة من النمو المتوازن والدائم لإنتاجيتها ويقتضي إزالة جميع العراقيل باعتماد استراتيجية هادفة لتطوير النقل السككي عبر نهج سياسة تنموية جديدة موجهة بالأساس نحو الاستجابة للمتطلبات الحقيقية للزبناء، يكون قوامها :

- الرفع من مستوى الأداء التجاري للمؤسسة بالتأثير على مختلف مكونات جودة المنتوج السككي وبلورة خدمات لوجيستيكية متكاملة وفق منظور يتماشى والمعطيات الحالية والمستقبلية للسوق ؛

- تنقيح الإطار المؤسساتي والتنظيمي للمكتب بما في ذلك عملية تحويله إلى مؤسسة مجهولة الاسم، وهو ما يعتبر إحدى الوسائل التي ستمكنه من نهج تدبير مطبوع بالفعالية والجودة التنافسية، وكذا تزويده بالآليات القانونية التي

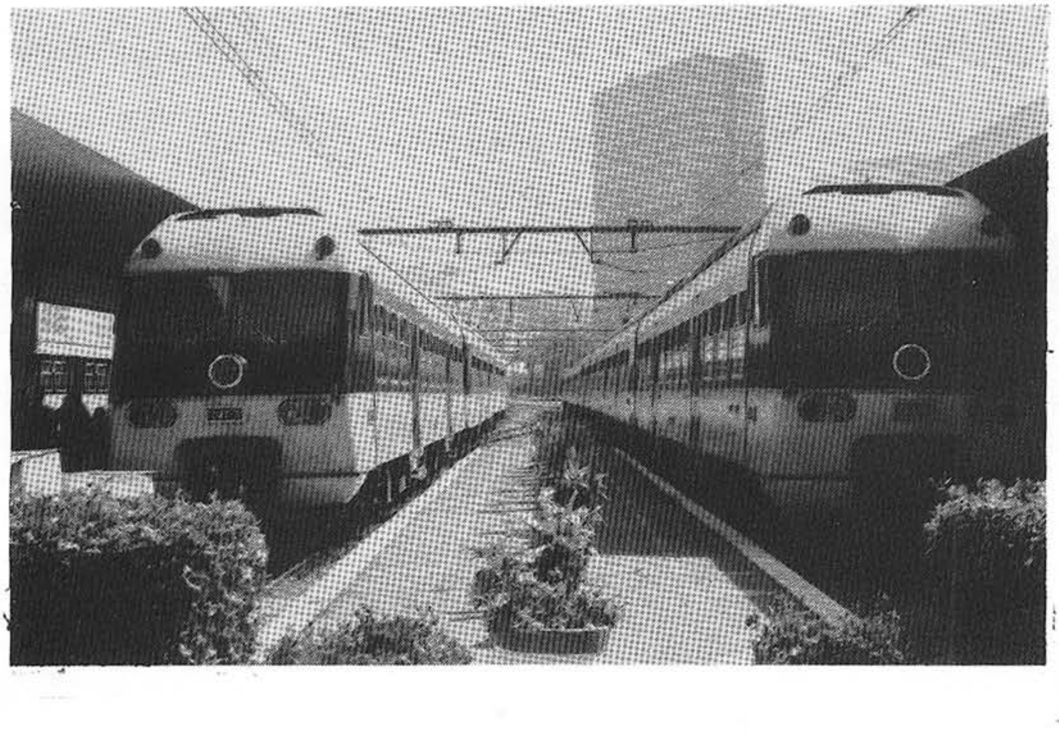

تخول المرونة اللازمة في تدبير شؤونه ؛

- بلورة شراكة بناءة مع الفاعلين الاقتصاديين قوامها التعاون المثمر لصالح الطرفين وذلك في إطار مواصلة سياسة تفويت الأنشطة الموازية على أساس التحكم في جودة المنتوج السككي واحترام مبدأ الاستقلالية والاحتكار للأنشطة المفوتة والرفع من عامل "الجودة التكلفة" ومراعاة الجوانب الاجتماعية ؛

- بناء شبكة سككية قادرة على أن تستجيب بشكل أفضل للتطورات الاجتماعية والاقتصادية، وذلك عبر إعداد آليات الانتاج ومواصلة عصرنتها وتجديدها ضمن مخططات استثمارية محكمة ومتناسقة، مع البحث عن الصيغ الناجعة لإخراج المشاريع السككية الهامة المتعلقة بتوسيع الشبكة.

والجدير بالذكر أن المكتب ينكب حاليا، بمساعدة مكاتب دولية متخصصة، على إعداد دراسات معمقة لتوضيح الرؤية المستقبلية للاستراتيجية التجارية الواجب اعتمادها لتنمية حصة النمط السككي داخل السوق الوطنية للنقل، وكذا التنظيمات الهيكلية التي تتوافق مع الأهداف المتوخاة على المدى القصير والمتوسط. وستكون هذه الدراسات إن شاء الله جاهزة في القريب العاجل.

وثائق المكتب الوطني للسكك الحديدية.

المكتب الوطني للسكك الحديدية

السكر، تم اكتشافه في قصب السكر الذي كان ينمو بطريقة طبيعية في جزر المحيط الهادي الجنوبية، وذلك منذ ما يناهز 4000 سنة. وتعتبر الهند أول بلد قام باستخراج العصير الطبيعي لقصب السكر لاستعماله في صناعة السكر الخام الذي كان يسمى آنذاك "الگور" Gur (تمت ترجمة هذا المصطلح بالعبارة التالية "مذاق حلو" وذلك زهاء سنة 500 قبل الميلاد.

وبعد الهند، انتشر فن استخراج السكر عند العرب في الشرق الأوسط، ثم في أوربا أثناء الحروب الصليبية. وعلى امتداد عدة قرون، كان السكر يعتبر بمثابة نوع من المواد نفيسة الثمن، يستعمل بالخصوص لدى الملوك والأعيان.

حمل كريستوف كولومب قصب السكر لزراعته في جزر الأنتيل، وبذلك أعطى الانطلاقة لإنتاج السكر في العالم الجديد.

وفي أواسط القرن الثامن عشر، اكتشف عالم ألماني بديلا لقصب السكر، ويتعلق الأمر بالشمندر السكري، الذي أصبح منذ تلك الحقبة أول مصدر لإنتاج السكر في أوربا وفي بعض دول إفريقيا الشمالية وخاصة المغرب.

وفي أوربا، خرج السكر إلى حيز الوجود سنة 996، بالضبط في مدينة فنيزيا. وقد تعرف سكان هذه المدينة على تقنيات تصفيته بفضل العرب. وأعطي للسكر اسم "قالب فنيزيا" كناية على شكل مدينة ماركو بولو، حيث أصبح يعرف اليوم باسم "قالب السكر".

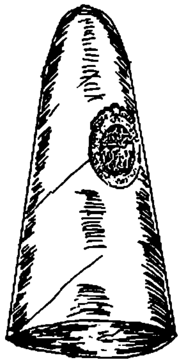

قالب السكر

وفي المغرب، ظهر السكر خلال القرن السادس (12م)، وكان إنتاجه يتم بواسطة قصب السكر الذي كان يزرع في جهات سوس وشيشاوة، وازدهرت صناعته أيام السعديين خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16-17م).

أما فيما يتعلق بالإنتاج العصري للسكر المصفى انطلاقا من السكر الخام المستورد، فإنه يرجع إلى سنة 1929 عند بناء مصفاة كوسومار من الشركة الفرنسية سان لويس، في حين ابتدأ إنتاج السكر انطلاقا من نبتة الشمندر منذ سنة 1963 وانطلاقا من القصب السكري سنة 1972.

يوجد السكر كمادة سكرية طبيعية في جميع الفواكه والخضر، وهو المنتوج الأساسي للتخليق الضوئي الذي تنتجه النباتات عل شكل ذرات من السكر تسمى غلوكوز (سكر العنب) وفروكتوز (سكر الثمار).

ويتجمع الغلوكوز والفروكتوز داخل النبات ليشكل ما يسمى بالسكروز (سكر القصب أو الشمندر) الذي نطلق عليه عامة اسم السكر.

ويوجد السكر بكمية وافرة في قصب السكر والشمندر السكري اللذين يستعملان سويا في الإنتاج التجاري للسكر. وينتصب قصب السكر كنبات طويل القامة ينمو في مناخ حار ورطب ويجمع السكر في ساقه. أما الشمندر السكري فيتناسب أكثر مع المناخ المعتدل ويجمع السكر في جذوره البيضاء.

يلعب السكر عدة أدوار في المنتجات الغذائية، زيادة على مذاقه الحلو، فهو فاعل ضروري في المحافظة على المربيات والمواد المجمدة من حيث وقايتها من الجراثيم.

ويمكن السكر المستعمل في الحلويات، من المحافظة على رطوبتها ووقايتها من فقدان الخضرية التي تتم ملاحظتها عندما تجف. كما يساهم السكر في الرفع من جودة تركيبة أجسام الفواكه والخضر وألوانها عندما تكون معلبة.

كما يمكن السكر من تفادي تجمع النداتف الثلجية في الخلائط المجمدة كالقشدة المثلجة ويساعد على نجاح عملية تخمير بعض المواد كالخبز وهكذا يلعب السكر دوراً هاماً ومتنوعا في كل هذه المواد وكذا في مواد أخرى.

استعمالات السكر غير الغذائية

يستعمل السكر لعدة أغراض أخرى :

- إبطاء تجمد الغراء والإسمنت،
- في صباغة الجلد،
- في مداد آلات الطباعة،
- في صناعة النسيج في أطوار الصماغة والغليات النهائية،
- يعتبر كمادة فعالة في تخمير بعض المواد التي تحتوي على الكحول (كمشروب الخمر).

يبتدئ مسلسل إنتاج السكر من عملية فصل السكر الطبيعي الموجود في ساق قصب السكر أو في جذر الشمندر السكري، عن باقي النبتة.

في ما يتعلق بقصب السكر يتم طحن سيقانه لاستخراج عصيره ثم تتم تغلية العصير إلى أن يصير سائلا ويتبلور لونه، فيتم تمرير البلورات داخل "طاردة نابذة "لإنتاج السكر الخام، قبل أن يرسل إلى مصفاة، حيث يتم تذويبه وتطهيره وتصفيته قبل بلورته ثم تجفيفه وتعليبه.

أما بالنسبة للسكر الناتج عن الشمندر فإنه يتم تنظيفه وتقطيعه وتبليله في الماء الساخن لاستخراج العصير الذي يحتوي على السكر. بعد ذلك يتم تطهيره وتصفيته وتركيزه وتجفيفه عبر مجموعة من المراحل شبيهة بتلك التي يمر منها قصب السكر.

صناعة السكر من الشمندر

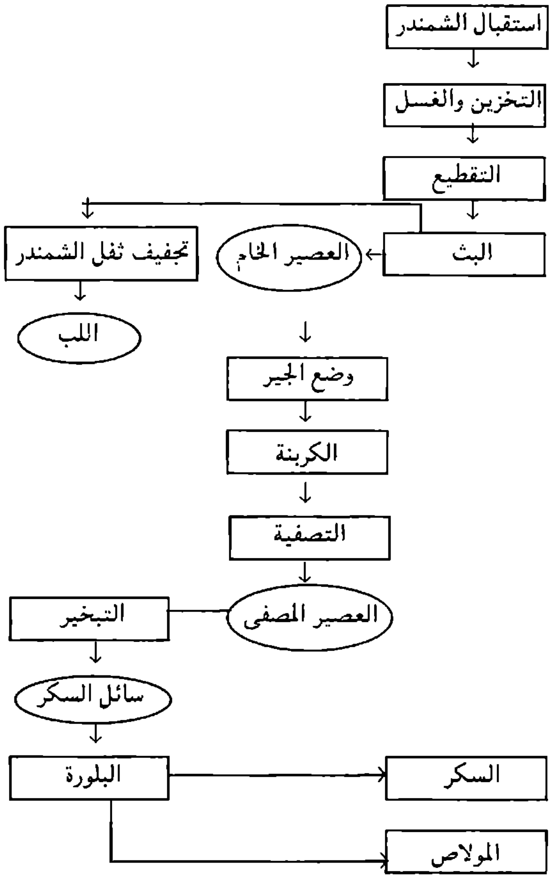

عملية التكرير

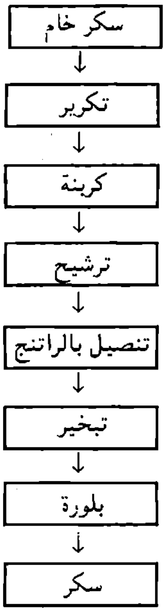

تشمل صناعة السكر في المغرب ثلاثة أنواع من المعامل:

- وحدات تصنيع وتكرير السكر : عددها 7 وحدات، منها 4 وحدات لتحويل الشمندر، ووحدتان لتحويل قصب السكر، ووحدة مزدوجة. وتبلغ الطاقة الإجمالية لمجموع هذه الوحدات ما يناهز 330.000 طن من السكر سنوياً.
- وحدات إنتاج السكر الخام : عددها 6 وحدات، منها 5 وحدات لتحويل الشمندر السكري، ووحدة لتحويل قصب السكر. وتقدر طاقتها الإجمالية بحوالي 280.000 طن سنويا من السكر الخام.
- وحدات التكرير : عددها وحدتان تقومان بتكرير السكر الخام المستورد والمحلي، لتصنيعه على شكل قالب، وقطع وحبيبات (سنيدة)، بطاقة إجمالية تصل إلى 650.000 طن سنويا.

وتتميز هذه الصناعة بإمكانيات توسعية هامة، غير أنها تعاني في سنوات الجفاف من صعوبة التموين بالمادة الخام، خاصة بمناطق الغرب، واللوكوس وملوية ومؤخراً بتادلة.

ويعرف معدل استعمال الطاقة التحويلية للسكر تذبذبا هاما حسب المناطق والسنوات، ويبلغ متوسط استعمال هذه الطاقة 84٪.

كما تعرف مصانع السكر اختلافا كبيراً من حيث نسبة التباين التقني في الوسائل.

أما المردودية الحالية فتصل إلى 54 طن / هكتار بالنسبة للشمندر و76,8 طن هكتار بالنسبة لقصب السكر.

يستهلك المغرب حاليا ما يناهز 940.000 طن من السكر أي بنسبة تفوق 32 كيلوغراما للفرد الواحد. ويعتبر المغرب

من الدول الأكثر استهلاكا لهذه المادة التي تعتبر من المواد الاستراتيجية بالنسبة للمغاربة.

الأهمية السوسيو اقتصادية لقطاع السكر

تتجلى أهمية هذا القطاع في المؤشرات التالية :

- رقم المعاملات الإجمالي للقطاع يتعدى 6 ملايير درهم سنويا

- يوفر القطاع ما يناهز 5000 منصب شغل قار ومليون يوم عمل في صناعة وتحويل الشمندر وقصب السكر.

- يمكن القطاع من إنجاز 5.5 مليون يوم عمل في القطاع الفلاحي

- يستفيد من هذا النشاط ما يناهز 80.000 فلاح.

- معمل كوسومار

يعتبر معمل كوسومار من أعرق وأكبر منتجي السكر في المغرب. تاريخ كوسومار حافل بالتمديدات، وبعصرنة آليات الانتاج وكذا ملاءمة حاجيات المستهلك المغربي.

أنشئت وحدة كوسومار سنة 1929 من شركة سان لويس الفرنسية بطاقة استيعابية يومية تقدر بـ 100 طن ومخصصة فقط لصناعة قالب السكر تحت علامة "النمر".

تعد كوسومار حاليا أكبر وحدة لتصنيع السكر بالمغرب بطاقة إنتاجية تناهز 640.000 طن سنويا. ويتم إنتاج السكر على أربعة أشكال : قالب السكر، السكر المصفح والمقرط والحبيبات (السنيدة).

ألحقت كوسومار "لمجموعة أونا" سنة 1985 وتم إدخالها لبورصة الدار البيضاء في نفس السنة.

يحتل قالب السكر مكانة متميزة في الحياة اليومية للمواطن المغربي منذ عقود حيث يتم استعماله كغذاء وكهدية.

- تنتشر نباتات السكر (الشمندر والقصب) في العالم على مساحة تفوق 31 مليون هكتار، وتوجد هذه النباتات في 111 دولة، 38 منها متخصصة في زراعة الشمندر و65 في زراعة قصب السكر و8 في زراعة قصب السكر والشمندر.

- يُوجد في العالم زهاء 2440 مصنع سكر، منها 1560 مصنع لتحويل قصب السكر و790 مصنع لتحويل الشمندر.

يناهز رقم معاملات هذا القطاع حوالي 65 مليار دولار بدون احتساب الضريبة.

- يضم القطاع 80 بلداً مصدراً و150 بلداً مستورداً.

- ويمكن القطاع من تشغيل أكثر من مليوني نسمة

عرف استهلاك السكر في العالم تطوراً هاماً منذ بداية القرن، حيث تزايد من 8 مليون طن سنة 1900، أي بمعدل 5.1 كيلوغرام للفرد، إلى 126 مليون طن سنة 1998 أي بمعدل 20.4 كيلوغرام للفرد.

جدول أهم الدول المنتجة

(إجمال إنتاج هذه الدول يقارب 62٪ من الإنتاج العالمي)

البلد	مصدر السكر	الكمية x 1000 طن
البرازيل	قصب السكر	21.400
الهند	قصب السكر	16.900
الصين	قصب السكر الشمندر	9.700
الولايات المتحدة	قصب السكر الشمندر	7.530
الطايلاند	قصب السكر الشمندر	5.500
المكسيك	قصب السكر	5.000
استراليا	قصب السكر	4.800
فرنسا	الشمندر	4.600
ألمانيا	الشمندر	4.400
كوبا	قصب السكر	3.800

أهم الدول المستهلكة

البلد	الكمية x 1000 طن	كلغ / الفرد / السنة
الهند	16,250	14
البرازيل	9,400	16
الولايات المتحدة	9,300	31
الصين	8,500	6
روسيا	6,000	37
المكسيك	4,500	41
الباكستان	3,300	24
ألمانيا	3,100	33
أندونسيا	3,000	12
اليابان	2,500	18

وثائق كوسومار، وأبحاث شخصية.

جواد الخطابي وعبد الصمد بوربح

السَّكُّوم أو الهِلْيَوْن بالعربية أو أسْبِرْج Asperge بالفرنسية أو علميا أَسْبَراكُوسْ Asparagus الجنس الذي ينتمي إلى فصيلة الزنبقيات Liliaceae. يشمل الجنس ثمانية أنواع طبيعية بالمغرب، وأكثر من ثلاثة أنواع دخيلة، نذكر منها نوعا واحدا يغرس كخضر، ونوعان آخران كنبات زينة وهما السكوم الريشي أو أسْباراگوسْ بْلومُوزا Asparagus plumosa وسكوم سْبْرينْجَر أو أسْباراگوسْ سْبْرينْجري Asparagus sprengeri. من المعتقدات الشعبية عند التلاميذ أن وضع غصين من السكوم الريشي في الدفتر يسهل عليهم حفظ المواد.

أنواع السكوم جنيْبات منتصبة أو معترشة متسلقة. جذورها جذمورية. أوراقها حرشفية أو معوضة بسيقان ورقية أو ورق كاذب. أزهارها صغيرة. ثمارها كروية الشكل حمراء أو سوداء.

تستعمل بعض الأنواع في التطبيب التقليدي. كما تجمع في فصل الربيع السيقان الفتية لجل الأنواع لاستعمالها كخضر تطبخ عادة وحدها أو مع البيض أو غيره.

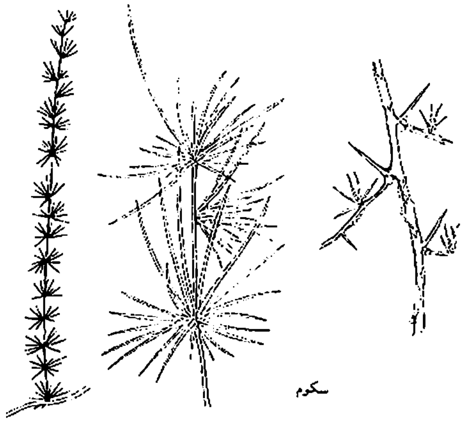

سكوم

- السكوم ذو الورقة الحادة أو أسْباراگوسْ أكوتيفولْيوس Asparagus acutifolius : نوع يتميز بسيقان شبه متسلقة، وأوراقه الكاذبة المجتمعة من 4 إلى 12 والمتصلبة والمنتهية بأطراف حادة من الممكن أن تُؤلم، وبأزهاره الصفراء المخضرة وبثماره التي تسود عند نضجها بعد أن تكون خضراء.

يعيش النوع طبيعيا في غابات وأحراج السهول والجبال على أراض سميكة وغنيةبالدبال، في مناطق بيومناخية شبه جافة وشبه رطبة ورطبة، وفي الطابقين المتوسطي الدافئ والمتوسطي.

- السكوم المتسلق أو أسْباراگوسْ ألْتيسيمُوسْ Asparagus altissimus : يتميز النوع بسيقان معترشة متسلقة طويلة ورقيقة وجد متفرعة، وبأوراقه الكاذبة المجتمعة في مجموعات عدد كل منها يتراوح ما بين 4 و9.

يتسلق أشجار أرگان والعرعر البربري والبطم الأطلسي ويعيش في المناطق الجافة وشبه الجافة في الجنوب المغربي.

- السكوم المشوك أو أسْباراگوسْ سْتيبولاريسْ Asparagus stipularis : جنيّبة كثيرة الأشواك، قد يتراوح علوها ما بين 40 و80 سم.

الموطن الأصلي للنوع هو المنطقة المتوسطية وآسيا الغربية. يصادف في غابات وأحراج ومراعي وحقول وسهوب المناطق الجافة وشبه الجافة وشبه الرطبة ولا يعيش إلا في الطوابق النباتية لتحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ والمتوسطي.

- السكوم الأبيض أو أسْباراگوسْ ألْبُوسْ Asparagus albus : جنيبة يتراوح علوها ما بين 80 و150 سم وتتميز بسيقانها البيضاء. وأوراقها الكاذبة مجتمعة في أحزمة يتراوح عددها ما بين 2 و30 وتظهر في إبط الأشواك.

يتوطن النوع الجزء الغربي والأوسط من المنطقة المتوسطية. أما في المغرب فيصادف في الغابات المنفرجة والأحراج والمراعي والسهوب، وذلك في السهول والجبال المنخفضة الخاضعة للبيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب. ويوجد في الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ. وفي هذه المناطق يفضل العيش في المنظومات البيئية المشكلة بالزيتون البري أو العرعر البربري أو غير ذلك.

- السكوم المغروس أو أسْباراگوسْ أُوفيسينَاليسْ Asparagus officinalis أو السكوم الطبي : يعرف بسيقانه الفتية المستهلكة من طرف الإنسان بعد طبخها طازجة أو مصبرة.

الموطن الأصلي للنوع هو أوربا وآسيا الغربية ومنها أدخل إلى شمال إفريقيا حيث يزرع كخضر في بعض السهول المغربية كسهل الغرب وذلك لتصدير القدر الكبير من الكمية المنتجة نظرا لكون الاستهلاك الداخلي ضعيفا جدا.

أبحاث شخصية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc. évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle. médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Paris, 1997.

زينب بنرحمون وعبد المالك بنعبيد

سكّوم الجمل أو الرتم الرقيق أو الألنْدة أو الشديدة بالعربية أو زازا أو تالگيتْ نْأوداَدنْ بالأمازيغية، أسماء تطلق على أنواع جنس إيفِيدْرا Ephedra الذي ينتمي إلى فصيلة ورتبة الإيفيدرات Ephedrales, Ephedraceae. ومعلوم أن قسم كَلاميديات البذور Chlamydospermae الذي يضم هذه النباتات القليلة العدد يوجد في موضع انتقالي داخل فرع النباتات البذرية ما بين عاريات البذور Gymnospermae التي تشمل المخروطيات من صنوبريات وسرويات وأروكاريات... من جهة، ومستورات البذور Angyspermae التي تضم أغلب النباتات المزهرة غير المخروطيات.

يشمل جنس إيفِدْرا خمسة أنواع بالمغرب، كلها نباتات غير شجرية لكن خشبية، منها المعترشة التي تتسلق نباتات أخرى، ومنها المنتصبة السيقان. سيقانها مفصلية، عجراء

أي كثيرة العقد، ذات يخضور يمكنها من التمثيل الضوئي. أوراقها متقابلة أو كوكبية، جد صغيرة. أزهارها فردية أو ثنائية المسكن، وفي بعض الحالات خنثية. الأزهار الذكرية في ازهرارات هرية الشكل، إبطيـــة، مكونة من 2 إلى 6 أسدية. الأنثية طرفية منفردة أو مجتمعة في مجموعات من 2 إلى 3 أزهار مـحـاطة بـ4 إلى 8 قُنَّابات من الممكن أن تصير لحمية وملونة، محمرة عند نضج الثمار.

تستعمل أنواع سكوم الجمل في التطبيب التقليدي للاجهاض أو غيره أو كمادة صابونية.

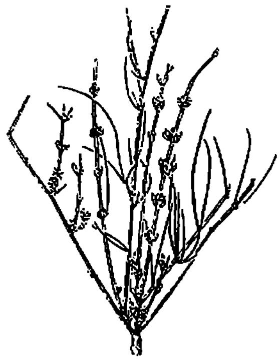

سكوم الجمل

- الألَنْدا أو إيفيدْرا ألَنْدا Epherdra alenda : جنيبة ثنائية المسكن، قد يصل ارتفاعها إلى 3 م، منتصبة، جد متفرعة، ذات أغصان رئَديّة زاحفة في الرمال، وأغصان هوائية غليظة خضراء مصفَرة، وأوراق متقابلة وملتحمة في شكل غمد، وثمار من 10 إلى 16 مم.

هذا النوع جد نادر ويعيش في الرمال أو في مناطق الرق الرمالية بالصحاري المغربية والجزائرية والتونسية وأيضا في كل المناطق الصحراوية والسندية.

- إيفيدْرا المعترشة أو إيفيدْرا آلْتسيما Ephedra altissima جنبة ثنائية المسكن، سرعيّة من الممكن أن تتسلق الأشجار إلى ارتفاع 10 م، ذات أغصان متدلية ومتهدّلَة، وأوراق متقابلة أو كوكبية يصل طولها إلى 1.5 سم على الأغصان الفتية. أزهارها الذكرية مجتمعة في عُثكولات جد متفرعة، ذات 2 أو 3 أسدية. حجم ثمارها من 7 إلى 9 مم، بيضوية أو شبه كروية الشكل ومحاطة بقنّابات لحمية ذات لون أحمر قاتم أو أبيض.

يكثر هذا النوع في الجزء الغربي من حوض المتوسط في جل الغابات المنفرجة والأحراج كتشكيلات العرعر البربري والعرعر الأحمر وأركان والأجرف الصخرية، وذلك في الطوابق النباتية تحت المتوسطية والمتوسطية الدافئة والجزء السفلي من المتوسطي، أي ما بين سطح البحر و1800 م من الارتفاع. أما من حيث البيومناخ فإن النوع يعيش في المناطق الجافة وشبه الجافة الدافئة والمعتدلة.

- إيفيدْرا رولانْديي Ephedra rollandii : جنبة ثنائية المسكن جد متفرعة، متسلقة في حالة انعدام الرعي، ذات أغصان رقيقة ولون أخضر فضي وأضلاع عندما تكون فتية، أغصانها المعمرة منعدمة الأضلاع، شهباء أو شهباء مسمَرّة. أوراقها متقابلة، أو كوكبية من 3 أوراق، ملتحمة في شكل غمْد شفاف أبيض. ثمارها عنبية الشكل وبيضاء.

نوع قبسي نادر جدا، ولا يوجد إلا في الوديان والأجرف الصخرية الصحراوية ما بين السمارة وأدرار سطوف بوادي الذهب.

- الرتم الرقيق أو إيفيدرا فْراجيليسْ Ephedra fragilis : جنبة ثنائية المسكن، عديمة الأوراق، جد متفرعة، متسلقة للأشجار والصخور إلى ارتفاع 3 م، أو منتصبة. أغصانها الفتية مضلعة وذات لون أخضر داكن، والمعمرة رمادية أو رمادية مسمرة. ثمارها مجتمعة في كتلتين، شبه كروية الشكل، من 8 أو 9 مم، محاطة بقنابات جد لحمية، حمراء.

يوجد هذا النوع في كل السهول والهضاب والسفوح الجبلية الموافقة للطوابق النباتية تحت المتوسطية والمتوسطية الدافئة والمتوسطية، وخاصة في أحراج العرعر الأحمر والعرعر البربري والطلح المغربي وأركان.

- إيفيدْرا مَاجُورْ Ephedra major : جنيبة ثنائية المسكن، منتصبة وغير متسلقة، لا يتجاوز ارتفاعها 1.5 م. أغصانها رقيقة، جد متفرعة وكثيرة الكثافة. أوراقها متقابلة وشفافة. ثمارها شبه كروية، محاطة بقنابات لحمية حمراء أو صفراء.

يكثر هذا النوع في الأحراج والأجرف الصخرية الجبلية ما بين 800 و3000 م أي في جميع الطوابق النباتية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000 ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

السكنى والتعمير بالمغرب، كلمة "التعمير" بمفهومها الحديث، هي ترجمة للكلمة الفرنسية Urbanisme، بدأ تداولها في المغرب مع إقامة الاستعمار في أوائل القرن العشرين وتأسيس المدن الأروبية.

وقد عرّفت وثيقة "معاهدة أثينا" (La Charte d'Athènes) الصادرة عن المؤتمر الدولي للهندسة المعمارية العصرية (C.I.A.M.) سنة 1933 باليونان، بكون التعمير "تهيئة للمجالات والبنايات التي يجب أن تحتضن نمو الحياة المادية والروحية والوجدانية والفكرية بجميع أشكالها الفردية والجماعية" بعيداً عن كل خصوصية ثقافية وحضارية.

فهذا التعمير الحديث لم يصدر من عدم. فقد استقى مرجعيته الفكرية مما سمّي "بما قبل التعمير" (Préurbanisme) الذي تبلور من خلال أفكار جاءت بها خيارات إديولوجية إصلاحية نشأت في القرن التاسع عشر بأروبا إثر حدوث الثورة الصناعية وتأزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للبروليتاريا، وتقهقر ظروفها السكنية، فضلا عن الفوضى والعشوائية التي انتشرت بضواحي المدن بسبب التحضر المطرد الذي أصبحت مسرحا له.

انتـقـدت هذه التـيـارات المدينة الصناعيـة الرأسـمـاليـة وسلبياتها الاجتماعية والمجالية، واستهدفت بمقترحاتها، رغم اختلاف نوعيتها، خلق إطار حضري جديد للعمل والسكنى والترفيه تسوده "علاقات إنسانية من نوع جديد".

فالمهندس المعماري الأوربي كان فهمه سلبياً للتعمير المغربي، إذ أوحى له بالغموض وغياب العقلنة، ورأى في المدينة العتيقة مجرد متاهة (Labyrantie) لا تخضع لأي نظام، جاهلا بذلك مرجعية رموزها وأسس مقوماتها فأدار ظهره عنها وفرض نموذجه.

- التعمير الاستعماري : استراتيجية ومنجزات 1912 - 1956.

1 - التوجهات والاجراءات الكبرى.

لقد أصر الاستعمار غداة إقامته بالمغرب أن يجعل من هذا الأخير فلكا تابعا له، يؤخذ منه المواد الأولية (المعدنية والفلاحية) ويصدر إليه منتجاته الصناعية فضلا عن استعماله ميدانا خصبا لاستقطاب الرساميل الأجنبية وخزانا لليد العاملة الرخيصة.

2 - خلق مدن جديدة لفائدة الأوربيين كدعامة للنظام الاستعماري (1912 - 1948).

إن تحقيق المشروع الاستعماري هذا كان رهينا بوضع سياسة حضرية تخدم مصالح النظام الجديد. فأول قرار يصب في هذا الاتجاه اتخذه ليوطي، هو إعطاء أوامره إلى المهندس المعماري هنري بروست (H. Prost) سنة 1913 قصد وضع تصاميم تهيئة لعشرة مدن جديدة سبق أن قرر تأسيسها وهي: الدار البيضاء، والرباط ومكناس وفاس ومراكش وتازة ووزان وأكادير وصفرو، وبعد ذلك القنيطرة. (Port Lyautey).

حرص بروست على خلق مدن جديدة كدعامة مجالية للنظام الجديد : الفصل بين المدينة الأروبية والمدينة الإسلامية مع احترام الانسجام العمراني والاجتماعي للأولى والحفاظ على الطابع التقليدي للثانية خلافا لما تم تطبيقه بالجزائر.

وغداة الاستقلال طمحت القوى السياسية الوطنية إلى إعادة النظر في الإرث الاقتصادي والاجتماعي الاستعماري، وبناء مشروع وطني للتنمية يهدف إلى تحقيق إصلاح زراعي للحد من الهجرة القروية وإقامة صناعة ثقيلة خلاّقة لفرص الشغل (التصميم الخماسي 1960 - 1964). غير أن هذا الاختيار لم يكتب له أن يرى النور. وأخذ مكانه توجه ليبرالي (التصميم الثلاثي 1965 - 1967) جاء باستراتيجية تنموية استهدفت توسيع القاعدة الإنتاجية للرأسمال في إطار التقسيم العالمي للشغل حيث احتفظ المغرب بدور تصدير المواد الأولية أو مواد تحويلية واستيراد المنتجات الصناعية.

- إن الانفجار الحضري الذي اندلع بالمدن المغربية إبان مرحلة الاستعمار أضحى متواصلا بسبب الهجرة القروية ونزوح أفواج الريفيين إليها. فالأوضاع بالبوادي تشكو من ضعف البنيات الإنتاجية التي زادها تقهقراً الجفاف الذي بات مخيماً على البلاد منذ ما يقرب من عشرين عاماً ابتداءً من شتاء 1981 - 1982.

فالإحصاءيات العامة تطلعنا على أن الفترة الفاصلة بين 1971 و1982 سجلت هجرة سنوية لما يعادل 65.000 ريفي نحو الوسط الحضري وقد ارتفع هذا العدد إلى 95.000 في المرحلة الواقعة بين 1982 و1994. الأمر الذي ساهم بصفة فعالة في تضاعف ساكنة المدن كل 15 سنة بوتيرة سنوية تعادل 3.6٪ في الوقت الذي تنخفض فيه هذه النسبة السنوية إلى 0.7 في العالم القروي.

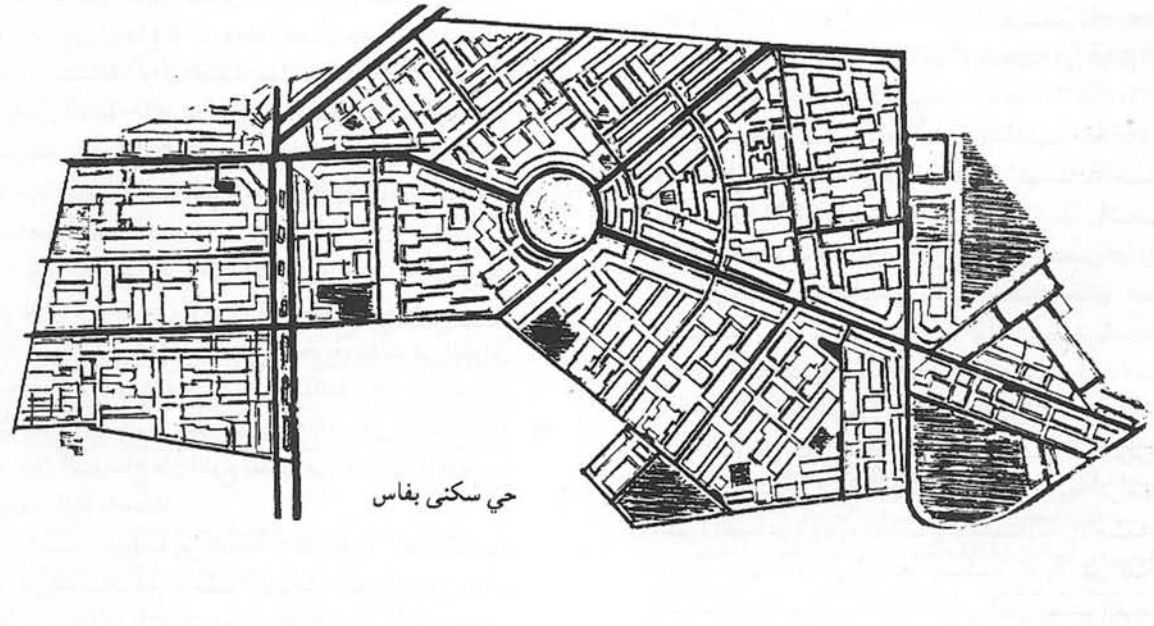

حي سكني بفاس

تطور الساكنة الحضرية بالمغرب (بالآلاف)

الوسط	1960	٪	1994	٪	2020	٪
الساكنة الحضرية	3.400	35	13.407	51.4	30.000	75
الساكنة المغربية	10.000	100	26.000	100	40.000	100

فهذا التضخم الهائل لساكنة الحواضر في ظروف بنيات اقتصادية هشة له انعكاسات سلبية عميقة عمرانيا ومجاليا.

ويشكل استفحال ظاهرة مدن الصفيح إحدى الانعكاسات السلبية الناتجة عن التزايد الديمغرافي الحضري على العموم وعن حركة الهجرة القروية المتنامية على وجه الخصوص.

فغداة الاستقلال تم إحصاء 000. 414 ساكن لمدن الصفيح أي ما يعادل 15٪ من مجموع الساكنة الحضرية. غير أن ما يثير الانتباه هو تزايد عدد هؤلاء السكان بغض النظر عن التراجع النسبي الذي عرفه، حيث وصل سنة 1982 إلى 1.593.720 نسمة (أي 12،8٪ من مجموع السكان الحضريين) وزاد ارتفاعا إلى 2.358.280 نسمة.

إلا أن انتشار مدن الصفيح لا يمثل المشكل الوحيد الذي تعاني منه المدن المغربية باعتباره معضلة اجتماعية وسكنية وبؤرة للفقر والتهميش، بل نجدها عرضة كذلك لتوسع حضري فوضوي وامتدادات مجالية عشوائية في تجاوز تام وخرق سافر لقوانين التعمير المعمول بها. وقد تعاملت السلطات بتهاون واضح إذا لم نقل بغض الطرف عن تنامي هذه الظاهرة، مما أدى إلى انتشار أحياء غير مجهزة فوق أراض ومواضع طبغرافية غير ملائمة على هامش المراكز الحضرية. ففي سنة 1982 وحسب بعض التقادير اتسعت هذه الأحياء فوق ما يقرب من 3000 هكتار تجمع بها ما يزيد عن مليون نسمة : يتوزع معظمها على كبريات المدن.

- الرباط - سلا : 189 000 من مجموع 000. 868
- فاس : 129 000 من مجموع 000. 517
- مراكش : 110 000 من مجموع 000. 485
- وجدة : 90 000 من مجموع 000. 260
- طنجة : 55 000 من مجموع 000. 320
- تطوان : 55 000 من مجموع 000. 200

تأسست وزارة السكنى والتعمير وإعداد التراب الوطني غداة الاستقلال وأسندت إلى الدكتور ابن بوشعيب، لكنها لم تعمر طويلا وألحقت بوزارات أخرى، ثم تكونت من جديد سنة 1972 وتغيَّر اسمها أكثر من مرة، وهي الآن في حكومة عبدالرحمن اليوسفي تحمل اسم وزارة إعداد التراب والبيئة والتعمير والإسكان. وقد أعطت وزارة السكنى الأسبقية لمحاربة مدن الصفيح، وعملت بتوجيه من البنك الدولي على وضع خطة جديدة لمحاربة هذه المدن، تفاديا لأي تفاقم من شأنه أن يؤدي إلى انفجار الأوضاع، علما أن بداية السبعينيات تزامنت مع ظرفية سياسية دولية تميزت ببروز حركات وطنية ويسارية مناهضة للامبريالية (فيتنام، صالفادور، نيكاراكوا). ووعيا منها بخطورة المناخ السياسي والاجتماعي العام جاءت بمقترحات جديدة تمنح ظروف الاستقرار والاندماج لأوسع الفئات القاطنة بهذه الأحياء.

- إعادة الهيكلة (La restructuration). إن التجارب التي خاضتها المصالح المعنية في عقد الستينيات في ميدان محاربة مدن الصفيح قد باءت بالفشل وأظهرت عجزها عن تلبية الحاجيات السكنية المتزايدة. فعمليات توزيع الأراضي التي أشرفت عليها لم يستفد منها إلا المحظوظون، وبالتالي كان وقعها الاجتماعي جد محدود.

فالجديد في سياسة إعادة الهيكلة يكمن في وضع مشاريع تنموية حضرية انتقائية، حسب برمجة وطنية شرع في إنجازها ابتداء من التصميم الثلاثي 1978 - 1980، وترمى هذه السياسة إلى تحقيق اندماج حضري عن طريق تعبئة إمكانيات وقدرات السكان من أجل تحسين أوضاعهم السكنية وتغيير واقعهم بإسهاماتهم الخلاقة.

اعتمدت هذه الخطة على مبدإ حق تملك القطعة الأرضية التي تحمل البراكة من طرف الساكن، الأمر الذي ساعد على إشعاع الأمن والاستقرار في نفسه وتحفيزه على تحمل تكلفة التجهيزات التحتية وبناء سكنه بوسائله الذاتية. كما استهدفت التخفيف من الكثافة السكانية بنقل 10٪ من السكان وإعادة إسكانهم في أحياء جديدة، وإقامة برامج تجهيزات اجتماعية، من شأنها أن توفر شروط الحياة اليومية داخل الأحياء (مدارس مستوصفات دور للشباب الخ)، إضافة إلى خلق مناطق صناعية على مقربة من أماكن السكنى، قصد جلب أنشطة صناعية وتشغيل اليد العاملة الوافرة والتقليل من نسبة البطالة المنتشرة.

طبقت هذه المشاريع أساساً على مدن صفيح تتراوح ساكنتها بين 30 و40 ألف نسمة ويمثل كريان سنطرال بالدار البيضاء التجربة الأولى في هذا الميدان والتي استفادت منها 12.325 أسرة أي ما يساوي 72.000 نسمة. وتم بعد ذلك توسيع مجال تطبيقها إلى دوار الدوم بالرباط، وبرج مولاي عمر بمكناس، وسيدي يوسف بن علي بمراكش والساكنية بالقنيطرة إلى غير ذلك، واستصلح على مستوى وطني ما حجمه 500. 63 قطعة.

- عمليات تهيئة حضرية كبيرة لإعادة الإسكان (Le recasement).

لعبت الدولة هنا كذلك دور المحفز الأساسي والمحرك الرئيسي لتعبئة القدرات المالية والطاقات الخلاقة في البناء لساكنة الصفيح المتوسط والصغير، قصد القضاء على السكن غير اللائق المتناثر هنا وهناك داخل النسيج الحضري، حيث قامت بتنظيم عمليات تجزئة أرضية، في إطار مشاريع تهيئة حضرية متكاملة الوظائف، من سكنى وتجهيزات اجتماعية وأنشطة اقتصادية، خضعت في إعدادها لمبدإ

التنظيف. فعلى مستوى عددي، تم إلى حدود نهاية الثمانينيات توزيع 59.500 قطعة تتراوح مساحتها بين 60 و120 م2 استفادت منها معظم المدن المغربية.

وبمدينة سلا التي استفحلت بها ظاهرة مدن الصفيح إلى أن وصل عدد السكان بها سنة 1982 أزيد من 52.500 نسمة من مجموع 000 289، عرفت في نهاية الثمانينيات انطلاقة مجموعة من مشاريع تهيئة حضرية، تدخل في إطار محاربة التهميش الاجتماعي والتدهور المعماري، عبر القضاء على جزء مهم من الدواوير، وخلق أحياء جديدة تتلاءم ومستلزمات الحياة الحضرية. ومن أهم الأحياء التي نشأت في هذا الإطار نذكر حي مولاي إسماعيل الذي امتد على أزيد من 70 هكتاراً عند مدخل حي القرية (جنوب شرق المدينة) استفادت منه 2707 أسرة، وكذا حي الرحمة، وهو أضخم مشروع إعادة إسكان عرفته سلا، حيث امتد على مساحة 143 هكتار شمال تابريكت في اتجاه بوقنادل، استفادت منه هو الآخر 6512 أسرة.

غير أن أنجح تجربة خاضتها الدولة في إطار محاربتها لأحياء الصفيح عن طريق إعادة الإسكان، هي تلك التي قامت بها في مدينة تازة، حيث تم القضاء بصفة شاملة وسريعة على مجموع الدواويرالتي تكاثرت حيث وصل عددها سنة 1983 إلى 25 يقطنها ما يفوق 23.500 ساكن من مجموع 95.000 نسمة. ونظمت بذلك مشاريع تجزئات بين 1983 و1989 وهي السعادة، الكوشة القدس 1، القدس 2 والمسيرة 2، استطاعت أن تقضي على هذه الظاهرة. غير أن هذه التجربة الرائدة كتب لها النجاح لكونها استفادت من أرضية عقارية وافرة وإسهامات مسبقة للمستفيدين وتأطير ناجح باشراك فعاليات مختلفة.

وخلافا لما كانت تعمل به وزارة السكنى من تسيير مباشر لمخططاتها الإسكانية عن طريق الصندوق الوطني للتهيئة والدراسات التقنية (F.M.A.E.T.) في السبعينيات بهدف توفير شروط نجاح أكثر لسياستها الجديدة، قامت بخلق مؤسستين عموميتين، تتمتعان باستقلالية مالية لتسيير البرامج والسهر على تطبيقها وهما "الوكالة الوطنية لمحاربة السكنى غير اللائق" (A.M.H.I.)، تتدخل على مستوى وطني، وشركة انتشارك التي ينحصر مجال عملها داخل الدار البيضاء. كما أنها ركزت على إشراك "المؤسسات الجهوية للتهيئة والتجهيز" (E.R.A.C.) ودعم السلطات والجماعات المحلية لوصول هذا الهدف.

فهذه السياسة الجديدة وإن لم تستطع أن تقضي على دور الصفيح لأسباب عديدة أو أن تحد من انتشارها، حيث إن وتيرة تزايد ساكنتها وصلت سنويا إلى 5.6٪ وهي نسبة أسرع من وتيرة تزايد مجموع ساكنة المدن بالمغرب والتي تساوي 4.2٪، فإنها توصلت إلى التخفيف نسبيا من التهميش والطرد بفضل المنجزات الضخمة التي سهرت على تحقيقها والتي ساعدت على التقليل من حدة التناقضات السوسيومجالية الصارخة التي أضحت تميز المدن المغربية، كما ساهمت في نشأة بيئة حضرية ملائمة للإستقرار والاندماج وتحقيق "السلم الاجتماعي".

غير أن آفاق هذه السياسة السكنية التي استفادت منها فئات شعبية واسعة، أصبحت مهددة بحكم التغييرات الاقتصادية التي سيقبل عليها المغرب مع دخوله معركة العولمة وبسط سلطان الشركات العملاقة العالمية، حيث إن الدولة لم تنجح في إيجاد الحلول الشاملة لظاهرة الصفيح، وهي في عز نفوذها، فكيف سيتطور الوضع غداة تخليها عن دورها الاستراتيجي في هذا القطاع الاجتماعي الحساس ؟

ومن الأسباب التي أضعفت دور تصاميم التهيئة في توجيه وعقلنة تنظيم المجال الحضري، أنها كانت ولمدة عقود طويلة تنجز في غياب أي دراسة مسبقة أولا تدعمها أية سياسة عقارية من شأنها أن توفر لها حظوظ النجاح، فضلاً عن بطء الإدارة في إصدار النصوص القانونية لتغطيتها.

- مخططات توجيهية للتهيئة والمعمار لتغطية الفراغ (S.D.A.U.).

ظلت تصاميم التهيئة إلى حدود الستينيات في القرن الماضي الأداة الوحيدة لتوجيه التنظيم المستقبلي للمدن فيما يخص توزيع مختلف الوظائف السكنية والاقتصادية وتوطين التجهيزات التحتية والاجتماعية وتحديد المناطق المحظورة للبناء.

إلا أنه أمام حصيلة حضرية اتسمتْ بالفوضى مع انتشار دور الصفيح والسكن العشوائي، برز وعي انتقادي لضعف سياسة التعمير. وتبلور هذا الوعي في إصدار وثيقة أساسية سنة 1969، تمثلت فيما سمي "بقانون الإطار للتهيئة القروية والحضرية (Loi cadre d'aménagement rural et urbain)، من طرف مركز الدراسات والأبحاث والتكوين (C.E.R.F.) جاءت هذه الوثيقة برؤية جديدة ومقترحات حلول لمشاكل السكنى والتعمير تنطلق من مبدإ إدماج التعمير والتخطيط في إطار سياسة التهيئة وإعداد التراب الوطني بهدف ترقب التغييرات الاقتصادية والاجتماعية ووضع التدابير الناجعة للحد من آثارها السلبية والفوضوية.

لم تتم المصادقة على هذا المشروع المتكامل والطموح كأداة للتهيئة الشاملة بسبب أنه أنجز في معزل عن قرارات الدولة، التي كانت آنذاك غير قادرة على نهج سياسة إعداد التراب مبنية علي استراتيجية طموحة إلى ضرب أسس الاختلالات الجهوية والحضرية الموروثة عن فترة الاستعمار.

إلا أنه احتفظ ببعض مقترحاتها ومن ضمنها المخططات التوجيهية للتهيئة والمعمار. لقد جاءت هذه الأخيرة لتغطية فراغ كبير في ميدان التوجهات والاختيارات الأساسية للتنمية الحضرية المستقبلية والتي تفتقر إليها تصاميم التهيئة. وتعتمد هذه الأدوات الجديدة في مقترحاتها للتخطيط المستقبلي للمدن على دراسات متعددة التخصصات تهدف إلى البحث عن تنظيم ناجع لمختلف

الوظائف السكنية والاقتصادية وتوزيع منسجم للتجهيزات، مع حماية المواقع الطبيعية والمعالم التاريخية. وتشكل، بطابعها الدراسي المعمق هذا، إطاراً توجيهيا أساسيا يدعم تصاميم التهيئة بترقبات وتوصيات أكثر واقعية وأكثر موضوعية، من شأنها أن تُعارض التوسع الحضري التياري (Tendantiel) المتميز بالفوضى والتبدير.

إن أول مخطط توجيهي أنجز كان لفائدة مجموعة الرباط وسلا سنة 1970. وجاءت منذ ذلك الحين مخططات التنمية الاقتصادية والاجتماعية الوطنية ببرامج تغطية، وضعت حسب نظام تراتبي للأسبقيات أخذ بعين الاعتبار ضخامة المشاكل الحضرية وطابعها الاستعجالي. وقد حظيت المدن الكبرى هي الأولى بهذه التغطية واستفادت بعد ذلك منها المدن المتوسطة ولازال المجهود متواصلا في هذا الميدان، حيث أن آخر مخطط وطني 1999 ـ 2003 يفيدنا ببرمجة مكثفة لمواصلة دراسات جديدة تهم مجموعة من المدن والمناطق ومراجعة القديم منها.

ويبدو من خلال ما سبق أن الدولة استطاعت أن تعزز سياسة التهيئة المجالية الحضرية وتوسيع مجال نفوذها. غير أن ما تحمله هذه السياسة من نقط ضعف على مستوى التوجه الوطني العام وكذا على مستوى الدراسة والتطبيق حال دون تحقيق أهدافها أكثر من مرة.

برنامج المخططات التوجيهية في طور الإنجاز
حسب مخطط 1999 ـ 2003

	1992	1993	1994
المدن والمناطق	سيدي قاسم الساحل التطواني مكناس طنجة تطوان شفشاون	ورزازات بني ملال والقطاع السقوي طنطان والشاطئ الصويرة أصيلة والساحل العرائش القصر الكبير الخميسات تيفلت	العيون والشاطئ تيزنيت سيدي إيفني والساحل تارودانت أولاد تايمة قلعة السراغنة الساحل الطنجاوي سيدي سليمان سيدي يحيى الغرب سوق الأربعاء

(يحدد الجدول تاريخ انطلاقة الدراسات)

إن غياب توجيهات وطنية واضحة للنمو المستقبلي للبلاد يراهن بمصداقية خلاصات وملتمسات المخططات التوجيهية، كما أن كثيراً ما يتم الكشف عن المقترحات المجالية المستقبلية قبل الإنجاز النهائي، الأمر الذي يشجع على المضاربة العقارية ويؤدي إلى إفشال أهداف التخطيط، فضلا عن أن الدراسات كثيراً ما تستغرق سنين طوال، مما يجعل نتائجها متجاوزة وبعيدة عن الواقع المتغير.

ومما ساهم كذلك في إضعاف هذه المخططات كونها لم تستفد من مشروعية قانونية إلا بعد تعديل قانون تعمير 1952 وتعويضه بقانون 1992. فلمدة عقدين من الزمن حُرمت هذه الأخيرة من سلطة القانون، ولم يتم استعمالها إلا كإطار توجيهي لتدخلات القطاع العمومي.

وإذا كان للاختيارات اللبرالية دور هام في نشر مظاهر الحضارة الغربية، فإن إغراء وانبهار الأهالي "بتفوقها" جعلهم ينغمسون في استهلاك نماذجها الجاهزة.

ويبقى دور المهندسين المعماريين المكونين في المدارس الأوروبية أساسياً (إلا نادراً) في تعميم النماذج الغربية بممارساتهم وإنجازاتهم ذات التصورات الغربية، مكرسين بذلك القطيعة مع الذات، وضاربين عرض الحائط بتراث ثقافي وحضاري من أغنى وأروع ما أنتجته عبقرية الإنسان. فأبدل المنزل المفتوح على الصحن المكشوف أو الرياض بالفيلا والعمارة المنغلقتين من الداخل وعُوض الزقاق الحميمي بفضاء السيارة.

وإذا كانت المشاريع التعميرية تخدم بالأساس أهدافاً اقتصادية واجتماعية، فإنها لا تخلو من أبعاد ثقافية وحضارية. ولكي ندرك هذا البعد يجب أن ندخل مدرسة التاريخ حتى لا نستمر في إعادة إنتاج كتابات وتعابير غريبة عن الذات تجعلنا نتساءل بالفعل هل مدينة الاستقلال مدينة مغربية ؟

G. Bardet, *L'urbanisme*, 1959 : H. Beguin, *L'organisation de l'espace au Maroc*, Bruxelles, 1974, 2 vol. ; A. Belal, *L'investissement au Maroc 1912 - 1964*, Casablanca 1976 : S. Benzakour, *Essai sur la politique urbaine au Maroc 1912 - 1975. du rôle de l'Etat*, Casablanca 1978 ; L. Benevolo, *Aux sources de l'urbanisme*, 1972 ; I. Cerda, *La théorie générale de l'urbanisation*, 1973 ; F. Choay, *L'urbanisme, utopies ou réalités*, 1980 ; M. Castells, *La question urbaine*, 1972 ; M. Ecochard, *Casablanca, roman d'une ville*, 1955 ; R. Escalier, *Citadins et espaces urbains au Maroc*, Tours 1984, 2 vol. ; A. Lahbani, *Villes et politiques urbaines au Maroc*, Thèse 3 cycle, Grenoble 1976 ; Lecorbusier, *Manière de penser l'urbanisme*, 1963 ; *La charte d'Athènes*, 1971 ; Al Maouil, *Les bidonvilles, où en est on au Maroc*, n° 2, 1991 ; M. Ameur, *Habitat clandestin, problèmes et potentialités*, n ° 3, 1992 ; A. El Belghiti Alaoui et L. Rharbi, *Les schémas directeurs pour quoi faire ? Revue Al Omrane*, n° 2, 1981 ;A. El Belghiti Alaoui et L. Rharbi, *Urbanisation périphériques, évaluation et enjeux, Revue de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat*, 1988 ; M. Ecochard, *Notes sur l'habitat*, n° 1680, C.H.E.A.M. ; P. Masson, *Urbanisation et habitat du grand nombre, Cahiers d'Outre-Mer*, n° 9, 1950 ; M. Naciri, *Des formes de l'habitat "sous-intégré", Herodote*, 1980 ; *Etudes des possibilités de restructuration et de prévention de l'habitat clandestin. Synthèse préliminaire*, Ministère de l'Habitat et de l'Aménagement du Territoire, 1983 ; *Etudes démographiques, population et emploi*, Rabat, 1992 ; *Plan quinquennal 1999-2003. Document provisoire ; Plan quinquennal 1960-1964 ; Plan quinquennal 1965-1967 ; Recensement général de la population et de l'habitat, 1960, 1971, 1982 et 1994*. Direction de la Statistique : *Textes et circulaires juridiques relatifs à l'urbanisme*. Ministère de l'Habitat de l'Aménagement du Terretoire 1979 ; *Texte du Dahir relatif à l'urbanisme datant du 17 juillet 1992* ; Enquêtes personnelles.

عائشة البلغيثي

السكندراني، أسرة تطوانية عريقة نسبة إلى الإسكندرية، وبعضهم ينطقها : الإسكندراني، وقد انقرضت الآن، كان منهم الفقيه العدل محمد بن أحمد السكندراني عام 1138. وقد وقفت على نسخة من كتاب *الدر المنظم في مولد النبي المعظم* للعزفيين بخطه الحسن. وفي سنة 1300 ذكر فيه منهم المعلم محمد بن الحاج أحمد السكندراني التطاوني.

م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

محمد بوخبزة

سكُورة ويكتب أيضا شكُورَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Segura وهو نفس الاسم الذي تحمله بعض الأسر الإسبانية حاليا نسبة إلى مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1171 / 1758.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1387.

محمد ابن عزوز حكيم

سْكوڤاصُو (ستيفانو -) Stefano Scovasso، تاجر إيطالي بجبل طارق، وصل إلى طنجة سنة 1860 للتجارة بها. وعين قنصلا عاما لإيطاليا سنة 1868 خلفا لأدولفو كاستيليناردو A. Castillenardo. وفي15 غشت 1871 سُمي وزيرا مقيما لإيطاليا بالمغرب، ومكث نحو 18 سنة فأصبح كبير الديبلوماسيين بطنجة سنة 1886..

عاش عازبا طول حياته، وربط صلات قوية بأسرة الساڤوا الملكية، فكان يشتري لها التمور ويمسحها بنفسه بفرشاة صغيرة ثم يبعث بها إلى الملك. اشتهر بقوته العضلية الهرقلية إلى حد تكسير قطع النقود بين أصابعه.

,قد أضاف إلى التجارة المباحة تجارة بيع صكوك الحماية للناس، فقال إنها "مادة تجارية تباع لأكبر مغال في الثمن"، فكان اليهود أعظم متهافت عليها. فقد ذكر سنة 1882 أن عدد المحتمين بدولته بلغ 139 فردا، منهم 66 من المحميين القنصليين والاستثنائيين و73 من السماسرة، نواب التجار سواء الإيطاليين منهم أو المحميين.

لم يكن سكوڤاصو على أحسن حال مع السلطات المخزنية ولاسيما مع مَحمد بن عبد الرحمان برگاش نائب السلطان بطنجة الذي كان شديد العتب عليه، ودارت بينهما مشادات ومجادلات كلامية وخصوصا أثناء فترة المشاورات بطنجة قبل اجتماع مؤتمر مدريد سنة 1880 حول قضايا حماية الأجانب للمغاربة.

كان كثير المطالب ضد الولاة ناقما عليهم، ففي سنة 1883 اتهم سكوڤاصو أحد قواد قبيلة بني حسن بمنطقة الغرب وباشا الرباط عبد السلام السويسي بخرق حقوق المحميين الإيطاليين وبالعدوان على يهود هاته المدينة الأخيرة وسماسرة تجار إيطاليين، وتوتّرت العلائق حتى ذهب السويسي سنة 1883 إلى طنجة للتصالح مع نائب إيطاليا في شأن ذلك وفي شأن الديون التي هي في ذمة أهل الرباط.

أما بطنجة فقد قدم سكوڤاصو لائحة طويلة بمطالب بلاده، متعللا بكون محتسب المدينة سجن امرأة مغربية محمية كانت تخدمه، ثم ألزم جوابا مستعجلا عنها وإلا أنزل علم إيطاليا.

وبلغ عدد الدعاوى التي قدمها سنة 1884 على الولاة والعمال والشيوخ من أجل النهب والديون الحقيقية أو الوهمية 111 قضية، تراوح مبلغها بين 245 و250 ألف فرنك. وكان في ذلك يهدد باستجلاب قطع من الأسطول الإيطالي.

كان النائب السلطاني برگاش يعرف جيدا طبعه المتقلب، ولذلك كان يتمهل في دراسة مطالبه، مما كان يخرج سكوڤاصو عن طورد ويزيد في سورة غضبه، لأنه كان يكره التأخير في بحث دعاويه، وهو الذي اعتاد فصالها بسرعة.

عزل سكوڤاصو من وظيفته بطلب من المخزن، ومع ذلك بقي في المغرب إلى أن توفي في أكتوبر 1887.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 586 . 589، 745 . 746 ؛ *التعريف*، 1 : 21 ؛ 2 : 174 ؛ *الوثائق*، 4 : 36 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، 2 : 373 ؛ *وثائق مخزنية*.

M. Bargach, *Une famille au cœur de l'histoire*, p. 131 ; J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 2 : 556 ; 4 : 81 ; 5 : 153 - 154 ; A. Laroui, *Les origines...*, 246 ; H. de La Martinière, *Souvenirs du Maroc*, p. 126 ; Anonyme, Paul Cambon, *Ambassadeur...*, p. 107.

مصطفى بوشعراء

سْكوگو (أيت -) من المجموعات البشرية المستوطنة بين قبائل زيان الغرب الملقبين بزيان موحند أوحمّو من الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية وبين قبائل بني مگيلد في الشمال المنتمين إلى أيت عبدي في الشرق وقبائل گروان وزمور في الشمال والشمال الغربي وهم جزء من اتحادية قبائل أيت أومالو.

وبهذا الموقع، وفي غياب معلومات كثيرة عن هوية هذه المجموعات، هناك من ينسبهم إلى زيان ويقدّمهم كزيان الشرق أو زيان أو قبلي (قائد معاصر لموحند أوحمّو، كان في صراع معه من أجل النفوذ) وهناك من يقربهم من بني مگيلد وقد طرح هذا الإشكال بوضي G. Beaudet منذ ثلاثة عقود خلت.

تتشكل مجموعة قبائل أيت سگوگو من ثلاث قبائل مقسمة إلى "عظام أو أغصان" وهي :

أيت عمر : وتتكون من 5 عظام وتعيش فوق مجال واسع حول ولماس كله بالهضبة الوسطى.

المرابطين : ويتكونون من 3 عظام : أيت سيدي عبد العزيز، وأيت سيدي علي، وأيت سيدي العربي.

العميين (أو العاميين) : وهم على ما يبدو خليط يتزعمهم عظم أيت عبدوس.

وإذا كان اسما القبيلتين الأخيرتين مصدر إثارة للفضول حول أصلهم، فتوزيع مواطنيهما يزيدُ في هذه الإثارة بحيث يتقدم هذا التوزيع على شكل فسيفساء. فسكانهما يختلطان تارة وتارة ينفصلان عن بعضهم، كما أنهما يملكان جماعيا أراضي شاسعة نحو الشمال الغربي تفصلهم عن أيت عمر وعلى مقربة من ضاية ويوانْ في الجبل.

ومما لاشك فيه أن هذا التقسيم وموطن المجموعات ساهما في وضع حدود الجماعات القروية في 1959 وفي التقسيم الأخير 1992 الذي عدل وتم في 1996. لكن المعطيات الطبيعية هي الأخرى ساهمت فيه.

فالمجال المعمور من طرف أيت سگوگو يمتدّ على مساحة تقدر بـ 2230 كلم2 تقريبا في شكل ممدد حسب اتجاه جنوبي - شرقي شمالي - غربي مسافة 100 كلم وبعرض 30 إلى 60 كلم وذلك من جوار ضاية أگلمان أزگزا بالكوس إلى مشارف تداَسْ بالهضبة الوسطى. وهو موزع بين وحدتين طبيعيتين متميزتين :

- الأطلس المتوسط الهضبي المنضدي الممثل في هضبة الحمام الكلسية التي تتراوح ارتفاعاتها بين 1600 و2059م وتتوصل بكميات كبيرة من التساقطات وتعرف برودة كبيرة في فصل الشتاء. فهي مجال لغابات الفلين الأخضر والأرز ولمساحات رعوية شاسعة وبها توجد منابع نهر أم الربيع.

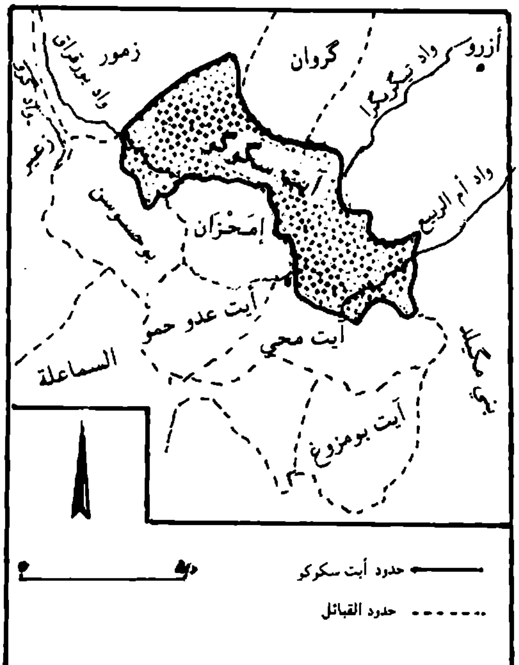

- الهضبة الوسطى وهو مجال يشرف عليه الكوس لأن ارتفاعاته تبقى دون 1300م. وتضاريسهُ موزعة بين أعراف مصففة تفصلها منخفضات وبين أجزاء هضبية وهذه خصائص مرتبطة بطبيعة صخور وبنية الوحدة. فالأمر يتعلق بوحدة قديمة تنتمي إلى الزمن الأول وهو ما يفسر ضعف انتشار التربات الغنية وضعف إمكانيات تخزين المياه في الباطن. أما الارتفاعات والتضاريس فتفسر ضعف كمية التساقطات بالمقارنة مع الكوس ولطف حرارة الشتاء.

لعب هذا الاختلاف الطبيعي دوراً كبيراً في توحيد نمط عيش وحياة السكان إلى منتصف القرن العشرين وهو نمط نصف الترحال بين الهضبة الوسطى (الازغار) حيث كان السكان يقضون الشتاء بقطيعهم ويزرعون الحبوب البكرية وبين الكوس (الجبل) حيث يقضون الصيف ويزرعون الذرة في الأراضي المسقية التي غالبا ما كانت بجوار "للإغرمان والقصبات".

وكنتيجة لإرث ثقافي وكذلك لحتمية طبيعية تميزت محاطات المجموعات المكونة لأيت سگوگو بالتفكك والتضاعف بين الجبل والآزغار ويذهب الأمر أحيانا إلى التفتت (G. Beaudet). وسادت الأراضي الجماعية وغابت مظاهر التحضر.

بدأ هذا الوضع يتغير منذ بداية القرن العشرين تحت تأثير عوامل عامة همت كل المجالات الريفية بالمغرب وعوامل خاصة بالمجال السگوگري فقط، وكحصيلة لما يقارب قرنا من التحول يمكن الرجوع إلى استنتاج (G. Beaudet, 1969, pp. 56 - 59) القائل بأن "مجال أيت سگوگو هو منطقة متأزمة". وهذا حكم مازال جاريا في الوقت الراهن.

وإذا كان لتحديد الغابة وإدخالها في ملكية الدولة ولتحديد الأراضي الجماعية ..." وللتقسيم الإداري والجماعي دور واضح في الدفع نحو الاستقرار وفي تضييق إمكانيات الاستغلال والإنتاج، فدور العامل الديموغرافي يبقى على ما يظهر أكبر.

ويفترضُ بوضي Beaudet أن لعامل القدم النسبي للاستيطان دورا في تفسير كثافة سكانية أكبر مما كان عند الجيران منذُ مطلع القرن العشرين. ويفترض أن سرعة وتيرة النمو الديموغرافي عندهم بالمقارنة مع جيرانهم عملت على ارتفاع الضغط السكاني على الأرض وهو وضع لا يتلاءم وحياة نصف الترحال ويفسر توسيع الأراضي الزراعية على حساب الغابات والمراعي خاصة بالأزغار، وتقليص حجم القطعان، والزيادة في خلط رؤوس أنواع الماشية وتطور السكن، وضيق الحيازات. ونضيفُ النزوح خلال العشريتين الأخيرتين.

فأكيد أن العامل الديموغرافي يلعب دوراً كبيراً في تحول المجال السگوگوي بحيث تزايد السكان بين 1936 و1994 بحوالي 3 مرات مارا من 28.864 ن إلى 83.811ن مما زاد في الكثافة السكانية وذلك على النحو التالي :

وبهذا التطور وزيادة الضغط على الموارد الرعيزراعية، وتوالي سنوات الجفاف ليس هناك من حل أمام الكثير من

الأسر سوى النزوح بحثاً عن موارد للعيش. وظاهرة الهجرة لم تُعرف قبل السبعينيات من القرن العشرين عند أيت سگوگو وعند جيرانهم. وظهورها وتناميها منذ ذلك التاريخ هو المحرك الرئيسي للتمدين بالمجال السگوگوي.

فإلى حدود الستينيات من القرن الماضي كانت الساكنة السگوگوية تعيش كلها في البادية. وفي 1971 تم إحصاء 7.759 ن بمركزي مريرت وولماس وفي 1982، أحصي 22.092ن بالمركزين وبمركز تغزا.

وفي 1994، 35.676 ن منهم 25.942 ن بمريرت التي ارتقت إلى صف بلدية. وهكذا يُمكن تتبع نسبة التمدين التي ارتفعت بالتوالي من 14.6٪ إلى 42.56٪.

وهذا النمو السريع لساكنة المدن الناتج عن النزوح من البادية يطرحُ عدة مشاكل بسبب تموقع السكان في تجمعات لا تتوفر على البنى التحتية وليس لها ركائز اقتصادية متينة تسمح بتشغيل الباحثين عن العمل. أكيد أن خلق وظائف إدارية بهذه المراكز والرقي ببعضها إلى وضع بلدية قد يساهم بعض الشيء في التنشيط، لكنه لا يحل المشاكل الكبرى. ويكفي الإشارة إلى ما تعانيه مريرت من محنة فيما يخص التزود بالماء وفيما يخص التخلص من الماء المستعمل ومن الأزبال. ووضع واد تغزا الملوث خير شاهد.

كان للعامل الإداري هو الآخر دور واضح في تحول المجال السگوگوي وذلك بالدفع نحو الاستقرار وتكسير وحدة نمط العيش التي تحدث عنها بوضي Beaudet والدفع إلى تصور جديد للمجال المعيش ولتنظيمه.

فإذا كان أيت سگوگو تابعين لنفوذ القائد أو قبلي الذي كان في صراع مع القائد محند أحمو، فهذه الوحدة ستتكسر أيام الاستعمار الفرنسي الذي ألحق أيت عمر بجهة الرباط والمرابطين والعاميين بجهة مكناس. وهو وضع كرسه التقسيم الإداري والجماعي بعد الاستقلال. فآيت عمر الذين قسموا بين جماعتين قرويتين أصليتين ولماس وبوقشمير ظلوا تابعين لنفوذ الخميسات كدائرة في إقليم القنيطرة أولاً وكإقليم مستقل ثانياً.

أما المرابطيون والعاميون، فاحتفظ بهم مجتمعين داخل جماعة الحمّام نسبة إلى المركز. وهي جماعة ألحقت إداريا بدائرة أزرو التابعة لإقليم مكناس سابقاً قبل أن تلحق بدائرة وإقليم خنيفرة.

ونظراً للتطور الديموغرافي وما يصاحبه من مشاكل من جهة ولشساعة مساحة الجماعات القروية الأصلية والتباين المتزايد لمصالح السكان ولانشغالاتهم بسبب المسافات من جهة ثانية، وأخيراً رغبة وبحثا عن إنعاش التنمية خضعت كل من جماعة الحمام وبوقشمير الأصليتين إلى تقسيم جديد شأنهما شأن معظم جماعات المملكة وذلك في 1992 مع تعديل في 1996.

فجماعة الحمّام القروية الأصلية توزعت كالتالي :

- جماعة الحمّام القروية المتفرعة
- بلدية مريرت
- جزء من جماعة البرج المتفرعة

وكلها موجودة بالهضبة الوسطى

- جماعة أم الربيع القوية المتفرعة. وتهم الجزء الجبلي أي الهضبة الكلسية.
- أما جماعة بوقشمير الأصلية فأعيد تقسيمها بين :
- جماعة بوقشمير المتفرعة
- وجماعة أيت يشو

ومن الأكيد أن خلق هذه الحدود في وقت تراجعت فيه حركة الانتجاع سيعجّل بانتهاء ما تبقى من مظاهر ذلك النمط من الحياة المعتمد على نصف الترحال.

إن انطباع كل من تجول بالمجال السگوگوي هو الطابع الريفي شبه المطلق لساكنته ولاقتصادها، وعزلته بالرغم من اختراقه من طرف الطريق الرئيسي رقم 24 الرابط بين فاس

جدول 1 : تطور ساكنة أيت سگوگو (بالنسمة)

السنوات / المجموعات	1936	1960	1971	1982	1994	الكثافة السكانية (ن/كلم2)	
						1936	1994
أيت عمر (جماعات ولماس، بوقشمير وأيت يشو القروية)	8792	12693	17043	19438	24966	8.6	24.3
المرابطين والعاميين (جماعتا الحمام وأم الربيع القرويتان)	20072	28564	35990	46424	58845	15.7	46.2
المجموع	28864	41257	53033	65862	83811	12.5	36.4

المصدر : الإحصاءات العامة للسكان والسكن

ومراكش عبر خنيفرة وبني ملال وهو ما يعني تخلف هذا المجال.

فاقتصاد أيت سگوگو يقوم على الفلاحة الجامعة بين الزراعة وتربية الماشية في إطار تقليدي يهدف إلى الاكتفاء الذاتي.

وبالنظر إلى تزايد عدد السكان الذي يستوجب الرفع من الإنتاج ليس هُناك من خيار سوى توسيع الرقعة المحروثة وتكثيف النظام الزراعي والزيادة في عدد رؤوس الماشية مع تحسين ظروف تربيتها كلما أمكن ذلك. لكن أمام ضعف إمكانيات التكثيف تبقى الزيادة في الرقعة المحروثة الحل المعتمد. وهو حل يغير من وضع الأرض القانوني، ومن تركيبتها من حيث استعمالاتها الكبرى ومن تركيبة استعمال التربة بالأرض الزراعية من جهة ومن ظروف تربية الماشية من جهة أخرى.

فأهمية أراضي الملك الخاص تزداد على الأقل بوتيرة متناسبة مع توسيع الأرض الزراعية وذلك على حساب الأراضي الجماعية خاصة التي لم يتم تحديدها وهو ما يقلص المراعي ويفقرها من حيث التنوع النباتي.

أما أهمية الأراضي الزراعية فقد تطورت بشكل ملموس إذ تضاعفت مساحتها بما يقرب 4 مرات بالمقارنة مع وضعية 1930.

ففي 1996 وصلت مساحة هذه الأراضي إلى 50.214 هكتار موزعة بين أيت عمر بحصة 21.000 هـ، وهي موزعة بين القطاع البوري بحصة 95٪ وبين القطاع المسقي بحصة 5٪ فقط ويتم استعمالها على النحو التالي :

65٪ مخصصة للحبوب البكرية (القمح والشعير أساساً).

32٪ تترك للراحة،

03٪ فقط مخصصة للقطاني والخضر والعلف وللأشجار...

ويبقى استعمال التربة هذا شبيها بما كان عليه الحال في مطلع القرن العشرين أي استعمالاً واسعا جداً وهو مالا يساير التطور الديمغرافي.

ونظراً لضعف مردود زراعة الحبوب وتذبذب كمية الإنتاج، فالقطيع يبقى ركيزة اقتصاد الأسر ورمز استقرارها واستمرارية الحيازة وهو ما يدفع إلى الاعتقاد بأن عدد رؤوس الماشية في تزايد.

لكن التحول الذي يعرفه قطاع تربية الماشية يظهر العكس بحيث يلاحظ بجانب التخلي عن التنقل بالقطيع في إطار حركة نصف الترحال، وخلط أنواع الماشية في القطيع الواحد تراجع في الثروة الحيوانية وهي ملاحظات قام بها بوضي Beaudet.

وبالاعتماد على معطيات دراسته التي لم تدرج أيت عمر (أي المجال الموزّع حاليا بين جماعات ولماس، بوقشمير وأيت يشو القروية) ونتائج الإحصاء الفلاحي العام لسنة 1996 يمكن تقدير نسبة تراجع عدد رؤوس الماشية (أبقار، أغنام وماعز) بين 1930 و1996 بـ 40٪.

فعدد رؤوس الماشية عند مجموع أيت سگوگو في 1996 لم يسجل سوى 218.347 موزعة بين 9.612 رأس للأبقار و148.918 رأس للأغنام و59.817 رأس للماعز. وهو عدد يحدد متوسط حصة كل أسرة في 15 رأس (وفي 24 رأس إذا نحن أخرجنا أسرَ بلدية مريرت من الاعتبار).

بالنظر إلى المساحة الزراعية واستعمالها وإلى عدد رؤوس الماشية وبنية القطيع حسب الأنواع وإلى الساكنة نخلص إلى كون الأسر السگوگوية المكونة من 6 أفراد كمتوسط تعيش كل واحدة من استغلال 5 هكتارات لا يزرع منها سنويا سوى 3 مخصصة للحبوب التي قد تأتي غلتها أو لا تأتي ومن منتوج قطيع متوسط مكون من 15 رأساً منها بقرة. إنها معطيات تدل على ضعف المدخول وتنبئ بنزوح في المستقبل وبخطر تدهور الموارد الطبيعية.

يدخل المجال السگوگوى ضمن المجالات الجبلية وغير الجبلية التي تعاني من العزلة والتي يتحتم على ساكنتها البحث عن الحلول لإرضاء حاجياتها الأساسية بعين المكان عن طريق تعبئة المواد الطبيعية المتوفرة. وبما أن هذه المجالات هشة وموادها محدودة فهي معرضة للتدهور وجزء من ساكنتها محكوم عليه بالنزوح إلى تجمعات الفقر حيث تغيب البنى التحتية والأسس الاقتصادية المتينة الكفيلة بضمان العمل وحياة أفضل لكل المتوافدين.

إنه جانب من جوانب إشكالية إعداد التراب وإشكالية التنمية المستديمة ببلادنا. وهما إشكاليتان متصاحبتان لن يتأتى حلهما بدون معرفة دقيقة للميدان أولاً وبدون رغبَة أكيدة في العمل من أجل إيجاد الحلول للقضايا المطروحة على المستوى المحلي في إطار مقاربة شمولية يُراعى فيها مبدأ التكامل والتضامن.

فهل معرفة هذه المجالات وقضاياها في مستواها الحالي كافية ؟ وهل كل الأطراف المعنية والمسؤولة ملمة ومؤمنة بهذه المقاربة ؟ وهل العمل ميدانيا فيما يخص إعداد وتنمية المجالات الريفية المهمشة مثل مجال أيت سگوگو متناسب مع الخطاب ؟

في انتظار جمع عناصر الجواب ومستقبل يكون أفضل يبقى المجال السگوگوي كما لخَص وضعيته بوضي منذ ثلاثة عقود خلت "منطقة متأزمة".

الإحصاءات العامة للسكان والسكن، 1936، 1960، 1971، 1982، 1994 ؛ الإحصاء الفلاحي العام، 1996.

M. Abès, *Les Izayan d'Oulmès, A.B.*, vol. I, Fasc. 2, 1915 ; G. Beaudet, *Les Beni Mguild du nord, étude géographique de l'évolution récente d'une confédération semi-nomade, R.G.M.*, n° 15, 1969 ; *Le plateau central marocain et ses bordures, étude géomorphologique*, Rabat, 1969 ; E. Laoust, *L'habitation chez les transhumants du Maroc central, Hespéris*, n° VI, Paris, 1935 ; R. Peyromet, *Tadla, pays zaïan, Moyen Atlas*, Alger, 1923.

محمد كربوط

السكونتي، زايد بن حساين، وينطق به محلياً الشيخ زايد أُوسكونتي. وُلد حوالي 1307/ 1890 بقصر تاسكونتيت في منطقة إدموما، ذات المسالك الوعرة في أعالي نهر غريس. وهي منطقة تابعة لقيادة أملاكو بدائرة الريش، إقليم الرشيدية. وكان والده "حساين أو سكونتي" ينتمي إلى فرقة "أيت طالب" وهي الفرقة التي يطلق عليها أيضاً "إعشاقن"، وتنتمي هذه الفرقة إلى "أيت عيسى إزم" من أقوى أخماس أيت مرغاد بسبب خصالهم الحربية ووفرة عدد الفرسان والمحاربين الذين يمكن استنفارهم في حالة الحرب كما حدث في معركة تيلوين التي وقعت بين أيت مرغاد وأيت عطا سنة 1884 وتفوق خلالها أيت مرغاد. ومكنت هذه المجابهة من إبراز قيادات وشخصيات حربية ضمن "أيت عيسى إزم".

كان والد زايد أوسكونتي ضمن الشخصيات الحربية وضمن أصحاب الرأي السديد في قبيلته. ونظراً لما أبرزه زايد أو سكونتي من ذكاء وشجاعة وقدرة على تحمل المشاق أرسله والده ليستكمل تربيته إلى إحدى بيوتات ميدلت أي لدى "القائد حمو عسو" : أحد أبرز أعيان منطقة زيز. ومكنته الإقامة في ميدلت من الاطلاع على ما يجري في البلاد خاصة وأن ميدلت تعد الممر الأساسي من تافيلالت نحو العاصمة فاس أو نحو مكناس. ومنذ ذلك الحين أدرك "زايد أو سكونتي" الأخطار التي تهدد البلاد وساهم ذلك في تكوين شخصيته الجهادية بالإضافة إلى مجموعة من الأحداث سبقت ولادته بقليل أو رافقتها، ومن ذلك انهيار المجتمع المغربي بعد وفاة السلطان الحسن الأول وفتح المجال لقطاع الطرق وتعرض فقراء الفلاحين للنهب فأصبح التنقل من منطقة إلى أخرى يتطلب الحيطه والحذر. وفي هذا الوقت بدأت تتأكد التهديدات الفرنسية انطلاقا من الجزائر وبدأت في اقتضام أجزاء من التراب الوطني وإضافتها إلى مستعمرتها سالفة الذكر.

في خضم هذه الأحداث، استشعر الشيخ زايد أو سكونتي ووالده الأخطار المحدقة بالبلاد فانتقلا إلى واحة تاديغوست في سافلة نهر غريس، أحد روافد زيز، وأخذ يعد للدفاع عن الوطن، وحتى يلعب دوراً قياديا، فقد سعى إلى توفير الشروط المادية لحركته.

وهكذا تزوج من سيدة غنية هي السيدة" عائشة واسو" التي وضعت ثروتها المتواضعة رهن إشارة زوجها لتموين الجهاد. كما لعبت زوجته الثانية "يطو حمو" من أيت عيسى أزم دوراً هاماً في تشجيعه على الجهاد.

فانطلق المجاهد زايد أو سكونتي ينظم جماهير الفلاحين عبر مسافات شاسعة من البلاد تمتد أحيانا من أعالي نهر ملوية وأعالي نهر زيز والأطلس الكبير المركزي إلى تخوم تافيلالت وواحات غريس، وفركلة وتدغة، وانضمت إليه قبائل أيت حديدو وأيت ازدك وأيت مرغاد (أيت يافلمان) وكذلك أيت عطا وأيت سخمان، بحيث وحد خلفه جماهير الفلاحين ونظمهم للنضال الوطني ودخل في حرب طويلة الأمد مع القوات الفرنسية امتدت من 1908 إلى 1933.

وخلال الفترة الممتدة ما بين 1908 و1930 شارك زايد أو سكونتي في كل المعارك التي شهدتها الناحية الوسطى للأطلس الكبير الأوسط والواحات وما بين 1930 و1933 قاد بنفسه المقاومة والجهاد. ومع مرور السنوات أخذت صورته تتألق بفضل الانتصارات المتتالية التي حققها في كل المعارك البطولية على خط يمتد من واحات تافيلالت وغريس وفركلة وتدغة إلى أعالي جبال الأطلس الكبير والأوسط، فقد شارك في معارك بودنيب (1326 / 1908) حيث لبّى نداء مولاي أحمد بن الحسن السبعي، الذي نادى بالجهاد لصد الغزو الفرنسي على بودنيب وغيره من المراكز التي تعرضت للاحتلال الفرنسي ما بين 1907 و1908، وقد استنفر أو سكونتي ووالده جماعة من المقاومين من أيت مرغاد (أيت يافلمان) فشارك في الانتصار الذي حققه المقاومون على الجيوش الفرنسية في معارك بودنيب والمنكوب 1908، إلا أن هذه الانتصارات لم تمنع الجيوش الفرنسية من الزحف على تافيلالت، فأدرك أوسكونتي عدم جدوى المجابهة المكشوفة مع عدو يتفوق في الأسلحة والتنظيم، وزادت معارك تافيلالت من تعميق هذه الفكرة.

وفي معارك تافيلالت 1336 / 1918 استجاب أو سكونتي وجماعة من أيت مرغاد للنداء الذي وجهه مبارك بن الحسين التوزنيني وخليفته بلقاسم النكادي، فالتحق بالمقاومة، وشارك كذلك في الانتصارات التي حققها المقاومون في معارك البطحاء وتيغمارات، إلا أن النزاع حول الزعامة انتهت بمقتل التوزنيني من طرف النكادي مما أدى إلى إضعاف المقاومة، فاستخلص أوسكونتي الدروس من كل هذه المقاومات، فأخذ ينظم أتباعه من أيت مرغاد لتنظيم المقاومة بشكل يراعي تفوق الجيوش الفرنسية من حيث العتاد الحربي واعتمد في مقاومته على استغلال التضاريس الوعرة للمنطقة ومباغتة طوابير الاحتلال في المسالك الجبلية الوعرة.

أمّا المعارك التي قادها زايد أوسكونتي ففي بداية 1348 ـ 1930 التجأت جماعة من المقاومين المنتمين إلى قبائل أيت حمو تالسينت إلى منخفض تاردة، ولما علمت الجيوش الفرنسية بقصر السوق (الرشيدية) بوجود هؤلاء المقاومين، باغتتهم بالهجوم، وقد كان أوسكونتي يقيم بقرية تاديغوست على مقربة من مكان إقامة أيت حمو، ولما بلغه خبر الهجوم الاستعماري استنفر بسرعة أتباعه الذين حاصروا الجيوش المغيرة من كل جانب، ومنعوا عليهم فرص الانسحاب والتقهقر وبذلك حققوا انتصاراً باهراً سجلته صحف الاستعمار وتقارير ضباط الشؤون الأهلية ومنذ ذلك الحين أصبح أوسكونتي مطاردا من جيوش الاحتلال، فالتجأ إلى قمم الجبال لتنظيم مقاومته.

وقد وصف العقيد جون صولاي Cl J. Saulay في كتابه تاريخ الكوم المغاربة حصيلة معارك تاردة بقوله "لقد كانت الحصيلة جد مأساوية، وهكذا فقد اللفيف الأجنبي من بين

صفوفه 3 ضباط من رتب عالية، و60 جندياً، وكلهم قتلوا في الميدان، أما الكوم فقد فقدوا 30 جنديا، في حين قتل من المجندين بين القبائل 60 مجندا.

وظلت أشلاء هؤلاء جميعا وجثثهم في ساحة المعركة إلى أن تم دفنهم بتاردة لاحقا".

ومعارك بادو سنة 1933 : قبل مواجهة الجيوش الاستعمارية في جبل بادو الواقع في الأطلس الكبير المركزي الشرقي، خاض أوسكونتي مجموعة من المعارك بغية استدراج القوات الفرنسية إلى قمم جبل بادو ذات المسالك الوعرة ومن بين هذه المعارك :

- معارك "تالاتن يغشى" بأعالي نهر غريس
- معارك اغبالو نكردوس.

وكانت خطط أوسكونتي تقوم على مهاجمته للقوات الاستعمارية في أماكن مختلفة ومتباعدة نسبياً وذلك لزرع الرعب في صفوف القوات الاستعمارية المغيرة، وتشتيت قواتها، كما استعان بالفقهاء والعلماء وذلك بإصدار الفتاوى وتحريض الناس على الجهاد، وبذلك دحض ادعاءات الكتابات الاستعمارية التي جعلت من مقاومته عملا من أعمال السيبة والانشقاق، ومن أشهر العلماء الذين افتوا بضرورة الجهاد "سيدي محمد بن الحاج اوتالت فراوت" والذي ساهم في التفاف الجماهير حول مقاومة أوسكونتي".

وقد حقق هؤلاء انتصارات في مجموعة من المعارك منها معركة "تالاتن يغشى" التي وقعت يومي 5 و6 غشت 1933، وكتب عنها العقيد فوانو Voinot. يقول : "بعد تكوين وتنظيم القوات المكلفة باحتلال "تالاتن يغشى" تقدمت هذه القوات نحو هدفها يوم 6 غشت إلا أنها فوجئت بهجومات مباغتة للمنشقين القادمين من "بادو" وأرغمت هذه الغارات قواتنا على التراجع نحو ضفاف أحد روافد وادي "تالات ن يغشى" وكانت خسائرنا في هذه المعركة قد بلغت 44 قتيلا و51 جريحا ومقتل 4 ضباط من رتب متفاوتة بين عقيد ومقدم ونقيب ..."، وقد كان "زايد أوسكونتي" هو الذي خطط لهذا الانتصار الساحق ضد القوات الاستعمارية. وأثارت هذه المعارك معارضة داخلية في فرنسا.

أخذت الجيوش الاستعمارية تضيق الخناق على أوسكونتي وتفرغت للقضاء على مقاومته، بعد إخماد مقاومة جبل صاغرو بزعامة عسو وبسلام خلال مارس 1933، ودفعت هذه الظروف أوسكونتي للاعتصام بقرون الجبل وقممها الوعرة مثل قمم اسكروسو وبادو. وهي جبال شاهقة تطل على واحات غريس. وقد جندت الجيوش الفرنسية قوات ضخمة يقودها ضباط لامعة أسماؤهم في الغزو العسكري للمغرب بينما لا يتوفر أوسكونتي وأتباعه إلا على حوالي 300 بندقية منزوعة في أغلبها من الجيوش الاستعمارية، وقد عوض المقاومون هذا التفوق الاستعماري بمعرفتهم لتضاريس المنطقة. ومباغتة الجيوش الاستعمارية وهي تقنية عسكرية يتفانى أوسكونتي باستمرار في استغلالها لتحقيق الانتصارات. وإلى جانب ذلك حاول الرفع من معنوية أتباعه باستصدار فتوى من الفقيه المسمى "سيدي محمد بن الحاج أوتالت تافراوت" إذ سأله أوسكونتي بحضور المقاومين عن المستقبل الذي ينذر بسيطرة الاستعمار على المغرب فأجابه الفقيه بما معناه :

"الجهاد الجهاد ... إن الله لا يرضى لعباده الكفر ولكن إذا قدر الله وسقطتم تحت نيران المستعمرين فهناك بيت لا يدخله الكفر وهو القلب" وأردف قائلا "بأن الاستسلام كفر" وقد استشهد هذا الفقيه بجبل بادو والسلاح في يده.

حاصرت الجيوش الاستعمارية جبل بادو ودارت معارك طاحنة خلال النصف الأول من شهر غشت 1933 على ارتفاع 3000م واستعمل الطيران الحربي لقنبلة عيون الماء والماشية. كما حل الجنرال جيرو بتنغير وذلك على مقربة من جبل بادو للإشراف على العمليات العسكرية، وتطبيق الحصار على المقاومين وذلك قصد إرغامهم على الاستسلام بفعل الجوع والعطش والأوبئة. وانطلاقا من 23 غشت 1933 سيطرت جيوش الاستعمار على عيون الماء المتبقية في أيدي المقاومين وأمام هذه الوضعية المتأزمة اضطر أوسكونتي إلى فتح المفاوضات مع قادة الاستعمار. وفي 29 غشت 1933 استقبل الجنرال هوري أوسكونتي بكل ما يستحق من تقدير كبطل من أبطال المقاومة في الأطلس الكبير والمتوسط الوسط. كما حضر فريق سينمائي لتصوير مراسيم الاستسلام، وظل أوسكونتي وغيره من أبطال المقاومة يجسدون الروح الوطنية لدرجة أن الأوساط الاستعمارية كانت تهابه وتقدر شجاعته، وتهافت كتاب نظام الحماية ومؤرخوه على بيته المتواضع لدراسة سيرته الذاتية وفي نفس الوقت ظلت هذه الأوساط تكن له العداء بسبب الهزائم التي ألحقها بجيوشها مما جعلها تستعين بعملائها لاغتيال أوسكونتي وذلك بدفعه من أعلى قمة جبل غدرا سنة 1944 أثناء رحلة للصيد. وبذلك انطفأ نجم أحد أكبر زعماء المقاومة العفوية المسلحة.

م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، 1985 ؛ م. المعزوزي وهاشم العلوي، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935*، الرباط، 1986 ؛ ع. القادر بوراس، *ملامح عن مقاومة زايد أوسكونتي، مقاومة أهالي تافيلالت والأسطوغرافيا الاستعمارية*، مجلة *دار النيابة*، العدد 28. 1991، ص. 38-44.

G. Spillman, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Rabat, 1936 ; Gl. A. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central*, Paris, 1946 ; Cl. L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939 ; J. Saulay, *Histoire des Goums marocains*, t. I. Paris, 1981 ; Cl. B. Lancon, *Les dernières étapes de la pacification dans le grand Atlas marocain, 1931 - 1933*, *Revue Militaire Française*, Aout-Septembre 1934.

عبد القادر بوراس

السَّكُونْدُو ويكتب أيضا الشَّقُنْدي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Segunti نسبة إلى مدينة السكوندو Secunda

الإسبانية الواقعة قرب قرطبة : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1170 / 1757.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1389.

محمد ابن عزوز حكيم

سكياط، زاوية ركراكية بقبيلة الشياظمة على الضفة الجنوبية لوادي تنسيفت : اشتهرت في القرن الثالث عشر (19 م) بالفقيه الصوفي عبد الله بن علي السكياطي، وابنه الفقيه مَحمد اللذين أضفى عليهما السلطان عبد الرحمن بن هشام وابنه محمد سرابيل التوقير والاحترام.

السكياطي، عبد الله بن علي بن مسعود الرجراجي، عالم زاوية سكياط الرجراجية بقبيلة الشياظمة في الضفة الجنوبية لوادي تانسيفت، أستاذ إمام مقرئ متفنن، قال عنه الكانوني : "كان رحالة إماما، رحل لمراكش وفاس، ومصر، والحرمين الشريفين، ومكث بمصر سنة، واستغرقت مدى رحلته عشر سنين، ورجع بعلم غزير بثه في صدور الرجال.." (*أسفي وما إليه*، ص. 26).

كان السكياطي قد تعاهد مع محبه الشيخ محمد التهامي الأوبيري بأن من تقدم منهما موتا يكتب عنه الآخر، فمات السكياطي أولا، فكتب عنه الأوبيري كتابا بعنوان : إتحاف الخل المواطي ببعض مناقب الإمام السكياطي، قال عنه فيه : "كان رحمه الله شيخا حسن العمة (كذا) (ولعلها النغمة)، كثير الهمة، مليح الوجه، طاهر اللون، رجلا بين الرجلين، أبيض مشوباً بصفرة، مثل لون أهل الجنة، منور الشيبة تجللته السكينة والوقار، مشتهراً بالخير، كأنه نار على علم أو منار، صدوق اللهجة، رافقته أكثر من عشر سنين، فما رأيت أصدق لهجة منه، أحرز ملابس الثناء، كثير الحياء... ومع حيائه الكثير، فهو - رحمه الله - في الحق سيف صارم، لا يخاف في الله لومة لائم...

ومن ورعه أنه امتحن أيام السلطان مولانا سليمان بطلبه للقضاء، فذهب إليه راغبا منه أن يعفيه من ذلك، فلم يرفع له رأسا، وقال له : مثلك يجبر بالسجن والضرب على تولية القضاء، وذلك لما سمعه عنه من صرامته في الحق، وكتب له إني وليتك القضاء، ولا يتعرض لك أحد، فسكت، ولما رجع عنده فر بنفسه حتى أنجده الله بصدقه في عدم إرادته تلك الخطة... فصرف له السلطان بأني أعفيتك من ذلك، فرجع إلى موضعه".

أخذ عبد الله السكياطي عن محمد بن أحمد بن العربي الرجراجي أصلا المراكشي مولداً ووطناً، كان خيراً ديناً رقيق القلب، كثير البكاء، وكان خطيبا بمسجد هيلانة، مات بمراكش ودفن بصحن مسجده، ومدرسته المعروفة له هناك بباب داره في حومة باب هيلانة أحد أبواب مراكش.

كما أخذ عن أحمد بن طاهر الأندلسي أصلا المراكشي مولداً ووطناً وهو عمدة قراءته بمراكش في الفقه والنحو والأدب، وكان جامعا مانعا موصوفا بالديانة، والورع والصيانة كثير الصيام ؛ وعن علي البوعناني جزءاً من الشاطبية في القراءات السبع، وعن أحمد الشاوي لقباً التادلي نسبا المراكشي وطنا، قرأ عليه بعضا من الألفية لابن مالك في النحو، وصدرا من رسالة ابن أبي زيد القيرواني كما أخذ عن السيد محمد بن علي الدكالي الهلالي العبني المشارك النحوي أخذ عنه الألفية وتصوير الهمز والضبط والدرر اللوامع، وبعضا من الشاطبية.

ومن مشايخ السكياطي الشيخ السيد علي بن أحمد الوزاني، ومحمد بن عبد السلام الناصري قرأ عليه المرشد المعين ليلا في سفره معه لحج بيت الله الحرام عام أحد عشر بعد الستين وألف، كما أخذ عن مشيخة فاس : محمد التاودي ابن سودة، ومحمد بن عبد السلام الفاسي، والطيب ابن كيران، وعبد القادر ابن شقرون واضرابهم. وفي مصر أخذ عن الشيخ الأمير المالكي وعلي البلي الضرير، وعبد العليم السنهوري وغيرهم.

كان الشيخ عبد الله السكياطي مسموع الكلمة في بلده، وفي الطائفة الرجراجية فهو عالمها الورع المتمكن، الذائع الصيت والشهرة، فحظي بالاحترام والتوقير من السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، وقد وقفت عند أحفاد السكياطي على ظهيرين رحمانيين موجهين إلى الشيخ عبد الله السكياطي وولده مَحمد بالتعظيم والتوقير.

هذه المكانة العلمية للشيخ السكياطي جعلته مرموقا عند أولي الأمر بالإضافة إلى شأن أسلافه المرابطين الرجراجيين، فاجتمع له فضل العلم وفضل النسب، فنال بذلك ما هو أهل له من التجلة والتوقير والتعظيم والذكر الحسن كما شمل ذلك التوقير أسرته وأقاربه.

توفي بمراكش عام 1244 / 28 - 1829.

م. التهامي الأوبيري، إتحاف الخل المواطي ببعض مناقب الإمام السكياطي، مخطوط ؛ ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 7 : 2539.

إبراهيم الوافي

سكيرجْ أو السكيرج - بالتعريف - من الأسر المغربية التي اشتهرت بالعلم والأدب تنتسب إلى الأنصار الخزرج، وتنحدر من بعض الحصون الأندلسية المسماة بهذا الاسم (سكيرج) هاجر بعضهم إلى المغرب واستوطنوه، منهم من أقام بتطوان، ومنهم من انتقل إلى فاس، ومازالت فروع الأصلين إلى الآن بالمدينتين أقدم من عرف منهم بتطوان : الحاج عبد الرحمن السكيرج، ناظر أحباس ضريح سيدي السعيدي عام 1026 قال الفقيه الرهوني وهذا التاريخ قريب من تاريخ الهجرة الأخيرة من الأندلس عام 1017 فيكون هذا الفرع قد هاجر إلى تطوان قبل هذا التاريخ، إذ لا يستحق

في *الغالب النظارة في البلد إلا من استوطنها* مدة مديدة لا من كان طارئا عليها من نحو تسع سنوات.

أخرجت هذه العائلة كثيراً من العدول والعلماء والفقهاء والتجار الأثرياء منهم بتطوان الفقيه المؤرخ السيد عبد السلام وابنه الثري عبد الخالق والمهندس الزبير، والطبيب الدكتور محمد بن أحمد وغيرهم. ومازالوا موفورين بها.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

محمد بوخبزة

سكيرج، أحمد بن **حمو** بن عبد الوهاب الفاسي، من الوراقين المشهورين في أيام المولى سليمان العلوي كان يعني بنسخ كتب السيرة حريصا على إذاعتها، محبا لها لأنها تربطه بالروح الدينية التي شب عليها، فوالده حمو هو الشاعر المشهور بمدح النبي صلى الله عليه وسلم وذكر شمائله ولقد سار على نهجه في المحبة ورغب في إذاعة الكتب الدينية التي لها ارتباط بذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أو بذكر الصحابة رضي الله عنهم يوجد في الخزانة الحسنية السفر الثاني من الاكتفا للكلاعي منسوخا بخطه عام 1237 مسجلا تحت الرقم 7743.

م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، ص. 212.

محمد عبد العزيز الدباغ

سكيرج، أحمد بن **العياشي** الخزرجي الأنصاري الأندلسي الفاسي. الفقيه الأديب الشاعر المؤلف القاضي.

وُلد في حدود عام *1295 / 1878* وتلقى العلم بفاس عن علمائها الأكياس، كالشيوخ أحمد *ابن الخياط*، ومَحمد القادري، وعبد الله البدراوي، ومَحمد گنون، وعبد السلام الهواري، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، ومحمد بن عبد القادر ابن سودة، وقد أجازه هذا اجازة عامة وغيرهم.

تولى أولا الكتابة مع الوزير الگباص بطنجة، ثم القضاء بمدينة وجدة، ثم عضواً بمحكمة الجنايات بالرباط. كما تولى القضاء أيضاً بثغر الجديدة ثم بمدينة سطات. كما كان عضواً بجمعية أحباس الحرمين الشريفين.

رزق حظا وافراً في الشعر والنثر، وأعطى جَلَداً على الكتابة والتأليف حتى أربت مؤلفاته على المائتين والخمسين فيما قال شقيقه الفقيه محمد. منها : *الفذلكة الجامعة في صرف الجامعة*، طبعت. وشرح أرجوزة محمد بن الطيب سكيرج التي عارض بها (الشمقمقية) لابن الونان وكشف *الحجاب عمن تلاقى مع التجاني من الأصحاب* طبع على الحجر بفاس، وذيله وشرح مختصر بنيس *في الطريقة التجانية* سماه *الكوكب الوهاج* بشرح درة *التاج* طبع بتونس في مجلد. وله نظم كثير جداً منه *معشرات* على حروف المعجم في المديح النبوي طبعت على الحجر بفاس، ويلاحظ أن معظم مؤلفاته في الدفاع عن الطريقة التجانية وصاحبها مع مبالغة وغلو. وله مدائح مع صديقه الحميم الشيخ عبد الحي الكتاني.

وله إخوة على رأسهم شقيقه الفقيه الأديب محمد، وأبناء على رأسهم الأديب الشاعر عبد الكريم والطبيب الدكتور محمد. وفي سنة 1352 في شهر جمادى الأولى زار المترجم له مصر في طريقه إلى الحج فاحتفل لمقدمه التجانيون ومدحوه شعراً ونثراً جمع في جزء طبع بمطبعة الصاوي بعنوان ذكرى *زيارة سيدي أحمد* سكيرج. وفي عودته أقيم له احتفال أكبر جمعت مواده في جزء ثان طبع بمطبعة الصدق بالقاهرة بعنوان *ذكرى سفر سيدي أحمد سكيرج إلى الأقطار الحجازية*، وعودته *إلى* مصر في طريقه إلى بلاد المغرب وفيه تسمية من رافق المترجم له في رحلته. ومن لقيه بالحرمين من العلماء وغيرهم. وأخبار تتعلق بذلك. وكان للدكتور تقي الدين الهلالي المغربي معرفة وثيقة بالمترجم له ومساجلات أدبية. وقد كلفه بتدريس الأدب لابنه عبد الكريم.

وتنيف مؤلفاته المعروفة على مائة كتاب، كثير منها مطبوع :

1 - *الأجوبة المرضية عن الألغاز النحوية*، وهي نونية أجاب بها عن الغاز أبي سعيد فرج بن لب الثعلبي في النحو وهي نحو الستين لغزا.

2 - *الأدلة المقنعة في شرح المنفرجة*.

3 - *إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي*، فرغ من تأليفه في غرة عام 1316 هجرية. طبع مع *الروضة اليانعة والتمرة النافعة في صرف الجامعة* بالمطبعة الحجرية بفاس بخط مؤلفه، ترجم إلى اللغة الفرنسية.

4 - *أسنى المطالب فيما يعتني به الطالب*. كناش جمع فيه بعض الفوائد.

5 - *استخراج تراجم النحو من البسملة*.

6 - *الإنباء بنصح الأبناء*.

7 - *إيقاظ القرائح لتقييد السوانح*. يوميات نحو الأربعة شهور ابتداء من فاتح محرم 1328 في صفحات 92.

8 - *الإيمان الصحيح في الرد على مؤلفات الجواب الصريح*. طبع بتونس سنة 1357 صفحاته 132.

9 - *البدر المنير في الطب التجاني المرفوع لمولانا الكبير*.

10 - *بستان المعارف فيما أورده الوارد من اللطائف عند بعض المواقف*. تدبر في بعض الآيات من القرآن الكريم في صفحات 63.

11 - *تاج الرؤوس بالتفسح في نواحي سوس*. رحلة منظومة في صفحات 69 طبع بالمطبعة الجديدة بفاس.

12 - *تجريد أسئلة الحكيم الترمذي*. وهي 155 سؤالاً من الفتوحات المكية لابن عربي.

13 - *تجريد أسئلة الشيخ محمد الكتاني*. وهي 155 سؤالاً جعلها الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني ديناً في عنق التجانيين في تأليفه *خبيئة الكون* وهي التي شرع في الجواب عنها بكتابه المعنون *بقرة العين في الجواب على أسئلة مؤلف خبيئة الكون* في نحو 100 صفحة.

14 - *تحفة الانام بتراجم من خمّس أبياتاً حفظتها في المنام*.

15 - تخميس *البردة المسمى بالوردة*. مطبوع على الحجر بفاس عام 1333 وصفحاته 28.

16 - *الترصيف لما لمؤلفه من التصنيف*. تعريف بتآليفه ذكر فيه نحو العشرين تأليفا.

17 - *تطبيب النفوس بما كتبته منْ بعض الدروس والطروس* (في نحو 300 صفحة)

18 - *تفريج الشدة بتشطير البردة*.

19 - تنبيه *الإخوان على أن الطريقة التجانية لايلقنها إلا من له اذن صحيح طول الزمان ولا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيف ما كان*، طبع بتونس في سنة 1339 / 1921 في صفحات 232.

20 - *تنوير الأفهام بختم تحفة الحكام*. طبع على الحجر بفاس في قالب صغير صفحاته 48.

21 - *تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني*.

22 - *ثمرة الفنون في فوائد تقرّ بها العيون*.

23 - جنة *الجاني بتراجم بعض أصحاب الشيخ التيجاني*. ترجم فيه لثلاثة عشر من أصحاب الشيخ التجاني في منظومة تصل إلى 360 بيتاً.

24 - *الجواهر المنتشرة في الجواب عن الأسئلة الاحدى عشرة*.

25 - *الجوهر المنظوم من كلام القطب المكتوم*. من كلام الشيخ التجاني رضي الله عنه.

26 - *الحجارة المقتية لكسر مرآة المساوئ الوقتية*، في الرد على ابن الموقت. طبع الجزء الأول بفاس في صفحات 104 والثاني في صفحات 134.

27 - حديقة أنسي في التعريف بنفسي.

28 - *حسن الوسائل في الأجوبة عن بعض النوازل*. وهو كناش كبير جمع فيه البعض من فتاويه.

29 - حضرة *التداني من شرح أبيات الختم التجاني*. طبع على الحجر بفاس صفحاته 14.

30 - *الحق المبين في انتصار التجانيين على علماء القرويين*. دفاع عن الفقيه النظيفي الذي أفتى علماء القرويين بحرق كتبه.

31 - *الحوض المورود في مدح سيد الوجود*. ديوان فيه قصائد في مدح الرسول الاكرم عليه السلام.

32 - حياة *القلب الفاني بمدح القطب التجاني*.

33 - خزانة *أدبية وفرائد علمية*.

34 - *الدراري المنوطة بالشعر المذكور في البخاري*.

35 - *الدر الثمين من فوائد الأديب بلا مينو الأمين*.

36 - *الذخيرة للآخرة*. ديوان قصائد تقرب من السبعين في مدح الرسول عليه السلام.

37 - ذكرى *زيارة أحمد سكيرج للقطر المصرى سنة 1352* في طريقه إلى المدينة المنورة. طبعت بالقاهرة في 20 صحيفة.

38 - *الذهب الخالص في محاذاة كبرى الخصائص*. نظم جلال الدين عبد الرحمن السيوطي.

39 - *الراية المنشورة في الجواب عن الأسئلة المنوطة بالصداق والشورة*.

40 - *الرحلة الحبيبية الوهرانية الجامعة للطائف العرفانية*. طبعت بخط المؤلف بالمطبعة الحجرية بفاس سنة 1329 في صفحات 142.

41 - *الرحلة الزيدانية*.

42 - *الرحلة لتدشين مسجد باريس سنة 1925*.

43 - رسالة *الامتنان والرحمة إلى سائر الأمة*. في التصوف صفحاتها 29.

44 - *رفع النقاب بعد كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب*. في أربعة أجزاء.

45 - *الروضة اليانعة والثمرة النافعة في شرح الفذلكة الجامعة في صرف الجامعة*. طبع في المطبعة الحجرية بفاس.

46 - رياض *السلوان بمن اجتمعت به من الأعيان*.

47 - *الزرابي المبثوثة*. كناش كبير تقرب صفحاته من 300.

48 - زهر *الأفانين في الأجوبة عن الأسئلة الثلاثين*.

49 - *زوال الحيرة بقاطع البرهان بالجواب عما نشرته* جريدة *الزهراء* تحت عنوان أين حماة القرآن ؟ طبع بفاس سنة 1358 صفحاته 86.

50 - *سبيل الرشاد في المحاورة بين ذوي الانتقاد والاعتقاد*. طبع بفاس عام 1358 صفحاته 64.

51 ـ *السحر البابلي الموجه للعارف التادلي*. طبع بالأسكندرية سنة 1347 في صفحات 32.

52 ـ *السحر الحلال في مدح سيد الرجال*. طبع بالمطبعة الحجرية بفاس صفحاته 16.

53 ـ *السر الباهر بما انفرد به الجامع عن الجواهر*.

54 ـ *السر الرباني في رد ترهات ابن ما يانا العاني، التي تبجح بها في تاليفه مشتهى الخارف الحاني*. طبع بالدار البيضاء في صفحات 58.

55 ـ شراب *أهل الاختصاص من بحر السطة بين الخواص*.

56 ـ شراب *المدام بتخميس أبيات رأيتها في المنام*.

57 ـ شفاء *الأحزان في حديث "الراحمون يرحمهم الرحمن"*. هذا التأليف تكلم فيه على عدد من العلوم وجمع كثيراً من المواد لتخريجه.

58 ـ شفاء *العليل بتحويل البردة من بحر البسيط إلى بحر الطويل*.

59 ـ *الشطحات السكيرجية*. طبعت بالقاهرة سنة 1352 في 64 صفحة.

60 ـ *الصراط المستقيم في الرد على مؤلف النهج القويم*. طبع الجزء الأول بتونس سنة 1358 في صفحات 95.

61 ـ ضوء *الظلام في مدح خير الأنام*.

62 ـ *طرق المنفعة بالأجوبة عن الأسئلة الأربعة*. طبع بالقاهرة سنة 1345 ـ 1927 صفحاته 76.

63 ـ الظل *الوريف في محاربة الريف*. أخبار الحرب الريفية املاها عليه السيد محمد ازرقان عند نفيه إلى الجديدة سنة 1343 / 1924 في نحو ثمانين صفحة لم يطبع.

64 ـ *العبرة بطول العبرة*. طبع بالقاهرة قالب صغير صفحاته 32.

65 ـ *العدة من إنشاء همزية من البردة*.

66 ـ عقد *المرجان الموجه إلى الشيخ محمد بن سليمان*. طبع بتونس صفحاته 16.

67 ـ غاية *المقصود بالرحلة مع سيدي محمود*. وهي رحلته التي كان رافق فيها سيدي محمود التجاني إلى الرباط وذلك سنة 1329 في صفحات 202.

68 ـ *الاغتباط في الجواب عن الأسئلة الواردة من الغواط*.

69 ـ *الغنية الباردة بترجمة سيدنا الوالد مع سيدتنا الوالدة*.

70 ـ غنية *المحتاج في شرح واضح المنهاج*.

71 ـ *فتح الباري بشرح الحكم بالمذاكرة مع عمى الحاج الزكاري*.

72 ـ *الفتح المبين في ختم المرشد المعين*.

73 ـ فهارس *الشيوخ لصاحب قدم الرسوخ*.

74 ـ *الفيوضات العرفانية في الرد على الافريقي مؤلف الأنوار الرحمانية*.

75 ـ قدم *الرسوخ لما لمؤلفه من الشيوخ*. ترجم فيه لما يقرب من ستين شيخاً.

76 ـ *قرة العين في الجواب على اسئلة مؤلف خبيئة الكون*. هي للشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني.

77 ـ *القصيدة الكافية بتضمين الهمزية في كاملية كافية*.

78 ـ *القطوف الدانية بشرح الجامعة العرفانية*. وهو شرح رجز للمولى عبد الحفيظ سلطان المغرب سابقا في فضائل أهل الطريقة التجانية نظمها رحمه الله بغرناطة سنة 1340 وطبعت بتونس سنة 1349 ـ 1930 في صفحات 44. وقد شرح منها تسعة وعشرين بيتا فقط في نحو 84 صفحة بخطه.

79 ـ *القول المفهوم في ختم ابن آجروم*. في صفحات 10 بخطه.

80 ـ *المجموعة السكيرجية*.

81 ـ *مطالع الأسرار لمدارك الأحرار في شرح صلاة الفاتح لما اغلق* بالحروف المهملة طبع على الحجر بفاس صفحاته 16.

82 ـ *معارضة مقصورة ابن دريد*.

83 ـ *المنتخبات*. مثل تطبيب النفوس في نحو خمسين ومائتي ورقة من القالب الصغير.

84 ـ *المنفرجة*. قصيدة من بحر المتدارك على منوال منفرجة ابن النحوي.

85 ـ *منهل الورود الصافي والهدى من فتح الكافي في شرح الشافي في علمي العروض والقوافي*.

86 ـ مورد *الصفا في محاذاة الشفا*. هو نظم شفا القاضي عياض رضي الله عنه في أبيات 7747.

87 ـ مورد *الوصول لإدراك السول*. شرح لجوهرة الكمال بالحروف المهملة طبع على الحجر بفاس سنة 1332 صفحاته 12.

88 ـ *النتائج اليومية في السوانح الفكرية*. مذكرات نحو الشهرين ابتداء من يوم الثلاثاء 15 ربيع الأول عام 1330 في 67 صفحة.

89 ـ نسمات *الأسحار في نظم الأشعار*. كناش كبير بل ديوان حفيل من دواوينه الأولى وقد كتب على دفته اليمنى الحمد لله أوراق هذا الديوان إحدى وستون ورقة هكذا 61 ...

90 ـ *نصيحة الاخوان في سائر الأوطان*. وهي قصيدة نونية طويلة مطلعها :

علي أرى فرضا نصيحة اخوانـي   ومن لي بأن يصغوا بقلب وآذان

طبعت على الحجر بفاس صفحاتها 22 وطبعت أيضاً بالقاهرة على نفقة الشيخ محمد الحافظ.

91 ـ *نصيحة الصبيان في سائر الأوطان*. هي تشطير لقصيدة محمد الحجوي الثعالبي التي سماها حفظ الرمق بالتربية والتهذيب.

92 ـ نظم *العهود*، في أبيات 291.

93 ـ *نظم النقاية*.

94 ـ *النفحات الربانية في الأمداح التجانية*.

95 ـ *نفع العموم بالمسامرة ببعض العلوم*. طبعت بتونس سنة 1336.

96 ـ *نهج الهداية*. في معنى الختمية التي تظاهر بها الشيخ التجاني صفحاته 120.

97 ـ *نور السراج في شرح إضاءة التاج* على منظومة سيدي الغالي السنتيسي لدرة التاج طبع على الحجر بفاس صفحاته 62.

98 ـ *نيل الأرب في أدب العرب*. مسامرة ألقاها بالمدرسة العليا بالرباط طبعت سنة 1341 / 1922 في صفحات 28.

99 ـ *نيل الأماني في الطب الروحاني والجثماني المروي عن الشيخ التيجاني*. في جزئين.

100 ـ هدية *الزائر لنادي الترقي بالجزائر*. مسامرة ألقاها بنادي الترقي بالجزائر عام 1346 موافق 17 نونبر 1927 صفحاتها 28.

101 ـ *الوصية الشافية*. وهي منظومة طويلة في الحكم والعلوم.

102 ـ *وقاية العطب ببعض الخطب*.

103 ـ *الطريقة التجانية*. وهي من إملاء المؤلف على السيد محمد امغارة التطواني طبع على الحجر بفاس عام 1333 صفحاته 127.

104 ـ *يواقيت المعاني في مذهب الشيخ التجاني*.

105 ـ *النفحة العنبرية في الأجوبة السكيرجية* طبع القاهرة 1332 في 160 صفحة.

وقبل وفاته ذهب المترجم له إلى الجزائر العاصمة في شأن يتعلق بجمعية أحباس الحرمين. وبعد رُجوعه أصيب بمرض ذهب من أجله إلى مراكش للعلاج، فوافته المنية بعد خمسة أيام من وصوله بأحد مستشفياتها في منتصف ليلة 23 شعبان عام 1363 / 13 غشت 1944 ودفن بضريح القاضي عياض.

أ. سكيرج نفسه، *رفع النقاب بعد كشف الحجاب الربع الرابع أثناء الترجمة للسلطان مولاي سليمان رحمه الله*، *الرسالة السليمانية* ؛ م. ابن العباس القباج، *الأدب العربي في المغرب الأقصى* ؛ إبراهيم السلمي، *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية* ؛ أ. سكيرج ؛ ع. الغني سكيرج، ديوان *حب الحصيد*، مخطوط ؛ م. المهدي الحجوي، *حياة الوزان الفاسي*، المطبعة الاقتصادية عام 1935 ؛ ع. ابن إبراهيم *الإعلام*، الجزء السادس، ص. 86 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ تقي الدين الهلالي، *الهدية الهادية للطائفة التجانية* ؛ ع. السلام ابن سودة، *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3177 ؛ ع. الكريم سكيرج، *قائمة مؤلفات سيدي أحمد سكيرج في 16 صفحة*.

محمد عبد العزيز الدباغ ومحمد بوخبزة

سكيرج، الزبير بن عبد الوهاب الفاسي ثم التطواني الفقيه النزيه المهندس البارع الحيسوبي الميقاتي، السفير، الخيّر الديّن الفاضل.

ولد بفاس عام 1270 / 1853 وانتقل مع أهله صغيراً إلى تطوان، ونزل على عم له كان بها، فقرأ بها القرآن على الفقيه الأكحل بكُتابه بالسوق الفوقي، ثم رجع إلى فاس، ووقع الاختيار عليه ضمن البعثة التعليمية الحسنية إلى لندن، وكان عدد هذه البعثة خمسة عشر طالبا مختاراً وجهوا أولا إلى طنجة وأقاموا بها ثلاث سنوات تعلموا خلالها مبادئ الحساب واللغات الأجنبية برئاسة السيد محمد الگباص الذي صار بعد صدراً أعظم، ثم توجهوا إلى دول : انجلترا، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا. وبعد سنوات في الدراسة ثمة أحرز على الإجازة في الهندسة، وعاد إلى تطوان واستوطنها نهائيا، وتزوج بها وأنجب. ولم يجد في أول أمره عملا يعيش منه، فاضطر للاحتراف بالخرازة. حدثني الأستاذ داود أن المترجم له بينما هو منهمك في صنعة الخرازة بالخرازين بتطوان، إذ بصُر به بعض أقرانه في الدراسة من الانجليز. وكان دخل تطوان سائحا ـ فوقف عليه وسلم وقال : أنت فلان؟ قال : نعم، قال : ما هذا ؟ كيف تعمل خرازا وأنت مهندس كبير مثلي ؟ فأجابه الزبير : هذا فرق ما بين دولتي ودولتك.

ثم عمل المترجم له ترجمانا بطنجة وقام بمهمات هندسية وادارية في الحكومة، ثم عين مديرا للاملاك المخزنية بتطوان، وتولى الإشراف على المدرسة الأهلية (أول مدرسة وطنية عصرية بالمغرب) وخدمها بحزم ونشاط، ووضع تصميم الزاوية التجانية بتطوان، وكان من أبرز رجالها، وظل على حاله الحسنة، وسيرته المستحسنة، لطيف المعشر، حلو الحديث، متأنيا في كلامه وسائر أحواله إلى أن توفي بتطوان في 23 شوال عام 1351 / 19 فبراير 1933.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، 6 : 49 مخطوط خاص ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 4 : 465، ط. المغرب ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* ، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 8 : 3019.

سكيرج، عبد السلام بن أحمد التطاوني الفقيه العدل المؤقت الموثق المدرس المؤرخ صاحب دعابة وخفة رُوح يخرج بها أحيانا عن حد اللياقة، وقد ذكر الرهوني في ترجمته من (العمدة) طرائف وحكايات تدل على ذلك.

ولد عام 1145 / 1732 تقريبا. وقرأ القرآن على عدة مدررين، وأخذ عن علماء بلده كأبي زيد عبد الرحمن الحايك القاضي، وابن قريّش، والجنوي الكبير وغيرهم ممن ضمنهم تاريخه مع مقروآته الكثيرة والمتنوعة. ويلاحظ أنه كثيراً ما يقول : قرأت على فلان صحيح البخاري ومسلم مراراً ومختصر خليل بشروحه لفلان وفلان مراراً. وكذا وكذا مراراً، وهذا يوهم مالا يسعه العمر مهما طال، وتأويله : أنه قرأ من هذه الكتب الكثيرة الطويلة فصولا وأبوابا.

ثم رحل إلى فاس وأخذ عن شيوخها كالتاودي ابن سودة ومحمد بن الحسن بناني وغيرهم، ثم رجع إلى مسقط رأسه تطوان فتعاطى التدريس والإمامة بجامع العيون حيث سكناه

والزاوية الفاسية، وعمل مؤقتا بمنار الجامع الكبير في بعض الأوقات والشهادة بالحانوت التي كانت تحت صومعة جامع العيون، وقد أزيلت هذه الحانوت الآن في الإصلاح الأخير الذي غيرت فيه معالم الجامع رأسا على عقب.

والمترجم له أول من كتب في تاريخ تطوان كتابه الشهير الذي سماه : نزهة الإخوان وسلوة الأحزان في الأخبار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها أو تقرر من الأعيان قال الرهوني : وقد أجاد فيه وأفاد، بل انفرد بأخبار هذه المدينة دون من تقدمه أو تأخر عنه من النقاد.

والموجود الآن من هذا الكتاب نسختان ناقصتان أتمُّهُما نسخة الفقيه الرهوني وهي الآن عند بعض حفدته، والنسخة الأخرى نسخها الأستاذ داود بخطه عن الأولى إلا أنها تنقص عنها قليلاً، وأفاد الفقيه محمد السكيرج الطنجي أنه كان يوجد تاما بخزانته في مجلدين لا تقل صفحات المجلد منهما عن خمسمائة. إلا أنه اختلس منها حسب قوله. وثمة أوراق منه عند آل العطار وآل الفاسي من نسخة ثالثة لا أدري مصيرها.

ويلاحظ مَن يقف على هذا التاريخ أن فيه أوهاما تاريخية وخرافات نبّه على بعضها الفقيه الرهوني، كما أنه يبالغ في أوصاف مترجميه بكلام مسجوع بارد، وقد أشار في تاريخه إلى أنه الذي أنشأ وكتب بخطه (وكان جميل الخط) بيعة أهل تطوان لمولاي عبد الرحمن بن هشام، كما أنه انفرد بأخبار وتسمية أعلام، الشيء الذي دفع بعض المتسرعين إلى رميه بالكذب وأنه اختلق اسماء عُمال لا وجود لهم في زعمه كالقواد : الوسخ وبوردان والذيب. وهذا قذف مجرد، ومازالت بتطوان عائلتا الذيب وبوردان ومازالت قصبة الذيب ماثلة للعيان إلى الآن. ومما ينبغي أن يُعلم أنه عثر منذ سنوات على رخامة بيضاء نقش عليها اسم لعامل تطوان محمد حسن من أهل القرن الحادي عشر، ولم يذكره أحد من مؤرخي المغرب، إلا أنه ورد ذكره كما قال لي الأستاذ داود في مصادر انجليزية لعلاقات تجارية وسياسية كانت بينه بصفته عامل تطوان وحكام جبل طارق. كان المترجم له ربعة إلى الطول، اشيب، احدودب ظهره في آخر عمره، وكان في يديه انقباض وقصر في ذراعيه وداره بحومة العيون مازالت معروفة بزقاقه، توفي عن سن يناهز المائة عام 1250 / 1834.

م. سكيرج نفسه، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 6 : 285، طبع تطوان.

محمد بوخبزة

سكيرج، عبد الغني الفاسي ثم الطنجي وُلد بمدينة فاس سنة 1335 / أوائل سنة 1917، وتلقى تعليمه بالقرويين وبرع في المجال الأدبي وكان ذا روح مرهفة وشاعرية جذابة قادرة على التصوير البديع وهادفة إلى الإصلاح الاجتماعي بحيث يشعر من يقرأ شعره بصدق اللهجة وقوة البيان وسلامة النفس وطهارتها من الكذب والنفاق، تلك سمات لا تتوفر إلا عند الذين وهبهم الله شعوراً بالمسؤولية وتقديراً للقيم.

كان حريصا على أن ينقل مبادئه للآخرين وان يفهمهم بأن السكوت عن الجهر بالحق جريمة لا تغتفر ولقي من أجل ذلك عناء كبيراً أدى به أحيانا إلى أن يتلقى في عهد الحماية لطمة شديدة على خذه من أحد الفرنسيين المسؤولين عن إدارة مدرسة كان يعمل بها بمدينة فاس نظراً لأن ذلك المدير لاحظ أن هذا المعلم يلقن بعض المبادئ لتلامذته لا تتلاءم مع السياسة الفرنسية آنذاك وأنه يحث المعلمين على حفظ كرامتهم وعزتهم وعدم قبولهم للذل والصغار وكانت هذه اللطمة من أسباب انتقاله من مدينة فاس إلى مدينة طنجة حيث واصل بها أعماله الاصلاحية والتعليمية والأدبية إلى أن توفي شهر شوال عام 1417 هجرية موافق عشرين يبراير 1997.

كان مدى حياته مثالا للحزم والعمل ومواصلة الدرس والبحث والمشاركة في مختلف النشاطات الثقافية على الصعيد الوطني والصعيد العالمي بحيث لا يقتصر انتاجه على ما يهز عواطفه من أحداث داخلية ولكنه كان عالمي الشعور، يغضب من أجل الحق ويترجم غضبه إلى قصائد رائعة وإلى محاضرات مفيدة يشهد بها أهل طنجة في كل محافلهم.

شارك في ميدان التأليف بمؤلفات عديدة منها المطبوع ومنها الذي ينتظر الطبع وقد سجل في دفة بعض كتبه المطبوعة نماذج نذكر منها ما ياتي :

1 - *حب الحصيد*، ديوان طبع سنة 1987.
2 - *الطلع النضيد*، ديوان طبع سنة 1995.
3 - هؤلاء عرفتهم، في النقد الاجتماعي، طبع سنة 1987.
4 - *أحسن ما قرأت من طرائف الشعر والنثر*.
5 - *الأدب العربي في المغرب الأقصى*.
6 - *الروض المتأرج في تراجم بعض آل سكيرج*.
7 - *تجربتي الشعرية*، طبع سنة 1991.
8 - *أقطاب الحركة العلمية بالمغرب* (الشيخ أحمد سكيرج).

9 ـ *مشاهدات من البقاع المقدسة* (1972 ـ 1973).

10 ـ من *أحاديث الشعر والنثر*، حلقات كانت تذاع بمحطة اذاعة طنجة (الجزء الأول).

11 ـ *خمسة عشر يوما بالاتحاد السوفيتي*.

12 ـ *خمسة عشر يوما بجنيف*.

13 ـ *معجم جغرافي لأسماء مدن المغرب وقراه*.

14 ـ *معركة الوظيفة*، طبع سنة 1991 تحدث فيه عن اثنين وثلاثين سنة من ممارسته لمهنة التعليم.

15 ـ *سبتة اوغادة الشمال*، نال به جائزة تشجيع.

ونظراً لما أسهم به في الميدان المعرفي والتوجيه الوطني ولمواقفه المشرفة الدالة على التزامه بمبادئه الخلقية أقامت من أجله جمعية ابن بطوطة للثقافة والفن بطنجة حفلا تكريميا من 13 ـ 15 أكتوبر سنة 1994 شارك فيه عدد من الأساتذة الجامعيين والأدباء على مختلف بلاد المغرب بأبحاث وأبرزوا فيها ما للشاعر عبد الغني سكيرج من فضل على الثقافة المغربية في شتى المجالات.

توفي بطنجة يوم الخميس 18 شوال عام 1417 / 20 فبراير 1997. وقد أمر ورثته أن يكتبوا على قبره بيتين ختم بهما ديوانه حب *الحصيد* :

قيل لي ما الذي جمعت ليَوْمٍ
فيه كلٌّ بما لديه رهينُ
قلت عندي في الله ظني، وحسبي
أنه لا تخيب فيه الظنون

ع. الغني سكيرج نفسه، *ديوان حب الحصيد* : إبراهيم السولامي، *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية*، ص. 238، الدار البيضاء، مجموعة البابطين، الجزء الثالث، ص. 236.

سكيرج، عبد الكريم بن أحمد بن العياشي الفاسي الأديب الأنيق والخطاط المبدع الذي جمع بين جمال الأسلوب ورونق العبارة وجاذبية الحديث.

ولد بمدينة فاس ليلة يوم الثلاثاء 15 ربيع الأول عام 1322. ودرس بجامعة القرويين. عُني والده القاضي الحاج أحمد سكيرج بتربيته واعد له عند مغادرته لمدينة فاس بعض الأساتذة الخصوصيين الذين كان لهم تأثير واضح في تزويده بأصول الأدب وأمهات الكتب وفي تلقينه لغة أجنبية يستطيع أن يواجه بها الواقع الذي يعيشه المغرب آنذاك.

ولما أطل على سن الشباب وجد نفسه مهيئاً للمشاركة في الدعوة إلى الاصلاح الاجتماعي فنظم قصائد في الموضوع تدعو إلى وجوب الاهتمام بالعلم وإلى ضرورة تعليم المرأة يوجد بعضها في كتاب الأدب العربي في المغرب الأقصى لمحمد بن العباس القباج.

ورغم استعداده الذاتي لمواصلة الابداع الشعري فقد اختار جانبا آخر من الابداع إنه التلوين الخطي المتجلي في مختلف الأنواع التي مارسها سواء كانت مشرقية أو مغربية ومن آثاره في هذا المجال :

أولاً ـ الكتابات المنقوشة على جدران ومحراب المسجد الإسلامي في باريس الآيات القرآنية بالخط الكوفي والقصائد الشعرية بالخط المشرقي والأندلسي وهي من انشاء والده.

ثانياً ـ أنواع الكتابات المنقوشة في قصر الستينية بمراكش.

ثالثاً ـ رسم عناوين بعض الصحف المغربية مثل جريدة المغرب وبعض المجلات مثل الثقافة المغربية.

رابعاً ـ ابداعه للخط التعبيري وقد نقل الفقيه المنوني من هذه الخط نموذجين عن مجلة الثقافة المغربية في كتابه *تاريخ الوراقة المغربية* وسأضيف نموذجا آخر في هذا البحث سلمنيه إياه ولده محمد الكبير وهو عبارة عن قول الشاعر (يطوف بالحب قلبي فراشة). وقد جمع بين جمالية الخط وجمالية الانتقاء، مما انتجه الآخرون فانه كان ذواقاً للأدب حريصا على تسجيل ما يسمعه من الفوائد وعلى تدوين ما يدور في بعض المجالس العلمية من الحوارات الهادفة والمساجلات القيمة ويتجلى ذلك في بعض ما خلفه من مؤلفات منها :

ـ *دفتر ثغر الجديدة لتقييد فوائد عديدة*. وهو كتاب مفيد أهم ما فيه ما سجله من شعر بعض شيوخه وأصدقائه وعلماء وقته وفيه ذكر بعض منتجات والده.

ـ *شاعر الجنوب* ويقصد به أحمد بوستة يحتوي على قصائد عدة لهذا الشاعر ربما لا توجد في مصدر آخر.

ـ ملف خاص يحتوي على عدد من اشعاره وعلى كثير من رسائله الموجهة إلى بعض أصدقائه من الأدباء والعلماء.

ـ *معجزة المغرب* وهو عبارة عن ذكر سيرة أستاذه محمد بن عبد القادر الفيلالي الذي أصبح فيما بعد معروفا بمحمد تقي الدين الهلالي وقد كنت اطلعت على هذا الكتاب واملى علي بنفسه كثيراً مما فيه خصوصاً بعض الرسائل التي وجهها إليه هذا الأستاذ بعد تنكره للطريقة التجانية.

توفي بالدار البيضاء عاشر شعبان عام 1403 / 23 ماي 1983 ودفن بروضة سيدي مسعود بوصيته بذلك.

م. القباج، *الأدب العربي في المغرب الأقصى* ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية* ؛ س. حجي، مجلة الثقافة المغربية، العدد الثاني، شتنبر، 1941 ؛ تقي الدين الهلالي، *سبيل الرشاد*، الجزء الأول أثناء ذكره لنبذه من حياته ؛ إبراهيم السولامي، *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية*، ص. 202 ؛ م. بنعبد الله، فكرة تأسيس مسجد باريس بين اقتراح المولى محمد بن عبد الله وتنفيذ المولى يوسف، دعوة الحق، العدد 268، مارس، 1988.

سكيرج، محمد بن الطيب بن عبد القادر بن الحاج حم ابن عبد الوهاب الفاسي الأديب العروضي تلقى دراسته بمدينة فاس وكان أحد طلبة جامع القرويين الذين ظهر نبوغهم في الدراسات الفقهية والأدبية وكان يصاحبه في الطلب عدد من الأعلام الذين تميزوا فيما بعد بمعرفتهم الفقهية والتاريخية فقد ذكر الزياني أنه حينما كان يتلقى دروسه في الفقه على أبي حفص عمر الفاسي كان من جملة الطلبة الفاسيين الذين يحضرون معه مجلس هذا الفقيه جماعةٌ منهم سكيرج هذا وآخرون كالوليد العراقي ويحيى الشفشاوني ومحمد الهواري ومحمد بن عبد السلام الفاسي وعبد القادر ابن شقرون وأمثالهم.

ومما عُرف به محمد بن الطيب سكيرج أنه كان خبيراً بعلم الفلك أديباً شاعراً قادراً على التعبير الدقيق والأسلوب السهل الهادف وإلى بلوغ المقاصد من غير تعقيد، الشيء الذي خول له أن يكون من أشهر كتاب السلطان سيدي محمد ابن عبد الله زيادة على براعته في النظم وعلى حسن استخدامه للمحسنات البديعية من غير ابتذال ولا تعسف.

وكان يمتاز برقة الطبع، وجمال الخط وسرعة البديهة، ويعتبر ضمن الشعراء الذين كان لهم وجود أدبي في هذه الحقبة، وكانت بينه وبين ابن الونان المعاصر له مساجلات كلامية بلغت إلى حد الهجاء المتبادل.

ولعل اهتمام أسرة سكيرج في مدينة فاس بالعلم وانتماءها إلى الأنصار، كانت من بواعث التقدير لهذا الأديب الناشيء الذي أضاف إلى ما ورثه عن آبائه من عطاءات ما يساعد على استمرار نشاطهم العلمي والفني، فقد كان حاضر البديهة، دقيق الملاحظة، يجمع بين النظم الأنيق، والنثر البديع والقوة على التوضيح، بحيث لا تحس وأنت تقرأ ما كتب بغموض في القول، ولا بتعقيد في المعاني، وبذلك وصفه كثير ممن ترجموا له قديماً وحديثاً.

قال عنه الجريري شارح الشمقمقية أنه كان آية في علم المعقول والمنقول، وهو ابن مقلة زمانه في ترصيف الخط وابداع الرسم، مما تضرب به الأمثال في ذلك، وكان مخترعاً فنانا في بسط الخط المغربي والمشرقي والكوفي.

وقال عنه المؤرخ الضعيف ما ياتي : "إنه ركب يوما مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله القارب للتعدية بين الرباط وسلا في وادي أبي رقراق، فأنشد بيتين أجازه عليهما بمائتي دينار، وهما قوله :

ولما رأيت البحر في الجود آيـــة
ومن جوده الدر النفيس المقلد
سألته مــن في الناس علمك الندى
فقال أمير المومنين محمـــد

ووسمه المؤرخ سليمان الحوات بأنه خاتمة أهل الأدب الذي كانت قريحته تسهل من البلاغة على كل حدب يتيمة الدهر في سلوك جواهر الفخر.

له مؤلفات أغلبها في التوقيت والأدب منها :

1) *حواش على شرح ابن مرزوق على الخزرجية*.

2) *منظومة في أطوال وعروض بعض مشاهير البلدان الإسلامية* توجد ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط مسجلة تحت رقم 457.

3) *معينة الطلاب على التوصل للأسطرلاب* (خ ع ضمن مجموع مسجل تحت رقم 497).

4) *أرجوزة في العروض*.

توفي عام 1194 / 1780.

م. بن الطيب سكيرج نفسه، *الشافي في علمي العروض والقوافي*، مخطوطة ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج. 4، ص. 122 ؛ أ. سكيرج، *منهل الورود الصافي والهدى من فتح الباري في شرح الشافي في علمي العروض والقوافي*، مخطوط ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، ص. 147 ؛ م. الدباغ، *بحث حول م. بن الطيب سكيرج*، دعوة الحق، السنة 33، العدد 283، بتاريخ أبريل، 1992 ؛ ق. الزياني، *الترجمانة الكبرى* ؛ *فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط*، المجلد الأول أعداد ليفي بروفنصال ومراجعة صالح التادلي وسعيد المرابطي ؛ ع. الله كنون، *النبوغ المغربي*، ج. 3، ص. 704، ط. 2، 1997 / 1998 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 6، ص. 86.

محمد عبد العزيز الدباغ

سكيرج، محمد بن العياشي الخزرجي الأنصاري الأندلسي الفاسي الفقيه المدرس المفتي الناظم الناثر الصوفي.

ولد بفاس عام 1292 / 1875 وحفظ القرآن وبعض المتون العلمية، وتوجه إلى القرويين عام 1304 وأخذ عن علمائها ومن شيوخه بها : عبد الملك العلوي الضرير وعبد الله البدراوي، وعبد السلام بن عمر العلوي ومحمد بن عبد القادر ابن سودة وغيرهم، ثم أصهر إلى الفقيه المهندس الزبير السكيرج من البعثة التعليمية الحسنية إلى أوربا، فتزوج ابنته، ولذلك انتقل لسكنى طنجة حيث يعمل صهره، وتولى بها الكتابة بدار السلف مع أخيه الفقيه الأديب الحاج أحمد الذي انتقل لسكناها أيضا لنفس السبب ثم غادرها لتوليه القضاء بوجدة ثم سطات.

وتعاطى المترجم له الشهادة بتطوان وطنجة، والفتوى والتدريس والخطابة، وكان له نشاط في التأليف فألف فهرسة لشيوخه ومقروآته. وكتاب رياضة البهجة في تاريخ مدينة طنجة يوجد مصورا (بخزانة الرباط العامة في سبع مجلدات،

الدرر اللآلي في ثبوت النسب البقالي) طبع مرتين الأولى على الحجر بفاس في حياته، والثانية على الحروف بطنجة بعد وفاته و(نبذة التحقيق في ترجمة الشيخ محمد ابن الصديق) و(قرة العين في رحلة يومين) وهي في سفر المؤلف ضمن وفد حكومي تطواني إلى مدريد لتهنئة الجنرال فرانكو بانتصاره عام 1359 / 1940 إلى نحو أربعة وستين مؤلفا معظمها رسائل، وكانت له مع بعض أصدقائه المتأدبين رسائل إخوانية ومساجلات شعرية، وقفت على مجموعة منها بينه وبين الفقيه الأديب السيد البشير أفيلال التطواني. وكان مقدماً في الطريقة التجانية إلا أنه أقل حماسة فيها من أخيه.

توفي بطنجة بعد مرض طويل في رابع محرم عام 1385 / 5 ماي 1965 ودفن بضريح الشيخ محمد الحاج البقالي (بوعراقية)

م بن العياشي سكيرج نفسه، *قرة العين، برحلة يومين*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ ع. الصمد كنون، *مواكب النصر وكواكب العصر*، طبع طنجة، ص. 58 ؛ محاند علال البخلالي، *مؤرخ طنجة محمد بن الحاج العياشي سكيرج*، بحث مرقون.

محمد بوخبزة

سلا - جغرافيا - من أقدم المدن المغربية على ساحل المحيط الأطلنتي. تتوسط الشريط الساحلي الرابط بين شمال المغرب وجنوبه في موقع يتحكم في الطرق الآمنة التي كانت صلة وصل معتادة بين مراكش وفاس. فكان من أسباب أهميتها هذه الوضعية الاستراتيجية التي تجعل من المدينة مرحلة متميزة في طريق المسافرين العاديين أو مواكب السلطان التي كان يتعذر عليها أحيانا المرور مباشرة من فاس إلى مراكش عبر تادلة والمناطق المحاذية أو العابرة بجبال الأطلس المتوسط.

انشئت هذه المدينة في موقع له دلالات تاريخية وطبيعية فقد ذكرت المصادر المكتوبة كما بينت الحفريات المنجزة في ضفتي أبي رقراق قدم وعراقة الاستقرار العمراني بمصب الوادي حيث توالى الفينيقيون والرومان على إنشاء مراكز عمرانية منها ما اندثر أثره تماما بينما ظلت آثار بعضها قائمة كما هو الحال في شالة على الضفة اليسرى لأبي رقراق.

انطلق العمران الأصلي للمدينة الحالية في القرن الخامس (11 م) من موقع مشرف على البحر وعلى النهر، وذلك على ذروة تل رملي صلب يندرج في منظومة الكثبان الرملية المتحجرة التي تمتد من "بوقنادل إلى جنوب الرباط طولا ومن الشاطئ نحو الداخل عرضا. وتتخلل هذه الكثبان ممرات موازية للشاطئ انتشرت فيها المزارع (السواني) لجودة أتربتها وقرب الفرشة المائية فيها من السطح. وقد كونت هذه المنخفضات مسالك سهلة استغلتها الطرق المعبدة لربط شمال العدوتين بجنوبهما.

برزت النواة الأولى للمدينة في هذا الإطار التاريخي والطبيعي عندما شيد بنو عشرة قصراً في موقع مرتفع مُحاذٍ لموقع المسجد الأعظم. إلا أن هذه الانطلاقة العمرانية اندثر أثرها فيما بعد. وقد امتدّ العمران بعد ذلك من هذا المنطلق المشرف إلى حضيض "العقبة" متجها نحو البليدة حيث كان أول المستقرين فيها الوافدون من سوس. امتد العمران بعد ذلك نحو الأماكن المستوية التي توجد فيها الأسواق الحالية. متجها نحو جامع الشهبة الموجود حالياً في حي "سيد التركي". وتجدر الإشارة هنا إلى المستوى المنخفض لهذا المسجد إلى عهد قريب مقارنة بمستوى الحي والمساكن المحيطة به، مما يبعث على الاعتقاد بوجود تراكمات مطمورة لم ينلها بعد البحث الاركيولوجي.

انتظم العمران القديم داخل أسوار تمتد على شكل مستطيل ممتد من البحر إلى الداخل، جانبان منه يحاذيان البحر من جهة الغرب ووادي أبي رقراق من جهة الجنوب. وقد أثار التناسق الهندسي لأسوار المدينة تساؤلات حول أسبابه. فتصميم المدينة القديمة يتسم بشكل هندسي يتقاطع داخله محوران أساسيان، يربط الأول منهما "الباب الجديد" بـ "باب سبتة"، ويصل الثاني بين الأحياء الموجودة في "راس العقبة" و "باب الخميس" أو "باب فاس "الموجود شرق المدينة. ومن المفترض أن هذا الشكل يعود إلى آثار رومانية لأن استقرار الرومان العمراني في الضفة اليسرى لواد أبي رقراق (شالة حاليا) كان له امتداد زراعي على الضفة اليمنى. حيث أقام الرومان مزارع (ڤيلا) اتخذت أشكالاً هندسية متساوية تتعامد في تقاطيعها المنتظمة مع الامتداد الطولي لنظام الكثبان الرملية. وقد خلفت هذه الضيعات بعد انقراضها آثارها على شكل مستطيلات متحاذية تبدو واضحة المعالم عنه دراسة الصور الجوية للمنطقة المكسوة بالسواني إلى وقت قريب. لكل هذه الأسباب أخذ شكل الأسوار المنحى الهندسي المذكور الذي يتناسق مع إشارات الطبيعة والارث التاريخي الزراعي القديم. وقد ذكر ابن خلكان أن سلا جديرة بالمقارنة بالإسكندرية لما تتسم به من اتقان في البناء وحسن التقسيم.

تطور العمران داخل الأسوار : تحيط الأسوار بمساحة لا تزيد عن مائة هكتار تقريبا لم يكن معظمها مبنيا في أوائل القرن الرابع عشر (20 م). فلم تحتل البنايات جميع المجال الداخلي للأسوار بل كانت تحيط بها الأجنة، ولم تأخذ هذه السواني بالتراجع أمام زحف البناء إلا في الثلاثينيات فلم يتبق منها إلا تلك التي كانت موجودة بالقرب من ضريح سيدي عبد الله ابن حسون والتي كانت بملاصقة مع السور الممتد بين "باب سبتة" و "باب شعفة"، إلا أن فترة ما بعد الاستقلال كانت المرحلة النهائية لوجود السواني في المدينة القديمة حيث انقرضت تحت وطأة الامتداد العمراني الكثيف الذي عرفته سلا بسبب الوافدين علي المدينة من كل حدب وصوب. وقد اتخذ هذا الزحف السكني ثلاث مراحل :

- بناء الأراضي الزراعية المتبقية داخل الأسوار
- إعادة بناء المتداعية والآيلة للسقوط
- رفع طبقة أو طبقتين من المنازل فوق المساكن القديمة

أدى إلى اكتظاظ السكان وارتفاع الكثافات التي كانت تتراوح بين 750 و1000 نسمة في الهكتار الواحد، حسب الأحياء، حيث ارتفعت إلى 1500 ن / هـ في مركز سلا القديم أي حي "البليدة" وقد نتجت عن اكتظاظ السكان وارتفاع الكثافات مشاكل متعددة في مجال تصريف المياه الحارة وذلك لتداعي الشبكة القديمة واختناق قنواتها، مما كان له انعكاس على الأوضاع البيئية والصحية في المدينة القديمة.

كان لهجرة السلاويين لمساكنهم في المدينة أثر بين على صيانة الدور التقليدية القديمة التي جزئت تارة وتارة أخرى تعرضت للإهمال والاندثار، خاصة في الحالة التي توجد فيها على الشياع مما لا يتيح توفر الامكانات المادية للمحافظة على هيكل ورونق المعمار. فالمحاولات التي بُذلت لإنقاذ بعض هذه الدور لم تنجح لحد الآن كما لم يعرف مشروع إنقاذ الفنادق والبيوتات التقليدية طريقه للانجاز.

التغيرات الاقتصادية والاجتماعية : لعبت سلا دوراً اقتصاديا هاماً في تاريخها كنافذة للمغرب على البحر. وقد ساهم انفتاح المغرب على التجارة الأوربية في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) في تمتين علاقتها التجارية بالمدن الداخلية والساحلية، حيث تمكنت من مد إشعاع تجاري قوي بلغ مداه الأقصى شمالا وشرقا العرائش وفاس وذلك عبر أسواق الغرب، إذ كان للسواقة السلاويين حضور متميز في الشبكة التجارية التي تربط البوادي بأهم المدن حينذاك. وقد احتفظت سلا بهذه العلاقة التجارية خلال فترة الحماية، وذلك عن دورها كوسيط بين الدار البيضاء والأسواق في الغرب والسهول وزعير. ولكن التغيير الذي حصل في وسائل النقل في نهاية الخميسنيات جعل معظم الزبناء من تجار الجملة يتوجهون مباشرة إلى الدار البيضاء لشراء الثياب والأقمشة. فاضمحلت تجارة الملابس والأثواب واتجهت إلى توفير هذه المنتجات لاستهلاك القاطنين بها والوافدين من المناطق القروية المجاورة.

وقد تعرضت الأنشطة الحرفية لنفس التطور، فبعد الأزمة الحادة التي لحقت بالعمل الحرفي في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) بسبب انفتاح المغرب على البضائع المستوردة من الخارج، أخذت الأنشطة الحرفية في التدهور بعد ذلك خلال النصف الأول من القرن العشرين بسبب مزاحمة المنتجات العصرية. فاختفت حرف متعددة من بينها صناعة الجلود والحبال والحُصر. والمهن التي كانت تمد بصفة عامة السكان بحاجياتهم المنزلية أخذت تتقهقر بدورها إلى أن اختفت تماما كصناعة القنب وأدوات القزدير، وترتب عن هذا التطور عزوف أبناء السلاويين عن تعاطي المهن الحرفية. وقد خلفهم في بعض الحرف متوافدون من أهل سوس في مجال صنع البلغة كما برزت حرف جديدة من جملتها الخياطة، خياطة الأقمشة للاستهلاك القروي أو خياطة الخيام بعد الاستقلال من طرف منحدرين من نواحي دكالة.

استمرت الحيوية في قطاعي البناء والتجارة وذلك لارتباطهما بحركة العمران داخل المدينة. إلا أن أغلبية الأنشطة التجارية غادرت المدينة ولم يلبث منها إلا المعاملات المتعلقة بالتموين وببعض المرافق الخدماتية التي تحتاجها الساكنة القاطنة في الأحياء القديمة. فأغلبية الأنشطة هجرت المدينة وتضاءل مركزها التجاري الذي كان يمثله "سوق

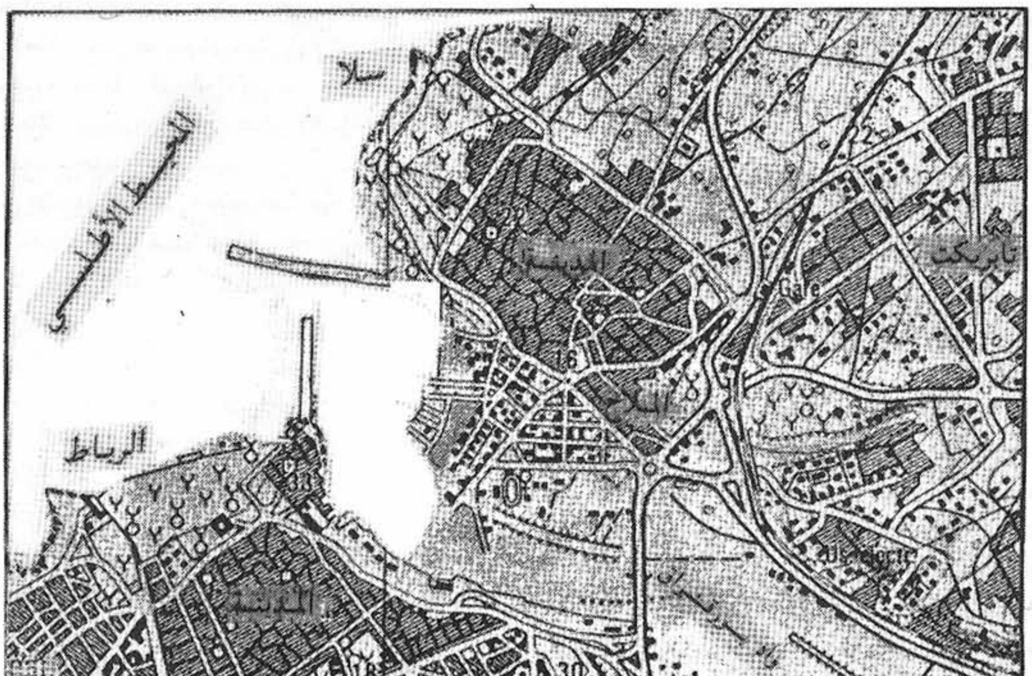

الخميس" المنعقد في عقر سلا أي في السوق الكبير. فقد انتقل بدوره إلى طريق مكناس ليستقر ردحاً من الزمن بها ولكنه ما لبث أن استقر نهائيا في قرية أولاد موسى.

إن هذا التطور الذي عرفته المدينة القديمة في اتجاهين معاكسين : اكتظاظ المدينة بالسكان وتدهور أنشطتها المنتجة، لم يحجب تماما ما تعودته المدينة القديمة من تكيف بالأوضاع السائدة وقدرة على إيجاد مخرج من أزمتها في بعض المجالات خاصة التجارية منها. فالتجارة في الحرير والذهب أبانت على دينامية غير متوقعة بحيث ربطت في تكيفها بين التقليد والتحديث. فمن المعلوم أن الحرف والمتاجر كانت في الماضي منتظمة في أزقة متخصصة لكل حرفة وتجارة متميزة. ولكن بعد انقراض الخنط التي كانت تهيكل هذه الأنشطة اختلطت جميع المرافق بعضها ببعض بحيث فقدت الأزقة طابعها المتميز. إلا أن هناك القليل من الأنشطة التي احتفظت بطابعها المتكتل في زقاق متميز كالحرارين مثلا الذين احتفظوا بموقعهم ما بين القيسارية ومحكمة القاضي حاليا. إلا أن تجارة الحلي من الذهب والتي كانت لا تزيد عن ثلاثة أو أربعة متاجر أصحابها من اليهود مالبثت أن قامت بالزحف الوئيد على المتاجر المجاورة حتى حلوا محل الحرارين الذين انتقلوا بدورهم جماعة إلى زنقة الحجامين. ويدلُّ هذا التحول على حركية متميزة تمثلت في استعادة الهيكلة التقليدية للأنشطة في مدينة إسلامية.

التحولات النوعية والكمية في ميدان التعمير والإسكان:

وقع تحول أساسي في ميدان التعمير عندما توافدت الهجرة من جميع أنحاء المغرب على المدينة التي لم تطق استيعاب جميع المقبلين عليها. فعندما اكتظت المدينة وارتفعت كثافتها انتشر العمران حولها بصفة عشوائية وبدون تخطيط مسبق إلا لبعض الأحياء كحي بطانة وتابريكت. فقد قامت الحماية بتخطيط موجه لكلا الحيين، الأول كان من المرتقب أن يستقبل سكانا أوربيين، والثاني خصص لأحياء شعبية، ولكن تطلعات المخططين لم تصمد لوقع الأزمة التي تلت الحصول على الاستقلال. فحتى المنطقة الصناعية التي شيدت لجلب الاستثمارات بخلق شغل واقامة صناعات مختلفة ظلت فارغة لما تلا سنوات الاستقلال الأولى من مصاعب مختلفة في الفترة الانتقالية التي استمرت إلى أواخر الستينيات. لذا فالتوافد على المدينة حوّل حي بطانة عن وظيفته الأولى فصار حيّاً لاستقبال السلاويين النازحين من المدينة القديمة. أما حي تابريكت فقد اكتظت عماراته بسرعة مما جعل فيض السكان يتجه وجهتين : الأولى بعيداً عن المدار الحضري نحو "الشيخ المفضل" حيث أخذ البناء العشواني ينمو بسرعة، والثانية إلى مدن القصدير "كدوار جديد" ودوار "السماعلة" وقد اتجه التمدين بعد ذلك إلى منطقة السواني حيث أخذت الأنشطة الزراعية تنقرض بصفة حثيثة وتحل محلها الأحياء العشوائية خاصة بين المدينة القديمة وضريح سيدي موسى على الشاطئ.

إن فورة التعمير تقع بصفة متوازية بين ما هو مندرج في عملية التخطيط العمراني وبين ما هو عشوائي، فكلما أقدم المخططون على عملية عمرانية واسعة النطاق إلاّ ونشأت في التوازي معها حركة بناء عشوائي. فقد كان بناء حي السلام متزامنا مع انطلاق قرية أولاد موسى في الجهة المقابلة له. فالعمران انتشر في تداخل بين الأحياء على جميع المحاور بين الشاطئ وضفة الوادي على شكل نصف مروحة تشتبك في فضائها جميع أنواع السكن القانونية وغير القانونية. إن معظم هذه الأحياء لا تتمتع بالمستوى الضروري من تجهيزات قاعدية ومرافق صحية وخدماتية وتعليمية.

ويمكن ادراك التفاوت الحاصل بين انتشار السكن وقلة التجهيزات إذا اعتبرنا السعة التي تنامت بها الساكنة السلاوية. فقد انتقل عدد السكان في ظرف سبعين سنة من 25 ألف نسمة في بداية الثلاثينيات إلى ما يزيد عن ستمائة ألف في بداية التسعينيات، بحيث صارت هذه الساكنة مرشحة إلى بلوغ المليون نسمة خلال السنوات العشر المقبلة. فوتيرة النمو كانت أكثر سرعة من أي مدينة في المغرب بحيث بلغت 9٪ سنويا ما بين 1971 و1982 ثم بلغت ما بين هذه السنة و1994 نسبة 5.6٪ في السنة. وهذا يعني أن عدد السكان يتضاعف كل 12 سنة.

ومن الملفت للنظر أن هاته الزيادة السريعة في عدد السكان ناتجة عن تنامى سكان المدينة والتوافد عليها من جميع أنحاء المغرب. فلا توجد أي منطقة ريفية أو مدينة على طول البلاد وعرضها لم تساهم في نمو ساكنة سلا الديموغرافي، بحيث صارت لوحدها تمثل مجموع ساكنة البلاد.

إذن فالمدينة التي كان يقال عنها : "ها سلا ها حوانتها" صارت من المدن الكبرى في المغرب ولكنها لم تجن من هذه الميزة فوائد كبيرة، بل راكمت المشاكل العمرانية أكثر من استفادتها من حجم ونشاط ساكنتها. وذلك لانعكاس أثر الرباط عليها.

لقد ظلت العاصمة خلال عدة عقود في ركود عمراني نظراً للحزام العقاري المتمثل في الوضعية القانونية للأراضي المحيطة بها، والتي لم تكن مفتوحة للتعمير، مما جعل سلا ملجأ لكل وافد يعمل في الرباط ولكن لا يجد له مسكنا فيه. فتحولت الفئات الفقيرة والمتوسطة للسكن في سلا بينما ظلت تشتغل في الرباط. فصارت عدوة سلا عبارة عن ملجأ للنوم، أما العمل ومردوده من حيث المداخيل والإمكانات فكان من نصيب الرباط. ولقد زاد هذه الوضعية استفحالا كون التقطيعات الجماعية والإدارية زادت من الأزمة التي تتخبط فيها المدينة فتعدد البلديات وضعف الإدارة وندرة المؤسسات الاقتصادية والإدارية جعل من الصعوبة بمكان القيام بمتطلبات المدينة والنهوض بجميع مرافقها. فإذا أخذنا مثلاً بسيطاً من أمثال الاختلالات التي تتضرر منها المدينة ويكتوى بنارها السكان مشكلة النقل بين العدوتين نجد من العاملين في الرباط والقاطنين بسلا من يقضى أكثر من ساعة للتنقل بين المدينتين في حافلات

مكتظة ليس لها أوقات مضبوطة ولا ظروف نقل مريحة. إن عدم التكافؤ بين المدينتين في مجال المداخيل وتبعثر السلطة بين فاعلين متعددى المشارب والصلاحيات يجعل من الصعب تدبير شؤون المدينة في مجموع مرافقها ناهيك عن استعادتها لدورها المتميز في ميدان الثقافة والعلم والإنتاج.

يتبلور التساؤل المطروح أخيراً حول مستقبل سلا حول آفاق تطورها مستقبلا. هناك بوادر واحتمالات يمكن أن تحد من الاختلالات التي تعرفها المدينة في جميع أنواع مرافقها ومصالحها وإمكاناتها المادية والمعنوية. من جملة هذه الارهاصات :

- خلق تعليم جامعي في المدينة يجب أن يكون بين يد مسوؤلين نزهاء وأكفاء.

- قرار خلق كل الإدارات المقبلة في مدينة سلا عوض الرباط لاكتظاظها بمرافق ومنشآت الإدارة المركزية.

- إمكانية توحيد المدينة من الناحية الإدارية والمؤسسات البلدية حتى يحل التناسق والتكافل مجموع أطراف المدينة عن طريق وحدة الرؤية وعقلانية التسيير في إطار وحدة المدينة.

- تلبية رغبة السلاويين في مد وضعية العاصمة حتى تشمل مدينة سلا، فيصير التنسيق في ظل المجموعة المدينية كلها بين العدوتين.

- اتباع تخطيط حضري على شاكلة "سلا الجديدة" المرشحة لإسكان ما يزيد عن مائة ألف نسمة.

ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، الجزء السابع، الصفحة 9 ؛ كينيث براون : *موجز تاريخ سلا، 1000 . 1800*، ترجمه عن الانجليزية، م. حيدة وأنس لعلو، منشورات أمل، 2001، ص. 128 ؛ م. السمار، *مدينة الرباط من التأسيس إلى نهاية القرن السابع عشر الميلادي*، أطروحة نوقشت في كلية الآداب بالرباط، تاريخ 8 يوليوز، 2000.

M. Naciri, *Salé, étude de géographie urbaine*, *R.G.M.*, 1963, n° 3-4 ; Kenneth L. Brown, *Les gens de Salé. Les Slawis. Tradition et changement de 1830 à 1930*. Préface Mohammed Naciri, Casablanca, 2001 ; El Hassani Abdelamid, Khadiri Abdeslam, Naciri Mamoun, *Médina de Salé : analyse et propositions*. Unité du pédagogique d'archtecture de Toulouse, 1980, 211 p. ; *Mecanismes et formes de croissance ubraine au Maroc : le cas de l'agglomération de Rabat - Salé*, Rabat, 1984, 3 t ; *Salé, cité millénaire*, sous la direction d'Ismaïl Alaoui et Driss Mrini, 1997, 212 p.

محمد الناصري

سلا، (تاريخ) مدينة أزلية - كما تصفها المصادر القديمة - وتؤكد الأدلة الأثرية وجود حياة إنسانية في منطقة سلا منذ عشرات آلاف السنين، فجمجمة إنسان سلا التي عثر عليها في مقلع دار القايد بلعروسي على بضع كيلوميترات من المدينة قدر الجيولوجيون بعدها الزمني بـ 165.000 سنة. تتفق المصادر التاريخية على أن سلا كانت موجودة قبل مجيء الرومان إلى هذه البلاد لكنها تختلف في تحديد عصر تأسيسها، يذكر البعض أنها فينيقية من المراكز التي أسسها الفينيقيون على سواحل المغرب في القرن 11 ق م. مثل طنجة وليكسوس، ويرى آخرون أنها قرطاجية أسسها حانون أثناء رحلته الشهيرة في القرن 5 ق م. ضمن المستعمرات السبع التي سماها ووصف مواقعها ولو أن تحديدها بالضبط يصعب اليوم لتغير الأسماء وتشابه المواقع، لكن علماء الآثار اجتهدوا في عملية التحديد اعتماداً على المسافات والأوصاف الواردة في الرحلة، ومنها أرامبيز arambys التي تعني المصب عند مارسي Marsy وتطابق سلا أو شالة.

وهنا نتساءل عن العلاقة العددية بين المستعمرات السبع في *رحلة حانون* وما تحتفظ به الذاكرة الشعبية في مدينة سلا وعند شعراء الملحون عموماً من كون سلا تعدّ من المدن السبع القديمة في المغرب (سبعْ مْدُونْ).

تأتي المرحلة الرومانية بعد ذلك لتجنيس المدن المغربية وإعطائها طابعاً رومانيا بعد القضاء على قرطاجة سنة 146 ق. م وذلك بإسكان مجموعات رومانية في المدن المغربية وإقامة علاقات بينهم وبين الأهالي "الموريين" والعمل على تحويل هؤلاء تدريجياً إلى مواطنين رومانيين. وبعد مرور قرنين على احتلال روما للمغرب الكبير وقيام ثورات أتعبتها قررت في حدود سنة 44 م تقليص مناطق نفوذها وترسيخ احتلالها المباشر عن طريق تقسيم موريتانيا الطنجية غرب نهر ملوية (المغرب) وموريتانيا القيصرية شرق ملوية (الجزائر).

كانت مدينة سلا / شالة تكوِّن الحد الجنوبي الأقصى لموريتانيا الطنجية تقيم فيها فرق من الخيالة والمشاة والرماة ويمر بجنوبها الخط الدفاعي الحدودي "الليمس" الذي يبتدئ من تامودة (تطوان) شمالا، وينزل جنوباً إلى سلا / شالة حيث يمتدّ في الضفة الجنوبية لنهر سلا (أبي رقراق) على مسافة نحو 20 كلم من البحر إلى عكراش.

كانت سلا كولونيا في عهد الرومان على الضفة اليمنى للنهر وتمتد إلى الضفة اليسرى، وربما كانت سلا وشالّة في الأصل اسماً واحداً اختلف نطقها بإهمال السين أوإعجامها كما هو الشأن في مدينة قادس وقادش بشبه الجزيرة الإيبيرية، وقد نبّه إلى ذلك بعض المؤلفين العرب القدامى كصاحب *الاستبصار*.

وعلى أي حال ظلت سلا وشالة قائمتين إلى الفتح الإسلامي. وتذكر كتب التاريخ أن يوليان الغماري حاكم سبتة من قبل قوط إسبانيا قام بتسليم مدينة سلا إلى طارق ابن زياد مولى الفاتح موسى بن نُصير والي إفريقية من قبل الأمويين. ثم أصبحت سلا مقر إمارة إدريسية تابعة لمملكة فاس على إثر وفاة إدريس الأزهر سنة 213 / 828 يشمل نفوذها شالة وبلاد تامسنا وزمور. وفي خضم الاضطرابات التي عمت المغرب في مطلع القرن الرابع (10 م) بسبب انحلال الدولة الإدريسية قام بنو يفرن بزعامة موسى بن أبي العافية بالاستيلاء على فاس والقضاء على المراكز الإدريسية في الأقاليم، ومنها مدينة سلا التي خرّبوها وعفّوا على آثارها فكان ذلك نهاية سلا القديمة واختفاءها من خارطة

المنطقة. نصّ على ذلك الرحالة العرب المعاصرون لسلا القديمة، كأبي عبيد البكري الأندلسي الذي تحدث في *المسالك والممالك* عن وادي سلا ومدينة سلا القديمة عاصمة إمارة عيسى بن إدريس ابن إدريس، وابن حوقل البغدادي الذي زار المغرب والأندلس سنة 331 / 942 وقال في رحلته عن سلا إنها خربت في أوائل القرن الرابع (10 م). كل ذلك يفنّد ما زعمه بعض المؤرخين والرحالة المتأخرين القصيري النظر من أن شالة التي ظلت أطلالها قائمة على الضفة اليسرى هي العتيقة ومعها سلا، وأن لا وجود لمدينة في الضفة اليمنى متجاهلين النصوص المشار إليها آنفاً أو مؤوليها تأويلاً بعيداً. على أن الشاهد الأثري الحاسم هو ما عُثر عليه سنة 95 ـ 1996 أثناء تهييئ المدار الخارجي للطريق السيار بولجة سلا من قاعدة باب روماني كبير وأجزاء من السور مع قطع من الفخار وغيره من الآثار الرومانية، الأمر الذي يحتم ـ علمياً ـ القيام بحفريات أركيولوجية في منطقة الولجة لا سيما الربوة الضخمة المجاورة لعين أسمير التي كان المؤرخ السلوي محمد ابن علي الدكالي لا يشك في أنها تغطي معالم مدينة سلا القديمة.

أما سلا الحديثة القائمة بين شاطئ البحر ومصب النهر التي نعيش فيها اليوم، فقد أسست في أواخر القرن الرابع أو أوائل الخامس (10 ـ 11م) واشترك في تأسيسها عنصران : بنو عشرة، وهي أسرة عريقة في المجد والثراء تنتسب إلى الكاتب النابه أحمد بن مدبّر البغدادي أخي إبراهيم وزير المعتمد على الله العباسي، وبنو يفرن الزناتيون الذين ورثوا ملك الأدارسة. شد بنو عشرة الحي المحيط بالجامع الكبير. في حومة الطالعة، وبنى الزناتيون حي زناتة في الشمال الشرقي للجامع واتخذوا من سلا الحديثة حاضرة لإمارتهم التي امتد نفوذها من فاس إلى تادلا وأغمات عبر الدير وجذور الأطلس الكبير. وإذا كان الزناتيون أبطال حرب أبلوا البلاء الحسن في مقاومة البرغواطيين المارقين في تامسنا، فإن بني عشرة كانوا علماء أدباء كرماء تقاطر عليهم الكتاب والشعراء من الأندلس يمدحونهم وينوهون بحاضرتهم سلا وقصرهم المشيد الذي يبدو أنه كان على جانب عظيم من السعة والفخامة. وشجعت الصلات السخية التي كان العشريون يمدون بها قُصادهم على تزايد الأدباء في أبوابهم، واستقرار بعضهم في سلا، فكان ذلك منطلق حياة فكرية ستتأصل وتتطور في القرون التالية.

ولما جاءت دولة المرابطين وأنهى يوسف بن تاشفين مسألة بورغواطة وشرّد بهم من خلفهم قضى على بني يفرن الزناتيين في سلا في إطار توحيد المغرب، وأكرم مثوى العشريين وجعل منصب القضاء في سلا وقفاً عليهم يتوارثونه، وأسند إلى بعضهم القضاء خارج سلا. وكان القضاة ـ كما هو معلوم ـ في قمة هرم السلطة والجاه والثروة على عهد المرابطين. وعرفت الحياة المادية والفكرية في مدينة سلا تطورات أساسية خلال القرنين الهجريين السادس والسابع (12 ـ 13 م) واندمجت المدينة أكثر في محيطها القريب والبعيد، فبعد فترة قصيرة من النفور ومقاومة الدولة الناشئة تمنعت فيها سلا على الموحدين وثار ضدهم محمد ابن هود الماسي السلاوي، انتهى الخلاف بهدم أسوار المدينة، واتخذ الخليفة عبد المومن من سلا دار مقام له بعد مراكش يقيم في

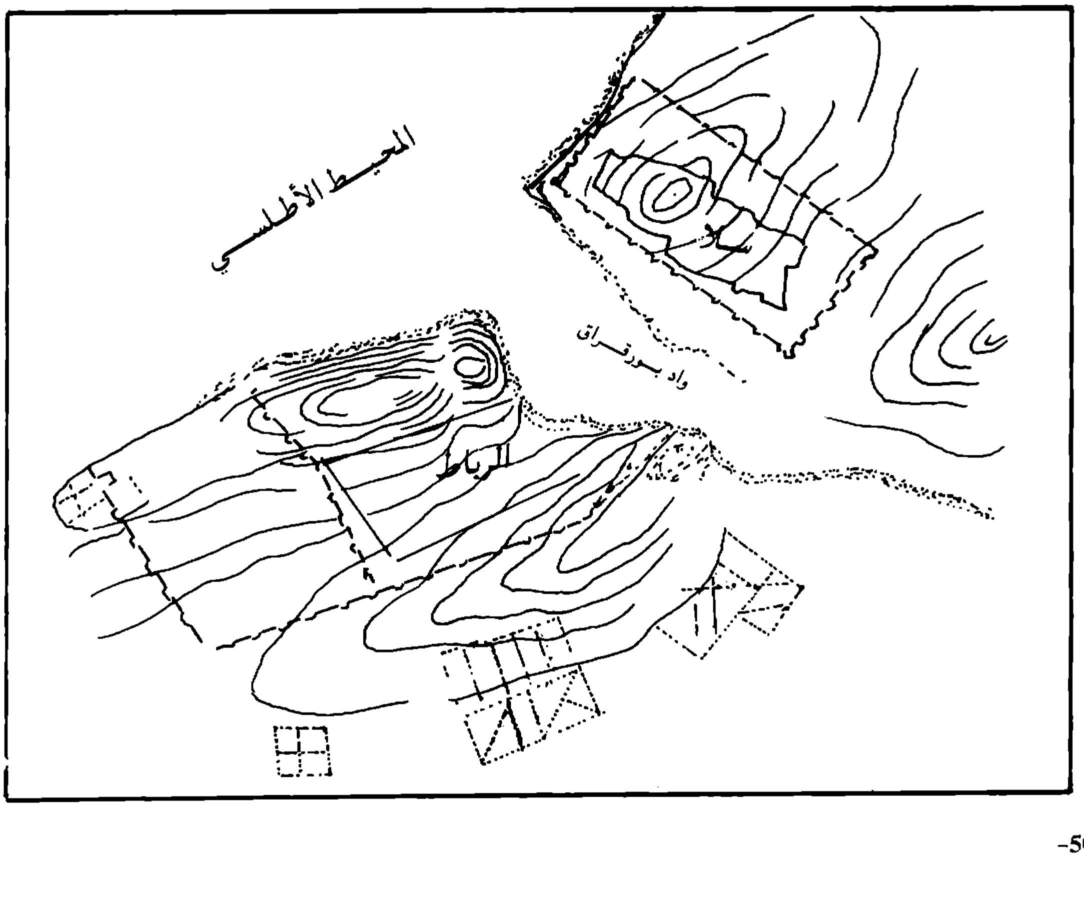

قصر بني عشرة الأسابيع والشهور لاستقبال وفود الأندلس والإشراف على أطراف دولته الشمالية والشرقية، وتجييش الجيوش وتعبئة الأساطيل لتمهيد أقطار المغارب. ومات عبد المومن في سلا سنة 558 / 1163 بعد أن اجتمع له فيها 480.000 فارس وراجل انتشروا في الضفة الجنوبية للنهر ـ وكانت الرباط لم تبن بعد ـ إلى عين غبول، وفي ضواحي مدينة سلا إلى حلق المعمورة، كان يريد العبور بهم إلى الأندلس لوضع حد للزحف المسيحي.

هذا الاهتمام وهذه الحركة الغير العادية التي عرفتها مدينة سلا مع طلائع الموحدين كان لهما انعكاس إيجابي على الحياة العامة بالمدينة، واقتصادياتها واتصالاتها بالخارج، وعن ذلك يحدثنا الجغرافي الشريف الإدريسي السبتي في *نزهة المشتاق*، وهو معاصر للأحداث قائلا : "وسلا الحديثة على ضفة البحر الملح منيعة من جانب البحر لا يقدر أحد من أهل المراكب على الوصول إليها من جهته، وهي مدينة حسنة حصينة في أرض رمل، ولها أسواق نافقة وتجارات، ودخل وخرج، وتصرف لأهلها، وسعة أموال، ونمو أحوال، والطعام بها كثير رخيص جداً، وبها كروم وغلات وبساتين وحدائق ومزارع، ومراكب أهل إشبيلية يقصدونها بالزيت الكثير وهو بضاعتهم، ويتجهزون منها بالطعام إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية... وفي هذا الوادي أنواع من السمك وضروب من الحيتان، والحوت بها لا يكاد يباع ولا يشترى لكثرته وجودته، وكل شيء من المأكولات في مدينة سلا موجود بأيسر القيمة وأهون الثمن".

وكان ليعقوب المنصور ثالث الخلفاء الموحدين نفس التجاوب والتعاطف مع مدينة سلا، ففيها بويع بعد رجوعه من الأندلس، وشيد جامعها الأعظم على أنقاض جامع بني عشرة إثر انتصاره في معركة الأرك سنة 593 / 1196. كان يعمل في بناء هذا الجامع ونقل حجارته سبعمائة أسير من أسارى الإفرنج في قيودهم، وبنى في الجهة الجوفية من الجامع مدرسة عظيمة تعد من أوليات المدارس العلمية بالمغرب. واهتم بمنطقة سلا على العموم، فأسس في نفس الفترة على الضفة الجنوبية مدينة رباط الفتح، وأعمر قبل ذلك سهول تامسنا وأزغار الغرب بقبائل الأعراب الهلالية التي أتى بها من تونس.

كان ذلك كله بردا وسلاما على مدينة سلا الحديثة، التي اتسع عمرانها وازدادت ساكنتها بمن دخلها من طارئين حضريين وبدويين، وأصبحت أم مدن المنطقة ينسب إليها الرباط (رباط سلا) والقصبة (قصبة سلا) وشالة (شالة سلا) وتسمى مجتمعة "مدن سلا" سواء في كتب التاريخ والوثائق الإسلامية والأوربية إلى القرن الثاني عشر الهجري (18 م).

وإذا نظرنا إلى حالة مدينة سلا في العهد المريني، وهو يمتد على نحو ثلاثة قرون (من منتصف القرن السابع إلى منتصف العاشر (13 ـ 16 م) فإننا نجدها في تطور مستمر بالرغم على الأزمات والكوارث السياسية والطبيعية التي أصابتها، ونلاحظ بروز ظاهرتين حضاريتين أصبحتا منذ هذا التاريخ تطبعان المدينة ولا تنفكان عنها :

أولاهما ظاهرة أخلاقية تتمثل في انتشار الزهد والصلاح، وذلك تطور طبيعي للحركة الصوفية النشيطة التي عرفتها المدينة خلال القرن السادس (12 م). واشتهرت داخل المغرب وخارجه كمكان مفضل للخلوة والعبادة والنسك، وانتقل إليها عدد من الشيوخ العارفين والمريدين السالكين، وعلى رأسهم العالم الصالح قمة الزهد والورع سيدي بنعاشر : أحمد بن محمد ابن عاشر الشميني الأندلسي.

يتعذر الحديث عن تطور التصوف في هذه الفترة بمدينة سلا من خلال تراجم رجاله، لذلك نحيل من يتشوف للتعرف على مصدرين أساسيين معاصرين، جاء مؤلفاهما إلى سلا في إطار السياحة الصوفية وتحدثا عن صلحائها وزواياها وأضرحتها، أولهما محمد بن أبي بكر الحضرمي (ت. 787 / 1385) من سبتة مؤلف *السلسل العذب والمنهل الأحلى*، نشرته في السنوات الأخيرة الخزانة العلمية الصبيحية. والثاني أحمد الخطيب ابن قنفذ (ت. 810 / 1407) من قسنطينة مؤلف *أنس الفقير وعز الحقير* نشره المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط سنة 1965. ولا يمكن إغفال مؤلف معاصر آخر عاش متزهداً متصوفا في سلا بعد أن ترك الرآسة والوزارة، هو لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي الذي لا يكاد يخلو مؤلف من مؤلفاته، وهي تربو على الخمسين، من حديث عن سلا وصلحائها ومعالمها الحضارية.

الظاهرة الحضارية الثانية بسلا في هذا العصر تتمثل في تقدم الصناعات والمعارف بفضل المؤسسات التي أقامها ملوك بني مرين بهذه المدينة. كدار الصناعة من عمل يعقوب ابن عبد الحق، ومدرسة الطالعة من إنشاء أبي الحسن، والمدرسة الطبية أو المارستان من عمل أبي عنان. وأرى أن لعناية هؤلاء الملوك بسلا علاقة بظاهرة التصوف الأولى، إذ كان لهم اعتقاد في أولئك الصالحين، ومطارحات أبي عنان مع الشيخ ابن عاشر معروفة في كتب التاريخ والمناقب.

أسست دار الصناعة سنة 659 / 1261 لبناء السفن الجهادية والتجارية على المستوى الوطني، وأصبح الصناع السلويون (البلالطية) يبنون سفنا شراعية ضخمة لا نتوفر على أعدادها، ولكن الإشارات التاريخية تدل على أن السفن التي خرجت من باب المريسة أمكنها منذ العقود الأولى أن تعيد التوازن إلى الأسطول المغربي. فقد تمكن المؤسس يعقوب ابن عبد الحق المريني من الجواز إلى الأندلس أربع مرات صحبة جيشه الجرار لإنجاد المسلمين وإيقاف الممالك النصرانية عند حدها. وهاجمت أساطيل أبي الحسن المريني سفن المسيحيين في بحر الزقاق وحطمتها، وفي سنة 740 / 1340 جاز أبو الحسن المريني من سبتة إلى الأندلس، ومعه ستون ألفا من الجند "فانتظمت الأساطيل سلسلة واحدة من العدوة إلى العدوة... ولما تكاملت العساكر بالعبور أجاز هو في أسطوله مع خاصته وحشمه". ونزل بساحة طريف ولو أن الله محص المسلمين في هذه المعركة. وبعد ثمان سنوات رحل أبو الحسن إلى تونس برا لتفقدها وتمهيدها، ورجع منها بحرا في ستمائة سفينة.

وبنيت المدرسة المرينية بالطالعة سنة 742 / 1314 من طابقين، طابق أرضي به صحن جميل مفروش بالزليج الرفيع تحيط به أروقة مفتوحة، وتتصدره من جهة القبلة قاعدة للصلاة والدراسة. وطابق علوي به بيوت لسكنى الطلبة، وأكثر من كان يقيم بها الطلبة الأفاقيون الذين يشدون إليها الرحال من البوادي وحتى من الحواضر.

وقد ذكر ابن علي الدكالي في *التقييد* الذي خصصه لتاريخ هذه المدرسة بأن عدد أساتذتها وطلبتها كان كثيراً جداً بسبب وفرة الأحباس التي أوقفها عليها أبو الحسن المريني بسلا والرباط فكانت الأموال التي تتجمع من مستفادها توزع بسخاء على المدرسين والمتعلمين، وأفاد ابن الخطيب في كتابه *مثلى الطريقة* أن أهل سلا في عصره (منتصف القرن الثامن (14 م) "كانت لهم مشاركة كبرى في سائر العلوم واختصاص ببعضها التي لا يتعاطاها سواهم إذ ذاك". والدليل على هذا الاختصاص أن أعيان علماء فاس وغيرها كانوا يرحلون إلى سلا لأخذ الطب والتصوف عن أساتذتها وشيوخها.

أما المدرسة البوعنانية أو المارستان بحومة باب حساين فهي مدرسة متخصصة في الطب والصيدلة أسست سنة 757/ 1356 على غير نمط المدارس الأخرى، تحيط بفنائها الواسع بيوت أرضية وعلوية، بعضها لتعليم الطلبة وتحضير الأدوية المفردة والمركبة، وبعضها لإيواء المرضى الذين يقيمون بها في سعة من العيش ويتلقون العلاج إلى أن يتم برؤهم. ومن أشهر أطباء هذا المارستان الطبيب عمر ابن غياث السلاوي المعروف في لسان العامة بسيدي مغيث، والطبيب أبو الفضل العجلاني السلوي، وكلاهما له تآليف في الطب والتشريح والعلاج. ومن المتخرجين على يد غياث الطبيب محمد القوري المكناسي ثم الفاسي.

وفي العصر الحديث، عصر الشرفاء السعديين والعلويين (القرون الخمسة الأخيرة) وهو عصر التفتح على الخارج والتعامل مع أوربا الجارة وبلاد السودان وراء الصحراء، وما نشأ عن ذلك من عطاءات ومبادرات، ومصاعب وأزمات، فنجد سلا تتفاعل مع الأحداث بحذر وأناة، وتقوم بدورها كاملا كمدينة عريقة أصيلة. وسنجتزئ من تاريخها الحضاري الحافل في هذا العهد بإشارات خاطفة.

استوطنت مدينة سلا في هذه الفترة جالية أندلسية مستعجمة بعد قرار الطرد النهائي، وأتت معها باللغة الإسبانية فأصبح السلاويون يتكلمونها في البيوت والأسواق، إلى جانب العربية، حسبما جاء في *رحلة* الأسير الفرنسي مويط، وطوَّر هؤلاء المهاجرون وسائل الري في الحقول والبساتين، وأدخلوا شجر التوت وتربية دود القز، فقامت صناعة الحرير في سلا إلى جانب صناعاتها القديمة في القطن والكتان والصوف.

وقامت إمارة المجاهد العياشي السلاوي أثناء الفترة العصيبة بين نهاية دولة السعديين وبداية دولة العلويين، فشملت منطقة نفوذه مدينة فاس ومكناس وتطوان وسائر شمال المغرب من وادي أم الربيع إلى الثغور المحتلة في الشمال، فأسهم بنصيب وافر في إيقاف الزحف المسيحي، وضيق الخناق على محتلي مازاغان (الجديدة) والمهدية والعرائش وطنجة وحقق عليهم انتصارات عديدة، وأشرف في نفس الوقت على تكوين وتسيير أسطول الجهاد البحري الذي يسميه الأوربيون أسطول "قراصنة سلا"، وتطور الجهد البحري بعد العياشي فأصبح تحت إمرة الدلائيين يُسيره ديوان ثلاثي منتخب من أعيان سلا والرباط والقصبة، إلى أن انتزع السلطة منهم المولى الرشيد بن الشريف العلوي بعد أن وحد المغرب تحت سلطته.

وفي الأخير نشير إلى بعض الأعمال الثقافية الاصلاحية التي اضطلع بها رواد الفكر والوطنية في سلا في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن لنصح المخزن ومساعدته على مواجهة الضغوط الخارجية والأطماع الأوربية، أمثال قاضي القضاة عبد الله ابن خضراء مستشار الدولة وأمين مصاريفها، والقائد عبد الله بنسعيد نائب المندوب السلطاني بطنجة، وعلي زنيبر صاحب مشروع الدستور الذي اقترح حلولا ملائمة للمشاكل التي كان المغرب يتخبط فيها.

كما نشير إلى سبق سلا وريادتها في ميدان الصحافة والنشر، فقد صدر فيها خلال الثلاثينيات جريدة *المغرب*، أول جريدة يومية حرة بالمغرب، ودورية ثقافية ملحقة بها "الثقافة المغربية" لسعيد حجي، وجريدتان أسبوعيتان : *الوداد* لمحمد اشماعو، *والتقدم* لمحمد بن حساين النجار. وفي "مطبعة المغرب" التي أسسها سعيد حجي في الثلاثينيات كذلك بحي سيدي التركي نُشرت كتب في تاريخ المغرب وحضارته، واللغة العربية وآدابها، مثل *المعجب في تلخيص أخبار المغرب* لعبد الواحد المراكشي بتحقيق الأستاذ محمد الفاسي، *وشرح بحرق الكبير على لامية الأفعال* بتحقيق عبد الرحمان حجي، وأجزاء من سلسلة *البدائع* الأدبية.

وأهم ما يستلفت النظر في سلا بعد الاستقلال، اتساع الأحياء خارج المدينة بحيث أصبحت سلا داخل الأسوار لا تمثل إلا جزءاً بسيطاً من سلا الكبرى، وآخر ما أحدث فيها "سلا الجديدة" في وطا حصين وهي مدينة واسعة بجميع المرافق الضرورية، وتضخمت الساكنة بأفواج المهاجرين من المدن والقرى وحتى الموظفين العاملين بالإدارات العمومية بالرباط.

ابن عبد الحكم، *فتوح مصر والمغرب والأندلس*، القاهرة، 1914 : ابن حوقل، *المسالك والممالك*، ليدن، 1873 : البكري، *المسالك والممالك*، تح. أدريان وآخر، بيروت، 1992 : الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، ط. إيطاليا، د. ت : م. الحميري، *الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1975 : ع. الواحد المراكشي، *المعجب*، تح. م. الفاسي، سلا، 1938 : ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، بيروت، 1985، ج 3 : ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 : ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1956، أجزاء، 4 و6 و7 : ل. ابن الخطيب، *مثلى الطريقة*، الرباط، 1973 : *أعمال الأعلام*، الدار البيضاء، 1964 : *معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار*،

الأسكندرية، 1958 ؛ أ. الحضرمي، *السلسل العذب والمنهل الأحلى*، سلا، 1988 ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير وعز الحقير*، تح. م. الفاسي، وأ. فور، الرباط، 1965 ؛ مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، تح. سعد زغلول ع. الحميد، الدار البيضاء، 1985 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، ط 2، بيروت، 1983 ؛ م. كربخال، *إفريقيا*، تر. م. حجي وآخرين، الرباط، 1989 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، تح. سعيد أعراب، المحمدية، د. ت ؛ أ. ابن عاشر الحافي، فهرس، مخطوط ؛ *تحفة الزائر بمناقب الحاج أحمد بن عاشر*، تح. م. بوشعراء، سلا، 1988 ؛ *كناشة*، مخطوط ؛ مويط، *رحلة الأسير مويط*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1990 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ م. ابن علي الدكالي، *تقييد في تاريخ مدرسة الطالعة بسلا*، مخطوط ؛ *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996 ؛ *إتحاف أشراف الملا*، مخطوط ؛ *كناشة*، مخطوط ؛ ج. الناصري، ابن الخطيب بسلا، سلا، 1988 ؛ *سلا ورباط الفتح وأسطولهما الجهادي*، مخطوط ؛ قضاة سلا، مخطوط؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، الدار البيضاء، 1988 ؛ م. بن شريفة، أسرة بني عشرة، مجلة تطوان، 1965 ؛ ج. كوستي وق. عشاش، *بيوتات مدينة سلا*، تح. نجاة المريني، سلا، 1989 ؛ ع. اللطيف الشاذلي، *الحركة العياشية*، الدار البيضاء، 1982 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق*، سلا، 1989 ؛ مصطفى بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا قبيلة بني حسن*، الدار البيضاء، 1996.

Association Bou Regreg, *La réhabilitation des cités anciennes*, actes du colloque international - Salé les 6 - 7 - 8 octobre 1988, Casa, 1990 ; K. L. Brown, *An Urban of Moroccan History, Salé 1000 - 1800, H.T.*, vol. XII, 1971 ; *Poeple of Salé. Tradition and charge in a Moroccan city. 1830 - 1930*, Manchester U.P. 1976 ; L. Brunot, *La mer dans les traditions indigènes à Rabat et Salé* ; P. Carcopino, *Le Maroc Antique*, Paris, 1943 ; P. Champion, *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1927 ; Dr. Chastel, *Rabat - Salé, vingt siècle de l'oued Bou Regreg* ; R. Coindreau, *Les Corsaires de Salé*, Paris, 1948 ; Collectif, *Salé cité millénaire*, Salé, 1997 ; Collectif, sous la direction de Marcello Balbo, Daniel Pini, *Médina di Salé*, Milano, 1993 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe 1830 - 1894*, Paris, 1961 ; H. Terrasse, *Les portes de l'Arsenal de Salé*, *Hesp.*, 4ème trim., 1922.

محمد حجي

سَلاَبُوس Salabos ثائر أمازيغي أيام الرومان. يعدّ ديون كاسيوس المؤرخ الروماني الوحيد الذي تحدث عن سلابوس عبر فقرة يتيمة. فكان هذا الأخير ثالث ثائر أمازيغي ينال الاهتمام في المصادر الرومانية بعد يوغورطة Jugurtha الذي أفرد له سالستيوس Sallustius كتاباً كاملا وتاكفاريناس Tacfarinas الذي تحدث عنه وعن ثورته المؤرخ تاكيتوس عبر بعض صفحات الكتب الثاني والثالث والرابع من حولياته.

وهكذا أهمل ديون كاسيوس شخصية سلابوس وظروف وملابسات ثورته، ولم يسلط الضوء إلا على فترة جد وجيزة من حياة هذا الثائر وهو في حالة حرب ضد الرومان.

هذا وإذا ما تساءلنا عن بلينيوس الشيخ وعن شهادته، فحري بنا أن نذكر أنه مؤرخ لاتيني الأصل (23 . 79 م)، معاصر لأحداث ثورة سلابوس، وأنه هو صاحب المؤلف المشهور "التاريخ الطبيعي (Naturalia Historia) الذي جعله في سبعة وثلاثين جزءاً، وصلت إلينا كاملة. وأنه أفرد الجزء الخامس من مؤلفه هذا للحديث عن إفريقيا الشمالية طبيعيا وبشريا وضمنه بعض المعلومات التاريخية.

إلا أن شهادته التي أوردها عن حملة سويطونيوس بولينوس إلى ما وراء الأطلس، وإن كانت ذات أهمية، فهي لا تشبع فضول الباحث ولا تشفي غليل تساؤلاته. وذلك لسبب واضح للغاية هو أن هذا "الجغرافي" الذي لم يكن شاهد عيان ـ لم يأخذ من تقارير سويطونيوس بولينوس عن حملته إلا ما يخدم غايته من مؤلفه وهو يدون أوصافه للمنطقة بكل اقتضاب. فجاءت إشارته عن ثورات شرق المغرب آنذاك إشارة هزيلة أهملت كل شيء عن الأهالي الثوار وعن زعامتهم وعن ظروف وملابسات ثورتهم وما ارتبط بها من الأسباب والحوافز والنتائج.

أما الباحثون المحدثون فقد تجاهلوا سلابوس ونشاطه، فاكتفى بعضهم ـ وهم قلة قليلة ـ بالإشارة إلى ثورته وبذكر اسمه، ولم يتعد البعض الإشارة الخفيفة إلى القائدين الرومانيين. وانفرد الباحث دولاشابيل (De la Chapelle) بمقالة عن "حملة سويطونيوس بولينوس"، محورها في إطار يدرس بالدرجة الأولى إشكالية الربط البري بين الموريطانيتين الطنجية والقيصرية. هذا الربط الذي لم يكن في نظره إلا في الحالات الاستثنائية، مؤكداً أن حملة هذا القائد كانت أساسا ضد رعاة رحالة صحراويين كانوا يقضون فصل الشتاء في الصحراء، ويتبعون في الصيف مياه نهر ملوية أو الهضاب المجاورة له قاصدين سهول ملوية السفلى وما جاورها في الشمال، فيهددون بحركتهم تلك كل ربط وتواصل آمن بين الموريطانيتين. هؤلاء الرعاة الرحالة الذين لم يتورع دولاشابيل عن نعتهم بالنهاب والسراق، مرجحا أن يكون سويطونيوس بولينوس قد انطلق من غرب موريطانيا القيصرية ليشن ضدهم غاراته، سالكا طريقه عبر تلمسان دبدو، وتندرارة وسهل تاملالت، وعين الشعير عند سفح الأطلس، على امتداد ثلاث مائة كيلومتر بمعدل ثلاثين كيلومترا في اليوم، وتعدى الأطلس بعد ذلك إلى وادي كير بضواحي بوعنان وربما دخل تافيلالت نفسها.

وبناء على ما سبق، فإن الأسئلة الملحة التي تفرض نفسها هي : من يكون هؤلاء الأهالي الثوار الذين نعتهم دولاشابيل بالنهاب والسراق ؟ ومن يكون زعيمهم سلابوس؟ وما هي ظروف وملابسات ثورتهم ؟

مما لاشك فيه أن محاولة التعريف بالموريين الذين حاربهم القائدان الرومانيان سويطونيوس بولينوس وهوزيديوس جيتا أمر صعب جدا، ما دامت النصوص التاريخية التي أوردها بلينيوس وديوس كاسيوس لا تذكر هؤلاء الأقوام بصريح العبارة.

إلا أن الاقتناع برأي دولاشابيل بخصوص انطلاق حملات القائدين الرومانيين من غرب المغرب الأوسط واتجاههما نحو تافيلالت عبر النجود العليا والأطلس، اقتناع يساعد على تحديد المجال الحيوي لهؤلاء الأقوام على الأقل،

ويمهد انطلاقا من هذا المجال لكشف هوية أولئك الذين كانوا يستغلونه خلال القرن الأول للميلاد.

ولما كان نص بلينيوس يذكر بصريح العبارة الأطلس ونهرا باسم كير Ger، فإن الأقرب إلى الصواب هو أن تنطلق التحريات من هذه المعالم الجغرافية في شكل ثلاث ملاحظات:

أولها : أن القائد سويطونيوس بولينوس قد تجاوز الأطلس ووصل إلى نهر يدعى كير Ger، رأى فيه الباحثون النهر المعروف بنفس هذا الاسم - إلى يومنا هذا - إلى الشرق من تافيلالت : منطلقين من أن هذه التسمية في حد ذاتها جذر أمازيغي يعني واداً أو نهراً.

ثانيها : أن الأوصاف التي أوردها بلينيوس عن المنطقة التي عبرها هذا القائد في ظرف عشرة أيام قبل وصوله إلى الأطلس تنطبق إلى حد كبير على جغرافية النجود العليا الشرقية بما فيها من صحاري ذات رمل أسود تتخللها من مكان لآخر أكمات صخرية سوداء، كأنها محروقة، تعرف اليوم باسم الكارات في المنطقة.

ونستدل على ذلك بأن لفظة بركم أو بركنت - الاسم العتيق لمدينة عين بني مطهر اليوم - تختزل هذه الطبوغرافيا السوداء اللون. ونرجح أن تكون اللفظة بركم / بركنت، مجرد نطق مخفف للفظة تبركنت التي تعني السوداء في بعض اللهجات المحلية. كما نرجح أن تكون تبركنت هذه هي تلك المدينة التي أشار إليها جغرافي رافنا باسم لاتاني مركب بصيغة (Ripae Nigrae) (Ripas Nagras) بمعنى الضفاف السوداء أو المرتفعات السوداء.

ثالثها : أن الأطلس الذي ذكره بلينيوس، وديون كاسيوس كذلك، وانطلاقا من الملاحظتين السالفتين لا يمكن أن يكون إلا شرق الأطلس الكبير الفاصل بين النجود العليا الشرقية شمالا وبين وادي كير وتفيلالت جنوبا.

أما بخصوص احتمال وصول أحد القائدين الرومانيين أو كليهما إلى واحات تافيلالت، فإننا نميل إلى تأييد هذه الأطروحة، خاصة وأننا نجد لحملاتهما صدى عند المؤرخ الرحالة الحسن الوزان Léon L'Africain الذي ينسب تأسيس مدينة سجلماسة إلى "قائد روماني ذهب من موريطانيا ... ثم زحف شطر الغرب حتى ماسة. فبنى المدينة وسماها سجلوم ميسي لأنها كانت آخر مدن دولة ماسة. ولأنها كانت كالخاتم الذي يسجل نهاية فتوحاته، فحرف هذا الاسم بعد ذلك وتحول إلى سجلماسة. بل أكثر من ذلك نجد لهذه الأطروحة صدى كذلك في الروايات الشفوية التي يتناقلها أهل تافيلالت من جيل إلى جيل إلى يومنا هذا، والتي تعود بتأسيس مدينة سجلماسة إلى الفترة الرومانية.

واعتماداً على ما سبق، يتضح جليا أننا مقتنعون بأن القائدين الرومانيين قد انطلقا من غرب المغرب الأوسط وسلكا الطريق من هناك إلى تافيلالت عبر تلمسان، وسبدو، وعين بني مطهر، وتندرارة، وعين الشعير، وبوعنان أو عين الشواطر، فبوذنيب، مخترقين أراضي كان ينتجع فيها أقوام ضمن مجال حيوي أوسع وأشمل. مجال حيوي يمتد ما بين الوهرانية شرقا والأطلس المتوسط غربا، ويبتدئ من البحر الأبيض المتوسط شمالا ليتوغل إلى تخوم الصحراء، بواحات وادي كير الأعلى وتافيلالت جنوبا. فمن كان هؤلاء الأقوام أنذاك ؟

كان من اليسير علينا أن نعرف هؤلاء الأقوام بسهولة لو أن الأركيولوجيا مدتنا بالنقائش التي تخلد وصول القائدين إلى تافيلالت، وتأسيس مدينة سجلماسة، أو بتلك التي تضبط ظروف وبنود معاهدة السلم التي اتفق عليها هوزيديوس جيتا مع الزعيم الموري سلابوس. لأننا متيقنون أنه ما كان من عادة الرومان أن ينجزوا أعمالا في مثل مستوى تأسيس مدينة أو تحقيق نصر دون تدوين ذلك على الصخر. ومما يقوي يقيننا في ذلك كون التاريخ احتفظ لنا في فوروم وليلي بنقيشة ماركوس فاليريوس سفروس (Marcus Velerius Severus) التي كانت تزين قاعدة التمثال الذي أقيم تكريما لهذا القائد الروماني واعترافا بجميله وحسن بلائه في القضاء على ثورة إيدمون (Aedemon) المعاصرة لثورة سلابوس.

وهي نقيشة غير مؤرخة تحكي حدث مساهمة سكان هذه المدينة بكافة شرائحهم في إقامة تمثال تذكاري لكايوس فولكينيوس أوبتاتوس (Caïus Fulcinius Optatus) الذي أحبط هجوما بكواطيا على مدينتهم، فاستحق بذلك شرفا لم ينله أحد قبله في هذه المدينة.

وحول تاريخ هذه النقيشة اختلف الباحثون اختلافا كبيراً، فهذا كانيا (Cagnat) رأى بتحفظ شديد أنها دونت حدثا وقع في عهد الإمبراطور سبتيموس سفروس (193 - 211).

وربط توفونو (Thouvenot) تاريخ هذه النقيشة بالإضطرابات التي عرفتها الموريطانيتان في عهد الامبراطورين ماركوس أوريليوس (161 - 180) وكومودوس (176 - 192).

واقترح كاركوبينو (Carcopino) بعدما فند ادعاءات سابقيه أن هذه النقيشة تورخ لحدث معين وقع في عهد الإمبراطور هادريانوس (117 - 138) ما بين سنتي 117 و122، حدث انتهى برفع تمثال شرفي لكايوس فولكينيوس أو بتاتوس في كارطناي من جهة، وبإقامة السلم مع هؤلاء الباكواط الذين أطلق هادريانوس أيديهم في أراضي الأوطولول - الذين كانوا يستغلون المجال المحصور بين نهر سلا وجبل الأطلس - ضاربا بذلك عصفورين في آن واحد من جهة ثانية.

وإذا كانت نقيشة كارطناي تفهمنا أن حاكم هذه المدينة كايوس فولكينيوس أو بتاتوس قد حارب البكواطيين، وردهم على أعقابهم وحال دون دخولهم مدينته، فإن كل القرائن السالفة ترجح بطريقة تلقائية أن انطلاق حملات سويطونيوس بولينوس وهوزيديوس جيتا ضد الثوار الموريين

كان من هذه المدينة بالذات.

كما تدل هذه القرائن على أن هذين القائدين حاربا حلفا موريا كان يرأسه الزعيم سلابوس ويضم الباكواطيين والمكنيتيين على الأقل. ولعله كان أول حلف معروف بين الطرفين، اقتضته ظروف الثورة ومواجهة الاستعمار الروماني. هذا الحلف الذي تلته عدة أحلاف أخرى في ما بعد نجد لها صدى واضحا في بعض النقائش التي احتفظت بها مدينة وليلي والمؤرخة بسنوات 173 / 175.

أما عن قيادة الثورة فنعتقد أن كل من وقف عند النصوص التي أوردها بلينيوس الشيخ وديون كاسيوس حول ثورة سلابوس في شرق المغرب قد لاحظ ما تميزت به تلك النصوص من البخل بخصوص المعلومات التي من شأنها أن تسلط بعض الضوء على زعامة هذه الثورة.

إلا أن كل القرائن التاريخية التي تجعل من سلابوس زعيم حلف باكواطي مكنيتي، وكل المعارك التي خاضها قادة رومان كبار ضد هذا الحلف (سويطونيوس بولينوس وهوزيديوس جيتا)، ومعاهدة السلم الموقعة بين الطرفين المورى والروماني في حدود سنة 43، إن كل ذلك كفيل وحده أن يقنع المتتبع لهذه الأحداث أن قيادة هذه الثورة كانت على غرار قيادات معظم الثورات المورية في يد أمينة قوية مؤمنة بقضيتها المصيرية لا نرجح إلا أن يكون صاحبها سلابوس على علاقات وثيقة مع أنصاره، علاقات تطبعها الثقة المتبادلة بينهم، وأن يكون في حد ذاته متميزا بأخلاق عالية أو أن يكون سليل أسرة ذات سمعة طيبة في بيئتها المحلية والجهوية، وأن يكون رجلا شهما ذكيا شجاعا على غرار شهامة وذكاء وشجاعة كافة قادة المقاومة ورجال المقاومة في كافة عصور تاريخ المغرب.

هذا ومما لاشك فيه أن روما عقب اغتيال الملك بطليموس سنة 40 نهجت كعادتها في مثل هذه الظروف سياسة هجومية عدوانية على أراضي المملكة الموريطانية الشاسعة بهدف ضمها نهائيا ورسميا إلى ممتلكاتها في إفريقيا الشمالية آنذاك.

ومما لاشك فيه أيضاً أن روما - باعتبارها قوة استعمارية - قد نهجت في سبيل تحقيق أهدافها التوسعية في المنطقة كل الوسائل والأساليب الاستعمارية المعروفة، السياسية منها والحربية على حد سواء.

ومما لاشك فيه أيضاً أن الأهالي الموريين قد تصدوا لهذه الهجمة الاستعمارية الرومانية بكل ما أوتوا من قوة وإيمان مدافعين عن كرامتهم وأرضهم طمعا في المحافظة على استقلالهم. فانطلقت إذاك - سنة 40 - ثورة إيدمون في شمال ما سيعرف فيما بعد بموريطانيا الطنجية، وكان هجوم الباكواط انطلاقا من النجود العليا على مدينة كارطناي إيذانا بإشعال فتيل الثورة في عموم شرق المغرب إلى تخوم الصحراء بزعامة سلابوس.

إلا أن المكر الاستعماري الروماني كان أقوى من استعداد المقاومة المورية للمواجهة آنذاك إذ عملت روما على عادتها في سبيل تنفيذ سياستها الاستعمارية على إثارة أطماع رؤساء بعض القبائل وعملت على ربطهم بمصالحها بواسطة الأماني والوعود أو بواسطة بذل الأموال لهم بسخاء. فاشترت بذلك ذممهم وولاءهم. بل أكثر من ذلك رفعت روما بعض هؤلاء الرؤساء درجات وجعلت منهم أمراء وملوكا وخلعت عليهم أردية الإمارة والملوكية، وأتحفتهم بالهدايا : صولجان فضة مذهب، وتاج فضي مزين بأحجار كريمة، ومعطف أبيض وقميص أبيض وأحذية مطرزة بخيوط مذهبة.

وبفضل هذه الإغراءات ضمنت روما لنفسها حلفاء موريين - فوق التراب الموريطاني - متواطئين معها كما أشار إليهم ديون كاسيوس بصريح العبارة وهم يرشدون طريق القائد هوزيديوس جيتا ويعززون صفوف جنده ويزحفون معه ضد سلابوس وثواره.

وقد كان هذا التواطؤ من مثبطات المقاومة المورية في المنطقة، مما اضطر الزعيم سلابوس إلى الإنسحاب إلى الصحراء بعد انهزامه في معارك نظامية كلاسيكية وجها لوجه مع القادة الرومان، ومما اضطره كذلك إلى التخاطب في السلام مع روما.

هذا وإذا كانت المصادر المتوفرة حول ثورة سلابوس تنهي حديثها عن ثورات شرق المغرب بعقد معاهدة سلام مع روما سنة 43 فإن كل القرائن التاريخية توحي بأن تلك الحملات العسكرية المتوالية التي جهزتها روما ما بين سنتي 40 و43 على النجود العليا إلى تخوم الصحراء قد كلفت الرومان عدة تضحيات بشرية ومؤونة حربية باهظة الثمن عجزت خزينتهم على تغطية مثيلات لها فيما بعد من جهة. كما توحي نفس القرائن، من جهة ثانية، بأن الرومان - الذين عجزوا عن بسط نفوذهم في هذه المنطقة - قد فهموا جيدا أن المغامرة هناك تعب كبير ونفع قليل.

هذا ويستشف من تاريخ الوجود الروماني في إفريقيا الشمالية بصفة عامة أن المنطقة - الممتدة ما بين مدينة نوميروس سيروروم (مغنية) (Numerus Syrorum) شرقا ومدينة وليلي (Volubilis) غربا وعلى امتداد عمقها من البحر المتوسط شمالا إلى ما وراء تافيلالت إلى تخوم الصحراء جنوبا - أن هذه المنطقة قد بقيت على طول هذا التاريخ منطقة خارج النفوذ الروماني، مما يدل قطعا على قوة واستمرارية صمود أهلها في وجه هذا الاستعمار. بل أكثر من ذلك يفهم من سياق تاريخ إفريقيا الشمالية في العهدين الوندالي المتأخر والبيزنطي أن هذه المنطقة بالذات قد ظلت دوما خارج مناطق نفوذ الوندال والبيزنطيين وأنها حافظت على استقلالها إلى أن دخلها العرب المسلمون الفاتحون في منتصف القرن السابع الميلادي.

وختاما، تكمن أهمية ثورة سلابوس في كونها كانت خلال منتصف القرن الأول للميلاد مقاومة معرقلة للوجود الروماني في إفريقيا الشمالية عامة وضد الأهداف التوسعية الرومانية في شرق المغرب خاصة، لكونها كانت سباقة إلى

إعلان الثورة العارمة ضد الاستعمار الروماني في ممتلكات المملكة الموريطانية سابقا، إن لم تكن هذه المقاومة في حد ذاتها من الأسباب العميقة التي كانت من وراء تقسيم هذه المملكة وتنظيم أراضيها في ولايتين متميزتين : موريطانيا القيصرية وموريطانيا الطنجية.

م. سعود التازي، *حرب يوغورطة والمؤرخ اللاتاني سالوست*، 1981 ؛ م. اللبار، *دور المغرب الشرقي في عرقلة الوجود الروماني في إفريقيا الشمالية*، مجلة جمعية تاريخ المغرب، وجدة، العدد الأول، سلسلة جديدة، يونيو، ص. 11 ـ 24، 1993 ؛ م. اللبار، *الربط البري بين الموريطانيتين الطنجية والقيصرية*، مجلة كلية الآداب الرباط، العدد 19، ص. 123 ـ 137، 1994 ؛ م. اللبار، *حول مقاومة شرق المغرب للأهداف التوسعية الرومانية خلال منتصف القرن الأول للميلاد*، ضمن وقفات في تاريخ المغرب، دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب، سلسلة بحوث ودراسات رقم 27، الرباط، 2001، ص. 275 ـ 303 ؛ ح. الوزان الفاسي، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. لخضر، ج. 2، الرباط، 1982.

Albertini [et al.], *L'Afrique du Nord Française dans l'histoire*, Paris, 1955 ; M. D'. Avezac, *Histoire et description de l'Afrique*, Paris, 1844 ; Marcel Benabou, *La résistance africaine à la romanisation*, Paris, 1976 ; Idem, *Tacfarinas, insurgé berbère contre la colonisation*, in *les Africains*, VII, Paris, 1990 ; R. Cagnat, *La réorganisation de l'Afrique sous Dioclétien*, *Mélanges Louis Havet*, Paris, 1909, pp. 65 - 75 ; *L'armée romaine d'Afrique*, Paris, 1912 ; Gabriel Camps, *Les Bavares peuple de la Mauritanie césarienne*, R. A.., T. XCIX, 1955, pp. 241 - 288 ; J. Carcopino, *Le Maroc Antique*, Paris, 1948 ; F. De la Chapelle, *L'expédition de Suetonius Paulinus dans le sud-est du Maroc*, *Hesp.*, T. XIX, pp. 107 - 124 ; Jehan Desanges, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; Idem, *Permanence d'une structure indigène en marge de l'administration romaine : la Numidie traditionnelle*, Ant. Afr., T. XV, 1980, p. 77 - 89.

محمد اللبار

السلاح الناري بالمغرب، تفيد كثير من الدراسات القديمة والحديثة أنّ السلاح الناري بالمغرب قد ظهر في وقت مبكر نسبيا، وبالخصوص آلات الحصار والدّفاع، حيث استعمله جيش السلطان المريني يعقوب المنصور، أثناء عمليات اقتحام مدينة سجلماسة في شهر رجب من سنة 672، الموافق لشهري يناير ويبراير 1274، لنزعها من يد يغمراسن ابن زيان، زعيم أسرة بني عبد الواد وقتئذ، بالإضافة إلى ما كان يُستعمل عادة من آلات الحصار والدفاع التقليدية كمدافع الحجارة، وقوس الزيار، والعرادات، والأنفاض، والمجانيق.

بيد أن انتشار وتنوع استعمال السلاح الناري، من أنفاض، وبُوزات، ومهاريس، وبنادق قصيرة (Mousquetons)، إلى غيرها من أفواه النار، لم يتم على نطاق واسع في صفوف الجيش المغربي ومن كان ينضم إليه من حراك ومتطوعة القبائل، إلا على عهد السعديين، وبالخصوص أيام السلطانين عبد المالك السعدي وأخيه وخلفه أحمد المنصور الذهبي.

على أنه، ولأسباب متعددة ومختلفة، منها ما هو راجع إلى الجمود والشلل اللذين أصابا بنى البلاد السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، بعد بارقة وادي المخازن سنة 1578، ومنها ما هو مرتبط بالتطورات والإنجازات المادية والتقنية التي تحققت في المجتمعات في أوربا الغربية على الخصوص منذ هذا التاريخ، بل قبله بعشرات السنين، لم يطرأ أي تحول إيجابي يُذكر على قطاع الأسلحة النارية المستعملة من قبل عناصر الجيش المغربي.

ولذلك كان في مقدمة العيوب والنقائص التي ظل يُعاني منها الجيش المغربي، على امتداد القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، افتقاره إلى سلاح ناري حديث ومُتطور، على غرار ما كانت تتوفر عليه جيوش عدد من دول أوربا الغربية وقتئذ من عتاد حربي متنوع وفتاك، كان يُساعد على إرهاب وإسكات الخصم، واقتحام معسكره ومعاقله، وتشتيت صفوفه وجموعه. فإذن، والحالة هذه، لا عجب أن ينهزم المغاربة، كلما اضطرتهم الظروف وملابسات الوقائع والأحداث إلى خوض غمار معركة كبرى ضدّ جيش من جيوش أوربا الغازية، دفاعاً عن العقيدة، والشرف، والكرامة، وحوزة الوطن.

ومن المعلوم أيضا أن مجهودات الدولة المغربية في مجال تأسيس صناعة حربية وطنية قد مرت بمراحل مختلفة، واصطبغت كل واحدة منها وتأثرت بشخصية، وميولات، وانشغالات العاهل الحاكم، وما يكون قد تخلل فترة حكمه من أحداث ووقائع سياسية وعسكرية على الخصوص. ولمّا استعاد المغرب عافيته وسكينته على عهد السلطان محمد ابن عبدالله بعد سنوات عديدة من الاقتتال والاضطرابات وعدم الاستقرار، مدة حكم والده السلطان عبد الله بن إسماعيل (1142 ـ 1171 / 1729 ـ 1757)، حيث انتشر الهدوء والأمن في ربوع البلاد، ونشطت التجارة البحرية، الأمر الذي ارتأى معه العاهل اقتناء السلاح من الخارج، والسماح للتجار الأوربيين بأداء ديونهم للمخزن في شكل كمّيات من الأسلحة والذخيرة، عوض التفكير في تأسيس صناعة حربية محلية.

وقد حاول تدارك هذا الأمر السلطان عبد الرحمن بن هشام، فشجع صُنع البنادق والبارود في معامل بعض المراسي والمدن الداخلية كتطوان، وطنجة، والعرائش، ومكناس ... بيد أن هذا كله كان يتم في إطار تقليدي وطائفي وبوسائل عتيقة، أي أنّ إنتاج البنادق مثلا كان يتم في إطار تخصصات معينة، حيث كان كلٌ من "الزنايدية"، وهم الصناع المختصون في صنع صفائح آليات القذف، و "السرايرية" ويختصون في صنع القناة الخشبية التي تُركب في الجعبة، و"الجعايبية"، وكانوا يتولون صُنع الأنبوب الحديدي الذي يملأ بالبارود، يشتغلون في معزل تام بعضهم عن البعض.

وهذا النوع من البنادق هو الذي كان يُدعى "مكحلة بوشفرة"، أو المكحلة العربية التي تزند بالحجر، وهي التي كانت أكثر انتشاراً من غيرها، سواء في التنظيمات

العسكرية المخزنية، أو في صفوف مقاتلي القبائل. وكانت الطلقة النارية تنطلق منها بواسطة شارة يحدثها نوع من الحجر الخاص بالبنادق، يثبتُ في مطرقة صغيرة، يحركها زنبرك (Ressort) متى شاء مستعملها، وذلك بأن يضغط بأصبعه على الزناد. وكان طولها يصل إلى متر وستين سنتمتراً، في حين يبلغ عيّارها حوالي ثلاثة عشر ميليمتراً. وبالإضافة إلى هذه البندقية، كان الجنود المغاربة يستخدمون أنواع أخرى من البنادق، أجنبية الصنع، إنجليزية، وبلجيكية، وفرنسية، وأمريكية وهي :

السلاح الناري

الشكبيطة (Escopette)، وبوحبه، وبوحفرة، وبوشكة، وبوذن، وبوغطاء، والبلجف، والمنبهية، والسطاشية، ومارتيني - هنري (Martini - Henry)، وكومبلان (Comblain)، وونشستر (Winchester)، وشاسبو (Chassepot)، ولُبل (Lebel)، وموزر (Mauser)، ورمنگتان (Remington)

ونفهم مما يرد في العديد من الوثائق المخزنية من معطيات وبيانات حول مؤسسة الجيش وشؤونها في القرن التاسع عشر على الخصوص، أن هذه البنادق الحديثة الصنع والتي كانت تُجلب من الخارج لم تكن قط بيد جميع فرق الجيش المغربي وتنظيماته، إذ كان المخزن يفضل تسليحهم بالبنادق المغربية الصنع التي تزند بالحجر أو ذات المكبس، فيصبح سلاح الجميع اليدوي عبارة عن خليط عجيب من البنادق. وتنطبق هذه الملاحظة أيضاً على العتاد الحربي الثقيل، أي المدافع، والمهاريس، إذ كانت جلّ قطعه يعود تاريخ صنعها إلى عدة سنين خلت، وأهديت للسلطان، في مناسبات معينة، من قبل بعض الدول الفرنسية.

وأيا كان الأمر، فإنه من الصعب جداً، إن لم نقل من المستحيل، تقديم أرقام دقيقة عن عدد البنادق، أوبطاريات المدافع المختلفة الحجم والأصل. فضلاً عن باقي المعدات والأدوات الحربية الأخرى، من خرطوش، وبارود... والتي كانت في مخازن العدة، أو بيد الجند، أو أبناء القبائل، وبالخصوص في منطقة الريف، وجبال بني يزناسن وغياثة، وقبائل التخوم الشرقية، وقبائل زعير، وأعراب الرباط، وسوس.

وتسمح الوثائق المخزنية والمصادر العربية، إضافة إلى وثائق وزارة الحرب الفرنسية بفانسين بباريز وكتابات الأوربيين الأخرى عن المغرب وشؤونه، بإبداء بعض الملاحظات والخروج بمجموعة من الخلاصات، نجملها في النقط الآتية :

1) حرص المخزن الدؤوب على فرض مُراقبة شديدة ومتواصلة على مسألة الأسلحة والاختصاص بها وحده، ومحاولة عدم تسربها إلى القبائل. ولهذا مثلا، كانت البنادق والذخيرة لا توزع على الجند إلا ساعة بداية القتال لتسحب منهم بعد انتهاءه مباشرة.

2) يصحب السلطان، أثناء تنقلاته عبر مختلف جهات البلاد، الجزء الأكبر من العتاد الحربي الثقيل المتكون أساساً من مدافع ومهاريس نحاسية وحديدية. فهذا مثلا السلطان محمد بن عبد الله، وهو يتأهب لضرب حصاربرّي على مدينة البريجة (الجديدة فيما بعد)، في غرّة شهر مارس من سنة 1768 بهدف استردادها من قبضة المحتلين البرتغاليين. وهذا السلطان المولى عبدالعزيز بدوره يصحب معه ما لا يقل عن 29 مدفعا، من أنواع وأحجام وعيارات مختلفة، بالإضافة إلى 4 مدافع هون (Mortiers)، و6 مدافع رشاشة من نوع گاردنر (Mitrailleuses Gardner)، خمسة من هذه الأخيرة كانت تستخدم قرطوس من نوع لي مدفورت (Lee Medfort)، وواحدة قرطوس من نوع مارتيني.

3) تتوزع مخازن السلاح والذخيرة أساسا على العواصم الثلاث، فاس، ومكناس، ومراكش، علاوة على ما كان مودعا منها في أهم المدن الساحلية تطوان، وطنجة، والعرائش، وسلا ورباط الفتح، والجديدة وأسفي، والصويرة...

وكان السلطان يعهد لأمناء الصائر وأمناء المراسي بتدبير شؤون هذه المخازن، وضبط كميات وأعداد ما بها من عتاد حربي وذخيرة، وتسجيل الكل في كنّاشة خاصة، وما كانوا يسلمونه من هذه المواد إلى الغير، أو يبعثون به إلى السلطان، حين يؤمرون بذلك. على أن قائد الحامية العسكرية بالمدينة كان يتحمل جانبا من المسؤولية في تدبير شؤون هذه المخازن، كأن يكون بيده مثلا، أو بيد من ينوب عنه، مفتاح ثان لمخزن الذخيرة، زيادة في الاحتياط والحذر. إلا أن ذلك كان لا يمنع من وقوع أحداث مؤلمة، كانت تتسبب في خسائر بشرية ومادية، بسبب وضع هذه المواد المتفجرة رهن إشارة أشخاص غير متمرنين على تداولها. أضف إلى هذا سوء تدبير هذه المرافق وتهاون القيمين عليها في القيام بأعمال

الصيانة والتفقد الضرورية كي لا يتعرض ما فيها من آلات، وأدوات، ومواد إلى الضّياع والإتلاف.

4) ما من شك أن المغرب كان في الفترة التي تعنينا هنا يفتقر إلى الأسلحة كما وكيفا، ولا تمكنه قط من الدفاع عن النفس، في حال وقوع اعتداء خارجي على أراضيه، كما شاهدنا ذلك في القرن التاسع عشر على الخصوص. ثم لا بُد من الإشارة هنا إلى أنه بالإضافة إلى فقدان الخبرة في القتال، وانعدام الروح العسكرية، وعتاد حربي جل قطعه عائبة وقديمة، كان لمزوّدي المخزن من التجار الأجانب بالأسلحة، دور هام في إفساد عملية تسليح وتجهيز الجيش المغربي، إذ كان معظمهم لا يترددون في بيعه القديم منها، أو العائب، أو ما كان منها على وشك الإقصاء والتعويض بأحدث منها صُنعا وأحسن إتقانا.

وثائق خ. ح. : محفظات المولى عبد الرحمن بن هشام، أرقام 19 / 1 38 / 1 15 / 6 24 / 6 24 / 14 7 / 9 ؛ *الكنانيش* : ك47 ؛ ك117 ؛ ك347 ؛ ك348 ؛ ك113؛ ك467؛ ك694 ؛ ك429 ؛ ك374 ؛ ك443 ؛ ك763 ؛ مديرية الوثائق الملكية بالرباط، محفظة رقم 1، ملف 11، وثيقة رقم 19274، سنة 1263 / 1847 ؛ خ. ص.، سلسلة 3، حرف - ب - محفظة 23، وثيقة رقم 3331، سنة 1305 / 1887 ؛ سلسلة 3، حرف - ب - محفظة 25، وثيقة 3642، بتاريخ فاتح ربيع الأول 1314/ 10 غشت 1896 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، المطبعة الوطنية، الرباط، 1929 - 1933، ج. 1، ص. 380، ج. 2، ص 115 - 549، ج. 3، ص.365.148 و 366-577، ج. 5، ص 1، 274 ؛ ث. برادة، *الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر*، منشورات، ك. أ. ر، مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء، 1997 ؛ م. ابن الخوجة، *رسالة في طريقة تحديث الجيش المغربي*، مخطوط، خ. ع. ر، رقم : 2733؛ م. بن إبراهيم السباعي، *البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عدّ مآثر السلطان مولاي الحسن*، خ. ع. ر، مخ رقم د 1346 ؛ م. المنوني، *ورقات عن حضارة المرينيين*، الدار البيضاء، 1996 ؛ *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، جزآن ؛ م. المهناوي، *السلاح الناري بمغرب السعديين*، د. د. ع، فاس، 1988 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج. 3، ص. 36 ومابعدها، ج. 8، ص. 3 - 72 (القسم الثاني) ج. 9، ص.112.

Archives Ministère Guerre, Vincennes. A.G.V, 3h2, Rapp. sur Organisation de l'Armée marocaine, 7 septembre 1870 ; A.G.V., 3h2, Rapp. Erckmann, n° 7, année 1878 : A.G.V., 3h3, Rapp. Cap. Martin, mars-avril 1882 ; A.G.V., 3h4, Rapp. Cdt Levallois, 1er mars 1884 ; A.G.V., 3h8, Rapp. n° 17, année 1892 ; A.G.V., Rapp. Schlumberger, année 1894 ; A.G.V., 3h9, Rapp. n° 30, année 1895 ; A.G.V., 3h21, Rapp. Cap. Larras : L'occupation du Maroc, 25 mars 1900 ; Archives Affaires Etrangères, Paris, A.E.P., Corresp. Pol., année 1847 ; A.E.P., Corresp. Pol., vol. 38, année 1872 - 73 ; Cap. Delhomme, Les armes dans le Sous occidental, Arch. Berb., Vol. II, 1917.

مصطفى الشابي

السلاحف والسلحفيات (كلمة فارسية معربة) حيوانات من الزواحف تضم نحو 250 نوعا أغلبها برية منتشرة في المناطق الاستوائية والمعتدلة وغير موجودة في المناطق الصحراوية الحارة. للسلاحف البرية أربعة قوائم تمشي عليها بينما تحولت قوائم الأنواع البحرية إلى شبه زعانف تستخدمها في السباحة ولا تستطيع أن تنكمش داخل البيت القرني (الترس) كما تفعل سلاحف الأرض. يرجع بطء السلاحف البرية في تنقلاتها إلى القوائم القصيرة رغم قوتها ومتانتها فهي صالحة لدعم الجسم وحمله عن الأرض أكثر مما هي صالحة للمشي والتنقل. يسمى المفرد منها في المعاجم السلحفاة والسلحفاء للأنثى والغيلم للذكر، والفكرون في الدارج بأقطار المغرب العربي وبالأمازيغية أفكرون وئفكر وثفشر.

تصنف السلاحف علميا إلى الفقاريات من رتبة الزواحف وفصيلة السلحفيات أو السلاحف Cheloniens وتعد من أقدم أنواع الحيوانات الفقارية الموجودة الآن حيث نشأت في العصر الترياسي - حوالي 200 مليون سنة - واستمرت مع تطور بسيط حتى اليوم. تنمو ببطء وتعيش أعمارا مديدة قد تفوق مائة سنة، كما أنها تتحمل الجوع عدة أسابيع. العينان مغطاتان بغشاء ولاجفن لهما، الرقبة طويلة تتثنى وتذهب بالرأس بعيداً عن الجسم في كل اتجاه لتبحث عن الأكل ؛ الفم عديم الأسنان والفكان مدعمان بمنقار قرني ذي حواف حادة لقطع وتمزيق المأكولات. تختلف بنية الأطراف تبعا لمعيشة الأنواع وعاداتها، فهي قصيرة ممتلئة وتنتهي بمخالب قوية عند السلاحف البرية، ومكففة لتستخدم في العوم في حالة سلاحف الأنهار والبحيرات العذبة، وعلى شكل مجاذيف عند الأنواع البحرية. الجسم مغطى جهة الظهر بدرع (Carapace) من الصفائح العظمية وجهة البطن بدرقة سفلية شديدة الصلابة (Plastron) تسمى جوشنا، ملتحمة بالعظم الصدري ومتصلة بالدرع الظهري تاركة فتحتين من الأمام والخلف يبرز منهما الرأس والذيل والقوائم. الدرقة والدرع جزءان من الهيكل العظمي يتكونان من صفائح عظمية مغطاة عادة بدروع قرنية. الكثير من الأنواع البرية يسحب الرأس والذيل والقوائم إلى داخل البيت القرني (الترس) لحماية نفسه من الأخطار. وهذا الغطاء القرني يتخذ أشكالا جميلة تختلف تبعا للأنواع ويعتمد عليها في التصنيف. السلاحف تشم وتذوق ولكن سمعها ضعيف. تتنفس مثل باقي الزواحف بواسطة رئتين تبتلعان الهواء بدفع الرأس والقائمتين الأماميتين إلى الخلف ثم إلى الأمام مع ضيق وانبساط تجويف الصدر. تبقى سلاحف البحر فترة طويلة من الزمن بداخل الماء وعندما تصعد إلى السطح يظهر منها الجزء الأعلى من الرأس خارج الماء ليبتلع الهواء.

كل السلاحف بيوضة، تحفر الأنثى في التراب أو في الرمال لتضع البيض بداخل الحفرة وتردمه وبهذا تنتهي كل واجباتها نحو أجيالها. يفقس البيض تبعا للحرارة والرطوبة (بين 80 - 106 يوما بالنسبة للأنواع البحرية). يأكل الإنسان

والثعابين والطيور بيض السلاحف كما أن حساء بعض الأنواع البحرية مشهور في أوروبا ويعرف باسم Turtle soup يكثر الإقبال عليه في بعض مناطق العالم.

ثمانية أنواع من السلاحف موجودة في المغرب، نوع واحد بري والثاني يألف المياه العذبة وستة أنواع تعيش في جميع البحار والمحيطات العالمية بخلاف المناطق الباردة بالقطبين الشمالي والغربي، تم ذكرها في عدة محطات بالسواحل المغربية كما أن عدة أفراد جنحت وألقى بها البحر على الشواطئ.

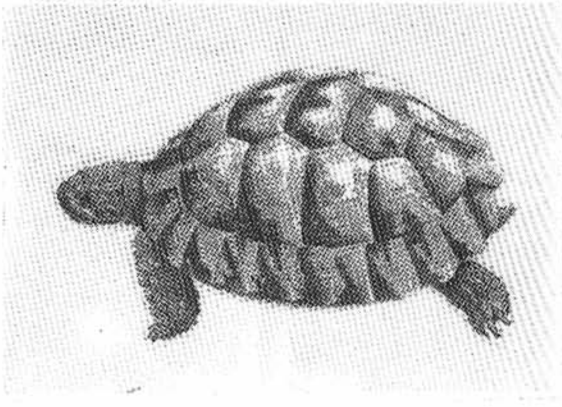

تنتمي السلحفاة البرية أو السلحفاة الاغريقية او المورية (Tortue grecque ou tortue mauresque) إلى فصيلة تيستودينيدي Testudinidae وتسمى علميا تيستيدو كريكا Testudo graeca Linnaeus, 1758 وبالإنجليزية Greek turtle وبالإسبانية Tortuga mora. الدرع الظهري محدب جداً ويبلغ طوله 25 ـ 30 سم ؛ تزن الكبار بين 3،2 - 4 كلغ ؛ الذيل لين وقصير ؛ تحمل القائمتان الخلفيتان زائدة قرنية على شكل صيصة واضحة جهة الخلف. القوائم قصيرة ومدملكة تنتهي بمخالب تستعمل للحفر. يتوالد في أواخر الربيع وبداية الصيف وتضع الإناث بين 4 ـ 12 بيضة في كل سنة، بيضاء صلبة القشرة، يبلغ طول قطريها 31،5 ـ 38،5 x 24،5 ـ 31 ملم. تدوم مدة الحضانة بداخل الحفرة 70 ـ 90 يوما. تظهر الصغار عادة في شتنبر وتتغذى من الأعشاب فقط وتعمر حوالي 100 سنة. يشتو هذا النوع غالبا بين أكتوبر ومارس ويعيش في الحدائق والبساتين والمناطق الغابوية المغربية ويتغذى على أوراق الخضراوات وبعض الفواكه ويخشى الحرارة التي تتعدى 35. يقتصر توزيعه على البلدان المجاورة للبحر المتوسط وبعض أقطار آسيا الغربية. تربى عدة أفراد منه في المنازل كحيوان مستأنس يفضله الأطفال. يستعمل الهيكل العظمي الخارجي في التحف الفنية وفي تركيب بعض الآلات الموسيقية التقليدية، الشيء الذي يهدده بالانقراض على الصعيد الوطني.

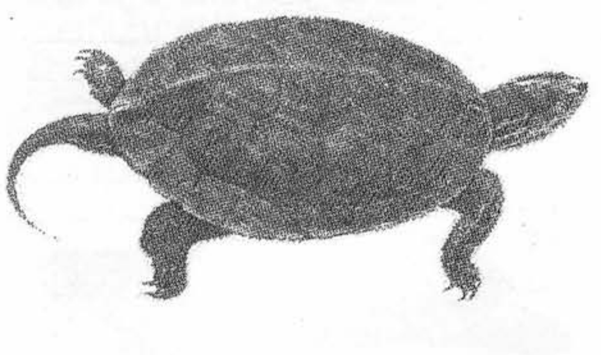

تعيش سلحفاة المياه العذبة جزئيا في الماء وجزئيا على الأرض ؛ تسمى في المعاجم الحمسة وبالإنجليزية Terrapin وبالفرنسية Cestude وبالإسبانية Galapago europeo. تنتمي إلى فصيلة إيميديدي Emydidae وتسمى علميا إيميس أوربيكولاريس Emys orbicularis (Linnaeus 1758). الهيكل العظمي الخارجي محدب قليلا ويبلغ طوله 16 ـ 24 سم. القوائم مغطاة بحراشف صغيرة وتنتهي بمخالب ؛ الذيل طويل نسبيا ومستدق الرأس. يألف هذا النوع البرك والمستنقعات والبحيرات القارية في أغلب المناطق المغربية الشمالية والوسطى. يتغذى من صغار الأسماك والضفادع والحشرات والقواقع وتنبثق منه رائحة قوية نتنة يبعد بها أعداءه. يتوالد في شهر أبريل وتضع الإناث 4 ـ 16 بيضة في السنة، يبلغ طول قطريها 20 ـ 22 x 31 ـ 39 ملم.

يردم البيض بالتراب وتظهر الصغار بعد 3 ـ 4 أشهر بطول يساوي 25 ـ 30 ملم وتصير بالغة بعد عشر سنوات بالنسبة للذكور وبين 15 ـ 20 سنة بالنسبة للإناث. يعمر حوالي 100 سنة.

ـ تتكون السلاحف البحرية من ستة أنواع في السواحل المغربية، معظمها لاحمة ونشالة. تسمى في المغرب سلحفاة وفكرون البحر. نوعان منها شائعان نسبيا في السواحل المغربية : السلحفاة الخضراء والحنفاء. الأنواع الأخرى نادرة على الواجهتين.

تنتمي السلحفاة الجلدية العملاقة Dermochelys coriacea coriacea (Vandelli, 1761) إلى فصيلة ديرموكيليدي Dermochelidae وتدعى بالإنجليزية Leatherback وبالفرنسية Tortue cuir وTortue-luth وبالإسبانية Tortuga laùd. الجسم أسمر داكن، مسطح ومغطى بترس جلدي سميك صلب أملس بدلا من الدروع القرنية، تتخلله 7 قنزعات طويلة واضحة على الظهر و5 قنزعات على البطن، يتجاوز طول الجسم 200 سم وتقدر المسافة بين الزعانف الأمامية بحوالي 270 سم. يبلغ الوزن الأقصى للكبار 750 كيلوغراما وشائع بين 120 ـ 160 كلغ. القوائم مسطحة على شكل مجاذيف وخالية من المخالب، الأماميتان كبيرتان جداً والخلفيتان مرتبطتان بغشاء مع

الذيل عند الكبار. الرأس صغير : يحمل الفك العلوي سنا قرنية على كل جانب ويحمل الفك السفلي سنا واحدة وسطية. الهيكل العظمي غير ملتحم بالترس كما هو الشأن عند سائر أنواع السلاحف.

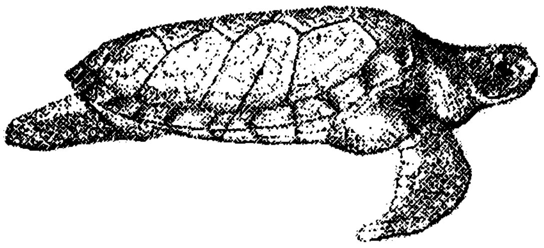

حيوان سطحي يألف البحار الدافئة بالمناطق الحارة والمعتدلة ويتحمل الحرارة الباردة التي لا تقل عن 11 °C. يقطع مسافات طوالا أثناء الهجرة وتتخذ عدة أفراد منه السواحل المغربية المتوسطية والأطلسية مسلكا لها. يعيش في أعالي البحار ويقترب من الشواطئ ليبحث عن الأكل. تغادر الإناث البحر ليلا خلال فترة التوالد لتلتجئ إلى الشواطئ الهادئة وتحفر حفرة بجوار الحد الأقصى لخط المد والجزر، لا يتجاوز عمقها 80 سنتمترا وتتوفر فيها ظروف ملائمة لعوامل الحرارة والرطوبة لتطور البيض الذي يتطلب 50 ـ 72 يوما من الحضانة بداخل الرمال. تضع الأنثى بين 10 ـ 20 بيضة وتعود مباشرة إلى البحر. يتكرر وضع البيض من طرف الفرد الواحد 4 ـ 10 مرات متتالية ومفصولة بحوالي 10 أيام ليبلغ عدد البيض 50 ـ 150. البيض كروي أبيض يبلغ قطره 5.5 سم ويبلغ طول جسم الصغار بعد التفقيس حوالي 5.5 سم وهي كثيرة الشبه بالكبار.

يتغذى من قناديل البحر وبالأخص منها جنس ريزوستوما Rhizostoma ومن القشريات المختلفة وأحيانا من الأسماك الصغيرة والأخينوسات والطحالب. وهو مطارد من طرف سمك القرش والأركة Orque épaulard ومن طرف الإنسان الذي يستعمل شحومه لاستخراج الزيوت ويأكل بيضه. لحمه غير مرغوب فيه.

يرجع تقلص عدده على الصعيد الوطني والعالمي إلى شدة مضايقته من طرف الإنسان والتلوث التصاعدي وكذلك إلى افتراس الصغار بعد تفقيسها من طرف الكلاب والذئاب والكواسر من الطيور وغيرها من الحيوانات البحرية الشرسة وهي في طريقها نحو البحر بدون سلاح وبدون أبوين يحميانها. يحظى هذا النوع إلى جانب أنواع السلاحف البحرية الأخرى بحماية تمنع صيده والتقاط بيضه وصغاره في معظم الدول. توجد نماذج من ترس هذا النوع في المتاحف الوطنية : المعهد العلمي بالرباط والمعهد الوطني للبحث في الصيد البحري.

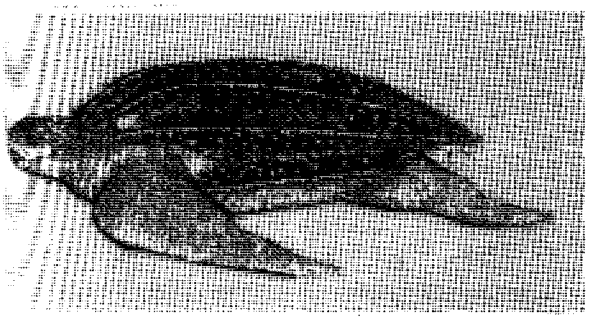

السلحفاة الخضراء Chelonia mydas mydas (Linnaeus, 1758) أو سلحفاة ميدا المعروفة بلذة لحمها وبجلدها (الذبل) المستعمل في الحلي التقليدية وصناعة التحف الفنية. تنتمي إلى فصيلة اللجئيات Chelonidae وتسمى بالإنجليزية Green sea turtle وبالفرنسية Tortue verte و Tortue franche وبالإسبانية Tortuga verde. سميت بالخضراء للون شحومها : مظهرها الخارجي أسمر زيتوني داكن جهة الظهر ومبيض شاحب جهة البطن، الترس مسطح بيضوي الشكل يحمل 4 أزواج من الصفائح الجانبية ويبلغ طوله الأقصى 125 سم وشائع بين 80 ـ 90 سم. تحمل القوائم مخلبا واحدا نام أكثر عند الذكور، يحمل الرأس زوجة واحدة من الصفائح على الجبين. تزن الكبار حوالي 250 كلغ.

تفضل سواحل البحار المدارية وشبه المدارية الدافئة القليلة العمق والغنية بأعشاب زوستيرا وتدخل نادرا المياه الباردة : تقطع بعض الأفراد مسافات طوالا وتقترب أحيانا من الشواطئ المغربية الأطلسية والمتوسطية.

يتوالد في الصيف وتخرج الإناث ليلا إلى الرمال الرطبة الشاطئية مرتين أو ثلاث مرات في السنة لتضع 20 ـ 240 بيضة تدفنها في حفرة بجانب الشاطئ ثم تعود مباشرة إلى البحر. تقلصت الأماكن الملائمة لوضع البيض على الصعيد العالمي بكيفية مدهشة ولم يبق منها في البحر المتوسط إلا بضعة شواطئ محمية في قبرص وتركيا. والإناث وفيات لأماكن الولادة وتضطر للرجوع إليها بعد قطع مسافات طوال تتعرض خلالها إلى أخطار مختلفة تهدد حياتها. البيض كروي يبلغ قطره 4.5 سم ويحضن بداخل الرمال مدة 45 ـ 70 يوما ويبلغ طول ترس الصغار بعد التفقيس حوالي 5 سم. يتم النضج الجنسي بين 8 ـ 15 سنة. تتغذى الصغار من بيض الأسماك ومن القشريات الصغيرة وتتغذى الكبار من الأعشاب البحرية والطحالب وأحيانا من الرخويات الصغيرة ويستعمل لحمها وبيضها كطعام وحساء في عدة مناطق من العالم ويستخرج الزيت من شحومها.

الذبل أو اللجأة المقرمدة أو المفلسة Eretmochelys imbricata (Linnaeus, 1758) من فصيلة اللجئيات كيلونيدي Chelonidae وتسمى بالإنجليزية Hawksbill turtle وبالفرنسية Tortue à écailles - Tortue imbriquée - Caret وبالإسبانية Tortuga de carey. الترس بيضوي مسطح يتكون من حراشف قرنية متراكبة بعضها يستبدل خلال أطوار النمو. يحمل الترس 4 أزواج من الصفائح الجانبية ويبلغ طوله الأقصى 90 سم وشائع بين 50 ـ 70 سم. تحمل القوائم مخلبين على الجانب الخارجي، يحمل الرأس زوجة واحدة من الصفائح على الجبين وينتهي الفم بمنقار قرني. تزن الكبار حوالي 120 كلغ.

تخرج الإناث ليلا إلى الشاطئ مرتين إلى أربع مرات في السنة لتضع بين 70 ـ 180 بيضة في حفرة لا يتعدى عمقها 50 سم. البيض كروي يبلغ قطره 3،5 ـ 4 سم ويزن حوالي 28 غراما. يحضن بداخل الرمال مدة 45 ـ 60 يوما ويبلغ طول ترس الصغار بعد التفقيس 4،5 سم. يتم النضج الجنسي بين 8 ـ 15 سنة. تتغذى من بيض الأسماك ومن القشريات والرخويات والاسفنجيات والحيوانات المرجانية.

تصنع من حراشف الترس الأمشاط وغيرها من التحف الفنية ويؤكل لحمها وبيضها. شائعة في البحر الأحمر والمحيط الهندي ونادرة جداً على الواجهتين بالشواطئ المغربية.

سلحفاة كيمبي Lepidochelys kempi (Linnaeus, 1758) من فصيلة اللجئيات Chelonidae وتسمى بالإنجليزية Kemp's Ridley turtle وبالفرنسية Tortue de Kemp وبالإسبانية Tortuga lora. الترس رمادي مسطح وشبه دائري يحمل 5 أزواج من الصفائح الجانبية ويبلغ طوله الأقصى 75 سم وشائع بين 50 ـ 60 سم. تحمل القوائم مخلبا واحدا على الجانب الخارجي، يحمل الرأس زوجة واحدة من الصفائح على الجبين. تزن الكبار حوالي 45 كلغ.

تتوالد على وجه الحصر في خليج المكسيك وتخرج الإناث نهاراً إلى الشاطئ مرتين إلى ثلاث مرات في السنة لتضع بين 55 ـ 185 بيضة في حفرة لا يتعدى عمقها 45 سم. البيض كروي يبلغ قطره 3،5 ـ 4 سم ويزن حوالي 32 غراما. يحضن بداخل الرمال مدة 45 ـ 60 يوما ويبلغ طول ترس الصغار بعد التفقيس حوالي 4،2 سم. يتم النضج الجنسي بعد 8 سنوات. تتغذى من السرطانات والإربيان وقناديل البحر والأسماك.

سلحفاة نادرة في السواحل الأطلسية المغربية الجنوبية ولا يعيش على الواجهة المتوسطية. لحمه غير مرغوب فيه وبيضه لذيذ. يعد من الحيوانات المهددة بالانقراض ويوجد حاليا تحت الحماية في جميع الأماكن المنتشر فيها.

السلحفاة الزيتونية Lepidochelys olivacea (Linnaeus, 1758) من فصيلة اللجئيات Chelonidae وتسمى بالفرنسية Tortue olivâtre وبالإنجليزية Olive-back loggerhead turtle و Pacific Ridley sea turtle و Olive Ridley و Lora وبالإسبانية Tortuga oliva. يعتبر هذا النوع من أصغر السلاحف البحرية حجما (60 ـ 70 سم) ووزنا (لا يتعدى 30 كغم وشائع بين 20 ـ 30كغم). الترس شبه دائري على شكل قلب، مسطح الوسط وشديد الانحدار على الجوانب، يحمل 5 أزواج من الصفائح الجانبية. الصفائح رمادية فحمية عند الصغار : البطن أبيض والظهر رمادي عند الأفراد الغير البالغين : الصفائح الظهرية مخضرة زيتونية داكنة عند الكبار والبطن مصفر فاتح. تحمل القوائم مخلبا واحدا على الجانب الخارجي ويحمل الرأس زوجة واحدة من الصفائح على الجبين.

سلحفاة البحار الحارة بالمناطق الاستوائية وشائعة في المحيط الهندي والهادي والأطلسي والبحر الأحمر ومنها مجموعات وافرة العدد في السواحل الشرقية للمحيط الهادي الممتدة من المكسيك إلى الإكوادور وكذلك في سواحل الفليبين وماليزيا وشمال أستراليا وفي الخليج البنغالي.

يحتمل وجود بضعة أفراد في سواحل ضواحي الرأس الأبيض ولگويرة جنوب المغرب خلال فترة الهجرة وتعد هذه المنطقة الحدود الشمالية القصوى لتوزيعه الجغرافي في السواحل الإفريقية. تخرج الإناث ليلا إلى الشاطئ مرتين إلى ثلاث مرات في السنة لتضع في ظرف ساعة 60 ـ 80 بيضة في حفرة لا يتعدى عمقها 45 سم وقطرها 80 ـ 100 سم. البيض كروي يبلغ قطره 3،5 ـ 4 سم ويزن حوالي 30 غراما. يحضن بداخل الرمال مدة 50 ـ 63 يوما ويبلغ طول ترس الصغار بعد التفقيس 3،5 ـ 6 سم. تعتبر شواطئ السنغال وأنغولا والمكسيك وكوستاريكا من بين الأماكن المفضلة لوضع البيض.

أنشطة الإنسان المختلفة على الشواطئ والتلوث والإنارة الليلية، من العوامل السلبية التي تهدد هذا النوع.

حيوان لاحم يتغذى من الإربيان والسرطانات الصغيرة والقواقع والمحار الدرية وقناديل البحر والأخينوسات وبيض الأسماك ويبدو أنه يتغذى أحيانا من الطحالب في البحر الأحمر.

الحنفاء سلحفاة بحرية من فصيلة اللجئيات تدعى علميا Caretta caretta caretta (Linnaeus, 1758) وبالإنجليزية Loggerhead وبالفرنسية Caouanne وبالإسبانية Tortuga cahuama (= tonta) وقد سبق ذكرها في معلمة المغرب، ج. 11، ص. 3624.

م. منيوي، *الحنفاء، معلمة المغرب*، ج. 11، ص. 3624 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

M. Ramdani et N. Elkhiati, *Flore et faune marines du Maroc. Biodiversité, Biologie, Ecologie et Biogéographie*, Expo 98, Lisbonne, Rabat, 1998 ; D. Lloris et J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, FAO, 1998.

محمد رمضاني

السلاسي، أسرة تطوانية نسبة إلى قبيلة (سْلاس) الجبلية بإقليم (تاونات) شمال مدينة فاس بالمغرب، منها فرع يلقب (برغوث) مازال حتى اليوم بتطوان. منهم الفقيه محمد السلاسي. وكان منهم عدول وفقهاء، أقدم من عرف منهم : الحسن بن محمد السلاسي ت. 1197.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

محمد بوخبزة

السلاّجي، عبد الوهاب أحد صلحاء مدينة فاس في القرن السادس (12 م) لم نقف على ترجمته فيما رجعنا إليه من كتب المناقب والطبقات والتراجم ومعاجم الأعلام، باستثناء ترجمة مقتضبة أفردها له محمد التميمي (ت. 603 أو 604 / 1207 . 1208) في كتابه المستفاد وعده "من أصحاب الكرامات". ومن المرجح أن هذا الشيخ ينتمي إلى بيت بني السلاجي الذي يعد من "بيوت الثروة والفقه"، إلا أن "المستفاد" لا يفصح عن هذا الانتماء، مع العلم أن رواة التميمي في هذه الترجمة هم تجار من بيت السلاجي، والكرامات التي يوردها له متعلقة بالميدان التجاري (العثور على المتاع المسروق ـ إزالة العوائق من على الطريق ...).

م. التميمي، *المستفاد في مناقب العباد*، *مخطوط*، ورقة، 67 . 68 ؛ إسماعيل ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 45.

محمد الشريف

السلامات (في الملحون) مفردها "سْلام". وهو أحد أصناف الزجل المندرجة تحت ألوان الشعر الشعبي في المغرب. تشكل السلامات المتداولة ـ على ندرتها ـ تراثا شعبيا قائما على العربية العامية، يشق الوقوف على مبدعيه، ومثلها في ذلك ـ كمثل العيطات الحوزية والجبلية والعروبيات التي تتخلل قصائد الملحون.

استمدت السلامات تسميتها من استهلال مطالعها بعبارة "صفَطتْ لك سْلامي" ومعناها : بعثت إليك تحيتي ؛ وبذلك فهي عبارة عن أبيات متتالية، صيغت بدورها في أسلوب خبري تتلوها أعجاز استفهامية ومن نماذجها :

1 . صِفْطتْ لك سْلامي فالمشماش
واش احبيبي فالقلب ولا ما ابقاش ؟
2 . صِفْطتْ سْلامي فالتفاح
واش احبيبي اهنا ولاراح ؟
3 . صِفْطتْ سْلامي فالمشموم
واش احبيبي فارح ولامهموم ؟

(عباس الجراري، القصيدة، ص. 70)

وفي المسرح الغنائي أطلق لفظ السلامات في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين على المارشات والأناشيد التي كان المطربون في مصر يرددونها على هامش العروض المسرحية والتمثيليات الغنائية.

وقد اشتهر بابتكارها الملحن المصري الشيخ سلامة حجازي (ت. 1917) الذي كان ينشدها مع أعضاء فرقته المسرحية في بدايات العروض وفي نهاياتها. ومن السلامات التي ألفها لهذا الغرض : سلام مطلعه :

مرحبا بالسادة النجب   سادة العرفان والأدب

وآخر مطلعه : دُمْ يازمانَ المنى.

وثالث أوله :

حمداً لربْ العالمين   قد قرب الفتح المبين

وقد انتقلت هذه السلامات وغيرها إلى المغرب مع الفرق المسرحية التي توافدت عليه من الشرق في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين، وضمنها مطربون ومطربات كان فيهم محمد عز الدين، وفتحية شريف، وليلى حلمي، ومحمد عبد المطلب.

ومن بين السلامات التي تبناها المغاربة سلام "حمداً لرب العالمين"، وهو من نظم شاعر المهجر ميخائيل نعيمة في مدح السلطان العثماني عبد الحميد.

وقد جرى الشباب على ترديده على عهد الحماية الفرنسية، فاقبلوا على مغربة كلماته بما يصبح مناسبا لواقع الحياة الوطنية في البلاد، وبذلك استبدلوا الأبيات التي تنوِّه بالسلطان عبد الحميد ومنها :

ياربّنا كن واقيا   عبد الحميد الغازيا
ملك سما وتعززا   وعلى الملوك تميزا

بأخرى في الدعاء بحياة ملك المغرب المغفور له محمد الخامس وولي عهده المولى الحسن ومنها :

يا ربّنا كن واقيا   مولى البلاد الساميا
بتمام هذا العرش الزاهي   ودوام هذا الملك الباهي
يعيش لنا سلطاننا   وليحيى ولي عهدنا

جريدة *السعادة*، العدد 4415، 23 يناير 1937 ؛ 4425 يوليوز 1937 ؛ *المجلة الموسيقية*، العددان 10، أكتوبر 1974، ص.15 و18، القاهرة ؛ ميخائيل نعيمة، *المجموعة الكاملة*، المجلد الأول، ص. 79، بيروت ؛ ع. الله شقرون، *فجر المسرح العربي بالمغرب*، ص. 95 . 114 . 119، شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، تونس، 1988.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

سَلاَمَة وابن سلاَمة أسرتان تطوانيتان أصلهما من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çelma - Çalema - Ben Salema ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Ben Zalema - Zalama, Salama ؛ وقد هاجرت أول مرة إلى قبيلة انجرة ومنها انتقلت إلى تطوان. ومنهم محمد بن محمد سَلاَمة فقيه زاول خطة العدالة إلى أن وافته المنية سنة 1225 (1810).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1391.

محمد ابن عزوز حكيم

السلاوي، أسر متعددة في تطوان وفاس وغيرهما. فسلاويو تطوان ينتسبون إلى مدينة سلا، ومن أقدم من عُرف منهم أحمد بن علي السلاوي ناظر أوقاف الزاوية العيساوية بالفدان عام 1216 ؛ والعلامة الكبير أحمد بن محمد السلاوي وأخوه الوزير علي بن محمد السلاوي آتيا الترجمة. قال الشيخ داود في كتابه *عائلات تطوان* : أخبرني صديقنا الوجيه السيد محمد بن الحاج أحمد السلاوي أن جده الرابع الحاج مَحمد هو الذي وفد على تطوان من مدينة سلا. ويقال بأنهم من عائلة بني سعيد السلاويين الشهيرة وأن النسبة عرضت لهم بعد انتقالهم إلى تطوان.

أما سلاويّو فاس فقال في *إزالة الالتباس* : هم "على فرقتين فرقة من الأندلس رأيت في *نشر المثاني الكبير* صحيفة 321 من نسختنا عند كلامه سنة ثلاث وستين ومائة وألف أن الذي جدد بناء سقاية الشيخ أبي غالب دفين حومة صاريوة القائد حدُّ السلاوي" انتهى. وهم أهل معاش وحرفة وطلب، منهم الشيخ الصالح الحاج الأبر أبو العباس أحمد السلاوي الفاسي أخذ عنه الشيخ التاودي ابن سودة وذكره في فهرسته، توفي بالحجاز عام أربعة وسبعين ومائة وألف. ومنهم العلامة الأديب الشاعر المشارك الطاهر بن علي السلاوي توفي في نيف وتسعين ومائة وألف.

والفرقة الثانية من البواخر أهل معاش وحرفه ومال، ومنهم الوزير محمد بن عبد السلام السلاوي آتي الترجمة. ثم صار لا يفرَّق بينهما لطول العهد وعدم البحث والاعتناء.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون.

محمد بوخبزة

السلاوي، أحمد بن **إسماعيل** بن لب، أحد عباد مدينة فاس خلال النصف الثاني من القرن السادس (12 م) ويرجع الفضل لمحمد التميمي (ت. 603 أو 604 / 1207 - 1208) في التعريف بهذه الشخصية الصوفية التي لم يرد لها ذكر في المصنفات المناقبية أو كتب الطبقات والتراجم المتداولة. وتكتسي ترجمة التميمي له أهمية خاصة لكونها قائمة على المعاينة الشخصية ومستمدة مباشرة من الشيخ السلاوي الذي صحبه محمد التميمي مدة من الزمن.

وقد وُصف الشيخ أحمد السلاوي بكونه كان "مشتغلاً بحاله لا يعرفُ شيئاً مما فيه الناس" إلا أن ذلك لم يمنعه من تولي الخطابة بجامع القرويين. حيث كان يخطب يوم الجمعة "وهو على هيئته في ملبسه في سائر الأيام، إلا أنه كان ينظف ذلك ليوم الجمعة. وكان يغتسل يوم الجمعة ولا يترك ذلك، للحديث الذي جاء في ذلك". كما أنه كان "أستاذاً في النحو يقرئه للناس ويقبل الإجارة على ذلك". وكان الشيخ السلاوي يفرق الأجرة التي يقبضها على الفقراء ممن يحضر عنده وغيره، مثله في ذلك مثل معاصره وبلديه أبي عبد الله محمد التاودي المعلم. وقد وصفه التميمي بالزهد والتقلل من الدنيا وأبرز منحاه التقشفي المتمثل في المداومة على الصيام، إذ لم يكن يفْطر إلا في الأيام المنهي عن صيامها، ولا يفطر إلا على الخبز والماء دون إدام، إلا أن يكون من المباحات التي لا تُتملَّك بزراعة، مثل البقل وأشباهه. ولم يكن يلبس كتاناً ولا قطناً وإنما كان لباسه عبارة عن "جبة صوف وإحرام صوف وسراويل صوف وغفارة صوف". وكان شديد الحرص على اكتساب الحلال بحيث لم يكن يأكل اللحم لا من أضحيته أو من وجه طيب. وكانت أضحيتُه تأتيه من موضع يعرفُ طيبه، ولا يُخالط الناس في شيء مما يأكلون مما هو شهوة، ولا يلبس إلا من غزل زوجته من الصوف من أضحيته، ومن الموضع الذي يرْضاه، فكانت زوجته تدبر له ذلك.

وقد شاعت كراماته بين أهل البلد وغيرهم. وأورد له التميمي كرامتين إحداهما متعلقة باستئناس الطير الذي كان يفرخ في الصومعة التي كان يؤذن فيها، والأخرى متعلقة برؤيته للأولياء السابحين في الهواء والماشين على الماء.

م. التميمي، *المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد*، مخطوط، ورقة 115، 177.

محمد الشريف

السلاوي، أحمد (الحاج -) بن **محمد** بن أحمد بن عبد القادر بن مَحمد التطواني، الفقيه العلامة المفتي المحقق المدرس الموثق المشارك ممن فرضت الفتوى عليهم بتطوان زمنا. ولد بتطوان عام 1238 أو 1240 وحفظ القرآن وتلقى عن علماء بلده ما عندهم، ثم أم مدينة فاس وأخذ عن علمائها. ولما وقع احتلال تطوان الأول من طرف الإسبان رحل المترجم له فيمن رحل من المهاجرين عام 1276 / 1860 وكان من العلماء الذين استشارهم الشيخ عبد السلام ابن ريسون في الخروج من تطوان بعد تهديد الإسبان وبلوغهم مشارف البلد، وفشل الجيش السلطاني في ردهم وعجز الأهالي عن المقاومة، ومع هذا صدرت الأوامر المخزنية بعد الهجرة فأفتوا بوجوب الهجرة، وخرج مَن خرج ومنهم المترجم له خرج ونزل الخ.. ونزل مدينة فاس، وتصدى للإقراء والتدريس بالقرويين فأكب عليه الطلبة وطار له صيت لحسن إلقائه، وجودة بيانه، ورجع إلى تطوان بعد مرور أيام المحنة، واستأنف أعماله في التدريس والفتوى والشهادة والإمامة والخطابة بالجامع الأعظم وكان مما درسه مراراً صحيح *البخاري والموطأ*، ومختصر *خليل والمرشد المعين وتحفة ابن عاصم والزقاقية والألفية* وغيرها، وقد أخذ عنه الفقيه أحمد الرهوني فقال يصف درسه : رأيت من حسن تدريسه وفصاحته وتأنيه وإبلاغه المعاني إلى حدود المحسوسات، ما يبهر العقول ولايبقي لقائل ما يقول. وكان من عادته أن يكتب على الكتب المقروءة طرراً مركزة جد مفيدة، ولا يخلو كتاب من كتب خزانته المتوسطة المختارة من تصحيح وتوضيب واستدراك، وقفت على كثير منها بين طويل

كـمـفـاتـيح الـغـيـب للرازي، وشرح المواهب للزرقـاني، وإرشاد الـسـاري للقـسـطلاني، وحـاشـيـة الرهوني الوزاني على شرح الزرقاني لمختصر خليل. ومتوسط كبهجة التسولي والإتقان للسـيـوطي وغـيـرها. ولو جـمـعت تلك الطرر لكانت حـواشي قـائمة برأسهـا، ورأيت له على نسخة من سعود المطالع لنجا الأبيـاري، وهو في مـبـادئ واحـد وأربعين فنا : تحـقـيـقـات وتصويبات واستدراكات على فنون رياضيـة وعلميـة بحـتـة كـالهندسـة والمسـاحـة والحسـاب والتـوقـيت والتـشـريـح مما يستغرب صدوره من فقيه مُفْتٍ في مثل بلده، والنسخة آلت إلى الخزانة الداودية بتطوان.

وله تقـايـيد ورسائل في مـوضـوعـات مـتـعـددة إلا أنهـا لا تأخذ شكل تأليف، وربما كان يفعل ذلك تواضعا، أما فـتـاويه في الدعـاوي فـلا تحـصى كـثرة. وهو الذي تولى كـتب وإنشاء بيعة أهل تطوان لمولاي عبد العزيز عام 1311 وقد أورد نصها الشيخ داود في التاريخ.

وفي عـام 1289 ولي قـضـاء طنجة وجلس للحكم أيامـا فـعـرضت عليـه قـضـيـة رجل مـحـمي من دولة أجنبيـة، يطلب تبني ولد من يهـودية صرح أنه زنى بهـا فـقـال له القـاضي : إقـرارك بهـذا يوجب إقـامـة الحـد عليك، فـأجـابه الريفي : السلطان الذي ولاك لا يقـدر على إقـامـة الحـد عليَّ فـضـلاً عنك، فطرده وكـتب للسلطان يتـعـفى، وركب بغلتـه وعـاد لبلده، فـروجع للعودة إلى القضـاء على أن ينفذ حكم الشرع في الرجل الريفي فأبى، واقـتـصـر على أعـمـاله الصـالحـة من التدريس والإمامة بقيـة عـمره، وأورد له الرهوني في *العمدة تقـيـيداً في مسألة رؤية الهلال* في موضـعين، وغـيـره، ورثاه بقصيدة رائية.

توفي رحمه الله بعد مرض خفيف يوم الجمعة 11 رمضان عام 1320 / 1902 ودفن يوم السبت بضريح الشيخ علي بركة الشهير بتطوان.

أ. الرهوني، عـمـدة *الراوين*، 6 : 124، مـخطوط خـاص، ع. الرحـمن ابن زيدان، 3 : 122، الرباط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

محمد بوخبزة

السلاوي، إدريس ينتـمي إلى أول جـيل من الشـبـاب المغربي الذي تخرج من المدارس والجامعات الفرنسيـة، والذي سخَّر مـا لقّن فـيـهـا من المعلومات العـصرية لدحض الدعـاية الاسـتـعـمـاريـة ومـقـاومـة الاحـتـلال الأجنبي قـبـل سنة 1955، ولخدمة الوطن وتجديد صرح الدولة المغربية على أسس عصرية متقنة بعد استرجاع السيادة وعـودة الملك محمد الخامس من المنفى.

ولد يوم الأحد 6 جمادى الثانيـة عـام 1345 / 12 دجنبر 1926 في مـدينة فـاس وسط أسـرة من التـجـار الوطنيين المتـشـوفين إلى الحـداثة. وكـان منزلهم بدرب ابن يعـيـش بالطالعة الصغيرة مأوى للتجمعات واللقاءات الهادفة. فنشأ إدريس السلاوي متشبعا بحب الوطن راغبا في النضال، منذ الوقت الذي كان يتابع فيه دراسته الثـانوية في كوليج مولاي إدريس، دون أن تحول الدروس النظرية بينه وبين ممارسة بعض أنواع الرياضـة البـدنيـة مـثل كـرة السلة وكـرة الماء. ومـا أن تأسس حزب الاستـقـلال حتى كـان من الشـبـاب المنخـرط في صفوفه. وقد شارك في الإضراب الذي انتظم احتجاجا على ما جرى من اضطهاد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال في يناير 1944. ثم إنه حصل في السنة التـاليـة على شهادة الباكلوريا، فـانتقل مع باقي شباب جيله إلى الديار الفرنسية لمتـابعـة الدراسـات العليـا. ويبـدو أنه تردد فـتـرة بين العلوم الرياضية والعلوم القانونية، إلى إن مال به الخيار إلى القانون فـانكب على دراسـتـه، دون أن يتـوقف عن البـحث عن أنجع سبل النضال، مما جعله يبتعد عن حزب الاستقلال ليقترب من نظريات الحزب الشيـوعي. وذلك يوم عاد إلى المغرب حاملا لشهادة المحاماة سنة 1952، انضم إلى هيأة تحرير الأسبوعية المغربيـة الشـيـوعـيـة "إسبوار"، إلى أن منعـتـهـا السلطات من الصدور بعـد مظاهرات دجنبـر من تلك السـنة. وكـان إدريس السلاوي من تلك الثلة المعدودة من المحامين المغاربة في الدار البيضاء في السنوات الثلاث الأخيرة من عـمر الحماية التي كانت كلها قمعا وإرهابا.

ولما استرجع المغرب سيـادته، وجدت الدولة في إدريس السـلاوي وأمثاله خـيـر خديم. فـبـادر إلى التـخلي عن مـهنة المحاماة ليشتغل بإدارة ديوان المرحوم أحمد باركاش أول باشا على مـدينة الدار البيـضـاء بعد الاسـتـقـلال، مما جعله مؤهلا للمـهـمـة التي أنيطت به بعـد ذلك وهي مـهـمـة مـدير الأمن الجهوي في تلك المدينة، مهمة لم تكن بالأمر الهين في تلك اللحظات الحرجة من الانتقال من السلطة الفرنسية الزائلة إلى إقامة سلطة مغـربيـة ناجعـة. لكن إدريس السلاوي أبدى من الرصـانة ومن الحزم في غيـر شدة مـا جعله يتغلب على كل الصعاب، ويثير انتباه الملك الراحل إلى ما كان يتحلى به من حميـد الخـصـال. ولذلك عيـّنه كـاتبـا للدولة في الداخلية سنة 1958، فـانفـتـحت أمـامـه مـسـيـرة لن تنتـهي إلا بوفـاته من العـمل في أعلى مناصب المسـؤوليـة السـيـاسـيـة والإدارية في عـهـد مـحـمـد الخامس، ثم في عـهـد المرحوم الحـسن الثـاني. فكان كاتبا للدولة في التجارة سنة 1959. وفي شهر ماي من سنة 1960، عيـّن وزيراً للتجارة والصناعة. وفي سنة 1961،

أسندت إليه الكتابة العامة لمنظمة البلدان الموقعة على ميثاق الدار البيضاء، وهي المنظمة الممهدة لمنظمة الوحدة الإفريقية. وفي شهر مارس 1961، عاد ليحتل كرسي وزير التجارة والصناعة والمعادن والصناعة التقليدية والملاحة التجارية. وفي سنة 1962، عيّنه الملك الحسن الثاني مديراً عاماً للديوان الملكي، ثم في طليعة السنة التالية وزيراً للمالية. وفي شهر نونبر من تلك السنة نفسها، عيّن وزيراً للاقتصاد الوطني والملاحة التجارية والفلاحة، إلى أن عيّن والياً عاماً على بنك المغرب في شهر غشت من سنة 1964، حيث قضى أربع سنوات على رأس هذه المؤسسة، قبل أن يعيّن وزيراً للعدل سنة 1968. ثم عاد الملك الحسن الثاني فأناط به مهمة إدارة الديوان الملكي التي ظل يمارسها إلى سنة 1971. وكان إدريس السلاوي وهو يمارس تلك المسؤوليات الجسام، لا يغضّ الطرف عن شؤون الرياضة، ذلك أنه ترأس الفدرالية الملكية المغربية لكرة القدم فيما بين 1963 و1967. وقد ابتعد فيما بين 1971 و1974 عن المسؤوليات الكبرى ليشتغل بالتدريس في كلية الحقوق في الدار البيضاء. لكن الملك الحسن الثاني عاد فعيّنه ممثل المغرب الدائم لدى الأمم المتحدة. ثم إنه نادى عليه من جديد ليعمل بجانبه بصفة مستشار (أكتوبر 1977). وبعد ذلك أسندت إليه مهمة تسيير الشركة الوطنية للاستثمار التي سيغادرها ليعود في منتصف الثمانينيات (1986) إلى تمثيل المغرب في منظمة الأمم المتحدة. ويوم انتهت مهمته هنالك، عاد ليعمل رئيسا لمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود في الدار البيضاء. لكن الملك الحسن الثاني الذي كان يعتبره من أقرب خدام الدولة إليه، ما لبث أن عيّنه مستشاراً لديه مع ثلة من ذوي الحظوة لديه. وتلك آخر وظيفة مارسها إدريس السلاوي إلى أن لبى داعي ربي يوم 20 شوال عام 1419 / 7 فبراير 1999، مأسوفا عليه من قبل الجميع، مذكوراً بلسان الخير في سائر الأوساط، ذلك أنه تقلد أعلى المسؤوليات أزيد من أربعين سنة دون أن يتدنس بما يتخللها حتما من الأدران.

K. Naciri, Vie *et œuvre de Driss Slaoui, La communauté internationale et les droits de la personne humaine*, Travaux dédiés à la mémoire de Driss Slaoui, Casablanca, Fondation du Roi Abdul-Aziz Al Saoud, 2000.

إبراهيم بوطالب

السلاوي، الحسين. أحد رواد الأغنية المغربية الشعبية المعاصرة. ولد بمدينة سلا في مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، وبها شب وترعرع على حب الموسيقى والغناء، فأقبل على حفظ الأهازيج والأغاني التراثية، ولم يمنعه ولعه بالتراث من الانفتاح على أصناف الموسيقى العربية والمغاربية، فحفظ الأغاني المصرية والتونسية عن طريق المحطات الاذاعية.

وفي الثلاثينيات دخل ميدان النظم والتأليف الموسيقي، فجمع حوله نخبة من محترفي العزف والغناء بسلا، وشكل منهم مجموعة موسيقية كانت تقوم بتداريبها في بعض سواني سلا، حتى إذا اكتملت له شروط العمل الفني فتحت له الإذاعة المغربية أبوابها، فسجل بها أغانيه، ثم قام برحلة فنية إلى العاصمة الفرنسية حيث سجل أغانيه على أسطوانات خاصة.

وقد خلف الحسين السلاوي مجموعة كبرى من الأغاني تطبعها خفة الإيقاع وبساطة الألحان. ومن خلال الاستماع إلى انتاجه يستطيع المرء أن يتلمس وجوه التأثير التي طبعت ألحانه ووسمت طريقة ادائه الصوتي، الأمر الذي يؤشر - من جهة - لزخم المحفوظات - التي اختزنتها ذاكرته، ويعكس - من جهة أخرى - تفتحه على ألوان الموسيقى العربية، ونزوعه إلى توظيف القوالب الغنائية العربية في أغانيه : وبذلك يمكن القول : إنه أسس لتوجه جديد ومبتكر في تأليف الأغنية الشعبية لمغرب الخمسينيات، عمدته صيغ لحنية تحمل المستمع إلى أجواء الموسيقى العربية المشرقية آنا بما يكسوها من أرباع النغمات، وآنا آخر إلى أجواء الغناء الأمازيغي الذي يرجع أصداء المقام الخماسي، وقوامُه أداء دافئ ينساب عبر نبرات صوتية وديعة معبرة، ويضبطه إيقاع خفيف متدفق، ووشاحه كلمات كان ينظمها بنفسه تعتمد السهولة في اللفظ ورشاقة المقاطع وتتخلّلها حكم ومواعظ. أما موضوعات أغانيه فغالب ما كان يستوحيها من صميم الواقع المغربي وصلب الأحداث الطارئة، فقد عاصر الحرب العالمية الثانية، فغنى عن "الأميركان" عندما نزلت جيوشهم بشواطئ الدار البيضاء، وتحدث عن دهاء العروبي في أغنية "العروبية مطورين"، ونقل حدث فرض العمل بالبون للحصول على المؤونة. وفي هذا نظم أغنية على نهج الملحون يقول فيها :

انْساو ارْجال متسابْقــينْ أعْلا البونات كاملــين

لقد كان الحسين السلاوي بحق أحد رواد الأغنية المغربية الشعبية الحديثة. وقد استطاع أن ينتزع إعجاب الجمهور الواسع، وأن يفرض إنتاجه كلون فني أصيل، وخاصة في المدن التي بدأت آنذاك تعرف غزو الأغنية العربية الشرقية.

توفي الحسين السلاوي في حدود عام 1380 / 1960.

ع. العزيز بن عبد الجليل، مجلة *الفنون*، س 5، ع 1 : 1398 / 1978 وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط ؛ أ. العلج، مجلة *الفنون*، ع 6، س 2 : 1399 / 1979.

عبد العزيز بنعبد الجليل

السلاوي، عبد الرحمن بن عبد القادر مقاوم من مواليد سنة 1932 بسلا عندما تأسس جيش التحرير بالمنطقة الشمالية ليقوم بمهمة الدفاع عن مقدسات الوطن. التحق بصفوفه عدد كبير من الوطنيين المخلصين.

كان عبد الرحمن بن عبد القادر السلاوي يعمل في البداية ضمن الجيش الفرنسي دفعته غيرته الوطنية للالتحاق بصفوف جيش التحرير حيث قام باغتيال أحد الحراس والاستيلاء على بعض الأسلحة.

وفي محاولته للالتحاق بمركز جيش التحرير المغربي مع مجموعة من أصدقائه اعترضت دورية إسبانية سبيلهم حيث ألقت عليهم القبض وأعدمتهم جميعا بمن فيهم عبد الرحمن ابن عبد القادرالسلاوي سنة 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 505404.

السلاوي، علي بن محمد بن أحمد التطواني، شقيق أحمد سابق الترجمة. الأديب الأريب، الوزير، السياسي المحنك، الأمين، الفيلسوف.

قال الفقيه الرهوني في وصفه : " كان أعجوبة الزمان في الفصاحة والبلاغة والإغراب بالحكايات والأدبيات، مولعاً بالأمثال العربية، ومنشور الحكم وغيرها".

ولد بتطوان عام 1260 / 1844 وأخذ بها عن علمائها بعد حفظ القرآن على العادة، ثم انتقل مع أهله إلى فاس بعد الاحتلال الإسباني الأول لتطوان عام 1276 / 1860 ثم عاد إلى تطوان ودَرَس بها، ثم اشتغل بالتجارة مدة واحترف الخرازة.

وفي عام 1315 / 1897 تولى أمانة مدينة وجدة. ولما ألفت الحكومة الخليفية الأولى بتطوان بعد الاحتلال الإسباني الثاني أسندت إليه وزارة الأحباس.

كان المترجم له واسع النظر مفكراً طُلَعَة، يتطلب أخبار الدول، ويتتبع تطورها العلمي والعمراني، ويقرأ الصحف العلمية، ويراقب التقلبات السياسة، مخالطا للأجانب، على اتصال دائم بالراهب المستعرب (الرشوندي) المقيم بنطجة، وبسبب اطلاعه على أحوال أوريا وتقدمها الصناعي والمدني. كان ينتقد أوضاع المغرب ورجاله أشد الانتقاد، ويرى أن حلول الأجانب بالمغرب هو الذي سينقذ المغرب من تأخره وجهله، فكان بهذا سابقا لأوانه، لم يكن يشبهه في بعض هذا من أعيان تطوان وعلمائها إلا السيد علال الخطيب، ولهذا كان هدفا لانتقاد المحافظين الذين كان معظمهم غارقا في الخرافة والجهل، وقد حُكي عنه ـ مما يترجم عن موقفه من حال أهل بلده ـ انه لما توفي الشيخ عبد السلام ابن ريسون ـ وكان لأهل تطوان فيه غلو زائد ـ قال : لعلهم ـ يعني قومَه ـ يقولون : إنه لم يمت وإنما غاب ليحضر. وكان يلقب الشيخ المذكور بسيد (الأتايْ) لأنه كان يومئذ المنفرد بإقامته وشربه في مجالسه.

امتحن المترجم له باختطاف البدويين له من غرسته خارج تطوان، وظل عندهم في الجبل في أسوأ حال إلى أن افتدي بمال عظيم، ثم عاد إلى عمله في وزارة الأحباس إلى أن توفي بتطوان في 16 شوال عام 1342 / 21 ماي 1924.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 6 : 140، مخطوط : م. داود، *تاريخ تطوان*، 5 : 229، طبع تطوان.

محمد بوخبزة

السلاوي، عمر بن أحمد الفاسي، من الرعيل الأول للمثقفين المغاربة الذين درسوا بأوربا، حيث حصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق من إحدى الجامعات الفرنسية، وبعد رجوعه إلى المغرب استقر بالدار البيضاء مع والده الذي كان من أعيان تجارها. وشارك في الحركة الوطنية النشيطة بهذه المدينة أيام اشتداد الأزمة المغربية في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي.

اغتالت المنظمة الإرهابية التي كونها شبان فرنسيون متعصبون للاستعمار ضداً على منظمة اليد السوداء الفدائية. وذلك صباح يوم الجمعة خامس محرم عام 1374 / 3 شتنبر 1954 وعمره لا يتجاوز ثلاثين سنة. وكان موكب جنازته حافلا بالدار البيضاء على غرار جنازة الشهيد الطاهر السبتي سابق الترجمة الذي اغتالته نفس المنظمة الارهابية بعد أربعة أشهر.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3295.

محمد حجي

السلاوي، محمد بن **الراضي**، مقاوم ولد سنة 1927 بمدينة فاس ونظم أول تشكيلة للمقاومة السرية بها وألقي عليه القبض يوم 12 يناير 1954، وأصدرت المحكمة العسكرية الدائمة بالدار البيضاء حكمها عليه بالإعدام بتاريخ 7 (11 مارس 1954) بتهمة تكوين عصابة والمشاركة في جرائم القتل وتفجير مفرقعات في الأماكن العمومية ثم محاولة الاغتيال.

ونفذ هذا الحكم في حقه بسجن العاذر بتاريخ 23 ربيع الثاني 1373 / 4 يناير 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 400860.

السلاوي، محمد بن **عبد السلام** البخاري أحد موالي السلطان مولاي سليمان الذي أشرف على تربيته وقلده عدة مناصب مخزنية هامة.

بدأ محمد بن عبد السلام السلاوي حياته المخزنية ككاتب مع مولاي الطيب، أخ السلطان، عندما كان خليفة

بطنجة خلال السنوات الأولى من حكم المولى سليمان. وإقامة السلاوي بطنجة، وهي آنذاك عاصمة المغرب الديبلوماسية، جعلته يتمرس على إدارة الشؤون الخارجية ويتعرف على ممثلي الدول الأوربية المعتمدين بمدينة البوغاز. وعندما استدعى السلطان أخاه مولاي الطيب وكلفه بعمالة الدار البيضاء ونواحيها في سنة 1797 ظل السلاوي مباشراً للشؤون الخارجية تحت مظلة الوزير محمد بن عثمان المكناسي على ما يظهر. لكن وفاة هذا الأخير في وباء 1799 جعلت المولى سليمان يعهد إليه كلية بمهمة الكلام مع ممثلي الدول الأوربية فأصبح منذ ذلك الحين يوقع المراسلات المخزنية ك "مكلف بأمور أجناس النصارى وأمور البحر"، ثم في وقت لاحق :ـ "وزير البحر المكلف بأمور الأجناس".

وبعد سنة 1802 كلفه السلطان بعدة مهام إدارية بالإضافة إلى احتفاظه بالشؤون الخارجية. وهكذا نجده عاملاً بفاس ثم بالعدوتين والقبائل القريبة منهما (1804). وفي السنة التالية 1805، عينه المولى سليمان عاملاً على العرائش والقبائل الجبلية. ثم في سنة 1807، وبعد عزل القائد عبد الرحمان عشعاش نصبه السلطان عاملاً على تطوان، أو بالأحرى أضاف تطوان وأحوازها إلى ماكان تحت تصرفه من مناطق، فأصبح السلاوي بذلك يراقب جزءاً هاماً من منطقة الشمال. ومع مرور الوقت اتسعت اختصاصاته فأصبح يشرف على مجموع الشمال الغربي، بما في ذلك منطقة الريف، وهذا دون أن يتخلى عن تسيير الشؤون الخارجية. توفي محمد بن عبد السلام السلاوي عام 1203 / 1815، فكانت وفاته خسارة جسيمة للمولى سليمان الذي لم يجد موظفاً مخزنياً في مستواه لإدارة الديبلوماسية المغربية خلال السنوات الأخيرة من حكمه.

ع. الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الجزء الرابع، الرباط، 1932 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، المجلد 3، تطوان، 1962 ؛ أبو القاسم الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط، خ. ع.

محمد المنصور

السلطان، مفهوم السلطان من صميم مفاهيم الفكر السياسي الإسلامي. ورد ذكره في التنزيل في عدة آيات، تارة بمعنى الحجة والبرهان، وتارة بمعنى القوة والغلبة. فمن المعنى الأول قوله تعالى : (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) (آل عمران، 151). وقوله في سورة هود، 96 : (لقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين)، وفي سورة إبراهيم، 11 : (وما كان لنا أن ناتيكم بسلطان إلا بإذن الله). أما بمعنى الجبروت والإكراه، فقوله تعالى في سورة إبراهيم، 22 : (وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي). وفي سورة الإسراء، 33 : (ومن قُتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل). وفي سورة القصص، 35 : (قال سنشدّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا). ولقد عمّ هذا المعنى الثاني مع ترسيخ الدولة الإسلامية وامتداد نفوذ الإسلام في كل اتجاه، بدليل الحديث الذي أورده البخاري بأن السلطان ظل الله في الأرض يأوي اليه الضعيف والملهوف. فالسلطان إذن هو الجهاز الحكومي الذي وكل به الشرع الإلاهي والطبع البشري أمر شؤون الجماعة. ومن ذلك قوله عز من قائل : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (النساء، 59). ويرتبط بهذا المفهوم مفهوم الإمامة ومفهوم الخلافة، إذ لا بد لكل جماعة مومنة من إمام يؤم بها في الصلوات، ويأخذ بيدها في الملمات، كما أنه لابد ممن يخلف النبي المصطفى في الأمة التي بعث فيها. مما يساير عند النصارى مفهوم السوفران Souverain المشتقة من اللفظ اللاتيني سوبيرانوس Superanus يعني المتفوق من كلمة سوبير Super يعني فوق. ولا سبيل إلى تتبع كل ما قيل في هذا الصدد نثرا ونظما باللغة العربية، فمنه في الحكمة أن سلطانا تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها.

وكان السلطان في العصور الأولى من انتشار الإسلام وبناء صرح الدولة الإسلامية بيد الخلفاء الراشدين الذين كان ثانيهم عمر يدعى بخليفة رسول الله، فاستثقل الناس ذلك، فوقف الكلام على لقب خليفة رسول الله. ثم جاء الأمويون، واحتفظوا باللفظ، وإن خرجوا به عن الشورى وجعلوه ملكا وراثيا سواء في المشرق أم في المغرب. ثم قام العباسيون معتمدين على أنصارهم من الفرس، فتحول سلطان الإسلام امبراطورية كسروية، بلغت ذروتها وامتدادها في عهد الخلفاء العشرة الأوائل، لتقع بعدهم فريسة ما تكاثر عليه من التناقضات التي كان من تجلياتها السياسية انقسام المؤسسة الحاكمة الإسلامية إلى خلافة لا سلطان لها، وإلى سلطان لا شرعية له في الخلافة. ذلك بأن اتساع رقعة الدولة وتطاحن العصبيات أو وهن الخلافة حتى لم يعد لها وجود إلا بالصورة. بينما اشتد نفوذ الجند، سواء ذلك الذي كان يحيط بالخليفة أم ذلك الذي كان يقيم في الأقاليم النائية ويكاد يستقل بالحكم فيها. وهكذا ظلت الخلافة واحدة وتكاثر السلطان. حصل ذلك في بغداد، مثلما حصل في قرطبة، علما بأن الخلافة الأموية في الأندلس انهارت هي الأولى، بينما ظلت الخلافة العباسية قائمة تحت رماح الجند الديلمي ثم التركي، إلى أن وقعت هي الأخرى تحت سنابك فرسان التتر، شأنها في ذلك شأن الخلافة الفاطمية الشيعية التي قامت تنافسها لأزيد من قرنين في مصر إلى أن انقرضت على يد السلطان الأيوبي الذي خلفه بعد حين سلطان المماليك. وهؤلاء اندثروا بدورهم أمام السلطان العثماني في مطلع القرن السادس عشر من الميلاد. وكان ملوكهم يتلقبون بلقب السلطان دون سواه.

وقد جرى شيء من ذلك في المغرب. فإن الدولة الإدريسية قامت أول الأمر على شكل خلافة معتمدة على ما كان للقبائل الأمزيغية التي ناصرتها من سلطان. لكن ما أن انقسمت الخلافة الإدريسية بين أبناء إدريس الثاني وأحفاده،

حتى تغلب في المغرب أيضاً مفهوم السلطان على مفهوم الخلافة، تنازعه وتناحر عليه، في مرحلة أولى، قبائل زناتة وبني إفرن. ثم جاء المرابطون من أقصى الصحراء فتلقب ملوكهم بلقب أمير المسلمين. وخلفهم الموحدون الذين ادعوا الخلافة وإمارة المؤمنين، بسبب ما ذاع من صيت المهدي محمد ابن تومرت. ولما اتسع سلطانهم في الغرب الإسلامي، فإنهم وحدوا أجزاءه، ورتقوا ما كان قد انصدع منه منذ انهيار الخلافة الأموية. على أنهم سرعان ما دخلوا هم بدورهم أطوار الانحطاط والفشل. وحل محلهم بنو مرين الذين كانوا يتلقبون بأمراء المؤمنين في الغالب، وإن عمّ لقب السلطان في عهدهم، مثلما عمّ في ملوك الطوائف في الأندلس في العصر نفسه، وعند دولة المماليك في مصر. يشهد على ذلك في المشرق القلقشندي في كتابه *صبح الأعشى*، وفي الأندلس والمغرب لسان الدين ابن الخطيب في مختلف كتبه وبخاصة في كتاب الإحاطة وفي ديوان رسائله الرسمية. ففيه مثلاً خطاب من السلطان بن السلطان بن السلطان من بني الأحمر الغرناطي إلى السلطان بن السلطان بن السلطان من بني مرين أصحاب فاس والمغرب. وبذلك تحول مفهوم السلطان إلى معناه الثالث الذي رسى عليه في الفترة الحديثة، وهو لقب الأمير الحامل للأمانة الكبرى، سواء في الدولة العثمانية أو في الدولة المغربية، علما بأن السلطنة العثمانية أصبحت في خبر كان منذ 1919، وأن السلطنة المغربية لاتزال قائمة الذات والنفوذ على ما دخلها من التغيير في اللقب.

ولما كان مفهوم السلطان متأصلا في الدين والشريعة، فإن الفقهاء تناولوه بالدرس والتحليل من كل جوانبه ومما يترتب عليه من المسؤوليات. فقد عقد ابن قتيبة أول باب من كتابه *عيون الأخبار* في السلطان مذكراً بالحكم الفارسية والعربية في شأنه، من ذلك قول عمر رضي الله عنه بأن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين في غير ضعف والقوي في غير عنف. وقد أطنب الطرطوشي في هذه المعاني في كتابه *سراج الملك*. بينما قام الماوردي قبله ببضعة عقود بشرح الأحكام السلطانية، مبتدئا بالإمامة وبكيفية انعقادها، ومنتهيا بالحسبة والشرطة، بعد ذكر الوزارة والقضاء والإمارات الإقليمية والجهوية والإمارات العسكرية المركزية الذائدة عن النواة السلطانية الأصلية أو المتنقلة في حملات عارضة تأديبية أو جهادية. وما كان ابن خلدون ليغفل موضوع السلطان في مقدمته. فإنه تناوله بأسلوب لم يسبق إليه. مستنكفا عن كل اعتبار أخلاقي أو وصف سطحي ليبرز معاني السلطان في المجتمع السياسي وما ينبني على ذلك من القواعد العلمية الموضوعية، وبأنه إذا كان بأمر شرعي، فإنه من أعمال البشر، فلا ينعقد إلا بعصبية في مجتمع قائم على التشكيلة القبلية. والسلطان جهاز لازم وليس شخصا بالذات أو نزوة من النزوات. يقول ابن خلدون : "اعلم أن مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله أو ملاحة وجهه أو عظم جثمانه واتساع عمله أو جودة خطه أو ثقوب ذهنه، وإنما مصلحتهم فيه من حيث إضافته إليهم، فإن الملك والسلطان من الأمور الإضافية، وهي نسبة بين منتسبين، فحقيقة السلطان أنه المالك للرعية القائم في أمورهم عليهم، فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان، والصفة التي له من حيث إضافته لهم هي التي تسمى الملكة، وهي كونه يملكهم، فإذا كانت هذه الملكة وتوابعها من الجودة بمكان حصل المقصود من السلطان على أتم الوجوه فإنها إن كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم، وإن كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضراً عليهم وإهلاكا لهم".

وهكذا أضحى كل ذي سلطة سياسية عامة في مجال يضيق أو يتسع يدعى سلطانا. نقف على كيفية الانتقال من مفهوم السلطان إلى الشخص الذي يمارسه مثلاً في الأنيس المطرب إذ جاء فيه عن حكام فاس : "وهي الآن قاعدة ملوك بني مرين أطال الله أيامهم وأعلا أمرهم وخلد سلطانهم" (ص. 33). ثم قال : "وفي سنة 369 دخل بلوكين بن زيري بن مناد المغرب ونزل على مدينتي فاس فقتل سلاطينهم محمد بن علي بن قشوش صاحب القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة الأندلس" (101). وورد في نفس الكتاب مخاطبة يانشو بن ألفونس بالسلطان (359). وجاء في قرار ليحيى أو تاعفوفت يوم كان يحكم السهول الغربية الجنوبية تحت حماية البرتغال في مطلع القرن السادس عشر ما يلي : "بيمن الله وتوفيقه وبإذن من له الأمر والأحكام السلطانية بمدينة أسفي". وقد عم اللقب مع الوطاسيين والملوك السعديين في الغرب، مثلما عم في الشرق مع الدولة العثمانية. واختفى لقب الخليفة منذ ذلك العصر. وتمسكت العامة بلقب السلطان، فتلقفه الأوربيون يوم صارت تجارتهم إلى الرواج في ديار الإسلام. ودأب أصحاب القلم يفخمون من ألقاب ملوكهم مثل صاحب *مناهل الصفا* الذي يقول عن أحمد المنصور : "أمير المؤمنين ... إمام الجماعة ... وركن الإمامة... والخليفة المخصوص بتراث الرسالة ومالك إمرة المؤمنين" (ص. 1). ولكن الإفراني يكتفي بذكر الخبر عن دولة السلطان أبي العباس الأعرج أو ذكر الخبر عن دولة السلطان الأفخم مولانا الرشيد بن الشريف. وكذلك يفعل الزياني والناصري الذي يكتفي بلقب السلطان ابتداء من بني مرين، فيذكر "الجواز الأول للسلطان يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد"، ويقول عن سلطان عصره : "خرج السلطان مولاي الحسن أيده الله غازيا صحراء تافيلالت". ويقول ابن زيدان عن المولى إسماعيل في المنزع اللطيف : "فخر سلاطين البسيط السلطان الجليل الهمام الأثيل [...] إمام الدين والدنيا [...] ظل الله في أرضه [...] أعظم ملوك المغرب الذي دانت له سائر الأمم، وخضعت لجلاله سلاطين العرب والعجم" (ص. 23-24). ولما راج هذا اللقب على ألسن الخاص والعام، تأكد عند الأوربيين أن ملوك ديار الإسلام يدعون بالسلاطين. ولعل أول من روجّ لذلك عندهم الرحالة

الإيطالي ماركو بولو Marco Polo الذي نقل لفظ السلطان محرفا في لفظ "سودان"، فظل كتابهم يتكلمون عن سودان مصر مثلاً، أو "السودان الأكبر" شارة إلى السلطان العثماني. لكن رحالة العصر الحديث وفلاسفة عصر التنوير صححوا اللفظ وأدخلوه في قاموسهم فعم عندهم تداوله وانتشر بأقلام مونطسكيو Montesquieu وفولطيرVoltaire وأقرانهم الذين تعمدوا اعتبار السلطان نموذج الحاكم المستبد الذي يفصل في أمور رعيته بمحض ما يشتهي. وجرت العادة في المراسلات الديبلوماسية بمخاطبة ملوك المغرب على شكل ما جاء في وثائق ابن زيدان مثلا في القرن التاسع عشر : "إلى حضرة الجناب العالي [...] السلطان الأعظم والمولى الأفخم السلطان عبد الرحمان بن هشام، سلطان مراكشة وفاس ومكناس وسوسة والعدوتين وسجلماسة وسائر بلاد المغرب في إفريقيا : (ص. 100). وقد أبرمت كل المعاهدات بين المغرب ومختلف الدولة الأوربية في العهد العلوي باسم سلطان المغرب بما في ذلك معاهدة الحماية المبرمة بين جلالة السلطان الشريفة ودولة الجمهورية الفرنسية. وقد جاء في الفصل السادس من مشروع أول دستور مغربي سنة 1908، والذي بقي حبراً على ورق، ما يلي : "يلقب السلطان بإمام المسلمين وحامي حوزة الدين". أما بعد فرض الحماية، فإن الاحتكاك باللغتين الفرنسية والإسبانية بعد سنة 1912، من جهة، وما جرى من انهيار السلطنة العثمانية غداة الحرب العالمية الأولى وقيام ملكية منفصلة في مصر غداة الحرب العالمية الأولى من جهة أخرى، كل ذلك كان له أثر على التقاليد السلطانية المغربية ابتداء من العشرينيات والثلاثينيات، إذ صار الشباب الوطني يرغب في التملص مما أخذ يتآكل من الماضي لدخول عصر جديد يحتفى فيه بعيد تربع ملك شاب وهو سيدي محمد بن يوسف على العرش العلوي يوم 18 نونبر من كل سنة. واستحسن المغاربة تحيته في اللقاءات الجماهيرية بيحيى الملك ووجدوها أحلى في اللسان وأرقى من يحيى السلطان. وتكرس هذا التحول غداة الاستقلال عندما أصبح سيدي محمد بن يوسف يدعى محمد الخامس. وبويع لولي عهده بعده بالحسن الثاني. وأثبت ذلك في الدستور المغربي الذي لا يذكر السلطان إلا بكونه ملك المغرب. ففي الفصل 19 من دستور 1962، جاء : "أن الملك أمير المومنين والممثل الأسمى للأمة ورمز وحدتها وضامن الدولة واستمرارها، وهو حامي حمي الدين والساهر على احترام الدستور، وله صيانة حقوق وحريات المواطنين والجماعات والهيئات، وهو الضامن لاستقلال البلاد وحوزة المملكة في دائرة حدودها الحقة".

بيد أن العامة وبخاصة منها الشرائح المتقدمة في السن لا تزال تستعمل لفظ السلطان. ولا أدل على ذلك من رواج العديد من الحكم الشعبية بهذا اللفظ، فيقال مثلاً : "الشمس والشتاء والسلطان على خاطره" في بيئة مطبوعة بالجفاف وعدم انتظام الأمطار. كما أن الأعراف الشعبية وما يرمز لها من الأهازيج تجعل من كل ما هو في مرتبة التصدر والترفع سلطانا ولو للحظات عابرة، مثلما هو الأمر في حفلات الأعراس التي يحتفى فيها بالعريس على أنه سلطان. والدليل العكسي على ذلك، أن الوثائق السلطانية القديمة كثيراً ما كانت تستعمل مصطلحات النكاح وفض الخاتم لوصف دخول السلطان دخول منتصر في المناطق المستعصية.

علي بن محمد الماوردي، *الأحكام السلطانية والولايات الدينية*، القاهرة، 1966 : م. بن الوليد الطرطوشي، *سراج الملوك*، تح. جعفر البياتي، لندن، 1990 : أ. العزاوي، محقق رسائل موحدية جديدة، القنيطرة، 1995 : علي ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 : لسان الدين ابن الخطيب، *الإحاطة بأخبار غرناطة*، تح. ع. الله عنان، القاهرة، 1973 ـ 1975، 3 ج : *ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب*، تح. ع. الله عنان، القاهرة، 1980، ج. 2 : ع. الرحمان ابن خلدون، *المقدمة*، تح. ع. الواحد وافي، القاهرة، 1965، 4 ج : ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا*، تطوان، 1964 : م. الصغير الإفراني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، تح. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998 : أ. بن خالد الناصري، *الاستقصا لتاريخ المغرب الأقصى*، ط. 2، الدار البيضاء، 1960، 9 ج : ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1929، 5 ج.

إبراهيم بوطالب

ابن سُلطان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Soltan وSoltanet؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Sultan : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 342.

محمد ابن عزوز حكيم

سلطان الطلبة بفاس، كان من عادة طلاب القرويين في فاس عند حلول فصل الربيع من كل سنة أن يقيموا مهرجانا يروّحون به على أنفسهم، ويلتمسون فيه من السلطان القائم ومن خدامه أن ينعموا عليهم ببعض الإنعامات. وكان المهرجان بمثابة مسخرة يضحك منها الجميع ويتسلى بما كان يتصور فيها من هشاشة السلطة وعرضيتها مهما كان من فخامة ما ترتديه من أردية الجاه والفخر. ففي شهر أبريل من كل سنة، أو في شهر ماي إن كان أبريل شهر صيام، يشتري أحد الطلاب وظيفة سلطان الطلبة التي تعرض ليلة يوم الجمعة على المزاد العلني فترسو على من يستطيع المزايدة فيها إما بوسائله الخاصة وإما بمساعدة من له بعض الأغراض لدى المخزن من التجار أو غيرهم، ويحتاج إلى من يتوسط له في ذلك. وكان السلطان الشرعي لا يرد ملتمسات سلطان الطلبة. ويدوم المهرجان أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع عل شكل نزهة تقام تحت الخيام على ضفاف وادي فاس خارج أسوار المدينة. ويكون المنطلق، بعد إرساء الصفقة على من

تمكن من المزايدة فيها في سوق الكتب بجوار جامع القرويين، من المدرسة التي يقطن فيها. وفيها يجري تعيين أفراد المخزن الوهمي من حاجب وقائد مشور ووزراء وأمين مكلف بجمع الأموال اللازمة لإقامة "النزاهة". ويكون ذلك تقليداً للمخزن الحقيقي، ولكن بلسان السخرية والتهكم، إذ تكتب الرسائل الطنانة الرنانة إلى التجار وإلى كل من يتوسم فيهم القدرة على المساهمة في نفقات الحفل، تخبرهم بأن أمير المؤمنين أصدر أمره المطاع للطلاب بإقامة حفلتهم، وأنه يتعين على رعاياه الأوفياء أداء الواجب لسلطان الطلبة، حتى لا يرميهم بما لا قبل لهم به من كذا وكذا من جيوش البرغوث وجيوش البق وما إلى ذلك من أدوات الفتك. ثم يخرج أمين سلطان الطلبة محاطا بمساعديه وبمحتسب وهمي، يطوفون أسواق المدينة مرتدين أردية مضحكة لجباية الأموال بشتى ما تجود به قرائحهم من أشكال الهزل والمسخرة. وتنتهز المناسبة للتهكم على الراعي والرعية بكل ما تجود به مخيلة الشباب الطلابي، وعلى ما يكون من تطاول الجباة الحقيقين في تلك الحالة، وعلى ما يكون من تحايل الملزمين بالضرائب من حيل التملص من الأداء، سواء في ذلك الأغلبية المسلمة أو الأقلية اليهودية.

وفي يوم الجمعة، يخرج سلطان الطلبة في موكب رسمي محاطاً بما يمده به السلطان القائم من شارات السيادة ورموزها، من بين جواد بسرجه وكساء سلطاني ومظلة، ومخازنية يذبون عنه الذباب وجنود وحرس باشا المدينة يحملون الرماح. أما الجوق الموسيقي، فإن سلطان الطلبة يكتفي برفقة غياطة المدينة وطباليها والنافخين في النفير، الذين يجتذبون الغفير من الجمهور في أزقة فاس الضيقة، متجهين إلى مسجد الأندلس لقضاء صلاة الجمعة. ثم يخرج الموكب بعد الصلاة من باب الفتوح إلى ضريح ولي الله سيدي علي بن حرزهم الذي هو سيد العلم وسيد الطلبة. وبتلك المناسبة، يبيع أصحاب سلطان الطلبة شيئا من الفواكه اليابسة أو الطازجة، يشتريها الناس تيمنا وتبركا، ويعزز بها المخزن الطلابي بيت ماله. ويعود سلطان الطلبة عند اقتراب المغرب إلى مدرسته، لينطلق في اليوم التالي بعد صلاة الظهر في مسجد القرويين نحو مقر النزاهة عبر سوق العطارين والطالعة الكبرى، فيخرج إلى ضفاف وادي فاس على باب المحروق. ويصل إلى مقر محلته في خيام يقيمها باشا حي فاس الجديد الذي كان هو المكلف الرسمي بالسهر على أمن الحفل وسلامته. وكانت المحلة تقام حول خيمة ضخمة متوسطة تكون هي المسجد، وبجانبها تقام خيمة سلطان الطلبة، يحميها، على سبيل الازدراء، مدافع من قصب أو طين يصنعها بالمناسبة فخارة المدينة. وحول هاتين الخيمتين، يقيم جمهور الطلبة خيامهم. ويوزع عليهم الأمين الوهمي ماينوبهم من المونة. وتنطلق بذلك النزاهة التي يشارك فيها السكان، فمنهم من يقيم لنفسه وذويه خياما ويجاور الطلبة طول مدة المهرجان، ومنهم من يكتفي بقضاء يوم معهم، يتفرج على ألعابهم ومسخراتهم ويستفيد من الطبيعة في فصل انبعاث معالم جمالها من جديد، وسط أصناف المأكولات الحضرية والبدوية وكؤوس الشاي المنعنع، وما إلى ذلك مما يريح البال وينسي فصل الشتاء الفارط وجميع الهموم. وعادة ما يكون يوم الأحد الأول من المهرجان

يوم راحة. لكن الأيام التالية كلها تكون حافلة بالزيارات وبالسهرات المصحوبة لزوما ببعض الهدايا. وكان من العادة أن يكون أول من يأتي لزيارة سلطان الطلبة، أمير من أمراء الأسرة العلوية الحاكمة، يستقبله السلطان الوهمي استقبالا رسميا في اليوم الثالث أو الرابع، ويتلقى منه ما أمر به السلطان القائم من الهدية الرسمية للطلبة، قوامها أغنام ودقيق وزيت وسمن وشمع وسكر فضلاً عن مبلغ من المال، ويسلم ذلك بناء على التقاليد المرعية فيما يهدى إلى المخزن من الهدايا. ومن المضحكات الطلابية، أن كان اليهود هم أيضاً يأتون بهديتهم، فيعلن عنها ويطبل ويزمّر لها على أنها قطعان لا حصر لها من الأغنام والأبقار، فإذا هي أقفاص تتغالى فيها القطط والفئران، أو يقول البراح بأنها مبالغ لاتعد ولا تحصى من المال، فإذا هي صنادق ضخمة مطوية على قطيعات نقدية رديئة. وعلى سلطان الطلبة أن يتظاهر بالاشتغال بما يشتغل به السلطان الحقيقي. فإنه يجلس إلى وزرائه وخدامه محاطا بكتابه، ويأمر بتدوين أوامره في مراسلات وظهائر يبدي فيها نجباء الطلاب قدرتهم على الكتابة بالأسلوب المخزني الرفيع، ولكن في كل ما لا صلة له بأمور الجد فلا يثير إلا الضحك والاستملاح. وفي اليوم السادس، كان السلطان القائم يخرج لزيارة سلطان الطلبة في محلته. وتجري الملاقاة في تمام الترتيبات التشريفية، إذ يتقدم كلا السلطانين أحدهما نحو الآخر، ثم يقفان على بعد ثلاثين خطوة محاطين كل واحد منهما بحاشيته المخزنية وبحرسهما. وتجري تمثيلية سخرية بالمناسبة، إذ ينطق صاحب سلطان الطلبة مخاطبا السلطان أمير المومنين متعجبا من جرأته، وهو مجرد سلطان المغرب على المثول بين يدي أقوى سلاطين الدنيا، سلطان الطلبة الممتد حكمه، كما لا يخفى على أحد، على ما لا يحصى من البق والقمل والبرغوث والبعوض. وكان من العادة أن يمثل الطلاب أمام الحاشية المخزنية الرسمية مسرحية التباهي بالسلطة مستخفين بها ساخرين، مثل أن يتناول مضحك سلطان الطلبة الكلمة وهو على ظهر جمل ماسكا بقصبة طويلة وبسبحة خيطها من دوم مفتول وحباتها من تين مجفف، وقد ضخّم بطنه بركام من الوسادات، وجعل على رأسه مكبا من دوم من الشكل الذي تغطى به الأطباق الكبرى. أما الساعة المعلقة عليه، فهي كسرة خبز مدورة منظومة في سلسلة من قنب، وفي تلك الحالة المشوهة المزرية، ينطق بثبات ووقار، فيقول مثلاً : "الحمد لله الذي جعل لنا الأسنان وألحق بها الأصابع واللسان، وأمرنا بازدراد الدجاج والرمان". أو يقول : "اسمعوا وعوا، يا أيها الناس، فبمجرد ما يخرج مني آخر الأنفاس، الرجاء منكم أن تغسلوني بالألبان وأن تجعلوا كفني من الرغفان، ولتكن عمامتي من القديد وفراشي في القبر من السميد". يقول ذلك وهو ينظر من حين لآخر في ساعته، يعني خبزته، بأن يلتقم منها لقمة، أو يتظاهر بالذكر على سبحته، يعني الشريط المنظم بالتين، بأن يلتهم حبة منه. وعندما تنتهي المقابلة يستأذن السلطان سلطان الطلبة في الانصراف، فيؤذن له. ولكن قبل أن ينصرف يبادر سلطان الطلبة بالترجل والهرولة نحو ركابه لاثما إياه متمسحابه، وهو يتقدم بملتمسه الذي يكون إما طلب وظيف أو إعفاء من الضريبة أو تسريح مسجون، إما لفائدته أو لفائدة عائلته أو رفاقه في المدرسة، أو لصالح أشخاص آخرين ممن تبرع ومكنه من شراء منصب سلطان الطلبة. وكان السلطان لا يكتفي بتلبية المطلب، بل يأذن للطلاب بتمديد مهرجانهم ونزهتهم أسبوعا إضافيا. وفي الليلة الأخيرة من تلك الحفلات، كان على سلطان الطلبة أن ينسحب خفية من محلته، ويعود إلى مدرسته تحت جناح الظلام. أما إذا أصبح عليه الصباح وهو لا يزال في المحلة، فإن نعمة السلطنة تنقلب نقمة بما كان يتعرض له صحبها من الضرب والركل والتنكيل والتغطيس في مياه الواد، عودة به إلى أرض الواقع، وانتقاما مما تمتع به من لذات الجاه، وتذكيراً له بعبثها وقابليتها للزوال. وكان هذا المهرجان إذن مهرجاناً طلابياً يطلق فيه الطلاب العنان لأريحية الشباب ونزواته، ويعبرون فيه عما كانوا يعانون من الحرمان أو يتطلعون إليه من التطلعات. كما كان مناسبة للاحتفال بحلول فصل الربيع، يشارك فيها الخاص والعام، ويتحرر فيها أهل البلد من معاناة الدور المغلقة والأزقة الضيقة ومتاعب الصناعات والتجارات ومختلف الوظائف بالاحتكاك بشباب الطلبة ومسايرتهم في ألعابهم وهزلياتهم. وكانت حفلة سلطان الطلبة حفلة رسمية تقام بإذن من السلطان وبرضاه وحضوره، كلما كان مقيما في فاس، أو حضور خليفته وأعلى سلطات المدينة على كل حال. فهي حفلة طلابية بفصل الربيع مأذون بها من قبل الدولة. مما يحيلنا على أسباب قيامها الثلاثة، التي منها ما هو حديث ملموس الظهور، ومنها ما هو ضارب في القدم عريق في المجتمع المغربي بل وفي باقي المجتمعات فتآكلت جذوره حتى صار من المستحيل الوقوف عليه أو تمييز ما هو محلي منه مما هو بشري وكوني.

فأما الأسباب الملموسة، فإنها تتصل بقيام الدولة العلوية وبمؤسسها السلطان المولى الرشيد الذي يبدو أن طلبة المدارس والزوايا الموجودة شرقي المغرب قد قاموا بدور فعال في نصرته والانخراط في جموعه الأولى التي مكنته من التغلب على أخيه المولى محمد (فتحا) أول الأمر، ثم بعد ذلك من افتتاح أطراف المغرب الواحد تلو الآخر حتى اجتمع حكمها في قبضته في بضع سنوات. ولذلك اعتنى المولى الرشيد تمام العناية بشؤون العلم والعلماء، التي منها شؤون طلاب العلم، بأن جدد كراسي التعليم في القرويين ورمم المدرسات التي كانت مأوى الطلاب، وبنى لطلاب الشرق المغربي مدسة خاصة بهم هي مدرسة الشراطين. وكانت إقامة "نزاهة" للطلاب عند حلول فصل الربيع مما أنعم به عليهم، ومن علامات عنايته بشؤونهم وحرصه على الأخذ بيدهم. نعلم ذلك بإشارة مفصلة من قدماء المؤرخين المغاربة الذين كانوا

يربأون بأقلامهم عن الكتابة في سخافات من صنف حفلة سلطان الطلبة، ولكن نستنبطه مما نقله بعضهم عن أسطورة اليهودي ابن مشعل الذي يقال بأنه استبد بالنفوذ في المناطق الشرقية، حتى جاء المولى الرشيد وسمع بذلك فدفعته الغيرة على الملة والدين إلى الفتك به رفقة جماعة من الطلاب. وتلك أسطورة غامضة المجرى. ولا يصح منها إلا ما كان من استعانة المولى الرشيد ببعض طلاب العلم في منطلق فتوحاته لتأسيس الدولة العلوية. كما أن الثابت الملموس، هو أن الفرنسيين عند احتلالهم للمغرب وجدوا حفلة سلطان الطلبة من التقاليد الراسخة في فاس باستمرار، وفي مراكش في بعض الأوقات. وهم الذين اعتنوا بكيفية إقامتها وحاولوا إدراك أصولها التاريخية القريبة والثقافية العريقة.

وتمتزج الأسباب الثقافية ولاشك بما لا سبيل إلى سبر أغواره من المعتقدات الوثنية المشتركة بين شعوب البحر الأبيض المتوسط التي يتميز المناخ فيها بانفصاله إلى أربعة فصول، كان للناس فيها أعراف مبنية على لحام من الطقوس المادية والروحانية. وكان من المعتقد لديهم أن الحياة تتجدد عند حلول فصل الربيع، وأن الآلهة تلزم الإنسان بمسايرة تلك الدورة. وبناء عليه فإن الخروج إلى الطبيعة في ذلك الفصل تحول إلى أكثر من نزهة، إذ صار في أزمنة الجاهلية واجبا دينيا وعرفا من الأعراف الملزمة. لكن الرسالة التوحيدية في أشكالها الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلامية، ما لبثت أن أتت على تلك المعتقدات، حتى لم يبق منها إلا حاجة بشرية مبسطة لتجديد العهد بالأشجار والبادية عند بزوغ فصل الربيع، وهو ما يسميه المغاربة" نزاهة"، وتبلور في مسخرة حفلة سلطان الطلبة منذ تربع الدولة العلوية على عرش المغرب للأسباب الآنفة الذكر. ذلك بأنه لا إشارة لتلك الحفلة، أو لما يشبهها، فيما قبل ذلك من كتب التاريخ أو الرحلات. ولو كانت تقام، لما أغفل الحسن بن محمد الوزان مثلا ذكرها وهو يصف مدينة فاس في طليعة القرن السادس عشر وصفا مطولا مدققا. ولذلك لا نجد ذكرا وافيا عن ما جريات حفلة سلطان الطلبة إلا في كتب بعض الفرنسيين قبل عقد الحماية أمثال كابرييل شارم Gabriel Charmes أو بيير لوتي Pierre Loti، أو المكلفين بالتمثيل القنصلي أمثال أوجين أوبان Eugène Aubin أو هانري كايار Henri Gaillard، الذين كان الفضول الاستغرابي أو الوظيفة الاستعلامية يلزمهم باستكناه الشاذة والفاذة من أحوال المغرب.

وقد اعتنت سلطات الحماية تمام العناية بحفلة سلطان الطلبة، وأدركت ما كان فيها من فوائد الترويح عن المكبوتات الاجتماعية للتخفيف من حدتها وإثارة انتباه أولي الحل والعقد إلى درجة خطورتها. وكانت الحفلة مناسبة ينتفض فيها المجتمع الفاسي انتفاضة تشارك فيها كل الشرائح بقيادة النخبة الطلابية، التي كانت تمثل باقي أقاليم البلاد بما يتوافد على القرويين من الراغبين في استكمال الدراسة العليا. وظلت جريدة الاستعمار في فاس "لو كوريي دو ماروك" *Le Courrier du Maroc*، التي امتد صدورها من 1929 إلى 1961، تنقل بانتظام مراسيم الحفلة كل سنة، وتعرف بها على أنها وقفة من وقفات فاس العريقة التي تستحق الفضول العلمي والسياحي، إلى أن اشتدت مقاومة الاستعمار في مطلع الخمسينيات من القرن العشرين، وأقدمت سلطات الحماية على عزل السلطان الشرعي للبلاد سيدي محمد بن يوسف (محمد الخامس)، وتمكين محمد بن عرفة، أحد أبناء عمومته، من العرش، فكانت الثورة العارمة للشعب المغربي، وامتنع طلاب القرويين من أن يدخلوا لعبة سلطان الطلبة مع سلطان منزوع من الشرعية.

واسترجعت البلاد استقلالها سنة 1956. ولكن حفلة سلطان الطلبة ظلت معطلة بسبب انشغال الجميع في بناء صرح السيادة الوطنية على أسس مجددة، ودخول الطلاب المغاربة في عصر لم يقطع الصلة بالقرويين ولكنه جعلها وراء ظهره، بما كان من إحداث جامعة محمد الخامس في الرباط سنة 1957 وتوجهاتها نحو العلوم والمناهج الحديثة، وبما كان أيضاً من نشأة نقابة طلابية عصرية تحت اسم الاتحاد الوطني لطلبة المغرب سنة 1958، التي كان أعضاؤها أكثر ميلا للوقوف في صف المعارضة منهم لتجديد ما كانت حفلة سلطان الطلبة ترمز إليه من تواطؤ حملة السيوف مع حملة الأقلام. وقد رام الملك الحسن الثاني نفض الغبار عن الحفلة وإحياءها ليكف الطلاب عن الإضراب والشغب، وليدركوا ما يربط بينهم وبين الدولة من الأواصر الظاهرة والباطنة. وأقيمت الحفلة بأمر منه سنتي 1968 و1969. ولكن الأجواء كانت قد تغيرت، والناس قد تبدلوا، والوظائف الاجتماعية والسياسية قد حالت من حال إلى أخرى، فلفظت حفلة سلطان الطلبة آخر أنفاسها، بعد أن فقد سلطان الطلبة، ولاشك، ما كان يحمي به حماه ويرعب به منافسيه وخصومه من الجيوش المدمرة.

P. de Cenival. *La légende du Juif Ibn Mech'al et la fête du Sultan des Tolbas à Fès. Hesp.*. T. V, 1925, 2e trim., pp. 137 - 218.

إبراهيم بوطالب

سلطان الطلبة بمراكش، حفل سنوي كان يقيمه طلبة جامع ابن يوسف على غرار حفل سلطان الطلبة بفاس. يعقد الطلبة اجتماعات تمهيدية بمدرسة ابن يوسف لتنظيم الحفل وإعلان سمسرة السلطنة بين الطلبة الآفاقيين الذين يتغربون عن بلدانهم وأهلهم السنين الطوال في سبيل العلم، فتقع المزايدة بين الطلاب إلى أن ترسو على أحد الطلاب، وعند انتهاء المزايدة وإعلان اسم الطالب الفائز، يشرع في اختيار هيأته الوزارية، وحاجبه وقواد المشور، وأمينا لمصروفات النزهة التي تدوم أسبوعا كاملاً، وتجمع المصروفات من المقدار الذي اشترى به سلطان الطلبة سلطنته، وهدايا السلطان المحلية، وتبرعات أعيان وتجار المدينة.

كما يعين محتسباً استعدادا للهزل والمزاح، يجول في الأسواق، ويراقب الأسعار، ويعير الموازين ويحلل المبيعات،

ويستحصل الضرائب والذعائر التي يتعمدها والتي يؤديها جميع التجار بارتياح كبير تنشيطا للطلبة، ومشاركة منهم في نزهة سلطان الطلبة.

وعندما تهيّأ جميع لوازم الحفل يغادر سلطان الطلبة مدرسة ابن يوسف في موكب رسمي، ممتطيا فرسا وبرفقته جميع وزرائه وحاجبه، قاصدين جنان الحارثي المهيأ لإقامة هذا الحفل البهيج. وهنا يصعد خطيب يتسم بالمرح وخفة الروح فيلقي أمام السلطانين وأمام الجماهير الغفيرة خطبتين هزليتين في التنويه (بالزرود) والحمد للذي أوجدها وهيأها للمعدة ... وعندما ينتهي الخطيب يقدم سلطان الطلبة مرغوبه الذي يحظى بالقبول وهو : إما اطلاق سراح سجين من عائلته، أو نيله لوظيفة ... ويكتب هذا المرغوب في صورة ظهير يمضيه سلطان الطلبة.

وفي آخر ليلة من النزهة يغادر سلطان الطلبة مكان النزهة سراً إلى مدرسته قبل أن يثور عليه رعاياه الطلبة هازلين مازحين حيث يصبح بعد انتهاء حفلات النزهة مثلهم.

ملحق جريدة *المغرب*، عدد 5، ص. 69، 5 ماي 1938 ؛ جريدة *السعادة*، 16 أبريل 1950 ؛ م. عبد الرحيم غنيمة، *تاريخ الجامعات الإسلامية*.

أحمد متفكر

السلطانة زيدانة ← عائشة مباركة

السلفية بالمغرب مصطلح أخذ مكانه ضمن تاريخ الفكر الإسلامي ليدل على كل محاولة تجديد تدعو للرجوع إلى الأصول الإسلامية الأولى لإصلاح حالة من حالات واقع مناطق العالم الإسلامي في مرحلة من المراحل، وبتوالي مراحل التاريخ الإسلامي المختلفة تعددت الحركات السلفية التي تتبنى الفكر الإسلامي الأصيل النابع من الكتاب والسنة لتربط بينه وبين الواقع الذي تعيشه، فتحاول إصلاح ما فسد من أوضاعه وما ظهر فيه من بدع وضلالات مهتدية بالمبادئ الإسلامية الصحيحة، محاولة الاجتهاد في ضوء فهمها لتلك المبادئ، وقد جاءت تلك المحاولات في غالب الأحيان كرد فعل على وضعيات أزمة وتدهور مر منها تاريخ العالم الإسلامي شرقا وغربا. إلا أن أهم مرحلة اكتسب فيها هذا المصطلح شهرته هي مرحلة نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين الميلاديين حينما اشتهرت الحركة السلفية المشرقية التي تزعمها رواد النهضة في المشرق الإسلامي في الوقت الذي أصبح فيه العالم الإسلامي عموماً يواجه خطر التدخل الأجنبي والاستعمار، فتبلورت في مختلف بقاعه حركات سلفية حاولت مواجهة هذا الواقع بالدعوة للرجوع إلى الأصول الإسلامية للبحث عن الحلول الناجعة لمختلف المشاكل التي تخبط فيها المسلمون آنئذ.

لقد عرف المغرب بدوره كغيره من بلدان العالم الإسلامي حركة موازية للحركة السلفية في المشرق يمكن إبراز أهم جوانب تطورها التاريخي كالتالي :

تستند السلفية المغربية في نهاية القرن التاسع وبداية العشرين إلى أصلين داخليين أساسيين بالإضافة إلى بعض التأثير الذي اكتسبته من المعطيات الخارجية المرتبطة بالسلفية المشرقية إضافة إلى التطورات العامة في البلاد حين مواجهتها للأجانب في نفس المرحلة.

يتجلى الأصل الداخلي الأول للسلفية المغربية في المعطيات التي تراكمت من خلال التجارب التاريخية السابقة في عهود سالفة والتي أنتجت عدة معطيات فكرية ساهمت في بلورة خصوصية الفكر السلفي المغربي ويمكن إجمال مظاهر هذه التجارب التاريخية في ظهور عدد من المصلحين المجددين في أمور الدين وعلاقته بالسلوك الاجتماعي للأفراد والجماعات وقد حاول هؤلاء التنبيه إلى بعض المفاسد والبدع التي كان المجتمع مسرحا لها وذلك من خلال دعواتهم الاصلاحية التي ضمنوها في الغالب بعض مؤلفاتهم، ونادوا فيها إلى الرجوع للكتاب والسنة انطلاقا من تطبيقهم للمبدأ الإسلامي الشهير : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن أشهر هؤلاء :

1 - أبو عبد الله محمد بن الحاج (ت. 737) من خلال كتابه "المدخل" إلى تنمية الأعمال.

2 - إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي (ت. 790) من خلال كتابيه "الموافقات" و"الاعتصام بالكتاب والسنة".

3 - أبو العباس أحمد بن أحمد زروق (ت. 899) صاحب كتابي : "النصيحة الكافية" وعدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت".

4 - عبد الله الهبطي صاحب الألفية المشهورة "في قمع البدع".

5 - أبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوي الدلائي مؤلف كتاب "جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر" الذي دافع فيه عن آراء ابن تيمية منتصراً للعقيدة الحنبلية.

وعلى الرغم من أن كل واحد من هؤلاء وغيرهم قد ساهم في بلورة الفكر السلفي والدعوة إلى الالتزام بالأصول الإسلامية الأساسية أي الكتاب والسنة والاحتكام إليها في كل شيء فإن أكثرهم تأثيراً في ذلك هو الشيخ الشاطبي الأندلسي الذي ابتكر منهجا في التفكير انطلاقا من أصول الفقه وأعطى للعقل مكانة مهمة في التعامل مع التراث الإسلامي نابذا بذلك التقليد وداعيا إلى التجديد والمرونة في التعامل مع المشاكل الطارئة.

أما الأصل الداخلي الثاني لنشأة الفكر السلفي في المغرب فيتجلى في السياسة الدينية للدولة والتي ابتدأت بالمحاولة الأولى للدولة الموحدية لإحياء السنة والعمل بالحديث بعد أن كان الفقهاء في عهد المرابطين قد ركزوا الدراسات الفقهية المحضة التي تعتمد على كتب الفروع دون الأصول. وإذا كانت هذه المحاولة لن تتجاوز العهد الموحدي بسبب خروجها عن إطار المذهب المالكي السائد في المغرب، فإن هذا الاتجاه في الاصلاح الديني السياسي سيظهر مجدداً مع سلاطين الدولة العلوية بصورة أكثر وضوحا خصوصا مع

السلطان سيدي محمد بن عبد الله ومن جاء بعده منهم، حيث ارتكزت هذه السياسة الدينية على محاولات عدة لإصلاح التعليم والقضاء ومحاربة بعض ممارسات الطرق الصوفية وانتشار بعض المنكرات والأمراض الاجتماعية. وهكذا ألف هذا السلطان عدة كتب وضح فيها رأيه الذي يجمله في قوله إنه "مالكي مذهبا حنبلي اعتقاداً". كما شدد السلطان مولاي سليمان في الانكار على أهل البدع والطوائف الضالة رغم ما واجهه في سبيل ذلك من صعوبات داخلية تزعمها بعض العلماء المحافظين، ومع ذلك فقد تواصلت مظاهر هذه السياسة الدينية في عهود بقية السلاطين العلويين خصوصا بعد تزايد التدخل الأجنبي في البلاد وما واكبه من تأثر بالأجانب وتزحزح في الثوابت الاجتماعية فتم التركيز منذ ذلك الوقت على تثبيت الاخلاق الإسلامية داخل المجتمع وفي هذا الصدد تشتهر الوصية القرنية للسلطان الحسن الأول الموجهة إلى عموم الرعية وإلى العمال خاصة من أجل تفعيل مقتضياتها التي ترمي إلى الإصلاح الديني والاجتماعي وقد تكرر مثل هذا الاتجاه في سياسة كل من السلاطين الموالين بعد ذلك.

لقد أثرت هذه السياسة الدينية بالخصوص في الدفع بالسلفية إلى التطور بالنظر لعلاقتها بمجالات اهتمامات العلماء وبواقعهم الاجتماعي والعلمي. وفي هذا الصدد اشتهرت مجالس الدروس الحديثية التي كان يترأسها السلاطين أنفسهم حيث أصبحت تقليداً علميا مخزنيا يشجع العلم ويوجه العلماء نحو الاهتمام بالحديث والسنة بالإضافة إلى الفقه الذي كان يستأثر بجل اهتماماتهم، وقد تركزت عادة إقامة هذه الدروس منذ العهد الحسني الذي بلغت فيه 36 مجلسا حسنيا. وانبثق عن ذلك عناية خاصة بعلماء الحديث الذين كانوا ينفردون بمبايعة خاصة لهم للسلطان، هذا بالإضافة إلى العناية الخاصة التي كان يوليها مولاي الحسن بالخصوص لبعض فحول العلماء الذين اشتهروا باتجاهاتهم السلفية مثل الشيخ عبد الله السنوسي وأبي شعيب الدكالي.

بالإضافة إلى كل ما سبق لاشك أن هذه الأصول الداخلية المبلورة للفكر السلفي المغربي قد تطعمت ببعض المؤثرات الخارجية التي تراكمت بدورها بشكل تدريجي منذ أصداء الحركة الوهابية المشرقية في القرن (18 م) التي لم يتجاوز تأثيرها بعض الانتشار الجزئي لأخبارها في المغرب دون التجاوب مع أفكارها التي لاقت الكثير من التحفظ إلى درجة تأليف رسائل في الرد عليها مثل ما قام به أبو الحسن علي بن طاهر الوتري في مؤلفه "ما أبرزته الأقدار في نصرة ذوي المناقب والأسرار" منتصراً فيه للمتصوفة ومبينا أوجه الاختلاف بين الوهابيين والطرقيين.

إلا أن المؤثرات الخارجية المساهمة في تطوير الاتجاه السلفي المغربي ستبرز بشكل خاص خارج مدينة فاس وبعيدا عن جامع القرويين الممثل الرسمي لاتجاهات العلماء الفكرية وذلك في المدن الساحلية وبالخصوص عدوتي الرباط التي اشتهر فيها علماء حاولوا ترسيخ بعض التقاليد العلمية المختلفة عن مثيلاتها في فاس خصوصا في ميدان التعليم حيث جنح هؤلاء إلى التبسيط والسهولة كمنهج تدريسي واستخدام بعض الكتب الأكثر وضوحا وبساطة في مجالها والعناية بتدريس الحديث دراسة بحث وتحقيق بعد أن كان الاكتفاء بسرده فقط للتبرك بتلاوته وكذلك بالاهتمام بدراسة التفسير والتأليف فيه كما فعل إبراهيم التادلي الذي ألف حاشيتين على تفسيرين هامين هما تفسير الجلالين وتفسير البيضاوي، هذا بالإضافة إلى إحياء تدريس بعض العلوم الأخرى مثل الأدب والرياضيات والتاريخ.

ولعل السبب في تزايد مثل هذه التوجهات الجديدة في أوساط بعض العلماء، ما كان يصل إلى المغرب من صحافة مشرقية وتونسية بدأت تحظى باهتمام البعض من النخبة العلمية المغربية بالنظر لما تنقله من أخبار التطورات الفكرية والسياسية المشرقية وآرائها في أوضاع المغرب الداخلية وعلاقته مع الأجانب، بالإضافة إلى تواصل المغاربة مع المشارقة عن طريق رحلات الحج والعلم والمراسلات الخاصة، ولاشك أن مجلة المنار المصرية التي كان يصدرها محمد عبده قد لقيت اهتماما من طرف بعض المغاربة رغم أن محمد عبده لم يزر المغرب رغم وصوله إلى كل من تونس والجزائر.

إذا أضفنا إلى كل ما سبق أن التدخل الأجنبي الأوربي في المغرب قد بلغ أوجه في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وبداية العشرين وترتبت عليه جملة من القضايا التي كانت تمس رتابة الاتجاهات الفكرية عند العلماء وتستفز مشاعرهم الدينية وتطرح عليهم جملة من النوازل التي يجب البث فيها بطريقة لا تتعارض مع الشريعة وفي نفس الوقت تأخذ بعين الاعتبار مصلحة المغرب وضرورة الخروج بحلول ملائمة لهذه المشاكل تكون في صالح البلاد والعباد خصوصا في علاقاتهم بالأجانب التي أصبحت أمراً واقعاً يجب التعامل معه بحذر.

هكذا واجه العلماء معضلات متعددة من أبرزها :

- مفهوم الجهاد وضرورة الأخذ به في هذه الظروف.
- الحمايات الشخصية الأجنبية.
- حدود التعامل مع الأجانب في التجارة وغيرها.
- النظام الضرائبي وعلاقته بالشرع عند اضطرار المخزن لتطبيق الاصلاحات المالية بدءاً بالمكس والمعونة والتوظيف ووصولا إلى الترتيب.
- تجديد الفقه انطلاقا من إصلاح التعليم ونظام القضاء والافتاء.
- ضرورة مواجهة التدخل الأجنبي الذي تطور إلى استعمار سياسي وحماية.

لقد ساهمت القضايا السالفة الذكر وغيرها كثير في بلورة الاتجاه السلفي المغربي ودفعته إلى التغير والتطور واكتساب التراكمات الفكرية التي أعطتنا في نهاية المطاف حركة سلفية مغربية لها خصوصياتها وسياقها التاريخي

الذي أفرز ثلاثة اتجاهات رئيسية انبثق كل منها من سابقه ثم تجاوزه ليختلف عنه مع ملاحظة مزامنة القديم منها للجديد وعدم اندثاره بشكل كلي، وهي كالتالي :

1 ـ السلفية الدينية المحضة

يعتبر هذا الاتجاه الأول من نوعه من حيث السياق التاريخي فهو مرتبط ببداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد واكب البدايات الأولى للتوغل الأجنبي في البلاد، ويعد امتدادا لحركات الإصلاح والتجديد عند علماء المغرب في العهود السابقة.

وقد انبثق بالخصوص من داخل جامع القرويين باعتبار أقطابه من أعلام المدرسين داخل القرويين الذين تميزوا بعدم تعاملهم مع المخزن في أية وظيفة لها علاقة بالسياسة باستثناء مجالات التعليم والقضاء والافتاء باعتبارها خططا دينية محضة.

لقد اعتبر هذا الاتجاه الإصلاح تطبيقا للشرع حسب ظاهر النصوص وهذا ما جعل بعض الباحثين ينعت سلفيته بسلفية النصوص لابتعادها عن أي اجتهاد ومحاولة للتأويل والاستنباط وهو بهذا يقترب من الوهابية من حيث المنهج إلا أنه يختلف عنها كثيراً لتشبثه بالمذهب المالكي وبتفريعاته الفقهية المختلفة، كما يختلف عنها في كونه لا يرفض التصوف مطلقا بل بعض جوانبه الطرقية ومغالاة بعض أقطابه بالإضافة إلى محاربته جوانب من الممارسات الشعبية لأتباع المتصوفة الطرقيين.

بالنظر لمحدودية الاجتهاد في هذا الاتجاه فهو لا يتطلع إلى أي تحديث أو ملاءمة للوقائع مع الشرع. لهذا كانت مواقفه من القضايا الطارئة مع التدخل الأجنبي متشددة إلى درجة الرفض الشامل لكل ما له علاقة مع الأجانب فتبلورت فيه فكرة رفض الغرب وقوانينه الوضعية خوفا على الإسلام والهوية العربية الإسلامية، وهكذا كانت دعوته إلى الجهاد ضد الأجانب دائمة ومستمرة بغض النظر عن تفوقهم وضعف المسلمين والمناداة باستمداد القوة والعون من الله عن طريق تطبيق الشريعة والرجوع إلى أصولها في الكتاب والسنة، ومن خلال هذا الرأي تنبثق كل الآراء الأخرى لهذا الاتجاه المانعة في التعامل مع الأجانب تحت أي ظرف من الظروف وملاحقة أصحاب الحمايات الشخصية القنصلية والمناداة بالهجرة من الأماكن التي يوجد فيها النصارى هروبا بالدين وخوفا من الفتنة إلى غير ذلك من المواقف التي تسير في نفس هذا المسار بخصوص التجارة واستعمال المخترعات الغربية وأساليب التعامل الوضعية.

أبرز من تزعم هذا الاتجاه الفقيه محمد بن المدني كنون وعلماء الزاوية الكتانية كمحمد بن عبد الكبير الكتاني ومحمد بن جعفر الكتاني وغيرهم الذين كان همّ سلفيتهم دينياً محضاً لا يدرك سوى حقيقة واحدة هي الدفاع عن الإسلام، في محاولة للمقارنة بين ما كان عليه تطبيق الدين في عهد السلف الصالح وما أصبح عليه تطبيقه في عهدهم المتأخر رافعين ثلاثة شعارات أساسية هي :

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- مقاومة كل البدع والمحدثات
- ضرورة العودة إلى تطبيق الإسلام الصحيح حسب مواصفات كتب السنة وظاهر النصوص.

وقد ألف أقطاب هذا الاتجاه عدة كتب اشتهر بعضها في إبراز جوانب اتجاههم السلفي نذكر منها على سبيل المثال : مجموعة كتب النصيحة لمحمد بن المدني كنون التي لقيت عناية خاصة في محاولة لنشرها بين الناس عن طريق طبعها طباعة حجرية بفاس حينما ازدهرت هذه الوسيلة في النشر نهاية العهد الحسني وأيام السلطان مولاي عبد الحفيظ بالخصوص. وقد ركزت هذه الكتب على إبداء الرأي في كثير من نوازل الوقت كمخالطة الأجانب والحجر الصحي وفساد الافتاء والقضاء وظلم المخزن والتسري بالجواري وغيرها... كما اشتهر بعد ذلك بتوضيح هذا الاتجاه كتاب محمد بن جعفر الكتاني : "نصيحة أهل الإسلام" الذي طبع بدوره على الحجر بفاس.

وعلى الرغم من كون رائد هذا الاتجاه محمد بن المدني كنون من كبار العلماء المدرسين بالقرويين حيث تتلمذ على يديه جم غفير من العلماء إلا أن قلة منهم ممن اتبع نفس خصوصيات سلفيته من أمثال قريبه محمد بن عبد السلام كنون الذي كان يدرس الحديث والتفسير بشرح البيضاوي.

2 ـ السلفية الاصلاحية السياسية

تطورت السلفية بعد ذلك في اتجاه آخر ارتبط بصفتي الاصلاح والسياسة نظراً لأن أهم ما يميز أقطابه هو الاشتغال مع المخزن في مهام ووظائف لها علاقة بالسياسة وتدبير الشأن العام، بالإضافة إلى المهام التقليدية لمجمل العلماء في مجالات التعليم والقضاء وما يتعلق بها، وقد ساهمت هذه الخاصية في تطوير الاتجاه السلفي الديني من اتجاه راديكالي صرف إلى اتجاه واقعي مرن لا يرفض منطلقات الاتجاه الأول ولكنه ينطلق منها ويكيفها حسب منهجية جديدة استفادت كثيراً من قواعد الفقه والتراث الإسلامي بالاعتماد على مبادئ وقواعد وأصول كلية مقبولة شرعا وتعطي للعقل حيزاً مهما في التعامل مع النوازل والمشاكل، وذلك باستغلال تلك المبادئ والقواعد مثل : درء المفسدة وجلب المصلحة ارتكاب "أخف الضررين" الضرورات تبيح المحظورات، وغير ذلك من القواعد الفقهية المستعملة في فقه النوازل وما جرى به العمل في إطار الفقه المالكي وحتى خارجه.

وقد اعتمد هذا الاتجاه كثيراً على منهجية التفكير التي عرفت عند الشيخ الشاطبي الأندلسي التي تماثل في أهميتها أهمية قواعد علم العمران عند ابن خلدون، باعتبارها غايات ومقاصد التشريع في التعامل مع الوقائع والنوازل أولى من الوقوف عند النصوص في خصوصيتها بل النظر إلى النصوص في إطار نظرة شاملة تستحضر كلية الشريعة وأهدافها العامة.

هذا الاتجاه أعطى آراء وتحمل مواقف كلها تأيد للمخزن وبحث عن المبررات الممكن إعطاؤها لإضفاء الشرعية الفقهية والمسوغات الدينية للمواقف التي اضطر المخزن لتبنيها منذ العهد الحسني وإلى الثلث الأول من القرن العشرين، ابتداء بما أعلنه الناصري وانتهاء بما وصل إليه الحجوي في مواضيع عدة تجملها الخطوط الرئيسية التالية :

- ضرورة التخلي عن فكرة الجهاد وإعطاء مبررات لذلك تحول الجهاد ضد الأجانب إلى جهاد داخلي لإصلاح النفس من أجل الوصول إلى مرتبة الآخر من أجل مقاومته.

- ضرورة الأخذ بكل ما يمت إلى التحديث والتطور والتقدم بصلة في مجالات : التجارة والضريبة والتعليم والمرأة وغيرها واقتباسه من الغرب ما لم يتناقض مع أسس الشريعة الإسلامية وما دام يسير في نفس اتجاه مقاصدها وغاياتها الهادفة إلى إصلاح المجتمع وتقويم سلوك الناس وممارساتهم.

- ضرورة مهادنة فرنسا والاستفادة من تنظيماتها والبحث عن حلول لتطوير المجتمع والمحافظة على اللغة العربية والهوية الإسلامية في إطار هذه المهادنة.

بين الناصري والحجوي برزت داخل هذا الاتجاه الثاني عدة أسماء لكل منها خصوصيته داخل الإطار العام نذكر منها :

علي السملالي السوسي - عبد الله السنوسي - أحمد بن المواز - أبو شعيب الدكالي وغيرهم. إلا أن الموقف من فرنسا المستعمرة هو ما سيخلق بين هؤلاء، وغيرهم من العلماء السلفيين المتنورين كذلك في ظل نظام الحماية فارقا أساسيا سيؤدي إلى خلق وبعث اتجاه جديد للحركة السلفية المغربية سيركز على نفس مبادئ الاتجاه الثاني ولكنه سيقف موقف المتشدد من كل ما له علاقة بتأييد سياسة الحماية أو مؤازرتها أو على الأقل تجاهلها ليدخل الحركة السلفية في إطار سياسي جديد يعتمد على مناهضة أساليب الحماية وإدارتها ومحاولة الضغط عليها لتحقيق غاية أساسية هي الاستقلال وقد كان حلقة الوصل في هذا الاتجاه الشيخ محمد ابن العربي العلوي الذي تتلمذ على يديه جيل السلفيين الجدد بزعامة علال الفاسي، وبذلك دخلت السلفية المغربية في طور جديد مع الاتجاه الثالث الذي اشتهر باسم السلفية الوطنية الجديدة.

3 - السلفية الوطنية الجديدة

في هذا الاتجاه الثالث تكمن خلاصة التطور الذي آلت إليه الحركة السلفية المغربية باحتفاظها بأصولها التاريخية وتكيفها مع الوقائع والأحداث وبروز اختلافاتها الواضحة مع السلفية المشرقية المعاصرة لها والمرتكزة على مبدأ التوفيق بين الغرب والإسلام فقط.

لقد تجاوزت السلفية المغربية في هذا الاتجاه غاياتها الأساسية التي دعا إليها الاتجاهان السابقان وحققا فيها تراكما مهما لتصبح وسيلة لا غاية وأداة عمل عند مجموعة من روادها الذين سيعملون بواسطتها من أجل تحقيق الانعتاق والتحرر من الاستعمار وبذلك نعتها كل الباحثين بأنها الإطار الفكري الذي تبنته الحركة الوطنية أي إديولوجيتها الفكرية التي تربط السياسي بالديني ربطا جدليا، لدرجة جعلت السلفية والوطنية تعنيان شيئا واحدا عند المتتبعين لهذا التطور، فقد أصبح بعدها السياسي، أكبر من ذي قبل، مرتبطاً بتحقيق مفاهيم سياسية جديدة تتجاوز قبول الأمر الواقع وتحقيق النظام والأمن إلى توسيع مفهوم الاصلاح وربطه بمفاهيم التحرر وبناء الاستقلال. وفي هذا الإطار ركزت السلفية في اتجاهها الجديد هذا على الجوانب الأكثر خدمة لهذه الغاية كمحاربة الفكر الغيبي والتخلص من ممارسات الطرقيين التي يستغلها المستعمر لتثبيت وجوده، واعتبار العمل السياسي والنضال الوطني جهادا جديدا ضد المستعمر لابد من مزاوجته مع الفكر السلفي.

لقد أوضح علال الفاسي هذا التطور في عدد من مؤلفاته نخص بالذكر منها : الحركات الاستقلالية - مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها - دفاع عن الشريعة - النقد الذاتي وفي غيرها من كتاباته وقد ركز بالخصوص على دور العقل في التحرر الفكري والسياسي وبالتالي تدعيم غايات السلفيين الجدد لتحقيق مشروع النهضة والتحديث وبناء الدولة الوطنية، وهذه الدعوة إلى العقل يتم تأصيلها بالرجوع إلى التراث الإسلامي وفهمه بكيفية لا تعارض فيها مع ما يقتضيه العقل والعلم، وذلك بالنظر إلى الأمور انطلاقا من مقاصد الشريعة وأصولها لا بدلالات النصوص القطعية وبالتالي الخروج باجتهادات تنسجم مع هذه المقاصد ولا تتعارض مع العلم والتطور والمعاصرة.

عموماً فإن الربط بين التجديد والتغيير والتحرر والتحديث هو ما شغل هذا الاتجاه في ربط للحياة والوسائل العصرية بالبيئة الإسلامية لجعلها قادرة على التأثير والتأثر. وبهذا حافظت السلفية في نهاية المطاف على كل الجوانب الإيجابية في الاتجاهين السابقين من بدايتهما عند الشيخ محمد بن المدني كنون إلى تطورهما عند محمد بن الحسن الحجوي وتجاوزت كل ذلك باستخدامه كوسيلة للتحرر من الاستعمار وبناء مجتمع إسلامي عصري بعد ذلك.

لقد كانت أبرز مميزات هذا الاتجاه الثالث ما يلي :

- دعوة صريحة للاعتماد على العقل والعلم والابتعاد عن التفكير الغيبي التقليدي

- اعتماد الفقه المقاصدي في البحث عن حلول لكل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية في علاقتها بالشريعة الإسلامية.

- ربط الاصلاح الديني بنظيره الاجتماعي والسياسي

- الدعوة إلى الاجتهاد واستنباط الأدلة اعتمادا على الأصول الكلية للشريعة

- السعي لمحاربة الاستعمار وبناء الدولة الوطنية في أبعادها العربية والإسلامية

- محاربة كل مظاهر السلوك الاجتماعي والسياسي التي تتنافى والغايات السالفة الذكر.

لقد تبلورت مجمل هذه الأفكار بالخصوص عند علال الفاسي في مرحلة ما بعد إعلان الظهير البربري سنة 1930، وأصبحت السلفية منذ ذلك الحين مرتبطة بالحركة الوطنية وبالتطورات السياسية التي أدت في نهاية الأمر إلى إنشاء الأحزاب السياسية ليتبنى أفكارها مع كثير من التطوير والتحوير والدمج مع أفكار أخرى حزب الاستقلال إلى حين وفاة زعيمه السلفي علال الفاسي.

الكتب المذكورة داخل النص : ع. الجليل بادو، *الأثر الشاطبي في الفكر السلفي بالمغرب* ؛ سعيد بن سعيد العلوي، *الاجتهاد والتحديث*، دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب ؛ م. الفلاح العلوي، *جامع القرويين والفكر السلفي* ؛ ع. القادر الشاوي، *السلفية والوطنية* ؛ ندوة، الحركة السلفية في المغرب العربي، مجموعة مقالات ؛ مجلة *المناهل* عدد خاص، السلفية ثوابت وسياقات.

محمد الفلاح العلوي

السلكة في اصطلاح القراء المغاربة هي ختم القرآن إما حفظا وإما قراءة، وقد اختص هذا المصطلح بالمغاربة دون المشارقة. ولذلك يطلق على السُّلْكة اسم "الختمة"، وتعرف أيضاً بـ "الحَذْقَة". والحذق والحذاقة : المهارة في كل عمل. وحذق الغلام القرآن : مهر فيه وتعلمه كله، ويقال لليوم الذي يختم فيه الصبي القرآن : هذا يوم حذاقه (*المعيار*، 8 : 240 ؛ *المعسول*، 1 : 34) "الحَذْقَة".

وكذلك ختم القرآن في وقت واحد وفي جلسة واحدة، يسمى سلكة، ويكون هذا الختم جماعيا، أي يتم توزيع أجزاء القرآن على الأفراد الحاضرين في منزل صاحب الوليمة أو صاحب السلكة، كل فرد يتكلف بقراءة جزء معين. والهدف من هذا ختم القرآن أو إتمام سلكة في ذلك المنزل لتعم أهله البركة وينالون الأجر والثواب. وتسمى هذه الختمة بـ "تَحَزَّابْت" أو "التفريق" وهي محدثة (م. السوسي، مدارس، 35 ـ 36).

وقد يطلق مصطلح السُّلْكة أيضاً على ختم المتون عن طريق الحفظ، كسلكة خليل (التازي، *جامع*، 3 : 751 الهامش، *والأجرومية والألفية* (م. *الهبطي*، *مفتون*، 21 ـ 119). ويصف الفقيه أيت بومهاوت هذه السلكة بأنها "عبارة عن مأدبة تقام ويدعى إليها حفظة القرآن الكريم لتلاوة أجزاء القرآن "التفريق" وما تيسر من الأمداح النبوية، وتقام غالبا بعد المناسبات الدينية والاجتماعية كالوليمة والعقيقة والرجوع من الحج ..." (*منار السعود*، ص. 358).

وقبل حصول الطالب على السُّلْكة فإنه يختم عدة ختمات صغرى ؛ أي يختم جزءاً بعد جزء حتى ينهي حفظه للقرآن كله، وبذلك يكون قد ختمه الختمة الكبرى النهائية (السلكة). وقد يكرر حفظه للقرآن من جديد عدة مرات حتى يستقر في صدره جيداً ويضبطه رسما وترتيلا، بل كان من الفقهاء من يختم القرآن في اللوح كل سنة خشية أن ينساه (ابن مريم، *البستان*، 91).

أما الفترة المفضلة لحفظ القرآن الكريم فهي فترة الطفولة؛ أي المرحلة الدراسية الأولى، فقد حفظه بعض العلماء فيما بين السنتين السابعة والعاشرة، ومنهم من تجاوز ذلك. وهذا راجع أساسا إلى تفاوت درجات تركيزهم ومدى قوة ذاكرتهم واختلاف ظروف نشأتهم وتربيتهم، إلا أنه وجد من حفظ القرآن في كبره (في سن الكهولة مثلا) (*فهرس المنجور*، 63 ـ 64).

ومعظم القراء بالمغرب حفظوا القرآن برواية ورش، ومنهم من ختمه حفظا بالقراءات السبع، والطالب الذي ختم القرآن بالقراءات السبع يسمى "المسبِّع"، كما وجد من ختمه بالقراءات العشر (مفتون، 17، 45 ـ 50 ـ 97).

أما مدة ختم القرآن حفظا فإنها قد تطول أو تقصر حسب همة واجتهاد كل طالب ومدى قوة ذاكرة الحفظ لديه، فمن الطلبة من استغرق عدة سنوات، ومنهم من تمكن من حفظه في مدة أقل كسنة أو سنتين.

وتجدر الإشارة إلى أن عملية الحفظ تلك لم تقتصر على الذكور فحسب، بل تعدتهم إلى الإناث، فمنهن من حفظن القرآن المجيد على أيدي آبائهن أو أقاربهن من العلماء، ومنهن من استفدن من فقهاء أجانب في إطار من الحياء والحشمة.

ولتقريب صورة الاحتفال بالسلكة نقدم نموذجا مما جرت به العادة في بلاد سوس، خاصة بمدرسة الملود، فعندما يحصل الطالب على سلكة لأول مرة يعمه الفرح والابتهاج، ويعمد إلى محو إحدى جهتي لوحته، ويرسم فيها دائرة في وسطها، يتراوح قطرها ما بين 15 و11 سم على حسب عرض اللوحة وطولها، ثم يسطر داخل الدائرة ويكتب فيها الآيات الأخيرة من سورة البقرة انطلاقا من "آمن الرسول ..."، هذا إن ختم القرآن من الأسفل إلى الأعلى ؛ أي من سورة الناس إلى سورة البقرة، أما إن فعل العكس، فإنه يكتب في الدائرة المذكورة سورة الإخلاص والمعوذتين، وبعد كتابة ذلك يذهب

بلوحته إلى أستاذه الذي يكتب فيها بدوره بعض الآيات والأبيات الشعرية

ثم تلف لوحته في منديل مزوق جديد من خز يسمى "تاسبنيت"، وهو أحسن قناع تغطي به المرأة رأسها في المحافل، يأتي به بعض أبناء الأغنياء من داره بأمر من الأستاذ، وبعد ذلك يذهب التلميذ بهذه اللوحة إلى أقاربه ليتبركوا بها، وقد تبقى عندهم أيام عطلة السلكة كلها. (الإلغي، *المدرسة*، 63).

ويمنح التلميذ الذي حصل على السلكة مع أصدقائه عطلة استثنائية لمدة يوم أو يومين، ثم يستأنفون دراستهم من جديد.

أما أسرة الطالب صاحب السلكة فتقيم حفلا تكريما له ولأستاذه، لأنها تدرك أن ابنها قد قطع مرحلة مهمة جداً في تعلم القرآن الكريم وحفظه، ويشارك في هذا الحفل زملاؤه وأقرباؤه، وتشجيعا له، فإن جلهم يستصحب معه هدية يقدمها إليه، وغالبا ما تكون نقدية.

هذا وقد تختلف مراسيم حفل السلكة من منطقة إلى أخرى، لكن الاحتفال بها يبقى عاما في كل المناطق المغربية على وجه الخصوص.

أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1400، 8 : 240 وما بعدها ؛ م. ابن مريم التلمساني، *البستان*، الجزائر، د. ت، 91 ؛ أ. المنجور، *فهرس المنجور*، تح. م. حجي، الرباط، 1976، 63 . 64 ؛ م. المختار السوسي، *مدارس سوس العتيقة*، طنجة، د. ت. 35 . 36، *المعسول*، الدار البيضاء، 1960، 1 : 34، صالح الإلغي، *المدرسة الأولى*، وصف شامل للتعليم الأولي بالمدرسة القرآنية في سوس، نموذج مدرسة إلغ، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1998، 46 . 49 . 63 ؛ د. أيت بومهاوت الوسخيني، *منار السعود عن تفراوت الملود ومدرستها العتيقة*، د. ت. ولا م، 358 ؛ إ. خليفة، *الحركة العلمية الثقافية بتطوان*، 1994، 1 : 282 . 283 ؛ م. الهبطي المواهبي، *مُفتون منسيون بغمارة وشفشاون*، 2000.

عبد العزيز الضعيفي

السلّ، داء قديم تتسبب فيه مكروبات من نوع العصيّات، تقدمت معرفته مع القرن التاسع عشر عندما تمكن العالمان الفرنسيان لاينيك Laennec (1781 . 1826) وفيلمان Villemin (1827 . 1892) من التوصل إلى كون المرض معدياً ويصيب جميع أعضاء الجسم. وفي سنة 1882 تمكن الألماني كوخ Koch من اكتشاف المكروب المسبب للسل وهو نوعان :

- بشري وينتقل من شخص إلى آخر ويوجد في لعاب المصابين بالسل وثيابهم وكذا في غبار الطريق.
- حيواني ويوجد في ألبان الأبقار المسلولة ولحومها.

وتتم العدوى عن طريق الرذاذ المنبعث من فم المصاب أثناء الكلام أو السعال أو العطس أو من الغبار الحامل للمكروب بعد جفاف البصاق على الأرض. كما يلعب الذباب دوراً مهما في نقل السل.

ويمكن للسل أن يصيب أي جزء أو جهاز من أجهزة الجسم البشري، على أن أهم جهاز تهاجمه عصيات كوخ هما الرئتان، لذلك كان السل الرئوي من أكثر أنواع السل تفشيا بين الناس. وهو الذي يهمنا هنا وتتميز أعراضه بما يعتري المبتلى به من هزال مع انتفاء شهوة الأكل. بالإضافة إلى السعال والبصق وربما نفث المصاب الدم أثناء سعاله. وتنتاب المسلول كل مساء عوارض من الحمى وتصبب العرق. وقد تشتد حالة المريض ويزداد هُزاله إلى أن يموت.

كان داء السل يسمى عند المغاربة "بمرض السل" أو "مرض الرية" أو "الضرّ الكبير" وأحياناً "المرض القبيح"، وهي تسميات تنم عن خطورته وخبث الإصابة به. وقد تعذر علينا تتبع تفشيه بين المغاربة في الحقب السابقة لدخول الفرنسيين إلى المغرب، بسبب شح المصادر في هذا الباب بحيث لم نعثر في ماوقع بين أيدينا من مراجع على ذكر لداء السل إلا ما ورد في إشارة لدى صاحب *الترجمانة الكبرى* تتعلق بالسلطان المولى عبد الله العلوي إذ يقول "وكان [المولى عبد الله العلوي] مريضا بداء الرئتين الذي أصابه أثناء حملته على بني مطير في فصل الثلوج حيث قضى ما يقرب من سنة في هذه الحرب ... وبقي في قصره بفاس مقعداً بمرضه العضال الذي كان سببا في نهاية أجله سنة 1171 / 1757.

وأفاد الأطباء الذين عملوا ببعض مدن المغرب في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أن داء السل وخاصة الرئوي منه كان قليلا بالمغرب، فأشار ديسپين Despine، وهو من الأطباء الذين عملوا بالصويرة سنة 1840 إلى أن داء السل كان مجهولا بها، وأكد ذلك الطبيبان Thevenin وOllive اللذان عملا بعده بعدة سنوات في الصويرة. ووردت إشارات لدى كل من وايزجيربر Weisgerber وهيرزن Herzen ودوزانس Douzans وريملينجير Remlinger وهم من الرعيل الأول من الأطباء الذين قدموا إلى المغرب، تفيد كلها ندرة السل الرئوي بين المغاربة وقلة عدد المبتلين به.

غيــر أن أعـداد المصـابين بالسل على قلتـهم كـانت تتصاعد، كما يستفاد من إحصاءات المستشفى الفرنسي بطنجة في الجدول التالي :

السنوات	عدد المرضى بالسل الرئوي المقبولين بالمستشفى	عدد الوفيات بالسل الرئوي
1903-1900	15	2
1907-1904	28	4
1911-1908	88	22
1915-1912	96	22
1919-1916	121	33

وأمـام تكاثر المصـابين بعـد أن كـانوا قلة، طرحت على المهتمين بالصحة مسألة ما إذا كان داء السل قد طرق المغرب مع من أمه من الوافدين الفرنسيين، أم أن له أسبـاباً داخلية ساهمت في تفشيه. والظاهر أن العاملين معا ساهما بشكل فعال في نشر السل ومده بأسباب التكاثر والاستشراء. ذلك أن الطبيـبة دولانوي Delanoé، وهي من الطبيـبـات اللائي عملن بالمغرب منذ سنة 1913، قد لاحظت أن مصالح الإعانة الطبيـة واجهت منذ سنة 1919 كارثة خطيرة هي داء السل، حيث ساهم وباء "الزكام الإسباني" الذي ألم طائفه بالبلاد متسللا من أوربا وأهلك قرى بكاملها في منطقة جبالة، إذ جعل رئات من أصيبوا من المغاربة بهذا الداء أقل مقاومة لعيث العصيات المسببة للسل.

وتفيد تقارير المستوصفات في بداية العشرينيات أن عدد الاستشارات الطبيـة الخاصة بالمسلولين كانت تسير في تصاعد كما يلاحظ من الجدول التالي الخاص بمستوصف فاس:

	المعدلات العامـــة		
	1921	1922	1923
الاستشارات العامة	808	1618	1833
اسشتارات المسلولين	217	351	460
النســبــة المائوية لاستشارات المسلولين	٪26,9	٪21,7	٪25,1

وأدى تفـاحش السل وعلى الخصـوص في الأوسـاط الحضرية إلى تركيز الاهتمام على مكافحته فظهرت مستوصفات خاصة بمقاومته أردفتها سلطات الحماية في سنة 1924 بخلق العصبة المغربية لمكافحة السل، وسنت ظهير أبريل 1925 الذي يصنف السل ضمن الأمراض ذات الإعلان الاجباري.

ومع مـا خلقتـه الأزمـة الاقـتصـادية لسنة 1929 من اضطراب في الأحوال انعـكست آثاره سلبا على اقتصـاد المغرب ومجتمعه في بداية الثلاثينيات، ارتفع عدد الوفيات بالسل سنة 1932 بشكل خطير كما في الجدول التالي المتعلق بمن تأويهم مستوصفات بعض المدن من المصابين بالسل :

المدينة	عدد المرضى بمستوصفها	عدد المتوفين منهم بالسل
فاس	189	100
مراكش	59	33
مكناس	50	32

ساهم جفاف 1937 ـ 1938 في تفاحش الإصابات بالسل وارتفع عدد من قضوا به من المغاربة مسلمين ويهودا في المدن البلديات وحــدها إلى 1652 سنة 1937 و1660 سنة 1938. أما الأوربيون فقد ذهب الداء بـ 30 شخصا منهم من ضمنهم 19 فرنسيا فيما بين دجنبر 1937 وماي 1938. وتفيد تقارير بعض المستشفيات لسنة 1938 بارقام حول نسبة الوفيات من بين المرضى المسجلين بتلك المستشفيات وهو ما يتضح من الجدول الآتي :

المستشفى	عدد المرضى	نسبة المتوفين منهم
مولاي يوسف (الرباط)	239	٪50
كوكار (فاس)	201	٪67
موشان (مراكش)	110	٪35

وخلقت الحرب العالمية الثانية ظروفا ملائمة لاستفحال السل بما تسببت فيه من تدهور في أحوال المغاربة ونقص في مواد التغذية والنظافة واللباس، وزاد من حدة الوضع ما أصبحت تعانيه إدارة الصحة من تقلص في عدد الأطباء والمستخدمين وقلة في الأدوية والعقاقير. فأعضل أمر السل وارتفع عدد الوفيات من جرائه بشكل غير مسبوق كما يتضح ذلك من الأرقام أسفله :

السنوات	عدد الوفيات بالسل
1939	1371
1940	1427
1941	2074
1942	2676
1943	2868
1944	2533
1945	3541

وحاربت سلطات الحماية داء السل في إطار برنامجها

الصحي الذي كان يرمي إلى الحفاظ عل الأوربيين ومن يتصل بهم من العمال والمستخدمين المغاربة، فأنشأت مجموعة من المستوصفات بفاس والدار البيضاء ومكناس والرباط ومراكش، كانت تعمل بتنسيق مع العصبة المغربية لمكافحة السل. واحترازاً من هذا الداء ولوقاية الأطفال من شره ظهر ماكان يسمى يومئذ حدائق الشمس، وهي دور تعنى بمن نال منهم الهزال وضعف البنية من الأطفال، حيث تؤويهم طيلة النهار وترجعهم إلى عائلاتهم مساء بعد أن يكونوا قد استمرأوا طعاما متوازنا وتعلموا بعض مبادئ النظافة وحفظ الصحة. واشتهرت من هذه المؤسسات اثنتان : الأولى بالرباط وكانت تضم 35 طفلا، والثانية بسلا وتؤوي 48 من الأطفال ذكوراً وإناثاً وعلى الرغم من تولي العصبة المغربية لمكافحة السل هذه الحدائق بالتعهد والرعاية فإن ما كان يقدم لها من إمكانيات ظل محدوداً لا يسمح بإيواء عدد أكبر من الأطفال.

وبادرت إدارة الحماية من جهة أخرى إلى جمع التبرعات لمكافحة الداء فنظمت حملات لبيع الطوابع الخاصة بداء السل، وهي طوابع بريدية كانت تباع في الأسواق والدكاكين والمدارس والإدارات في ما بين فاتح دجنبر وفاتح يناير من السنة، وقد تأتى من خلال هذه العملية جمع 94.995،85 فرنك في مابين دجنبر 1935 ونهاية يناير 1936.

واعتمد القائمون بشؤون الصحة على عملية التلقيح باستعمال مصل ب س ج (B C G). واعتمدت الحماية باتفاق مع منظمة الصحة العالمية والصندوق الوطني لانقاذ الطفولة، على برنامج يقضي بتنظيم حملات للتلقيح في ما بين 1949 و1950 تستهدف ثلاثة ملايين شخص. ونظراً لارتباط داء السل بالفقر وسوء الأحوال الاجتماعية، فان محاولات الحماية لتطويقه والقضاء عليه ظلت محدودة. واستمر يعيث في الأوساط الفقيرة من المغاربة بعد الاستقلال حيث بلغ عدد المصابين به في سنة 1980 : 24.000 شخصاً، وفي 1995 : 29.939 شخصاً، وجاء في بعض قصاصات الجرائد أن السل في المغرب يذهب كل سنة ب 600 شخص من ضمن 30.000 مصاب.

داود الأنطاكي، *تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب*، بيروت، د. ت ؛ عثمان الكاديكي، *الأمراض المعدية*، بنغازي، د. ت؛ أبو القاسم الزياني، *الترجمانة الكبرى*، مخطوط ؛ جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، 11 ـ 4 ـ 1997 ؛ جريدة *الأحداث المغربية*، 12 ـ 3 ـ 2001، *السعادة*، 20 نونبر و6 دجنبر 1930.

Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc, 1931 - 1950; *Maroc - Médical*, 1920 - 1950 ; G. Tasserie. *Contribution à l'étude de la tuberculose au Maroc*. Thèse pour le doctorat en médecine. Paris, 1921.

بوجمعة رويان

ابن سلاَّم، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Zellam.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقم 340.

سَلاَّمة (أولاد -) قبيل معروف بعدد من الجهات مثل إقليم فكيگ حيث يوجدون في تندرارة ويعيشون إلى جانب أولاد بادّة وأولاد بلقاسم وأولاد بنعمرو. وهناك أولاد سلامة العمريّون من فرقة عامر التحتية المشتملة على عامر السفلى وأولاد سلامة وكلتاهما بشمال مدينة القنيطرة، ومن قبيلة بني حسن. وقد بلغ عدد خيامهم في مطلع القرن العشرين 169 وحدة تتألف من أولاد سعود وأولاد زيد وأولاد عمرو وأولاد منصور وأولاد الطيبية زيادة على الغزاونة وهم أولاد سلاّمة ـ بتشديد اللام ـ فخذة من قبيلة عرب الصبّاح جنوب الرباط. وأشهر قوادهم في القرن التاسع عشر هم عبد الله ولد مريم (ت. بعد 1295 / 1878) والحاج بوسلهام بن الخياط (ت. 1314 / 1896) وبوعزة بن علي ولد الرّوانية (ت. بعد 1313 / 1896) ومَحمد (فتحا) بن عبد القادر الحشلافي (ت. بعد 1321 / 1904) وبوسلهام بن حميدة بن المعطي الذي ولي قبل انتصاب الحماية ومكث بعدها سنوات أخرى.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا*، 153 ـ 157 ـ 162 ـ 166 ـ 170 ـ 174 ـ 208 ـ 210 ؛ *التقسيم الإداري والجماعي*، 1992.

Villes et Tribus du Maroc., Rabat, Tome III, Tome I *Banlieue de Salé*, passim et surtout p. 183 ; *Tribus et fractions de tribus de la zone française du Maroc*, p. 11, Rabat, août 1955.

مصطفى بوشعراء

ابن السلمان، محمد السلمان مقاوم من مواليد سنة 1931 بالعيون انخرط في صفوف جيش التحرير بالمقاطعة التاسعة مركز تافودارت وذلك سنة 1956. عرف بين رفاقه بالإخلاص والتفاني في العمل، شارك في عدة معارك أبان فيها عن روح نضالية قوية إلى أن استشهد في معركة تكل سنة 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 514225.

سلْمُون وابن سلْمُون أسرتان تطوانيتان أصلهما من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Salmon ومعناه سمك سليمان ؛ وهناك فرقة أخرى من قبيلة وَدْرَاس القريبة من تطوان غرباً يدعون (سلْمونش) وقد انقرضت هاتان الأسرتان بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقم 343 و1395.

محمد ابن عزوز حكيم

سلوان، قصبة تاريخية ومدينة. ظهرت القصبة بتراب خُمْس بني بويفرور القلعي على الضفة اليسرى من واد تياوت الذي يحمل اسم واد سلوان أيضاً، بعد أن أمر المولى إسماعيل سنة 1090 / 1679 بتأسيسها. غير أن تأسيس القصبة لم يثر فضول أحمد بن القاضي الگعداوي القلعي في تقييده ولا المصادر الإسبانية.

وشكل القصبة شبه مربع، سورها مشيد من الطين المدكوك يصل علوه إلى سبعة أمتار، وعرضه نحو المترين، تبرز منه مجموعة من الأبراج المربعة الموزعة على أبعاد السور الأربعة وزواياه. ولها ثلاثة أبواب، فالباب الرئيسي شرقي الوجهة، ثم الغربي فالجنوبي. وقد بُنيت بداخلها عدة مساكن مخصصة لإقامة قواد الحركة المخزنية وللوافدين عليهم من قواد الريف الشرقي، لا سيما على الجناح الجنوبي، حيث ما تزال آثارها باقية، بينما بقي معظم المساحة الداخلية فارغا. وما يزال في الوقت الراهن بالقرب من امتداد السور الشمالي أثر حفير طولي مجزأ إلى قسمين، نعتقد أن واحدا منهما كان مخصصا لتخزين الزرع المستخلص من الجباية، أما الآخر فقد اتخذ معتقلا مؤقتا للمساجين. وتحدثت الوثائق عن وجود مسجد بداخل محيط القصبة حيث لا وجود له اليوم، بعد أن انمحى أثره على عهد الحماية.

ومن المؤكد أن الشعور الوطني المناهض للوجود الأجنبي بمليلة هو الدافع إلى تأسيس القصبة، على عكس المعروف عن ظهور القصبات الإسماعيلية بمختلف أرجاء البلاد، إذ أنها كانت مركز القوات الرسمية المساهمة في حراسة حدود مليلة، منذ أن ظهر عبيد البخاري بالقصبة أول مرة سنة 1106 / 1694، متزامنا مع مشروع حصار سبتة. كان عبيد البخاري سنة 1110 / 1697 بالقصبة تحت إمرة المولى محمد ابن إسماعيل. ومنهم كانت المقاومة تستمد قوتها، خاصة ما يعود إلى السلاح الناري، وسيستمر وجود العبيد بالقصبة إلى أن اضطرتهم ظروف ما بعد وفاة المولى إسماعيل للانسحاب. وقد حاول رئيس المجاهدين وقائد قلعية الطاهر ابن عمر القيطوني المتوفى سنة 1148 / 1735 استعادة العبيد إلى القصبة على عهد المولى عبد الله.

وسيتم تعمير قصبة سلوان من جديد على عهد السلطان محمد بن عبد الله تبعا لما كان بصدده من تخطيط مشروع حصار مليلة. حل السلطان بالقصبة يوم 4 شوال عام 1188 / 8 ديسمبر 1774، ليتجه نحو ميدان مليلة في اليوم الموالي. وتضاءل شأن القصبة بعد محمد بن عبد الله، ولم يعد إليها سابق عهدها إلا أيام المولى الحسن، حيث حل بها وقضى بها رمضان سنة 1291 / 1875، في نطاق جولته بالشمال الشرقي المغربي ومحاربة الثائر بوعزة الهبري المتحصن آنذاك بجنوب الريف الشرقي. وقد حضر استقبال القلعيين للسلطان بقصبة سلوان الفقيه المدرس الشيخ علال التانوني القلعي وهو صبي ضمن فتيان كتاتيب قلعية، في نطاق استدرار شفقة السلطان على أهل القبيلة. وشهدت القصبة أثناء إقامة المولى الحسن صدور دفعة من تعيينات قواد المنطقة، طبق ما كان يجري في ذهنه من تفكيك سلطة القيادات القبلية الكبرى إلى وحدات صغرى تصل إلى حد الفرقة الجامعة نعدد من المداشر فقط. ويتعلق الأمر بالنسبة لقبيلة قلعية من تقليص نفوذ أسرة القائد المختار ألغم المحتكرة إلى ذلك الحين قيادة قبيلة قلعية منذ أواخر عهد السلطان عبد الرحمن بن هشام.

تخصصت قصبة سلوان ابتداء من عهد المولى الحسن وما بعده في استقبال رؤساء الحركة المخزنية المعروفة بالحركة الريفية، سواء أثناء توجهها لجمع الزكوات والأعشار والدعائر، أو أثناء إرسال الإدالات الخاصة بمعالجة أحوال القبيلة وحوادث حدود مليلة. وإلى غاية سنة 1310 / 1892 التي زارها مخبر أوغست موليراس كانت ما تزال وحيدة منعزلة بالمكان، وليس بها من الجنود سوى ما يكفي لحراستها، مما استعجل الروكي بوحمارة للاستيلاء عليها واتخاذها مركزاً لثورته في أوائل سنة 1903 لإخضاع قبيلة

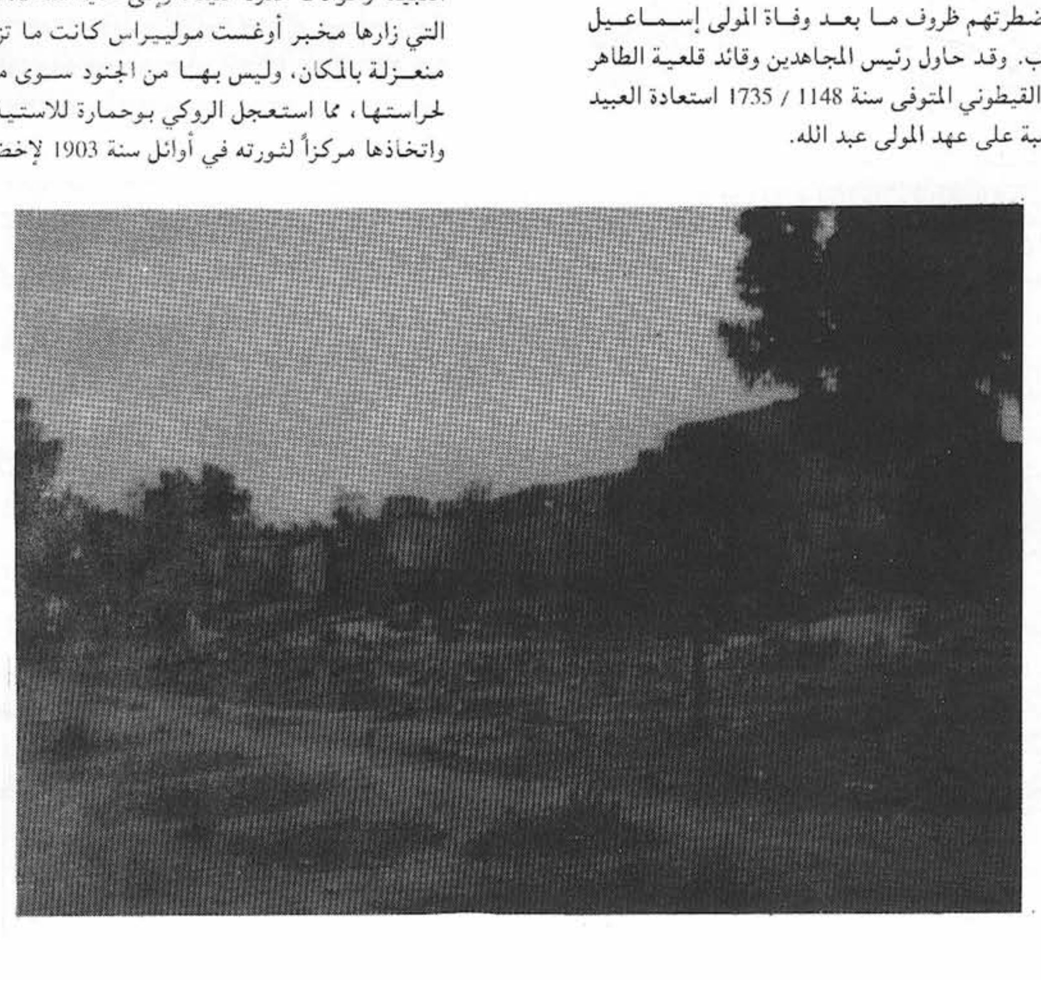

قلعية وقبائل الريف الشرقي وملاحقة القوات المخزنية العزيزية بقصبة جنادة فرخانة والاتصال بالإسبان لتسهيل مناورتهم في الاستحواذ على معدن جبل إكسان، إلى أن تم طرده منها على يد مجاهدي الشريف محمد أمزيان في آخر سنة 1908. غير أن القصبة تم احتلالها من طرف الجيش الإسباني في خريف سنة 1909 في نطاق التوسع الاستعماري الذي أدى إلى القضاء على الثورة وفرض الحماية.

كان للقصبة أرضها الفلاحية المحبسة عليها، وهي المحيطة بها من جهة الشرق في اتجاه ضريح سيدي علي الحساني، يقوم العمال بحرثها بإذن من السلطان على طريقة التويزة. قسم من تلك الأرض مسقي بساقية ثم أسندت فلاحتها للسكان المجاورين للقصبة من بني بويفرور على يد عاملهم.

أما مدينة سلوان فنشأت لما بدأ تعمير الأراضي المجاورة لقصبة سلوان منذ أوائل عهد الحماية نتيجة تمركز القوات الإسبانية بها، وبذلك ظهرت النواة العمرانية إلى جانب القصبة. وقد لاحظنا كشاهد عيان في الأربعينيات أن العمران اقتصر على محطة وقوف الحافلات المنظمة من مليلة أو الناظور في اتجاه أسواق الريف الشرقي، إلى جانب الإدارة وبعض الحوانيت التي وجدت لتلبية حاجات السكان وحامية القصبة. وهي مشهورة بانعقاد سوق السبت الذي يقصده أهل القبائل المجاورة.

وعرف عمران المدينة النمو منذ سنة الاستقلال، نتيجة الهجرات الوافدة من مختلف جهات الريف الشرقي، فأصبحت حدودها الإدارية الحالية ممتدة إلى سبخة بوعرك وبني وكيل وأولاد ستوت وجبل إكسان وأعروي، وبلغ عدد سكان المدينة حسب إحصاء 1994 نحو 18.334 ساكن، وتتألف من جماعة سلوان التي انشئت سنة 1959 ويتكون المحيط الإداري من 23 مدشراً أو جماعة انتخابية.

وثائق خ. ح. *ومديرية الوثائق الملكية* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ *ضابط الأمور الوطنية للمنطقة الخليفية* : *معلمة المغرب* ؛ ح. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، مذكرات المغرب، *التحري الميداني* : *مستندات جماعة سلوان الحضرية*.

Recensement 1994, Population légale du Maroc, 1995; Moulieras, *Maroc Inconnu*.

حسن الفكيكي

السَّلْوَى أو السُّماني طائر من القواطع يصنف إلى رتبة الدجاجيات Galliformes وفصيلة التدرجيات Phasianidae. إسمه الشائع في شمال إفريقيا السلوى والملاح وإسمه في مصر والعراق السماني والسمان والسمن والفري في لبنان وسوريا. ويقول القزويني في عجائب المخلوقات إن هذا الطائر أنزله الله تعالى على بني إسرائيل كما جاء في القرآن. يدعى علميا Coturnis coturnis وبالفرنسية Caille des blés وبالإنجليزية Quail وبالإسبانية Codorniz وبالإيطالية Quaglia.

طائر ريشه بني مصفر اللون ومخطط بالأسود على الظهر وفاتح مصفر جهة الصدر، يحمل الجانبان خطوطا طولية متقطعة سوداء. تتميز الذكور بحلقة سوداء وبيضاء على العنق وتتميز الإناث ببقع سوداء بنية على الصدر. المنقار رمادي قصير وقوي يساعد على أكل الحبوب بمختلف أنواعها وبراعم النباتات والحشرات الصغيرة والديدان. يبلغ طول الجسم 17 ـ 18 سم وتزن الكبار 80 ـ 125 غرام. بسطة الجناحين لا تتعدى 36 سم. يعيش مزدوجا ونادراً وسط مجموعات قليلة الأفراد. عدة مجموعات تغادر المغرب لتشتو في إفريقيا الوسطى ثم تعود إلى المغرب وأوروبا خلال فترة التوالد.

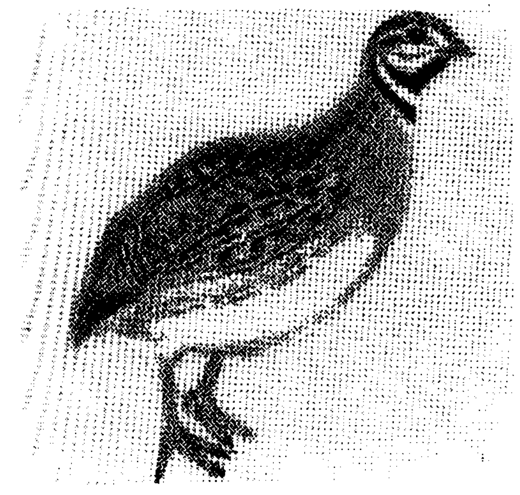

تتكون المجموعة عدة من عدة إناث وذكر واحد وتتوالد خلال الفترة الممتدة بين مايو ويوليوز في المناطق الزراعية والمراعي العارية. والعش عبارة عن حفرة تصنعه الأنثى بين الأعشاب وتفرشه بقطع مختلفة من النباتات اليابسة. يبلغ عدد البيض 7 ـ 16 بيضاء مصفرة ملساء ومنقطة بالسواد. يبلغ طول قطريها 23 x 30.4 ملم وتزن 8 ـ 9 غرام. يحضن البيض من طرف الزوجة 16 ـ 21 يوما ويقوم الزوج بالحراسة. تغادر الفراخ العش مباشرة بعد التفقيس وتأخذ حريتها تدريجيا وتحسن الطيران بعد 19 يوما.

طائر من القواطع مفضل عند الصيادين. يطير غير بعيد عن سطح الأرض ويفضل المشي والاختفاء في المناطق الزراعية. يعيش في مختلف المناطق الجافة وشبه الجافة المغربية. ويعيش أيضاً في أوروبا بخلاف الدول الاسكندنافية وفي شمال إفريقيا والشرق العربي وأسيا الغربية. ومنه عدة مجموعات تشتو في ليبيا ومصر وبعض الدول الإفريقية. طائر السلوى محبوب جداً عند الصيادين للحمه اللذيذ وتشير معطيات الصيد الأخيرة إلى انخفاض ملحوظ في عدده خلال العقود الأخيرة : تم صيد 12.000 وحدة سنة 2000 مقابل 17.000 سنة 1999. عرفت تربيته نجاحا هاما في كل من بوزنيقة ومهدية هدفها تكاثر طائر السلوى وتزويد مناطق الصيد في مختلف المناطق المغربية. يفتح

موسم صيد السلوى ابتداء من فاتح أكتوبر وينتهي في 18 فبراير. يرخص صيده للمغاربة كل يوم أحد ويرخص صيده للسواح الأجانب الغير المقيمين بالمغرب أيام الجمعة والسبت والأحد والاثنين شريطة أن لا يتجاوز عدد طرائد السلوى 20 وحدة لكل صياد في اليوم الواحد المرخص للصيد. تقدمت الجامعة الملكية المغربية للصيد باقتراحات تتعلق بتقليص فترة موسم صيد السلوى بين فاتح نونبر و15 فبراير ابتداء من سنة 2001 وباستبدال يوم السبت عوض الأحد مع إضافة أيام العطل وبحذف يوم الاثنين بالنسبة للأجانب.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، بيروت، ط 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

La chasse au Maroc, *Revue de la Fédération Royale Marocaine de Chasse*, n° 9, juillet 2000 ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979 ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977.

السلوقي العربي، نوع من الكلاب تُنسب إلى قرية في اليمن، وتنحدر من سلالة كلاب سريعة العدو تستعمل للسباق بداخل الحلبة ولقنص الحجل والحمام والتدرج والأرنب والثعلب وابن آوى وغيرها من الطرائد.

يدعى بالفرنسية Sloughi وLévrier arabe وبالإنجليزية Saluki. يتميز باستطالة الجسم والقوائم ويبلغ علوه عند الغارب 55 - 75 سم ويتراوح وزنه بين 29 - 32 كغم. الجلد رقيق يكسوه شعر قصير ناعم، أبيض متسخ إلى مصفر شاحب وأسمر، تتخلله عدة بقع سوداء، متفاوتة الحجم. الرأس مسطح وطويل، الخطم مستدق الرأس وطويل، العينان كبيرتان وداكنتان، الأذنان كبيرتان نسبيا، مثلثتان ومتهدلتان، الظهر مستقيم وطويل، الصدر طويل وقوي، الخصر نحيل، القوائم طويلة جدا، الذيل طويل ومستدق الرأس، العضلات نامية وقوية.

موطنه الأصلي الفيافي والسهوب الأسيوية وقد عرفه الفراعنة منذ القرن الثالث ق. م. وأدخله العرب بعد ظهور الإسلام إلى شمال إفريقيا. اعتنى المغاربة بهذه السلالة وحافظوا عليها وطوروها في مجال القنص. شديد الحذر وكثير الصمت ولا ينبح إلا نادرا ويمتاز بحدة في النظر وبقوة فائقة في حاستي الشم والسمع. لطيف مع مربيه ويلبي رغباته في ميدان القنص باحثا عن الطريدة بكيفية ذكية ويأتي بها في فمه. يقول المثل المغربي في شدة ذكائه واحتياله مقارنة مع الذئب "اللي قراه الذئب حفظه السلوقي".

انتشر السلوقي العربي في جميع بقاع العالم وقد أثبتت أخيراً أبحاث الفيدرالية العالمية لمحبي الكلاب أن السلوقي على التراب الأوروبي ينحدر من سلالة مغربية الأصل وليس من سلالة فرنسية كما كان يزعم من قبل.

E. Dechambre, Les *chiens : origine, histoire, évolution*, Paris, 1971 : J.L. de Waziers, *Chiens d'aujourd'hui, de chasse, de défense et autres ; élevage et dressage*, , Paris, 1967

محمد رمضاني

السليطَنْ، أسرة مراكشية معروفة بانتسابها إلى الشرفاء السملالين، أصلهم من سوس، وكان أول استقرارهم بمدينة مراكش أواخر القرن الثاني عشر (18 م) حين قصدها جدهم الأول محمد السملالي طلبا للعلم ومكث فيها إلى أن تخرج عالماً كبيراً. ويقال في سبب لقبه أن قومه أخبروه حين أراد الخروج إلى مراكش أن المراكشيين سيلقبونه - على عادتهم - فاختار لنفسه لقب السلطان. وقيل إنه لُقب بذلك للمكانة التي كان يحظى بها وسط طلبة جامع ابن يوسف، حيث كان يؤمَّر عليهم وقت النزهة الربيعية التي كان يقيمها طلبة ابن يوسف وكانوا يلقبونه استملاحاً "السليطن" تصغير "سلطان" وأصبح معروفاً بهذا اللقب.

السليطَنْ، محمد السملالي المراكشي، حلاه صاحب *الإعلام* بقوله : "كان استاذاً فقيهاً مجوداً حافظاً للعشرين، مدرساً مفتياً حيسوباً محققاً، عدلاً موثقاً، ورعاً زاهداً، شيخ الجماعة بمراكش في القراءات". (ج 6 : 314 - 315) ألف كتاباً مرحاً سماه *دواء الموت*، على غرار مختصر *الأفاريد*. وكان معروفاً بمواقفه الصّلبة في نصرة الحق والدفاع عن العدل، مهما كلفه ذلك من ثمن، وكثيراً ما كان "يعترض في فتاويه على أحكام القاضي أبي عبد الله عاشور، ويفتي بنقضها، ووقع بينهما لجاج" فتضايق منه القاضي، ومنعه من الفتوى، بل أمر بسجنه، ولما بلغ السلطان المولى عبد الرحمن ما وقع أمر بتسريحه، لما كان يعلم من فضله وورعه. واضطر في أخر حياته إلى التخلي عن خطة العدالة، حيث أمر بالشهادة في قضية فامتنع من ذلك، وعاش بقية حياته "ورعاً زاهداً".

عاش نحو مائة سنة وتوفي في حدود سنة 1270 / 1845.

م. السليطن نفسه، *دواء الموت*، *مجلة البينة*، ع 10، سنة 1936، تقديم م. الفاسي ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج 6 : 314 - 315.

المصطفى فنيتر

سليلوز المغرب، شركة مغربية متخصصة في صنع عجين الورق. أنشأت سنة 1957 وتوجد إدارتها المركزية في

الرباط. أما المعمل المنتج للعجين فإنه يوجد على بضع كيلومترات من سيدي يحيى الغرب على الطريق المؤدي إلى سيدي سليمان الغرب. أختير إسم سليلوز المغرب لأن عجين الورق كيفما كان مصدره الخشبي الأصلي (ورقي أوصنوبري) فانه مكون من السليلوز وهو المعمل الوحيد بالمغرب.

أما السليلوز فإنها مادة عضوية تحتوي عليها النباتات. من حيث الكم، تعتبر سليلوز أكبر مادة عضوية تنتجها الأجسام الحية. إنها تكوّن المركب الجوهري في بنية الخشب بحيث تتراوح نسبتها ما بين 40٪ و60٪ (من الوزن الجاف) حسب أنواع أخشاب الأشجار واختلاف تموضعها داخل نفس الجذع لشجرة ما. يمكن أن تصل هذه النسبة إلى 100٪ تقريبا في القطن مثلاً. الجدول التالي يعطي فكرة عن معدل نسبة السليلوز لبعض المنتجات الطبيعية.

المنتجات الطبيعية	نسبة سليلوز (٪) من الوزن الجاف للمادة
القطن (Coton)	98
الخشب (Bois)	50
الخزيران (Bambou)	45
اللحاء (Ecorce)	25

من حيث التشكيلة فان السليلوز مكونة من عدد كبير من وحدات الغلوكوز (Glucose) المنتج من طرف التخليق الضوئي (Photosynthèse). إذن فالسليلوز هو شنيظ من نوع السكريات العدادية (Polysaccharides) مكون من عدد من سلسلات خيطية أولية كل واحدة منها مكونة من 200 وحدة من الغلوكوز. هذه السلسلات الأولية تتكثف في ما بينها لتكوّن وحدات تركيبية تتجمع بدورها على شكل ميكرولُييفات تتكثف هي أيضاً بالتلاصق في ما بينها طولانيا لتعطي الليْفات. وتتكثف هذه الليفيات للمرة الأخيرة لتكون ما نسميه بالسليلوز. تكثف السليلوز بهذا الشكل يكوّن خاصية مميزة بدرجة الشناظة (Degré de polymérisation = DP) التي تدل على عدد الوحدات من الغلوكوز الموجودة في واحد مُول السليلوز. لقد وُجد أن هذه الدرجة (D.P.) تتغير حسب أنواع المواد الطبيعية كما يبين الجدول التالي :

المادة	درجة الشناظة DP
القطن	15.000
الخشب	10.000
عجين الورق	أقل من 1.200

أكّدتْ الدراسات الفيزيائية للسليلوز بواسطة الأشعة السينية أنها تتميز بتشكيلة فيزيائية مكونة من مناطق بلورية وأخرى لا بلورية وأن نسبة هذه المناطق البلورية تتغير حسب أنواع السليلوزات كما يوضح الجدول التالي :

نوع السليلوز	نسبة المناطق البلورية (٪)
قطن	73
عجين الخشب	66
عجين الخزيران	60
مركب سليلوزي	45
سليلوز متجددة	35

إن معرفة نسبة تبلور السليلوز ودرجة شناظها مهمة جداً لكونها تساعد على توجيه واتخاذ القرار من حيث كيفية استعمالها. يتبين من الجداول السابقة أن القطن يتميز بنسبة عالية للتبلور ولدرجة الشناظة. ويعني هذا أن سليلوزه متين وصلب فهو إذن صالح لصنع خيط النسيج. أما السليلوز الذي يتوفر على أماكن لابلورية فانه يكون سهلا للتفكيك بواسطة المواد الكيماوية التي لا تجد أية صعوبة لتنفذ داخل التشكيلة من أجل التفاعل التحليلي للسليلوز وتحويله إلى أبسط المواد التي ستكون مصدر مواد لصنع عدد كثير من مشتقات السليلوز.

ان مادة السليلوز في حالتها الخالصة كما في حالة القطن تكون بيضاء اللون. فلهذه الميزة تُستخلص السليلوز من الخشب الورقي أو الصنوبري على شكل عجين لغرض صنع أنواع الأوراق المختلفة والورق المقوى كما هو الشأن في معمل سليلوز المغرب الذي كان ولازال يستعمل خشب الاوكاليبتوس (Eucalyptus) كمادة أولية لصنع عجين الورق ذي الألياف القصيرة.

كان معمل سليلوز المغرب في أوائل إنشائه ينتج حوالي 7.000 طن من عجين الأوكاليبتوس الموجه إلى صنع عدة أصناف من الأوراق. نذكر كذلك أن ما بين 1959 و1962 كان المعمل ينتج نوعا آخر من العجين : العجين الخالص للذوبان المستعمل غالبا في صناعة النسيج ومشتقات السليلوز. ولكن نظراً للصعوبات التي واجهها المعمل في إنتاج هذا العجين بالجودة العالية المطلوبة على مستوى السوق العالمي فقد قررت الشركة التخلي نهائيا على صنع هذا النوع من العجين والتخصص في إنتاج عجين الورق العادي فقط ومن ذلك الوقت بدأت القدرة الإنتاجية للمصنع تتصاعد تدريجيا لتصل في 1988 ـ 1989 تقريبا إلى 108.000 طن من العجين سنويا. أما معدل الإنتاج فيبلغ 90.000 طن سنويا ويتطلب سنويا 280.000 طن من المادة الخام وهو الخشب، كمعدل للفترة ما بين 1981 و1985 والتي كانت كلها تنتج محليا أو وطنيا و325.000 طن للفترة ما بين 1986 و1991 استورد نصفها من البرازيل والأرجنتين، والكونغو.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإنتاج الوطني لخشب الاوكاليبتوس بدأ يتقلص تدريجيا منذ أوائل النصف الثاني من الثمانينات. ولقد عالجت شركة سليلوز المغرب هذا النقص الحاصل في إنتاج الخشب المغربي باتخاذ قرارين مهمين. أولهما إستيراد أصناف الأوكاليبتوس لتغطية حاجيات المعمل فوراً من الخارج. والقرار الثاني يتعلق بإنشاء شركة الإنتاج للخشب "Eucaforest" التابعة لشركة سليلوز المغرب. والهدف من إنشاء هذه الشركة هو الاعتماد على انتاجها للخشب لفائدة المعمل. ففي هذا الإطار ستقوم الشركة بتشجير وصيانة 25.000 هكتار وهي المساحة الموكلة لها من طرف الوزارة المكلفة بالمياه والغابات حسب العقدة المبرمة بينهما.

يتضح من خلال دراسة مبيعات الشركة من العجين ما بين 1981 و1991 أن السوق الداخلي المغربي يستهلك تقريبا ما بين 20 و25٪ من الانتاج السنوي للمعمل. ويرتقب أن ترتفع هذه النسبة بصفة تدريجية استنادا على التحديات التي تنتظر الحكومات المغربية المقبلة من أجل محو الأمية في المغرب. أما معدل كمية العجين المصدرة إلى الخارج فإنها تتراوح ما بين 70 و80٪. يُكَوِّن المخزون داخل المعمل حوالي 3٪ من الإنتاج ولقد عرف هذا المخزون تراكما ملحوظا منذ 1989 وصل إلى 27٪ سنة 1991، ويرجع هذا إلى التنافس الشديد الذي عرفته شركة سليلوز المغرب على صعيد السوق العالمي للعجين ولاسيما في شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال) على الساحة الأوروبية وكذلك البرازيل على ساحة أميركيا اللاتينية. هذه المشكلة أرغمت سليلوز المغرب على شراء معمل "وراقة تطوان" المتخصصة في صنع جميع أنواع ورق الطباعة مما ساعد الشركة في توجيه فائضها من العجين إلى وراقة تطوان لتحويله إلى ورق الطباعة لتصديره إلى بلدان عديدة ليس لها مصانع للورق.

يُصدر عجين خشب الأوكاليبتوس أساساً إلى سوق أوروبا الموحدة خصيصا إلى بريطانيا وإيطاليا وفرنسا وإلى تركيا وتونس الخ .. تجدر الإشارة إلى أن المغرب يستورد عجين الورق ذا الألياف الطويلة غالبا من الدول الإسكندينافية كالسويد وفنلاندا. والمعروف أن خشب الأوكاليبتوس يحتوي على الألياف القصيرة فقط، غير أن صنع ورق الطباعة يستوجب خليطا من العجين ذي الألياف القصيرة والعجين ذي الالياف الطويلة. وهذا النوع الأخير من العجين لا يصنع في المغرب لحد الآن.

أما في ما يخص الآفاق فيمكن القول إن شركة سليلوز المغرب شركة كبيرة ولها إمكانيات للتطور والإزدهار في هذا الميدان ولا سيما في مجالين مهمين وهما :

أ ـ إنتاج عجين الورق ذي الألياف الطويلة. إن هذه الألياف الطويلة موجودة في خشب جميع أصناف الأشجار الصنوبرية التي اعتمدت عليها سياسة التشجير في المغرب وكذلك في الحلفاء التي أكدت دراستها أنها تعطي عجيناً يتوفر على جودة عالية في ميدان صنع الورق الممتاز. وسيصير إنتاج عجين الورق ذي الألياف الطويلة مربحا للمغرب من حيث العملة الصعبة وكذلك لسليلوز المغرب لأنه سيشجعها على التقليص من إنتاج عجين الاوكاليبتوس الذي يعرف منافسة شديدة على مستوى السوق العالمي. كما سيعطيها توازنا بين الإنتاج والتسويق في الداخل والخارج على حد سواء.

ب ـ عودة إلى الإنتاج الجزئي للعجين الخالص للذوبان من أجل توسيع استعمالاته في صنع مشتقات السليلوز التالية :

ـ نترات السليلوز (Nitrates de cellulose) : المستعملة في عدة مجالات حسب درجة الاستبدال بنترات ونذكر منها اللّدائن (Matières plastiques)، صباغة اللاك (Laque)، الأفلام (Pellicule)، الغراء (Colle)، المتفجرات (Explosifs)...

ـ كبريتات السليلوز (Sulfates de cellulose) : التي تستعمل كعامل لتخثير السوائل كالصباغة مثلا (Agent épaississeur).

ـ فوسفاطات السليلوز (Phosphates de cellulose) : المستعملة في مجال معالجة الأخشاب من حيث تعطيل الاحتراق وكذلك في صناعة النسيج.

ـ خلات السليلوز (Acetates de cellulose) : التي لها تقريبا نفس استعمالات نترات السليلوز ويكون نوع الاستعمال مرتبطا كذلك بدرجة الاستبدال بالخلات.

ـ أثيرات السليلوز (Ethers de cellulose) : التي تحتوي على خمسة أنواع حسب المواد المتفاعلة المستعملة ودرجة الاستبدال الكيميائي. استعمالاتها كثيرة نذكر منها تحضير الأقراص الصيدلية، مراقبة تصلب الاسمنت، النسيج، أوراق عوازل حرارية، مواد غذائية أو تجميلية، منظفات، مستحلب الصباغة (Emulsion de peinture)، صناعة الخزف (Céramique) ...

ـ زانتات السليلوز (Xanthates de cellulose) : مشتق مهم جداً يدخل في تحضير المركز السليلوزي (Fibre viscose) المستعمل في النسيج وفي صناعة أوراق سلّوفان (Papier cellophane).

ـ ورق سليلوزي مبدّل الأيونات (Papier échangeur d'ions) المستعمل بكثرة في المختبرات من أجل الفصل الأحيائي أي البيولوجي أو الكيميائي.

M. Hachmi et A. Sesbou, *Pâte à papier du bois des eucalyptus : Bilan et situation du Maroc*, In : *Les Eucalyptus au Maroc*, édité par M. Fechtal et A. Achhal El Kadmiri. Rabat., 1994 ; D. Fengel et G. Wegener, *Wood chemistry ultrastructure reactions*. Berlin, 1984 ; Ja M'Hamaed A., *Les déterminants internationaux du marché de la pâte à papier "place du Maroc dans le marché international*. Mémoire de 3ème cycle de l'Ecole Nationale Forestière d'Ingénieurs, Salé, 1993.

محمد هشمي

سليمان بن **محمد** بن **عبد الله** العلوي السلطان، أحد الأبناء المتأخرين للسلطان سيدي محمد بن عبد الله. ولد بمراكش سنة 1180 / 1766 وتلقى تربيته الأولى بمراكش حيث حفظ القرآن، ومنها انتقل إلى زاوية ببلاد أحمر حيث تعلم رسم القرآن. ثم أرسله والده إلى مدينة القصر الكبير حيث تتلمذ على الشريف سيدي محمد بن عبد الصادق الريسوني قبل أن يأمره والده بالاستقرار بتافيلالت مع اثنين من إخوته وذلك سنة 1197 / 82 ـ 1783. وهناك عين له والده فقيهاً يشرف على تعليمه. وكان سيدي محمد بن عبد الله يقصد من وراء هذا الاجراء أن يوفر لأبنائه تعليما لا يقل جودة عن ما يتلقاه الطلبة بالحواضر لكن في منطقة نائية لا يتعلق فيها البال بالانشغالات السياسية.

وبالفعل حرص سيدي محمد على إرسال ألمع علماء فاس لتعليم أبنائه بتافيلالت، منهم عبد القادر بن شقرون ومحمد ابن الطاهر الهواري وحمدون ابن الحاج. وعلى يد هؤلاء العلماء وغيرهم تلقى المولى سليمان تعليمه الديني الذي طبع شخصيته فيما بعد، فدرس تفسير القرآن والحديث ومبادئ التصوف من خلال *إحياء علوم الدين* للغزالي. أما تعليمه بمدينة فاس فلم يستغرق إلا وقتا قصيراً وتم بعد وفاة والده سنة 1204 / 1790. إن هذا التكوين الديني الذي تم بعيداً عن الساحة السياسية هو الذي يفسر ضعف اهتمام المولى سليمان بالأمور المخزنية إذ لم يتقلد منصباً سياسياً إلا بعد أن تولى أخوه اليزيد حكم البلاد في سنة 1204 / 1790 فعينه حينئذ خليفة عنه بمراكش. لكن المولى سليمان لم يمكث طويلا في هذا المنصب إذ سرعان ما تذرع برغبته في أداء مناسك الحج، لكنه في الواقع انتقل إلى مدينة فاس حيث اشتغل بتحصيل العلوم من جديد. والإقامة بالحاضرة الإدريسية، وإن كانت قصيرة، فقد سمحت له بحضور مجالس أشهر علماء المغرب آنذاك، وفي مقدمتهم شيخ الجماعة محمد التاودي ابن سودة وولده أحمد، ومحمد الطيب ابن كيران.

الخلافة المفروضة : الحقيقة أن المولى سليمان عندما طلب منه تولي زمام الأمور في شهر مارس من سنة 1792 لم يكن يتوفر على أي تكوين سياسي أو خبرة إدارية تسمح له بتحمل مسؤولية السلطنة. وحسب صاحب تذكرة المحسنين عبد الكبير بن المجذوب الفاسي، فإن المولى سليمان "لم يكن مرشحاً للخلافة ولاهمة له إليها، وإنما همته تعلم العلم حتى كان الناس يظنون أنه لا يحسن ركوب الفرس".

إن التربية التي تلقاها المولى سليمان كان لها أثر قوي على شخصيته كسلطان وتفسر إلى حد كبير اختياراته السياسية والدينية. فمولاي سليمان اتخذ من الشريعة مرجعاً دائماً لقراراته، وكثيراً ما كان يخضع اختيارات سياسية هامة لجانب الشريعة، من ذلك مثلاً إلغاؤه للمكوس ومنعه لزراعة التبغ رغم ما كان هذان الموردان يوفرانه من دخل هام لبيت المال. وتجلت اهتماماته الدينية كذلك في الاتصال الدائم الذي كان له بحملة الشريعة عبر مجلسه العلمي أو عبر مشاركته لهم في نقاش الكثير من القضايا الدينية من ذلك حضه المتواصل للعلماء لقراءة إحياء علوم الدين للغزالي وتدريسه، أو الكتابة في مواضيع معينة، أو إسهامه هو نفسه بالتأليف في بعض القضايا كمسألة السماع واستعمال الغناء من طرف بعض الصوفية، كما ألف رسالة في مسألة الكسب بيّن فيها التزامه بالعقيدة الأشعرية.

سياسة المولى سليمان الداخلية :

إن أهم ما يميز سياسة المولى سليمان الداخلية هو محاولته حكم البلاد بجهاز مخزني محدود وإصراره في نفس الوقت على نهج سياسة تطبعها المركزة الشديدة، وهو الأمر الذي سيُسبب له متاعب جمة سواء في علاقته مع القبائل أو مع القوى التقليدية ذات التأثير في المجتمع.

كانت السياسة التي اتبعها السلطان سيدي محمد بن عبد الله في المجال الداخلي تقوم على تعامل مرن مع القبائل يتجنب حضوراً مخزنياً متشدداً غالباً ما يكون مكلفاً للدولة، ويسمح بنوع من الاستقلال أو "السيبة" المحدودة إذا كان ذلك لا يمس بالمصالح الحيوية للمخزن. وتقترن هذه السياسة بتخفيف الضغوط الجبائية على القبائل والبحث عن مصادر دخل أخرى. لكن المولى سليمان عكس هذه السياسة فألغى المكوس وبدل الاعتماد على التجارة البحرية اختار أن يعتمد على جباية القبائل، الشيء الذي يتطلب مراقبة العصيان القبلي. هذه السياسة المتسمة بالتصلب والتشدد كثيراً ما جعلته يسقط في مواجهات خطيرة مع بعض القبائل الصعبة المنال كقبائل زيان وأيت أومالو والتي جرت عليه هزيمة نكراء في سنة 1819.

ومما يميز سياسته القبلية كذلك إخفاقه في استغلال التناقضات القبلية والمحافظة على حلفاء الدولة التقليديين كبرابرة السهول والدَير، الذين ينعتهم الزياني "ببرابرة الدولة". فسياسة العلويين، بدءاً بالمولى إسماعيل، كانت تقوم على كسب هؤلاء البرابرة للتصدي لقبائل الجبل، لكن المولى سليمان لم ينهج سياسة واضحة تعزز حلف برابرة الوطاء وتجعل منهم حاجزاً بينه وبين القبائل الأطلسية العاصية، بل نجده يجهز الحركات ضد بني مطير وكُروان أو يحجم عن مؤازرتها عندما تتعرض لاكتساح برابرة الجبل. وهذا التخاذل المخزني كان له دور في الدفع بهؤلاء الحلفاء التقليديين إلى أحضان المرابط أبي بكر أمهاوش (انظره) الذي استطاع أن يوحد معظم القبائل الأطلسية تحت زعامته وأن يسدد الضربة القاضية لمخزن المولى سليمان في ربيع 1234 / 1819.

وانعكست سياسة المولى سليمان الهادفة إلى مركزة أكبر بشؤون الدولة على علاقته بالقوى الاجتماعية الأخرى كالشرفاء والزوايا والأعيان المحليين. وهنا كذلك عكس المولى سليمان سياسة والده الذي يفوض صلاحيات مخزنية واسعة لشيوخ الزوايا والأعيان المحليين مبتغياً من وراء ذلك تخفيف أعباء الدولة وإشراك هذه القوى في تسيير الشؤون

المحلية. ويكفي أن نقف على حالة واحدة ليتضح الفرق بين السلطانين، وهي حالة الزاوية الوزانية التي فوّض سيدي محمد لشيخها صلاحيات واسعة تتعلق بتعيين القواد والقضاة ومراقبتهم في المناطق المحيطة بمدينة وزان. ولكن المولى سليمان تراجع عن ذلك كله وأفهم شيخ الزاوية أن "وزان بلد من المغرب" يجري عليه ما يجري على غيره، محرمة من الامتيازات التي منحه ايًاها والده، وألغى ما كانت المدينة تتمتع به من "حرم" بحيث أصبح يُلاحق الفارين من عدالة المخزن حتى وإن استحرموا بالزاوية وهذا أدى بالضرورة إلى توتر شديد في علاقة الدولة بالزاوية الوزانية ودفع بشيخها مولاي العربي إلى الوقوف ضمن الأعيان الذين خلعوا المولى سليمان وبايعوا سلطاناً آخر عقب هزيمة زيان.

وفي نفس الإطار تدخل سياسة التهميش التي اتبعها المولى سليمان تجاه أعيان الحواضر، خاصة بمدينة فاس التي فرض عليها قواداً برانيين على حساب الرؤساء التقليديين، وخاصة رؤساء الرماة. وهنا كذلك نجد هؤلاء الرؤساء يتزعمون حركة التمرد بالمدينة على إثر هزيمة زيان ويلعبون دوراً قيادياً فيما يسمى بفتنة فاس التي أدت إلى خلع المولى سليمان في سنة 1820.

سياسته الخارجية :

تولى المولى سليمان حكم البلاد في ظروف دولية صعبة تميزت بحروب الثورة الفرنسية والصراع الفرنسي - الانجليزي في حوض البحر المتوسط الذي لم يسلم المغرب من انعكاساته، كما شهدت المرحلة الأولى من حكم المولى سليمان (1792-1797) تدخلاً إسبانياً سافراً في شؤون البلاد أدى إلى تقسيم المملكة إلى مملكتين وأخر توحيد البلاد تحت حكم واحد.

وعلى الرغم من السياسة الإسبانية هذه فإن المولى سليمان أبقى على باب المغرب مفتوحاً أمام التجارة الخارجية وحاول بشكل خاص أن يكسب إسبانيا إلى جانبه عن طريق الامتيازات التجارية الهامة التي منحها لها خلال العقد الأخير من القرن الثامن عشر. لكن استكمال توحيد البلاد تزامن مع احتداد الصراع الفرنسي - الانجليزي وتزايد المخاوف المغربية من سياسة التوسع النابوليونية، خاصة بعد احتلال مصر ثم ضم إسبانيا إلى الدولة الفرنسية فأصبحت الثغور المغربية المحتلة بالشمال بحكم ذلك تمثل منطلقات محتملة لعملية احتلال فرنسية شبيهة بتلك التي وقعت بمصر. ونظراً للمواجهة البحرية بين الأساطيل الأوربية في المتوسط أصبح من الصعب جداً على السفن المغربية أن تغامر بالسفر، إذ غالباً ما كانت تقع فريسة سهلة في يد أحد المتصارعين، فتضيع أموال التجار وتكبُر التظلمات والاحتجاجات الدبلوماسية. إن هذه الوضعية الدولية الصعبة هي التي أدت إلى إضعاف الاتصال بالعالم الخارجي أكثر من غيرها من العوامل.

ومع ذلك فما أن وضعت الحروب الأوربية أوزارها في سنة 1814 حتى ظهرت بوادر الانفتاح بوتيرة أكبر على العالم الخارجي. لكن المغرب عاش بعد سنة 1816 وضعية اقتصادية صعبة تمثلت في سنوات متتابعة من الجفاف وهو الأمر الذي لم يسهل حركة التبادل التجاري مع الأسواق الخارجية. كما أن وباء 1818 - 1820 دفع بالكثير من التجار الأوربيين إلى توقيف نشاطهم بالموانئ المغربية (تماماً كما حدث خلال الوباء الأول، 1799 - 1800). لكن المولى سليمان الذي كان في حاجة إلى المال لمواجهة التمردات الداخلية لم يجد بداً من فتح الموانئ المغربية أمام التجارة الأوربية، فكانت السنوات الأخيرة من حكمه سنوات اتسمت بإرادة قوية لتشجيع التجارة مع العالم الخارجي.

سياسته الدينية وعلاقته مع الزوايا والشرفاء :

ورث المولى سليمان من والده توجهاً نحو إصلاح الدين، لكن اختياره في هذا المجال تم في إطار المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية عكس سيدي محمد الذي عبر عن ميول حنبلية واضحة. وهذا الاختيار المتمشي مع التقاليد الدينية الموروثة تم في انسجام مع العلماء الذين رحبوا بتراجع السلطان الجديد عن التوجه الحنبلي لوالده.

وقد أوضح المولى سليمان في بعض مؤلفاته تشبثه بمبادئ العقيدة الأشعرية سواء في ما يتعلق بمسؤولية الإنسان عن أفعاله، أو فيما يتعلق بمسألة تكفير مرتكب الكبائر. ومن المسائل التي خالف فيها المولى سليمان والده مسألة علم الكلام والخوض في العقائد. فالمولى سليمان لم يجد حرجاً في الكتابة في هذا المجال كما شجع العلماء على تناول قضايا تتعلق بالعقيدة. وعُرف عن المولى سليمان تشجيعه لقراءة ودراسة إحياء علوم الدين للغزالي، وهو أمر لم يكن والده يحبذه إطلاقاً.

ولكن هذا التشبث بالثوابت المالكية والأشعرية لم يمنع المولى سليمان من محاولة إصلاح الدين بالرجوع إلى سنة السلف ومحاربة البدع الشائعة في أوساط العامة على الخصوص. ومن أجل هذا شجع العلماء على التنديد بالعديد من الممارسات الشعبية التي تتنافى مع الدين، كما كتب هو نفسه خطباً موجهة ضد بدعة المواسم واجتماع المتصوفة للغناء والرقص. ومع ذلك فإن المولى سليمان لم يكن معادياً للتصوف بل كان يعارض التصوف كما تمارسه بعض الطرق الشعبية ويحث على تصوف سُني يوجد في متناول الخاصة فقط.

ولقد رأى المولى سليمان في الدعوة الوهابية بعض الجوانب الإيجابية المتمثلة في محاربة البدع ونهي العامة عن بعض الممارسات المتعارضة مع العقيدة السنية، لكنه لم يشارك الوهابيين المنطلقات والأسس التي بنوا عليها مذهبهم كمسألة تكفير مرتكب الكبائر، وإنكارهم لكرامات الأولياء وعدائهم للتصوف والمتصوفة. لكن تعاطفه المحدود مع الوهابيين وإقدامه على محاربة البدع والممارسات الشعبية

كما كانت تتم في إطار "إسلام الزوايا" جعلت العديد من الطرق الصوفية والشرفاء يقفون ضده ويُعلنون عداءهم لتوجهاته الإصلاحية. ولم يكن من باب الصدفة أن نجد في مقدمة من أقدم على خلعه في سنة 1236 / 1820 شيخي الزاويتين الوزانية والدرقاوية وأقطاب العديد من الأسر الشريفة.

توفي بمراكش يوم ثالث عشر ربيع الأول عام 1238 / 28 نونبر 1822.

أبو القاسم الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط، خ. ع قم د ، خ. ع،339؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مخطوط، رقم د 1275 الرباط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، الجزء الثامن.

M. El Mansour, *Morocco in the Reign of Mawlay Sulayman*, Londres, UK, 1990.

محمد المنصور

ابن **سليمان**، أسرة تطوانية ـ فاسية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية وما زالت بإسبانيا أسر مسيحية تحمل هذا الاسم ؛ وقد انقرضت بتطوان.

وهناك أسرة أخرى بتطوان تحمل نفس الاسم أصلها من إحدى قبائل جبالة ويوجد بالمدينة مسجد كان يعرف بجامع ابن سليمان ويعرف اليوم بجامع الحداد يقع بحومة بين الخنادق. وذكر في *إزالة الالتباس* أن أسرة ابن سليمان الفاسية فرقتان : فرقة أصلها من الأندلس من غرناطة أهل علم وجاه وثروة ومعاش وحرفة، إليهم ينتسب الشيخ أحمد ابن العربي ابن سليمان آتي الترجمة. وعقبه هم القاطنون بحي جزاء ابن عامر من عدوة فاس القرويين وعندهم نسخة صحيح *البخاري* المعروفة بالشيخة التي كانت في ملك الشيخ أبي المحاسن الفاسي، انتسخت له من نسخة ابن سعادة ؛ وفرقة ثانية تعرف بأولاد ابن سليمان الطنجي، وهم الساكنون في حومة المعادي أهل مال وفلاحة ومعاش.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 181 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقم 344.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **سليمان، عبد الكريم** بن محمد الفاسي، كاتب ووزير من أبرز وجوه الدولة العزيزية. قال عنه صاحب *فواصل الجمان* : "كاتب رفيع الجناب من بيت رياسة مديد الأطناب، مليح الخط والشارة، ومصيب الفراسة والإشارة، إلى وقار يوده ثبير ورضوى، وتمسك بالتقوى بالسبب الأقوى".

خلّفه والدُه طفلا في كفالة أمه وكانت من الإماء السودانيات. "فنشأ الولد، كما قال صاحب *فواصل الجمان*، على ما يقتضيه وصف يتمه، إلى أن حصل من العلم ما حصل، وتوسل بأدبه فتوصل"، إذ استُكتب من قبل باشا *فاس يومئذ، وهو عبد الله ابن أحمد* من بيت الحجابة الملوكية أباً عن جد منذ المولى سليمان. ثم إنه دخل في زمرة كتاب الحاجب أحمد بن موسى الذي استكتبه في بنيقة وزارة الشؤون الخارجية، فصار على اتصال بنواب الأجناس وبقناصلهم وتجارهم. ولما توفي الحاجب المذكور استقل عبد الكريم ابن سليمان بتلك *الوزارة*. وأوفده السلطان المولى عبد العزيز في سفارة كبرى إلى الديار الفرنسية ثم الديار الروسية في صيف سنة 1901. وقد استطاعت السلطات الفرنسية أن تقنعه بوجهات نظرها، وأن لا أحد من باقي الأقطاب يمكن أن يتقدم على فرنسا في مساعدة المغرب على الإصلاح. وكان من نتائج سفارته إلى باريز أن تم التوقيع على اتفاقية الحدود بين الدولتين (يوليوز 1901) التي أطلقت يد الفرنسيين ليتدخلوا في شؤون المغرب من الجهة الشرقية، فضلا عما انتزع بمقتضاها من الأقاليم الصحراوية في الجنوب الشرقي انطلاقا من وادي زوزفانة إلى واحات توات وتيديكلت. واشتدت الوطأة الفرنسية باتفاقية إضافية وقعها عن المغرب مساعد المترجم له وصهره محمد الجباص في السنة التالية (ماي 1902). ومعلوم ما كان لهاتين الاتفاقيتين من الوقع السيئ على عموم المغاربة الذين اعتبروا ذلك بمثابة خيانة وصفقة فاضحة بيعت أجزاء من التراب المغربي بمقتضاها للفرنسيين. وكان عبد الكريم ابن سليمان ممن يحث المولى عبد العزيز على دخول باب الإصلاح دون تردد. وهو الذي أشار عليه بإصلاح نظام الجباية، فنصح على حد قول صاحب *فواصل الجمان*" بترتيب الجباية على نهج سوي ونمط أوربوي، واستحلاف الموظفين على المصحف الكريم على أن لا يقبضوا رشوة من مدع ولا من غريم لينقطع تظلم الرعية من عمالها وتثق بالأمن على أموالها".

مما يفيد أن عبد الكريم ابن سليمان وجد نفسه من حيث كان يدري أو لا يدري في قلب العاصفة الهوجاء التي صارت تعصف يومئذ بسيادة الدولة المغربية، وهو يحاول أن يوفق بين حاجة البلاد إلى الإصلاح مع عجزها عن القيام به بوسائلها الذاتية، وضرورة الاستعانة بالأجانب الذين كان الإصلاح في يدهم وسيلة من وسائل الاستعمار. وقد راوغ ما استطاع أن يراوغ، يشهد له بالذكاء، وعلوّ الكعب في الممارسات الديبلوماسية كل من اتصل به من القناصل الأوربيين، وبخاصة منهم الفرنسيون، مثل سان ريني طاياندييه Saint-René Taillandier وسانطولير Saint-Aulaire الذي تقلب على عدة بعثات ديبلوماسية فرنسية في أمريكا وأوربا واتصل بكبار الديبلوماسيين، ويقول في *مذكراته* بأنه لم يتعرف في مساره الطويل على من كان يفوق أو يضاهي ما كان عليه عبد الكريم ابن سليمان من الفطنة والدهاء والقدرة على الدفاع عن مصالح دولته بمنتهى اللباقة في منتهى الحزم. مما زاد رتبته علواً لدى المولى عبد العزيز الذي أسند إليه الصدارة العظمى غداة مؤتمر الجزيرة الخضراء، بعد إبعاد الفقيه فضول غريط عنها. ولكنه

لم يستمرئ المنصب إلا لوقت وجيز، ذلك بأن الثورة عمت البلاد، وقام المولى عبد الحفيظ على أخيه في مراكش. والتقى الحزبان بإقليم السراغنة في معركة دارت دائرتها على المولى عبد العزيز. ونجا عبد الكريم ابن سليمان من الواقعة بمعجزة، وعاد مسلوبا إلى الرباط، ومنها تعلق بأصدقائه الفرنسيين الذين نقلوه إلى فرنسا حيث مكث بضعة أشهر، إلى أن استتبت الأمور للمولى عبد الحفيظ، فعاد المترجم له إلى فاس، ونزل منزله الفاخر الذي كان قد شيده قريبا بعقبة الفيران. وطمحت نفسه إلى خدمة السلطان القائم. لكنه لم يلق منه إلا النفور والصدود. فاهتم لذلك واشتد همه بما نزل به من المرض الذي سرعان ما قضى عليه.

مات منبوذاً مهجوراً يوم 15 من ذي القعدة عام 1326 / 9 دجنبر 1908 وكان من علامة سخط الراعي والرعية عليه أن نُبش قبره في روضتهم بالقباب. بعد وفاته بأيام، وقطع رأسه وأحرق شلوه. فهل فعل ذلك بعض السفهاء ممن أصر على التشفي فيه ولو بعد موته، أم فعله من جاء بأمر السلطان المولى عبد الحفيظ الذي سبق منه يمين بقطع رأسه، على ما قال الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور نقلا عن الحاجب محمد حسن ابن يعيش ؟ وفي رواية ثالثة سمعتها من السيد يحيى بن الفاطمي ابن سليمان أن مدبر تلك الفعلة الشنعاء هو عبد الحي الكتاني الذي كان المولى عبد الحفيظ قد نفذ له دار عبد الكريم ابن سليمان الفاخرة، ثم تراجع عن التنفيذ، فأبى عبد الحي الكتاني إلاَّ أن ينتقم ولو من شلو الوزير الراحل. وكان من مصير تلك الدار أن اشتراها الملك سيدي محمد بن يوسف من الورثة في الثلاثينيات من القرن العشرين وأقام بها مدرسة.

وخلاصة القول أن عبدالكريم ابن سليمان كان من رجالات الدولة العزيزية، وكان لابد أن يجسد ما اعتراها من الإحباط وهي تتصدى للزحف الاستعماري.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، الطبعة الحجرية الفاسية ؛ م. غريط، *فواصل الجمان*، فاس، المطبعة الجديدة، 1348 / 1930 ؛ ع ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، الجزء 8 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996.

Georges Saint-René Taillandier, *Les origines du Maroc français, Récit d'une mission*, Paris, 1930 ; C. Saint-Aulaire, *Confession d'un vieux diplomate*, Paris, 1953.

إبراهيم بوطالب

ابن **سليمان، الغالي** بن المكي بن أحمد الغرناطي الفاسي، مؤرخ وأديب وكاتب وموسيقي، ينحدر من أصول أندلسية. كان أبوه محتسبا أما جده فكان فرضيا. لقي عدداً من الشيوخ بمدينتي فاس ومراكش أخذ عنهم الفقه والأصول والتصوف والمنطق والتوثيق والعروض وغيرها من المعارف، من أبرزهم محمد بن المدني گنون، المهدي بن الحاج، وجعفر الكتاني، وعبد الواحد ابن المواز والقاضي أحمد بن سودة.

كان ابن سليمان من الموظفين في الشؤون الخارجية ثم الداخلية في عهد السلطان مولاي الحسن، اتهم باختلاس مال للدولة فأرسل إلى مراكش، وحبس وضيق عليه فأدى ما اتهم باختلاسه (*الزركلي*، *الإعلام*، 6 : 324).

ترك ابن سليمان عدداً من التآليف المنظومة والمنثورة في معارف متنوعة : تاريخ، تراجم، لغة، مساجلات أدبية، أمثال وغيرها. فقد وضع في التاريخ "أرجوزة في دول المغرب". عرَّف فيها بإيجاز بدول المغرب الأقصى إلى بداية عهد السلطان مولاي عبد العزيز وقد اعتمد على "المعتمد المعين" لابن زاكور في خمس دول من الأدارسة إلى المرينيين، وهي الأرجوزة التي شرحها عبد القادر بناني المراكشي ضمن كتابه "تلخيص ما عليه المعول في أخبار من بالمغرب من الدول"، كما وضع في المجال ذاته قصيدة من البحر الطويل في تاريخ الدولة العلوية تتكون من 100 بيت، فرغ منها سنة 1310 / 1892، هي التي قام بشرحها المؤرخ القاضي محمد المشرفي في كتابه "الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية". كما نظم في رحلة السلطان مولاي الحسن إلى تافيلالت سنة 1311 / 1893، مقدما تفاصيل دقيقة عنها لأنه كان مصاحبا للركب السلطاني.

ومن مؤلفاته، *التحفة العرائشية على الصلاة المشيشية* ألفه لما كان في العرائش، وترك في مجال المناقب *بدائع الاقتباس في مناقب أبي العباس*، أي أبي العباس السبتي دفين مراكش، *وبادرة الاستعجال في مناقب السبعة رجال* وضعه زمن رحلته بمعية السلطان مولاي الحسن إلى مراكش سنة 1294 / 1877، وله *الجواهر الحسان في نغم الألحان*، عالج فيه الموسيقى الأندلسية، وله كذلك تأليف في الأمثال المغربية، *وأرجوزة في ذكر أشياخه* وما أخذ عنهم من علوم في حوالي مائة بيت، و*ديوان* شعر في مجلد رتبه على حروف المعجم. ونظم *اللئال في اللغة*، وألف *السيف المشرفي بقطع لسان المشرفي*، وهو في الرد على المؤرخ العربي المشرفي الذي ذمَّ أهل فاس في تقييد صغير.

ومن حواشيه وشروحه حاشية *على المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل* لمحمد الإفراني، وشرح *قصيدة ابن الفارض* زدني بفرط الحب فيك تحيرا، *ونزهة الأبصار في شرح قصيدة الأنصار*، وله *منادمة الأقيال في معنى طيف الخيال ولوامع الغرر في جمع الطرر*. كما شرع في شرح قصيدة المالقي المسماة بأنجم السياسة، غير أنه لم يكمله.

توفي ابن سليمان بمراكش يوم الأحد 13 شعبان 1317 / 17 ديسمبر 1899، ودفن بضريح أبي إسحاق ابن الحاج بمراكش.

ع. القادر بناني، *تلخيص ما عليه المعول في أخبار من بالمغرب من الدول*، مخطوط، خ. ح رقم 12385 ؛ م. المشرفي، *الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية*، مخطوط، خ. ع رقم د 1463 ؛ ع. الرحمان

ابن زيدان، *إتحاف*، ط 2، الرباط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الأعلام*، ط. 2، الرباط، ج 10 ؛ خير الدين الزركلي، *الأعلام*، ط 7، ج 6 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، الدارالبيضاء، 1960، ج 1 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2 .

أحمد المكاوي

ابن **سليمان، الفاطمي** بن محمد ابن أخ وزير السلطان المولى عبد العزيز والصدر الأعظم لديه، سابق الذكر، ولد في فاس يوم 9 شتنبر 1898، ونشأ في أحضان والده الذي كان من أمناء الدولة واشتغل في مراكش في عهد المولى عبد العزيز، ثم في طنجة في عهد المولى عبد الحفيظ. وفي طنجة التحق الفاطمي ابن سليمان بالثانوية الفرنسية المحدثة قريبا (والتي مازالت قائمة إلى يومنا تحت اسم أوجين رينيو السفير الفرنسي الموقع على عقد الحماية)، فكان من الأفواج الأولى ممن دخلها من الشباب المغربي لتعلم اللسان الفرنسي. ثم إنه عاد إلى فاس ليلتحق بثانوية المولى إدريس. لكنه ما لبث أن فضل الانخراط في جامعة القرويين، تمسكا بثقافته العربية الإسلامية ورغبة في الحصول على الشواهد الأصلية. ولما تخرج من القرويين، اشتغل عدلا بأمانة الجمارك بميناء الجديدة، سيراً على نهج والده ونهج أصهاره من آل الكباص. وقضى في تلك المهمة بضع سنوات، إلى أن اقتضى نظر السلطان سيدي محمد بن يوسف تعيينه خليفة باشا مكناس، وذلك على إثر أحداث وادي بوفكران في خريف سنة 1937.

وأصبح المترجم له منذ ذلك الحين من خدام المخزن المحمدي المرموقين. ففي سنة 1944 أسند السلطان سيدي محمد بن يوسف إليه مهمة المندوب لدى الصدر الأعظم في التعليم، نيابة عن أحمد بركاش الذي أبت سلطات الحماية إلا أن يعزل نظراً لمواقفه الوطنية في أحداث المطالبة بالاستقلال في يناير من تلك السنة. ثم اشتغل الفاطمي ابن سليمان بعد ذلك رئيسا للمحكمة العليا الشريفة التي لم يقض فيها إلا أشهراً معدودة، إذ أسندت إليه في شهر غشت 1945 باشوية فاس خلفا للباشا محمد التازي. وجرى حفل التنصيب بقراءة ظهير التعيين أمام الملأ في القرويين. ثم جاء المقيم العام الفرنسي، وهو يومئذ كابرييل بييّو Gabriel Puaux، ليدلي بدلوه في التعريف بالباشا الجديد وكأنه يود التكفير عما أنزل من العقاب بالمدينة في أحداث السنة السابقة. وامتدت إدارة الفاطمي ابن سليمان لباشوية فاس ثماني سنوات، مسك خلالها بزمام الأمور بحزم خال من كل شدة ولين لا يشوبه الوهن، مع إخلاص تام لدينه ووطنه وملكه. ويوم صارت سلطات الحماية تحوك خيوط المؤامرة لعزل السلطان سيدي محمد عن عرشه، تصدى الفاطمي ابن سليمان رفقة باشا صفرو مبارك البكاي وباشا مكناس أحمد الجنان وباشا الرباط العباس التازي وباشا سلا محمد الصبيحي لتلك المناورة، منددين بمدبريها من المغاربة ومسفهين مقاصدهم. ولما نفذت المؤامرة وعزل السلطان الشرعي في غشت 1953 ونفي إلى جزيرة كورسيكا ثم إلى جزيرة مدغشقر، بادرت السلطات الاستعمارية إلى عزل أقرب خدامه إليه، ومن جملتهم الفاطمي ابن سليمان الذي كان يومئذ كعادته منذ عدة سنوات في مكة المكرمة على رأس وفد الحجاج المغاربة إلى بيت الله الحرام. ولكن سرعان ما تبين للدولة الحامية أنها وقعت فيما لا تحمد عقباه، إذ انتفض الشعب المغربي انتفاضة من لم يعد يطيق صبراً على الضيم والغطرسة. وتبين أن أمثال الفاطمي ابن سليمان ممن لا يمكن الاستغناء عنهم لتجديد الصلة بالسلطان المنفي، وخاصة في صيف 1955 عندما اقتنعت الحكومة الفرنسية بضرورة الاستماع إلى ممثلي الرأي المغربي. ودارت تلك المباحثات غير الرسمية في مدينة إيكس ليبان Aix-Les Bains في فرنسا، وكان الفاطمي ابن سليمان من جملة من بدا من الضروري استطلاع وجهة نظرهم في النزاع الخانق بين فرنسا والمغرب. وتقرر أن يبعد السلطان محمد بن عرفة المفروض قهرا، وأن يحلّ محله مجلس وصاية على العرش، على أن يعيّن ذلك المجلس حكومة انتقالية تفتح باب التفاوض الرسمي مع الحكومة الفرنسية لجعل حد لعهد الحجر والحماية. ووقع الإجماع بين المسؤولين الفرنسيين وبين قادة الحركة الوطنية على اختلاف مشاربهم على أن تسند رئاسة تلك الحكومة إلى الفاطمي ابن سليمان الذي كان من أول من سافر إلى مدغشقر لملاقاة السلطان الشرعي سيدي محمد بن يوسف والأخذ بآرائه وتعليماته. وتم تعيينه لرئاسة الحكومة في منتصف أكتوبر 1955، دون أن يسفر الأمر عن تشكيل الهيأة الوزارية، بفضل ما كان من تطور الأحداث بسرعة جعلت السلطان سيدي محمد يعود منصوراً نصراً مجدداً إلى فرنسا في طليعة شهر نونبر، ثم إلى المغرب وإلى عرشه في منتصف الشهر نفسه، ذلك أن الحكومة الفرنسية كفت عن التلكؤ فاعترفت بحق المغرب في استرجاع سيادته كاملة وبتحرره من التبعية الاستعمارية. وتشكلت حكومة من أعضاء الأحزاب الوطنية التي كان من قراراتها الأولى أن قسمت البلاد إلى مجموعة من العمالات المقامة حول الحواضر الكبرى. وكان من شبه الطبيعي أن تسند عمالة فاس إلى الفاطمي ابن سليمان. فهو الذي وضع اللبنات الأساسية فيها في أقل من سنة ليلتحق بعد ذلك بسلك

الديبلوماسية المغربية الناشئة، ويعمل سفيراً للمغرب في بغداد ثم في عمان ثم في بيروت ثم في الكويت ثم في جدة التي انتهى به فيها المطاف الإداري.

وكان الفاطمي ابن سليمان من ذلك الجيل المعدود الأفراد الذين كتب لهم أن يفتحوا أعينهم على المغرب المستقل القديم وأن يواكبوا فترة الحماية الأجنبية برمتها فيقفوا عن كثب بل ويشاركوا في كل ما طرأ على الوطن من أسباب التغيير بعد أن أدركوا باكراً أن لا مناص من الإمساك بها. وكان من رضى الله على هذا الجيل أن امتد بهم العمر حتى شاركوا في معارك الاستقلال وفي بناء صرح الجهاز الحكومي المغربي الحديث. وكان من حظهم أن قاموا في تاريخ المغرب في القرن العشرين بصلة الوصل بين الأصالة والحداثة، وبين السلف الصالح والأجيال التواقة إلى التفتح على المستقبل. وأمثال هؤلاء هم رموز الاستمرار والمحافظة ودعاة الانعتاق من التزمت للنهل من العلوم العصرية بأوفر نصيب، في ظل ما أصاب المغرب من مصائب الاستعمار. وكما كان الفاطمي ابن سليمان من أول من ولج الثانويات الفرنسية، فإنه كان في الثلاثينيات من أول من أدخل بناته أسلاك ذلك النوع من التعليم في مدينة الرباط، ساهراً في الوقت نفسه على أن لا يتغافل فلذات كبده عن ثقافتهم الأصلية، وواعيا بما للمرأة من خطورة الشأن في بناء المجتمع الجديد. وقضى السنوات الأخيرة من عمره مهاجراً في الديار المقدسة. وكان قد أوصى بأن يدفن هناك، أو إذا أدركه الموت في دار من ديار الإسلام فليكن فيها مثواه الأخير.

ولما لبى داعي ربه يوم 4 ربيع الثاني عام 1401 / 9 فبراير 1981 في الرباط دفن في مقبرة الشهداء، حيث رثاه عبد الرحمان الفاسي بكلمة وقعت من الجميع بأحسن موقع. كما خصه السيد أحمد العلوي في صحيفة "لو ماتان" بافتتاحية ذكَرت بما أسدى الفقيد لوطنه ولملكه من صادق الخدمة وبما كان عليه من حميد الخصال.

استجواب الأستاذ يحيى بن الفاطمي ابن سليمان في جلستين، الجمعة 14 دجنبر 2001 و*Le Courrier du Maroc*، عدد 4969، 26 شتنبر 1945 ؛ عدد 4971، 28 شتنبر 1945 ؛ عدد 4977، 5 أكتوبر 1945 ؛ Le *Matin* ، عدد 3381، 11 فبراير 1981 ؛ عدد 3382، 12 فبراير 1981 ؛ عدد 3383، 13 فبراير 1981.

G. Grandval, *Ma mission au Maroc*, Paris, 1956 ; G. Spillman, *Du protectorat à l'indépendance, Maroc, 1912 - 1956*, Paris, 1967 ; C-A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes, 1415-1956*, Paris, 1978.

إبراهيم بوطالب

ابن **سليمان، محمد** بن **إدريس** (الحاج -) الفاسي من ألمع شيوخ الملحون في القرن الثالث عشر (19 م) نشأ في أسرة كان ربها مولعا بالطرب الملحون يحيي لياليه في بيته على عادة كثير من الأسر الفاسية المترفة يومئذ ومن حوله شيوخ الملحون من مدينة فاس أو ممن كانوا ينزلون بها.

وفي هذا الجو الفني ترعرع الفتى وشب على تذوق الشعر الملحون، وما فتئ أن برع في نظمه حتى أصبح ينافس خيرة الأشياخ من معاصريه ويحظى منهم بالتقدير والأعجاب.

وتتفق الروايات على أن ابن سليمان تتلمذ عل شيخ الملحون حامل لقب "المعلم" محمد بن علي العمراني الشهير بولد رْزينْ والمتوفى حوالي عام 1240. وربما كان مبدأ هذه التلمذة في بيت والده الحاج إدريس يوم كان الفتى ما يزال في مقتبل الشباب.

وقد تطورت العلاقة بين ابن علي وابن سليمان، ثم تحولت فيما بعد إلى تنافس شديد أفضى بهما إلى الدخول في معارك هجائية أفرزت قصائد رائعة في هذا الغرض تحفل بمساجلات فنية بليغة. فمما نظمه ابن سليمان في هجاء أستاذه ابن علي قصيدة "ليل الزهو" التي منها :

رجلي عْلى اقفات الظالم   من لا يكون فارس ناجم
رانى على لْحروب ملازم

وقصيدة "القرصان" التي تقول حربتها :

هكذا قول للدعي ايدير قرصان ويخرج
كيف من سافر بين امْواجو
واغنم وانجا

ومع حدة هجاء ابن سليمان لشيخه ابن علي لم ينكر فضله عليه.

ويحكى عن ابن سليمان أنه كان في أول شبابه ولوعا بالحياة الماجنة، وقد دفعه إلى ذلك سعة من المال ورثه عن أبيه بعد وفاته، فانطلق يترع من متع الحياة حتى اعتل قلبه وأصابه الوهن، فلزم فراش المرض وعاجلته المنية وهو في ريعان الشاب لم يتجاوز من العمر ثلاثا وثلاثين سنة، وذلك حوالي سنة 1248 / 1832.

وتعتبر السنوات الأخيرة من عمره أخصب الفترات انتاجا، ففيها نظم - وهو تحت وطأة المرض وضنك الألم - أروع قصائده وأبلغها وأصدقها معاناة. ومنها قصيدة "الوردة" التي جاء في دخولها قوله :

آه من رشگات انبال الأقواس   والحاجب صردي
عند رامي دگت انشـــابي   جاتْ مْجبدة

والتي تقول حربتها :

لا تْلوموني في ذا الحـال   جيتْ نشهدْ ونودّي
أعْذُرلي في الموت اسبابي   خالْ فْـي وردة

ومنها أيضاً قصيدة "الطبيب"، وهي صرخة حرى في أعماق النفس، وكأنما كان ابن سليمان يحس بدنو أجله، وهو يعاني سكرات الموت ولا يملك من نفسه القدرة على مغالبة المرض كما لا يملك من حطام الدنيا ما يدفع به غلواء الداء وغلاء الدواء يقول في حربة هذه القصيدة :

الطبيبْ عْرفْ دايا والعلاج سومو غالي
عالجوني ياناسي لا نْموتْ موت الغفلة

وله قصائد أخرى كثيرة في مختلف أغراض الشعر الملحون، منها : الزين الفاسي - الوصاية - الرعد - الربيعية - الغزيل - الطير - الحمام - حجوبة - الحجام - الباقي.

توفي أوائل القرن الرابع عشر (20 م).

ع. الجراري، *القصيدة*، ص. 404 . 406 . 625 . 627 ؛ م. الفاسي، *معلمة الملحون*، القسم الأول من الجزء الأول.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **سليمان، محمد التطواني**، الفقيه الكاتب الأديب اللغوي الشاعر المطبوع ولد بتطاون أواخر القرن الحادي عشر الهجري (17 م)، ودرس بها على الشيخ علي بركة وطبقته. وانتقل إلى فاس وقرأ بها، واتصل بآل القائد علي بن عبد الله الريفي، وعاش في عهد هذا وابنه الباشا أحمد وفي كنفه. وعمل لهم وسما قدره بينهم. ويظهر أنه كان موسّعا عليه في الدنيا، لأن بتطاون زُقاقا بحي الصياغين (بين الفنادق) كان يحمل اسمه، (درب ابن سليمان) وبمنتهاه مسجد صغير يسمى (جامع ابن سليمان) كما أن ترجمته الحافلة التي خصصها له صديقه الحميم الأديب الشاعر محمد بن الطيب العلمي في كتابه العُجاب *الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب* تتضمن معلومات وإشارات إلى ما كان يقدمه المترجم له إلى العلمي من مساعدات ورفد، حتى إنه ألف كتابه باسمه ونزولا على رغبته، فقال في صفحة 336 إنه هو الذي كان السبب فيه وهو الذي أشار علي بتأليفه وتلافيه، ووعدني بالصلة إن رآه وتَلاً فيه، فوجبت علي مساعدتُه الجائزة، وقلت : عليَّ التأليف وعليك الجائزة.

قال محمد داود بعد هذا في *تاريخه* : يرحم الله الأديب ابن الطيب، لولاه ما عرفنا شيئا عن الأديب ابن سليمان ولقد بحثت عن مصدر آخر أعرف منه شيئا عن ابن سليمان هذا فلم أعثر عليه، ومن يدري فكم من جواهر كانت تسطع، وسيوف كانت تقطع، فانمحى أثرها، واندثر ذكرها، وصارت نسيا منسيا، ولله الأمر من قبل ومن بعدُ. ثم انحى الأستاذ داود باللائمة على أثريائنا، وذوي الجدة من أغنيائنا. ولفت نظرهم إلى المترجم له وكيف خُلد ذكره، ودونت مناقبه وآثاره، بسبب إحسانه إلى عالم حتى ألف باسمه كتابا سار مسير الشمس. أودعه من أخباره ورسائله وأشعاره المرقص المطرب بينما يموت ذكر الأغنياء بموتهم، وإن ذكروا لمأثرة فإلى حين.

وقد أورد ابن الطيب من قصائد المترجم له ومساجلاته وألغازه، ونثره الفني الجميل ما يذكرك بالفتح ابن خاقان في قلائده ومطمحه، وابن الخطيب وابن زمرك وهذه الكوكبة، كما أشار إلى تمكنه من اللغة والبيان واقتداره على التصرف في فنون الشعر والنثر، نذكر شعراً اهملت كلماته من النقط وآخر أعجمت كلماته إلى رسائل وطرائف ونوادر، وفقر وحكم مختارة سارت مسير الأمثال، منها مما لازال دائراً على الألسنة : إذا حصلت الألفة، سقطت الكلفة.

وكان المترجم له صَناع اليد، مولعا بصنعة التسطير والتشجير. بلغ فيهما الغاية وهما من صنائع زخرفة الخشب، وله في التفضيل بينهما شعر.

ولعل ابن سليمان هذا من عائلة ابن سليمان التي مازال بعض أفرادها بتطاون على أن الرهوني ذكر أن أصله من القصر الكبير، ولم يذكر مستنده. أما تاريخ وفاته ومكانها فلم يعرفا، ولعله لم يتأخر عن العقد الخامس من القرن الثاني عشر الهجري والله أعلم.

م. العلمي، *الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب*، طبع حجر بفاس، ص. 204 ؛ أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، طبع تطوان، 3 : 42.

محمد بوخبزة

ابن **سليمان، محمد اللمطي** من رؤساء أهل فاس خلال مرحلة الاضطرابات التي تلت وفاة أحمد المنصور. تزعم إحدى الثورات وحاول أن يثأر لمقتل والده الذي سبق أن قام بفاس فتوعد معارضيه بالانتقام ومن بينهم الشيخ عبد الرحمن الفاسي (العارف) الذي هدد بهدم زاويته بالقلقليين، غير أن انتفاضته انتهت بمقتله بطريقة شنيعة في مواجهة مع أهل فاس سنة 1029 / 1620.

م. ابن عيشون، *الروض العطر*، 156 ؛ م. القادري، نشر، ج 1، 232.

نفيسة الذهبي

السُّليْماني، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا - Çuleyma Çuleymen.

وتوجد بتطوان أسرة أخرى تحمل نفس الاسم ولكنها تعرف بأسرة "الغنمية" وهم شرفاء حسنيون يوجدون أيضاً بفاس هاجرت إليها من معسكر الجزائر، ينتسبون إلى سليمان بن عبد الله أخي إدريس الأكبر.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1396.

محمد ابن عزوز حكيم

السليماني، عبد المالك بن محمد الغريسي الحسني. ولد بفاس في 14 ربيع الثاني عام 1332 / 12 مارس 1914، وبعد وفاة والده في نفس السنة انتقل مع أخيه الأكبر إلى الرباط فدرس في مدرسة أبناء الأعيان وأتم دراسته بثانوية

مولاي يوسف، ثم حصل على الإجازة في الآداب، قبل أن يشتغل بالتعليم، فتفتيش المعلمين وإرشادهم. وأصدر سنة 1366 / 1947 بالرباط مع زميليه المفتشين محيي الدين المشرفي والعربي المسعودي كتاب *نصائح وإرشادات في التربية والتعليم لمدرسي اللغة العربية*. فكان فتحاً جديداً للمدرسين باللغة العربية في المدارس العصرية، بما قدّم لهم من مبادئ بيداغوجية حديثة نظرية وتطبيقية. ولشدة الإقبال على هذا الكتاب أعيد طبعه بالمطبعة الدولية بطنجة سنة 1371 / 1952.

كان عبد المالك السليماني كما وصفه مؤلف *معجم المطبوعات المغربية* : هيناً ليناً كريم الأخلاق، طيب الأعراق، من الذين يعملون بجد واجتهاد وإخلاص مع هدوء وسكون وتواضع وحياء ولطف. اختير مدة لإلقاء دروس في الترجمة بمعهد الدراسات المغربية العليا بالرباط، ثم أسند إليه في آخر عهد الحماية منصب مندوب الصدر الأعظم في المعارف. وأنهى مسيرته المهنية مشرفاً على المصالح التربوية في وزارة التعليم.

توفي بالرباط في 21 حجة عام 1397 / 3 دجنبر 1977.

ع. المالك السليماني نفسه، *نصائح وإرشادات*، الرباط، 1947 ؛ إ. الإدريسي، معجم *المطبوعات المغربية*، سلا، 1988.

محمد حجي

السليماني، محمد بن **عبد القادر** المدعو ابن الأعرج الشريف الحسني الغريسي، فقيه محدث. وفد على فاس واستوطنها ضمن كوكبة من الأسر التلمسانية وغيرها التي هاجرت من المغرب الأوسط إلى فاس وعدد من المدن المغربية منذ بداية الغزو الفرنسي.

وهو سليل أسرة مجاهدة، استشهد جده خلال حصار مدينة وهران التي كانت محتلة من قبل الإسبان، كما استشهد عدد من أقربائه في المواجهات مع قوات الاحتلال الفرنسي، وكان الأمير عبد القادر الجزائري يخاطبه بقوله "الأخ في الله، محمد بن عبد القادر ابن المجاهدين"، وظلت العلاقات وطيدة بينهما وتبادلا الخطابات حول قضايا عامة وعائلية.

كان محمد بن عبد القادر أول من لُقب من هذه الأسرة بابن الأعرج"، وذلك لأنه تربى في حضانة خاله الأعرج لموت الجد وجميع القرابة في الدفاع عن الوطن". (*اللسان المعرب*، 34)، وتدل تقاريظ كتاب نجله المؤرخ محمد السليماني *اللسان المعرب* على أن محمد بن عبد القادر عاش طويلا، وتحلّيه بالفقيه المسن الصالح.

توفي سنة 1332 / 1913.

ع. الحفيظ الفاسي، معجم *الشيوخ*، الرباط، 1931، ص. 68 - 69، 1931، ج. 1 ؛ م. السليماني، *اللسان المعرب*، الرباط، 1971.

E. Michaux-Bellaire, *Les musulmans d'Algérie au Maroc*, *A.M.*, T. 2, 1907.

السليماني، محمد بن **مَحمد** بن عبد القادر الغريسي المعسكري الحسني، المعروف - كأبيه - بابن الأعرج، مؤرخ كاتب شاعر من أصل جزائري، يتصل نسبه حسبما ورد في "عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس" بسليمان بن عبد الله الكامل، الذي تملك أبناؤه المغرب الأوسط أيام أخيه إدريس الأكبر.

ولد السليماني بمدينة فاس في 10 ذي القعدة 1285 / 22 فبراير عام 1869. عنى به والده محمد بن عبد القادر، الذي كان فقيها ومحدثا، فقرأ عليه الفقه والتوحيد والعربية، وقرأ القرآن بمدرسة درب السعود بحومة الجزيرة بعدوة الأندلس، على شيخه أحمد بن محمد الفشتالي. وبعد أن حفظ *الأمهات* ومختصر *خليل* كالعادة، ولج جامعة القرويين سنة 1305 / 1887، ومن جملة المصنفات التي درسها صحيح *البخاري* و*الموطأ* ومختصر *خليل* وكان من أبرز شيوخه في القرويين التهامي بن المدني گنون، وعبد الله بن التهامي الوزاني، وأحمد ابن الجيلالي الأمغاري.

اضطر محمد السليماني أن يبتعد عن التحصيل العلمي، فاتجه إلى التجارة، ونزح عن فاس إلى تلمسان، حيث كان يقيم عدد من التجار الفاسيين، فاتخذها مقراً له، مقتصراً على زيارة فاس بين الفينة والأخرى. لكن تجارته كانت متواضعة، وقد زاوج بينها وبين المطالعة والكتابة، إذ كان شغوفا بالاطلاع على الصحافة الدولية ولاسيما التي لها نزعة تحررية. وأسس في تلمسان ناديا لتبادل الآراء والأفكار، عرف لاحقا بنادي الشبيبة الجزائرية. وقد أمّ هذا النادي الأعيان والقضاة والمثقفون لمناقشة قضايا تاريخية واجتماعية.

عاد السليماني إلى فاس وقت اشتداد الضغط الفرنسي على المغرب، وكان من المناوئين للسياسة الفرنسية إزاء المغرب، فكتب ونظم مثيراً الحماس لمجابهة هذه السياسة، من ذلك قصيدته البائية، التي نظمها وهو في وجدة سنة 1329 / 1911. لما حوصرت فاس، استنهض فيها الهمم لمقاومة المدْيَن الفرنسي والإسباني (*اللسان المعرب*، 151 - 153).

كان للسليماني تعاطف مع قضايا العالم الإسلامي، من ذلك نشوته بانتصار الأتراك على اليونانيين في موقعة إزمير، فنظم بهذه المناسبة قصيدة دالية عنونها بـ "تركيا الجديدة". وارتبط السليماني بالكتابة في بعض الصحف، مثل "السعادة"، التي نشرت له عدة مقالات في قضايا مختلفة، كما نشرت له بعض الصحف التونسية قصائد منها قصيدة عن الحرب العالمية الأولى.

وبسبب النشاط الوطني للسليماني تعرض للمضايقة من قبل سلطات الحماية الفرنسية، وكان من أبرز إسهاماته في العمل الوطني، مشاركته الفعالة في إنشاء مدرسة حرة في حومة رأس الجنان بفاس سنة 1340 / 1921. ووضع دليلا لأساتذة هذه المدرسة، شمل كذلك توجيهات وإرشادات ونماذج من الدروس في القراءة والكتابة والتربية الخلقية والعلوم

العصرية وغيرها. ويذكر أن السليماني تحمس لإصلاح التعليم خاصة إدخال النظام إلى القرويين. وقد نوّه بما عزم عليه معاصره محمد الحجوي حينما شرع في ذلك سنة 1333/ 1914، فنظم قصيدة شعرية أشاد فيها بما أقدم عليه الحجوي، وحينما فشل المشروع بعث إليه بقصيدة أخرى تأسف فيها على مآل إصلاح نظام التعليم في القرويين (*الفكر السامي*، 198 - 199).

ازدادت مضايقة سلطات الاحتلال الفرنسي للسليماني إبان الحرب الريفية، التي حرص على تتبع مجرياتها بتعطش وانفعال شديدين، فكان يتأثر بالأخبار التي تفيد حصول الوهن أو التصدع في صفوف المجاهدين.

خلف السليماني عدة تآليف، أكثرها تداولا *اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب*، وهو في التاريخ، تطرق فيه إلى أحوال الأندلس والمغرب الأوسط، وتتبع تدخل الأوربيين في شؤون المغرب، وأورد فيه ما عاينه من وقائع قبيل فرض الحماية الفرنسية مثل تمرد الجيلالي الزرهوني "بوحمارة" وبيعة مولاي عبد الحفيظ وحصار مدينة فاس. ومثّل هذا الكتاب، حسب مؤلفه، عملا توجيهيا، إذ اعتبر نفسه مرشدا للناشئة المغربية يقدم لها إطاراً للعمل من أجل النهوض، فنصح بالتعليم لتحقيق هذه المهمة، وعرض في هذا الكتاب تصوراً متكاملا عن المعارف العصرية التي يجب اكتسابها، حاثا على إجبارية التعليم، مفصلا في ترتيب المدارس وبرامج القراءة والفنون، بما لم يسبق له أي مؤلف مغربي آخر.

وحض في إطار دعوته إلى الإصلاح الاقتصادي على الاستغناء عن الأجانب في الحاجات الضرورية واستهلاك المنتجات المغربية مميزا بين التجارة السلبية والتجارة المربحة، مقدما مجموعة اقتراحات بشأن إزالة الخلل في الميدان الاقتصادي. وناقش في هذا الكتاب مفهومي الحرية والمدنية والشُّبَه الناشئة عن الفلسفة الحديثة.

ومن مؤلفاته المخطوطة "*زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ*"، في أربعة مجلدات، و"*تسهيل المطالب لبغية الطالب*"، وهو شرح لمنظومة الإمام الغبريني، المسماة "*بغية الطالب في ذكر الكواكب*"، ويضم تراجم عدة أعيان من أشراف وعلماء وأعيان غريس في القرن العاشر (16 م)، وخلف محاضرات في التاريخ وعلم الاجتماع كان يلقيها في نادي الطلبة بفاس. وديوان شعر، نشرت منه بعض القصائد في عدد من الكتب.

توفي بفاس يوم الأحد ثالث وعشري حجة عام 1344 / 4 يوليوز 1926، ودفن بفدان الغرباء قرب قبة الشيخ علي ابن حرزهم خارج باب فتوح.

م. السليماني، *اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب*، ط 1، الرباط، 1971 ؛ *زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ*، 4 أجزاء ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، ط. 2، المدينة المنورة، 1397 / 1977، جزآن ؛ ع. الله الجراري، *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين*، جزآن، الرباط، 1406 / 1985 ؛ خير الدين الزركلي، *الأعلام*، ج 7، بيروت، 1986 ؛ مصطفى بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 4، 1989 ؛ أ. المكاوي، *مسألة الإصلاح عند المفكرين المغاربة في النصف الثاني من القرن 19 من خلال بعض النماذج*، د. د. ع، كلية الآداب، فاس، 1988.

أحمد المكاوي

السليمانيون، طائفة بدعيّة ذكرها الفقيه الحافظ يوسف بن موسى المحساني السبتي (كان حيّاً عام 686 / 1287، وكان يقرئ بجامع باب السلسلة بفاس) وذلك في شرحه على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، والموسوم "بالإفادة". وفسر نحلتهم بأنهم يجمعون بين النساء والرجال، وجعلهم الطائفة البدعية الثانية الموجودة بالمغرب على عهد بني مرين، خلال القرن السابع (13 م) إلى جانب العكازين أتباع المهدي بن تومرت (ت. 524 / 1129)، وأفتى فيهم بأن يتقدم إليهم فإن تابوا وإلا قتلوا. ومثله عند إمام جامع القرويين الشيخ يوسف بن عمر الأنفاسي (ت. 761 / 1359) في تقييده على الرسالة أيضاً. وكان فقيهاً صالحاً، وقد بلغ مائة سنة. وقريب منه عند قاضي القضاة بمصر الفقيه محمد ابن إبراهيم التتائي (ت. 942 / 1535)، وذلك في شرحه على الرسالة وعنوانه *تنوير المقالة*. ونقله عن أبي يعقوب المحساني، واقتصر على ذكر السليمانيين ولم يفسرهم. ووقف قاضي الجماعة بفاس الفقيه محمد بن الحسن المجاصي (ت. 1103 / 1691) على نسخة من الشرح المذكور وبها على هامش النقل الذي يهمنا، وبخط الشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي "العارف" (ت. 1036 / 1626)، طرة نصها : الذين يجمعون بين النساء والرجال.

وقد تم النظر إلى السليمانيين في سياق التيارات الفكرية التي عرفها المغرب المريني، وأسلكوا ضمن الجماعات المتطرفة التي سجل إمامان من أعلام العصر قلة وجودها بالبلاد، وهما المحساني المذكور والإمام محمد ابن الحاج العبدري (ت. 737 /36 - 1337)، وذلك في كتابه "المدخل"، الذي قرر فيه فضل العلماء في ارتداع كثير من أهل البدع وفي اختفاء كثير من العوائد الحادثة في المائة السادسة للهجرة وما قبلها. حيث لم تَعْدُ الجماعات المتطرفة التي عاصرها هذان العلمان الفاطمية المتفرعة إلى أكثر من فرقة، والعكازون أتباع المهدي بن تومرت، والسليمانيون.

وإذا كانت العبارة التي فسر بها المحساني نحلة السليمانيين ضيقة لا تزيد على القول إنهم أهل إباحة. فإن افتاءه باستتابتهم ينفي عنهم النسبة إلى أهل الإباحة العامة، وهم الزنادقة المطلقون الذين لايرون تكاليف الشرع على الاطلاق، ويستبيحون المحرمات بدون تقيد بشرط ولا شخص مع التستر بظاهر الإسلام، والذين يقتلون ولا تقبل توبتهم. ويقطع حكمه بنسبتهم إلى أهل الإباحة الخاصة من الغلاة المتسللين من شتى النحل، والقائلين ببلوغهم حالة بينهم وبين الله ترتفع معها الشرائع عنهم، ويباح كل شيء لهم.

ولا يزيد تواتر ذكر السليمانيين في الشروح الفقهية المذكورة، والمصنفة خلال القرون 7و8 و10 / 13 و14 و15، عن

نقل وتكرار ما جاء في "الإفادة" بصددهم. ولا سبيل إلى معرفة المسالك التي تسللوا منها إلى بدعتهم، وهل ينتمون إلى أهل التصوف أو غيرهم من الطوائف التي تنوعت مشاربها وتعددت اتجاهاتها على عهدهم ومن قبلهم، في المغرب وفي غيره من بلاد الإسلام ؟ وهل الاتفاق في اللقب الواقع عليهم وعلى بعض الفرق المشهورة مثل السليمانية شيعة سليمان بن جرير، والذين يعرفون بالجريرية أيضاً، يسوغ القول بوجود جامع ومشابهة أوجبت اطلاق لقب هؤلاء الرافضة عليهم ؟ أم أنهم على حالة غير حالتهم ؟ وهل نحلتهم - كما رجح المجاصي - مطلق بدعة وتهاون في الدين؟

وتجدد الاهتمام بالسليمانيين خلال القرن الحادي عشر (17 م)، لكن في سياق لا يمت بصلة لتاريخهم. وذلك في مناسبتين، وإن تباعدتا في زمانهما، وتعارضتا في قصدهما، إلا أنهما تتفقان في توظيف وإقحام خبر السليمانيين في تاريخ طائفة أخرى نشأت بالمغرب خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م)، واتهمت في نهايته بالإباحة والجمع بين النساء والرجال. والطائفة المقصودة هي اليوسفية التي تفرعت عن الطريقة الراشدية، واتهم شيعتها بالغلو في محبة الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524) صدر الطبقة الزروقية الأولى، وأن غلوهم ترتب عنه القول بالإباحة. وقد عرفت هذه الطائفة بتسميات متعددة، منها ما ارتضاها أتباعها لأنفسهم مثل اليوسفية والأحمدية والملاينة، ومنها ما أطلقها خصومهم عليهم مثل البضاضوة والشراقة والعكاكزة أو العكازين.

وتعود المناسبة الأولى إلى مطلع العقد الثاني من القرن الحادي عشر (17 م)، وبالضبط عام 1012 / 2-1603 الذي يؤرخ لنشوب الخصومة الشديدة بين الفقيه الثائر أحمد بن أبي محلي (ت. 1022 / 1613) وصهره عبد القادر بن محمد بوسماحة المعروف بسيدي الشيخ (ت. حوالي 1030 / 1641)، ومؤسس الطائفة الشيخية، ولما أصبحت بدعة اليوسفيين تهمة تلفق لمن نظمت بينه وبينهم صلة من الصلات، وصلة الشيخين بهم وثيقة. فهم اخوانهم في الراشدية، وشيخهم أبو سماحة تلميذ الشيخ محمد بن سليمان السهيلي (ت. 936 / 1530) أحد كبار تلامذة الشيخ أحمد بن يوسف. فقد استخدم ابن أبي محلي هذه التهمة ضد صهره وشيعته الذين جعلهم يؤولون في بعض صورهم إلى نحو ما عليه اليوسفيون، وقال باستباحتهم الزنى وسفك دماء المسلمين. وأوصل حبلهم أيضاً بالطائفة السليمانية التي تهمنا، وفي هذه الصلة إشارة إلى جامع صريح وهو الاشتراك في النساء، وفيها تلميح إلى مشابهة مضمرة وهي المواطأة في اللقب الواقع على الطائفتين، إذ يعرف أولاد سيدي الشيخ بأولاد سيدي سليمان أيضاً.

وإذا كنا لا نعرف سليمان الذي نسب إليه معاصرو الفقيه أبي يعقوب المحساني، فان اسم سليمان قد تعدد في أجداد الشيخ عبد القادر السماحي. فأول من انتقل من أسلافه البكريين من الحجاز إلى المغرب، وذلك أواخر القرن الثامن (14 م) أو أوائل القرن الذي يليه، يعرف بمحمد بن سليمان العلي. وجده المباشر اسمه أيضاً سليمان بن بوسماحة، وهو جد أولاد سيدي الشيخ كافة، وهو يعد من كبار صحب الشيخ أحمد بن يوسف، ومن أعلام الطبقة الراشدية الأولى التي ينتمي إليها شيخ حفيده سيدي الشيخ.

وكما اشتهر اسم سليمان في عمود نسب الشيخ عبد القادر السماحي حتى عرف حفدته به، فان نفس الاسم قد سلف في آباء بعض مشايخ الطبقة الراشدية الأولى : فشيخه السهيلي ينسب إلى سليمان، وقد يكون والده أوجده. كما يعرف مؤسس الطائفة اليوسفية بعمر بن سليمان، وهو مذكور الاسم في السيرة المبكرة والمفردة في الشيخ أحمد بن يوسف غداة انتصاف القرن العاشر (16 م). ويجعله مؤلف هذه السيرة من كبار الطبقة من صحب الراشدي، ومن المقربين من أتباعه الذين كانوا يقضون الليل في بيته، وذلك في قرية مصراتة المجاورة للقلعة من البلاد الراشدية. ودأب اليوسفيون، أباً عن جد، على ذكر شيخهم بهذا الاسم حتى مطلع القرن الرابع عشر (20 م) وهذا وجه آخر من وجوه التداخل بين تاريخ الشيخين اليوسفيين، ومن مسوغات القول بمآلهم إلى السليمانيين تسمية ونحلة.

وتمت المناسبة الثانية عام 1080 / 69 - 1670 الذي شهد محاكمة اليوسفيين في خلافة السلطان المولى الرشيد، وجاءت في الأجوبة المحررة في نازلتهم من قبل قاضي الجماعة بفاس الفقيه محمد بن الحسن المجاصي. وقد ذهب فيها إلى القول بردة اليوسفيين، وساق من جملة الشواهد لصحة هذا الحكم الفتاوى التي أصدرها فقهاء القرنين السابع والثامن (13 و14 م) في العكازين شيعة المهدي بن تومرت، لمواطأة لقبهم للقب العكاكزة التي اشتهر به اليوسفيون أواخر القرن الحادي عشر (17 م)، وأقدمها فتوى الفقيه المحساني.

ولما كانت الطائفة الثانية المنبه عليها في هذه الفتوى هم السليمانيون كما أسلفنا، فقد اهتبل المجاصي بالجامع بينهم وبين اليوسفيين في الجمع بين النساء والرجال، وقال إن نحلة هؤلاء هي نحلة أولئك تحقيقاً، وان زاد أصحاب النازلة خبائث أخر كترك الصلاة والصيام وأكل الميتة. ولم يكتف المجاصي بفتوى المحساني وحدها، بل تتبع النقل عنها عند كل من الأنفاسي والتتائي، وجمع النقول المتفرقة في الشروح التي صنفوا، والتي تواتر بها ذكر السليمانيين خلال القرون السابع والثامن والعاشر (13 و14 و16 م).

ويحتمل تاريخ السليمانيين سياقاً يتسع عن سابقيه من قبل ومن بعد، ويفيض عن زمان وجودهم في المائة السابعة للهجرة، وزمان استحضارهم في المائة الحادية عشر للهجرة. وهو سياق النحل التي تواضع المحدثون على تسميتها بالمراسيم والشعائر الجنسية، والمتواترة في مصادر تاريخ المغرب من عهد القديس أغسطين (ت. 430 م) إلى هلم جراً.

م. المجاصي، *نوازل*، ط. حجرية، فاس، 91، 95، 111، 112، 125؛

م. المنوني، ورقات، 245. 247. 255 ؛ إسماعيل العربي، *معجم الفرق والمذاهب الإسلامية*، الدار البيضاء، 1993، 213 ؛ ع. نجمي، *التصوف والبدعة بالمغرب*، 381.

J. Berque, *Ulémas*, 56-65.

عبد الله نجمي

السلينسي أو **السلويون** أو **السلاتيون** نسبة إلى نهر سلا (أبي رقراق) ويذكرهم جغرافي رافينا تحت اسم سلينسيس (Salensis). وكلمة السلينسي قريبة من كلمة السلاتي (Salathi) الذين يضعهم بطليموس في ليبيا الداخلية. بينما يضع بلينوس الشيخ مواطنهم شمال الماساتيين الذين كانوا يستقرون على مشارف نهر ماسة في الجنوب من جبال الأطلس. كما تم العثور على كلمة سالينسيس في نقائش لاتينية بفوروم موقع سلا (شالة). نشر بعضها جيروم كاركوبينو والبعض الآخر لوي شاتلان. وبما أن بطليموس يذكرهم جنوب (الأمازيغ) والفيريكاي، فمن المحتمل أن نحدد مواطنهم حول موقع سلا (شالة) وضفاف نهر سلا. إلا أنه يبدو أن القسم الأكبر من أبناء القبيلة كانوا موجودين خارج النفوذ الروماني، وأن مجالهم فلاحي مما جعلهم عرضة لهجمات الأوطولول حسب بلينوس الشيخ. هذا والجدير بالإشارة إلى أن كاركوبينو حاول أن يحدد مواطنهم في نواحي سبتة اعتماداً على افتراض يدعي فيه وجود مدينتين تحملان نفس الاسم أي سلا. إلا أنه مستبعد مادام ليس هناك ما يؤكده.

م. أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية بين المور والرومان في موريطانيا ما بين 140 و285 ميلادية*، د. د. ع. الرباط، 20 / 06/ 1980، الفصل الثاني.

Ptolémée, *Géographie* ; Pline L'Ancien, *H. N.*, V, 17 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1943 ; L. Chatelain, *Le Maroc des Romains*, Paris, 1968 ; R. Roget, Le *Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1929 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962.

مصطفى أعشي

سُماتة، إحدى قبائل منطقة الهبط، تنحصر أراضيها الجبلية بين مجرى واد المخازن من جهة الشمال حيث تمتد أراضي بني عروس وتنتهي حدودها الغربية عند جبل بني گرفط، تقف عند حدودها الجنوبية قبيلتا بني يسف وأهل سريف. وتشغل أراضيها تجمعات الشناتفة وشفراوش وكدية الحيط وزعرورة وسيدي مزوار وبوحمصي والرميلات.

يرتبط تاريخ القبيلة وتعميرها بالانتشار الإدريسي إثر انتهاء ملكهم بفاس، فهي التي تلقت أولى الهجرات الإدريسية بالشمال الغربي المغربي، باستقرار سيدي مزوار، أحمد بن علي حيدرة بن محمد بن إدريس بجبل الحجر، وما تلا بعد ذلك من تأسيس قلعة حجر النسر بأرضها في حدود سنة 313، وخوض الحرب الأولى مع موسى بن أبي العافية ما بين سنوات 317 . 321، ثم ما كان من حرب ثانية على يد الحسن بن كنون ضد التدخل المرواني الأندلسي بالمغرب ما بين 360 و375 وما آل ذلك إلى الصراع على القلعة الإدريسية السماتية.

لم تشر كتب الجغرافيا للعصر الوسيط الأول ولا حوليات ابن حيان الأندلسي إلى اسم سماتة، مما أدى إلى خلو المصادر التالية من الاسم، مكتفية بالإشارة جميعها إلى قلعة الحجر كنقطة سكانية حربية. وأغلب الاعتقاد أنها مثل جاراتها القبائل الجبلية المحيطة بها، كانت في طريق التكوين والوحدة الجغرافية، إلى أن عرفت تجمعاتها باسم سماتة، وذلك قبل القرن الثامن الهجري، ودون أن نعرف سبب ذلك وعلاقته باسم سماطة الواقعة بناحية تونس حسب الوارد عند البكري. وثبت في منتصف القرن الثامن الهجري أن جماعات سماتية كانت بحوز غرناطة على عهد أبي الحسن المريني، منتظمة في جيش النصريين من بني الأحمر.

وكيفما كان الأمر فإن اسم القبيلة كان بارزاً في القرن العاشر (16 م)، وحدود القبيلة ومواقع تجمعاتها معروفة بأسمائها لدى برتغاليي أصيلا وطنجة. غير أن الحسن الوزان ورديفه مارمول كاربخال لم يعرفا بسماتة مثلما سلكا مع جارتها قبيلة بني عروس. وتبدأ المعلومات التي لدينا مما قدمه بيرناردو رودريكيس البرتغالي، صاحب *حوليات أصيلا*، وهي تخص غزوات جنود أصيلا البرتغاليين للقبيلة. ذلك أن حاكم أصيلا نظم نحو القرية غارتين خلال سنة 1519، كانتا من نصيب قريتي تولا وخربة الشناتفة على سفح جبل سريخ. واغتنم الحاكم مرة أخرى فرصة غياب السلطان أحمد الوطاسي لمحاربة محمد الشيخ السعدي في مايو 1526 لتنظيم حملته الأولى على سماتة، بتوجيه من المنتصر ضيوغو دي سلفيرا الكرفطي في اتجاه قريتي وارموت والهوتة. والمعروف لدينا أن حاكم أصيلا عاد إلى الغارة على أرض سماتة في غشت سنة 1529 عبر طريق قب النبش بإرشاد من المنتصرين أرتور رودريكيس وأنطونيو سلفيرا. ولم تنج قرية عين بيضا من هذا الغزو. ونظراً لما جمعه البرتغاليون من سماتة من رؤوس الماعز البالغ عددها خلال جميع الغارات نحو 2000 رأس فإنهم أضافوا إلى اسمها كونها بلد الماعز.

ونعرف من السماتيين الشيخين سيدي مالك، جد الشرفاء الحراقيين وعمر الشنتوف المشارك في معركة وادي المخازن، وإليه تنسب اليوم فرقة الشناتفة. وتعرفنا أيضاً منها على كاتب السلطان محمد بن عبد الله المدعو محمد السماتي.

ولم يتعرف مخبر موليراس على قبيلة سماته، نتيجة عزلتها في داخل المنطقة. وحسب الروايات الشفوية المحلية المنتمية إلى القرن الثالث عشر (19 م)، منها ما قصه عالم سماتة السيد عبد السلام حسون سنة 1880 من أن القبيلة السماتية كانت في حرب دائمة مع جاراتها قبائل بني يسف والأخماس وبني عروس وآل سريف وبني زكار بسبب الحدود، مما ترتب عنه تحالف هذه على أخرى. ومن ذلك حربها مع بني يسف وحليفتها الأخماس على قرية الحرشة.

واشتهر بسماتة معاهد للدراسات الفقهية خلال أواخر القرن الثالث عشر وبداية الموالي له، منها معهد عين بيضا الذي كان على رأسه الشيخ أحمد بن يرمق الذي تتلمذ عليه عدد من فقهاء الريف الشرقي، والمرابط أحمد التلمساني. وحسب مصادر فترة الحماية قبل سنة 1936 أنها تكونت من ثلاث فرق وهي شناتفة والحيط وسيدي مزوار، وبلغ عدد دورها نحو 700 دار، أي ما يعادل 3500 ساكن. وقد عدت سماتة من الجهات ذات الخطورة على الزحف الإسباني في نطاق إخضاع قبائل جبالة، ووصلت إليها القوات الإسبانية يوم 6 مايو 1921.

ابن خلدون، *العبر* ؛ ح. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإيبيري بالثغور الشمالية الغربية*، أطروحة مرقونة، الرباط 1991 ؛ م. عمراني، *الشرف والمجتمع والسلطة السياسية*، أطروحة مرقونة، الرباط، 2001 ؛ ع. المنصوري، *العلاقات المغربية البرتغالية*، أطروحة مرقونة، الدار البيضاء، 2001 ؛ *معلمة المغرب* ؛ المريني العياشي، *صور من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة ؛ ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، تطوان، 1951.

Geografia de Marruecos, t. 2, Madrid, 1936 ; B. Rodrigues, *Anais de Arzila*.

السماتي، أحمد بن المكي اليرمقي، من أولاد بني يرمق السماتيين القاطنين بمدشر عين بيضا، فقيه وإمام الأئمة وشيوخ علماء جبالة وغمارة والريف. لا نعلم عن بداية أمره سوى أنه ولد وعاش بقريته "عين بيضا" بين أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر (19 ـ 20 م) اعتباراً لكون شيخه الفقيه عبد الله بن الحاج علي زيطان الخمسي كان حيا سنة 1285 / 1865. ويمكن أن نساير امتداد حياته من خلال روايات عدد من تلامذته الغماريين والريفيين خاصة، بدءاً من الشيخين علال التانوتي القلعي والحاج محمد التوزاني سابق الترجمة، وذلك قبل سنة 1909. كما أن القاضي حمو بن محمد الشكري القلعي آتي الترجمة درس عليه ما بين سنة 1915 و1919 على أقل تقدير، وكان آنذاك شيخا وقوراً في نظر الفقيه الشكري. وستكون النتيجة المستخلصة من كل ذلك أنه كان في مستهل العقد الثالث من القرن العشرين مازال على قيد الحياة، معاصراً للزحف الإسباني الاستعماري على قبيلته واحتلالها يوم 6 مايو 1921.

يرسم اتصال أحمد بن يرمق بالشيخ عبد الله بن الحاج علي زيطان من أحياء سنة 1285 / 1869، أولى خطوات رحلته الدراسية، وذلك بمسجد لهرى الكرفطي، ثم تابع الدراسة بقبيلة بني يدر، حيث تتلمذ على الشيخ أحمد شتوان بمدشر اشتوغة، وعلى الفقيه السرحاني اليدري.

توجه أحمد السماتي إلى فاس ودرس بالقرويين على محمد بن المدني گنون، (ت. 1326 / 1909). ومنه نعرف أن إقامته بفاس كانت قبل هذا التاريخ، إذ من الثابت أنه كان بسماتة مشتغلا بالتدريس سنة وفاة شيخه، حسبما نعلمه من رواية تلميذيه علال التانوتي ومحمد التوزاني.

وكانت إقامته بفاس مناسبة لتوثيق الصداقة مع الشيخ ماء العينين، (ت. 1910) مما حمله على زيارته بعد ذلك بزاوية اسمارة في العقد الأخير من القرن الثالث عشر (19م)، إذ أن بناء المدينة والزاوية بدأ حوالي سنة 1885، ثم بالشريف المهدي بن محمد الوزاني (ت. 1342 / 1924)، صاحب *النوازل الكبرى والصغرى*.

عاد أحمد السماتي إلى وطنه بسماتة متشبعا بفكرة تأسيس المراكز العلمية فشرع في إحداث عدة مجالس دراسية بمساجد المنطقة، مثل مسجد طردان ببني عروس ومسجد أورموت ببني كرفط وعين بيضا بسماتة. والمشهور عن مداشر سماتة، الشرفاء الأدارسة بالشمال، أنها كانت تتبارى منذ القديم في مجال الشرف واحتضان المراكز العلمية كغيرها من قبائل الشمال الغربي المغربي، حتى إنه يكاد يكون لكل مدشر رئيسه العلمي ودليل شهرته ونبوغ أبنائه، مثلما أصبح المترجم عالم مدشر عين بيضا، فقد عرف أنه هو الذي استغل جامع مدشرد لتأسيس معهد لدراسة العلوم الفقهية واللغوية، ليكون منه مركزاً ثقافيا مشهوراً في آخر القرن الثالث عشر والنصف الأول من الموالي له.

ومدشر عين بيضا السماتي، أصغر مداشر فرقة سيدي مزوار، واقع على السفح الشمالي من جبل الخلوة، يقابله من جهة الشمال السفح الجنوبي من جبل الصريخ. كان المدشر في عصر الشيخ أحمد السماتي صغيراً لم يتجاوز عدد دوره الثمانية والعشرين داراً أو أسرة، وهو ما يعادل مائة وأربعين نفراً غير أن شهرته تجاوزت المنطقة بفضل ظهور شيخ العلم السماتي.

وعرف عن هذا الشيخ أنه كان ضليعا في مختلف الفنون والعلوم، واهتم إلى جانب ذلك بضبط التوقيت بالمساجد، فلم يجد فرصة لتلبية حاجات الناس أفضل من الإشراف على صناعة الساعة الشمسية في كل مسجد حل به لإقامة الخطبة. ويروى عن الشيخ أنه كان يتقن كل علوم عصره حتى ما يتعلق بالموسيقى، ويمارس القضاء والإفتاء بالإضافة إلى التدريس الذي كان عمله الأساسي الدائم بالمساجد الكبرى بجبالة.

وقد شهد تلميذه الفقيه حمو الشكري آتي الترجمة في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين أن المسجد كان معروفا في أوساط جبالة بمعهد ابن يرمق، وعن تدريسه، قال : "يدرس الفقه *كالشيخ خليل والتحفة* ثم البلاغة والمنطق والنحو، وكان سلس العبارة ميالا إلى الإطناب" وحسب نفس الرواية كان "قوي الشخصية طويل النفس في الجمل، يحث على الاستقصاء في البحث والتعمق في الدرس والصبر على الرجوع إلى المراجع".

نعرف من طلبته بالشمال الغربي كلا من عبد السلام بن الطاهر الشاوي المتوفى عام 1910 ومحمد العمراني المجلاوي المتوفى 1933، وهو من قرية ميجلاو المنتسبة إلى قبيلة الساحل الشمالي وأحمد بن عبد السلام الحراق (ت. 1344 /

1925) والفقيه الدغاي من بني يسف المتوفى عام 1958 والفقيه العبدي العروسي والفقيه المزكلدي ومحمد بن عبد السلام بن احساين الصروخ الكرفطي والفقيه محمد النخشة (ت. 1351 / 1932). ومحمد الناصري والفقيه الحاج عبد السلام المرابط (ت. 1985). وممن درس عليه من طلبة الريف الشرقي مجموعة من فقهائه، منهم الشيخان محمد التوزاني وعلال التانوتي والفقيه القاضي حمو بن محمد الشكري والفقيه قاضي القضاة محمد ابن عبد الله التوزاني شركي (ت. 1937).

ومن الآثار المكتوبة التي تُذكر له : شرح على *قصيدة ابن بري* في القراءات، وآخر على *مقدمة ابن آجروم* وثالث على *أرجوزة المقنع*، وكلها مفقودة إلى حد الساعة.

وبمسجد عين بيضا بقي الشيخ أحمد السماتي يدرس إلى وفاته في تاريخ لم يتحقق بعد، مع الترجيح أن يكون التاريخ المحدد هو سنة 1339 / 1921، ودفن في زاوية من المسجد بجانب ولده سيدي الأمين، الشهيد ضد الاستعمار الإسباني بمعركة سيدي اليماني.

ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، 1982 ؛ المريني العياشي، *صور من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة* ؛ م. الهبطي المواهبي مفتنون منسيون بغمارة وشفشاون، الرباط، 2000 ؛ م. بن عبد الرحمن بن خليفة، *أعلام القصر الكبير*، طنجة، 1994 ؛ ع. الصمد العشاب، *أحمد بن المكي يرماق* ؛ حمو بن محمد الشكري، تقييد ؛ م. بن حمو البنيحياتي، *مذكرات مرقونة* ؛ ع. الله عاصم، *العلامة محمد التوزاني*، الرباط، 1999، *معلمة المغرب*، *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، تطوان، 1952. Geografía de Marruecos, t. 2.

حسن الفكيگي

السماحي، أسرة سلوية أصلها من قبيلة بني مالك المتفرعة عن قبيلة بني هلال العربية، لذلك يُوجد آل السماحي اليوم ببلاد المشرق وبالمغرب الكبير.

نزل بنو مالك ببلاد الغرب، على مقربة من حد كرت، وإليها ينتسب آل السماحي الذين دخلوا إلى مدينة سلا، في أواخر العهد السعدي، ويعرفون بآل السماحي المالكي الزياني، تمييزاً لهم عن غيرهم الذين يختارون التسمية اسما شخصيا فقط، يضيفونه إلى أسمائهم العائلية، تمييزاً لهم كذلك عن أبناء عمومتهم بالغرب، الذين يسمونهم الزيازنة ؛ وقد كانوا أهل علم وتقوى وزهد، آخر عالم منهم الفقيه السيد عبد الله السماحي الزيزوني، تولى القضاء على عهد السلطان الحسن الأول، وتوفي قبل الحماية وعاصره في سلا ابن عمه المحجوب السماحي.

يعتبر المحجوب بن الحاج محمد بن الحاج الطاهر السماحي من حفدة المجاهد السلوي مَحمد العياشي، كما أكد ذلك المؤرخ محمد بن علي الدكالي لابن المحجوب الأصغر أحمد السماحي، وقال له : إراثتكم عندي، وكذا رسم ملكية المجاهد العياشي للسانية، مقر مدرسة أبناء الأعيان بالسور. (مدرسة مولاي المكي العلوي حالياً).

السماحي، أبو بكر بن محمد بن المحجوب السلاوي، شارك في الحركة الوطنية بسلا مشاركة فعالة، فكان أمين مال جمعية المحافظة على القرآن الكريم بسلا. وسهر سنة 1933 على تنظيم أول حفل لعيد العرش بالمغرب غير متهيب لما يتوقعه من ردود فعل سلطة الحماية، ولا تعقبها فيما بعد للنشاط التجاري للعائلة وعرقلته، ولا الخسارة المادية التي ستلحق المنسوجات التي رصدها للحفل والزينة ذلك اليوم.

لم يتوقف أبو بكر عند ذلك، بل زاده نجاح تظاهرة عيد العرش عزما وإصراراً على المضي قدماً في حقل الكفاح الوطني، وتقبل التضحيات بشأنه.

دخل أبو بكر السماحي السجن بسبب نشاطه السياسي سنة 1936 و1937 و1944. وكان أحد الثلاثة بالمدينة الذين اعْتقلوا في الوطنية ثلاث مرات متتالية، وبعد الاستقلال ولي وجهه شطر الوظيفة فالتحق بالتعليم وللضرورة أحكامها. إلى أن وافته المنية سنة 1413 / 1993 عن سن تناهز الثانية والثمانين سنة.

وثائق عائلية، معرفة شخصية.

محمد السماحي

السماحي، عبد القادر بن محمد بن سليمان الفگيكي الشيخ الصوفي المدعو بوسماحة نشأته الأولى غامضة، وربما كان ظهوره حوالي سنة 940. ومن المؤكد أن جده سليمان تعهده واعتنى بتربيته وتنشئته، بدأ بحفظ كتاب الله، ثم أسلمه إلى الشيخ المتصوف محمد بن عبد الجبار على أساس التأهيل للانخراط في سلك المتصوفة، لكن محمد مات، فخلفه على كرسي التحصيل ولده أبو القاسم، وعنه أخذ المترجم صحيح البخاري ومسلم وشفا القاضي عياض وبعضا من النحو والأدب.

ونقلا عن أحمد ابن أبي محلي، فإن السماحي قضى شطراً مهماً من حياته بفگيگ بينما قضى الشطر الباقي متنقلا بين مختلف مدن ومداشر الجنوب الشرقي كبو سمغون، وبني عباس وگورارة، وأبيض سيدي الشيخ، وبهذه الأخيرة كانت آخر أيامه ووافاه بها الأجل.

وتقول الكاتبة الفرنسية Anne Levinck في مذكراتها

التي دونتـهـا في كـتـابهـا *L'Oasis de Figuig, revue géographique* سنة 1884، سيدي الشيخ ولي صالح عاش في القرن (16 م) كان معروفاً في التل والصحراء، أسس زاويته في قصر بالغرب بالبيوض. وفيه مات حوالي سنة 1614 كانت له سبع نساء، أنبلهن من عذراوات فجيج، خلف 14 ولداً، وبعد وفاته بنيت له قبة (ضريح) وكانت مقدسة ومعظمة من طرف سكان القصور. كانت لهذه القبة نهاية مأساوية وأهمية سياسية غير منتظرة ولا متوقعة، فبعد تدميرها من طرف الجنرال Negrimer سنة 1881 أعاد بناءها الجنرال Thomassin بالرغم من رفض سكان الجزائر الفرنسيين...

بعد هذه الإشارات تنتقل الكاتبة الفرنسية إلى نقطة أخرى وتقول "والذي يهمنا هنا هو أن بوعمامة من سلالة سيدي الشيخ والذي ينتمي إلى أكبر أسرة بالجنوب الغربي، وبحكم تعدد زوجاته أصبحت له علاقة مصاهرة مع السلطان المغربي عبد الرحمن" ...

وبالرجوع إلى ما كتبه ابن أبي محلي نستفيد بأن مترجمنا السماحي، كان يتمتع بشهرة واسعة في المنطقة الشرقية وأن زاويته التي ما تزال إلى يومنا هذا بفجيج في مكان يسمى أجدل شرق الحمام الفوقاني كانت مورداً مورداً يغص بالمريدين الذين خلدوا اسمه بأماديح لازالت محفوظة بين ثنايا المخطوطات في الخزانات العامة والخاصة، ومن بين الذين مدحوه شعراً ونثراً ابن أبي محلي نفسه.

ولكن في نفس الوقت نلاحظ بأن العلاقة بين الشخصيتين انقلبت من المودة والصفاء إلى العداوة والجفاء والهجاء، فابن أبي محلي الذي خلع على السماحي حللا سندسية من أرفع الصفات وأنبل الشيم، قلب له ظهر المجن. ورماه بكل ساقطة وفاسدة وألف كتبا ومقالات تحمل من التشنيع عليه والتعريض به، ما يكفي لأن يجعل من السماحي خزيا ظاهر العار. ومن الواضح أن هناك دوافع وأسباباً جعلته ينقلب على السماحي، وحسب ابن محلي فإن المترجم حاد عن طريق الهدى واتبع هواه وارتكب ما يوجب جب الأنف وذاقة الحتف.

ولكن، رغم هذه الثورة، وهذه النعوت والأوصاف، فقد ذاع صيت السماحي. وامتلأت بذكره بقاع المنطقة الشرقية الجنوبية، ولاتزال العامة تحتفظ ببعض أخباره، وترد على مقامه بالحمام الفوقاني وفود الزوار من العائلات والأسر تبركا به، بينما يردد الناس في ضريحه بالتراب الجزائري بابيض سيدي الشيخ، كل جمعة قصيدته المشهورة التي تعرف تارة باسم السلسلة وتارة أخرى باسم الياقوتة وهذا الاسم الأخير اشهر بين الناس. وقد نظمها لينخرط بها في سلك المتصوفة الأبرار والأولياء الصالحين الأخيار، معارضا تائية المتصوف الشهير الشيخ عبد القادر الجيلاني. والمعروف عنها أنها من الطوال تتجاوز 160 بيتا ومطلعها :

بدأت بحمد الله قصدا لنجح ما

أروم من استفتاح نظم قصيدتي

ومن المعروف أن ابن أبي محلي طعن في هذه القصيدة واعتبرها منحولة عليه من طرف أحد تلامذته.

وحسب المخطوط السابق الذكر يشير نقل ذيل به في الصدر الثاني بأن السماحي كان ثريا له 18 ناقة لا تخدم إلا للزاوية، وكان له أصول في فگيگ أجنة وماء، كان له 80 جنانا ومن الماء 60 خروبة (والخروبة ساعة مائية تساوي 43 دقيقة).

توفي يوم الجمعة ثاني جمادى الثانية عام 1025 / 17 يونيه 1616.

أ. ابن أبي محلي، *الإصليت*، الفصل الأول، مخطوط ؛ سم ساعة، مخطوط ؛ *القسطاس*، مخطوط ؛ *مهراس*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، طبع حجر فاس، د. ت.

لالي مصطفى

السماد ربما أمكن تقريب معنى التسميد من التسمين، حرفا ومعنى، وعليه يصير أقرب ما يكون إلى معناه بالإفرنجية، الذي يفيد الرفع من المقدور التغذوي للأتربة. ومعلوم أن الأتربة تضم أصلا عناصر غذائية، تتحرر بها انطلاقا من مكوناتها العضوية والمعدنية. وقد دعت الرغبة في تقوية المردود الزراعي إلى استعمال التسميد المعدني. لذلك نلاحظ تعاظم صناعة موازية في ميدان إنتاج الأسمدة.

تحتاج الزراعات إلى ستة عشر من العناصر الغذائية الأساسية، ومنها الآزوط والفسفور والبوطاسيوم التي تُعتبر عناصر كبيرة أو جوهرية، يحصل استهلاكها بمقادير أكبر. أما العناصر الدقيقة (الحديد، المنغنيز، البور، النحاس، ...) فيكون تقديمها بمقادير خفيفة. بل وإن الجرعات المطلوبة منها أقرب ما تكون من جرعات التسميم النباتي. لذا وجب التزويد بهذه العناصر على أساس من الدقة يحترم متطلبات الزراعة المعتبرة والمعطيات التحليلية للتربة.

أصناف الأسمدة الأكثر استعمالا من أجل التزويد بالعناصر المغذية الأساسية هي : سُلفات الأمنيوم، نترات الأمنيوم، ثلاثي الفوسفاط الممتاز، فوسفاط أحادي الأمنيوم، سُلفات البوطاسيوم وأسمدة أخرى مثلثة التركيب (N-P-K) كما هو الشأن بالنسبة لتركيبة 14 ـ 28 ـ 14. تصاغ جل هذه الأسمدة في شكلها الصلب وحسب فئات حُبيبية مختلفة. توجد كذلك أسمدة سائلة، بغرض الاستعمال الورقي.

من الملاحظ أن تنامي اللجوء إلى تقنية السقي التسميدي، التي تقتضي الاستعمال المختلط للأسمدة مع ماء السقي، قد سمحت باقتصاد السماد وبتقسيم التزويد به. كما نتج عن هذا التعاطي تطويرُ أشكال أخرى من السماد متلائمة مع الذوابية السهلة والسريعة.

يتم تحديد المقادير الواجب تقديمها ومختلف فترات التزويد بالنظر إلى معطيات تحليل الأتربة، التي تعبر عن المستوى الراهن للخصوبة، وكذلك حسب الصيغة الزراعية المزمعة والمردود الاقتصادي المنتظر.

عرف الاستهلاك السنوي للأسمدة (N - P - K) بالمغرب تزايداً بادي السرعة منذ *"عملية الأسمدة" التي دعمت مكانة هذه المواد عند المزارعين. ويناهز الآن 700.000 طن الموافقة* لحوالي 000 350 طن من العناصر المغذية ($N+P_2O_5+K_2O$). والواقع أن استهلاك الأسمدة، باعتبار وزن الوحدات المخصبة ($N+P_2O_5+K_2O$)، قد عرف تزايداً هاماً ما بين 1980 و1990.

لكن حصل بعض التراجع في الاستهلاك بعد هذه المرحلة نظراً لضعف التساقطات المطرية المسجلة خلال المواسم المذكورة. وقد هم التراجع بصفة خاصة تسميد الأساس، إذ يتجنب الفلاحون الاستثمار في تسميد الأساس الذي يوافق بداية الموسم، ولا يتدخلون من أجل تقويم المردود لا عندما تتضح ملامح السنة المطرية في الاتجاه الإيجابي، وذلك بالقيام بتسميد التغطية بواسطة المواد الأزوطية.

أما بالنسبة لاستهلاك الزراعات، فيبلغ المعدل الإجمالي 45 كلغ ($N+P_2O_5+K_2O$) /هكتار، وهو قدر شديد التواضع. إلا أن هذا الاستهلاك يعرف تفاوتاً هائلا عبر المجال الجغرافي، إذ يتم استعمال 58٪ من الوزن الإجمالي للأسمدة على مستوى الأراضي السقوية التي لا تمثل إلا 10 إلى 12٪ من الأراضي الزراعية، مقابل 42٪ في أراضي البور التي تحتل 90٪ من أصل المساحات الزراعية النافعة.

كما يتفاوت الاستهلاك حسب الزراعات، حيث تستعمل قرابة 32٪ من الأسمدة من طرف الحوامض والزراعات السكرية وزراعات البُقول التي لا تهم إلا 5٪ من المساحات المنزرعة، وجلها بالمجال المسقي. وعلى النقيض، فإن زراعات الحبوب التي تشمل 76٪ من الأراضي الزراعية لاتستهلك إلا 40٪ من المقادير الإجمالية للأسمدة.

معلوم كذلك أن فائض التسميد، غير المستعمل من طرف المزروعات، يمكن أن يتسبب في خلق التلوث. من ذلك أن الفسفور والأزوط، المنقولين على شكل شتيت أو محلول، يعرضان مياه السطح إلى التأجين، أي إلى رفع تركيزها من المواد الغذائية. أما في حالة الأزوط، فإن الزائد يتحلحل إلى عمق التربة متسببا في التلويث النيتري للمياه الباطنية.

ومن جهة أخرى، وعلى مستوى التسويق، فإن الأسمدة بالمغرب تعرف ثلاثة مسارات تجارية وهي البيع المباشر من طرف شركات الأسمدة، البيع لدى الوسطاء المرخصين، والبيع عبر شركات الإنتاج.

عرف القطاع ما جرى على غيره من إجراءات التطبيع. ذلك أنه، ابتداء من يوليوز 1990، وفي إطار التقليص من تدخل الدولة وسياسة التقويم الهيكلي، قررت السلطات العمومية تحرير استيراد وتسويق الأسمدة. وتبعا لذلك، تكاثر عدد المتدخلين فأصبح لزاما تنميط الأسمدة من أجل ضمان جودة المنتوج الذي يباع للفلاحين.

في هذا الإطار، باشرت هيئة وزارية إعداد نص تنميط الأسمدة بالمغرب. يضم النص 26 مواصفة، تمّ نشرُها في الجريدة الرسمية. وتشمل المواصفات المصطلحات المستعملة في الموضوع، التصنيف، التكييف ومناهج تكوين العينات وإجراء التحاليل على الأسمدة.

يمثل التنميط الخطوة الأولى فقط في سبيل ضمان جودة الأسمدة التي تباع عبر البلاد، ذلك أنه لا يتمتع بقوة القانون. لاشك أن حال الجودة سيكون أفضل لما يرتفع شأن التنميط إلى مستوى التقنين الملزم.

يعاني القطاع حالياً من بعض النقص في موضوع تقنين ظروف وطرق التخزين والتوزيع. كما يلاحظ القصور في المستوى التقني المتوفر لدى وسطاء البيع، الأمر الذي يحرم المستعملين من الاستفادة من النصح المناسب والخبرة المطلوبة.

بجوار الأسمدة المعدنية، يوجد السماد العضوي أو مواد الدَّمل والتخصيب العضوي. يأتي على رأسها روث مختلف الأنواع الحيوانية (الأبقار، الضأن، الماعز، الدواجن،...). يستعمل الروث (الغبار بالمغرب) خصوصا في غراسة الأشجار المثمرة وفي زراعة البقول. ويتمتع بقيمة تخصيبية عالية، تسمح بالتزويد التدريجي بالمواد المغذية عن طريق التعدين.

لكن للتزبيل التلقائي بعض السلبيات التي تكمن في إشاعته للعوامل الممرضة ولبذور النباتات الدخيلة المنافسة للزراعة. ينصح حاليا استعمال محضرات الأزبال الرؤثية والنفايات الزراعية الخضراء من أجل القضاء على هذه العيوب.

تسمح الإدمالات العضوية، إضافة إلى التزويد بالعناصر المغذية، بتحسين الخاصيات الآلية للتربة وعموم البنية، وترقية طاقة احتجاز الماء وقدرة التبادل الكاتيوني. نشهد حاليا بالمغرب تطور وحدات متخصصة في إنتاج خلائط التسميد العضوي. لكن هناك فراغاً بمستوى تنميط الجودة في خليط التسميد الناتج.

إبراهيم السردي

السمَّار أو الأسل اسمان يُطلقان على أنواع جنس يونكوسْ Juncus من فصيلة الأسليات Jucaceae. يشمل الجنس حوالي 30 نوعا طبيعيا بالمغرب. كما يطلق الاسمان أيضاً على بعض أنواع جنسي السَّعْد أو سيبيروسْ Cyperus الذي يضم 11 نوعا طبيعيا بالمغرب وسيربوس Scirpus الذي يحوي 7 أنواع طبيعية بالمغرب. والجنسان الأخيران من فصيلة السعديات Cyperaceae.

جل هذه الأنواع تعيش في المستنقعات أو على ضفاف الأنهار أو البحيرات أو الضايات الموجودة في المناطق الرطبة ذات المياه العذبة أو قليلة الملوحة واستثنائيا المالحة لبعضها. وذلك في أغلب أنحاء العالم.

من بين هذه النباتات أنواع عشبية حولية وأخرى

جُنَيْبِيَّة أو جُنَيِّبِيَّة معمرة تستعمل في صناعة الحصائر والسلال والقبعات وغير ذلك (انظر المادة الموالية). كما تستعمل بعض الأنواع للزينة كالنوع الدخيل البردي Cyperus papyrus الذي يغرس في أحواض الحدائق في المناطق الساحلية.

تتميز الأنواع المعمرة بجذور جذمورية مشكلة من المفاصل السفلية للسيقان، وبثمار علبية. تختلف أشكال الأوراق حسب اختلاف الأنواع فبالنسبة للأنواع الجنيبية والجنيبية تكون الأوراق صلبة وملساء ولامعة ذات شكل شريطي أو مستطيل أو في غالب الحالات اسطواني. تظهر الازهرارات في قمة السيقان.

ونذكر من أهم هذه الأنواع :

- الأسل أو السمار الحاد أو يونكوسْ سوبولاتوسْ Juncus subulatus : ويتميز بسيقان صلبة ومنتصبة من الممكن أن تبلغ أو تتجاوز متراً واحداً من الطول. تبلغ أوراقه 20 سم من الطول.

- الأسل أو السمار المعروف أو يونكوس كونگلوميراتوسْ Juncus conglomeratus : وينفرد بكثافة ازهراراته المتواجدة في أطراف السيقان التي يتراوح علوها ما بين 30 و75 سم.

- الأسل أو السمار الشائك أو السمار الغنمي أو يونكوس أكوتوسْ Juncus acutus : ويتميز بسيقان شديدة الصلابة وذات علو كبير قد يصل إلى 180 سم، وتحمل في طرفها السفلي أعمدة سمراء أو شقراء لامعة. وكذلك بأوراقه ذات الطرف الحاد أو الشائك.

- الأسل أو السمار البحري أو السمار البقري أو يونكوس ماريتيموسْ Juncus maritimus : نوع ذو سيقان صلبة وملساء وذات طول يتراوح ما بين 60 و100 سم أوراقه كلها قاعدية وذات أطراف شائكة.

- الأسل أو الديسْ البحري أو سيربوس ماريتيموس Scirpus maritimus : نوع ذو سيقان يتراوح علوها ما بين 30 و100 سم. أوراقه شريطية.

أبحاث شخصية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد وزينب بنرحمون

سماط العدول بسبتة، مكان داخل المدينة العتيقة على نحو ما كان وما يزال موجوداً في الحواضر المغربية الكبرى القديمة مثل فاس ومراكش وسلا ووجدة وغيرها. وبالنظر إلى وظيفته الاقتصادية والاجتماعية أخذ مكانة وسط الأسواق المتخصصة. فهو يتصل بسوق العطارين الأعظم حيث توجد المدرسة الجديدة التي ابتناها السلطان أبو الحسن المريني (731 ـ 752 / 1331 ـ 1351)، شمال الجامع الأعظم. وهو عبارة عن زقاق تصطف على جانبيه دكاكين العدول الموثقين الذين يقومون بتوثيق عمليات البيع والشراء والقران والديون وغيرها.

الأنصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، الرباط، 1403 ـ 1983، ص 36.

زليخة بنرمضان

السمَاع، أحد أنماط الموسيقى المغربية، ويراد به إنشاد القصائد والمولديات على طبوع الموسيقى الأندلسية من قبيل البردة والهمزية للإمام البوصيري، والقصيدة *البغدادية* لابن رشيد البغدادي المتوفى عام 663، وقصيدة *المنفرجة* لابن النحوي.

وتندرج هذه القصائد ضمن المستعملات الغنائية التي يتناشدها المسمعون من رجال الزوايا دون استخدام للآلات الموسيقية.

ويقابل فن السماع عند هؤلاء ما يعرف بفن المديح، وهو إنشاد مقطعات شعرية مديحية من صنعات وازجال وبراول وتواشيح مما يرجعه أهل الذكر المزمزمون بالرقيق من كلام الشيخ أبي الحسن الششتري وكلام غيره من المتصوفة".

ويرجع ظهور فن السماع إلى عهد الموحدين عندما استحدثت أسرة العزفيين التي كان رجالها من أعلام سبتة ورؤسائها عادة الاحتفال بالمولد النبوي ... وألف كبيرهم أحمد بن محمد المتوفى سنة 633 / 1236 كتاب *الدر المنظم في مولد النبي المعظم* الذي أكمله فيما بعد ولده الرئيس أبو القاسم المتوفى عام 677 / 1279.

وإلى هذا الفن يلمح صاحب *الاستقصا* إذ يقول : إنه ظهر على عهد الموحدين نوع جديد من الغناء يعرف بالسماع أواخر هذا العهد وتولع به الخلفاء مثل المرتضى من أواخرهم. كما يرد ذكره في شعر ابن المحلي السبتي إذ يقول في إحدى قصائده :

إذا هز أرباب السماع تواجد فحظي منه رفدة وصياح

وفي قصيدة مدحية لأحمد بن الصباغ الجذامي :

يا شاديا يشدو بأمداح أحمد

سماعك طيب ليس يعقبه نكس

وفيما يخضع أداء فن المديح لأنساق الصنعات المتداولة في النوبة الأندلسية، فإن مستعملات السماع تقوم على نسق خاص تواضع المسمعون على اتباعه في حلقاتهم وفق ما أقره رجال هذا الفن ومنظروه في سياق التعامل مع طبوع الموسيقى الأندلسية المغربية.

وفي وسعنا بهذا الصدد الوقوف على مدرستين أو اتجاهين هما :

1 ـ اتجاه يعكس طريقة الزاوية الفاسية. ويمثله كل من محمد المهدي بن الطالب ابن سودة المتوفى عام 1294 وابن أخيه محمد العابد بن أحمد بن الطالب ابن سودة المتوفى عام 1359 صاحب كتاب *استنزال الرحمات بإنشاد بردة المديح بالنغمات*.

وتقوم هذه الطريقة على تقسيم البردة إلى أقسام، ينشد القسم الأول منها على طبع موسيقي معين، وتنشد بعده جملة من المقطعات الشعرية المديحية على نفس الطبع، ثم يتم التحول إلى انشاد القسم الثاني وملحقاته من الأشعار المديحية على طبع آخر. وهكذا تتعاقب أقسام القصيدة وملحقاتها وتتعدد بتعددها الطبوع إلى نهاية الحصة الغنائية.

2 ـ اتجاه يمثله كل من أحمد بن محمد بن العربي أحضري (ق 13) في مجموعة *ديوان الأمداح النبوية وذكر النغمات والطبوع وبيان تعلقها بالطبائع الأربعة*، ومحمد بن العربي الدلائي المتوفى عام 1285 صاحب كتاب *فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار*.

وتقوم هذه الطريقة كسابقتها على تقسيم القصيدة إلى أقسام بعد كل قسم جملة من الاشعار المديحية، غير أن إنشاء هذه الأقسام وملحقاتها يجري على طبع واحد إلى نهاية الحصة الغنائية. ويبدو هذا الاتجاه أكثر التصاقا بتقاليد أداء النوبة في موسيقى الآلة حيث يجري العمل بوحدة الطبع من بدايتها حتى نهايتها.

ع. العزيزالفشتالي، *مناهل الصفا*، ص. 237 ؛ ع. الله گنون، *النبوغ المغربي*، ج 1، ص. 132، ط 2 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 1، ص. 208 ؛ ابن إبراهيم المراكشي، *الإعلام*، ج 3، ص. 151 ؛ *ديوان ابن الصباغ الجذامي*، خ. ع. رقم 109 ؛ م. المنوني، مجلة البحث العلمي، ع 14 و15، يناير 1969، ص. 169.

عبد العزيز بن عبد الجليل

السماعلة، مجموعة قبلية تنتمي إلى قبائل تادلة رقمة. تستوطن القسم الشمالي الشرقي لدائرة واد زم. يحملون هذا الاسم نسبة إلى جدهم : إسماعيل أو الشْماعْلا بن علي ورديغ بن جابر الرقمي. ينتمون إلى القبائل العربية التي استقدمت إلى المغرب زمن الموحدين. واستوطن بنو جابر منهم دير الأطلس المتوسط وسهل تادلة.

شكلوا إلى جانب جيرانهم "بني خيران" خمسا قائما بذاته إلى جانب باقي أخماس تادلة. ومثلوا قوة أساسية أواخر القرن 19. فكانوا حاضرين بقوة في مختلف اللفوف التي عرفتها المنطقة في إطار استراتيجيات مجالية محلية. ففي سنة 1846، لم يتوقف "أولاد مَحمد والأعشاش من إعانة السماعلة على مقاتلة ورديغة وشد عضدهم على بعضهم..." وتشير المراسلات سنة 1848 إلى "هؤلاء السماعلة الذين غلبوا على بني خيران وأخرجوهم من بلادهم وسكنوا بها". وفي ماي 1883، تعرضت دشرتهم بالبراكسة إلى هجوم عنيف من طرف المخزن المركزي، خلف عدداً كبيراً من الضحايا من الطرفين. ومازالت السماعلة تؤرخ لهذا الحدث بأغنية تعرف بـ"الشجعان". في بداية القرن العشرين، شكلوا إلى جانب مجموعات بشرية أخرى أحد أعمدة الفرع العرباوي من الزاوية الشرقاوية.

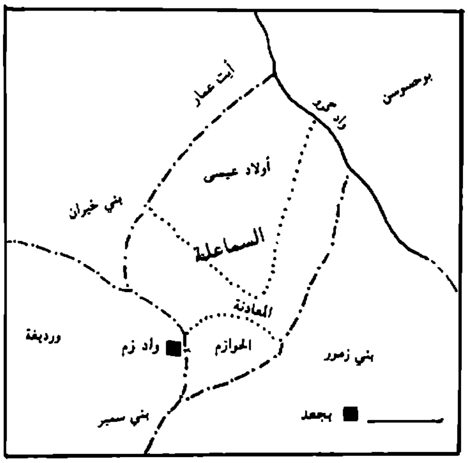

في سنة 1909، كان التنظيم الإداري والحجم الديمغرافي للسماعلة على الشكل التالي :

الفرقة	الفخذة	عدد الخيام	القائد
المعادنة	العشاشكة	250	محمد ولد الدريوش العربي البركوسي
	الطرش	400	
	البراكسة	350	
	أولاد الديك	290	
أولاد عيسى	ولاد فنان	370	محمد ولد السربوت محمد ولد بوعزة
	الحوازم	250	
	السيالغة	230	
	أولاد حمادي	210	

وشاركت قبيلة السماعلة بقوة في مقاومة الغزو الفرنسي. كانوا الأغلب في عدة معارك وكانوا في أخرى إلى جانب مقاومي قبائل المنطقة من بني خيران وورديغة وزايان... وبرز "ولد كَردة" كقائد عسكري في صفوفهم. وهكذا واجهوا المستعمر في عدة معارك طاحنة، نذكر منها على سبيل المثال.

معركة بيار مزوي	16 دجنبر 1912
معارك واد زم	16 ـ 18 ـ 23 فبراير 1913
	2 ـ 3 ـ 26 مارس 1913
معركة سيدي محمد لبصير	19 فبراير 1913
معركة كدية الريح	15 مارس 1913
معركة دشرة بني سمير	17 مارس 1913
معركة وارغوس	25 ـ 26 مارس 1913

وخلال فترة الحماية، انقسم تراب السماعلة إلى قيادتين تابعتين لدائرة واد زم، التابعة بدورها لجهة الدار البيضاء.

القيادة		عدد الخيام	القائد
المعادنة		17193	بوشعيب بن رحال
	العشاشكة	9563 خيمة	
	البراكسة	3657 خيمة	
	الطوش	3973 خيمة	
أولاد عيسى		10111خيمة	بلحاج بن بوعزة
	الحوازم	2024 خيمة	
	أولاد الديك	879 خيمة	
	أولاد فنان	3730 خيمة	
	أولاد حمادي	950 خيمة	
	السيالغة	2528 خيمة	

شكل السماعلة عماد ثورة 20 غشت 1955 بواد زم، فهاجموا رموز الاستعمار من تجهيزات ومصالح ومزارع... فخربوا وأحرقوا وقتلوا، وفي المقابل سقط منهم شهداء وأسرى كثيرون. تنقسم اليوم إلى عدة جماعات، تابعة لدائرة واد زم، إقليم خريبگة، جهة الشاوية ورديغة.

وفيما يلي معطيات إحصائية حسب إحصاء شتنبر 1994.

الجماعة	عدد المنازل	عدد السكان	نسبة الذكور ٪	نسبة الإناث ٪	أقل من 15 سنة ٪
البراكسة	1164	7653	50,36	49,64	42,13
الطرش	1324	9077	51,09	48,91	41,57
المعادنة	1194	8062	50,06	49,94	40,14
أولاد عيسى	901	6149	48,15	51,85	45,16
أولاد فنان	1416	9273	50,95	49,05	39,09

مؤلف مجهول، *مراحل رحلات مولاي الحسن*، مخطوط خ. ح ؛ *الوثائق الملكية*.

Peyronnet, *Tadla, pays Zaïn, Moyen Atlas*, Alger, 1923 ; *Recensement général de la population et de l'habitat de 1994*, Rabat.

صالح شگاگ

السماعلي، لبصير بن محمد، مقاوم ولد سنة 1914 بدوار الاحوازم قبيلة السماعلة ناحية وادي زم. كان من الذين حركتهم الغيرة الوطنية فواجهوا المستعمر أشد مواجهة. ولما اختيرت مدينة وادي زم الشهيدة ونواحيها لتكون مسرحا للمواجهة يوم 20 غشت 1955 كان السماعلي مشاركا متحمسا وبطلا باسلا حيث أظهر قدرة فائقة في مجابهة المستعمر وقوات أمنه لكن السلطات الفرنسية عندما اشتد بها الأمر وأصبحت غير قادرة على التحكم في الوضع لجأت إلى الاستعمال العشوائي للسلاح بغية خلق الرعب في نفوس المتظاهرين وبالتالي فرض سيطرتها على الوضع الأمني، ومن بين الضحايا الذين سقطوا في ميدان الشرف السماعلي البصير بن محمد الذي أطلق عليه النار أحد المعمرين الحاقدين المسمى "اطروشيك" حيث أرداه قتيلا في نفس اليوم 20 غشت 1955 الموشوم على الذاكرة الوطنية.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520855.

سُمامة، جنس طيور برية طويلة الجناحين قصيرة القائمتين والمنقار مسطحة الرأس سريعة الطيران، تقضي النهار محلقة في الفضاء وتكاد تكون دائمة الطيران. تشبه خطاف الشعر السنونو في هيأته وتشعب ذيله لكنها من غير رتبته وفصيلته. لا تميز العامة بينها وبين خطاف الشعر، وتسمى خُطَّف وصِيص في لبنان وأبابيل في الهند وخطاف جبلي وخشاف في العراق ومصر وعُوار وعوهق وبلسك في الشرق العربي، وهو طير أبابيل الوارد في القرآن الكريم في سورة الفيل. تعد من أنفع الطيور لما تلتهمه في طيرانها من حشرات مضرة للإنسان ولا سيما البعوض. طيور مسرونة القائمتين تصنف إلى رتبة مشقوقات المناقير Apodiformes وفصيلة السمائم عديمات القوائم Apodidae. لا تقف ولا تمشي على الأرض بتاتا ونادرا ما تستريح على قضبان وأسلاك الكهرباء وأغصان الأشجار. الجناحان طويلان جدا منجليًا الشكل ومستدقًا الرأس يساعدان على السرعة حيث تتعدى أحيانا 100 كلم في الساعة. الإناث شبيهة بالذكور.

• السمامة السوداء تدعى علميا Apus apus وبالفرنسية Martinet noir وبالإنجليزية Swift وبالإسبانية Vencejo comun وبالإيطالية Randone. تعد السمائم الشائعة في المغرب، سوداء المنقار قصيرته، ريشها بني أسود على سائر الجسد وعلى أسفل المنقار بقعة فاتحة. يبلغ طول الجسم 16ـ17 سم وتزن الكبار 30ـ50 گراما وتبلغ بسطة الجناحين 40 سم. الذيل مشعب قليلا وقصير، تعيش في أسراب متعددة الأفراد وأحيانا مزدوجة وتألف الصخور والأجراف وجدران القرى والمدن وتبني العش على حاشية سقوف المنازل وبين صخور الأجراف. تتوالد بين مارس ويونيو وتبيض مرة في السنة 2ـ3 بيضات ناصعة البياض يبلغ طول قطريها 16 x 25 ملم وتزن 3,2ـ4,2 گرام، يحضنها الزوجان بالتناوب 16ـ21 يوما. تبقى الصغار بداخل العش 5ـ8 أسابيع ويقدم لهم الأبوان الأكل على شكل كريات صغيرة تتكون من 200ـ300 حشرة صغيرة. يتوالد هذا النوع في شمال المغرب وتونس والجزائر وفي أوربا ويهاجر إلى إفريقيا الوسطى والجنوبية في بداية أكتوبر ليقضي الفصول الباردة.

• السمامة الشاحبة تدعى علميا Apus pallidus وبالفرنسية Martinet pâle وبالإنجليزية Pallid Swift وبالإسبانية Vencejo palido وبالإيطالية Rondone pallido. تتوالد في المغرب بصفة منتظمة وهي نادرة جدا في أوربا،

سوداء المنقار واسعته، ريشها بني أسود على الظهر والجناحين والبطن وأبيض شاحب على العنق. كثيرة الشبه بالسمامة السوداء، ويصعب التمييز بينهما. يبلغ طول الجسم 16 سم وتزن الكبار حوالي 50 غراماً، وتبلغ بسطة الجناحين 40 سم. تعيش غالبا في أسراب متعددة الأفراد وتألف الصخور والأجراف وجدران القرى والمدن وتبني العش على حاشية سقوف المنازل العالية القديمة وبين صخور الأجراف. تتوالد بين مارس ويونيو وتبيض 2 ـ 3 بيضات ناصعة البياض تحضنها 19 ـ 20 يوما. يقضي هذا النوع فصلي الربيع والصيف في المغرب والجزائر وتونس وفي الشرق العربي وتركيا ويهاجر بعد التوالد إلى إفريقيا الوسطى والجنوبية في بداية أكتوبر.

• سمامة فلسطين تدعى علميا Apus affinis وبالفرنسية Martinet à croupion blanc وبالإنجليزية Little swift وHouse swift وبالإسبانية Vencejo real وبالإيطالية Rondone alpino. أصغر الأنواع حجما إذ لا يتعدى طول الجسم 12 سم وتتميز بذيل غير متشعب وببقعة كبيرة من الريش الأبيض على الردف. الريش على الظهر والجناحين بني شاحب إلى أسود. تتوالد في المغرب والجزائر وتونس وفي الشرق العربي وتركيا وتشتو على السواحل الأطلسية المغربية والجنوبية.

• سمامة بيضاء الردف تدعى علميا Apus cafer وبالفرنسية Martinet de cafrerie وبالإنجليزية White-rumped Swift وبالإسبانية Vencejo cafro وبالإيطالية Rondone cafro. أكبر بقليل من سمامة فلسطين وتختلف عنها في تشعب الذيل وفي صغر حجم البقعة البيضاء على الردف. يبلغ طولها 14 سم ومنها مجموعة كبيرة تتوالد في الأطلس المتوسط والكبير ولا وجود لها في أوربا والشرف العربي. تشتو في إفريقيا الجنوبية.

• سمامة السهول تدعى علميا Apus unicolor وبالفرنسية Martinet de plaine وبالإنجليزية Plain swift. أصغر من السمامة السوداء وريشها بني داكن موحد على الجسم. يبلغ طولها 15 سم ومنها عدة مجموعات تشتو على السهول الساحلية الأطلسية. لا تتوالد في المغرب ولا وجود لها في أوربا وفي الشرق العربي. تشتو أيضا على سواحل إفريقيا الوسطى والجنوبية.

تحظى طيور السمامة بعطف واحترام من الإنسان الذي يعتبرها من الطيور المقدسة كطيور خطاف الشعر فلا يؤذيها ولا يقترب من أعشاشها.

م. رمضاني، *خطاف الشعر*، *معلمة المغرب*، الجزء 11، ص. 3773 ـ 3774 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britan and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

السماهري، الطاهر بن محمد بن عبد الله الباعمرانتي، نسبة إلى السماهرة بأيت باعمران، وبذلك لقب واشتهر، وهو عالم أديب، قال فيه المختار السوسي : "أحد الأدباء العلماء الذين رفعوا راية العلم في أزغار اليوم ـ ضواحي تيزنيت ـ. وبهم بقيت هناك صبابة من العلوم والآداب لاتزال تدرس وتتداول، ولولاهم لأقفرت تلك البلاد من قبس يسترشد به الجيران". وكان هذا العالم يدرس بجد في مدرسة أگلو الوگاگية وله كتاب في ترجمة شيخه علي الدرقاوي.

توفي عام 1369 / 49 ـ 1950.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي في سوس* ؛ *المعسول*، 13 : 336، 345 ؛ *خلال جزولة*، 1 : 90 ؛ *أوراق أحمد أبي القاسم*، مخطوطة.

أحمد أبو القاسم

سمبل، صاموبل يهودي مغربي، من مواليد مدينة أسفي، عمل لحساب تاجر من مارسيليا. تمكن بعد استقراره بسلا من نيل الحظوة لدى السلطان محمد بن عبد الله العلوي، إلى أن أصبح دوره في العلاقات الخارجية المغربية أساسيا في ربط العلاقات مع إسبانيا والسويد والدانمرك والبرتغال. ودوره بارز أيضاً في المجال الدبلوماسي الخاص بالتفاوض في شأن العلاقات التجارية والتدخل في مسألة حدود الثغور مع حاكم سبتة والحكومة الإسبانية، على عهد كارلوس الثالث. كان من نتائج تلك التدخلات ظهور اتفاق 28 مايو 1767. استمر صاموبل سمبل في نفس المهمة خلال حياة السلطان محمد بن عبد الله، ثم انقطعت عنا أخباره بعد ذلك.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإسباني بمليلة* : عثمان المنصوري، *العلاقات المغربية البرتغالية*، أرشيف القنصلية البرتغالية بطنجة.

P. Grillon, *La correspondance du Consul Louis Chénier*, Archivo Historico Nacional de Madrid.

حسن الفگيگي

ابن **سمجون**، أسرة طنجية عالمة من قبيلة لواتة استقر فريق منهم بسبتة، وتوارثوا الفقه والقضاء بالمغرب والأندلس أجيالاً عديدة. وأول من لُقب منهم بسمجون هو عبد الملك بن إبراهيم والد محمد ومروان آتيي الترجمة. وفي هامش السفر الخامس من كتاب *الذيل والتكملة* بنقل محققه إحسان عباس لأحد النسابة السبتيين : "وبنو سمجون الطنجيون لواتيون، وابن الزبير وغيره من الأندلسيين ينسبهم "هلاليون" وليس بصحيح، ولهم عندنا بسبتة بقية".

ابن **سمجون، عبد الرحمن** بن علي بن عبد الملك اللواتي الطنجي. روى عنه ابنه عليّ آتي الترجمة : كان فقيهاً حافظاً : ولي القضاء بمكناسة مدة طويلة إلى أن توفي في حدود سنة 500 / 1107 (*المدارك*).

ابن **سمجون، عبد الله** بن علي بن عبد الملك الطنجي، لا تعرف له ولاية منصب قضاء ولاغيره، ولد سنة 444 أو آخر سنة 447. نسبه ابن الأبار في *التكملة* إلى عيسى بن صالح الهلالي، وكذا فعل ابن الخطيب في *الإحاطة* : لكن ابن الأبار عندما ترجم له ثانية في الغرباء *بالتكملة* نسبه لبني سمجون اللواتيين. روى عن أبيه علي وعن عمّه مروان وغيرهما.

كان فقيها حافظاً للفروع، وقد أقرأها بغرناطة، وبها تفقّه عليه أكثر شيوخها، وصفه ابن الأبار بكونه من جلة العلماء وحفّاظ المسائل ؛ ولاّه يوسف بن تاشفين قضاء الجزيرة الخضراء، ثم نقله إلى قضاء غرناطة في شعبان سنة 490 (في *الاحاطة* عام 470 ولعله مجرد خلط بين الرقمين : تسعين وسبعين)، وخلال سنة 503 شارك في غزوة طلبيرة مع الأمير علي بن يوسف، واستمر في قضاء غرناطة إلى 20 من ربيع الثاني سنة 508 حيث استعفى، فولي قضاء تلمسان وبها توفي سنة 524 / 1130، وبقي عقبه بغرناطة.

ابن **سمجون، عبد المنعم** بن مراون بن عبد الملك، كنيته أبو محمد، روى عن ابن عم أبيه القاضي عبد الله بن علي ابن سمجون سابق الترجمة وعن القاضي أبي بكر بن العربي وغيرهما *صلة الصلة*، وهو فقيه جليل نبيه ذكيّ ولي قضاء إشبيلية ثم نقل إلى قضاء غرناطة خلال عهد الأمير المرابطي علي بن يوسف، ثم نقل إلى قضاء ألمرية سنة 517. كان عادلا في حكمه، لا تأخذه في الله لومة لأئم، فاشتدّ على أهل الفساد، ثم أعيد إلى قضاء إشبيلية فغرناطة، ورفض الأمير إعفاءه من قضائها لما استعفى.

أصاب الناس قحط أيام قضائه بغرناطة سنة 524 فاستسقوا به فسُقوا. وبعدها انتقل إلى ألمرية فتوفي بها في شهر شعبان عام 524 / يوليوز - غشت 1130.

ابن **سمجون، علي** بن **أبي بكر** بن عبد الرحمن، جعل ابن الخطيب نسبه هلالياً ووصفه بكونه "شيخاً جليلاً عارفاً نبيلاً ... من بيت حسب وعلم ودين ... وكانت له كتب كثيرة" ؛ وقد أورد إحسان عباس في تحقيقه للسفر الخامس من كتاب *الذيل والتكملة* أنه وجد بهامشه ترجمة لأبي الحسن بن سمجون لأحد النسابة السبتيين ورد فيها ما يلي : "علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي بن سمجون ... منكبيّ، طنجي أصل السلف : لقي أشياخا جلة وأخذ عنهم، وكان فقيها عارفا جليلا، ذا مروءة كاملة وحسن خلق، وكانت له خزانة كتب حافلة".

ومن غير المستبعد أن يكون هو نفس الشخص الذي ذكره صاحب *مفاخر البربر* بصيغة "ابن سمجون قاضي المنكب" ووصفه بكونه عالي الرواية.

توفي بمدينة المنكب بالأندلس - وشك ابن الخطيب في ذلك - صباح يوم الثلاثاء السادس من رمضان عام 596 / 20 يونيه 1200.

ابن **سمجون، محمد** بن مروان ؛ فقيه زاهد، ولي قضاء مكناسة لكن لم يمكنه الاستمرار لشدته في الحق، فنُقل إلى قضاء ألمرية فعدل في أحكامه أيضاً فلم يقدر مع فساد الزمان على الاستمرار، فارتحل إلى مراكش مستعفيا، غير أن أمير المسلمين علي بن يوسف المرابطي جعله على قضاء إشبيلية فاستعفى فنقل إلى قضاء غرناطة، فبقي بها إلى وفاته في الطريق عائداً من المرية في حدود عام 517 / 1124.

ابن **سمجون، مروان** بن عبد الملك بن إبراهيم اللواتي الطنجي، كنيته أبو محمد، ولد سنة 421 وتنقل في سكناه بين سبتة وطنجة، وتجول في طلب العلم، فأخذ عن بعض علماء الآفاق : سجلماسة والأندلس ومصر ؛ فتنوعت معارفه وأصبح من أهل العلم والفقه والأدب، وصفه القاضي عياض بزعيم المغرب وشيخه. ومن قصيدة لبعض تلامذته قالها فيه :

وضمّ إلى الرأي متن الحديث   وعلم الكلام وفهم الجدل

اشتغل بالإقراء بسبتة في أول أمره وخاصة تدريس *المدونة*، ثم ولي الفتيا والخطبة والصلاة بها أيام البرغواطيين، ولما دخل يوسف بن تاشفين سبتة دعاه للقضاء بها فامتنع، وانتقل إلى طنجة فكلفه بالقضاء فيها إلى جانب الخطبة والصلاة، ثم أسند إليه أمور القضاء في المغرب والأندلس مفوضاً إليه في ذلك ؛ وكان صلباً في دينه، مهيب الجانب، يدعى بالفقيه.

أخذ عنه أبناؤه الفقهاء، وخلفه منهم ثلاثة على قضاء طنجة : عبد الخالق بن مروان أكبر الأبناء، ولي قضاء طنجة مكان أبيه، وكان محمود السيرة، توفي بطنجة ؛ وعبد الوهاب بن مروان، ولي قضاء طنجة بعد أخيه عبد الخالق، وكان لا يخاف في الله لومة لائم، توفي أيضاً بطنجة ؛ وعبد الرزاق بن مروان، حصل علوما متنوعة منها الفرائض والحساب والآداب، ولي قضاء طنجة وبقي بها قاضيا إلى وفاته كذلك *(المدارك)*. كما تتلمذ على أبي محمد مروان بعض شيوخ القاضي عياض.

توفي مروان بطنجة يوم الأربعاء 20 رجب سنة 491 / 23 يونيه 1098.

القاضي عياض، *الغنية*، ط. بيروت، 1982، 197 - 198 ؛ *المدارك*، تح. س. أعراب، المحمدية، 1983، جزء 8 : 177 - 178 ؛ ابن الأبار، *التكملة*، تح. الهراس وس. أعراب، بيروت، د. ت. ق 2 : ص. 253 - 303 - 304، ق 3، ص. 153، ق 4، ص. 130 ؛ م. ابن ع. الملك، *الذيل والتكملة*، تح. إ. عباس، بيروت، 1965، 5، ق 1، ص. 192، 3 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، تح. ع. السلام الهراس وس. أعراب، المحمدية، 1993، ق 3، ص. 6، العدد 64، ق 4 : 24. 154 - 155 ؛ ابن عذاري، *البيان*، 4، تح. إ. عباس، بيروت ؛ مجهول، مفاخر البربر، ص. 210، ضمن كتاب ثلاثة نصوص عربية

عن *البربر في الغرب الإسلامي*، تح. م. يعلى، مدريد، 1996 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. ع الله عنان، القاهرة، 1977، 4 : 185 . 186 ؛ ع. السلام شقور، *ملحق الإحاطة*، طنجة، 1988، ص. 80 . 213.

أحمد عزاوي

سمبسون جيمس (James Simpson) قنصل أميركا بجبل طارق. على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله عندما اعترف المغرب باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية في 20 دجنبر 1777. ولم يتم توقيع أول اتفاقية سلم بين البلدين إلا في 26 دجنبر 1786، وهي الاتفاقية التي صادق عليها الكونغريس في السنة الموالية، ولم يعضدها أي تمثيل دائم لأمريكا بالمغرب. وفي سنة 1795 دعا السلطان المولى سليمان الأقطار الأجنبية إلى ضرورة تجديد اتفاقياتها، لكي يتم السماح لسفنها بالمرور عبر المياه الإقليمية المغربية، ولهذا الغرض قررت واشنطن في 28 ماس 1795 أن تدخل في مفاوضات مع دولة المغرب، وعينت لهذه المهمة قنصلها بجبل طارق جيمس سمبسون. وقد وصل هذا المبعوث الأمريكي إلى طنجة في يوليوز من نفس السنة لتجديد اتفاقية 1786، وقدم بعد ذلك الهدايا للعاهل المغربي كما تقتضيه الأعراف الدبلوماسية. واستمرت المفاوضات مدة شهرين. وبعد أخذ ورد بشأن تحديد شروط الاتفاقية تم توقيع المعاهدة بين البلدين، وتكفل سمبسون بإبلاغ رسالة السلطان المغربي إلى الرئيس الأمريكي لتأكيد استمرار أواصر المحبة والصداقة بين القطرين.

وتمّ عقب ذلك تعيين جيمس سمبسون قنصلا دائما لأمريكا بالمغرب ما بين 1797 و1820، وهي مدة طويلة إذا ما قورنت بقصر الفترات التي سيقضيها من سيتولى المهام القنصلية فيما بعد. وترتبط أسباب ذلك إجمالا بضعف الراتب ورداءة المسكن حيث يقيم القناصلة الأمريكيون. وقد عرفت العلاقات المغربية الأمريكية توترا حادا أثناء أداء سمبسون لمهامه، ومرد ذلك محاصرة الولايات الأمريكية لطرابلس سنة 1801، وإعلان المولى سليمان تضامنه مع ليبيا ورغبته في إرسال بعض السفن المحملة بالحبوب إليها. وإمام رفض القنصل سمبسون تسليم جوازات سفر لتلك السفن تم طرده ليتم بعدئذ إعلان الحرب مباشرة ضد أمريكا. وكان رد فعل واشنطن قويا على هذه التطورات إذ احتجزت سفينتين مغربيتين، اضطر معهما المغرب إلى الجنوح إلى السلم وقبول وساطة الإنجليز لتسوية النزاع سنة 1803.

م. بنهاشم، *العلاقات المغربية الأمريكية، دراسة في تاريخ التمثيل الدبلوماسي الأمريكي بالمغرب*، 1786 . 1912، أطروحة دكتوراة الدولة، تاريخ كلية الآداب ظهر المهراز . فاس، 1999 . 2000 ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم*، المجلد التاسع : المنصور، *أمريكا الشمالية والمغرب*، *معلمة المغرب*، الجزء 3.

J. B. Bookin - Weiner and M. El Mansour (éd.), *The Atlantic Connection*, Rabat, 1990 ; R. Irwin, *The Diplomatic Relations of the United States with the Barbary Powers*, 1931.

خليل السعداني

السَّمْعاني، محمد الحاج الأبر الشيخ الصوفي المشهود له بالخير والصلاح، من أصحاب الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري. والسمعاني نسبة إلى سَمعان ولا أدري من هو هنا.

أثنى عليه عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في *ابتهاج القلوب*، فقال : و"منهم ـ أي أصحاب الشيخ أبي المحاسن. السيد الفاضل، السالم الديّن، الحسن النية، القاطع للطمع في المخلوقين، الحاج الأبر، أبو عبد الله محمد السمعاني التطاوني، من فقراء أهل الحزب هناك. ومن المشهود لهم بالفضيلة، المشهورين بالخير والصلاح، توفي سنة تسع عشرة وألف".

وذكر محمد بن الطيب القادري في *نشر المثاني والتقاط الدرر* أنه توفي عام 1015 / 1606 وذكر مرة أخرى في *النشر* أنه توفي عام 1019 / 1610.

ووقع في نفس الاضطراب أيضا المستشرق كرول في ترجمته للنشر.

قال محقق *التقاط الدرر* : لعل الأرجح أنه توفي عام 1019 / 1610.

م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1 : 156 ؛ *التقاط الدرر*، الرباط، ت. العلوي، ص. 48 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط : ع. الرحمن الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط : م. داود، *تاريخ تطوان*، طبع تطوان، 1 : 321.

محمد بوخبزة

السمك أو الأسماك، طائفة من الحيوانات الفقارية تعيش في مختلف الأوساط المائية وتتميز بتنوع كبير في أشكالها ومقاييسها وألوانها وعاداتها وقدرتها الحسية. تسميه العامة الحوت في شمال إفريقيا، والحوت في اللغة السمك وقد غلب على الكبير منه والحيتان ليست من الأسماك بل من الثدييات البحرية (انظر مادة الحوت والحيتان في *المعلمة*).

والسمك رأس وجذع وذيل ولا رقبة له، ينتهي الرأس حيث ينتهي غطاء الغلاصم ويندمج عضل الجذع في عضل الذيل فلا يكاد يتضح بينهما فاصل. من بين خصائص الأسماك الجسم المغزلي وطبيعته الهيدروديناميه التي تساعد على التنقل السريع مع توفير كبير للطاقة وتنفسه الأوكسجين الذائب في الماء بواسطة فتائل تضمها أنسجة مقوسة تدعى الخياشيم وتنقلاته بواسطة ذيل وزعانف تختلف كما وكيفا حسب الأنواع. تستعمل الزعانف الصدرية والبطنية للغوص والتوجيه والموازنة وتستعمل الزعانف الظهرية للتثبيت والاستقرار. يقع الفم في الرأس ويحتوي على أسنان بدون جذور وعلى لسان قصير يحمل أسنانا عند بعض الأنواع. تقع العينان عادة على جانبي الرأس أو على الظهر كما هو الشأن بالنسبة لسمك موسى والراية والرعاد والترس. تدرك الأسماك تغيرات الضغط واهتزازات الماء بواسطة الخط الجانبي فتحس بالحواجز الطارئة وتتجنبها.

الجلد مغطى على العموم بحراشف يختلف حجمها وشكلها حسب الأنواع وهي قشور تنبت في نظام وتشكل خطوطا طولية متوازية كما أنها تتركب من حلقات بعضها فوق بعض تعبر كل حلقة منها عن مبلغ النمو كل سنة فيعتمد الدارسون عليها لمعرفة عمر الأسماك. تملك معظم أنواع الأسماك مثانة سابحة على شكل جراب بداخله غاز شبيه بالهواء تفرزه غدة تسمى الجسم الأحمر. والمثانة عضو هيدروستاتي يضمن التوازن والضغط المائيين بالقدر المطلوب، تمتلئ بالغاز فتصعد السمكة إلى السطح والعكس بالعكس كما أنها تستعمل لدى بعض الأنواع للتنفس فترة من الزمن خارج الماء. تعوز هذه المثانة عدة أنواع نذكر من بينها سمك القرش الذي يملك ما يغني عنها : كبد كبير مليئ بالزيت يساعد على الطفو.

موطن الأسماك الملونة بحار المناطق الحارة التي تتوفر على صخور مرجانية ملونة وتفتقر السواحل المغربية لهذه الأنواع.

الأسماك على جنسين منعزلين على العموم لا يتصلان عند الإخصاب وتتوفر بعض المجموعات الخنثى على مناسل أنثوية وأخرى ذكرية في آن واحد. تتجمع الأعداد الكثيرة من الذكور والإناث في أماكن التوالد فتزخر المياه بالخلايا التناسلية من الجانبين ويتم الإخصاب في المياه المكشوفة. يختلف التكاثر الجنسي حسب الأنواع فمنها البيوضة أو السروءة تبيض ومنها السرلودة (البيوضة الولودة) تحضن بيضها داخل بطنها إلى أن يكتمل نمو صغارها التي تقتات من مح البيض نفسه كما هو الشأن عند عدة أنواع من سمك القرش.

تنقسم الأسماك إلى مجموعتين : الأسماك الغضروفية أو الشلقيات والأسماك العظمية أو العظميات. تعتبر الأسماك الغضروفية من الأنواع البدائية لا تتوفر على هيكل عظمي وتنقسم بدورها إلى رتبة القرشية ومنها أنواع سمك القرش وأبو منشار ورتبة الشفنينيات المتميزة بغرابة أشكالها وكثرة تنوعها ومنها أنواع الراية والرعادة.

تنتمي أغلبية أنواع الأسماك بالسواحل المغربية إلى العظميات التي تنقسم بدورها إلى عدة رتب وفصائل منها الصابوغيات التي تضم السردين والشابل والرنجة ومنها أيضا الاسبوريات والسلمونيات والأنقليسيات وغيرها من الفصائل وردت عدة أنواع منها بالتفصيل في هذه *المعلمة*.

البحار والمحيطات والبحيرات القارية والأنهار بيئات متعددة وأعماق متفاوتة وحرارات متباعدة لها تأثيرات بالغة على العادات ونمط العيش وشكل الأنواع وألوانها، نتج عن هذه العوامل تنوع حيوي مرتفع إذ تم جرد حوالي 25.000 نوع من الأسماك في العالم، من بينها ما يقرب من 1.200 نوع تعيش في المياه المالحة والعذبة المغربية. تستغل من بينها أزيد من 330 نوع في قطاع الصيد البحري نذكر من بينها السردين والشابل والميرو والأنشوفة وسمك النازلي والشرن واللاتشا والتون والإسقمري والروجي والروبيو والصول وغيرها.

أدت الانعكاسات السلبية الناتجة عن تلوث الأنهار والشواطئ ومجهودات الصيد المكثفة على السواحل المغربية من طرف الأساطيل الأجنبية والوطنية إلى انهيار بليغ في معظم المخزونات السمكية في المياه الإقليمية، تضرر بفعلها حوالي 90 نوعاً تتصدرها أنواع الشابل والسردين والأنكليس والميرو.

يبين الجدول الكميات السنوية للأسماك الساحلية المصطادة في السواحل المغربية خلال السنوات الأخيرة :

الكمية بالطن / السنة	1994	1995	1996	1997	1998	1999
الأسماك الساحلية السطحية والقاعية	609952	728722	525022	661646	607129	622160
أسماك أعالي البحار	39200	13938	13280	38178	3393	23419
السردين	463681	570914	393362	497821	436048	430715
إسقمري . ماكرو .	39195	30106	16988	28775	11622	18035
الأنشوفة	7894	11181	12447	24955	40992	40220
الشرن	29468	30475	15471	12512	9936	12799
التونيات	3212	6305	5727	8780	8605	6715
الدرعي . القاروس	107	80	167	153	138	169
الزريقة . دنيس	127	138	229	111	133	147
الروبيو (دجاج)	1823	2012	2286	2216	2834	3160
سمك النازلي . ميرلا	4910	5491	2750	2074	1070	1988
القرب	1385	904	869	1542	1263	2462
الباجو	7655	7568	6971	7876	7456	7228
سمك موسى . الصول	1407	1545	1340	1675	1543	2622
الأنقليس	85	55	29	21	27	28

الأمير مصطفى الشهابي، معجم *الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، ط 3، 1988 : أمين المعلوف، معجم *الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, Rome. FAO, 1998.

محمد رمضاني

سلالة (قبيلة) ← **إدا وْسملال**

السملالي، إبراهيم بن **بلقاسم** من العلماء السوسيين الذين لهم ضلع في علم الحساب، ألّف في ذلك منظومة تعرف "*بالسملالية*"، وهي مشهورة كان يدرس بها في المدارس السوسية إلى عهد قريب. فقد انحدر من بيت تسلسل فيه العلم والصلاح، وله أخ إسمه يعزى بن بلقاسم، وهو عالم كبير أيضاً.

توفي إبراهيم في أواخر القرن التاسع (15 م).

م. المختار السوسي، رجالات *العلم العربي في سوس*، طنجة، 1989 : سوس *العالمة*، ص. 177.

أحمد أبو القاسم

السملالي، إبراهيم بن **محند** بن محند مكررا، قال عنه مؤرخ أسرتهم العدل سيدي إدريس : الأستاذ العالم

السالم سيدي إبراهيم... كان عالما مدرسا مشاركا في العلوم كلها، ربّانيا... يُلقب "بأقْرَبْ" لكثرة حفظه للقرآن وللعلوم: عقليها، ونقليها... يقضي ويشارط. وسبب انتقاله من سملالة هو الوباء الواقع سنة 1214 هـ، فاستقر ببني بعمرانة، حيث بنى داره ومسجدا أمامها، (*المعسول*، ج. 12، ص. 299).

ووصفه الإگراري *روضة الافنان* (ص. 217) بقوله: وأما سيدي إبراهيم - أقْربْ - فهو ولي كبير، كما شهد بذلك غير واحد...

أورد المتوكل عمر الساحلي، أن سيدي إبراهيم بن محند - أقربْ - من الذين شارطوا في مدرسة الخميس بأيت بوبْكر، وهو نزيل - إدْوَانْكيضا - بالساحل.

أقول: زرت موضع إسملالن عدة مرات، ومازال الفقهاء والمدرسون فيهم، وقد عمروا بالتعليم المدرسة العتيقة - بتيغانيمين - حتى الأن، ولهم مجموعة من المخطوطات في الأمهات الفقهية والعربية.

توفي بأيت باعمران سنة 1243 / 27 - 1828.

إ. السملالي، تقييد في *رجال سملالة*، مخطوط؛ الاگراري، *روضة الأفنان*، تح. حمدي أنوش، أگادير: ع. المتوكل الساحلي، *المدارس العلمية العتيقة بسوس*، ج 3: 360؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، المحمدية، ج 12: 299؛ ح. جهادي، جانب من *تاريخ أيت باعمران*، مخطوط.

السملالي، أحمد بن **إبراهيم** الباعمراني، من قبيلة أيت إخلْفْ، وله أخوان: علي بن إبراهيم، سافر إلى فاس، فجاور هناك حتى تفوّق (*المعسول*، ج. 12، ص. 301)، وله رسالة من فاس إلى أهله تعد من أهم النصوص التاريخية في بابها والأخ الثاني هو مَحند بن إبراهيم أقْرَب قال عنه صاحب المعسول: أتقن القراءات وألمّ بمعلومات توفي سنة 1350.

أما المترجم فكان كنور على علم وعلى سوس كلها، وليس كنار كما يقال، قال عنه المؤرخ أرفَاكْ: "الفقيه النازلي، البياني المنطقي الأصولي، أبو العباس، سيدي أحمد ابن إبراهيم السملالي... كان رحمه الله عالما صالحا كاملا، تقيّا كبيرا صوفيا شهيرا فقيها دينا خيرا ناسكا بينا، فاق أهل عصره تحقيقا، وفي المسائل تدقيقا...

أخذ عن أشياخ فاس... وعليه تدور أحكام سوس، وبالحق الصميم بسوس، لا معارض حقا لفتواه، ولا مقارع لفحواه... يُعمّر مجالسه بالفوائد، بعد أن ملأها بالموائد"... (*روضة الأفنان*، ص. 215).

وقال عنه صاحب المعسول: "هو ثالث أولئك الإخوة، وياقوتتهم بل ياقوتة العلماء كلهم (بسوس) أخذ أولا عن العربي الأدوزي، ثم استتمَّ بفاس... وكان يديم نسخ الكتب، وقد خلف خزانة عظيمة ذهبت نهبا لجيش ابن دحّان (*المعسول*، ج. 12، ص. 303).

و"كان يحضر مجالس المولى الحسن في سنة 1303، فجرت يوما مذاكرة في المنطق، فأفاض فيه بما يحفظه، فانقطع دونه منْ حضر... وفي تلك الليلة مات فجأة، فنشأت خرافة أن العلماء من حاشية السلطان قتلوه". (*رجالات العلم العربي في سوس*، ص. 143).

أقول كان هذا الفقيه مصاحبا لجدي القائد أحمد الخلفي وبفضل ذلك اطلعت على بعض أحكامه، من ذلك حكمه بين القبيلة وآل با الشيخ.

أما الإطراء الذي أورده الإگراري فليست فيه مبالغة. ومن شك في ذلك فليراجع كلا من المجموعة الفقهية الإلغية، وكذلك المحاورة بين مترجمنا هذا، وشيخه الأدوزي، حول - غابة باحْمان - في الموضع إيسْك بأيت باعمران، وقد اطلعت على نسخ من تلك الأحكام لدى عائلة - حْمايْدَوْش الباعمرانية - (*المعلمة*، ج. 11، ص. 3578)، وكذلك *المدارس العلمية العتيقة بسوس*، ج. 3، ص. 363 المتوكل عمر الساحلي، ومهما قيل: فإن سمعة هذا الفقيه بين العامة والخاصة، وعلمه الغزير في المنقول والمعقول، وما عرف به من كرم الضيافة وأصاله مَحْتده، والظروف السياسية في ذلك الوقت، هي التي تضافرت كلها مع انتهاء الأجل، في تعجيل موته.

وما سجلنا هنا إلا ما اطلعنا عليه، أو سمعناه، وما كنا للغيب حافظين.

المصادر المذكورة داخل النص.

الحسين جهادي الباعمراني

السملالي، أحمد بن **الطاهر**، أصله من مدينة أزمور، وتلقى التعليم بمراكش على يد علمائه. ثم اشتغل بنسخ الكتب إلى أن رجع إلى بلده فصار كاتبا لعامل أزمور والجديدة الحاج موسى بن محمد الغربي، ولما توفي هذا سنة 1263 / 1847 أصبح السملالي عاملا مكانه، فدامت ولايته إحدى عشرة سنة أي إلى سنة 1274 / 1858، وفيها عُزل وأودع السجن لأنه يروى أنه اشتط في حكمه مثل سلفه، وسطا على أموال الدولة والخواص، حتى كرهه الناس وسموه "سَمْ يْلالي" أي "سُمّ يضيء"، ويقال إنه وجد عنده يوم اعتقاله نحو من ثلاثة ملايين ونصف مليون ريال. ولكنه بعد ذلك استعمل على مراكش، وأدى على ما يظهر الغرامة التي يفرضها المخزن عادة على الولاة الفاسدين أو المتأثلين بدون حق. انتقل إذن إلى مراكش فوصفه العباس ابن إبراهيم السملالي بأنه كان "فقيها متضلعا نبيها ذا سمت حسن، مهيبا وقورا، جميلا في الهيأة والملبس، رفيع الهمة، ذا شيبة حسنة، وله خط رائق وإنشاء فائق".

مكث في ولايته أربع سنوات من 1863 إلى 1866 وهي سنة وفاته. فلما مات أمر السلطان بإحصاء متخلفه فحيز ولم يبق شيء لأولاده الذين انتقلوا إلى الجديدة فصاروا فقراء مهملين.

ومما يذكر عنه أنه كان يتعاطى تجارة التصدير، فكان يطالب من التاجر الفرنسي المستعرب پول لامبير P. Lambert المقيم بمراكش والجديدة أن يترجم له الجرائد لمعرفة أسعار المنتجات القطنية وغيرها.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 416 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 3 : 969 ، 1120 ، 1135 ؛ *الوثائق*، 4 : 214 ؛ *وثائق مخزنية*.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 129 : 3 : 29 - 138 ; *Villes et tribus du Maroc, Doukkala*, tome II, 170.

مصطفى بوشعراء

السملالي، الحسين بن **محمد** بن عبد الرحمان وقد سقط اسم والده محمد في *إتحاف المطالع*. وفيه أنه "كان فقيهاً مدرساً مفتياً، أكثر تدريسه مع طلبة البادية، ملازماً لضريح المولى إدريس بن إدريس بفاس". وهو مؤلف كتاب *الفتوحات الوهبية في سيرة مولانا الحسن السنية ومفاخر اختراعاته البهية*، تناول فيه مجمل الأحداث التي وقعت في عهد السلطان الحسن الأول، ويبدو من السرد أن المؤلف كان معجبا بسياسة هذا السلطان، وأنه ربما كان من بين العلماء المقربين من المخزن بفاس. والكتاب مازال مخطوطاً بخزانة مؤسسة علال الفاسي وتتضمن هذه النسخة رسالة لنفس المؤلف بعنوان *ذكر الخبر عمن فارق الجماعة واستعان بالكفرة* (16 ص) وهو جواب على سؤال وجهه السلطان الحسن الأول إلى علماء المغرب حول قضية حماية شيخ الزاوية الوزانية الشريف عبد السلام الوزاني بفرنسا سنة 1300 / 1883. تبنى السملالي في رسالته تكفير الوزاني بترجيحه لبعض النصوص والأحكام، وبين أضرار الحماية الفرنسية على الدولة المغربية. وتابع المؤلف تطور قضية الشريف إلى غاية ظهور أسباب فشله وبداية عزلته، وأشاد بالأسلوب الدبلوماسي المعتمد من طرف السلطان في حل المشكل.

توفي بفاس يوم الأربعاء ثاني عشر جمادى الثانية سنة 1309 / 13 يناير 1892. ودفن بضريح الشيخ أبي عبد الله الخياط بالدوح.

ح. السملالي نفسه، *الفتوحات الوهبية في سيرة مولانا الحسن السنية ومفاخر اختراعاته البهية*، مخطوط، خ. مؤسسة علال الفاسي، رقم 314 ع ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، 1989، الجزء الثاني، ص. 96 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 2787.

محمد عمراني

السملالي، عبد اللطيف، ولد بمدينة أزمور بإقليم الجديدة سنة 1357 / 1938، وكان أكبر إخوته السبعة، تلقى تعليمه الابتدائي بأزمور والثانوي بالدار البيضاء قبل أن يرحل إلى سوريا لمتابعة دراسته الجامعية ضمن الرعيل الأول في عهد الاستقلال للبعثات الطلابية التي كانت تلتحق بالبلاد العربية قصد الدراسة.

وبعد حصوله على الإجازة في الحقوق عاد إلى أرض الوطن ليلتحق بسلك المحاماة ابتداء من سنة 1965، بعد أن تلقى تدريبه المهني في مكتب النقيب المعطي بوعبيد، وظل يشتغل بالمحاماة إلى غاية سنة 1981، حيث تم تعيينه كاتبا للدولة في الشبيبة والرياضة في الحكومة التي كان يرأسها المرحوم المعطي بوعبيد.

وفي 30 نونبر من سنة 1983 عين عبد اللطيف السملالي وزيرا للشبيبة والرياضة، ليظل في هذا المنصب رغم تعاقب الحكومات طيلة أثنتي عشرة سنة وإلى غاية 10 غشت من سنة 1992.

كان عبد اللطيف السملالي من ضمن المجموعة القليلة التي بادرت إلى جانب المعطي بوعبيد إلى إنشاء حزب الاتحاد الدستوري سنة 1983، علما أنه كان أيضا من قياديي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

وقد انتخب عبد اللطيف السملالي عضوا في أول مكتب تنفيذي للاتحاد الدستوري منذ المؤتمر التأسيسي المنعقد بالدار البيضاء في أبريل من سنة 1983، وظل عضوا قياديا في الاتحاد الدستوري إلى أن انتخب أمينا عاما للحزب في المؤتمر الاستثنائي المنعقد بتاريخ 10 ماي من سنة 1998 بالدار البيضاء.

وكان السملالي نائبا برلمانيا على دائرة أزمور لولايتين تشريعيتين، كما كان رئيسا لجهة عبدة دكالة منذ أكتوبر 1997. كما شغل عدة مناصب، وتحمل عدة مسؤوليات وطنية ودولية في المجال الرياضي، فقد شغل منصب رئيس الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم على الصعيد الوطني. كما شغل منصب الرئيس الأول للاتحاد العربي للرياضة، وكان عضوا في الإدارة العامة للألعاب العربية الثالثة لسنة 1961، وذلك على الصعيد القومي. أما على الصعيد الدولي فقد عين السملالي عضوا في اللجنة التقنية للجامعة الدولية لكرة القدم، وعضوا معينا من طرف اللجنة التنفيذية في اللجنة التنظيمية لكأس العالم لكرة القدم خلال دورتي 1994 و1998.

توفي عبد اللطيف السملالي يوم الجمعة 24 شوال عام 1421 / 19 يناير 2001 مخلفاً ثلاثة أولاد وبنتا واحدة.

معرفة شخصية ؛ وثائق عائلية وإدارية.

حمزة الكتاني

السملالي، علي بن مَحمد السوسي الفاسي، حلاه في *إتحاف المطالع* بأنه "كان عالماً نحوياً مشاركاً أديباً يقول الشعر. له شرح على *ألفية ابن مالك* ؛ ومعارضة *همزية البوصيري* واشتغل أيضاً بتدوين تاريخ المغرب السياسي على عهد السلطان الحسن الأول وهو من المعجبين بالعهد الحسني. له مؤلفات عديدة أهمها *مطالع الحسن واتباع السنن، بطلوع راية مولاي الحسن*، دون فيه أخبار السلطان المذكو إلى أيامه. وتتخلل الموضوع الرئيسي استطرادات كثيرة مفيدة. وكتاب *مطالع السعادة في فلك سياسة الرياسة*، استعرض فيه قواعد السياسة السلطانية بشكل عام وسياسة السلطان مولاي الحسن الأول بشكل خاص، وهو مخطوط توجد نسخة منه بالخزانة الحسنية رقم 11445. وتأليف *منتهى النقول ومشتهى العقول*، وهو عبارة عن رحلة تمت في إطار البعثة التي وجهها السلطان الحسن الأول برئاسة أخيه الأمير عرفة وكان المترجم المؤلف من بين أعضائها إلى منطقة وجدة لمراقبة الحدود بين المغرب والجزائر سنة 1301 ـ 1884. وله رسالة بعنوان *عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة* كجواب على سؤال السلطان الحسن الأول حول الحكم الشرعي في توظيف المعونة لأجل تحديث الجيش.

نظم علي السملالي قصائد عديدة في مناسبات مختلفة مدح بها نفس السلطان *كالفتح الرباني الذي يطمع فيه الأول والثاني*، نظمها بمناسبة الرحلة الحسنية إلى جبال الأطلس المتوسط سنة 1305 / 1886، وأخرى بعنوان *نهاية المقول في تنبيه هم الفحول*.

توفي بفاس ليلة السبت تاسع وعشرى جمادى الثانية 1311 / 6 يناير 1894. ودفن بمطرح الأجلة بالقباب خارج باب الفتوح.

علي السملالي نفسه، *مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولاية الحسن*، مخطوط، خ. ح. رقم 11445 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2796 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الجزء الثاني، 1989، ص. 96.

محمد عمراني

السملالي، محمد بن **عبد الكريم**، شيخ القراء في سوس، أتقن العشرين وعلّمها، ولد بقرية أيت طالب إبراهيم بالأخصاص عام 1303 من أسرة تسلسل فيها العلم والصلاح، وينتهي نسبه إلى العباسيين السملاليين. أخذ القراءات عن المشاهير الكبار أمثال الشيخ أحمد بن ملود العبدلاوي الباعمراني في مدرسة الجمعة، ومحمد بن العربي الهواري بمدرسة سيدي بوالبركات، ثم أخذ معارفه عن الفقيه محمد بن إبراهيم في مدرسة سيدي إبراهيم بن علي 1328 وما بعدها، ثم شارط في مدرسة سيدي محند بن الحسن الأخصاصية منذ عام 1335 / 1917 يدرس القراءات بجد واجتهاد، وقل من لم يأخذ عنه من قُراء سوس وحاحة المشهورين.

توفي وهو يزاول التعليم بالمدرسة يوم 2 شوال 1387 / 2 يناير 1968، عن عمر يناهز التسعين.

أوراق صهره الأستاذ العبدلاوي يحيى الباعمراني، ومن خطه نقلت وفاته ؛ *روايات شفوية عن كثير من عارفيه من القراء والعلماء السوسيين*؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 113، 134.

إبراهيم الوافي

السملالي الهرواشي، محمد بن **إبراهيم**، من أسرة سملالية وگاگية تقطن بسوق جمعة إداوْسملال بالأطلس الصغير شرق مدينة تزنيت، وقد أقيم السوق الأسبوعي المذكور على جزء من أرض أجدادهم، ومازال من هذه الأسرة بقايا وأبناء عمومة بموطنهم الأصلي إلى اليوم.

ولد المترجم بقرية هرواش بأيت بعمران حوالي عام 1270/ 1853 وحسب الروايات الشفوية للأسرة طلبة ومسنين. فإن الجد الأعلى الذي نزح من الموطن الأصلي بسملالة إلى أيت بعمران بهرواش هو "السيد داود" الجد الثالث للمترجم، وقيل جده الثاني المدعو (إبراهيم)، وأيا كان منهما فإن سبب مجيئه هو ذهاب بعض أعيان أيت سيدي يوسف البعمرانيين إلى فقيه زاوية سيدي وگاگ بأگلو يطلبون منه أن يعين لهم طالبا من بين طلبته الحفظة لكتاب الله قصد المشارطة في مسجدهم بسيدي يوسف، فاختار لهم "داود" الوگاگي حسب ما أشير إليه، وكان من دواعي اختيار شيخه له ما ظهر عليه من صبر وتواضع، وتوقف أحواله وظروفه على ذلك التشارط؛ فما كان من أعيان أيت سيدي يوسف إلا أن أكرموا وفادته بعد أن تبين لهم جده وإخلاصه وتفانيه في القيام بالواجب من إقراء وتربية وتوجيه ولم شمل الجماعة على إعمار المسجد والعمل الجاد، فقاموا من أجل الإبقاء عليه عندهم بالمصاهرة معه وتزويجه منهم، ولما ولد له ولده البكر اتفقوا على أن يهبوا له أرضا صالحة للإقامة وشيء من الحرث، وخيروه بين جهتين إحداهما قريبة من موقع المسجد ومخالطة لهم والثانية نائية من مساكن الجماعة نسبيا، فاختار الجهة النائية حتى يحافظ على الاحترام بينه وبين جماعته، ومازالت تلك الأرض التي منحوه تدعى "بحيرة سيدي داود" إلى اليوم. ثم استقروا في السفح الجبلي المعروف بهرواش وهو جزء من جبل "تلو" الواقع على الطريق المعبدة اليوم، والرابطة بين أربعاء الساحل وسوق الحد "بيفورنا" و"تيغزى" على مقربة من موضع يدعى (تمكرضت نهرواش) أي رقبة هرواش.

وهرواش اسم لصخور حمراء بارزة هناك من جبل تلو، وفي أسفلها يقع منزل الوگاگيين السملاليين الذين عرفوا بالهرواشيين، وتكونت اليوم منهم ساكنة هناك يشكلون وحدة

سلالية ينتمي جميع أعضائها إلى جد واحد مشترك، ثم تفرعت منهم فروع أولاد وأحفاد، نساء ورجال أذكر من مواطنهم الرباط والبيضاء وأقرمود بالشياظمة، وأگادير، وإنزكان وأيت ملول وأكلميم وأيت عميرة بهشتوكة وتارودانت وغيرها...

نشأ محمد بن إبراهيم السملالي الهرواشي في حجر والديه على العفاف والصيانة والمحافظة على الأخلاق الكريمة، وكان والده من الأعيان يتاجر ويفلح الأرض ويرعى المواشي، واشتهر ببيعه للبارود، وتفرغ ولده المترجم في بداية الأمر إلى القراءة في المسجد ورعي الماشية ولما شب على الطوق قصد المدرسة البوبكرية بخميس أيت بوبكر التي كان قد أحياها وأنعشها سيدي حسين الشرحبيلي في جملة ما أحيا من المدارس والأسواق (*روضة الأفنان*، ص. 69). ثم انتقل إلى المدرسة البونعمانية بأيت بريم قريبا من تزنيت جهة الجنوب، فلازم شيخه مسعود بن محمد السملالي قبيلا، الطالبي إيعزا فصيلا نسبة إلى أيت الطالب إيعزا من تاجاجت بمجاطة وهو موطنهم الأصلي (*المعسول*، 13 : 20).

ومن أشهر تلامذة الهرواشي محمد بن أحمد الإكراري الرفاكي صاحب كتاب *روضة الأفنان*، ومحمد بن عبد الله بن برشيل الكلفاني، والجامع اليعزاوي، ومحمد بن علي البوكرفاوي، والفقيه المؤرخ محمد بن المؤذن السملالي (ت. 1339).

لا شك أن ولوع الفقيه الهرواشي بالتاريخ والتوثيق والتدوين والتدقيق في ذلك قد انتقل منه إلى تلامذته، وجاروه في ذلك، ومنهم من تفوق عليه وفاته بمزيد العناية والاهتمام مثل المؤرخ الإكراري، وكذا ابن المؤذن هذا، علما بأن الفقيه الهرواشي كان قد اهتم في كناشته بتسجيل أحداث عصره الخطيرة. وجاء ما كتبه غاية في الضبط والشمول والموضوعية مقارنة مع ما كتبه غيره في نفس الأحداث.

كوّن الفقيه السملالي الهرواشي نفسه تكوينا علميا وأخلاقيا أهله للظهور في الساحة العلمية بين أعلام وقته. وكوّن خزانة علمية عبثت بها الأيدي، فصارت أثرا بعد عَيْن، فوجدت من تلك البقايا رسوما تعكس ذلك الكد والجهد الذي بذله الفقيه الهرواشي شأن أي عصامي آخر الذي انطلق من بيت قفر من رائحة العلم والكتب، فما كان منه إلا أن صيره منتدى للعلم والعلماء، وزينه بخزانة طافحة بالنفائس والنوادر من المخطوطات والمطبوعات...

ومن آثاره العلمية *طرر على تفسير الجلالين* و*تقييده التاريخي* المركز الجامع والمانع لأحوال الحاحيين بسوس، خصوصا القائد سعيد الكيلولي (1314 ـ 1318)، وقد غطى الفقيه هذه الفترة تغطية شاملة لأثر هذه الحركات الخطيرة في سوس في العهد العزيزي.

توفي في رجب 1331 / يونيه ـ يوليوز 1913.

الاگراري، *روضة الأفنان*، الدار البيضاء، 1998 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 11.

إبراهيم الوافي

السمّ، كل ما يقتل أو يساعد على القتل باستعمال مواد تدخل جسم الإنسان إما بالأكل أو الشرب أو النفث. كان الأطباء العرب قد تعرفوا عن طريق ديوسكوريد Dioscoride وجالينوس Galieu من خلال أعمال الترجمة على "*كتاب السموم*" لأحد الهنود، ونهلوا منه بعض معلوماتهم عن السم. وأفرد ابن سينا القسم السادس من الكتاب الرابع من كتابه "*القانون*" لمبحث السم، وذكر اللسعات واللدغات المسمومة، وكذا السعار.

تقل المعلومات عن موضوع السم وآثاره في المصادر المكتوبة عن تاريخ المغرب، إلا ما كان من بعض الإشارات المتفرقة التي ترد عند وفاة أحد السلاطين مسموما، كما هو الشأن بالنسبة لإدريس الأول، أو بالنسبة لبعض حكام الدولة المرينية مما نجده في روضة النسرين.

وذكر لامبريير Lemprière الذي زار المغرب سنة 1789 أن السم كان شائعا بين الجواري وحريم السلطان، وأنهن كن يشترين الزرنيخ لاستعماله في التسميم، ويورد هذا الطبيب الأنجليزي أن إحدى زوجات السلطان سيدي محمد بن عبد الله كانت ضحية تسمم من بعض نساء البلاط الأخريات، فانتابتها اختلاجات وانحراف صحي ذبل على أثره جمالها واعتراها الوهن والهزال وتقلحت أسنانها، وأصبحت على شكل هيكل عظمي.

وأورد ليناريس Linares في ما كتبه عن رحلته مع مولاي الحسن إلى تافيلالت أن القائمين بأمر المحلة، اضطروا في المرحلة التاسعة من الرحلة (من تجام إلى الخوخات) إلى ترحيل الافراگ نحو منطقة أخرى، لكثرة ما رآه السلطان هناك من العناكب (بوصيحة) المعروفة بلسعاتها السامة القاتلة.

وأولت الحماية الفرنسية بالمغرب اهتماما كبيرا بموضوع السم، لكثرة ما كان يصيب جنودها ومعمريها من لدغات العقارب والأفاعي أو من تناول بعض النباتات السامة في بيئة مجهولة، فاتجهت إلى دراسة السموم بالمغرب أملا في درء ما قد تسببه من أخطار.

وكان من أشهر من تصدوا لدراسة السموم، أحد الصيادلة المتخصصين في العلوم الطبيعية، يدعى شارنو A. Charnot الذي كتب في سنة 1934 مقالا صنف فيه العقارب الموجودة بالمغرب، ثم أردفه في سنة 1945 بكتابه الشهير "مبحث السمامة بالمغرب *La toxicologie au Maroc*" وفيه صنف السموم إلى ثلاثة :

- سموم من أصل حيواني
- سموم من أصل نباتي
- سموم من أصل معدني

فأما السموم ذات الأصل الحيواني فتتضمن الذبابة الهندية، وبيض الحرباء بالإضافة إلى سموم العقارب والأفاعي والعناكب وبعض الزنابير. ويمكن هنا أن نفصل بين نموذجين من هذه السموم وهي الأفاعي والعقارب. ففيما

يخص الأولى أي الأفاعي، قام أحد المهتمين بهذا الميدان في سنة 1933 بمحاولة لتصنيفها فعدد خمسة عشرة نوعا، لم تكن كلها سامة ولكن معظمها يحتوي على لوزة رضابية لإفراز السم. وأهم هذه الأنواع وأكثرها سما :

ـ أفعى مونپوليي Montpellier ويصل طولها إلى 1،98م لونها مخْضر مع لطع سمراء، تعيش في الأحراش. وعندما تلدغ عضوا ينتفخ وتعتري صاحبه حمى واضطرابات عصبية.

ـ الناجا أو الصّل أوبوسكة عند عامة الناس، وهي سامة جدا تكفي بعض القطرات من سمها لقتل كلب في ربع ساعة. تعيش في سوس وما يتولاها من المناطق الصحراوية.

ـ أفعى لاتاست Lataste وتوجد في الأماكن الصخرية من الأطلس المتوسط، تعيش على القوارض، وسمها أقل خطرا على الإنسان والحيوان.

ـ أفعى مينوت Minute، رمادية ضاربة إلى الصُّهبة مع خطوط سمراء متموجة، تسكن المناطق الصخرية لسعتها خطيرة جدا، إذا لم تقتل الملسوع فإنها تترك آثارا على صحته.

ـ الأفعى اللاطمة Heurtante توجد في سوس، كثيرة السم وسمها يقتل في بضع دقائق وعلى الخصوص عندما يسري مع شريان رئيسي.

ـ أفعى ذات قرنين، وهذه تعيش في الصحراء، سمها خطير وسريع القتل، يودي بحياة جمل أو حصان في وقت وجيز.

أما العقارب فكثيرة بالمغرب قد تصل إلى ثلاثين نوعا منها الأصفر والأسود، وتتكاثر في ما بين ماي وأكتوبر من السنة، وغالبا ما تصنف العقارب إلى صفراء وسوداء.

فالصفراء على نوعين :

ـ Heterometrus maurus Linné : وتنتشر في ضواحي الرباط وأزرو ووزان وحتى مراكش وأوريكة.

ـ Buthus occitanus Amoreux : توجد في المناطق الساحلية وكذا في المناطق الداخلية من المغرب. كما وجدت في رمال شواطئ الرباط وفي منطقتي ولماس وأزرو.

وتكون لدغة العقرب الصفراء ذات مفعول محلي، تبدأ بألم حاد وسريع يشبه ما تحدثه لسعة الزنبور، ولا يتعدى اشعاع الألم المناطق المحيطة بالعضو الملدوغ، ثم يعود الشخص بعد 24 ساعة إلى حالته الطبيعية.

أما العقارب السوداء فهي أخطر من الصفراء حيث يشتمل سمها على عناصر أقوى من المواد الموهنة والمميتة، وهي نوعان كذلك :

ـ Prionurus tingitanus Pallary : وهذه قليلة الانتشار، وجد بعضها في خرائب حسان وشالة خلال فترة الحماية، ووجدت في مناطق ارتفاع 2000 م وفي تادلا.

ـ Prionurus Liouvillei Pallary : وينتشر هذا النوع بكثرة في مناطق زعير ـ أزمور ـ الحاجب، واد زم.

وتتسبب لدغة العقرب السوداء في ألم حاد جدا، فيشعر الإنسان أثناء دبيب السم في عضوه الملسوع كما لو أن النمل يمشي على ذلك العضو أو كأنما تسقط عليه قطرات من المطر البارد. وكلما سرى السم في أوصال الانسان اعترته اضطرابات معدية متباينة مع غزارة اللعاب والغثيان والقيء المرّي، بالإضافة إلى الإسهال المتكرر والعرق واطراب ضربات القلب. وقد يعود الملدوغ إلى حالته الطبيعية ما بين 24 و48 ساعة، كما قد يلقى حتفه من جراء اللدغة.

سموم من أصل نباتي

ـ تكّاوت : وهي نبات يشبه الصبار، وهو خطير بحيث إذا أصاب ماؤه العين تسبب في العمى. تستعمل النساء هذه المادة لإعطاء الشعر لونا فاحما، غير أنها مع الأيام تلحق الضرر بمنابت الشعر وتتسبب في التهابات بجلد الرأس. وتستعمل تكاوت كذلك كمادة للتسميم في إطار ما يسمى عند عامة الناس "التوكال"، إذ بمجرد وصولها إلى أحشاء الإنسان تنتفخ كليتاه وينتابه انحراف صحي يؤدي به إلى موت محقق.

ـ بيض الغول : ويسمى أيضا تفاح الجن، عبارة عن نبات تتوغل جذوره في التراب على شكل جسم الانسان. تستعمل النساء هذه النبات لزيادة الوزن وعلاج البرودة الجنسية. وإذا دُس لشخص في الطعام تسبب له في تسمم قد يودي بحياته. وقد وقعت في سنة 1932 حالة تسمم بسبب بيض الغول في معسكر من معسكرات الحاجب، ذلك أن أحد الجنود الفرنسيين أقدم على تقطيع أوراقه ليجعل منها سلطة مكان أوراق الخس ربما ظنا منه أنها نوع من الخس وبعد ساعتين من تناوله اعتراه دوار وقيء وجف ريقه ولم يعد يقوى على المشي مستويا، كما ثقلت أعضاؤه وعلت بصره غشاوة. ولم تغب عنه هذه الأعراض إلا بعد يومين من المعاناة، ولم يعد بصره عاديا إلا بعد ستة أيام.

ـ الداد : وهي جذور نبتة مشوكة، تستعمل كثيرا في "التوكال" حيث يصاب من دست له مع طعام بارتفاع في تحلون الدم (Glycémie) ثم ارتفاع كبير في ضغط الدم مع الوهن والاسترخاء وقد يصاحب ذلك انتفاخ في الدماغ وتشنج، وربما أدّى إلى الموت على إثر انحباس التنفس.

ـ شدق الجمل : كان يستعمل كدواء ضد التشنج والربو، كما استعمل كمادة مثيرة للرغبة الجنسية، لكنه مادة سامة يكفي قدر قليل منها للقضاء على حياة شخص.

سموم ذات أصل معدني

أورد شارنو Charnot أحد عشر نوعا منها، غير أن أشهرها :

ـ الرهج، أو الزرنيخ الأصفر، وهو حجر صغير ذو لون أصفر في حجم الحمص، وكان يستخدم في أغراض طبية لمعالجة الجرب والقضاء على القمل، كما كان يستخدم للتسميم والقتل، حتى إن عامة الناس تكاد تتفق على أن فعل "رهّج" يعني "وكّل" من التوكال، أي دس السم لأحد في الأكل أو الشرب.

ـ الزنجار أو صدأ النحاس، كان الناس يستعملونه لعلاج القروح وإبادة الحشرات والجرذان، كما استعمل سما قاتلا تكفي كمية قليلة منه لجلب الموت.

ـ الزواق : استعمله الأطباء القدامى في معالجة قروح الزهري، واستغله الكثيرون في تحضير وصفات الموت.

وقد شاع بين الناس استخدام السم لأغراض إجرامية في ما عرف "بالتوكال" و"هو كل ما يتم دسه للإنسان في الطعام من مواد سامة بغاية إلحاق الأذى به". وأشهر الأطباق الصالحة لدس السم هي :

ـ الكسكس : حيث أن طريقة تحضيره والمواد المكونة له بالإضافة إلى ذوقه، ميزات تجعله قابلا لاحتواء كل أنواع السم دون أن يتنبه لذلك أحد. ويشير شارنو في هذا الصدد إلى أنه عثر في معدة أحد ضحايا التوكال على قطعة من الرهج ذات لون أصفر في حجم جلبان مكسر.

ـ الحريرة : شكلت الحريرة بمذاقها اللذيذ وإقبال الناس بنهم على شربها، غذاءا مُسوّغا للسم، ويعود شارنو ليتحدث عن فحص قام به لحريرة تقيأها أحد المستهدفين حيث وجد فيها أطرافا من الرهج الأصفر. ولعل عبارة "شاربو في الحريرة" التي تتردد أحيانا عند عامة الناس مما يؤكد شيوع دس السم في الحريرة.

ـ الشاي والقهوة : مشروبان صالحان لدس السم لأن لونيهما يخفيان ما قد يشوبهما من مواد دخيلة، ويذكر شارنو مرة أخرى أنه وجد في أوراق شاي مستعملة أي ما يسمى عند المغاربة "الطبخة"، بعضا من أوراق السيكران وحبوبه، وهو نبات تكفي 15 إلى 20 من حباته إذا نزلت إلى معدة الإنسان لترديه قتيلا.

ولم تكن وصفات الموت، التي كانت تدبر باستعمال بعض ما أتينا على ذكره من أنواع السموم، تردي الإنسان لتوه، حتى ولو كان بعضها زعافا يقطع الأمعاء، بل أنها كانت تمهل المبتلى بها لأيام معدودات، بل لبضعة شهور تنحرف خلالها صحته، وتعتريه نوبات متتالية من الغثيان والقيء، فيزمن به الداء ولا تدركه المنية إلا بعد أن ينال منه الهزال ويصبح غير قادر على المقاومة، وتلك طريقة غالبا ما تبعد عن الجاني ما قد يحوم حوله من شكوك.

وكان المغاربة يعالجون ما كان يلم بهم من عوارض السموم بطرق مختلفة فتراهم عندما يتعلق الأمر بلدغات الأفاعي أو العقارب أو العناكب يلتجئون إلى شرط المنطقة الملسوعة واستخلاص ما خلط بدمها من سم عن طريق المص مع ربط العضو الملدوغ بخيط محكم مما يلي الشرايين المؤدية إلى القلب. ثم يُحمى على مكان اللدغة بالنار.

ولاحظ لنياريس قبل ذلك في رحلته مع مولاي الحسن كيف كان سكان بعض مناطق المغرب يعالجون من لسعة بوصيحة (نوع من العناكب السامة)، حيث يحفرون حفرة ويوضع فيها الملسوع متمددا ثم يرد عليه التراب حتى الذقن، وتوقد فوقه النار لبعض الوقت ثم يخرج من تحت التراب بعد أن يكون قد تبلل من العرق.

أما عندما يتعلق الأمر بالتوكال فكان أهل المصاب يهيئون له وصفات تثير الغثيان لعل التقيؤ يساعد على إخراج ما بأحشائه من سم، وقد أخبرنا بعض الناس أن ذلك يتم بمزج ماء البحر مع أوراق الدفلى وفليو، ويتناول المصاب جرعات من نقيع ذلك.

وشاع بين الناس استعمال مادة ضد السم تسمى "بيض المهر"، ويطلق عليها بادزهر، وهي كلمة فارسية تعني غسل السم، وهي عبارة عن أحجار بيضوية الشكل نسجت حولها كثير من الأساطير حيث ظن البعض أنها تخرج من أحشاء الظباء، وقال آخرون أنها بيض طائر الرخ الذي ورد ذكره في رحلات السندباد. وكان المغاربة يثقون كثيرا في نجاعة هذا البيض في شفاء المسمومين، لكن دراسة الطبيب أرنو Arnaud المعتمدة، قد كشفت النقاب عن سر هذا البيض، فإذا هو حجر كالأحجار لا يجدي فتيلا في معالجة السم.

وعلى الرغم من تقدم الطب، ووجود مصلحة خاصة بالسموم، فإن العقارب ما زالت تعيث في سكان القرى المغربية النائية والدواوير المنزوية، لبعدها عن مراكز الاستشفاء، ومازال الانتقام بدس السم من الأمور الجارية في مجتمعنا.

جلال الدين السيوطي، كتاب *الرحمة في الطب والحكمة* : داود الأنطاكي، تذكرة *أولي الألباب* والجامع للعجب العجاب، بيروت، د. ت. : نادية بلحاج، *التطبيب والسحر في المغرب*، الرباط، 1986 : جريدة*الأحداث المغربية*، 7 أبريل 2001 : 20 يوليوز 2001 : *رواية شفوية*.

M. Akhmisse, *Médecine, magie et sorcellerie au Maroc*, Casa, 1985 : L. Arnaud, *L'œuf du faon ou la survivance inattendue du Bézoard*, in *Maroc Médical*, oct. 1926 : A. Charnot, *La toxicologie au Maroc*, Paris, 1945 ; *Les scorpions du Maroc, leur venin, leur danger pour l'homme et les animaux*, *BIHM*, oct. - déc. 1934 ; F.J. Linarès, *Voyage au Tafilalet avec S.M. le sultan Moulay Hassan en 1893*, *BIHM*, juillet-sept. 1932 ; L. Raynaud, *Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc*, Alger, 1902 ; *Serpents venimeux du Maroc*, in *Maroc Médical*, mars 1933; A. Sigelmassi, *Les plantes médicinales du Maroc*, Casablana, 1993.

بوجمعة رويان

السمّار، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çamar - Asmar ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Azamar ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان. وما تزال بمدينة سلا مجموعة من آل السمّار.

وفي تطوان أسرة أخرى تدعى السمار أصلها من الجزائر، ومنهم علي بن محمد السمار فقيه كان حيا سنة 1172 / 1759، وعبد الله بن محمد السمار، زاول خطة العدالة من سنة 1133 إلى 1170 (1721 ـ 1757)، وعبد الرحمن بن العربي السمار، زاول العدالة من سنة 1161 إلى 1182 (1748 ـ 1768)، ومحمد بن محمد السمار، فقيه توفي سنة 1173 / 1760، وعبد السلام بن محمد السمار، فقيه كان

بقيد الحياة سنة 1194 / 1780، ومحمد بن أحمد السمار، زاول خطة العدالة سنة 1273 / 1857.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1397.

محمد ابن عزوز حكيم

السَّمَّار، محمد بن زيد السبتي، وصفه صاحب *بلغة الأمنية* بالفقيه المشارك. جلس للإقراء بالمسجد الأسفل من زقاق أبي يحيى حيث كان يوجد مقر سكناه. كما امتهن التوثيق بالسماط. ثم تخلى عن ذلك كله فارتدى لباس الزهد والخمول وعكف على طلب رزقه بتسمير الدواب وكان لا يقرب الخيل والبغال خشية أن يقصده الأمراء وذوو الجاه، ومن ثم جاء لقبه بالسمار. فانطوى على نفسه واستصغرت الدنيا في عينيه وهانت نفسه عليه. يذكر صاحب *بلغة الأمنية* أن الشيخ الزاهد الشهير محمد بن موسى الحلفاوي الإشبيلي نزيل فاس، أحد تلامذة المتصوف الشهير يعقوب الزيات صاحب الطريقة المعروفة، لما علم بحاله، استدعاه للسكنى معه. فرحل من سبتة بأهله وولده ونزل بفاس يجاوره.

وكانت وفاته بعد سنة 750 / 1349.

مجهول، ؟، تح. م. ابن تاويت : *مجلة تطوان*، العدد التاسع، 1964.

زوليخة بنرمضان

السمَّار، محمد السلاوي، أحد المجاهدين البحريين الذين كانوا أسرى بفرنسا واستخدموا في سفنها وأوراشها ما بين أعوام 1111 ـ 1139 / 1699 ـ 1727. وكان عبد الله ابن عائشة طالب بإطلاق سراح محمد السمار لما كان سفيرا بفرنسا فلم يتيسر له ذلك. ولما كان ببريصط Brest راجعا إلى المغرب كتب رسالة إلى صاحبه التاجر جوردان بتاريخ 11 قعدة 1110 / 16 ماي 1699 يلح فيها عليه بالتدخل لإطلاق سراح المترجم. ثم كتب رسالة أخرى بتاريخ فاتح رجب 1111/ 23 دجنبر 1699 إلى القنصل الفرنسي J.B. Estelle في نفس الموضوع، ولم تسعفنا المصادر في معرفة مآل هذا الأسير وهل أطلق سراحه أم لا.

محمد السعديين

السمَّارين (باب –) بفاس، أحد الأبواب الرئيسية بالمدينة البيضاء، المسماة أيضا فاس الجديد التي شيدها السلطان المريني أبو يوسف يعقوب عام 674 / 1276 لتكون مقراً لحكمه. وقد أحاطها بسورين غاية في المتانة والضخامة لضمان حمايتها من الأعداء. وأقام فيها مجموعة من الأبواب من أشهرها باب الدكاكين وباب الأمر وباب السمارين.

يقع هذا الأخير في السور الداخلي، وكان معروفا باسم باب عيون صنهاجة، يقول صاحب *الذخيرة* في هذا الموضوع :

"وفي سنة 679 هـ بنى (أبو يوسف يعقوب) في المدينة المذكورة الأسواق من باب القنطرة إلى باب عيون صنهاجة" (*الذخيرة*، ص. 162).

ويعد باب السمارين المدخل الأساسي لفاس الجديد من الجهة الجنوبية، إذ يفضي إلى شارع رئيسي، فسيح نسبيا، يبلغ طوله حوالي نصف الميل، وتنتشر حوله الدكاكين والمرافق الاجتماعية والاقتصادية بفاس الجديد (الوزان، ج. 1، ص. 282).

وتوحي تسمية باب السمارين ـ التي لا يعرف متى أطلقت عليه ـ إلى أمرين :

ـ وجود الحرفيين الذين يقومون بدق المسامير في أرجل الخيول والدواب، وقد أشار الحسن الوزان إلى انتشار اصطبلات الخيول حول باب الدكاكين وفي ناحية باب عيون صنهاجة (*وصف إفريقيا*، ج. 1، ص. 282).

ـ وجود الحراس الليليين بالباب المذكور، حيث يقضون الوقت في المسامرة والأحاديث.

وقد شهد باب السمارين تغيرات هامة منذ تشييده خلال النصف الثاني من القرن السابع (13 م). ويشير بعض الباحثين إلى أن الباب فقد كثيرا من ملامحه الأصلية بفعل التعديلات التي توالت عليه . (Delarosière et Bressolete. p. 260).

ابن أبي زرع، *الذخيرة*...، الرباط، 1972 : ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت، الرباط، ص. 2، 1983.

H. Bressolete et J. Delarosière, *Fès-Jdid de sa fondation en 1276 au milieu du XXe siècle*, *H.T.*, Fasc. uni. 1982 - 83.

الحاج موسى عوني

السمارين، بمراكش مجموعة أسواق تجارية تمتد على جانبي ممر محوري تجاري بقلب مدينة مراكش العتيقة، صار مقصورا على الراجلين فقط، يمتد من جامع الفناء، وبالضبط من سوق التمر المرتبط بها، يتجه مستقيما إلى الشمال نحو المركز التاريخي للمدينة : جامع ابن يوسف. طوله 500 م، ينتهي عند باب الطالعة، لينحرف قليلا إلى الشمال الشرقي ليشرف على أبواب جامع ابن يوسف ومآثره التاريخية.

هذا الطريق الذي لم يرق إلى مستوى شارع بالمفهوم الحديث، وتجاوز كثيرا مستوى زنقة تقليدية، يعتبر اليوم ممرا حيويا وسوقا ومركبا اقتصاديا لأنشطة تجارية وسياحية وحرفية وترفيهية عديدة، فهو أشهر ممر بمراكش يعرفه جل من زارها سواء كان سائحا أجنبيا أو وطنيا، فهو يكون مركز الثقل الاقتصادي والاجتماعي للمدينة العتيقة، يربط بين نواتين رئيسيتين هما :

جامع ابن يوسف : الذي انطلقت منه المدينة كنواة لتوسعها التاريخي فأحاطت به أقدم الأحياء التاريخية من جهة الشمال والشرق والغرب : حي أسول وقاعة بناهض وحارة السورة وزاوية الحضر، ومجموعة أسواق وفنادق حرفية

وتجارية تاريخية تنطلق منها محاور طرقية تتجه إلى الأبواب الرئيسية لمراكش، مثل طريق بين الفنادق شرقا الموصل إلى ساحة الموقف المتصلة ببابي الدباغ والخميس، وطريق باب تاغزوت شمالا وطريق روض العروس فباب دكالة، وطريق المواسين والقصور المتجه غربا إلى جامع الكتبية والأسوار الغربية.

جامع الفناء : وهي ساحة تاريخية كبرى بجنوب الممر تفصل بين أحياء الشمال الحرفية والسكنية الشعبية، وأحياء الجنوب الراقية حيث المشور والقصر الملكي وحي القصبة وأحياء رياض الزيتون والقنارية والملاح. وكانت هذه الساحة مخصصة لعرض منتوجات ذات حمولة ثقيلة كالحطب والخشب والفحم الوافد من بساتين الدير والغابات الجبلية، والزيتون واللوز والجوز والصوف والحبوب والجلود... كانت تحمل على الدواب، يطرح بعضها للبيع بالساحة مثل الخشب والفحم وينقل الآخر إلى الأسواق الحرفية والتجارية المتفرعة من ممر السمارين. ولم تطلق هذه التسمية سوى على المقطع الأول من الممر حيث كانت محلات عدد من الحدادين مختصين في تصفيح الدواب بالصفائح والمسامير التي تفرغ حمولتها بمختلف الأسواق وتقفل راجعة للمبيت مع أصحابها بفنادق فحل الزفريتي وباب فتوح المنتشرة شمال جامع الفناء. وينتهي مقطع السمارين عند باب الفحل بمنتصف الممر، أما بقيته فتطلق عليه أسماء أخرى مشتقة من النشاط السائد بها، في مقدمتها السوق الكبير، ثم يتفرع الممر إلى فرعين ينحرف أحدهما يسارا يعرف بسوق خراز البالي وهو الاسم الذي يطلق اليوم على كل الممر الذي كان يبتدئ بسوق السطايلية وينتهي بسوق الحناء التي اختفت نهائيا، ويفضي هذا الممر للأسواق المهمة كسوق السماط (البلغة والأحذية المتنوعة) وسوق اللبادين (ج. لبدة وهي بساط صوفي صغير للصلاة) وسوق العطارين الذي صار متخصصا في الأواني النحاسية والمفضضة الخاصة بالشاي، وسوق الحدادين وسوق القشابين (خياطو الجلابيب). أما الفرع الآخر الذي يمتد شمالا على استقامة الجزء الأول، فيطلق على المقطع الأول منه سوق الربايعية (ج. ربيعة : وهي صندوق خشبي شائع لخزن الملابس وغيرها). يأتي بعده مقطع سوق الشكايرية (الشكارة : محفظة جلدية يحملها الرجال) ثم سوق الشراطين (صانعو القنب) الذي ينتهي بباب الطالعة وكان ولايزال به مجموعة دكاكين صغيرة للبقالة وبيع التغذية الشعبية للحرفيين، ويعرف قسم منه بسوق الشعرية (حيث تبيع النسوة ما يحضرنه بمنازلهن من الشعرية المصنوعة من العجين).

وعلى طوله تتوزع على اليمين واليسار عدد من الأسواق الفرعية مثل سوق الرحبة القديمة حيث كانت تباع الحبوب وقد تحول الآن إلى سوق العشابين وبازارات، وسوق الغزل حيث كان يعرض قديما العبيد والجواري وتحول إلى سوق الصوف الخام في عهد الحماية ويباع به حاليا الملابس الجديدة والقديمة والقليل من الصوف. ويتفرع من الرحبة القديمة سوق البطاين (ج. بطانة) وهي جلود المواشي وقد انتقل مؤخراً إلى باب الخميس حيث فتح له باب بالسور يشرف على واد إيسيل وحل محله سوق الملابس الشعبية، وسوق الزرابي الذي توسع على حساب سوق العدة أي الأسلحة بعد اختفائها من السوق. وفي الهامش الغربي للرحبة القديمة يوجد أقدم سوق لبيع السمك الذي لازالت به بعض الدكاكين لهذا النشاط بينما انتشر في بقيته دكاكين لصناعة أنواع الغربال والرابوز (منفاخ لإيقاد النار بالفحم والحطب). كما يتفرع من ممر السمارين عدد من السويقات المغلقة بها عدد من الحوانيت لا تتجاوز عشرين كانت تباع بها الأثواب أو تزاول بها بعض الأنشطة الحرفية تعرف بالقيسارية أو السوق، تسمى باسم النشاط المزاول بها كسوق الفخارين وسوق الدلالة وسوق أحايك (الحياك) وسوق الشراطين (صانعو القنب) وسوق السراجين وسوق الحرارين الجديد (صانعو الحرير) وسوق التكموتيين (نسبة إلى قبيلة تكموت)، يصنع ويباع به الحلي الذهبية والفضية وسوق الغربال. ومنها ما يسمى بالأشخاص مثل قيسارية مولاي علي، والتبر، والحاج عبد السلام والأحباس والقيسارية الوسطى. والفرق بين السوق والقيسارية هو أن الأول يصنع به الحرفيون منتوجاتهم ويبيعونها بالتقسيط أو الجملة أما القيسارية فهي سوق تجاري، ووردت هذه التسمية من الشرق العربي، اقتبست من الرومان الذين كانوا يطلقونها على أسواق (قيصرية) للمنتوجات الراقية كالملابس والحلي والعطور، لكنها تعني هنا مجرد سوق لمنتوج تجاري معين.

لقد كتب اسم السمارين على بداية الطريق بأولى الخرائط التي وضعها الأوربيون لمراكش في نهاية القرن الثالث عشر (19 م). وباعتبار السمارين أول ما يصادفه الزائر المنطلق من جامع الفناء، فقد توسع مدلول الاسم تدريجيا حتى صار يطلق على كل المركب التجاري الحرفي السياحي لوسط المدينة العتيقة الذي اشتهر بسوق السمارين.

بحث ميداني : تحليل تصميم مدينة مراكش : معلومات من التجار المحليين ومن تاريخ المغرب.

السمن، مادة دهنية حيوانية تستخرج من الزبدة الحيوانية، وهو شائع الاستعمال في جميع أرجاء المغرب لاهتمام الريفيين من فلاحين مستقرين ورحل وأنصاف الرحل بتربية المواشي ومعالجة حليبها. يعرف عند القبائل الأمازيغية بأودي أو السمن كذلك. وكانت جميع الأسر بالمدن والأرياف تحرص على اختزان كمية من السمن بقوارير من الفخار كاحتياطي غذائي باعتبار السمن أهم مادة دهنية يمكن أن تختزن مدة شهور أو سنوات، وتكون أنواع الخبز أو الرغيف المدهون بالسمن وجبة غذائية دسمة للمناسبات العائلية المهمة والوجبات السريعة قديما.

وللحصول على السمن، يترك الحليب الطازج في أواني بضعة أيام حتى يتخثر بفعل خمائر طبيعية من الهواء ثم

يمخض في قربة خاصة (الشكوة) وحاليا في براميل بلاستيكية معلقة بقنب، فتنفصل المادة الدهنية وتلتئم جزيئاتها مكونة الزبدة وهي المادة الخام لجميع أنواع السمن، وهي ثلاثة أنواع رئيسية :

- السمن المدوب أو الحلو : كانت الأسر الريفية تجمع كمية من الزبدة التي تحصل عليها لعدة أسابيع بإضافة كمية قليلة من الملح ثم تطبخ على النار في قدر كبير فتتخلص مما تبقى فيها من الماء بالتبخر وبقايا الحليب وغيره بالترسب في قعر القدر، فتحصل على سمن مدوب نقي معقم، وينقص وزن الكمية الابتدائية بحوالي 20-25 ٪ تضيف بعض الأسر أعشابا مثل الزعتر أو الشيح وغيرهما مما يعطي رائحة ومذاقا خاصا للسمن فيتميز ببعض الأسماء تختلف حسب الأقاليم. والسمن المدوب لا يقبل الخزن لأكثر من سنة.

- السمن الحار أو سمن بودراع : يتكون من زبدة تضاف إليها كميات من الملح بالتدريج كلما أضيفت إليها كمية جديدة، ثم يعجن المنتوج ويدلك لتكوين مادة متجانسة وهو لا ينضج على النار لذا يبقى محافظا على وزنه الأصلي، له رائحة نفاذة قوية، يمكن أن يختزن لبضع سنوات.

- السمن الحايل : عندما يترك السمن الحار مدة تتجاوز السنة تظهر به فطريات خاصة تميل إلى الخضرة، ثم يعجن ويدلك لإعطائه تجانسا فيكتسب لونا يميل إلى البرتقالي ويصبح له طعم مر لاذع خاص، ويستعمل كنوعية غذائية متميزة أو كدواء لتحفيز حيوية الجسم أو معالجة برودته ولمقاومة بعض أمراض الروماتزم والمعدة... وهذا النوع قل عليه الطلب كثيرا ويكاد يختفي من الأسواق.

أما المادة المعروفة بالخليع فهي لا تحتوي على سمن حقيقي إذ تتكون من لحم مقدد بدون عظام ينضج مع قدر محدد من زيت الزيتون والشحم الحيواني.

كان السمن بأنواعه إنتاجا عائليا عاديا، تنتجه الأسر الريفية للاستهلاك الذاتي وتقدم جزءا منه كهدية لأقربائها الحضريين أو كنصيب من ثمرات الشراكة أو استغلال بستان. لكن الحاجة إلى النقود تدفع بعض الأسر إلى بيع قسم منه خاصة عندما يكثر في فصل الربيع أو في سنوات الخصب. وكان هناك تجار وسطاء يجمعون منه ما يعرض للبيع في بعض الأسواق الريفية لتزويد البقالة بالمدن، وكان بكل المدن التقليدية خاصة الكبرى منها أسواق بقالة، مختصة في بيع الزيوت وأنواع السمن، توضع الزيوت في قدور وقرب من جلد الأبقار والماعز أو في قرعات وهي قوارير كروية الشكل سعتها 5 - 12 لتر، تصنع من نبات القرعيات الذي يترك حتى ييبس فيثقب من أعلاه ويفرغ جوفه بتقنية خاصة، ومنها استمد المغاربة تسمية القرعة التي يطلقونها على كل زجاجة لخزن السوائل. أما السمن فيخزن في قدور فخارية ونادرا بقرب من جلد الماعز.

ضمت أسواق البقالة بالمدن الكبرى عشرات الدكاكين لكن تطور الاقتصاد وظهور الزيوت النباتية وأنواع الزبدة المستوردة والمحلية ومنها الزبدة النباتية، التي تعرض بكل دكاكين الأحياء غير الأوضاع، وهكذا تحول سوق البقالة بمراكش مثلا إلى سوق الملابس والأحذية البلاستيكية والأواني المنزلية ولم يبق به من البقالة سوى سبعة دكاكين صارت متخصصة في بيع الزيتون وزيته والسمن.

لقد تزايد الطلب على السمن في السنوات الأخيرة لسبب رئيسي هو استعماله في دهن طعام الكسكس الذي شاع استهلاكه لدى الأسر المغربية يوم الجمعة، وهكذا يشتد الطلب على السمن في هذا اليوم وفي رمضان والأعياد الدينية حيث يستعمل في دهن رغيف رقيق : المسمن كفطور يوم العيد. ويلاحظ أنه في الوقت الذي تزايد فيه الطلب على السمن تراجع إنتاجه كثيرا بعد أن صار جل الريفيين يبيعون حليبهم للتعاونيات وشركات معالجة الحليب التي تصنعه وتغني بمشتقاته المتنوعة الإنتاج الاستهلاكي الحضري. فلم تعد الأسر المغربية الريفية تقوم بمخض حليبها واستخراج الزبدة لصناعة السمن إلا في المناطق الريفية المنعزلة أو لدى الأسر الفقيرة التي تنتج منه كمية قليلة لا تستحق عناء التسويق. لكن بدأ يعوض هذا النقص ظهور تجار متخصصين يشترون ما توفر من الزبدة البلدية أو السمن وتحويلهما إلى نوعيات السمن المطلوب، وهكذا ظهر تجار جملة للسمن يزودون زبناءهم من البقالة بالأسواق الحضرية، وبذلك تتوسع تجارة داخلية إقليمية له تحاول تلبية طلب السوق وتتم غالبا بين المدن التقليدية الكبرى والأقاليم الزراعية المرتبطة بها، فنجد بقالة مراكش يحصلون على حاجتهم من السمن المدوب من سوس، والسمن الحار من دكالة. بل تصدى لإنتاج السمن شركات معالجة الحليب خاصة عندما يكثر الحليب والزبدة في بعض الفصول، فتحول كميات من الزبدة إلى سمن يباع خاصة في الأسواق الممتازة وبقالة الأحياء، لكن يحد من توسع هذا النشاط حاليا ضعف إنتاج الزبدة الطازجة ومحدودية الربح لأن ثمن السمن 60 درهم والزبدة الطازجة 40 - 50 درهما. وعملية تحويلها يفقدها جزءا من وزنها. ولا توجد للسمن تجارة وطنية لحد الآن فهو لا يصدر ولا يستورد لأن الكميات الرائجة في الأسواق مازالت محدودة، فحسب تقدير بعض التجار المختصين، يباع بمراكش من أنواع السمن ما يتراوح بين 7.000 و10.000 كلغرام سنويا.

معلومات من بعض البقالين ومنتجي السمن بمراكش.

أحمد هوزالي

السُمْنة، جنس من الطيور البرية متوسطة القد إلى صغيرة، جميلة المنظر طيبة اللحم حسنة الصوت، (ج. سمان وسُمْنان)، وهي غير السماني الذي ذكر في مادة - سلوى -. تصنف السُمنان إلى رتبة الجواثم المشرومات المناقير أو العصفوريات Passeriforme وإلى فصيلة الشحروريات Tur-didae. من بين الأنواع الشائعة في المغرب خمسة من جنس توردس Turdus ونوعان من جنس مونتيكولا Monticola :

ـ سُمنة الدبق أو سمنة الهدال كما في المعاجم تسمى علميا Turdus viscivorus وبالفرنسية Grive draine وبالإنجليزية Mistle thrush وبالإسبانية Zorzal charlo وبالإيطالية Tordela. تعد من أكبر الأنواع حجما وتتميز ببقعة كبيرة من الريش الأبيض أسفل الجناحين. الريش رمادي بني موحد على الظهر والجناحين. تتخلل الصدر والبطن بقعا

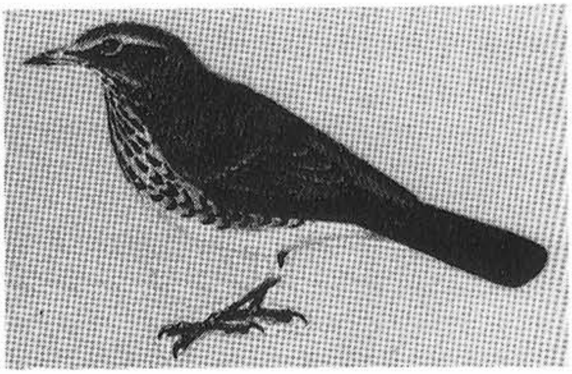

كبيرة ومنتظمة من الريش البني. يبلغ طول بسطة الجناحين 44 سم وطول الجسم 27 سم وتزن الكبار 80 ـ 120 غراما. الذيل طويل مستقيم المؤخرة وينتهي ببقعة صغيرة بيضاء. إنها السمنة الوحيدة التي تستقر وتتوالد في المغرب. تألف غابات وأدغال جبال الأطلس وجبال الريف والهضاب الوسطى. تمثل المناطق المتوسطية المغربية والجزائرية والتونسية الحدود الجنوبية لتوزيعها الجغرافي، وتعيش أيضا في أوربا الوسطى والجنوبية ومنها عدة مجموعات تتوالد في أوربا الشمالية. تتوالد مرتين في السنة من مارس إلى يونيو وتبني الأنثى العش وحدها على الأشجار وهو مكون من الطين المبلل ومفروش بدقة من قطع الأعشاب الدقيقة. تبيض 3 - 6 بيضات زرقاء مخضرة منقطة بالبني، طول قطريها 22 x 31 ملم وتحضنها 12 - 15 يوما. تغادر الفراخ العش بعد أسبوعين. تتغذى من العناكب والحشرات والقواقع الحلزونية ومن الثمار العنبية. صيدها مرخص في المغرب بين فاتح أكتوبر و25 فبراير يومي السبت والأحد وأيام العطل شريطة أن لا يتعدى العدد 20 فردا لكل قناص.

ـ سمنة مطربة تدعى علميا Turdus philomelos وبالفرنسية Grive musicienne وبالإنجليزية Song thrush وبالإسبانية Zorzal comun وبالإيطالية Tordo bottacio. موطنها أوربا الوسطى والشمالية وآسيا الغربية ومنها عدة مجموعات تشتو في غابات وأدغال جبال الريف والأطلس. تتميز بريش رمادي زيتوني على الظهر والجناحين، الصدر والبطن مبقع بانتظام بريش بني ومصفر. بقعة كبيرة من الريش المصفر البرتقالي أسفل الجناحين. تتغذى من الثمار العنبية والحشرات والديدان والعناكب والقواقع. يبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 36 سم وطول الجسم 21 - 22 سم. الذيل طويل ومستقيم المؤخرة. يشتو من شتنبر إلى فبراير في المناطق الشمالية المغربية ـ سهول وجبال الريف والأطلس المتوسط وسهول الغرب. يهاجر إلى أوربا في بداية الربيع ليتوالد منذ أبريل إلى يونيو. ينصب العش على الأشجار. تبيض الإناث 4 - 6 بيضات ملساء زرقاء مخضرة، يبلغ طول قطريها 20.8 x 27.4 ملم. تحضن الإناث البيض 12 - 14 يوما ويقوم الزوج بالحراسة. تتغذى الصغار من الديدان والحشرات يأتي بها الآباء وتبقى بداخل العش حوالي أسبوعين قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا. يتوالد بعض الأفراد أكثر من مرتين في السنة. بعض الأفراد تقترب من المدن والقرى والمزارع والحقول. صيده مرخص بين أكتوبر وفبراير.

ـ سمنة حمراء Turdus iliacus تدعى بالفرنسية Grive mauvis وبالإنجليزية Redwing وبالإسبانية Zorzal malviz وبالإيطالية Tordo sasselo. ينحدر أصلها إلى الشحرور الأسود والعندليب وأبو الحناء وهي أصغر أنواع السمنة حجما. تتميز عن سائر أنواع السمنة ببقعة كبيرة من الريش الأشقر الزاهي تحت الجناحين وبحاجب أبيض مصفر متواصل من المنقار إلى مؤخرة الرأس. الريش أغبر داكن موحد على الظهر والجناحين. تتخلل الصدر والبطن بقعا منتظمة من الريش البني. يبلغ طول بسطة الجناحين 34 سم وطول الجسم 21 سم وتزن الكبار 50 - 80 غراما. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة. تألف الغابات والأدغال وتقضي الفصول الباردة في أوربا الجنوبية ومنها عدة مجموعات تأتي إلى غابات وأدغال جبال الأطلس وجبال الريف وتمثل المناطق المتوسطية المغربية والجزائرية والتونسية الحدود الجنوبية لتوزيعها الجغرافي. تهاجر إلى أوربا الوسطى والشمالية منذ بداية الربيع لتتوالد مرتين في السنة وتبيض 4 - 6 بيضات تحضنها 13 - 14 يوما. تغادر الفراخ العش بعد أسبوعين. تتغذى من الحشرات والقواقع الحلزونية ومن الثمار العنبية. يكثر الإقبال على صيدها في فصل الخريف في مختلف الأقطار المتوسطية.

ـ سمنة مطوقة أو دج مطوق الصدر كما هو شائع في الشرق العربي Turdus torquatus يدعى بالفرنسية Merle à plastron وبالإنجليزية Ring ouzel وبالإسبانية Mirlo collarizo وبالإيطالية Merlo dal collare. الذكور تشبه الشحرور الأسود ـ جحموم ـ في حجمه ولونه وتختلف عنه بلفافة عريضة من الريش الأبيض تطوق الصدر، ريشه بني داكن على سائر الجسد. تختلف الإناث عن الذكور في الحجم واللون فهي أصغر حجما، رمادية بنية على الظهر ومبقعة البطن، صدرها مطوق بريش أبيض مصفر ؛ يبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 34 سم وطول الجسم 24 سم وتزن الكبار حوالي 60 غراما. المنقار بني مصفر والذيل طويل ومستقيم المؤخرة. يعيش مزدوجا ويألف الصخور والغابات بالمناطق الجبلية. يتغذى من الحشرات ومن الثمار العنبية. تهاجر كل المجموعات التي تعيش في المغرب إلى أوربا الجنوبية منذ بداية الربيع لتتوالد مرتين في السنة وتبيض 3 - 6 بيضات زرقاء فاتحة ومنقطة بالبني، طول قطريها 21.5 x 31.4،

تحضنها 13 - 14 يوما. تغادر الفراخ العش بعد أسبوعين. تتغذى من الحشرات والقواقع الحلزونية ومن الثمار العنبية. طائر غير شائع في المغرب ولا يقترب من القرى والمدن.

- سمنة أو طائر الشحارير أو الدج كما يسمى في الشرق العربي. اسمه العلمي Turdus pilaris وبالفرنسية Merle litorne وبالإنجليزية Fieldfare وبالإسبانية Zorzal real وبالإيطالية Cesena. طائر يشبه الشحرور الأسود - جحموم - في حجمه ولونه ويختلف عنه بلفافة عريضة من الريش الأبيض تطوق الصدر، ريشه رمادي أزرق رصاصي على الرأس وعلى مؤخرة الجسد وبني رمادي داكن على الجناحين، الذيل أسود طويل ومستقيم المؤخرة. يبلغ طول بسطة الجناحين 70 سم وطول الجسم 25,5 سم وتزن الكبار حوالي 90 غراما. يعيش مزدوجا أو في مجموعات لا تتعدى 30 فردا ويألف الغابات والبساتين وضفاف الأنهار والبحيرات ويتغذى من الحشرات ومن الثمار العنبية. موطنه أوربا وآسيا ومنه مجموعات قليلة تشتو في المغرب منذ أكتوبر إلى فبراير. يعد من الطيور النادرة في المغرب الذي يمثل الحدود الجنوبية لتوزيعه الجغرافي.

- سمنة زرقاء أو سكلة زرقاء كما تسمى في الشرق العربي Monticola solitarius تدعى بالفرنسية Merle bleu وبالإنجليزية Blue roch thrush وبالإسبانية Roquero solitario وبالإيطالية Passero solitario. طائر يعيش في المناطق الصخرية والجبلية الجافة المجاورة لحوض البحر المتوسط. كل المجموعات التي تشتو في المغرب بين شتنبر وفبراير تهاجر إلى أوربا الجنوبية لتتوالد. تتميز الذكور بريش أزرق رصاصي زاهي في الصيف وبريش أزرق داكن في الشتاء. تتميز الإناث بريش بني أزرق على الظهر وبني فاتح مخطط بالرمادي على الصدر. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة. يبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 30 سم وطول الجسم 19 - 20 سم وتزن الكبار حوالي 50 غراما، يعيش مزدوجا ويفضل أكل الثمار العنبية والحشرات والعناكب ويألف الأجراف والصخور والمنازل المهجورة. تبيض الإناث 3 - 6 بيضات زرقاء شاحبة طول قطريها 20 X 27 ملم تحضنها حوالي 14 يوما. طائر مستقر في مختلف الأماكن الصخرية الساحلية والجبلية بالمغرب ومنه عدة أفراد يشتون في جنوب المغرب. يعيش أيضا في أوربا الجنوبية والشرق العربي وشمال إفريقيا.

- سمنة الصخور أو سَكَلة الصخور Monticola saxatilis يدعى بالفرنسية Merle de roche وبالإنجليزية Roch thrush وبالإسبانية Roquero rojo وبالإيطالية Codirossone. طائر تشبه الذكور الشحرور الأسود في حجمه، الريش أزرق رصاصي على الظهر والجناحين وأشقر برتقالي على الصدر والبطن والذيل. ريش الإناث بني أشقر مبقع بالبني الفاتح. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة. طول الجسم 19 سم وتزن الكبار حوالي 50 غراما. يعيش مزدوجا ويفضل العيش مختفيا بين الصخور، يتغذى من العناكب والحشرات ومن الثمار العنبية. يتوالد في الأطلس المتوسط وجبال الريف وفي أوربا الجنوبية وآسيا الغربية ويشتو في إفريقيا من أبريل إلى يونيو وينصب العش بين الصخور وحفر الجدران. تبيض الإناث 4 - 6 بيضات زرقاء شاحبة وكبيرة نسبيا، يبلغ طول قطريها 19.5 x 26 ملم. تحضن الإناث البيض 14 - 15 يوما ويقوم الزوج بالحراسة. تبقى الصغار بداخل العش حوالي أسبوعين.

م. رمضاني، *البلبل*، معلمة المغرب، الجزء 4 ؛ *الجحموم*، معلمة *المغرب*، الجزء 9 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with north Afria and the Middle east*, 1979 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*. Paris, 1977.

محمد رمضاني

سَمُوگنْ، أو سَامُوگن قبيلة سوسية تقع مواطنها على وادي سموگن جنوب شرق تافراوت. يحدها بالشمال إگونان وبالغرب كل من أيت موسى المجاطين وإدابراهيم التاغجيجتيين، وبالشرق صحراء تاگراگرا وبالجنوب تمارت.

اختلف حول أصل السموگنيين، كما هو الحال بالنسبة للحربيليين، وتتحاشى بعض العائلات الانتماء إلى هذا الأصل، كما هو الحال بالنسبة للإلغيين، ويتحفظون من رواية الحضيگي في هذه النازلة.

وتفيد الرواية المحلية أن العائلات التي استقرت بسموگن نزحت إليها من تامدولت، واستقرت أول الأمر بحصن أگادير - ن - تِبْسِيسْت. لكنهم طردوا منه حوالي القرن العاشر (16م) على يد أيت علي المجاطين الذين استغلوا مناعته للتخزين، وبذلك اشتدت صولتهم. ويُعد هذا الحصن الآن من القصور المندثرة. ومنذ استقرارهم به اقترن باسمهم.

ويبدو أن عمليات الطرد للأصلاء لم تتوقف، إذ طردت فروع أخرى إلى تاگجگالت، مما يفسر حركية بنية السكان المستمرة والمتجددة. لكنها إذا قورنت بمحيطها نجد غلبة عنصر البيضان ومعظمهم من الجزوليين.

في إحصاء 1926 كان عدد الدور خمسمائة دار ومن أهم المراكز : أنامر وأوگرضا.

لقد كانت القبيلة مثار قلاقل، إذ يستشف من وثائق محلية متناثرة وقليلة، أنها في تجاذب بين جيرانها من التمنارتيين والأمانوزيين والمجاطين والتاغجيجتيين.

ولعل ضعف جانبها يرجع إلى انقسام فروع القبيلة بين لفي تاحگات (سكتانة) ولف تاگزولت. وكانت الغلبة للتاحگاتيين وتراجع نفوذ الإيلغيين والتمنارتيين خاصة بعد انهزامهم أمام صقور أيت علي وأيت موسى المجاطين.

لقد حاول المخزن تعضيد صولة القيادة الكثيرية التمنارتية بالمنطقة لكنه فشل لضعف الإمكانيات المتاحة. ولا يعني هذا أن إمكانيات سموگن الدفاعية ذات بال، فقد

تقوى جانبها باعتمادها على لف تاحكات. ويفيد تقرير دونيس Denis أنها لم تكن تتوفر سنة 1926 إلا على أربع بنادق سريعة الطلقات، وعدد المحاربين بها ضعيف جدا بالمقارنة مع محيطها القبلي (الأطلس الصغير وباني الغرب). ورغم ذلك لم تستسلم إلا سنة 1934 حين دخلتها الجيوش الفرنسية في إطار احتلال الأطلس الصغير.

على مستوى التسيير الداخلي آثرت القبيلة نظام انفلاس على نظام المشيخة، وعدد النفاليس أحد عشر يتداولون تدبير شؤون القبيلة بالتناوب، ويبقى القرار النهائي بيد الجماعة. وثمة عرف يحمل تاريخ آخر ربيع الثاني 1309 شبيه بأعراف الجهة، وكفيل بتفسير البنى السائدة.

في ظل تردي الوضع الداخلي والخارجي بالقبيلة اضطرت ثلة من العلماء والفقهاء والمرابطين إلى الهجرة إلى مدارس سوسية قريبة مثل دّوكَادير وتمنارت... أو بعيدة مثل تيزنيت وطاطا وحواضر أخرى وأهمها تارودانت.

ويبدو أن من أهم الزوايا التي لها نفوذ كبير على سْمُوكَن هي زاوية دوكَادير.

م. الحضيكي، *طبقات الحضيكي*، ومقدمة *التحقيق*، الترجمة 600، ص. 14 ؛ الأكَراري، روضة *الأفنان* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الأجزاء : 1، 2، 8، 9، 11، 13 ؛ *أرشيف أكَرض بتمنارت* ؛ *أرشيف فانسين*، تقرير دونيس Denis.

السّمُوكَني أو الساموكَني، **الحسن** بن الطيفور بن محمد، التيزنيتي استقرارا، من عائلة طافحة بالعلم، ترجم الحضيكي لجده إبراهيم بن إبراهيم السموكَني، وكان والده عدلا.

تخرج على يد الشيخ أحمد بن محمدالتمكَدشتي وبه اشتد عوده في الفقه وعلوم اللغة العربية، واشتغل مدرساً في مدرسة زاوية الهناء بطاطا، وكان له يد في تكوين زمرة من الطاطائيين والسموكَنيين بها. ثم مدرسة أيت صواب إلى أن نزل به عصا التسيار بتزنيت وعمَرها بالتدريس لأنواع العلوم عقدين ونيفاً.

ولم يمنعه هذا الجولان من المشاركة في الفتاوى والنوازل بشكل لافت للنظر، ودخل في مناجزة مع أعلام أدوزية وإكَرارية وجشتيمية، بل وأعلام تمكَدشتية (الحسن بن أحمد). وكان النقاش حول قضايا سوسية على رأسها قضية بيع الثنيا. لقد أثبت جزءا منها في كتابه *الردود الزنجفورية عن الأسئلة الطيفورية*، طبع بتونس. وتناثرت نوازله كذلك في مظان *المجموعة الفقهية* للمؤرخ السوسي وفي مخطوطات بقيت حبيسة خزانات خاصة.

خلف كذلك شروحا ونظما في قضايا لغوية كانت خير معين للطلبة السوسيين، وكانت له اليد الطولى كذلك في علم الأوفاق.

وعلى غير العادة، اختلف مع شيوخه، فآثر الطريقة الأحمدية التجانية، وكان محمد أكنسوس نبراسه، وعلى يد السموكَني ـ حسب رواية السكَرادي في *تحلية الطروس* ـ انتشرت التجانية بالسوس الأقصى في ظرف انحصر صيتها بين فطاحلة العلماء وعلية التجار والرؤساء.

توفي بتاريخ 20 جمادى الثانية عام 1278 / 23 دجنبر 1861.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 5، 6 : 92-209، 231، 8 : 251، 9 : 43-105، 11 : 156-157، 266-282، 13 : 12، 234، 305، 313 ؛ رجالات *العلم العربي*، *المجموعة الفقهية*، ص. 28-17؛ ح. العبادي، *فقه النوازل في سوس*، أكَادير، 1999، ص. 318-310.

شفيق أرفاك

السموكَني، العربي بن محمد، أحد أعلام سوس الكبار في ميدان العلم والأدب والتدريس، قال عنه محمد المختار السوسي : "كان علامة كبيرا غواصا على المعاني، حلالا للمشكلات، مستحضرا في النحو واللغة غاية الاستحضار... كما كانت له بالفقه وما إليه مقالات لا تجهل، أما الأدب فهو فيه ريحانة الأنيس، وزهرة الجليس... كان مطلعا كبيرا مستحضرا للتاريخ عامة وللأدب الأندلسي خاصة، دارسا للأشعار العربية. (*المعسول*، 9 : 48).

ولد هذا العالم بدوار "تامسولت" من وادي "ساموكَن" سنة 1279 / 62-1863 وحفظ القرآن الكريم على يد والده المشارط بمسجد "إمتضي".

أما العلوم العربية والشرعية فقد تلقاها على يد عدد من الشيوخ : محمد بن عبد الله الإلغي، والشيخ علي الدرقاوي، والحاج محمد اليزيدي، وأبي الحسن الإلغي، وأحمد أمْزَاركَو، واستجاز الأستاذ أحمد الجيشتمي هو ورفيقه الطاهر الإفراني لما زارا تارودانت سنة 1306 هـ.

أظهر العربي الساموكَني نبوغا وتفوقا في الدراسة، مما أهله لأن يكون مساعدا لأستاذه اليزيدي في تعليم المبتدئين. وانخرط في الطريقة الدرقاوية ضمن مريدي الشيخ الحاج الحسن التاموديزتي، وهو مازال في طور الطلب، بيد أن أستاذه صرفه عن مهيع التصوف وأرجعه إلى الميدان العلمي الذي له خلق.

كما أنه اشتغل فترة بفض النوازل ببلده، كما اشتغل كاتبا للقائد الحاج أحمد التامانارتي، بيد أن المدني الناصري لقيه صحبة القائد بتاغجيجت، وأنَّبه على خدمة هذا القائد الأمي، فصرفه عن تلك الخدمة.

أعمل الرحلة مع رفيق عمره الشاعر الكبير الطاهر الإفراني إلى فاس سنة 1314 هـ، فلقيا هناك عددا من العلماء منهم الحاج محمد كَنون الصغير، والأدباء كالبلغيثي وابن شقرون. بيد أنهم لم يجلسوا إلى أي شيخ من الشيوخ لإضراب الطلبة عن القراءة بالقرويين لمدة ثلاثة أشهر.

بدأ المترجم مرحلة التدريس بمدرسة أدايْ الحربيلية التي كانت أولى محطات مشارطاته، وبعدها انتقل إلى المدرسة الإغشانية، وفيها بدأت شهرته تطير وهمته في التعليم ونشر

العلم تسير بها الركبان، ثم غادر هذه المدرسة إلى مسجد أيت موسى بمجاط، ثم غادره ليرجع إلى المدرسة الإغشانية ثانية، وثالثة ورابعة، فكان كلما غادرها إلا ورجع إليها، وهي التي انتهى فيها مطافه التعليمي سنة 1327 هـ. وكان في كل مدرسة يحل بها يتحلق عليه العشرات من الطلبة الذين يأخذون عنه العلوم العربية والشرعية، وكان يسير في تعليمه على نهج أستاذه أبي عبد الله الإلغي، فيتمشى في تلاميذه بالتدريج، ويؤاخذهم بالاستظهار وتلاوة كتب الأدب أوقات الراحة، وبالإنكباب على مطالعة الدروس وإعادتها، فبذلك نجب منهم كثيرون. (*المعسول*، 9 : 48 ـ 49).

لم يُخلِّف العربي الساموكني وراءه سوى مجموعة من الأشعار والرسائل كان يتبادلها مع معاصريه ولا سيما رفيقه الشاعر الطاهر الإفراني. وهذا الإنتاج الأدبي مازال مشتتا في الخزائن الخاصة، وقد ألم بطرف منه محمد المختار السوسي في *المعسول*.

لزم في آخر عمره بيته بدوار تابوحنايفت بعدما أثل أملاكا اشتغل باستثمارها إلى أن توفي عام 1329 / 1911.

م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء 9 : الإكراري، *روضة الأفنان*، تح. حمدي أنوش.

محمد الحاتمي

السميحي، عبد القادر، روائي، مسرحي شاعر. ولد بطنجة في 11 شوال عام 1343 / 5 مايو 1925 وتلقى تعليمه الأولي في مسقط رأسه، في الكتاب بحي بني يدر، وفي مدرسة الجمعية الخيرية، وفي المدرسة الإسلامية الحرة التي أسسها عبد الله كنون. كما كان يغشى الدروس الحرة التي كانت تنظم بالمساجد، ويتردد على دروس مسائية لتلقي الإسبانية.

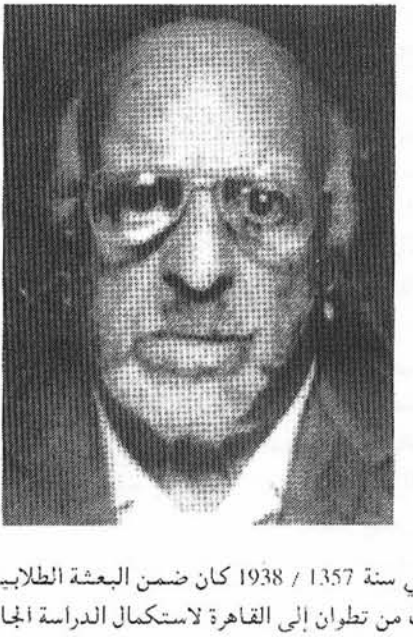

وفي سنة 1357 / 1938 كان ضمن البعثة الطلابية التي توجهت من تطوان إلى القاهرة لاستكمال الدراسة الجامعية. وورد في وثيقة رسمية اشتملت على أسماء أفراد البعثة البالغ عددهم أربعين، مع ذكر مساقط رؤوسهم وأعمارهم، أن سنه كان إذذاك 19 سنة، أي أنه ربما يكون قد ولد في سنة 1338 / 1919.

التحق بالمدرسة السعيدية في مصر، ثم بجامعة فؤاد الأول التي نال فيها الإجازة في الآداب في نوفمبر 1945. وفي 1955 نال الدبلوم العالي لمعهد الدراسات العربية العليا التابع للجامعة العربية في القاهرة أيضاً. وفي 1958 انتقل إلى باريس ليلتحق بمعهد "الأليانس فرانسيز". وفي 1960 سجل في السوربون دراسة موضوعها *آداب الحياة التكاملية عند أبي العلاء المعري*. لكنه قطع ذلك المشروع والتحق بسلك وزارة الخارجية المغربية في 1961. وفي 1977 عين بسفارة المملكة المغربية بتونس كمستشار، وبقي هناك حتى سنة 1985.

بدأ حياته الأدبية في القاهرة بالنشر في الصحف منذ سنة 1940، كما تردد على النوادي الأدبية هناك. واشتغل بدار الكتب المصرية من 1950 إلى 1985. ونشر في *رسالة المغرب* و*الأنوار*، وبعد ذلك في *العلم*، و*دعوة الحق*، و*آفاق*، ومجلة *القصة والمسرح*، و*الاتحاد الاشتراكي*.

أبرز مصطفى يعلى في رصد بيبليوغرافي لأعمال السميحي، تضمن استقصاء بيوغرافيا استقينا منه المعطيات المذكورة سلفا، أن إنتاج السميحي متنوع في مجالي الأدب والفن. فبالإضافة إلى الكتابة كان له اهتمام بتصميم واجهات الكتب، حيث نظم في 1971 و1972 و1991 معارض لأغلفة الكتب التي صممها، وهي منشورات لكتاب وشعراء مشهورين من المغرب وغيره من الأقطار العربية.

نشر فيما بين 1946 و1995 أعمالا سردية منها : *أشياء لا تنتهي*، رواية 1983. ومجموعة قصصية بعنوان *في انتظار الذي لن يأتي* 1988. وله أعمال قصصية منشورة مثل *الرايس خبزة* و*الطفل يمضي أخيرا* و*بيكاسو الصغير* و*الأطفال لا يكبرون*. وقد ترجم بعضها إلى الإسبانية والسويدية والإنكليزية. وله سيرة ذاتية لم تنشر بعنوان *أسفار من ذاكرة الأيام*.

وفي المسرح نشر عدة نصوص في الجرائد والمجلات، منها *الطاحونة الحمراء* و*الفاكهة المحرمة* و*السقوط* : آه من يظن نفسه هامان. كما ألف في تاريخ المسرح المغربي، وخاصة بطنجة، كتاب *نشأة المسرح والرياضة في المغرب*.

وفي الشعر نشر نصوصا ذات طابع ملحمي وفلسفي، سجل الناقد المصري محمد مندور أنها تستقي نفسها ورمزيتها من أسفار العهد القديم. وقال عن نص له بعنوان *في الهجران ونهاية الصمت* : نرى المؤلف يعيد صياغة عدة آيات من سفر *أيوب* البالغ الروعة. وهذا اتجاه لا أدري لماذا لا نجده كثيراً عند الأدباء المسلمين بالرغم من أن ديننا يعترف بهذه الأسفار. وذكر مندور أن أدباء المهجر، وأغلبهم مسيحيون، متأثرون بما في كتبهم المقدسة، وأما المسلمون

ففيما عدا السميحي لم يجد مندور مثالا آخر سوى إبراهيم المازني.

ولاحظ محمد برادة أن كتابات السميحي تتميز بسخريتها وجرأتها. واستغرب خلو قصصه من ذاكرته المصرية. ولاحظ عليه كذلك صمته الطويل عن الكتابة. ولم يفته أن يشير إلى معاناة الكاتب مع الناشرين. كما أن نصوصه لا تحتملها الجرائد السيارة. وقد لاحظ محمد أنقار أن رواية *أشياء لا تنتهي*، التي طبعت في 1983، قد سبق للسميحي أن نشر فصلين منها في 1946، وفصلا في 1965.

صنف هذا الباحث عبد القادر السميحي ضمن الواقعية، وسجل أن المؤلف قام بالتنظير لواقعيته في مقدمة وطأ بها للرواية. وأكد الباحث أن واقعية السميحي المختلفة عن واقعية غلاب في *دفنا الماضي*، وواقعية مبارك ربيع في *رفقة السلاح والقمر*، تقع ما بين فكي الالتزام والوجودية، وهما قطبان فكريان سادا الثقافة العربية خلال عقدي الستينيات والسبعينيات. ويقول : تبقى واقعية السميحي رافدا من روافد واقعية الرواية المغربية الحديثة، وظاهرة ثقافية وأسلوبية في حاجة ماسة إلي الدراسة والتحليل.

ويقر من كتبوا نقدا عن أعمال السميحي أنها لم تنل حظها من لدن الجمهور والخاصة معا، فهو من الكتاب الذين همشوا أو اختاروا طوعا منطقة الظل. وبكل تأكيد فإن انعزاليته وزهده في اللمعان قد أثارا انتباه كل من عرفوه. وقد سجل ذلك أستاذ المستعربين الإسبان بيدرو مارتينيث مونتافيث، الذي عايش السميحي سنوات طويلة في القاهرة، فكتب عنه : السميحي محدث ممتاز، صاحب الكلمة الطيبة الودودة، عميق المفاهيم والهموم، يتمتع بالفضيلة الكبيرة التي تمنعه من أن يكون بطل الحديث، في حين يكاد يستحق دائما تلك الرتبة، بفضل حساسيته ومعلوماته، فهو صاحب التواضع السامي الرفيع، عندما يتكلم، وعندما يصمت، وعندما ينصت.

توفي سنة 1421 / 2001.

مؤلفات المترجم والكتب والمقالات التي تحدثت عنه المذكورة داخل النص : وثائق عائلية ؛ معرفة شخصية.

م. ع. المساري

سمير، عبد الله ، ولد سنة 1892، بمدينة پرپنيون في فرنسا، وكان اسمه Henri Raynaud. تخصص في الصيدلة، ونال فيها درجة الدكتوراة، كما حصل على إجازتين في العلوم.

في سنة 1923 كان من أعضاء اللجنة الصحية لمدينة مراكش، التي كلفت بدراسة موارد المياه الصالحة للشرب بالمنطقة. وفي شتنبر 1938 التحق بالمغرب بصفته قبطاناً. صيدلياً بالمستشفى العسكري بمراكش. وبعد اندلاع الحرب أرسل إلى تونس، لكنه ما لبث أن عاد لأسباب صحية، فاستقر بمراكش واشتغل بالصيدلة، إذ فتح صيدلية بجامع الفنا سماها "Croix d'or".

أسلم وأدى فريضة الحج، وحصل على الجنسية المغربية سنة 1961، وغير اسمه فصار : سمير عبد الله.

كانت له ثقافة موسوعية، فبالإضافة لتخصصه، درس الجيولوجيا والتاريخ والموسيقى، وكانت له دراية كبيرة باللغات القديمة : الهيروغليفية، السومرية، الاكادية، الأشورية، لغة المايا. ومن مؤلفاته :

- *Contribution à l'étude hydro-géologique du Haut-Atlas occidental et de la plaine du Haouz : Les Eaux de Marrakech*, Lyon, 1925.

- *Le Tetracorde en musique*, مخطوط

- *La Musique Orientale*, مخطوط

- مخطوط، مبتور، حول الميثولوجيا المقارنة.

- مخطوط، حول المغرب وشمال إفريقيا (ما قبل التاريخ، والتاريخ القديم).

كما ألف مقطوعات موسيقية لآلة البيانو التي كان يعزف عليها.

توفي بمراكش في 24 قعدة عام 1398 / 26 أكتوبر 1978.

كتب المترجم المذكورة في النص ؛ معرفة شخصية.

حياة الغراس

سميرس (أسرة -) ← **بناني**

سميرس، طائر يدعى أيضا في المعاجم ونغر ونجار، جنس طير حسن الصوت من رتبة الجواثم Passeriformes ومن فصيلة الشرشوريات Fringillidae التي تضم 247 نوعا في العالم منها 11 نوعا يعيش في المغرب. سمي بالترنج لصفة لونه ويطلق عليه في المغرب اسم سمريس أو سميرس وترنجي في الشام ومصر. يدعى علميا Serinus serinus وبالفرنسية Serin cini وبالإنجليزية Serin.

يبلغ طوله 11.5 سم ويزن 10 ـ 12 غراما. ريشه أصفر مخضر جهة البطن والعنق والرأس وفوق العجز عند الذكر ورمادي مصفر مخطط بالسواد عند الأنثى. المنقار قصير وقوي. الجناحان مخططان بالرمادي والأسود عند الزوجين.

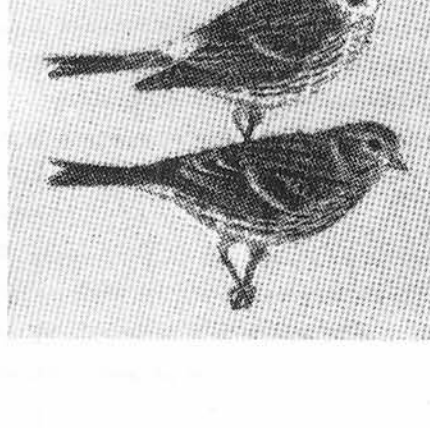

يتغذى من الحبوب وخاصة منها الصغيرة الموجودة في النباتات الشوكية. يعيش في المزارع والحقول والبساتين والأدغال والغابات ويبني عشه بين أغصان الأشجار ابتداءً من شهر فبراير. تتكون الأعشاش من قطع الجذور والأغصان والحشائش وتفرش من الداخل بالريش والصوف أحيانا. تمتد مدة الولادة من فبراير إلى ماي وتضع الأنثى من 3 إلى 5 بيضات بيضاء مخضرة منقطة بالأسود يبلغ طولها 16.7 x 11.9 ملم. تدوم مدة الحضانة 13 يوما وتبقى الفراخ وسط العش بعد التفقيس 14 يوما يغذيها ويحرسها الآباء ويستمر تقديم الأكل للفراخ أسبوعا واحدا بعد مغادرة العش.

يعيش سميرس في جميع مناطق المغرب من شمال البلاد إلى جنوب الأطلس الصغير وتقضي بعض المجموعات فصل الربيع في بعض المناطق الصحراوية. يقتصر توزيعه الجغرافي على الدول المحاطة بالبحر الأبيض المتوسط وأوربا الوسطى والغربية.

تضاف إلى المجموعات المغربية المستقرة مئات الأزواج المهاجرة تأتي من أوربا عبر جبل طارق ابتداء من شتنبر لتشتو في المغرب.

أ. معلوف، معجم *الحيوان*، القاهرة، 1932.

محمد رمضاني

السميري، قدور عبد القادر، مقاوم ولد سنة 1919 بمدينة وادي زم إقليم خريبگة.

كان منتميا لمنظمة اليد السوداء ويعتبر من المقاومين البارزين الذين قاموا ببطولات كبيرة أثناء مظاهرة 20 غشت 1955 بمدينة وادي زم حيث شارك في التهييء لهذه المظاهرة.

في صبيحة نفس اليوم انطلق السميري حاملا بندقيته من نوع "الجويجة" وظل يقاتل جنود الاستعمار إلى أن أصيب برصاص في يده وعاد إلى منزله حيث ضمد جراحه، والتحق من جديد بساحة المعركة وبقي يجاهد حيث سقط شهيداً على إثر إصابته برصاص المستعمر.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 521974.

سُمَيْلي، طائر صغير القد من القواطع، كما هو شائع في اللسان الدارج، يصنف إلى رتبة الجواثم مخروطيات المناقير Passeriformes وإلى فصيلة الشرشوريات Fringillidae. يألف الغابات والمناطق الزراعية ويتغذى من الحشرات ومن الفواكه العنابية. يدعى علميا Carduelis spinus وبالفرنسية Tarin des aulnes وبالإنجليزية Siskin وبالإسبانية Lugano وبالإيطالية Lucherino.

تختلف الإناث عن الذكور في اللون، ريش الذكور مخطط بالأخضر المصفر والأسود وريش الإناث رمادي مخضر مبقع بالأسود. يبلغ طول الجسم 12 سم ولا يتعدى وزن الكبار 20 كرام. الذيل قصير نسبيا ومتشعب، القائمتان رماديتان ونحيلتان جداً. يعيش في مجموعات قليلة الأفراد. موطنه الأصلي أوروبا، ومنه عدة مجموعات تشتو في سهول المغرب الساحلية وجبال الريف. وقد تمت مشاهدة عدة أفراد تحمل خاتما وضع عليها في هولندا وبلجيكا وذلك في كل من المحمدية ومغشوش والضويات وضواحي تطوان. يأتي إلى المغرب عبر مضيق جبل طاق في بداية أكتوبر ثم يعود إلى أوروبا في بداية الربيع ليتوالد في الغابات الصنوبرية منذ فبراير إلى غاية شهر مايو. يتكون العش من قطع الأشن والنباتات والأغصان ويفرش بالصوف والريش. تبيض الإناث عادة 3 ـ 5 بيضات زرقاء شاحبة ملساء ولامعة تتخللها نقط شقراء، طول قطريها 12.3 × 16.4 ملم. تحضن الأنثى البيض حوالي أسبوعين وتغادر الفراخ العش بعد حوالي أسبوعين.

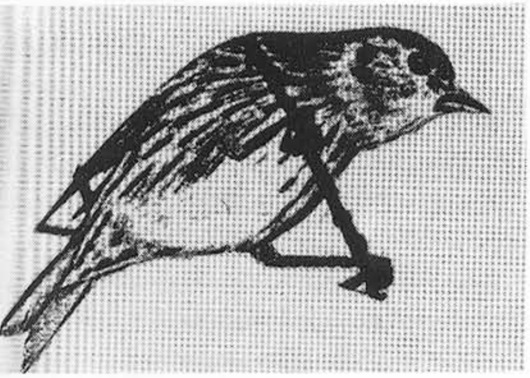

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979 ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977.

محمد رمضاني

السميِّج، عبد السلام بن محمد بن أحمد أعرجان، السرغيني الأصل، ولد بمدينة مراكش عام 1332 / 1913، ونشأ في بيئة متمسكة بالتعاليم الإسلامية. ولما بلغ سن السادسة من عمره أدخله جده أحمد إلى كتاب الفقيه الحاج محمد بن علال، وقد أظهر الطفل نجابة وقدرة على التحصيل. ولما أتم حفظ القرآن الكريم مع مجموعة من المتون، التحق بالجامعة اليوسفية فانكب إلى مجالسة الشيوخ، والتنقل بين حلقاتهم. فمن شيوخه والده الفقيه محمد بن أحمد، والصوفي الورع أحمد ولد الحاج المحجوب وهو عمدته، ومولاي أحمد العلمي، ومحمد بن عمر بن نوح السرغيني السملالي، والحاج الحسن الشاوي، ومولاي أحمد القاضي صهر السلطان مولاي يوسف.

وكان كلما ختم أشياخه فنا من الفنون المدروسة نظم قصيدة يذكر فيها فضل المؤلف والشارح والشيخ. وقد أجازه مجموعة من الشيوخ، منهم : العلامة أحمد ولد الحاج المحجوب الذي حلاه بقوله : (... وكان الفقيه البركة الذكي

الحيي النبيه سيدي عبد السلام بن سيدي محمد السرغيني يكنى باعرجان، جعله الله ممن فتح عليهم في السر والاعلان...). كما أجازه العلامة محمد بن عمر السملالي والعلامة سيدي المدني بن الحسني...

ولما بلغ سن العشرين من عمره أسندت إليه إمامة الصلوات الخمس بمسجد روض الزيتون الجديد، والخطابة بمسجد القنارية القريب من سكناه، وقد أعطى دروسا تطوعية - في كلا المسجدين - لطلبة العلم، ودروساً وعظية لسكان الحي. ففي مسجد روض الزيتون درس المواد التالية :

رسالة ابن أبي زيد القيرواني - ابن عاشر - *المرشد المعين* - *مختصر الشيخ خليل* - *لامية الزقاق* - *نظم السلم للخضري* - *موطأ الامام مالك* - *الالفية* - *قطر الندى* - *الشفا* - *الجوهر المكنون* -

وفي مسجد القنارية كان يعطي دروسا بعد صلاة الجمعة، وتارة بين العشاءين.

وعندما أسس النظام بالجامعة اليوسفية عام 1358 / 1939 أخذ يعطي دروسا تطوعية، أو ينيبه رئيس الجامعة العلامة محمد بن عثمان أثناء مرض بعض الشيوخ. ولما لمس فيه الكفاءة العلمية، والقدرة على التدريس إلى جانب الاخلاص والنصح ألح عليه بالانضمام إلى سلك الأساتذة بصفة رسمية، أقبل عليه الطلبة وتزاحموا على حلقاته، حين وجدوا فيها ضالتهم. فقد كانت دروسه تتسم باليسر، وعدم التعقيد، وكثيرا ما كان ينظم الدروس المسندة إليه ليسهل على الطلبة حفظها وفهمها. وقد حباه الله بحب الناس له، وجعل له القبول وليس هذا بغريب على رجل نشأ نشأة صالحة لم ينزلق فيها مزالق الشباب، ولم تستهوه زخارف الحياة. وقد أجمع الذين عايشوا طفولته وكهولته على أنه قطع حياته في طاعة الله وخشيته.

وفي سنة 1365 / 1945 اختاره محمد الخامس - رحمه الله - لتدريس العلوم الدينية للأمراء والأميرات بالمدرسة المولوية، كما كان يلقي دروسا وعظية في الفقه والسيرة النبوية بين العشاءين بمسجد أهل فاس بالمشور الذي كان يسكن بجواره. وكان يسلك في هذه الدروس مسلك البساطة والتيسير، وتقريب المفاهيم لرواد مجلسه.

كما عين قاضيا بمحكمة الاستيناف القسم الشرعي، ثم بالمجلس الأعلى للقضاء، ثم مستشارا به. وأظهر من التفاني والإخلاص والعفة ما لفت إليه الأنظار لهذا السلوك المثالي النزيه.

من آثاره :

1 - نظم لكتاب *التزامات الحطاب* : يقرب من 800 بيت. ولما اطلع عليه بعض علماء الرباط طلبوا منه وضع شرح لهذه المنظومة، فلبى رغبتهم بوضع شرح.

2 - نظم كتاب *الورقات* : في علم الأصول لإمام الحرمين.

3 - شرح *الطرفة*في مصطلح الحديث .

4 - *الفوائد الجامعة في عدة مسائل نافعة* : جمع فيه فوائد كثيرة من أدب، ونحو، وحديث، وتاريخ، ومستملحات، ومواعظ. طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية عام 1411 / 1991.

5 - *تحفة الانجاب في تسهيل علم الفرائض ومسائله الصعاب* : نشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عام 1413 / 1993.

توفي بالمدينة المنورة أثناء أدائه مناسك الحج، ودفن بالبقيع يوم 22 ذي الحجة سنة 1396 / 14 دجنبر 1976.

ع. السلام السبيج نفسه، مقدمة *تحفة الانجاب في تسهل علم الفرائض ومسائله الصعاب*، مخطوط ؛ أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

السناني، إدريس ← الحنش

السناني، محمد الرضى، نجل الأديب إدريس بن علي الفاسي المعروف بالحنش سابق الترجمة. ينتسب إلى أولاد سنان أحد بطون قبيلة بني مالك وسفيان. كان جده قد رحل من قبيلته في الغرب إلى فاس على عهد السلطان عبد الرحمان ابن هشام.

ولد محمد الرضى السناني بفاس وبها تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم. كما نال قسطا من التعليم الأولي في مكناس. بعد ذلك شرع في دراسة العلوم بجامع القرويين وغيره، وكان من شيوخه والده إدريس الحنش والفقيه محمد ابن جعفر الكتاني، والفقيه خليل الخالدي العامري المعسكري، والقاضي عبد السلام الهواري، والميقاتي محمد بن علي الأغزاوي وغيرهم. ولازم الفقيه أحمد بن الجيلالي الأمغاري، اثني عشر عاما. وبعد أن أنهى تعليمه سنة 1329 / 1911، تحول إلى إلقاء الدروس بجامع القرويين وغيره، متدرجا في المراتب العلمية إلى أن تبوأ صدارتها، وقام بوظيفة إمام بالزاوية الناصرية بحي السياج بمدينة فاس لمدة عشرين عاما حيث جمع بين الإمامة والخطابة.

وحينما أسس النظام الدراسي الجديد بالقرويين سنة 1350/ 1931 طُلب منه الالتحاق بهيئة التدريس، لكنه أبى وواصل تقديم الدروس في القرويين بشكل تطوعي إلى أن غادر فاسا باتجاه الدار البيضاء مكرها بسبب تهمة ملفقة ضده سنة 1351 / 1932.

استقر في الدار البيضاء حوالي عشرة أعوام، كان خلالها يعطي دروسا بجامع الحمراء بالمدينة القديمة، ثم رحل إلى أزمور عام 1362 / 1943 حيث كان يقدم دروس الفقه والتفسير والحديث بمسجد سيدي الخادم. ويذكر أنه لما ختم دروس الأربعين النووية سنة 1367 / 1947 احتفل أهل أزمور بذلك الاختتام بالطعام والشاي (*الشذرات*، ج. 2 : 129،

133)، وأقرأ بهذه المدينة توحيد المرشد المعين عام 1382 / 1960.

ألف محمد الرضى السناني في معارف شتى، لكنه كان يضيق بالنقاش، وأهم مؤلفاته المطبوعة *الشذرات والتقاط الفوائد وغرر العوائد*، وهو شبيه بمحاضرات الحسن اليوسي. اشتمل في جزءيه على شذرات لغوية، صوفية، حكمية، طبية، نصحية، أدعية، كرامات، وصايا، فرائض، أشعار، ألغاز، تراجم ومعلومات عامة، جلها منثور وبعضها منظوم، وقد دلت هذه الشذرات على تنوع معارفه، وإن كان بعضها لا يستند إلى أساس علمي. وذكر السناني أن له كتابا آخر يحمل نفس العنوان لكن مضمونه مختلف "هو خاص *بالمسائل الفقهية حاذينا به حذو مختصر خليل*". وورد في كتابه *الشذرات* إشارات إلى بعض مؤلفاته وسياق تأليفها أحيانا، وكثيرا ما وضع لها أزيد من عنوان، ومن هذه المؤلفات :

- *تقييد في تسهيل ما عنيت إيضاحا للهمزة والنون من قبل ابن أجروم أنيت*، وقد وضعه بمناسبة قراءة المؤلف لمقدمة الإمام أبي عبد الله محمد بن داود الصنهاجي الفاسي المعروف بابن أجروم في أزمور سنة 1956/1376.
- *إبداء التيسير لقراءة التفسير*، سماه كذلك *إزالة التعسير عن قراءة التفسير*.
- *المقالة المرومة في الرحلة إلى تلمسان وندرومة*.
- *الأجوبة المرضية عن أسئلة عالم مدينة مشرية*.

كان السناني في بعض آرائه مسايرا لظروف العصر وقضاياه الجديدة مثل قوله بجواز تركيب الأسنان الاصطناعية (*شذرات*، 2 : 123) وحلية الخميرة الرومية (*شذرات*، 2 : 158 - 159)، كما أجاز الضمان التجاري أو ما كان يعرف آنذاك بالسُّكُرطة، وقد وافقه بعض علماء الوقت على فتواه منهم المفتي العباس التازي الذي عمل قاضيا في مدينتي وجدة والدار البيضاء (شذرات، 2 : 244 - 256).

أما مؤلفاته المخطوطة، فهي *السيف الباتر في التنبيه على أن الشيخ مولانا عبد القادر أعلى مقاما من أوائل الأولياء والأواخر*، *الحنانة فيما يتعلق بالحضانة*، *تأليف في الانتصار للشيخ العلامة الميقاتي سيدي محمد العلمي فيما وقع بينه وبين الفلكيين من معاصريه*. وطبع له، فضلا عن الشذرات، *الإتحاف والوداد ببعض متعلقات الأولاد*، *التودد ببيان حكم الفسخ عند التعدد*، *تنبيه الأمة على حكم زكاة السّهمة*، *تنبيه الكبير والصغير على غلط فاحش وقع لشراح الجامع الصغير*، *تنبيه الحاضر والمسافر على مقدار مسافة القصر بالمياتر*، *إغاثة ذوي الخصاصة والاملاق بإخراج واجب زكاة الأوراق*، وقد خالف في هذا المؤلف مفتي مصر الشيخ علّيش الذي أفتى بعدم وجوب الزكاة في الأوراق المالية، وذيّل هذا التأليف بتقييد رد فيه على بعض معاصريه ممن لم يوافقوه الرأي أي جواز زكاة الأوراق النقدية.

نظم السناني الشعر، ويحفل كتابه الشذرات بالعديد من القطع المنظومة في أغراض مختلفة، لكن جلها في المواعظ والنصائح.

توفي في مدينة أزمور صباح يوم الخميس 24 صفر 1385/ 24 يونيه 1965، ودفن في مسجد ضريح مولاي أبي شعيب السارية.

م. الرضي السناني نفسه، *الشذرات والتقاط الفوائد وغرر العوائد*، الدار البيضاء، د. ت.، جزآن ضمن سفر واحد ؛ *إغاثة ذوي الخصاصة والاملاق بإخراج واجب زكاة الأوراق*، فاس، 1341 هـ ؛ ع. الله الجراري، *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين من 1900 إلى 1972*، الرباط، ط. 1، 1985 ؛ م. المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، *الفترة المعاصرة*، 1790 - 1930، ج. 2، مطبعة فضالة، المحمدية، 1989 ؛ م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، 1992.

أحمد المكاوي

السنبك (Chebec)، مَركب يدعى أيضا سبّاك وسنبوق، وعاميا "صندوق" و"بوكراع". وهو مَركَب من السفن الشراعية المتوسطية المنحدرة من القادس والغليوطة، مجهز بصاريين إلى ثلاثة، وذو سطح مجسر وبهينات دقيقة حيث تبدو حافة الجؤجؤ بارزة على شاكلة مقدمة سمك السيف (Es-padon)، ويقوم كوثلها على أرضية خارجية مكونة من خشبة بين جناحين جاعلة المتراس ممتدا ومحاطا بجسر، الشيء الذي ميزه بصورة أفضل عن غيره من السفن الأخرى، وجعله أكثر قدْرة على مجابهة ظروف الطقس، لا سيما وأنه كان - إلى جانب الأشرعة - مجهزا بقوة مجذافية تصل إلى ثلاثين وحدة.

وقد شكلت خفة السنبك وضعف غاطسه دافعين أساسين ليصبح أكثر السفن ملاءمة للإبحار في المياه الضحلة، وخاصة لتجاوز خطورة الموج عند الأقاصير. ولذلك بادر المغاربة إلى استبدال دوره من مركب للصيد إلى سفينة حربية صغيرة، مجهزة ببطارية مدفعية تتراوح بين عشر قطع وخمس وعشرين، وجاهدوا من أجل جعلها أقل حجما وأكثر سرعة من النوع المتوسطي منذ منتصف القرن الحادي عشر (17 م).

ويشير بعض الباحثين إلى أن استعماله الناجح في النشاط الجهادي هو ما دفع البحريات الأوربية إلى اعتماد بدورها كسفينة مطاردة للسفن المعادية. وقد صار السنبك على امتداد قرنين - إلى جانب الفرقاطة والغليوطة - نوعا رئيسيا في السفانة المعتمدة في الأسطول الجهادي المغربي، يتراوح طاقمها بين مائة ومائتي رجل، وحمولة لا تتجاوز في الأقصى مائتي طنة.

ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف...، ج. 3، ص. 259، 260 ؛ مجهول، *الرئاسة البحرية ورجال القوة الجهادية في المغرب*، مخطوط خ. ع. ميكروفيلم رقم 43، ص. 1 - 2 ؛ درويش النخيلي، *السفن الإسلامية على حروف المعجم*، الإسكندرية 1974، ص. 70 - 71، 73، 74.

L. Chenier, *Journal du Consulat Général de France à Maroc (1767 - 85)*, Publié par Charles Penz, Casablanca, 1943 ; *Recherches historiques sur les Maures et histoire du Maroc*, T. III, Paris, 1787 ; L. Brunot, *La mer dans les*

traditions et les industries indigènes à Rabat et Salé, Paris, 1920 ; R. Coindreau, *Les corsaires de Salé*, 1993 ; P. Chack, *Du Maroc à l'Océan Indien*, Paris, 1939 ; H. Des Champs, *Pirates et flibustiers*, Paris, 1973, et Salvatore Bono, *Les corsaires en Méditerranée*, Trad. A. Somaï, Rabat, 1998 .

حسن أميلي

السنتيسي، أسرة مكناسية أصلها أمازيغي، وتوجد فرقة منها بفاس. وهم "أهل تجارة ومال ومعاش وحرفة".

السنتيسي، الغالي بن المكي المكناسي. حلاه ابن زيدان في *الإتحاف* بقوله : "فقيه أديب كاتب شاعر معقولي مدرس" دَرَس في مسقط رأسه على الشيخين المفضل السوسي والمفضل ابن عزوز، ورحل إلى فاس فأخذ عن الفقيه محمد گنون مُختصر الرهوني على خليل ومحمد بن التهامي الوزاني ونظرائهم. عمل كاتباً في بلاط الحسن الأول وابنه عبد العزيز، ثم ناظراً للأحباس بمكناس في عهد عبد الحفيظ. فتصدر للتدريس وأخذ عنه جماعة وافرة من نبهاء طلبة مكناس. وألف في اللغة والأدب والسيرة شروحاً وحواشي، منها حاشية *على الرسموكي على الجُمل* ؛ وتأليف في إعراب أما بعد ؛ وهدية *المنهاج في شرح قصيدة الهمزية* المعنونة بكفاية *المحتاج* ؛ في جزءين ؛ وشرح همزية *النبهاني*؛ وديوان شعر في الأمداح النبوية رتبه على حروف المعجم، في كل حرف قصيدة من عشرين بيتاً ؛ و*تحفة الأشياخ والأطفال بما بقصة الزباء من الأمثال*، وهي أرجوزة مطلعها :

حمداً لمن زان بحلية الأدب   جيد الفنون وبه نيل الأرب

توفي بمسقط رأسه ليلة الاثنين سابع عشر شعبان عام 1338 / 6 ماي 1920 ودفن بالزاوية الكنتية من حومة صدراته.

ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف، ط 2، الرباط، 1990، ج 5 : 508 - 515 ؛ ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 8 : 2912.

السنتيسي، المختار بن محمد بن المكي المكناسي، فقيه مشارك حلاه في *إتحاف المطالع* بالعلامة المشارك المطلع، الخير الناسك... مع دين متين وأخلاق كريمة، قضى حياته في التدريس بمسقط رأسه، وتولى إدارة المعهد الديني، وأصبح رئيس المجلس العلمي بمدينة مكناس.

توفي يوم الجمعة خامس وعشري شعبان عام 1389 / 6 نونبر 1969 ودفن بزاوية الشيخ ابن عبد الصادق بمكناس.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3417 ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 184.

محمد حجي

السنجاب، حيوان من الثدييات الوحشية، كما هو في كتب اللغة، وبوسبولة في مناطق سوس، واسمه في الشرق العربي سنجاب وبعضهم يقول قرقذون وقرقذان. مذكور في عدة معاجم. والكلمة فارسية معربة ؛ يتخذ من جلده الفراء المشهورة. يصنف إلى رتبة القوارض Rongeurs وفصيلة السناجب Sciuridae. يعيش في المغرب نوعان :

- السنجاب المغربي ويسمى علميا Atlantoxerus getulus Linnée وبالفرنسية Ecureil de Barbarie وبالإنجليزية Barbary ground-squirrel وبالإسبانية Ardilla moruna موطنه على وجه الحصر إفريقيا الشمالية (المغرب والجزائر).

متوسط القامة وذيله طويل غزير الشعر ؛ رأسه دائري وأذناه قصيرتان. شعره رمادي أسمر على الظهر ويحمل الجانبان خطوطا طولية بيضاء. البطن رمادي فاتح. يتراوح وزن الكبار بين 60 و120 غرام ويبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 16 - 22 سم وطول الذيل 12,5 - 17,5 سم.

صيغة أسنانه كالتالي : 1/1 أسنان، 0/0 أنياب، 2/2 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 22 سنا.

نشيط نهارا ويعيش بداخل الجحور أو بين الأحجار المتراكمة في الحقول الزراعية والمراعي. يألف الأماكن الصخرية غالبا على وجه الأرض رغم حسن تسلقه الأشجار. يعيش منفردا أو مزدوجا أو في مجموعات صغيرة ويتكون غذاؤه من مختلف الثمار وبالأخص منها ثمار الزيتون والفستق والعرعر مع ميول كبيرة لثمار شجر الأركان ولحبوب القمح والشعير والخرطال. يعيش في المناطق الصخرية وخواصر الجبال ذات الكسور والحقول المزروعة والمنازل المهجورة في الأرياف في كل من جبال الأطلس المتوسط والكبير والصغير وفي الهضاب العليا بالمغرب الشرقي وفي سهوب وادي درعة والساقية الحمراء، باستثناء الأوساط الصحراوية الحارة. يقترب نادرا من الغابات باستثناء غابة الأركان بناحية سوس ويخشى الكواسر الليلية والنهارية والإنسان.

يتوالد في الربيع وبداية الصيف وتدوم مدة الحمل 36-40 يوما وتلد الإناث 3-7 صغار عارية تفتح عينيها بعد 30 يوما وتدوم مدة الرضاعة 5-6 أسابيع. تصير بالغة بعد سنة وتعمر حوالي 10 سنوات.

- السنجاب الأرضي السنغالي يسمى علميا Xerus

Rat palmiste وبالفـرنســيــة erythropus (Geoffroy, 1803) وEcureuil terrestre du Sénégal وبالإنجليـــــزية Stripped ground-squirrel. يعـيش في المغـرب على وجـه الحـصـر في مناطق سوس فقط ولا علاقة له بالنخيل كما جاء في تسميته بالفرنسية. موجود أيضا في المناطق الصحراوية الإفريقية من موريتانيا والسنغال إلى إثيوبيا وكينيا وأوغندا.

تكبر قامته نسبيا عن قامة السنجاب المغربي ويتراوح طول الجسم بين 22-30 سم وذيله طويل غـزير الشـعـر بني مصفر ضارب إلى اللون الأحمر والأسود، يبلغ طوله 18-27 سم ؛ رأسه طويل، شعره على ظهره غزير بني اللون يتخلله خط أبيض رقيق على الجانبين تصعب مشاهدته في الميدان. البطن أبيض فاتح. مخالبه طويلة مقوسة وقوية. صيغة أسنانه شبيهة بصيغة أسنان السنجاب الأسود.

تعتبر المجموعات التي تعيش حاليا في مناطق سوس من بقايا المجموعات الكبيرة التي كانت منتشرة قديما على طول سهوب الساحل الأطلسي من سوس إلى السنغال. نشيط نهارا ويعيش في سهول سوس بين أشجار الأركان وبقرب حقول الفلاحة. لا يتسلق الأشجار ويبحث عن الأحجار المتراكمة ليتخذها مسكنا له كما يفعل السنجاب المغربي. نمط العيش والتكاثر متشابه عند النوعين.

يبقى توزيعه الجغرافي المتقطع والمنحصر على سهول سوس أمرا غامضا يحتاج إلى دراسة بيئية وفزيولوجية للتمكن من معرفة دقيقة لتأقلم هذا النوع في المنطقة الجنوبية.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc, les Mammifères. Albums didactiques*, Rabat, 73 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc.*, Rabat, 1986.

محمد رمضاني

السنشولي، محمد من الرياس العلوج العاملين في أسطول سيدي محمد بن عبد الله. وكان خلال الفترة الممتدة من سنة 1769 إلى 1772 يعمل انطلاقا من مرسى تطوان، رايسا لسفينة غليوطة صغيرة مجهزة بثلاثين مجذافا وبمدفعين اثنين فقط، وتحت إمرته طاقم مؤلف من مائة رجل.

Chenier, *Journal*..., pp. 103 - 104, 111 - 112, 117 - 118, 125 - 127 ; Coindreau, *Les Corsaires*, p. 92.

حسن أميلي

السنْطِير، آلة موسيقية وترية من أنواع القانون - بطاء مرققة -، يشد عليها في العادة أربعة وخمسون وتراً تسوى كل ثلاثة منها على نغمة واحدة، ويضرب عليها بضربين من خشب على هيئة شفرة السكين، بينما يضرب على القانون بالاصبع نقرا.

وقد ورد ذكر هذه الآلة في بعض المصادر المغربية والأندلسية باسم القانون حيناً والسنطور أو السنطير حينا آخر : ذكرها الشقندي المتوفى عام 629 هـ باسم القانون واعتبره من بين الآلات التي ليس في العدوة منها شيء إلا ما جلب من الأندلس. وذكره بعد ذلك بسنوات قليلة عبد الرحمن ابن خلدون، فجعله مربع الشكل يعزف عليه قرعا بعود أو تمريراً بقوس وبذلك جاء أقرب إلى صورة العود. أما محمد بن الطيب العلمي فقد أورد هذه الآلة تحت اسم السنطير، وساق إبراهيم التادلي الرباطي ذكرها تحت اسم القانون.

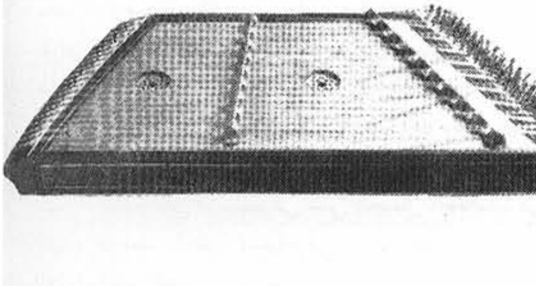

ولعل مما يبرر تسمية هذه الآلة بالسنطير عند العلمي بدل القانون أن يكون قد نقل ذلك عن شيخه محمد البوعصامي الذي نعلم أنه قضى فترة من الزمن بمصر حيث درس الموسيقى وتلقى جملة من المعارف الموسيقية الشرقية التي يبدو أثرها في رسالته *إيقاد الشموع*.

تدل شهادة أوردها المؤرخ الرباطي محمد الضعيف(ت. 1239) في كتابه على شيوع استخدام السنطير بالرباط في عهد السلطان المولى سليمان حينما قال : "في ليلة الأحد 17 صفر عام 1226 بعث السلطان المولى سليمان في طلب الحاج أحمد بن الطيب بناني الرباطي، فطلع عليه لأنه يعرف ضرب السنطير مع الآلة، فبات يضرب السنطير مع العود والرباب" وسوف يأتي التادلي ليؤكد استخدام هذه الآلة بالرباط ويحلها الرتبة الرابعة من بين أحسن آلات الطرب.

أ. المقري، *نفح الطيب*، 2 :51، المطبعة الأزهرية المصرية ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *المقدمة*، ص. 424، مصر ؛ م. العلمي، *الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب*، ط. حجرية، فاس، ص. 178 ؛ إ. التادلي، *أغاني السقا ومغاني الموسيقى* ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري، ص. 370.

عبد العزيز بن عبد الجليل

السنوسي، أسرة فاسية، "فرقة منها من قبيلة شراكة ينتمون إلى الشرف الحسني أهل جاه ومال ومعاش وحرفة، وفرقة ليسوا بشرفاء وأصلهم من تلمسان أهل تجارة ومعاش وحرفة" (*إزالة الالتباس*). ويذكر الشيخ عبد الحفيظ الفاسي أنه سأل شيخه العالم السلفي عبد الله السنوسي دفين طنجة عام 1350 عن أصلهم ومحل وفادتهم، فلم يجزم له بشيء،

وأن عائلتهم السنوسية الفاسية لا علاقة لها بمشاهير السنوسيين الموجودين بتلمسان والذين منهم الشيخ محمد بن يوسف السنوسي (ت. 895) صاحب العقائد، ولا بالسنوسيين الخطابيين الموجودين في شلف بالجزائر والذين منهم الشيخ العالم محمد بن علي السنوسي (ت. 1276) صاحب الطريقة السنوسية نزيل الحجاز أولا ثم جغبوب بليبيا ثانيا. ولا علاقة بينهم وبين السنوسيين الموجودين بتونس، الذين منهم الحفيد محمد بن عثمان السنوسي (ت. 1318 / 1900) صاحب كتاب *مسامرات الظريف* وغيره.

ذكر الشيخ المهدي بنسودة في فهرسته أنه وقف على كتابة بخط شيخه سيدي محمد بن أحمد السنوسي يصرّح فيها بانتسابه للشرف، "وهو لسان صدق، والناس مصدقون في أنسابهم". ولم يُعلم أنهم نوزعوا في هذا الانتساب، كما يحدث للكثير من الأسر الدعية للشرف. غير أنه لم تعرج على ذكرهم بالشرف أو بغيره كتب الأنساب الحسنية والحسينية التي اختصت بشرفاء فاس والمغرب.

ولا ذكر لأسرة السنوسي الفاسي بمدينة فاس قبل القرن الثالث عشر للهجرة، إلا أن بيتهم خلال هذا القرن وما بعده سيكون "بيت علم ومجد ووجاهة". وأول من نبغ من أبناء هذه الأسرة بالعلم هو شيخ جماعة القراء والمحدثين بفاس محمد بن أحمد السنوسي (ت. 1257)، ثم نبغ بعده ابنه العلامة المحدث الراوية إدريس السنوسي (المتوفى بالمدينة المنورة عام 1295 هـ). ونبغ بعده أبناؤه الثلاثة : المفكر الداعية العلامة السياسي إبراهيم بن إدريس السنوسي (ت. 1304 بالاسكندرية) سفير الخليفة العثماني إلى السلطان المولى الحسن الأول. ثم أخوه الشيخ السياسي عمر بن إدريس الذي قام مقام أخيه، فكلف بمهمة السفارة بين العثمانيين وسلاطين المغرب : الحسن الأول، وخلفه عبد العزيز. ثم أخوهما العالم السلفي الداعية المجدد الشيخ عبد الله بن إدريس نزيل طنجة والمتوفى بها عام 1350. ثم ولد هذا الأخير أحمد بن عبد الله السنوسي الأديب الشاعر.

ويوجد هذا النسب السنوسي في غير موضع في المغرب، ولا سيما في الجهة الشرقية : تازا ووجدة، وما يحيط بها، إذ يجري اسم السنوسي ليدل على الاسم الشخصي تارة، وعلى اللقب العائلي تارة أخرى. ومن هذه الجهة فقيه وجدة وعلامتها الشيخ العربي السنوسي المتوفى بوجدة عام 1389/ 1969.

وقد توارث الأبناء والأحفاد في هذه الأسرة شهرة العلم والجاه. ومايزال عدد من أفراد هذه الأسرة اليوم في كل من مدن طنجة والرباط وفاس. ومنهم من تصدر في مناصب كبرى في الدولة.

م. ابن سودة، *فهرسة*، مخطوط ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، ط. فاس، 1350 .

السنوسي، إبراهيم بن إدريس من مواليد فاس. نشأ بها وقرأ على شيوخها. في مقدمتهم القاضي محمد بن عبد الرحمن السجلماسي الحجرتي (ت. 1275). واستفاد من والده الشيخ إدريس السنوسي كثيراً فلازمه في الحضر والسفر وتخرّج به.

ورحل أكثر من مرة إلى المشرق لأداء فريضة الحج ولقاء علمائه. وكان ذلك في رفقة والده الشيخ إدريس السنوسي وأسرته في بعض المرات.

وإذا كان والده الشيخ إدريس قد توفي وهو بالمشرق في المدينة المنورة منتصف عام 1295، فإن بقية أبنائه : إبراهيم وعمر وعبد الله قد فضلوا الاستقرار بالمشرق، ولم يعد منهم بصفة نهائية إلا الشيخ عبد الله بن إدريس السنوسي الذي توفي في وقت متأخر بطنجة عام 1350.

وقد كان الشيخ إبراهيم ما يزال في المغرب عام 1275 حين حضر وفاة شيخه القاضي محمد بن عبد الرحمن الحجرتي، ورثاه بشعر. غير أنه رحل بعد هذا التاريخ إلى تونس ليقضي به وقتاً ليس قصيراً. وهناك أقام علاقات صداقة وأخوة مع الطليعة المثقفة في تونس فكانت له مراجعات شعرية مع الشيخ الشاعر التونسي محمود بن علي الشريف قابادو (ت. 1288 / 1871).

ولم يغادر إبراهيم السنوسي تونس إلا بعد فتنة تدخّل الفرنسيين في تونس، وبعد محنة أقلقته ظروفها كثيراً ليرحل إلى مصر ويستقر بها.

ويتصل في القاهرة بالشيخ الحبابي وكيل المغرب آنذاك بمصر، فيقربه إليه ويختاره ليكون ممثلاله بالإسكندرية. وهناك وبتنسيق مع الداعية الإسلامي الشيخ ظافر الأزدي المدني صاحب الطريقة المدنية الدرقاوية، يبدأ نشاطه السياسي فيتصل بالباب العالي ويصبح من دعاة الجامعة الإسلامية في ظل الخلافة العثمانية.

وإذا كانت عيون متطلعي الاستعمار الفرنسي قد فطنت إلى خطورة ما تمثله شخصية إبراهيم السنوسي في الواجهة السياسية، وراقبت حركته في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، فوسمتهُ في كتاباتها وتقارير رجالها بالمغامر، ووصفت حياته بأنها مليئة بالمؤامرات والدسائس الكثيرة التعقيد ـ فإنه في إطار موقفه السلفي المتجدد، وفي إطار دعوته السياسية إلى الوحدة الإسلامية في ظل الخلافة العثمانية، قد حاز ثقة دعاة الجامعة الإسلامية ليصبح أحد المفكرين المتميزين بينهم. وحاز ثقة الخلافة العثمانية، فاستُقدم إلى الأستانة ليكلفهُ الخليفة العثماني بمهمة السفارة، والاعتماد عليه في الخطاب وإدارة حوار الإقناع السياسي.

وهكذا كلف بالسفارة إلى المغرب عام 1296، فحمل أكثر من رسالة كتابية وشفوية من الخليفة العثماني عبد الحميد. ومن كبير وزرائه إلى سلطان المغرب المولى الحسن الأول وإلى بعض كبار المشهد السياسي في المغرب آنذاك. وكان الخطاب فيها جميعاً هو تنسيق الموقف الإسلامي والحض على التمسك بتعاليمه وخدمته وحمايته، مع الدعوة إلى خلق تقارب سياسي يفضي إلى قيام وحدة إسلامية.

قضى المترجم بقية حياته بمصر مشتغلا بالسياسة والدعوة إلى الوحدة الإسلامية، وخدمة العلم، منتقلا بين الفينة والأخرى إلى بلاط الخلافة بالباب العالي حين يستقدمه الخليفة ويستدعيه. وبمصر توطدت علاقات السنوسي بمثقفي عصره فتبادل وإياهم المكاتبات والرسائل.

من مؤلفات إبراهيم السنوسي :

1 ـ *سيف النصر بالسادات الكرام أهل بدر*، نظماً ونثراً. وهو من كتبه التي طبعت بمصر عام 1305.

2 ـ *تفسير القرآن الكريم*. لم يتم.

3 ـ شرح *صحيح البخاري*.

4 ـ شرح *مختصر خليل*.

وفي هدية العارفين أنه لم يوافه الأجل لإتمام تأليفها. غير أن أشهر كتبه هو :

5 ـ *النور اللامع في بيان الأصل الجامع*. ولا ذكر له في هدية العارفين ولا عند معجم المؤلفين لكحالة. وهو كتاب حاول أن يبين فيه آفاق الدعوة إلى الجامعة الإسلامية عن طريق إقامة وحدة سياسية إسلامية تجمع شعوب الإسلام تحت نظام الخلافة العثمانية.

والكتاب في حجم متوسط، صفحاته 78 صفحة في النسخة المخطوطة التي اطلعت عليها. وقد بناه مؤلفه كما بين في طالعته على : مقدمة وبابين وخاتمة.

توفي إبراهيم السنوسي في القاهرة عام 1304 وأقبر بالأسكندرية حيث ما يزال مشهده مشهوراً.

إ. السنوسي نفسه، *النور اللامع في بيان الأصل الجامع*، مرقون ؛ *سيف النصر*، ط. مصر عام 1305 بعناية ع. السنوسي، *رسالة الخليفة عبد الحميد العثماني وجواب السلطان الحسن الأول عليها*، مخ خ. ع، ج 845، والرسالتان منشورتان بمجلة الإيمان، 1980، أعداد، 91 ـ 99، إصدار جمعية شباب النهضة الإسلامية، الرباط ؛ بيرم التونسي، *صفوة الاعتبار*، 4 : 80 ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، الاتحاف، 2 : 361 ـ 5 : 378 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 8 : 74 ـ 387، المطبعة الملكية، الرباط ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، 2: 81 ؛ إسماعيل البغدادي، هدية *العارفين*، 5 : 44 ؛ رضا كحالة، معجم *المؤلفين*، 1 : 11 ؛ م. المنوني، *مصادر تاريخ المغرب*، 2 : 129.

السنوسي، إدريس بن محمد بن أحمد ولد بفاس في العقد الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) ونشأ بها في حضن والده المشتغل بالعلم والدرس آنذاك، فأخذ عن مشيختها واستفاد منها. في مقدمة شيوخه والده الشيخ محمد بن أحمد السنوسي (ت. 1257)، والشيخ محمد صالح الرضوي في رحلته إلى المغرب عام 1261، وأجازه كتابة، وغيرهما.

واشتغل إدريس بالعلم والرواية، وان لم يذكر له تأليف أو يعرف له تقييد. ولا تسعفنا المصادر المتيسرة بين أيدينا في الكشف عن أوجه نشاطه وهو في فاس، أو عن تحديد مستواه وأسلوبه في الدرس، إلا أن وصفه في بعض الكتابات بالعلامة المحدّث، وورود اسمه في أسانيد بعض الروايات الحديثية، يجعلنا أمام شخصية علمية متميزة يحرص معاصروه من الراغبين في العلم، على الأخذ عنه واللقاء به والاستفادة منه.

وهكذا كان من تلامذته الآخذين عنه : أبناؤه الثلاثة، العلماء إبراهيم وعمر وعبدالله والأمير العباس ابن السلطان عبد الرحمن بن هشام، والشيوخ محمد المدني ابن جلون الكَومي (ت. 1298) وأجازه كتابة عام 1286، والشيخ أحمد بن الطالب بنسودة (ت. 1312) والقاضي العربي بن رحال الرحماني المراكشي (ت. 1354) وعبد الملك ابن عبد الكبير العلمي (ت. 1320) ومحمد بن محمد العلوي المدغري (ت. 1325)، ومحمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي (ت. 1324) وغيرهم كثير.

ويبدو أن جاذبية المشرق وإغراءات تأدية مناسك الحج كانت لها قوة تحريك شوق الرحلة عند إدريس السنوسي، فكانت له أكثر من رحلة نحو المشرق صحب فيها أسرته وأبناءه الذين فضلوا الاستقرار هناك.

توفي إدريس السنوسي بالمدينة المنورة، في منتصف ربيع الثاني عام 1295 / 18 أبريل 1878.

ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، فاس، 1350، 2 : 81 ـ 120 : *استنزال السكينة الرحمانية*، تطوان، 1373 ـ 1853 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، ط. 2 بيروت، 1 : 434، 2 : 1054 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، 5 : 421 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2. الرباط، 7 : 140 ـ 145 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996.

السنوسي، محمد بن أحمد الفاسي اشتهر بابن السنوسي من الفرقة التي تنسب للشرف. وقد وقف تليمذه المهدي ابن سودة على نسبته الشريفة بخطه، "وهو لسان صدق، والناس مصدقون في أنسابهم". وهو أول من نبغ في أسرته.

نشأ بفاس وقرأ على شيوخها، إذ أدرك منهم زمرة شهيرة في مقدمتهم : الشيخ التاودي بنسودة (ت. 1209)، وقد اعتبر من آخر تلامذته بالمغرب، والشيخ محمد بن عبد السلام الفاسي (ت. 1214) وقد أصبح شيخ جماعة القراء بفاس بعده، والشيخ النحوي محمد العثماني الطرنباطي (ت. 1214) والشيخ عبد الكريم اليازغي (ت. 1199) والشيخ عبد القادر بن شقرون الفاسي (ت. 1219) وهو عمدته، وكان القارئ عنده بحلقته، وغيرهم.

واستوى الرجل عالماً متمكناً يجمع بين العلم الواسع والسلوك الحسن. ولذلك فهو في نظر تليمذه ابن حسون الوزاني "شيخ كبير ومحدث شهير"، وهو في الصورة التي رسمه بها في كتاب *السلوة* "الفقيه العلامة، البركة الفهامة، ذو الأفعال الحسنة والأخلاق المستحسنة، السري الصالح، الساعي في المصالح ...".

اشتغل بالعلم والتعليم، فكان يدرس *صحيح البخاري* ومختصر *خليل* في جامع القرويين، وكانت له مجالس درس

أخرى يقرئ فيها البلاغة بالسعد، والنحو، وعلوم الآلة. ويذكره الشيخ المهدي بنسودة، وقد قرأ عليه في هذه المجالس وحضر عنده واستفاد منه، بأنه "ذو فهم رائق وتعْبير شائق". وبأنه يسير معهم أحسن السير. واختصه السلطان فقربه منه، وكلفه ببعض المهمات للفصل فيها، ثم قلّده خطة الإمامة والخطابة وقراءة البخاري بالضريح الإدريسي، وبقي بها إلى وفاته حيث خلفه فيها الشيخ الوليد العراقي (ت. 1265).

كان محمد السنوسي "ممن تُردّ إليه مشكلات الخصام، وهو أحد المجتمعين على فصل ما طال عند القضاة من النزاع والكلام. يعيّنه مع غيره لذلك السلطان أبو زيد، لأنه معروف في الفضل بالزّيْد. وكان رحمه الله لا تأخذه في الله لومة لائم، يغيّر جهر المناكر والمآثم، ويصدع بالحق، وله التقدم والسبق".

وإذا كان الشيخ السنوسي قد حظي بالحضور العلمي لصدقه، واتساع روايته الإسنادية، وازدهار حلقته التدريسية بكثرة طلبته والراغبين في الجلوس إليه، فإنه قد حظي بالاعتبار عند شيوخ التصوف في بيئته. ولذلك اعتبر من خاصة الخاصة عند التجانية وشيخها. فكتبوا عنه، ونوّهوا بصلاحه. ونَسب له تلامذتُه كرامات ومرائي حسَان. ولم يحفظ عن محمد السنوسي اشتغاله بالتأليف والكتابة. إلا أنه خلّف طلبة متميزين بالعلم والرواية والتصنيف، وبضع إجازات خصّ بها بعض هؤلاء الطلبة. في مقدمتهم : ولده الشيخ إدريس بن محمد السنوسي (ت. 1295)، والشيخ التهامي ابن رحمون (ت. 1263) وكتب له إجازة عامة، والشيخ المهدي بن سودة المرّي (ت. 1294)، والشيخ علي بن أحمد بن عبد الصادق الركراكي الصويري (ت. 1308) وقد كتب له إجازة تاريخها عام 1256، والشيخ محمد بن عبد الواحد الكتاني (ت. 1289) والشيخ الحسن كنبور اللجائي (ت. 1283)، والشيخ أحمد بن حسون الوزاني (ت. 1282) والشيخ القاضي أحمد بن محمد بناني الشهير بحميد (ت. 1327)، وغيرهم.

توفي بفاس سادس عشر ربيع الأول عام 1257 / 7 ماي 1841 وأقبر خارج باب الفتوح بأعلى روضة العلماء.

أحمد ابن حسون الوزاني، *فهرسة*، 69 مخطوطة ؛ المهدي بنسودة، *فهرسة*، 44 مخطوطة ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة*، 2 : 369، ط. فاس الحجرية ؛ أ. السكيرج، *كشف الحجاب عمن تلاقى مع التجاني من الأصحاب*، ط. 2 : 1381 - 1961 ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، 2 : 81، فاس، 1350، ع. السلام بنسودة، *إتحاف المطالع*، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1966، 7 / 2561، 1417 - 1996 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، ط 2. بيروت، 3 : 155.

عبد الله المرابط الترغي

ابن سهل، **إبراهيم**، وهو كما في *المسلك السهل*، للإفراني المراكشي إبراهيم بن أبي العيش بن سهل، فمعرفته بابن سهل، إنما هو من قبيل جده الأدنى أو الأعلى الذي صار علما على الأسرة أو البيت، مما لم يكن يعدو إلى أكثر من جد واحد أو جدين غالبا، والكنية بأبي العيش، مما يرغب فيه اليهود، في المغرب الذين لم يكونوا يدعى لهم من قبل المسلمين إلا بالعيش، هكذا : "الله يعيشك" لأنهم كانوا، كما يوخذ من القرآن الكريم، حريصين على الحياة فيما عرف لأبناء إسرائيل (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) وتحداهم الله بتمني الموت، فقال : (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين").

وقد عرف إبراهيم في المغرب بابن سهل الإشبيلي أو الإسرائيلي بحسب ما كان عليه من دين يلازمه الجنس، فلم تكن الاسرائيلية، مقصوداً بها اليهودية، بعرفها عندنا من الالتصاق بالدين خاصة، بل كان المراد الأصل الجنسي غالبا.

وقد اختلف في صدقه وإخلاصه للإسلام الذي اعتنقه وأطال الناس في ذلك والاستشهاد له أو عليه. وسئل هو عن ذلك، فأجاب بما كان عليه أن يجيب، حقيقة وهو في قفص الاتهام الغبيّ، ففهم من إجابته هذا وفهم منها غير هذا. ونحن لا نضع في أهميتنا شيئاً من الاثنين، بل الذي يهمنا أن الرجل كان شاعراً، شهر بشعره في الأندلس والمغرب والمشرق. بل إنه كان، إلى جانب شعره، كاتبا مترسلا ؛ وإلا لما رتبه أبو علي ابن خلاص في ديوان كتابته بسبتة المدينة التي لم تكن تخالف الأندلس في شروط كتابها الرسميين الذين نجد منهم جهابذة، أواخر العهد الموحدي، وطيلة العهد المريني. مما لم تكن تتوفر عليه عواصم المغرب لذينك العهدين، وإن ظهر شيء من ذلك فإنما هو من الأندلسيين أنفسهم...

نعود إلى التعرف على الرجل فهو إشبيلي، من ناشئة القرن السابع الهجري، ظهر نبوغه في هذا العصر في الشعر خاصة. وكان له زملاء لهم وزنهم في هذا الفن، منهم، أو على رأسهم علي بن موسى ابن سعيد اليحصبي، أو الذي عرف في المشرق بالمغربي صاحب التآليف العديدة في التراجم الأندلسية، الأدبية والمتعلقة بالشعر خاصة.

وقد ربطت الزمالة بين الرجلين في ميولهما الجامحة وفي سعيهما نحو الاستجداء بفنهما، فكان من مواقفهما في هذا ما كان منهما على أعتاب حاكم سبتة المستبد بها اليانشتي فمدحه ابن سعيد بقصيدة قال فيها :

بالعدل قمت وبالسماح فدن وجـــد
لا فارقتك كفاية وعطـــاء

وقال ابن سهل قصيدة عامرة في خمسة وأربعين بيتا ومطلعها :

طاول بجدك فالاقدار عنـــوان
واحكم فما لصروف الدهر عصيان

وكأني بهما كانا على اجتماع عند هذا المدح، فهو في لهجته واحد وان كان ابن سهل، استعان بابن هاني، في مدحه للفاطمي وبالجراوي في مدحه للخليفة الأول الموحدي زيادة على تلبسه بلباس ابن دراج القسطلي المغربي الأصل.

وقد كان ابن سهل في انتجاعه، كابن دراج فطاف البلاد واتجه إلى إحدى الجزائر الشرقية الأندلسية "مَنُرقَة" ؛ كما

كان ابن دراج قبله بنيف ومائتي سنة اتجه إلى شرق الأندلس "دانية" حيث مدح صاحبها العامري ثم أم سبتة حيث صاحبها الحمودي. وكلاهما كان كاتبا مرسما في حضرة الإمارة والخلافة. نعم حتى إنَّ ابن سهل عمل في الخلافة الموحدية وفي حاضرة "مراكش" كما يذكر ذلك زميله ابن سعيد في كتابه "المغرب". وان كان ذكره بشاعر الخلافة بمراكش فإنا نستظهر أنه لم يكن شاعراً فحسب، بل كان في تلك الفترة المضطربة كذلك كاتبا للموحدين. بعد أن كان كاتبا لصاحب سبتة ابن خلاص أبي علي الحسن الإشبيلي الثائر كما في *القدح المعلى* لابن سعيد. وهذا الوصف بالثورة لاشك أنه تلبس به، بعد أن خرج عن طاعة الموحدين الذين أقاموه على سبتة، فبايع لأبي زكرياء يحيى الحصفي الذي كان قد انفصل عن الموحدين أيضاً وأعلن استقلاله بحكم إفريقية.

وتقدم أن ابن سهل من رجال القرن السابع ولكن تاريخ ميلاده لا يعرف بالضبط والغالب أنه كان في العقد الثاني من هذا القرن، أما تاريخ وفاته، فقد أجمع السابقون على كونه كان في حادث غرق الأسطول السبتي الذي كان يقل ابن المستبد أو القائم على حكم سبتة وفيه ابن هذا الحاكم وكاتبه ابن سهل. وكان ذلك الأسطول متوجها إلى إفريقية بهدايا يقدمها لأبي زكريا الحفصي الذي كان قد بايعه ابن خلاص، وكان أقوى أمير بالشمال الإفريقي عامة.

وقد اختلف في إخلاصه للإسلام، وسواء كان إسلامه حقا أم كان ظاهريا، فان ثقافته الاسرائيلية الإسلامية بادية بقوة في شعره بقوة ليست لشاعر أو أديب، غير ابن سهل اليهودي النشأة. بل وجدنا الاقلال من ذلك هو الواقع وفي لمحات من أوائلها قول الحطينة في مدح عمر بن عبد العزيز :

أتى الخلافة أو كانت له قدراً

كما أتى ربَّهُ موسى على قدر

ومن أواخرها قول معاصر ابن سهل، ميمون الخطابي في رثاء ابن الوزير ابن الجد ممدوح ابن سهل كذلك :

أرجة الصعق يوم النفخ في الصور

أم دكة الطَود يوم الصعق في الطور

وإلى جانب شهرته بالشعر وقرضه له منذ الحداثة، كما يذكر ابن سعيد في *القدح المعلى* وأشاد به، وجعل غيره في عصره دونه، فإنه اشتهر كذلك في الموشحات التي أبدأ فيها وأعاد، وتفنن في نظمه لها، بكل الفنون التي سبق بها وغالبُها، إن لم يكن كلها من الفصيح ويكاد يستأثر بالقدح المعلى في هذه الموشحات خاصة وفي مقدمتها :

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى

قلب صب حلّه من مكنس

ومما تجدر ملاحظته كذلك، أن المغرب لم يهتم بشاعر أندلسي اهتمامه بابن سهل الذي ألف في شرح توشيحه المذكور محمد ابن الصغير الإفراني المراكشي.

كما أنه أخيراً أقدم على طبع ديوانه طبعة غير حجرية منذ نصف قرن ولعله كان من قبل أبناء القادريين الذين اختصوا في فاس بالمكتبات التجارية التي كانت منها ثلاث كبار تواجه أحد أبواب جامع القرويين فيما مضى.

حقيقة أن العناية بأشعار الأندلسيين، كانت منذ قدم الشعر الأندلسي وكان الشريف الغرناطي السبتي يقدم على شرح مقصورة القرطجني في القرن الثامن. لكن هذا السبتي الشريف لم يكن يفرقه عن الأندلسيين فارق، بل أقام بالأندلس نفسها فنسب لغرناطة. لكن الإفراني المراكشي كان يختلف عنه تمام الاختلاف واهتمامه كمغربي بابن سهل ربما أتى من إسلامه وإقباله على مدح النبي وفيما عدا التوشيح فهذا نموذج نأتي به تمثيلا لشعره ونثره معا ففي *القدح المعلى* أنه كتب لصديق له بالجزيرة الخضراء، بهذه الرسالة مظهراً أن البعد أقل صبره واحتماله :

إليكم يحنُّ القلب في كل ساعة

ونحوَ مغانيكم تلفَّت ناظري...

نداء ما له جواب إلا لتنفس الصعداء من المنادي والكتم بها من شماتة أعدائي في محفل النادي فقد فقدت والله بعدك بهجة الأنس التي كنت بين هذه المنازه أعتادُها، وحالت في عيني أحوال الأيام حتى ودعت منها جُمَعها وأعيادها. أين تلك المجالس المونقة الارجاء المملوءة من المحاسن بكل ما هو أحسن من بلوغ الأمل والرجاء..

لطائف آداب فكاهة مجلس

موائد أمثال نوادر أشعار

سرائر آيات حبيت بفضلها

تبين ما خصت به قدرة الباري

ثم أن البدل النحوي ومنه العوض فيه لا يزيد إلا بهتا في هذا البيت :

وكيف أصبر عنكم بعد معرفتي

أن ليس لي عوض منكم ولا بدل

وفي النثر تنفس الصعداء، من المنادي والكتم بها من شماتة الأعادي في محفل النادي تبرّج طالما تزيت به شمطاء العواجز فقيل فيها :

عجوز تمنت أن تكون فتية

وقد يبس الجنبان واحدودب الظهر

وهكذا نصدق ابن سهل حينما يتجلى في نثره فيقول : "حالت في عيني أحوال الأيام حتى ودعت منها جمعها وأعيادها" فهو في تصدعه لا يملك إلا أن يتكيء على عصا الحريري في قوله "رميت منه بداهية حل لها كل صبر حُبِد".

وقسمه مدين للبيد في كون أيدي الشباب تطرز أيامه، هذه الأيام نفسها التي أفرغت لياليه في قوالبها "بمواصلة النعيم المستطاب" كل ذلك أسمال بالية من كل جدة خالية. ومعذرة فقد تسلطت عليَّ الأسجاع السهلية، وهلك عني سلطانية ونعوذ بالله من الغلِّ. الحقيقة أن الأدب العربي في الأندلس ضرب بعصا الذل يوم ذلّت الأندلس نفسها، فكان القرن السابع نذيراً بالانهيار فاختفت هذه الأرواح ولم تبق إلا الأشباح فلا غرابة أن يقول ابن سهل :

إني له عن دمى المسفوك معتـــذر

أقول حملته في سفكه تعبا

ولايد لليهودية والذمة في هذا الكلام إنه كلام الجميع وقد ارتفعت الأقلام وطويت الصحف ولم يبق في الأدب إلاَّ ذَماء ولادماء. فكان في نزعه الطويل ينتظر اللفظة الأخيرة، فكانت آخراً قد لفظها حتى فحول الكتاب والشعراء وعلى رأسهم ابن الخطيب، وما أدراك ما ابن الخطيب. معارض ومعارض كثيرة وشخوص وشخوص متزاحمة متناكبة ولا خير في هذه ولا في تلك إلا أن تكون نائية...

هذا هو ابن سهل في شعره ولاشك أنه هو في نثره وان لم يكن بيدنا منه نماذج تمكننا من الحكم النهائي. غير أن الاشباه والنظائر تقول لنا ما قلنا وإن كانت له قصائد عوامر فهي ببضاعة السابقين وحتى اللذيذ منها والطيب لنا إنما هو اجترار لما كان قبلنا طعاما طعمه الأولون، فكان الأخيرون هِرَرَهُم تتلقف منهم مضغهم فلنعد إلى تلك القصيدة العامرة فنجدها بعد الأبيات الثلاثة تستمر هكذا :

ترى المقاتـــل أنصـــارا وربتمـــا

أصغت لأمر المنايا فهـــي آذان

إن الملوك وإن عزّوا وان كثروا

وخالفوك فقد ذلوا وقد هانوا...

توفي ابن سهل سنة 643 / 45 ـ 1246 حسب ما ذكره ابن عذاري في الجزء الثالث من تاريخه *البيان المعرب*. ولكن هذا التاريخ ينص صراحة على المبايعة، ثم يذكر أن ابن خلاص بعث بهدية مع ولده في غراب جديد، فغرق الغراب بها وبالولد ولم يخرج منه أحد وفيه الكاتب أبو إسحاق بن سهل وفي غيره تأخر عن هذا التاريخ فيحتمل أن واقعة الغرق تأخرت عن البيعة إلى سنة ست وأربعين، كما نقل عن *تحفة القادم* لابن الأبار أو سنة تسع وأربعين، كما نقل عن *فوات الوفيات* لابن شاكر. وعلى كل الاحتمالات والنقول فإن وفاة ابن سهل حصلت في العقد الخامس من القرن السابع، وهو لم يسلخ العقد الرابع من حياته.

ابن سعيد المغربي، *القدح المعلى*، تح. إبراهيم الابياري، مختصر : *المغرب في حلى المغرب*، تح. الأستاذ شوقي ضيف ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، الطبعات المصرية ؛ م. الإفرني المراكشي، *المسلك السهل*، تح. م. العمري ؛ *ديوان ابن سهل*، نشر دار صادر ؛ *البيان المعرب*، الجزء الثالث، تح. ويسي بمساهمة م. إبراهيم الكتاني وم. ابن تاوبت.

محمد ابن تاويت التطواني

السهلي، عمر بن علي، مقاوم ولد سنة 1934 بقبيلة بني أحمد ملحقة تبرانت إقليم الحسيمة.

تشبع بالروح الوطنية منذ صغره، الشيء الذي دفعه إلى الالتحاق بصفوف جيش التحرير الثائر بشمال المغرب و عمل ضمن الفرقة التي كانت تحت قيادة محمد لحطاط.

وقد عرف بين أفراد فرقته بالشجاعة والإقدام، إذ شارك في عدة معارك وهجومات إلى أن استشهد يوم 24 /11 / 1955 بجبل جرفات بتبرانت عندما كان في طريقه إلى مركز باب الحيط حاملا بعض الأسلحة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 513735.

السهلي، محمد الصُّغَيِّر ـ بالتصغير ـ (دوحة، 135 ؛ *ممتع*، 28) بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم العمري بسكون الميم من أولاد عمرو، من قبائل عرب سوس. ويعرف بالسهلي نسبة إلى أخواله عرب السهول (*ممتع*، 28).

اشتهر أمره في عالم التصوف في أواخر القرن التاسع (15 م)، وبداية المائة الموالية. وكان دخل هذا العالم على يد الشيخ محمد بن سليمان الجزولي، صاحب الطريقة الجزولية الشاذلية، وهو الذي لقبه بالصّغير (*ممتع*، 28). وهذا يعني أن محمد الصغير السهلي كان جزولي السند والطريقة، ومن رجال الطائفة الجزولية الأوائل. بل لقد اعتبره محمد المهدي الفاسي "كبير" أصحاب الشيخ الجزولي، وأكد على ذلك عندما وضع ترجمته في *ممتع الأسماع* على رأس تراجم رفاقه في صحبة الشيخ المذكور (*ممتع*، 28).

ويترجم علو مقام الصغير السهلي في الطائفة الجزولية قربه الشديد من شيخه، والدور الكبير الذي قام به هذا الرجل في نشر الطريقة الجزولية. ولنا على هذا الدور وذلك القرب دلائل قوية، منها اعتماد شيخه الجزولي عليه في الدعاية للطريقة الجزولية، إيمانا منه، ولا شك، بقدرة تابعه هذا على كسب الأنصار. وقد لخص صاحب *ممتع الأسماع* هذا الدور في ترجمته للصغير، فقال : "كان عند شيخه يصطاد الرجال بهمته ويتصرف فيهم بنظرته" (*ممتع*، 28 ؛ *سلوة*، 2 : 211). كما يستفاد من الأخبار التي أوردها محمد المهدي الفاسي عن هذا الرجل أن نشاطه لم ينحصر في الدعاية للمشروع الجزولي، وإنما شارك في وضع عدة الطريقة للمريدين الجزوليين. حيث أشار إلى أنه أدخل زيادات مهمة على النص الأصلي لحزب الجزولي، وأن شيخه أقره على ذلك (*ممتع*، 25). كما ذكر صاحب *سلوة الأنفاس* من جهته، في هذا الصدد، أن الصغير السهلي "هو صاحب النسخة السهلية من *دلائل الخيرات*، وهي أصح نسخة وأعلاها" (*سلوة*، 2 : 211). وهذه إشارات هامة تدل على أن الشيخ الصغير السهلي كان من المقربين جدا من صاحب الطريقة الجزولية، الشيخ محمد بن سليمان الجزولي، وأن مقامه في الطريقة الجزولية كان عاليا جدا. دون أن ننسى، طبعا، تصدر الشيخ الصغير السهلي للمشيخة في زاويته في حياة شيخه.

وبعد وفاة ذلك الشيخ، صار الصغير السهلي كبير الجزوليين وشيخهم جميعا. نسجل هذا الأمر، رغم أن المصادر لا تشير إليه بصريح العبارة. لكن إذا علمنا أن الشيخ عبد العزيز التباع، المشار إليه باعتباره صاحب الإراثة من بعد الشيخ الجزولي، إنما كمل حاله، وتمت تربيته على يد الصغير السهلي، في زاوية هذا الأخير، بوصية من شيخهما الجزولي (*سلوة*، 2 : 211 ـ 212)، فليس من الخطإ القول بذلك الحكم.

بل لم يكن محمد الصغير السهلي كبير رفاقه في الطائفة الجزولية فحسب، وإنما كان أيضا "من أكابر الأولياء المحققين، وأحد الأفراد الواصلين، ومن ذوي الهمم العالية، ومن المقربين" (*ممتع*، 28)، وكان منزله بخندق الزيتون، قرب وادي اللبن، بأحواز فاس. وفي هذا المنزل - الزاوية قصده المتشوفون إلى التصوف الجزولي، والزائرون الراغبون في البركة، "فانتفع به كثيرون، وتخرج على يده رجال عديدون، أشهرهم قطب الجزوليين من بعده الشيخ عبد العزيز التباع دفين مراكش (*دوحة*، 137)، والشيخ أبو عثمان سعيد السايح المالكي دفين موضع يقال له المرجومة بأحواز فاس (*دوحة*، 73)، والشيخ أبو محمد عبد الحق الزليجي دفين جبل زرهون، والشيخ أبو البقاء عبد الوارث اليلصوتي دفين مدشر بني دركول في قبيلة بني زروال، والشيخ الكامل محمد بن عيسى الفهدي دفين مكناس (*ممتع*، 54، 56)، وغيرهم.

توفي عن سن عالية، سنة 918 هـ /13 ـ 1514 م، ودفن بزاويته، وقبره بها مشهود مشهور.

. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، الرباط، 1397 / 1977؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة حجرية بفاس، 1313 هـ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة*، طبعة حجرية بفاس، 1318 هـ، ج. 2؛ ع. السلام بن ع. الله الخياط القادري، *التحفة القادرية*، مخطوط خ. ع.، الرباط، رقم 2321ك، ج. 1.

أحمد الوارث

السهوب، جمع سهْب، يدل على المستوي من الأرض في سهولة أو على السهول الشاسعة الانتشار أو على الأراضي المنخفضة أو على ما يغطيها من الاستبس أو استيبا وهو المفهوم الذي نتطرق إليه هنا.

فالسهوب أو الاستبس تشكيلة نباتية مكونة من الحشائش الصلبة أو الجنيّبات القزمية الجفافية تصادف عموماً في المناطق الجافة أو شبه الجافة من قارات الكرة الأرضية، وخاصة في النصف الشمالي منها، حيث تمتد على مساحات شاسعة من قلب أوراسيا وأمريكا الشمالية.

لفظ استبْس رُوسي الأصل لأن جنوب روسيا والبلدان التي كانت تكوّن الاتحاد السوفياتي في حدوده الجنوبية تتميز بسهوبها الواسعة الانتشار التي عرفت تطوراً كبيراً في علوم التربة وفي ميدان بعض المزروعات الفلاحية، وتربية المواشي. واعتماداً على هذا اللفظ سُمّي جنس الحلفاء باسْتيبا Stipa (انظر حلفاء) الذي ينتمي إلى فصيلة النّجيليات Poaceae والذي يشمل عدة أنواع تعيش جلها في المناطق التي تقل فيها الأمطار. لكن المفهوم الحالي للسّهب اتسع ليشمل التشكيلات النباتية المكونة من أجناس أخرى من النجيليات أو غيرها من الفصائل الأخرى كالنجميات أو المركبات Asteraceae والسّرمقيات Chenopodiaceae.

بالرغم من كون السهوب الأوروآسيوية والأمريكية تعيش في المناطق الجافة أو شبه الجافة القارية الموجودة ما بين المنطقة المعتدلة وسافانا المنطقة المدارية، إلا أنها تعطي تربة جد خصبة استغلها الانسان للرعي أو للزراعة البورية أو المروية بواسطة مياه حقونات السدود، وذلك بعد اجتثاث التشكيلة النباتية. ومن أهم الزراعات التي تطورت على حساب السهوب نذكر زراعة الحبوب بأمريكا وبروسيا، وكذلك أيضاً زراعة القطن في هذين البلدين وفي أوزباكستان حيث أدت هذه الزراعة إلى كارثة بيئية تمثلت في تصحّر مناطق شاسعة من البلاد وتقلص مهول لمساحة بحر الآرال وتقهقر سواحله إلى مسافات بعيدة جداً عن مواقعها في الثلاثينيات من القرن العشرين. وذلك نتيجة إنشاء السدود على الأنهار التي تصب في هذا البحر من أجل ري زراعة القطن. وقبل انتشار الزراعة في مناطق الاستبس كان الرعي وما يزال النشاط السائد في السهوب التي لم تجتث بعد. ففي بعض البلدان كأستراليا والأرجنتين وبلدان آسيا الوسطى، تعتمد الحياة الاقتصادية في السهوب اعتماداً رئيسياً على الرعي وتربية الخيول.

أما في المغرب فإن السهوب تمتد على مجالات شاسعة من البيومناخات الصحراوية والجافة وشبه الجافة في شرق وجنوب البلاد بالإضافة إلى قمم الجبال العالية للأطلس المتوسط الشرقي والأطلس الكبير حيث تصادف السهوب المتميزة بتواجدها في ظروف مناخية قاسية جداً تتمثل في شدة البرودة لفصل الشتاء.

من حيث المساحة المكسوة بالسهوب المغربية، لم يتم بعدُ تقييمها إلا بالنسبة للحلفاء التي يقدر اتساعها بحوالي ثلاثة ملايين من الهكتارات. أما التشكيلات السُّهبية الأخرى فهي تغطي عدة أضعاف من مساحة سهوب الحلفاء.

تعتبر الهضاب العليا وعالية وادي ملوية أهم مجالات سهوب الحلفاء والشيح أو أرطميسْيا إنكولتا Artemisia inculta (انظر شيح) اللتين تنظمان عدة عشائر نباتية خاصة بكل واحد من النوعين. ففي هذه المجالات يكاد ينعدم وجود الأشجار باستثناء المنخفضات ذات التربة الخصبة والتي تتجمع فيها مياه الأمطار، وضفاف الأنهار الجارية.

يتميز مناخ هذه المجالات بشدة برودة فصل الشتاء، وبالحرارة المفرطة لفصل الصيف، وبقلة الأمطار. ويعود انعدام الأشجار إلى جفاف المناخ الذي يستفحل بقوة وكثرة الرياح.

تصادف عشائر الحلفاء على الأراضي المنحدرة والحصوية أو الصخرية، بينما تكسو عشائر الشيح الأراضي المستوية والمنخفضات الطمية والطينية.

أما السهوب المغربية الأخرى فمنها ما يصادف في المناطق الصحراوية على جل امتدادات الرق التي تكسوها بصفة متناثرة عشائر تنظمها على الخصوص أجناس السرمقيات Chenopodiaceae المتحملة لأقصى ظروف الجفاف، تاركة بذلك المنخفضات الطمية الرملية لتشكيلات أنواع الطلح (انظر طلح)، ومنها تلك التي تعيش في

المرتفعات الأطلسية في ظروف بيئية تتميز أحيانا بأقصى البرودة. وتتكون هذه الأخيرة من أنواع نباتية مختلفة تنتمي إلى فصائل الفوليات أو الفراشيات Fabaceae، والنجميات أو المركبات Asteraceae أو الخيميات أو البقدنوسيات Apiaceae.

من حيث الجانب الدينامي للسهوب المغربية نجد من بينها التشكيلات المناخية أي التي تتكون حسب الظروف المناخية المحلية للمنطقة المتواجدة بها، ويتعلق الأمر هنا بجل السهوب. أما السهوب الأخرى فهي تنتج عن تدهور تشكيلات شبه سهبية أو شبه غابوية للعرعار البربري أو للعرعر الأحمر أو للبطم الأطلسي أو للبلوط الأخضر.

يوجد جزء من السهوب المغربية في حالة جيدة يستعمل للرعي وخاصة سهوب الحلفاء والشيح (انظر *حلفاء* وشيح) في الهضاب العليا التي تعتبر المراعي الخاصة بأغنام سلالة بني گيل المتميزة بلحمها المعطر بفضل أكلها للشيح. أما الجزء الآخر فهو إما اندثر أو في حالة جد متدهورة. وذلك لعدة أسباب منها الرعي المفرط ومنها الاجتثاث للزراعة أو لتحسين المراعي كما حدث في مناطق ميدلت وبوعرفة وبني مطهر حيث اجتثت على مساحات شاسعة تشكيلات الشيح لتعويضها بنباتات دخيلة لم تتحمل الظروف البيئية المحلية فاندثرت. وتطورت عملية تحسين المراعي إلى عملية تدمير من طرف الدولة لهذه الموارد الطبيعية المتجددة المحلية التي تعيش في توازن مع الظروف البيئية لهذه المناطق (انظر شيح).

فيما يخص الاستعمالات الأخرى لموارد سهوب الحلفاء والشيح نوجه القارئ لمراجعة هاتين المادتين في *المعلمة*.

أبحاث شخصية.

L. Emberger, *Aperçu général sur la végétation du Maroc*, Berne, 1939 ; A. Benabid, *Flore et ecosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000.

عبد المالك بنعبيد

السهول، قبيلة معدودة من بني حسن، ينتمي أهلها إلى عرب معقل وهلال، استوطنوا أحواز سلا في عهد أبي ثابت المريني على الراجح، وهم اليوم جزء من عمالة سلا الجديدة يكونون جماعة قروية تحمل اسم "السهول".

كان عدد خيام السهول في العقد الأول من القرن العشرين يبلغ 1037، ويتوزعون على خمسة بطون هي :

- الجوانب (210 خ) : بنو عبد اللي، وأولاد الحمراء وأولاد بورزين وبنو بْروز.
- الجياهنة (200 خ) فخّودة (الكعابة) والعيايدة والخلالقة.
- أولاد جابر (214 خ) : الجبابرة (أولاد البهلول) وأولاد إبراهيم وأولاد كامل وأولاد عگيل.
- أولاد علوان (153 خ) : الأشياخ وأولاد يحيى والهيايضة.
- أولاد عزيز (260 خ) : أولاد الشرقي وأولاد عيسى والزلالجة والعزوزيون والمفالحة.

ومن أشهر قوادهم في القرنين الثالث عشر والرابع عشر (19 ـ 20 م) :

أحمد الصغير (ت. 1296). محمد بن إبراهيم الجابري (ت. بعد 1284). بنحسون بن العربي (ت. بعد 1285). مَحمد بن الجيلالي الهياضي (ت. بعد 1307). عبد القادر الجيهاني (ت. قبل 1306). الحنفي بن بوعزة العلواني (ت. 1309). التهامي بن ميمون البورزيني العلواني (ت. بعد 1295). المصطفى العزيزي العلواني (ت. بعد 1296). بوعزة السهلي (ت. بعد 1296). العربي بن بوعزة بن قدور الجيهاني (ت. 1304). محمد بن زينة الجابري (ت. بعد 1317). محمد بن أحمد السهلي (ت. بعد 1311). أحمد بن رحال الجانبي (ت. بعد 1327). أحمد بن الگناري الجيهاني (ت. 1315). إبراهيم بن حمادي البورزيني الجانبي (ت. بعد 1329). عبد الحگ الجابري (ت. بعد 1320). علال بن البقال الجانبي (ت. بعد 1330). علال بن حسون الجيهاني (ت. بعد 1332). محمد بن الطاهر العزيزي العلواني (ت. بعد 1328). محمد (الكبير) بن محمد الجابري (ت. 1328). بوعزة بن الجيلالي العلواني (ت. بعد 1329). محمد (الصغير) بن محمد الجابري (ت. بعد 1330). خشان بن المعطي العزيزي (ت. 1379 بمكة). محمد بن الحاج البشير (ت. بعد 1375)

م. بوشعراء، علاقة المخزن بأحواز سلا، 175 ـ 190 ـ 209 ـ 211 ؛ وثائق مخزنية.

Villes et Tribus du Maroc, Rabat et Salé, Tome I, p. 243 et passim.

مصطفى بوشعراء

السهول، منطقة تقع على الهضبة الواقعة بين وادي أبي رقراق في الشمال الغربي ورافده وادي كرو في الجنوب الغربي والغرب، أما من جهة الشرق فإن مكان تقارب الواديين جنوب مولاي إدريس أغبال، يشكل نهاية لمنطقة السهول. تخترق الهضبة مجموعة من الشعاب الرافدة لأبي رقراق مثل الصفصاف، والمسدادية، والوزغات. وشعبتا الحرشة وعين الخشبة الرافدتان لوادي كرو.

تتميز سفوح وادي كرو والسفوح الشمالية الشرقية المطلة على أبي رقراق بقوة انحدارها، بفعل تعمق الأودية في صخور القاعدة الأولية مما يعطي أشكال الخوانق الضيقة. بينما السفوح الشمالية الغربية يصبح شكلها مركباً أو محدباً أحياناً، ذات انحدار خفيف، تتكون ضمن صخور الصلصال الميوبليوسيني، وتعطي تربات جيدة للاستغلال الزراعي، خصوصاً تلك المطلة على منخفضي أربعاء السهول وبحيرة السد، حيث يتسع مجرى الوادي ويشكل مصاطب غرينية، ذات تربات خصبة من الناحية الزراعية.

يغطي سطح هضبة السهول تربات متحدسلة حمراء ومغسولة ذات تطور قديم، تكون رملية في الشمال الغربي،

وتصبح رملية حصوية في الجنوب والجنوب الغربي، كما تظهر على شكل تربات ميهة ومتحددة في مواقع انتشار الضايات.

تخضع المنطقة لمناخ شبه جاف، يتراوح معدل تساقطاته السنوية ما بين 474 ملم في السنة عند أربعاء السهول، و487 ملم عند مولاي إدريس أغبال. وتعرف تركزاً فصلياً حيث يسقط جلها في الشتاء وخصوصاً خلال شهري دجنبر ويناير. في حين يسيطر الجفاف خلال فصل الصيف. ويصل المتوسط السنوي لعدد أيام المطر في السنة إلى 66 يوماً.

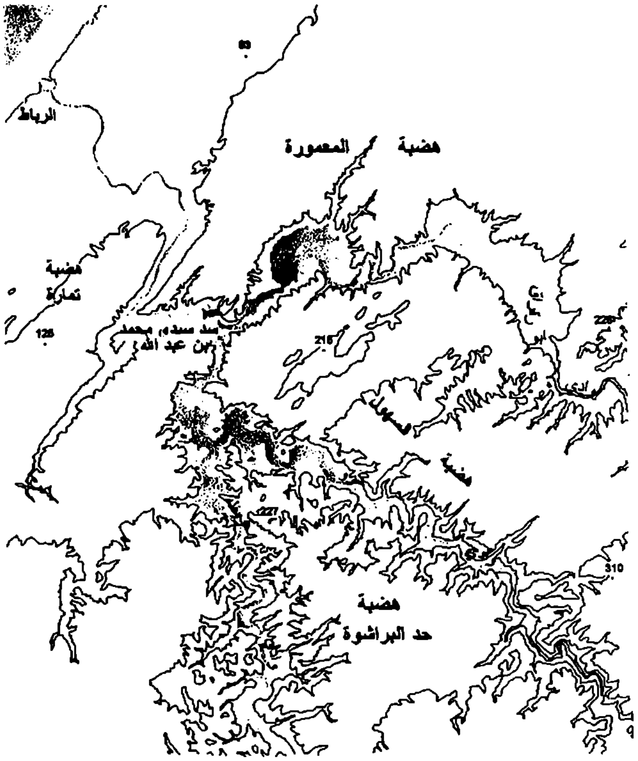

معدل الحرارة السنوية بالنسبة لشهر يوليوز 23°، وبالنسبة للشهر الأبرد 11° وبالتالي فإن الفارق الحراري متوسط إلى ضعيف بفعل القرب من البحر. كما تصيب المنطقة رياح الشركي بمعدل 5 ـ 10 أيام في السنة في نهاية الصيف وبداية الخريف.

تغطي غابة السهول جزءاً من سطح الهضبة وتتألف أساساً من البلوط الفليني حيث تصل مساحتها إلى 8.500 هكتار تتشكل غالبيتها من البلوط الذي يغطي حوالي 5.270 هكتار والباقي من الأنواع المشجرة مثل الصنوبر والأكاليبتوس والأكاسيا. وتشكل الغابة مورداً مهماً لسكان المنطقة سواء للرعي أو للاستعمال المنزلي.

تستقر في المنطقة قبيلة السهول العربية حيث تظهر على سطح الهضبة عدة مراكز قروية من أهمها، مركز مولاي إدريس أغبال وسبت عين الخشبة وسيدي عزوز وسيدي عبد العزيز، بينما يوجد مركز أربعاء السهول في المنخفض على وادي أبي رقراق. أما مركز العرجات الحديث فيوجد في الهوامش الجنوبية للمعمورة، حيث يضم المركز الإداري والاقتصادي لجماعة السهول حالياً، التي تشمل بالإضافة لهضبة السهول جزءاً من الضفة اليمنى لوادي أبي رقراق المشرفة على منخفضي أربعاء السهول وبحيرة السد.

من الناحية الإدارية تتبع جماعة السهول لعمالة سلا الجديدة وتضم مجموعة من الدواوير تمثل فخذات القبيلة هي الجياهنة، العزوزيين، أولاد عزيز، الجوانب، أولاد علوان، أولاد عيسى. ويصل عدد سكان الجماعة حسب إحصاء 1994 إلى حوالي 20.000 نسمة، لكن النمو الديمغرافي ضعيف بمعدل 15.5٪ خلال ثلاثين سنة من 1960 حتى 1994، بينما كان معدل النمو الوطني لنفس الفترة بحدود 55٪.

يقطن السكان في سكن هش ومتفرق على هوامش الغبة والسفوح ومع تحول حديث نحو السكن الصلب، ويمارسون الرعي الواسع كنشاط أساسي داخل الغابة وعلى السفوح حيث يعتبر من تقاليد قبيلة السهول، مع زراعة بورية أساسها الحبوب لكن مردودها ضعيف. أما منطقة العرجات فعرفت منذ الثمانينيات تكثيفاً للاستغلال الزراعي وتحولاً نحو الزراعة المسقية وتربية الأبقار والدواجن، وذلك انطلاقاً من الآبار التي تضخ مياه الفرشة المائية.

تعاني منطقة السهول من عدة مشاكل حالياً من أهمها :

ـ شبه عزلة بعد بناء سد سيدي محمد بن عبد الله حيث تكونت بحيرة واسعة عند مقرن وادي أبي رقراق ورافده كرو، مما أدى إلى قطع الطريق الرابطة بين السهول ومدينة سلا، وأصبح لزاماً على سكان السهول قطع مسافة 40 إلى 50 كلم للوصول إلى المدينة.

ـ ضعف التجهيزات الأساسية : كالطرق والكهرباء، والماء الصالح للشرب، والصرف الصحي.

ـ ارتفاع نسبة الأمية (62 ٪) وانخفاض نسبة التمدرس إلى (44 ٪)

ـ نقص فرص العمل وارتفاع معدل البطالة في جماعة السهول (15,7 ٪) مما يدفع بالكثير من الشباب للهجرة نحو المدينة القريبة سلا.

كل ذلك يجعل معطيات التنمية البشرية بمنطقة السهول أدنى من المعدل الوطني للعالم القروي على الرغم من كون المنطقة تشكل جزءاً من عمالة حضرية كبرى هي سلا الجديدة.

تحريات ميدانية.

عبد الرحيم وطفة

السُّهَيلي (الإمام ـ) **عبد الرحمن** بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي المالقي ثم المراكشي الضرير، يكنى أبا القاسم وأبا زيد وأبا الحسن وأبا علي، إلا أنه اشتهر بأبي القاسم وأبي زيد. والسهيلي نسبة إلى سهيل واد بالأندلس من كورة مالقة، (*معجم البلدان*، 3: 291) ويذكر ابن الخطيب أنه "حصن حصين يضيق عن مثله هند وصين" (*معيار الاختيار*، 85).

حدد السهيلي تاريخ ميلاده بنفسه جوابا على سؤال تلميذه ابن دحية اذ أخبر أنه وُلد سنة ثمان وخمسمائة بمدينة مالقة، وتكاد تتفق المصادر على أن بصره قد كف وهو ابن سبع عشرة سنة أو نحوها (*بغية الملتمس*، 367، و*محاضرات الابرار*، 1 : 140) وذلك لمرض عضال ألم به كما جاء عند ابن الأبار : وكف بصره بما نزل به (*التكملة*، ترجمة رقم 1613) لذا أدرجه الصفدي ضمن المؤلفين العميان في كتابه *نكت الهميان*.

نشأ السهيلي بمالقة فقيراً معوزاً "يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف" كما قال عنه تلميذه ابن دحية (*المطرب*، 233) وكان من أسرة علم ودين وفقه : فقد كان والده وجده معدودين من العلماء، لذا قال عنه بعض مترجميه بأنه كان من بيت علم وخطابة. واستطاع بذكائه وطموحه أن يتعلم ويكوِّن أسرة من عدة أولاد، كما تشهد على ذلك كناه، ويصبح من أعلام اللغة والحديث والفقه في الغرب الإسلامي، ولم يحد من هذا الطموح لا عاهته ولا فقره.

حفظ القرآن وتعلم مبادئ العربية على يد والده، وأخذ باقي العلوم المتداولة في عصره على يد مجموعة من كبار الفقهاء والعلماء من مالقة وغيرها من الحواضر الأندلسية الشهيرة، إذ كانت له رحلات علمية إلى قرطبة وإشبيلية وغرناطة، وأحصى له بعض مترجميه أزيد من ثلاثين شيخا، منهم :

ابن الابرش : أبو القاسم خلف بن يوسف الشنتريني (ت. 532 / 1137) أخذ عليه النحو واللغة (المطرب، 232) ؛ وابن الرماك : أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد (ت. 541 / 1146) أخذ عنه النحو بإشبيلية، وكان لغويا مبرزاً، بارعاً في شرح *كتاب سيبويه* (*المطرب*، 232) ؛ وابن سرحان : أبو الحسن عباد (ت. 540 / 1145) أجازه في الحديث (*المطرب*، 232) ؛ وابن الطراوة : أبو الحسن سليمان بن محمد السبائي (ت. 528 / 1133) من أكبر حفاظ كتاب سيبويه بالأندلس. أخذ عنه السهيلي النحو، ولزمه طويلا، وأثر في منهجه في التاليف، وتناول القضايا، وكان يحترمه ويقدر علمه إذ لم يذكره في مؤلفاته إلا بلفظ "شيخنا" (*المطرب*، 231) ؛ وأبو بكر ابن العربي المعافري (543 / 1148) أخذ عنه السهيلي الحديث والأصول والتفسير، ولزمه بإشبيلية طويلا، وتبنى كثيراً من مواقفه وآرائه العلمية ولم يكن يذكره في تاليفه إلا بعبارة "شيخنا الحافظ" (*المطرب*، 231).

تصدر السهيلي للتدريس بمالقة وكان يدرس السيرة والحديث واللغة، وأملى بعض كتبه على طلبته، ويشهد على مستوى هذه الدروس وأهميتها العدد الكبير من الطلبة والعلماء الذين أخذوا عنه، وتخرجوا على يديه، ومنهم الأزدي : أبو الحسن سهل بن الحاج أبي عبد الله محمد بن سهل الغرناطي (ت. 639 / 1241) أخذ عنه *الموطأ*، والسيرة والقراءات وسمع عليه كتابه *الروض الأنف* وغيره من كتب اللغة والأدب، (*برنامج الرعيني*، 60) ؛ والأموي : أبو القاسم أحمد بن يزيد ابن عبدالرحمن بن بقي بن مخلد (ت. 625 / 1227) سمع عنه تاليفه *الروض الأنف*. (*المرقبة العليا*، 117 ـ 118) ؛ والبكري : أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد المالقي (ت. 616 / 1219) روى عن السهيلي واختص به، وتادب عنده في العربية، وكان الشيخ معجبا بذكائه وفهمه (*الذيل والتكملة*، قسم 1 ترجمة 236) ؛ وابن حوط الله : أبو محمد الحجاج بن سليمان بن داوود الأنصاري (ت.607 / 1210) أشار الذهبي في *تذكرة الحفاظ*، (4 : 1397 ومابعدها) إلى أخذه عن السهيلي وهو محدث الأندلس وحافظها الكبير ؛ وابن دحية، أبو الخطاب بن دحية الكلبي (ت. 633 / 1235) أكبر طلبة السهيلي ترجمه في كتابه (*المطرب*، 231 ـ 239) ترجمة وافية، أخذ عنه الحديث والسيرة واللغة وسمع عنه كتابه *الروض الأنف* وغيره.

خلف السهيلي مؤلفات في الحديث والسيرة واللغة والفقه، إلى جانب شعره الجيد الرقيق في موضوعات المدح والتصوف، وقد جمع الأستاذ بنيوسف الزاكي شعره وأحصى له 28 مقطوعة أهمها عينيته المشهورة :

يامن يرى ما في الضمير ويسمع
أنت المرجى لكل ما يتوقع

التي تم تربيعها وتخميسها ومعارضتها من طرف الشعراء على مر العصور وقد دأب أهل المغرب على إنشادها في المناسبات الدينية. ومن مؤلفاته :

1 ـ *الروض الأنف والمشرع الروى، في تفسير ما اشتمل عليه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتوى* : نبه فيه على ما في السيرة من لفظ غريب أو إعراب غامض أو كلام مستغلق أو نسب عويص، أو موضع فقه ينبغي التنبيه عليه، أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته. طبع عدة مرات بالمطبعة الجمالية بمصر سنة 1914 وطبعة دار الفكر بتقديم وتعليق طه عبدالرؤوف سعد وطبعة دار النصر بالقاهرة سنة 1970 بتحقيق عبدالرحمان الوكيل.

نتائج الفكر : اعتنى فيه بخمسة أشياء : الدلالة والعلة والعامل، ونظم القرآن، ونقد المصطلحات والتعريفات. حققه محمد إبراهيم البنا. ونشر مرتين الأولى بليبيا سن 1978، والثانية بمصر سنة 1986.

كتاب *الفرائض وشرح آيات الوصية* : اهتم بذكر مصادر المواريث في كتب السنة وأقوال الصحابة. حققه محمد إبراهيم البنا، وصدر عن جامعة قار يونس بليبيا سنة 1980.

التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام : عرف فيه بمبهمات القرآن، وقد ذيله واستدرك عليه عدد من العلماء كابن عسكر المالقي وابن فرتون السلمي، وبدر الدين ابن جماعة ومحمد بن علي البلنسي وغيرهم. نشر مرات في بيروت وطرابلس.

مجموعة من *الأمالي والمسائل المفردات* : نشر محمد إبراهيم البنا قطعة منها سماها *أمالي السهيلي*، مطبعة السعادة 1970 تضم مسائل في النحو واللغة والفقه.

ـ *مسائل في النحو واللغة والحديث والفقه : تضم مسائل عديدة في هذه العلوم، نشرها طه محسن في مجلة المورد* العراقية، م 18 عدد 3 سنة 1989. واعتبرها مكملة لما نشره محمد إبراهيم البنا.

وللسهيلي مسائل أخرى كثيرة في موضوعات مختلفة ذكرها في بعض مؤلفاته أو وردت في مؤلفات غيره.

وقد تميزت مؤلفات السهيلي بالجدة في التناول، والتوسع والاستقصاء في البحث، والموسوعية. هذه المكانة العلمية كانت من أسباب استدعاء الموحدين للسهيلي، فقد اشتهر يوسف بن عبد المومن باستدعاء العلماء البارزين وجمع الكتب النادرة كما أفاد ذلك صاحب *المعجب*، (ص. 236 و242) : "ولم يزل يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب، ويبحث عن العلماء، وخاصة أهل علم النظر إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك المغرب".

لذا وقد وجدت الدعوة هوى في نفس السهيلي الذي كان بحاجة إلى كرم الخليفة وعطفه لأنه ـ كما هو معروف ـ كان فقيرا ضريرا محتاجا، كان من مؤيدي الدعوة الموحدية المقتنعين بمذهبها، عبر عن ذلك صراحة في مقدمة كتاب *الروض الأنف* عندما قال : "الحمد لله الذي ألحقنا بعصابة الموحدين، ووفقنا للاعتصام بعروة هذا الأمر المتين، وخلقنا في إبان الإمامة الموعود ببركتها على لسان الصادق الأمين، إمامة سيدنا الخليفة أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ..." كما أنه نظم أمداحا في يوسف وبعض الأمراء الموحدين (*الإحاطة*، 2 : 328).

كان انتقال السهيلي إلى مراكش حدثاً كبيراً أضفى عليه الخليفة هالة عظيمة عندما أرسل إليه المراكب كما وصف ذلك تلميذه ابن دحية عندما قال : (فأمروا بوصوله إلى حضرتهم وبذلوا له مراكبهم وخيلهم ونعمتهم) وكان ذلك سنة 579 / 1183 لأن الثابت أنه قضى بها زهاء ثلاث سنوات.

والمعروف أنه تصدر للتدريس بمراكش : علوم الحديث والسيرة واللغة. وكذا كتابه *الروض الأنف* حسبما ذكر ابن مفرج اللخمي شيخ الرعيني (*برنامج شيوخ الرعيني*، 142).

أما مسألة توليه لقضاء الجماعة فمشكوك فيه لأن أخص طلبته وملازميه لم يذكرها. كما لم يذكره صاحب *المعجب* ضمن قضاة الموحدين، ولم يترجمه النباهي ضمن قضاة الأندلس فضلا عن أنه كان ضريراً يفتقد شرطا أساسيا من شروط صحة تولي القضاء وهو البصر.

وبالمقابل فان المصادر التي ذكرت خبر توليه القضاء متأخرة ترجع إلى القرنين الثامن (الصفدي، تـ. 764 / 1262) والتاسع (ابن الجرزى 833 / 1429) . بينما عاش السهيلي في القرن السادس (12 م).

كانت علاقة الإمام السهيلي بالموحدين جيدة في البداية حسبما ما أفاده تلميذه ابن دحية (... وفي كل يوم كان يُجنيهم من حديثه أزهاراً، ويُقطفهم من ملحه آسا وبهاراً، حتى حسده الطلبة، وجردوا لملامه حساما، وحددوا للكلام فصولا...) (*المطرب*، 232-233).

وفي كلام *ابن دحية إشارة إلى ما سيتعرض له السهيلي من إقصاء سواء كان ذلك بسبب حسد الطلبة المذكور أو* بسبب ما أشارت إليه مصادر أخرى من خطإ وقع فيه السهيلي في كتابه عن الموحدين عندما جعل المنصور من آل البيت.

المهم أنه لم يلق منهم ما كان ينتظره من حفاوة وتكريم، أما ما انفرد ابن المؤقت بذكره عن إعداد سكن خاص للسهيلي بحي القنارية يشبه سكنه بمالقة، وإحضار أهله إليه دون علمه (*السعادة الابدية*، 2 : 104) فلم يذكره غيره ممن سبقوه.

وقد عوّضت الأقدار للإمام السهيلي إهمال الموحدين له باختياره ضمن رجال مراكش السبعة.

توفي الإمام السهيلي بمراكش يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان عام واحد وثمانين وخمسمائة 22 نونبر / 1185، ودفن وقت الظهر بروضة باب الرب. (*المطرب*، 233). وقد ذكر كل مترجميه هذا التاريخ باستثناء صاحب بغية *الملتمس*، (ص. 367) الذي جعل تاريخ وفاته سنة 583 / 1187 وتبعه في ذلك صاحب *نفح الطيب*، (4 : 370) والتاريخ الأول هو الصحيح.

أمالي السهيلي، تح. م. إبراهيم البنا، ط. 1، مصر، 1970 : أبو الحسن علي الرعيني، *برنامج شيوخ الرعيني*. تح. إبراهيم شبوح، دمشق، 1962 : أبو الحسن النباهي، المرقبة العليا، *تاريخ قضاة الأندلس*، 5، بيروت، 1983 : م. الدين ابن عربي الحاتمي، *محاضرات الابرار ومسامرات الأخيار*، بيروت : أ. الضبي، بغية *الملتمس*، القاهرة، 1967 : م. ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، نشر عزت العطار الحسيني، مصر، 1956 : أ. بن الزبير أبو جعفر، *صلة الصلة*، نشر ليفي بروفنصال، الرباط، 1938؛ م. بن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. م. بنشريفة، 1 و8 وإحسان عباس، 5 و6، ط. بيروت، 1965 ـ 1973 : ش. الدين الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، ط 3، بيروت، 1374 : ع. بن يوسف القفطي، *إنباه الرواة عن أنباه النحاة*، تح. م. أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1952 : ع. الواحد المراكشي، *المعجب*، تح. م. س. العريان وم. العربي العلمي، ط. القاهرة، 1949 : ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، بيروت : ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، بيروت، د. ت : *ابن عسكر وابن خميس، أدباء مالقة، مخطوط* : م. بن ع. المنعم الحميري، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، تح. إحسان عباس، ط 2، بيروت، 1984 : ح. خليفة، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، مكتبة المثنى، بيروت : أبو الخطاب بن دحية، *المطرب من أشعار أهل المغرب*، تح. إبراهيم الابياري، ط. مصر، 1955 : ص. الدين الصفدي، *نكت الهميان*، مصر، 1911 : ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. ع. الله عنان، ط. 1 القاهرة 1973 ـ 1977، *معيار الاختيار*، تح، م. كمال شبانة، المحمدية، د. ت : م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجرية فاسية، 1316 : إ. باشا البغدادي، *هدية العارفين*، بيروت، 1982 : م. ع.الله عنان، *الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال*، ط. 2، القاهرة، 1961 : م. المؤقت المراكشي، *السعادة الابدية*، ط. حجرية فاسية، 1335 : بنيونس الزاكي، *أبو القاسم السهيلي مفسرا*، د.د.ع مرقونة بكلية الآداب وجدة : م. بنشريفة، *أبو المطرف أحمد ابن عميرة المخزومي*، الرباط، 1966 : ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1960 : ح. جلاب، *الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب*، مراكش 1994، 3 أجزاء.

حسن جلاب

السواحل المغربية (إعداد) موضوع مركزي ضمن مواضيع إعداد التراب في المغرب، وذلك لسببين، امتداد الساحل على حوالي 3500 كم، من السعيدية إلى الكويرة، وتركز ساكنة هامة في المجالات الساحلية، وخاصة منها ساكنة المدن، إضافة إلى تلاقي أنشطة متنوعة، قد تكون متناقضة على شريط مساحي ضيق.

ويميل الساحل المغربي، كما هو الحال في جل البلدان المتوسطية إلى أن يصبح مجالاً مستعملاً بإفراط، بسبب اتساع رقعة المدن، واستقرار الأنشطة الصناعية، والترفيهية، وموانئ التجارة والصيد البحري. وغالبا ما تنتج عن هذا التركز المفرط، مظاهر إتلاف، قد تستحيل معها إمكانات تدبير أجود وإعداد أفضل في المستقبل.

ذلك أن عملية التركز الساحلي للسكان والأنشطة، متقدمة وسريعة، إلى درجة خلق عدم توازن صارخ، في مجال الإعداد، بين الجهات الساحلية النامية، والمناطق الداخلية التي تشكو من التراجع وضعف الاستثمار. ويخفي هذا النمو الساحلي مشاكل عدة، تتمثل في التلوث الحضري والصناعي المركز حول المستوطنات البشرية والمنشآت الصناعية، وفي تضاؤل بعض الموارد البحرية، وتنشيط انجراف بعض الشواطئ الرملية، والتي تعتبر القاعدة التي ينبني عليها النشاط السياحي. كل هذا يؤدي إلى طرح قضية مستقبل الساحل والوسط البحري، باعتبار الاختيارات الأساسية في ميدان الاعداد، بحثا عن سياسة تضمن التدبير المتزن لهذه الأوساط الحيوية.

ويتّضح أن التدخلات من أجل الحفاظ على السواحل، أو إعادة تأهيل ما تدهور منها، لا يمكن أن تتم إلا ضمن خطة مندمجة، تنبني على مبادئ واضحة وبسيطة، وفي إطار قانوني قوامه الإنصاف والتعاضد، تسبقها حملة واسعة من أجل التوعية تهدف إلى ظهور سلوكات جديدة.

يعرف النظام الساحلي تغيرات عميقة للأسباب التالية :

- التغير المناخي الشمولي، المؤدي لارتفاع مستوى البحار، سينتج عنه إذا ما تحقق بسرعة تقلبات أحيائية، من أهمها إتلاف العديد من الموارد والتنقيص من التنوع البيولوجي.
- الاكتظاظ الساحلي للسكان والأنشطة، بسبب الهجرة نحو السواحل وتركز الاستثمار الصناعي والسياحي والخدمات فيها، يؤدي إلى اتساع رقعة المجالات المبنية على حساب المواقع الطبيعية. كما أن هذا الضغط المفرط يلوث المجالين الساحلي والبحري ويخلف متاعب صحية وبيئية.
- الاستثمار الخاص والتشييد في المجال الساحلي، الذي يعتبر ثروة عمومية يقصي العامة ويمنعها من الاستفادة، ولو بالترفيه والمشاهدة من هذا المورد الأساسي.
- التنافس بين الأنشطة المختلفة وطبيعة كل منها، قد يتسبب في تجابه ميداني، ينتج عنه إقصاء البعض منها. فالصناعة بملوثاتها تقصي السياحة، وإمكانات الحفاظ على المواقع الطبيعية أو الاركيولوجية النادرة.

لذا فإن الاعداد مطالب بمراعاة هذه الجوانب المختلفة :

- الساحل تراث طبيعي نادر، بسبب طبيعته المبنية على التقاء اليابسة والبحر، ولذا نجد به فصائل نباتية وحيوانية وأنظمة حيوية خاصة، إضافة إلى مشاهد رائعة، على الساحلين المتوسطي والأطلنتي. نذكر منها هور كبدانة، وأجراف الريف (بقوية، جبل موسى، رأس سبارطيل) وأهوار مولاي بوسلهام، والوالدية وخنيفيس، ومصب درعة، وخليج الداخلة). كما تتميز البحار المجاورة بثروة سمكية جد متنوعة.
- الساحل ميدان عمومي يضم مواقع لها أهمية اقتصادية خاصة، نذكر من بينها الموانئ المحمية، ومصبات الأنهار والشواطئ الرملية. وكل هذه المواقع رهينة باستقبال أنشطة ومستوطنات خاصة. فالموانئ مجال تركز لأنشطة الصيد والتجارة والصناعة وتمثل إلى جانب ذلك مواقع للمدن الاقتصادية الكبرى. وهذا حال الدار البيضاء وطنجة وآسفي وأگادير. والشواطئ الرملية والأهوار الساحلية مجال استقبال السياحة بنوعيها الشاطئي والبيئي.

وهذا ما يبرز أهمية المورد الساحلي وضرورة إعداد متزن، يسعى إلى تلافي أوضاع التدهور. فعلى الساحل المغربي تتركز 61٪ من ساكنة المدن الكبرى، و80٪ من العمال الدائمين في الصناعات الكبرى، و53٪ من الطاقة الاستيعابية للسياحة إضافة لى النقل البحري والصيد. والبحر مجال استقبال جل المياه الحارة التي تنتجها مدن ومصانع الشريط الساحلي. والإشكال يزيد تعقداً بسبب ضعف التحكم في النمو الحضري، وفي الامتداد العقاري للمنشآت السياحية، وفي قذف المياه الحارة والأزبال وهذا ما جعل مياه كثير من الشواطئ غير صالحة للاستحمام، وأسماك وقواقع كثير من المواقع غير قابلة للاستهلاك. إضافة إلى انجراف رمال الشواطئ العديدة، والذي ينتج عنه تحول جذري في ميزانية النقل والارساب، بسبب تصليب أعالي الشواطئ بالبنايات والطرق، أو بسبب اقتلاع الرمال من أجل البناء. فمن بين 47 شاطئا تمت دراستها من طرف الجهات المختصة، يتضح أن سبعة منها قد امحت كليا وصارت صخرية، وتسعة عشر أخرى في طور الانجراف السريع. ولذا فإن النشاط السياحي القائم على هذه الشواطئ الرملية مهدد بدوره بالتراجع.

من هنا تبرز أهمية خطة مديرية للسواحل، تراعي كل هذه الجوانب، وتنبني على اختيارات سياسية هامة، تمثل الإطار الذي ينبني عليه الإعداد المستقبلي للمجال الساحلي. ومن الواجب أن يهيئ هذا الاصلاح الادوات القانونية والتربوية اللازمة لتلافي التنافس بين الأنشطة، والتدهور المفضي إلى الإتلاف، واختيار مواقع الأنشطة غير المتكيفة، والسلوكات غير المتزنة.

عبد الله العوينة

السواك، يطلق على المواد النباتية التي تستعمل لتنظيف الأسنان أو لتجميل الشفاه واللثات أو ضد أمراض الفم. ومنها نوعان معروفان :

- سواك قشرة جذور الجوز أو يُوگْلانْسْ ريجْيَا Juglans regia (انظر مادة الجوز) الواسعة الاستعمال في الدول العربية والإسلامية كما هو الشأن في المغرب.

تنزع القشرة فتجفف لكي تباع على شكل رزم من القطع المستطيلة.

يمضغ أو يدلك سواك الجوز في أقطار الوطن العربي لأجل تبييض الأسنان وتحمير الشفاه واللثات أو لمحاربة الروائح الخبيثة للفم أو التهاب اللثة.

- السواك أو المسواك والمعروف أيضا بالآراك أو عود الآراك أو سيقان السواك هو النبات المسمى علميا سالْفادورا بيرسيكا Salvadora persica الذي يصادف بصفة نادرة جدا بالمغرب حيث لا يعيش إلا في بعض المناطق الصحراوية. لكن موطنه الأصلي يمتد من المحيط الأطلسي إلى الهند التي يستورد منها عجين الأسنان المسمى المسواك والمصنوع من خلاصة الآراك. كما يستورد عود الآراك من السينغال ومن شبه الجزيرة العربية وخاصة من طرف الحجاج.

ونبات الآراك شجرة أو شجيرة كثيفة الأغصان. يتراوح ارتفاعها من 2 إلى 5 م. أغصانها متدلية ومتهدلة. أوراقها متقابلة، بيضية الشكل، خضراء وفضية اللون، جرداء، وعصارية. ازهراراتها عنقودية. أزهارها صغيرة خضراء، مركبة من 4 سبلات و4 بتلات. ثمارها لحمية، وحيدة النواة، بيضية الشكل.

يتميز عود الآراك بفعاليته لضمان صحة الفم. ولذلك كان يستعمله الرسول سيدنا محمد ﷺ، مما جعل الإنسان يحترم البعض من أشجار هذا النوع فيتركها تعمر طويلا.

إضافة إلى هذه المزايا تعطي شجرة الآراك ثمارا تؤكل أو كما هو الشأن بالنسبة للأوراق تستعمل في التطبيب التقليدي.

ونظرا لكل هذه المنافع نجد في الجنوب المغربي أن بعض أشجار هذا النوع تصير جد ضخمة عندما تكون قريبة من القصور، كتلك التي تصادف بتينْ نْتازارْتْ بناحية طاطا.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc. évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle. médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

سْوال، حمّو بن محمد، مقاوم من مواليد 1916 بقبيلة أيت عيسى بني تاجيت إقليم فگيگ. انخرط في صفوف المقاومة ضمن تشكيلة ثورة الأطلس بواد غريس، فكان يعقد الاتصالات والاجتماعات بين المقاومين والوطنيين بسرية في منزله، وتم التخطيط للقيام بهجوم شامل على مراكز القوات الاستعمارية إلا أن السلطات الاستعمارية علمت بالأمر فدبرت مكيدة لقتله وروجت دعاية مفادها أنه سقط من أعلى الجبل.

وكان استشهاده سنة 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 520593.

السوالم، مركز يقع داخل جماعة السوالم، في الجزء المشرف على البحر من إقليم سطات، أي في الجنوب الغربي لمدينة الدار البيضاء، على الطريق الوطنية رقم 1 الرابطة بين الدار البيضاء وأگادير عبر الجديدة.

ويحتل موقعا متميزا بين مجال الكثبان الرملية الساحلية المتماسكة والتي تشكل نطاقا لزراعة الخضر والسهل الداخلي للشاوية الذي يشكل نطاقا لزراعة الحبوب. ويقع بالضبط على الحدود بين جماعتين قرويتين (السوالم وأولاد احريز الساحل) اللتين تفصل بينهما الطريق الوطنية رقم 1. ونتيجة لذلك جاء المركز يتكون من شطرين منفصلين إداريا، رغم أنهما يشكلان في الواقع وحدة حضرية متماسكة تهيكلها الطريق الوطنية رقم 1 التي هي في نفس الوقت الشارع الرئيسي للمركز والحاجز الإداري بين شطريه. فالجزء الشرقي يدعى مركز أولاد احريز الساحل ويقوم بدور مقر للجماعة القروية التي تحمل نفس الاسم. والجزء الغربي يشكل مركز جماعة السوالم ومقرا لقيادة السوالم التي تضم الجماعتين. غير أن هذا التقسيم لن يدوم طويلا لأن تصميم التهيئة العمرانية التي وضع مؤخرا للمركز يعتبر السوالم وحدة حضرية متماسكة ستصبح مستقلة عن الجماعتين القرويتين معا.

حسب إحصاء 1994 يضم مركز أولاد حريز 1.616 نسمة ومركز السوالم 1.849 نسمة. وبذلك يظل المركز في مجموعه صغير الحجم (3.465 نسمة) لكنه شهد تطورا هائلا خلال السنوات الأخيرة وخاصة بعد إحداث منطقة صناعية به، في إطار سياسة تخفيف الضغط على الدار البيضاء التي لا تفصله عنها سوى مسافة 35 كلم. ونتيجة لذلك أصبح يستقطب الباحثين عن الشغل من الشاوية ودكالة وحتى من الدار البيضاء. مما أدى إلى استفحال ظاهرة السكن العشوائي به. فتم وضع مخطط عمراني يتوقع أن ترتقي السوالم إلى مستوى مدينة قد يبلغ حجمها الديموغرافي 60.000 نسمة في أفق 15 سنة. وفي هذا الصدد تعرف السوالم منذ خمس سنوات حركة نشيطة في ميدان البناء تجلب الباحثين عن الارتقاء إلى ملكية السكن من بين الفئات الوسطى من الدار البيضاء وخاصة في إطار الوداديات.

إن مركز السوالم الذي نشأ وتطور كسوق أسبوعي (الخامس في إقليم سطات بعد اثنين برشيد، اثنين بن احمد، أحد البروج، جمعة أولاد عبو) وكمحطة طرقية على أبواب الدار البيضاء وبين إقليمي سطات والجديدة، يتجه اليوم نحو

تعزيز مكانته كتجمع سكاني وكمجمع صناعي مندمج في الدار البيضاء الكبرى. ومن خلال ذلك يمكنه أن يرسخ مواقعه المتعددة داخل إقليم سطات وعلى أبواب الدار البيضاء الكبرى وبين مجالات فلاحية متباينة ومتكاملة وبينها وبين الدار البيضاء وإقليمه. وقد ظهرت بوادر هذا التوجه من خلال أهمية الصناعات الغذائية التي استقرت به والمرتبطة بتحويل المنتوجات الفلاحية لمحيطه المباشر (إنتاج البيض، الدواجن، تصبير الخضر ومشتقات الحبوب...) والصناعات المرتبطة بالسوق البيضاوية (مواد البناء، المعدات الكهربائية، النسيج، المواد البلاستيكية...). ويتعزز موقعه كمحطة طرقية من خلال التطور الكمي والنوعي الذي تشهده التجارة والخدمات المرتبطة بحركة النقل والعبور عبر الطريق الوطنية رقم 1 والمحور الطرقي الذي يربط إقليم سطات بالبحر (برشيد ـ سيدي رحال)، هذا فضلا عن تعزيز موقعه كقطب إداري للجزء الغربي من قبائل أولاد حريز الذي سيتسع مع ترقيته المرتقبة إلى رتبة بلدية.

وهكذا يعتبر مركز السوالم من التجمعات التجارية والسكنية الصغرى القليلة بإقليم سطات التي استفادت وتستفيد من قربها من الدار البيضاء. لذلك يتوقع مخطط التهيئة الذي وضع له أن يشكل مكونا أساسيا من مكونات الحزام الحضري الذي يعول عليه مستقبلا في هيكلة ضواحي العاصمة الاقتصادية للمغرب. وسيساعده في ذلك كونه المركز الوحيد الذي يحتل موقعا متميزا في الجنوب الغربي لهذه المدينة.

دراسة ميدانية

المصطفى شويكي

السودان (جمهورية ـ). أقامت المملكة المغربية علاقات ديبلوماسية مع جمهورية السودان منذ استقلالها، سنة 1375/ 1956. وضع لبنة هذه العلاقات محمد الخامس ثم تطورت واتسعت آفاقها بعد ذلك. وتميزت المراحل الأولى للعلاقات المغربية السودانية بالصعوبة نتيجة للأوضاع الداخلية للبلدين، الموروثة عن الاستعمارين الانجليزي بالسودان والفرنسي بالمغرب.

ومع ذلك ظلت العلاقات المغربية ـ السودانية قائمة على مبادئ الاحترام المتبادل للسيادة الوطنية، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والتعاون المثمر في كل المجالات : السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والثقافية، على أساس القوانين والمعاهدات الدولية. وتندرج تلك العلاقات أيضاً في إطارها الدولي، ضمن العلاقات العربية ـ العربية، والعربية ـ الإفريقية، والعربية ـ الإسلامية.

وفي سياق ذلك، ارتبط البلدان بعدة اتفاقيات ثنائية وپروتوكولات التعاون في جميع المجالات التي لا تخرج عن الأبعاد السالفة الذكر. وسُجل تبادل الزيارات بين الوفود الرسمية لكلا البلدين للتشاور والتنسيق بين الحكومتيْن في المجال السياسي. وعرض مشاريع التعاون المشترك وآفاق توسيعها. وتقيم جالية سودانية بالمغرب، تضم كثيراً من الطلبة الذين يتابعون دراساتهم في عدة تخصصات بعدة كليات ومعاهد ؛ وأطراً وعاملين في مجالات مختلفة يعملون بالقطاع الخاص، كما تقيم جالية مغربية بالسودان، تضم بعض الطلبة، وأطراً عليا كالمهندسين والتقنيين والخبراء المتخصصين في المجالات الزراعية والصناعية، والتجارية.

ويمكن القول بأن سنة 1958، هي التي شهدت انطلاق التعاون بين البلدين في المجال السياسي، وتمثّل ذلك في حضور البلدين إلى جانب تونس ومصر وليبيا وغانا وليبريا، المؤتمر الأول للدول الافريقية المستقلة في مدينة أكرا بغانا. وكان هذا المؤتمر مهما لأنه أشار إلى أنّ " لا الإسلام ولا الصحراء الكبرى يشكلان حاجزاً لا يمكن عبوره بين إفريقيا السوداء والعربية ..."، وبرزت في القمة النظرة القائلة بأن لدى بعض الدول الإفريقية السوداء قواسم مشتركة على الصعيد السياسي مع بعض الدول العربية أكثر مما لها مع جاراتها المباشرات، (*العرب وإفريقيا*، 102). وشارك السودان إلى جانب المغرب في إنجاح عدة مؤتمرات إقليمية ودولية، ومن بينها :

- مؤتمر تأسيس منظمة الوحدة الإفريقية، سنة 1963،
- مؤتمر تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي بالرباط، سنة 1967،
- المؤتمرات الخاصة بالجامعة العربية،
- المؤتمرات الخاصة بالأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها.

ويشترك المغرب والسودان في تبني مواقف سياسية ثابتة مثل : دعم الكفاح الوطني للشعب الفلسطيني، مكافحة الاستعمار في إفريقيا وآسيا ومساندة حركات التحرر فيها، مناهضة العنصرية بكل أشكالها وتفعيل آليات التعاون والتضامن العربي ـ الإفريقي (مؤتمرات : 28 / 7 و1 ـ 8 ـ 1975 لكامپالا بأوغندا ؛ 19 / 22 / 4 ـ 1976 بدكار بالسنغال؛ يناير 1977 بِلُومي بالطوغو) ... الخ.

وقد حظي السودان باحتضان المقر الرئيسي للبنك العربي للتنمية الاقتصادية في إفريقيا، تطبيقا لقرار مؤتمر القمة العربية السابع المنعقد في الرباط من 28 إلى 29 أكتوبر 1974 (*العرب وإفريقيا*، 101 ـ 120).

وقد عرف عقد الثمانينيات بروز التكتلات الاقتصادية القوية، وتطور ظاهرة العولمة، فصار العالم مترابطا مما استدعى حل عدة مشاكل خطيرة، والبحث عن سبل حل أخرى كانت ما تزال قائمة، وأدى ذلك إلى نشوء رغبة للتعاون في كل المجالات بين الدول الفقيرة والغنية، وتطور منتدى باريس للحوار بين الشمال والجنوب (الذي ظهر سنة 1975 بفرنسا)، فصار منتدى الحوار العربي ـ الإفريقي ـ الأوربي الذي يهدف إلى إرساء قواعد جديدة للعلاقات بين الدول المشاركة فيه لمحاربة التخلف والفقر والبطالة. ولم تفت البلدين فرصة الانتماء إلى مثل هذه المنتديات لتطوير اقتصاديهما استعدادا للدخول في مرحلة اقتصاد السوق.

وتنعقد اللجنة العليا المختلطة المغربية السودانية بين الحين والآخر، لدراسة أوجه العلاقات الثنائية بين البلدين، وبحث مشاريع الاتفاقيات والپروتوكولات الخاصة بالتعاون في كل الميادين، والاستثمار، وما إلى ذلك. ففي سنة 1995، حمل وزير الثقافة المغربي رسالة من جلالة الملك إلى رئيس دولة السودان قصد دعم علاقات البلدين (4 / 4 / 1995)، وحصل نفس الشيء مع سفير السودان بالمغرب يوم 25 / 6 / 1995؛ ووصل وفد حكومي سوداني إلى المغرب، يرأسه وزير التجارة للمشاركة في أشغال اللجنة المختلطة المغربية السودانية يومي 29. 30 / 6 / 1995. وقد وقّع الجانبان على عدة اتفاقيات في المجالين الاقتصادي والثقافي. وكانت بعد ذلك لقاءات عديدة بين المسؤولين المغاربة والسودانيين.

يسري الجوهري، *شمال إفريقية*، دراسة في الجغرافية الإقليمية، مصر، د. ت؛ جماعة من الأساتذة، *العرب وإفريقيا*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط، 1، 1993؛ مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية، *التقرير الاستراتيجي للمغرب، 1995 / 1996*؛ مجلة أبحاث، عدد خاص، س، 13، 1997، الرباط، المغرب؛ م. العربي المساري، *المغرب ومحيطه*، الجزء الأول، الرباط، 1998.

R. et M. Cornevin : *Histoire de l'Afrique, des origines à nos jours*. Paris, 1956 ; G. P. Murdock : *Africa. Its Peoples and their Culture History*. New York, 1959 ; I. W. Zartman : *Government and Politics in Northern Africa*. London, 1963 ; A. T. Grove : *Africa South of Sahara*. Oxford University Press, 1967 ; M. F. Thomas and G. W. Whittington : *Environment and Land Use in Africa*. London 1969 ; Viviana Pâques : *Les Peuples de l'Afrique*. Paris 1974 ; M. Morsy : *North Africa 1800-1900*. London and New York 1974.

خالد أوشن

السودان الغربي والمغرب. يُطلق اسم السودان الغربي علي النطاق الفاصل ما بين الضفة الجنوبية للصحراء الكبري ومقدمة الغابة الاستوائية. وبذلك فالسودانيون يشغلون ـ تقريبا ـ المجال المنحصر فيما بين خطي عرض 11 و17 درجة شمالا. وفيما شكل المحيط الأطلنتي حدا طبيعيا من جهة الغرب، امتد مجال انتشار السودان شرقا إلى غاية بحيرة كوري (تشاد) وهوامشها الشرقية.

فوق هذه الرقعة الجغرافية، قامت وتعاقبت عدة وحدات سياسية سودانية خلال العصر الوسيط، وهي : مملكة غانة، وسلطنة التكرور، وامبراطورية مالي، وامبراطورية سنغاي.

يصعب تحديد تاريخ مملكة غانة ونشأتها أو الحديث عن مؤسسيها الأوائل، وكل ما يمكن تأكيده بهذا الصدد، هو أنها كانت قائمة الوجود كوحدة سياسية في منطقة أوكار قبل القرن الثاني (8 م) (المسعودي، ج. 2 ص. 377). وحسب رواية البكري (ص. 184)، فإن اسم غانة يُطلق على المكلة وعاصمتها، كما أنه يمثل لقباً للملك.

وانطلاقا من غانة العاصمة (كومبي صالح). كان الملك يباشر سلطته، ويساعده في مهامه عدد من الوزراء والموظفين. كما كان للملك ولاة ينوبون عنه في تسيير شؤون الجهات والأقاليم.

ويظهر أن علاقة الملك برعاياه، كانت تستند على قيم اجتماعية ـ ثقافية أصيلة، لعل أهمها سمة العدل التي تطبع بشكل متميز سلوك العاهل تجاه رعيته. وفي المقابل كانت الرعية تبادله صدق الولاء، وتترجم إجلالها له في عادة التتريب. يقول البكري، (ص. 176) : "فإذا دنا أهل دينه منه [أي الملك] جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم فتلك تحيتهم له".

وبحكم مجاورة أهل غانة لصنهاجة الصحراء، من جهة الشمال، فقد نشأ بينهما احتكاك، كان يأخذ في بعض الأحيان طابعا صداميا مثلما وقع أثناء صراعهما على مدينة أودغشت خلال القرن الرابع (10 م). على أن الصراع بينهما حول المصالح الاقتصادية لم يؤد إلى تنافر أو قطيعة ثقافية، بل شكل عنصراً مساعداً في تزايد احتكاك وتثاقف البربر المسلمين (صنهاجة) من جهة والسودانيين من جهة أخرى. الشيء الذي أدى إلى اعتناق عدد من السودانيين للإسلام، وذلك حتى قبل قيام الحركة المرابطية (ابن حوقل، ص. 98، البكري، ص. 174).

ومما يشهد على هذا الاحتكاك الإيجابي أن السودانيين كانوا يرحبون بالإسلام، ويقدرون أيما تقدير كل مسلم تاجر أو فقيه دخل بلادهم. ولا غرو والحالة هذه أن يحتل المسلم مكانة رفيعة في السودان، حتى إن الملك الغاني كان يستعين بالمسلمين في تسيير دواليب الحكم، حيث كان يتخذ منهم تراجمته وصاحب بيت ماله وأكثر وزرائه (البكري، ص. 175).

إن الصورة الدينية التي حاول البكري أن يرسمها لنا عن غانة في منتصف القرن الخامس (11 م)، تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن المملكة كانت غارقة في تقاليدها الوثنية (الأرواحية)، شأن باقي الإمارات السودانية الأخرى (كوكو، ومَلَلْ، وتكرور)، بيد أن الحضور الجنيني للإسلام سواء في العاصمة أو غيرها من مدن السودان، كان يؤشر على تحولات عميقة لاحقة. وهذا ما ستبرهن عليه شهادات الشريف الإدريسي في منتصف القرن السادس (12 م)، حيث أصبح جل أهل غانة يعتنقون الإسلام، ويعتمدونه كمرجع أساسي في حياتهم. وأكثر من ذلك أصبح أهل غانة يصرّون على القيام بفريضة الحج. في حين أخذ ملوكهم يتهافتون على ادعاء النسب لآل البيت، ويعلنون عن تبعيتهم للخلافة العباسية (الإدريسي، ص. 6 الزهري، ص. 125).

وتندرج هذه المواقف في إطار التنافس الديني فيما بين مملكة غانة وسلطنة تكرور المصاقبة لها من جهة الغرب.

وتكرور عاصرت مملكة غانة، وقد ظهرت كإمارة صغيرة على نهر السنغال. وبفعل التعامل التجاري الكثيف مع صنهاجة الصحراء، اعتنق أهل تكرور الإسلام منذ بداية القرن الخامس (11 م) ومنذئذ وهو يعملون بدورهم على نشر الإسلام بموازاة مع توسيع مجال نفوذهم. وفي منتصف القرن السادس (12 م)، أصبحت الإمارة عبارة عن سلطنة إسلامية

منافسة لمملكة غانة (البكري، ص. 172 : الإدريسي، ص. 43).

إن ما عرفته مملكة غانة من تطورات وتحولات إبان القرن السادس (12 م). لا يستقيم مع ما شاع لدى بعض الإخباريين - ومن سعى سعيهم من الباحثين - من أن المملكة تعرضت لغزو كاسح ومدمر من طرف المرابطين أدى إلى انهيار دولة غانة عام 469 / 1076.

لقد عاشت مملكة غانة بعد الإدريسي عدة عقود، وربما امتد عمرها حتى مطلع القرن السابع (13 م)، حيث انهارت واضمحلت على إثر هجوم شعب الصوصو عليها. وحينئذ اختفت المملكة نهائيا وتركت المجال مفتوحا لبروز قوة سياسية جديدة هي امبراطوية مالي (*العبر*، م 6 ص. 434).

يستفاد من الشهادات المصدرية العربية والبرتغالية أن ملل أو ملّ أو مالي شهدت عدة تطوات فيما بين منتصف القرن الخامس (11 م) ومستهل القرن العاشر (16 م) على أن مرحلة ظهورها على الساحة السودانية كقوة بارزة، لا تتجاوز الفترة المتراوحة ما بين عام 628 - 834 / 1230 - 1430. ففي خلال ذينك القرنين عرفت مالي نشأتها الحقيقية، واتسعت حدودها لتشمل جل الإمارات والممالك السودانية : مملكة غانة، وسلطنة تكرور، وإمارة كوكو (كاغ). وبانصهار هذه الوحدات في كيانها، أصبح نفوذ الإمبراطورية يغطي جل مناطق بلاد السودان.

ويعتبر قبيل الماندينغ أو الماندگ (Manding) المتمركز في أعالي نهري السنغال والنيجر (النيل السوداني)، يعتبر العنصر الأساسي الذي ساهم في تأسيس وتكوين الدولة. ويظهر أن طموح الماندينغ في الحصول على جزء من أرباح التجارة الصحراوية، دفع بهم خارج مجالهم في اتجاه الشمال، وذلك على طول مجرى النيل السوداني وروافده المتشعبة. فكان لهم احتكاك بالمغرب والمغاربة وليس لدينا شك في أن انتشار الإسلام ببلاد السودان خلال القرنين السادس والسابع (12 - 13م) كان له أثر في توحيد القبيل وتركيز قوته تجاه أعدائه الصوصو.

وكان الماندينغ قد تعرفوا علي الإسلام خلال النصف الأول من القرن الخامس (11 م)، حيث أشار البكري (ص. 178) إلى أن أول ملك مالي اعتنق الإسلام كان يُعرف بالمسلماني. وقتها كانت ملل عبارة عن إمارة صغيرة توجد في أقصى جنوب بلاد السودان. وعند نهاية القرن السادس (12م)، عرفت الدعوة الإسلامية انتشاراً واسعاً بين قبائل الماندينغ، بفضل نشاط اللمتونيين الصنهاجيين وتحركات تجار الونجرا.

والونجرا أو الونقارة يشكلون إحدى أهم قبائل الماندينغ. وبحكم تعاطيهم التجارة، انتشروا في جل المراكز والمدن السودانية المتأثرة بالإسلام، الشيء الذي يفسر كثرة الإشارات المصدرية إليهم (J. Cuoq, Recueil; p. 135-136). وقد أدى احتكاكهم المستمر بالمسلمين إلى اعتناقهم للإسلام، ثم في مرحلة لاحقة، أصبحوا رسل الدعوة الإسلامية في بلاد مالي. وبما أن الأمر تجاوز نطاق العمل الفردي المحدود للفقيه أو التاجر المسلم، وارتبط بفعالية فئة عريضة من المجتمع (الونجرا)، فقد انعكس ذلك إيجابيا على سيرورة انتشار الإسلام بين قبائل الماندينغ، حيث شملت الدعوة فئات واسعة منهم، وعلاوة على ذلك لم يتطلب أمر انتشارها وقتا طويلا.

لقد تغلب الصوصو على مملكة غانة، واستعبدوا أهلها وأصاروهم في جملتهم على قول ابن خلدون. ويستشف من خلال الرواية الشفوية أن شعب الصوصو الوثني بقيادة سوما نجورو، كانت له طموحات سياسية كبيرة. ذلك أنه بمجرد إخضاع غانة وربما كذلك سلطنة تكرور، توجهوا نحو الجنوب للسيطرة على بلاد مالي حيث مناجم الذهب، ثم بسطوا نفوذهم على قبائل الماندينغ لبضعة عقود أذاقوهم خلالها مرارة القهر والتسلط (أحمد الشكري، ص. 179).

وفي خضم هذه الأحداث برزت شخصية ماري جاطة (سندياتا) كزعيم مسلم، استطاع أن يقود قبائل الماندينغ في مواجهة الصوصو. وتمكن في نهاية الأمر من الانتصار عليهم حوالي 633 / 1235. وبذلك حرر البلاد من سطوتهم، ودعم مكانته بين زعماء القبائل، مما حذا بهم إلى تنصيبه كإمبراطور عليهم (*العبر*، 5، ص. 413).

وبعد وفاة ماري جاطة عام 652 / 1255، استمر خلفاؤه في توطيد أركان الدولة وتوسيع حدودها إلى نهاية القرن السابع (13 م). وتهيأت البلاد بعدئذ لتلج منعطفا جديداً، اتسم بالازدهار والانفتاح على العالم الإسلامي. والمغرب الأقصى بصفة خاصة وتصدر هذه المرحلة كل من السلطان منسا موسى (712 - 737 / 1312 - 1337) وأخيه السلطان منسا سليمان (741 - 761 / 1341 - 1360)، اللذين كانت لهما علاقة وطيدة مع السلطان أبي الحسن المريني وولده أبي عنان. وبلغت امبراطورية مالي في عهدهما قمة ازدهارها وأوج عظمتها (محمود كعت، ص. 38).

وقد وقف ابن بطوطة أثناء سياحته بالمنطقة على مظاهر مختلفة تبرز تعلق أهل مالي بالعقيدة الإسلامية، تجلت في مواظبتهم على الصلوات، وحرصهم الشديد على حضور صلاة الجمعة، وحث الأبناء على حفظ القرآن، وإحاطة حرمة المسجد بهالة من القدسية يصعب حتى على السلطان أن يمسها أو يخدشها.

وإذا كان السودانيون قد تعرفوا على الإسلام بفضل أهل المغرب، واستمروا في الاستعانة بالفقهاء المغاربة خاصة في الخطط الدينية، فليس غريبا أن تصطبغ مجموع المظاهر والاحتفالات الإسلامية لديهم بالصبغة المغربية، كما ليس غريبا أن يأخذوا مثلهم بالمذهب المالكي.

لقد امتدت التأثيرات المغربية لتشمل جوانب مختلفة من حياة السودانيين سواء منها الدينية مثل التي وقفنا عندها، أو الحضارية (العمارة). وفي المقابل برهن السودانيون على استعداد لتجاوز مرحلة استيعاب قواعد الشريعة الإسلامية،

فأصبحوا يتشوفون إلى فضاءات الثقافة العربية الإسلامية. وفي هذا الإطار أخذ بعض الطلبة من أهل مالي يتطلعون لاستكمال دراستهم بفاس ومراكش، كما كانت الرحلة الحجية للسودانيين، تتيح لهم فرصة الاستزادة بالقاهرة أيام المماليك (السعدي، ص. 57 ابن خلدون، ج. 6، ص. 416).

ثم قامت امبراطورية سنغاي على أنقاض مالي، وارتبطت نشأتها في بداية الأمر بمدينة كوكيا، لكن سرعان ما تحول عنها السنغيون إلى مدينة كوكو (كاغ أو گاو) حيث أصبحت مستقر أمرائهم في منتصف القرن الرابع (10 م)، واستمرت عاصمة لهم طيلة عهدهم.

وقد عرفت إمارة سنغاي بكوكو أحداثا سياسية عند منتصف القرن السابع (13 م) أدت - في ظروف نجهل الكثير عنها - إلى تقلّد أسرة سُنّي للحكم مكان أسرة زا. (672 - 898 / 1275 - 1493) مع صعود الماندينغ وتأسيسهم لامبراطوريتهم كما رأينا سابقا. والأكيد أن إمارة سنغاي خضعت لحكم مالي، خاصة أيام قوتها وازدهارها، شأن غانة وتكرور. غير أن أمراء سنغاي لم يستسلموا بصفة نهائية وظلوا يعملون على التخلص من هيمنة الماندينغ كلما سمحت لهم الظروف بذلك (السعدي، ص. 6 - 7).

وبمجرد ما بدأ الضعف يدب في جسم امبراطورية مالي على نحو ما رأينا، استغل السنغيون الفرصة، واعلنوا عن استقلالهم وإن ظلوا تابعين لها شكلياً.

وحينما استقرت الأوضاع السياسية، وأخذت الطبقة الحاكمة تتطلع لترتيب أمور الدولة وتنظيم أحوال المجتمع، برزت شخصية الحاج أسكيا محمد كقائد عسكري مسلم، استطاع بحنكته أن يهزم خَلَف سني علي ويستولي على الحكم عام 899 / 1493. وبذلك أسس لمرحلة جديدة من تاريخ امبراطوية سنغاي في ظل أسرة جديدة عُرفت بأسرة أسكيا.

أصبحت سنغاي جزءاً لا يتجزأ من دار الإسلام، بفعل انتشار الدين الحنيف بين فئات واسعة من الناس. كما أن حصيلة اتصالات السودانيين بالمراكز العلمية الإسلامية مثل فاس والقاهرة أفضت في بداية القرن العاشر (16 م) إلى تشكيل نخبة من العلماء والفقهاء السودانيين تمركزوا في تنبكت وجني وغيرهما من حواضر السودان.

وكانت هذه النخبة العالمة تتمتع بتقدير رفيع عند الناس، مما حذى بالأسكيين إلى التقرب والتودد إليها، للاستعانة بها في توجيه دفة الحكم على النمط الإسلامي.

وحسب الشهادات السودانية كان السلطان أسكيا محمد ابن أبي بكر توري، رجلا تقيا ورعا، حريصا على القيام بمصالح المسلمين وإعانتهم على طاعة الله وعبادته. كما كان محبا لأهل العلم والصلاح، فاتخذ منهم بطانته، يستشيرهم في أمور دينه أو فيما يلزمه من أمر الحل والعقد (السعدي، ص 72 ومحمود كعت، ص. 59).

وبموازة مع جهاده للموشي كانت للحاج أسكيا محمد تحركات عسكرية، استهدفت المناطق الشرقية في بلاد الحوس، وهمت أغدس وكشن وكنو، حيث أخضعها وعمل على ترسيخ الإسلام بها. وبفضل توسعاته أصبحت امبراطورية سنغاي تبسط نفوذها على جل مناطق بلاد السودان. وعم الأمن والاستقرار، مما شجع على ضخ دماء جديدة في المحاور التجارية الصحراوية، وذلك على الرغم من الأحوال السياسية المضطربة في الشمال سواء في مصر أو المغرب الأقصى.

وقد حاول الوطاسيون ملوك فاس - بالرغم على الظروف الداخلية الصعبة إنعاش العلاقات التقليدية بين المغرب والسودان، فبادر محمد الوطاسي البرتغالي بإرسال سفارة إلى الحاج محمد أسكيا حوالي عام 918 / 1531. وكان ممن سار في الوفد السفاري المغربي الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي، الذي دوّن لنا الكثير من مشاهداته وملاحظاته حول بلاد السودان في مؤلفه *وصف إفريقيا*، (ج 2. ص. 116). وانتقل بعد ذلك عدد من الفقهاء المغاربة إلى السودان، في مقدمتهم عبد الرحمن سقين (ت. 956 / 1549). ومحمد بن عبد الكريم المغيلي (ت. حوالي 930 / 1523) صاحب الفتاوي المنشورة بعنوان *أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي*. وبعد موت أسكيا الحاج محمد سار ابنه أسكيا داوود على نهجه في التقرب من العلماء ومهاداتهم والتودد إليهم، وإلى جانب ذلك كان مولعا بالثقافة العربية الإسلامية ومهتما برجالاتها. ولهذا الغرض اتخذ النساخ ينسخون له مؤلفات الفقه المالكي (محمود كعت، ص. 94).

وبعد وفاة أسكيا داوود عام 990 / 1582، عادت أحوال الامبراطورية إلى ما كانت عليه من الضعف والوهن، وتعرضت الكثير من جهاتها لهجومات الفولانيين والبمبر والطوارق، وفي خضم ذلك أخذت بعض الأقاليم تعلن استقلالها عن الحكم المركزي. وفي ظل هذه الأوضاع المتدهورة، وصلت طلائع الحملة العسكرية التي أرسلها أحمد المنصور الذهبي إلى بلاد السودان عام 999 / 1591 ولم يتمكن أسكيا إسحاق 2 (996 - 999 / 1588 - 1591) من مواجهة الجيش السعدي، فانهارت امبراطوية سنغاي على إثر ذلك، ونزح ما تبقى من أمراء الأسكيين إلى دندي في أقصى جنوب شرق الامبراطورية المتهاوية (السعدي، ص. 153).

وبالجملة فإن الصلات بين السودان الغربي والمغرب الأقصى ظلت قائمة منذ أن أخذ السودانيون في اعتناق الإسلام خلال القرن الهجري الثاني (8 م)، تضعف تارة وتقوى أخري، "وانتقل إلى بلاد السودان عبر القرون عدد من العلماء المغاربة أقاموا فيه مدداً قصيرة أو طويلة، ينشرون لغة القرآن وتعاليمه، بل استقر بعضهم هناك نهائياً وأنجبوا الأولاد، وبخاصة في تمبكتو. كما انتقل عدد آخر من الطلبة السودانيين إلى الشمال فدرسوا على أعلام الصحراء وسوس ومراكش وفاس.

وقد مكث الباشوات المغاربة الذين حكموا السودان الغربي باسم السعديين منذ مطلع القرن العاشر (16 م)

ومعهم عدد غير قليل من الأسر المغربية، وتأقلموا مع محيطهم، وانصهر عقبهم في الوسط السوداني وبقوا على رأس السلطة هناك إلى أن أطاح بهم المستعمرون الأوربيون في مطلع القرن الرابع عشر (19 م). وبالمقابل دخل إلى المغرب عدد كثير من السودانيين في ظروف مختلفة طوال العهد الإسلامي، واندمجوا اندماجا تاما مع السكان الأصليين.

أ. البكري، كتاب *المغرب*، باريس ميزونوف، 1965 ؛ المسعودي، *مروج الذهب*، بيروت، 1979 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، بيروت، 1979 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، ليدن، 1968 ؛ العمري، *مسالك الأبصار*، الابواب 8 ـ 14، الدار البيضاء، 1988 ؛ ع. الرحمان ابن خلدون، *كتاب العبر*، بيروت، 1961 ؛ م. ابن بطوطة، *تحفة*، بيروت، 1985 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، بيروت، 1983 ؛ م. كعت، *تاريخ الفتاش*، أنجي بريدن، 1913 ؛ ع. الرحمان السعدي، *تاريخ السودان*، أنجي بريدن، 1898 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، المحمدية، 1976 ؛ أ. الشكري، *الإسلام والمجتمع السوداني*، أبوظبي، 1999.

Djebril Tamsir Niane, *Le Soudan occidental au temps des grands empires*, Paris, 1975 ; J. Cuoq, *Recueil des sources arabes concernant l'Afrique occidentale*, Paris, 1985.

أحمد الشكري

ابن **سودة** أو بنسودة (أسرة –)، بيت بني سودة من أعرق البيوتات العربية في فاس، ينتسبون إلى بني مُرَّة القرشيين، انتقل هذا الفرع منهم إلى دمشق الشام ثم منها إلى الأندلس واستوطنوا إقليمي إلبيرة (وهو إقليم غرناطة) ورية (وهو إقليم مالقة) على حد قول ابن حزم في *جمهرة أنساب العرب*. وقد ذكر ابن الخطيب في *الإحاطة* من وجوههم محمد بن سودة بن إبراهيم بن سودة المري من أهل القرن السابع الهجري فقال عنه : "كان شيخا جليلا كاتبا مجيدا بارع الأدب رائق الشعر سيال القريحة سريع البديهة عارفا بالنحو واللغة والتاريخ ذاكرا لأيام السلف طيب المحاضرة مليح الشيبة حسن الهيئة مع الدين والفضل والطهارة والوقار والصمت"، إلى أن قال : "أصابه في آخر عمره نكبة ثقيلة أسر وأولاده فكانت وفاته أسفا لما جرى عليهم"، وقد توفي في حدود سنة 637 من الهجرة. وذكر أيضا محمد بن محمد بن علي بن سودة المري فقال إنه "من نبهاء بيوتات الأندلس وأعيانها، سكن سلفه البشارة، بشارة بني حسان، وولي جده الأشغال، حميد السيرة معروف الإدانة"، ثم قال : "و هذا الفتى من أهل الخصوصية والسكون والحياء المانع من كثير من الأعراض، مال إلى العلوم العقلية [...] فتصدر للعلاج وعانى الشعر وأرسم الكتابة وعدّ من الفضلاء، وظهرت على عباراته اصطلاحات الحكماء وتشوف إلى العهد للرحلة الحجازية والله ييسر قصده". وقال عن شيوخه : "قرأ الطب والتعديل على الحبر طبيب الديار السلطانية، فارس ذينك الفنين إبراهيم بن زرزار اليهودي، ورحل إلى العدوة فقرأ على الشريف العالم الشهير رحلة الوقت في المغرب أبي عبد الله العلوي وبلقياه نجح.

وقد أورد ابن الخطيب قصيدة له في مدح سلطان العصر من بني الأحمر قائلا "فالجل معدود من السراة بيتا وتخصصا".

ويبدو أن محمد بن محمد بن علي بن سودة المري هذا هو الذي استقر بفاس في حدود سنة 754 من الهجرة، فهو الذي ورد ذكره في روضة النسرين لابن الأحمر بصفة كونه أحد كتاب السلطان المريني المتوكل على الله موسى بن أبي عنان الذي ولي الأمر فيما بين 786 و788، فهو مؤسس البيت السودي في الحاضرة الفاسية، ومنه تفرعت فروعهم المنتشرة إلى يومنا في المغرب، حيث لاتزال هذه الأسرة العريقة تستمد من نبوغ أفرادها هنا وهناك عبر البلاد ما يثبت صدارة رجالها منذ أزيد من سبعمائة عام في ميادين العلم والتأليف والقضاء والخطابة وإمامة الصلاة، مع ما ترتب على تلك المهام من النعم والخيرات، حتى أضحى لقبها العائلي من الأعلام الجغرافية تعرف به بعض أحياء فاس وبعض القرى من أحوازها.

وما الأسرة السودية إلا نموذج ناصع من تلك الأسر العربية التي انتقلت من الأندلس بسبب تفكك أحوال العروبة والإسلام هنالك، واستقرت بالحواضر المغربية صونا لدينها ولكرامتها ومساهمة منها في دعم أركان الحضارة العربية الإسلامية في العدوة الجنوبية من مضيق جبل طارق، حيث اتصلت مصائرها بمصائر البلاد، ولم يلبث شيوخها أن تصدروا مجالس الحل والعقد فارتسم ذكر أعمالهم وأمجادهم باسترسال في كتب التاريخ والتراجم، مثل القاضي أبي القاسم ابن سودة المتوفى سنة 1004 الذي أورد اليفراني في الصفوة والقادري في نشر المثاني ظهيرين لأحمد المنصور الذهبي يسند بمقتضاهما له وللقاضي ابن أبي النعيم قضاء مكناس وتازا والقبائل المجاورة : "لما قاما به من أوصاف زائدة على وصف العلم، وهي الانتماء بصريح الخدمة وصحيح المحبة إلى الجانب العلي الإمامي وإعمال رحلة الشتاء والصيف سنين عديدة إلى بابه الكريم السامي حتى انتظموا بذلك في سلك من شملته عنايتنا واختصته بالإيثار وتنبيه المقدار عنايتنا". وورد أيضا لدى هذين المؤرخين ذكر حفيده القاضي الذائع الصيت في عصره، وهو محمد بن محمد بن أبي القاسم الذي مازال درب من دروب فاس، وهو درب القاضي في حي العيون، ينسب إليه. قال عنه اليفرني إنه كان : "متوسعا في العلوم بارع الحفظ، له اليد الطولى في الأدب بحيث كان يحفظ *ديوان المتنبي* عن ظهر قلب، ولي الفتوى وقضاء الجماعة بفاس سنين عديدة ودارت عليه الشورى"، ولد سنة 1003 وتوفي سنة 1076، قبل دخول المولى الرشيد مدينة فاس بقليل، وهو الذي قال عنه صاحب *العمل الفاسي* :

وحلف ابن سودة الشهودا   وفي النفيف لفجور زيدا

وله أبيات رد بها بأمر من المولى محمد (فتحا) بن الشريف العلوي على قصيدة من نظم محمد أجانا، بعث بها السلطان السعدي أبو العباس أحمد الشيخ الصغير إلى

الأمير العلوي يحذره من أهل فاس والغرب عامة عند احتلاله لتلك الأقاليم سنة 1059 وهو الذي ذكره اليوسي في *المحاضرات*، قائلا إنه كان يؤخر صلاة الصبح في القرويين حتى : "لا تمشي بها إلا بالمضلة"، يعني بعد طلوع الشمس بكثير، إشارة لطيفة إلى مكانة هذا القاضي في عصره.

وبنفس الحظوة أو أكثر منها حظي الشيخ الجليل والعالم النحرير قاضي القضاة الفقيه المفتي أبو عبد الله محمد التاودي بن الطالب بن علي بن قاسم بن محمد بن علي بن قاسم بن أبي قاسم بن محمد بن عبد الله ابن سودة، الذي كان من مفاخر دولة سيدي محمد بن عبد الله في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري الموافق للنصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي. فقد ذاع صيته حتى صار راية توحي بعلوّ كعب المغاربة في العلم. وقد خصه المؤرخ المصري عبد الرحمان الجبرتي بترجمة وافية، جاء فيها : "كانت فتاويه وأحكامه مؤيدة مع غاية التحرز والصيانة والإتقان، وبالجملة كان عين الأعيان في عصره، شهير الذكر، وافر الحرمة، مهيب الصورة، يغلب جلاله على جماله، قليل التبسم". ثم قال : "ولما توفي مولاي محمد سلطان المغرب ووقع الاختلاف والاضطراب بين أولاده اجتمع الخاصة والعامة على رأي المترجم فاختار المولى سليمان وبايعه بشرط السير على الخلافة الشرعية والسنن المحمدية". وأخبار الشيخ التاودي مدونة بجميع تفاصيلها في الكتاب الذي ترجم له به تلميذه المعجب به أبو الربيع سليمان الحوات الشريف الشفشاوني الموسوم *بالروضة المقصودة والحلل الممدودة في مئاثر بني سودة*، ذكر فيه نشأته وسيرته وغزارة علمه وشيوخه ومصنفاته ومن تخرج على يديه. وممن تخرج على يديه أولاده محمد وأبو بكر وأحمد، وبعض حفدته من ولده أحمد هذا، الذي ظهر نبوغه في حياة والده فتقدم للأحكام وسنه لم تتجاوز حدود الثلاثين، وربما فاق والده من حيث ما أغدق عليه في عهد المولى سليمان من المنن والنعم. ومقابر هذا الفرع الكريم من النسبة السودية بزاويتهم التي أسسها الشيخ التاودي بحومة زقاق البغل في فاس.

ولقد كان منهم ثلاثة فروع حسب ما وقف عليه صاحب *الدرر البهية* في مطلع القرن الثالث عشر (أواخر التاسع عشر من الميلاد) متفرقين بين حومة المعادي من زقاق البغل وزنقة الرطل وحومة المخفية. وقد نبغ من فرع المخفية شيوخ كبار وعلماء أحبار في ذلك العصر، وهم يلتقون مع فرع الشيخ التاودي : "في الجد الخامس وهو علي بن قاسم" على ما قال صاحب *الدرر*، ذكر منهم الطالب بن محمد : "أحد الأفراد المشار إليهم الملحوظين بعين التعظيم والإجلال الموصوفين بأوصاف الكمال وأحد عدول هذه الحضرة المبرزين". وقد أنجب هذا الشيخ "خمسة أنجال كرام أفضال" محمد وعمر والمهدي وعبد القادر وأحمد كانوا كلهم من العلماء الفقهاء تخرج على أيديهم أجيال من حملة العلم الشريف، فضلا عن أولادهم وأحفادهم الذين تنظر ترجمة بعضهم في الأعمدة اللاحقة، وفي كتاب ابن عمهم المؤرخ الموثق الكبير عبد السلام بن سودة، دأبوا في عهد الحماية الأجنبية على المحافظة على الأصول وتبليغ الرسالة المحمدية من حيث كلياتها والفروع ووعظ الأمة وإرشادها والنضال في الحركة الوطنية. فقد كان الأستاذ محمد بن محمد بن عثمان بن سودة من مؤسسي حزب الاستقلال في فاس. كما ذاع صيت الأستاذ أحمد بن يحيى بن سودة مناضلا في صفوف حزب الشورى والاستقلال قبل 1956 ثم في الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية سنة 1959، ووزيرا في حكومات الاستقلال الأولى وسفيرا، ملحوظا بعين العطف والرضى من لدن الملك الحسن الثاني الذي جعله من جملة مستشاريه ومازال يتمتع بتلك الصفة بالرغم مما أقعده من المرض شفاه الله. أما باقي أفراد الأسرة السودية فلا سبيل إلى تتبع سيرهم بما حصل من تكاثرهم وهجرة عدد كبير منهم إلى مختلف مدن المغرب، بل وإلى بلدان السودان الغربي مثل گامبيا والسينغال وكوت ديفوار، سعيا في كسب أسباب الرزق إما من الوظائف العمومية وإما من المهن الحرة كالطب والصيدلة والمحاماة وإما من ممارسة الصناعات والتجارات العصرية، مسايرين بذلك ما طرأ على المجتمع المغربي جملة وتفصيلا من أسباب التطور والتغيير.

ابن حزم، جمهرة *أنساب العرب*، القاهرة ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، القاهرة، 1956 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، 1991 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. عبد اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1979، الجزء الأول ؛ س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. ع. العزيز تيلاني، الدار البيضاء، 1994.

ابن **سودة، أحمد** بن **التادوي** (1153 ـ 1235)، الفقيه العلامة القاضي الدراكة، خير خلف لخير سلف، نهل من علوم والده الشيخ التاودي مفتي الديار المغربية، وأخذ عن جميع شيوخ عصره. تجلى نبوغه باكرا وتصدر للتدريس والإفادة منذ العشرينات من عمره في حياة والده. تعرف عليه صاحب الروضة المقصودة عن كثب، وأفاض في ترجمته مثبتا بعض ما قيل في محامده وفضائله. كما أورد ظهير تعيينه قاضيا على فاس سنة 1206، جاء فيه بلسان الأمر السلطاني : "وقد انتخبناه وتخيرناه لهذا المنصب الشريف وطوقناه إياه لما نعلم من علمه ودينه أن المسلمين لن يصيبهم معه إن شاء الله حيف ولا تحريف، ويكون عنده في مقطع الحق سواء القوي والضعيف والشريف والمشروف [...]" وقال عنه صاحب *الدرر البهية* : "كان من الأعيان الكبراء والسراة الفضلاء له عارضة قوية ويد في صناعة الفتوى وباع وحسن ملكة واتساع، جالت أفكاره في غوامض القضايا وجاب منها الوهاد والثنايا". وقال عنه صاحب سلوة الأنفاس : "الإمام العالم العلامة المشارك القدوة الفهامة، السيد الأعمد والهمام العلم الأحمد [...]، نشأ في حجر أبيه في عفة وصيانة ومروءة وديانة، لا يلاعب الصبيان في ملعب ولا يخالطهم

في غير مكتب". أخذ كل منطوق ومفهوم من المتداول بين الناس يومئذ من تلك الفنون على والده وهو عمدته في التفسير والحديث والفقه والأصول والكلام والمنطق والبيان والتصريف والتصوف وغير ذلك. كما أخذ عن الشيخ محمد الحسني الجنوي والشيخ محمد بن الحسن بناني والشيخ عمر الفاسي والشيخ عبد القادر بوخريص الفيلالي وآخرين. ولما اشتد ساعده وتجلت مؤهلاته، أذن له والده في التصدر للتدريس فاستفاد منه كبار طلبة فاس وأخذ منه علماء الربع الأول من القرن الثالث عشر. ولي قضاء فاس في حياة والده، وبقي على الخطة سنين وعقودا بما كان له من المهارة في ممارسة الأحكام ومن الحظوة لدى ملوك العصر، وبخاصة منهم المولى سليمان الذي كان يعظمه ويبجله ويشاوره في كبريات الملمات. كما أنه خلف والده في الإشراف على فرع الزاوية الناصرية بإذن من شيخها أبي الحسن علي بن يوسف ابن ناصر الدرعي.

ثم إن القاضي أحمد بن التاودي أصيب في بصره فلم يعد قادرا على ممارسة الأحكام فاستعفى فأعفي من الخطة. واستأذن السلطان المولى سليمان في إجلاس ولده العباس بن أحمد مكانه فصدر الإذن له بذلك. وكان ولده لم يتجاوز سن الثلاثين بعد، فمارس الوظيفة بمساعدة والده، إلى أن اضطربت الأحوال العامة في فاس وتسيّبت سكانها. وجرى نزاع بين القاضي الشاب وبين المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم بسبب شريفين من آل الشفشاوني والعراقي. ولما رفع الأمر إلى السلطان، رأى الحق مع القاضي، وأخر المفتي عن خطته، فقامت قائمة جماعة من المدرسين والطلبة، وتعصبوا للمفتي وكتبوا رسالة للسلطان يشتكون من القاضي العباس بن أحمد. ومما جاء فيها نظما من الهجاء الموحي بما كان يتخلل المدينة من التناقضات الباطنية

جاء الولاية وهو من شبيبته
يرى القضا حرفة يجني بها وطرا
يأتي الحكومة عباسا ومنقبضا
مما به من سقام يجلب الكدرا

واطلع السلطان على ذلك، واعتبره من باب ما يقع بين الأقران من التنافس فأغضى عنه. لكن حالة الشغب التي كانت عليه فاس يومئذ والمغرب عامة الذي ثارت فيه عدد من القبائل على المولى سليمان، لم تكن ليرتدع بها خصوم القاضي العباس بن أحمد. فقد هجم عليه في مجلس حكمه الشريف محمد الطاهر الكتاني ورماه بكابوس، لكنه أخطأه. فدخل القاضي منزله. وأقام أهل فاس قاضيا آخر من انتخابهم، ثم راموا مبايعة الأمير المولى إبراهيم بن اليزيد دون أن ينجحوا في مسعاهم.

توفي القاضي أحمد بن التاودي سنة 1235 / 1820. وتوفي والده العباس بعده بقليل سنة 1241 / 1829.

س. الحوات، *الروضة المقصودة...*، تح. ع. العزيز تبلاني، فاس، 1994 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، فاس، الطبعة الحجرية ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة*، فاس، الطبعة الحجرية ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1960، 9 أجزاء، الجزء الثامن ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، موسوعة أعلام المغرب، تح. م. حجي، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء السابع.

Mansur Mohammed, *Morocco in the Reign of Mawlay Sulayman*, Wisbech, Menas Press, 1990, 248 p.

ابن **سودة، أحمد** بن **عبد السلام**، بن الشيخ القاضي أبي عيسى المهدي بن الطالب. كان فقيها عالما مشاركا ميالا إلى القنوت والذكر والتبتل. تخرج على يد عم والده الشيخ القاضي أحمد بن الطالب، وعمه الشيخ المكي بن المهدي، وعمه الشيخ التاودي بن المهدي، والشيخ أحمد بن محمد بن الخياط الزكاري، والشيخ عبد الله البدراوي الحسني، والشيخ عبد السلام بن محمد الهواري، وآخرين من كبار شيوخ العصر. أقام بعض حلقات التدريس في جامع الرصيف حيث قرأ عليه صاحب *إتحاف المطالع* *مختصر البخاري* لابن أبي جمرة، فقال : "فاستفدت منه بما عاد عليّ نفعه". لكن الغالب عليه حب الخمول وعدم الدعوى.

توفي يوم الاثنين 13 ذي الحجة عام 1371 / 3 شتنبر 1952.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال*، موسوعة *أعلام المغرب*، تح. م. حجي، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

ابن **سودة، إدريس** بن عبد السلام (1282 ـ 1319)، حفيد القاضي الشيخ أبي عيسى المهدي، علامة مشارك مدرس متقن مطلع، له *كناشة* علمية. ولد سنة 1282 وتوفي في مهل ربيع الثاني عام 1319 / 18 يوليوز 1901. ودفن بزاويتهم أسفل العقبة الزرقاء.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، وسل *النصال*، موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن **سودة، أبو بكر** بن التاودي، من أبناء الشيخ التاودي قطب البيت السودي والمفتي الكبير. كان من رجال العلم المبرزين، مشاركا مطلعا. قال عنه صاحب *الروضة المقصودة* : "نشأ في حجر أبيه ساعيا فيما يعنيه، فقرأ القرآن بالروايات السبع، وأحكم أحكامه على طريق الإفراد والجمع، وحفظ المتون العلمية المتداولة بحسب العناية الوقتية، وتأدب وتهذب وحفظ من الأشعار والتواريخ والأجفار بما تعلو به الرتب". تولى الخطبة في جامع الشرابليين، ثم بمسجد القصبة السلطانية بدار الذبيبغ، ثم بالمدرسة المتوكلية. كان ذا حظوة كبرى لدى السلطان المولى يزيد الذي ساعده على أداء فريضة الحج في أحسن الظروف.

توفي سنة 1215 / 1800 ـ 1801، ودفن في زاويتهم بزقاق البغل.

س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. ع. العزيز تبلاني، فاس، 1994؛ ع. السلام ابن سودة، *سل النصال*، موسوعة *أعلام المغرب*، تح. م. حجي، 10 أجزاء.

ابن **سودة، جعفر** بن الطالب، من حفدة الشيخ التاودي، فهو جعفر بن الطالب بن أحمد بن الشيخ التاودي. كان عالما مشاركا أديبا يقرض الشعر، خطيبا بليغا مجيدا. له ديوان شعر ومجموعة خطب.

توفي يوم 12 حجة عام 1276 ودفن بزاويتهم بزقاق البغل.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، موسوعة *أعلام المغرب*، تح. م. حجي، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء السابع

إبراهيم بوطالب

ابن **سودة الجلود، محمد** بن عبد الواحد، من حفدة الشيخ التاودي، فهو محمد بن عبد الواحد بن القاضي أحمد ابن الشيخ التاودي، عرف بالجلود. كان من العلماء المشاركين والمدرسين النافعين. تولى خطة الخطابة بمسجد الديوان أولا، ثم بمسجد الأندلس إلى أن وافاه الأجل المحتوم. حج وزار وتبرك بالوقوف على خير المشاهد وأزكى الآثار.

أما سبب تسميته بالجلود، فلأن بعض عمال السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان أخذ منه بزًا جلد بقرة كان الفقيه ذبحها لصناعة الخليع وهو القديد المصبر، فاغتاظ من ذلك حتى ذهب به الأمر إلى التشنيع بتلك العملية الابتزازية في خطبته يوم الجمعة مبتهلا إلى الله داعيا : "يا ودود أهلك كل من كان سببا في أخذ الجلود". وطار الخبر بذلك إلى السلطان وهو يومئذ في مراكش. فصدر الأمر بإرجاع الخطيب من فاس إلى عاصمة الجنوب. فرحل وهو شبه يائس من النجاة من سطوة المخزن. لكن العكس هو الذي حصل، ذلك بأن السلطان المذكور استقبله أحسن استقبال، وطلب منه فقط أن يعيد على أسماعه الخطبة بحذافيرها. فلما وصل إلى الجملة المذكورة من الدعاء، قال له السلطان لقد لبى الله دعوتك، فإن المسؤول عن انتزاع الجلود قد انتقم الله منه. ورجع الفقيه محمد بن عبد الواحد إلى فاس معززا مكرما، محملا بظهير توقير واحترام حتى لا يعود أحد من العمال إلى التجرؤ على ساحته.

توفي يوم الجمعة 9 ذي القعدة 1299 / 22 شتنبر 1882، ودفن بزاويتهم بزقاق البغل.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، موسوعة *أعلام المغرب*، بيروث، 1996، 10 أجزاء، الجزء السابع.

ابن **سودة، زينب** بنت الشيخ المهدي، المرأة الصالحة العابدة المتبتلة، نشأت في أحضان والدها الشيخ القاضي أبي عيسى المهدي، وإخوتها الأربعة محمد والتاودي والمكي وعبد السلام، وكلهم من علماء عصرهم، فكرعت من مناهلهم الفياضة، وتفقهت بما كانوا يحملون من علوم الشريعة حتى كانت تنطق بمصطلحاتها في الفرائض والسنن. وقد دأبت على جمع أبناء إخوانها في مفتتح شهر رجب من كل عام ليسردوا بمحضرها صحيح البخاري يوميا إلى تمام رمضان، ويكون الختم في آخره. وتحتفل بهم كل يوم وتستقصيهم عن بعض المشاكل فيشرحوا ذلك ويفسروه. كما كانت تقيم عيد المولد النبوي بحضور العلماء ووجوه القوم والمسمعين، وتنفق على ذلك بسخاء المومنات الصالحات.

وبعد أن رزئت في ولدها الأوحد محمد من زوجها وابن عمها الشيخ العابد بن أحمد بن الطالب، احتضنت حفيدها من ابنتها، المؤرخ المرحوم الأستاذ عبد السلام ابن سودة. فإنه أقر بما كان لها عليه من الفضل دينا ودنيا إلى أن بلغ الحلم فزوجته من مالها.

توفيت يوم 10 قعدة 1344 / 22 ماي 1926، ودفنت بزاوية والدها أسفل العقبة الزرقاء.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *وسل النصال*، موسوعة *أعلام المغرب*، تح. م.. حجي، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.
إبراهيم بوطالب

ابن **سودة، الطالب** بن محمد (1297 - 1375)، بن القاضي المهدي بن الطالب بن مَحمد - فتحا -، الفقيه العلامة المشارك المطلع الشاعر، تخرج على يد والده وهو عمدته، وعلى يد عمه الشيخ المكي، وابن عمه الشيخ إدريس بن عبد السلام، وعم والده القاضي الشيخ أحمد بن الطالب، وعلى يد الشيخ عبد السلام الهواري، والشيخ أحمد بن الخياط الزكاري، والشيخ أحمد الجيلالي الأمغاري، كما أجازه الشيخ مَحمد - فتحا - القادري الحسني إجازة عامة، فعنه كل مروياته. حج مرتين، الأولى في حياة والده سنة 1328، والثانية بعد وفاته في نهاية الأربعينيات ومهل الخمسينيات من القرن الرابع عشر. وما أن تجلى نبوغه وسعة إدراكه حتى تصدر للتدريس بالقرويين. وكان يدرس النحو والآداب والبلاغة. ثم إنه عيّن قاضيا في أكادير. لكنه سرعان ما أخر عن الخطة لنزاع وقع بينه وبين بعض الحكام الفرنسيين، انتهى بصفع القاضي لهذا الحاكم. فكان ذلك سببا في رحلته الثانية إلى المشرق. ولما عاد منها اعتكف على التدريس في القرويين طبقا للنظام الجامعي الذي أحدثه السلطان سيدي محمد بن يوسف، محمد الخامس. وظل مخلصا لملكه ووطنه

يوم أقدمت سلطات الاستعمار على عزل السلطان المذكور في مطلع السبعينيات (1953 م)، ولم يبايع السلطان ابن عرفة المنتزي على العرش. وصدر الأمر بتأخيره عن التدريس، فالتزم بيته إلى أن وافاه الأجل المحتوم يوم الاثنين 17 شوال عام 1375 / 28 ماي 1956، ودفن بزاوية جده أسفل العقبة الزرقاء. أدركته وتبركت بلثم يديه فهو عم الوالدة، وزودني بدعائه الخالص مرارا رحمه الله، ولم أنهل من فيض علمه شيئا، لما صار أبناء الجيل الذي أنتسب إليه يقتحمونه من أساليب التعليم العصري الموسوم آنذاك بالتعليم الفرنسي الإسلامي.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، تح. م. حجي، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

ابن **سودة، الطاهر** بن محمد، من حفدة الشيخ التاودي، فهو الطاهر بن محمد بن أحمد بن الشيخ التاودي، فقيه عالم مطلع مشارك فصيح خيّر ذاكر. قال عنه المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة بأنه : "من آخر من مثل السلف الصالح دينا ودنيا وسمتا"، أخذ عن والده وهو عمدته، وعن الشيخ المهدي ابن الحاج، والشيخ عبد السلام ابن الطائع بوغالب، والقاضي أبي عيسى المهدي بن الطالب ابن سودة والقاضي مَحمد - فتحا - بن عبد الرحمان العلوي، والشيخ محمد بن المدني كنون، والشيخ أحمد بن أحمد بناني كلا، والشيخ عبد الهادي بن أحمد الصقلي وآخرين من شيوخ العصر. تولى الخطابة والإمامة في جامع الأندلس والصلاة بمصلى باب الفتوح في الأعياد بعد وفاة والده عام 1299، وبقي على ذلك إلى أن وافاه الأجل المحتوم عام 1335/ 16 - 1917. وكان يقصده الخاص والعام، ويجله الجميع، "يذهب في الشفاعات ويصالح الخصوم"، لما كان عليه من سلامة اليقين والعقل الرصين. وقد حلاه بعض المعجبين به قائلا بأنه ممن : "فاق بحكمته أرسطو وجالنوس وبذكاء عقله بقراط وبطليموس". وكان يتعاطى الشعر في المناسبات. ودفن بروضتهم بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، تح. م. حجي، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن **سودة، العباس** بن أحمد، من حفدة الشيخ التاودي، فهو العباس بن أحمد بن العباس بن الشيخ التاودي، علامة مشارك، صاحب الخط الحسن، على حد قول المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة. أخذ عن ابن عمه الشيخ محمد بن عبد الواحد المدعو الجلود، وعن الشيخ المدني كنون، وعن الشيخ عبد السلام الهواري، وعن الشيخ محمد الوزاني، وعن الشيخ عبد الله البدراوي. كان ينسخ كتب الحديث، وبخاصة منها صحيح البخاري. كما كان ناظرا على زاوية جده الشيخ التاودي.

توفي يوم الجمعة 15 شوال عام 1346 / 6 أبريل 1928، ودفن بزاويتهم الأخرى بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، تح. م. حجي، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن **سودة، عبد الرحمان** (1302 - 1365)، بن علي بن عبد القادر بن الطالب بن مَحمد - فتحا - ، قال عنه صاحب *إتحاف المطالع* : "العلامة المشارك الفرضي الحيسوبي المفتي النبيه المطلع". اشتهر بالإفتاء في فاس فكان يقصده الجميع. أخذ عن والده وعن عمه الشيخ محمد بن عبد القادر، وعن الشيخ محمد بن عبد السلام بناني الطبيب، وعن الشيخ محمد - فتحا - القادري الحسني وعن الشيخ محمد الهواري وغيرهم. كان ماهرا في علم الوثائق والحساب والفرائض. أدركته وأنا في العقد الأول من عمري فارتسم في ذهني منه صورة العالم العامل الشهم الحازم الذي حلب الدهر أشطره.

توفي يوم الجمعة 15 ذي القعدة عام 1365 / 11 أكتوبر 1946، ودفن بروضة السوديين في رأس القليعة داخل باب الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

إبراهيم بوطالب

ابن **سودة، عبد السلام** بن عبد القادر المري الفاسي. يتصل نسبه بأبي القاسم بن محمد بن علي ابن سودة الغرناطي، وغرناطة مقر أسلافه منذ قدموا إلى الأندلس من الشرق مع الفاتح بلج بن بشر القشيري أوائل القرن الثاني (8م). وانتقل أبو القاسم هذا إلى المغرب ليكون كاتباً في بلاط بني مرين بفاس، وله ترجمة في *الإحاطة* لابن الخطيب، حلاه فيها بالمري.

ولد المترجم بفاس عام 1319 / 1902 ورباه جده للأم الشيخ العابد بن أحمد ابن سودة، لأنه لم يكن له ولد، فصار لايفارقه حضراً ولاسفراً. ذهب معه إلى الجديدة لما عُين الشيخ العابد قاضياً بها، ثم عاد إلى فاس فالتحق المترجم بالقرويين وهو ابن ثمان عشرة سنة. واشتغل بعد ذلك بالتدريس في المدارس العصرية، ثم بالشهادة في سماط العدول، وناب عن جده العابد في الخطابة بضريح المولى إدريس الأزهر. لقي في مراحل وظائفه مضايقات كثيرة من السلطات الاستعمارية لميوله الوطنية. وكان أثناء ذلك كله ذا حس تاريخي مرهف يقرأ كتب التاريخ والتراجم المغربية والأندلسية والمشرقية، ويُمعن النظر فيما يقع بين يديه من رسوم عدلية قديمة ويقتني منها ما استطاع، ثم عُين للبحث في الخروم بخزانة القرويين، فاطلع على عدد وافر من بقايا المؤلفات المغربية النادرة، وتجمعت له من ذلك كله مادة تاريخية وافرة عن الحياة الفكرية والاجتماعية في المغرب عامة ومدينة فاس خاصة.

وبعد ذلك لزم بيته زهاء ربع قرن منقطعاً للقراءة والتأليف، مهتماً بكتب الطبقات والفهارس والمناقب والإجازات وغيرها، وتأثر بصفة خاصة بِعَلَمَيْن من أعلام المترجمين المغاربة، هما أحمد ابن القاضي المكناسي الفاسي ومحمد بن الطيب القادري الفاسي. ذلك أن أحمد ابن القاضي أكمل الكتابين الشهيرين في التراجم : *وفيات الأعيان* لأحمد ابن خلكان، وشرف *الطالب في أسنى المطالب* لأحمد ابن القنفذ : ذيّل *وفيات الأعيان* بكتابه درة *الحجال في أسماء الرجال* مبتدئاً بترجمة ابن خلكان نفسه المتوفى عام 681، ومنتهياً بعام 999. كما ذيل كتاب شرف *الطالب* بكتابه *لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد*، مبتدئاً بعام 700، ومنتهياً كذلك بعام 999. معتبراً هذه السنة نهاية القرن العاشر.

وجاء محمد بن الطيب القادري فذيل كتاب ابن القاضي درة *الحجال ولقط الفرائد* بكتابه المطول نشر *المثاني لأهل القرن الحادي والثاني*، ومختصره *التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر، من أخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر*، بدأهما معاً بعام 1001، معتبراً سنة 1000 نهاية القرن العاشر. وانتهى إلى عام 1170. وهنا يستلم الزمام عبد السلام ابن سودة.

نعم ألف المغاربة بعد محمد بن الطيب القادري عشرات الكتب في التراجم، لكنها لم تصطبغ بصبغة الشمولية والإحاطة، فلم ترق إلى درجة كتب ابن القاضي وابن الطيب القادري. ومن أشهرها *الدرر المرصعة، في أخبار أعيان درعة* لمحمد المكي الناصري الدرعي، وطبقات الحضيگي السوسي، وسلوة *الأنفاس* لمحمد بن جعفر الكتاني الفاسي، *وإتحاف أعلام الناس* لعبد الرحمان ابن زيدان العلوي المكناسي، *والإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام* لعباس ابن إبراهيم المراكشي، *والمعسول* لمحمد المختار السوسي. هذه الكتب وغيرها ـ على أهميتها وطول نفسها ـ بقيت جزئية محلية محدودة، وادخر الله لعبد السلام ابن سودة فضل ربط سلسلة تراجم أعيان هذه البلاد من عصر النبوة إلى أيام الناس هذه، فتهيأ بذلك ليكون ثالث أعلام التراجم البارزين بالمغرب دون منازع : أحمد ابن القاضي في القرن العاشر، ومحمد بن الطيب القادري في القرن الثاني عشر، وعبد السلام ابن سودة في القرن الرابع عشر.

ترجم عبد السلام ابن سودة لنفسه في آخر فهرسه *سل النصال* وذكر من مؤلفاته ستة عشر، وأغفل كتاباً قيماً له هو قصة *بُاهدراز*، ربما لأنه كتبه بعد الفهرس.

وهذه مؤلفاته :

1) *الدروس النحوية* كتبها عندما كان مدرساً

2) *الزهر من أكمامه في الشطرنج وأحكامه*

3) *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، أول كتاب في مصادر تاريخ المغرب، تجاوز عدد المصادر فيه 2300 بين مخطوط ومطبوع. طبع *الدليل* أولاً في تطوان سنة 1950 ثم في الدار البيضاء سنة 1960 في جزءين فاعتمده الباحثون بالمغرب والمشرق.

4) *زبدة الأثر، مما مضى من الخبر، في القرن الثالث والرابع* عشر، وهو الكتاب الأساس الذي ذيل به عبد السلام ابن سودة نشر *المثاني*. يبتدئ من حيث وقف القادري، أي من عام 1171، وينتهي بعام تمام تأليفه وهو 1370. يتفق كتاب ابن سودة هذا مع كتب ابن القاضي وابن الطيب القادري في المزاوجة بين تراجم الأشخاص، والإشارة إلى أهم الأحداث التاريخية المعاصرة لهم، سياسية كانت أو طبيعية أو اجتماعية، ويتفق أكثر مع كتب القادري في ترتيب التراجم على السنين. ويختلف كتاب زبدة *الأثر* عن مؤلفات ابن القاضي والقادري في اقتصاره على تراجم رجال المغرب الأقصى، في حين يترجم الآخران لعدد من غير المغاربة.

5) *إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع*. وهو اختصار *لزبدة الأثر*، بين المؤلف سبب اختصاره في مقدمة *الإتحاف* بقوله : "فجاء ـ يعني زبدة الأثر ـ كتاباً كبير الحجم، عظيم العلم، يسع نحو أربعة أسفار ضخام، يصعب على المستعجل البحث فيه والاستفادة منه، وهو على منوال نشر *المثاني* وأسلوبه... ولما جمعته وخرجته من مسودته، ظهر لي أن أختصره في هذه العجالة". *وإتحاف المطالع*، فضلاً عن كونه وحيداً في بابه، لا يحل غيره محله، ولا يسد مسده، يمتاز بمحاسن كثيرة، نشير إلى بعضها :

أ ـ تثبت المؤلف في تحلية المترجمين، ـ إلا عندما يجمح به القلم للتحامل على بعض المنحرفين في نظره ـ وتحريه غالباً فيما يستحقون من ألقاب علمية أو دنيوية، بحيث

يتمكن القارئ من أن يعرف دون عناء هوية المترجم، ويدرك ما إذا كان فقيهاً أو أديباً أو مشاركاً أو شيخاً متصوفاً أو حاكماً صالحاً أو فاسداً، أو قائداً حربياً.

ب ـ حرصه على ذكر تآليف المترجم لهم، ووصف ما وقف عليه منها، والتنبيه على ما عَرَف من عناوينها ومحتواها أثناء مطالعاته وقراءاته في الكتب المخطوطة بصفة خاصة.

ج ـ أمانته في النقل، إذ يعزو كل شيء اقتبسه إلى صاحبه، ويتوقف عندما لا يقف على تاريخ وفاة، أو تحديد مكان، أو تعليل حادثة.

6) *الذيل التابع لإتحاف المطالع*. يزداد التشابه فيه ويشتد التقارب بين معاجم التراجم لكل من ابن القاضي والقادري وابن سودة، ذلك أنهم جميعاً أنهوا كتبهم في تواريخ محددة، وأمد الله في أعمارهم فأضافوا تراجم أخرى ألحقت بكتبهم. فابن القاضي الذي توقف في *درة الحجال ولقط الفرائد* عام 999، كتب تراجم من توفوا في العشرة الأولى من القرن الحادي عشر، وأدمجها هو أو أدمجت بعده في الكتابين. ومحمد بن الطيب القادري الذي أتم *نشر المثاني والتقاط الدرر* عام 1170، كتب بعد ذلك تراجم أخرى أثبتها في المقصد الثاني من خاتمة *التقاط الدرر*، استمرت إلى عام 1180.

أما عبد السلام ابن سودة فقد عاش بعد إنهائه *إتحاف المطالع* ثلاثين سنة كتب فيها ثلاثة ذيول :

أ ـ يتناول الذيل الأول ـ وهو الذي سماه *الذيل التابع لإتحاف المطالع* ـ فترة ست سنوات : 1371 ـ 1376 / 1951 ـ 1956. أطلق فيه لقلمه العنان في تسجيل الدواهي والفواجع التي عرفها المغرب مع نهاية عهد الحماية والأحداث المجيدة التي عاشتها البلاد في فجر الاستقلال، وأثبت عدداً من النصوص والوثائق، خوفاً على ضياعها ـ كما قال ـ. وبذلك طغت الحوادث على الوفيات، وأربى الذيل على الأصل، إذ خرج في مجلدين تنيف صفحاتهما على 700. لكنه اختصره في كتيب مفيد سماه *وفيات الذيل التابع*.

ب ـ ويسجل الذيل الثاني وفيات ووقائع إحدى وعشرين سنة (1377 ـ 1397).

ج ـ بينما يختص القسم الثالث من الذيل بالسنوات الثلاث الأخيرة : 1398 ـ 1400 لأن المترجم ظل يكتب إلى ما قبل وفاته ببضعة أيام. وقد طبع *إتحاف المطالع* بذيوله في بيروت سنة 1996 مفرداً وضمن موسوعة *أعلام المغرب*.

7) *إزالة الالتباس عن عائلات سكان مدينة فاس*، جمع فيه أكثر من ألفين وخمسمائة عائلة استوطنت مدينة فاس وكان لها بها ذكر. سواء كانت ما تزال موجودة أو اضمحلت ولم يبق إلا اسمُها. في جزءين.

8) *أمثال أهل فاس وما إليها*، جمع فيه ما يقرب من خمسة عشر ألف مثل يستعملها أهل فاس سواء باللغة الدارجة أو باللغة الفصحى، مع شرح بعْضها، في ثلاثة أجزاء.

9) *قضاة مدينة فاس*، حوى كلَّ من تولى القضاء بمدينة فاس مع فاس الجديد من تأسيس العدوتين إلى الآن، مرتب حسب السنين، وفيه كثير من توقيعات هؤلاء القضاة. يقع في مجلدين.

10) *معجم تآليف رجال المغرب الأقصى* ضمّ أسماء ما وقف عليه من تآليف رجال المغرب من أول الإسلام إلى الآن، مرتب على حروف المعجم جمع فيه أكثر من عشرة آلاف اسم كتاب مع نبذة عن حياة المؤلفين.

11) شعر *أبي حفص الفاسي* المتوفى عام ثمانية وثمانين ومائة وألف.

12) *إخراج كتاب تاريخ الطب العربي في عصور دول المغرب الأقصى* من مسودته، من تأليف محمد بن أحمد العبدي الكانوني المتوفى عام سبعة وخمسين وثلاثمائة وألف.

13) *مجموعة مقالات* كتبها، منها ما نشر في الجرائد والمجلات ومنها ما لم ينشر.

14) *مجموعة الرسائل* الواردة عليه من الأساتذة والعلماء يتعلق جلها بأسئلة تاريخية وأدبية واجتماعية تفيد الباحث.

15) *لب الغيبة إلى مكة وطيبة*، وهي رحلة إلى البقاع المقدسة عام ثلاثة وثمانين وثلاثمائة وألف.

16) *سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، فهرس ذكر فيه بعض شيوخه.

أما قصة *بَاهدراز* فهي من أفيد ما كتبه المترجم، بأسلوب مزيج من الفصيح والعامي، قدّم فيها صوراً حية جذابة للمجتمع الفاسي خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر (20 م) في جده وهزله وكده ومرحه، وأفراحه وأتراحه، وكان بعض أصدقائه الفنانين عازماً على إخراج "قصة بَاهدراز" فيلماً سينمائياً.

توفي عبد السلام ابن سودة بمركز بوقنادل في ضاحية سلا فجر يوم الأحد 29 شوال عام 1400 / 12 يوليوز 1980 بعد وعكة خفيفة ألمت به بضعة أيام، ودفن بعد ظهر نفس اليوم بسلا في المقبرة المشرفة على البحر التي تحدث عنها لسان الدين ابن الخطيب، غير بعيد عن قبر المؤرخ السلوي أحمد بن خالد الناصري.

ع. السلام ابن سودة نفسه، ترجمته بقلمه، *سل النصال* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1997، ج 9، ص 232 ـ 228 ؛ جماعة من الأساتذة أصدقاء المترجم، *أعمال حفل تأبينه بمدينة سلا يوم 11 قعدة 1400/ 21 شتنبر 1980*. مخطوط عند أبنائه ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا 1988، ص 167، كُتبه الأخرى المذكورة في نص الترجمة ؛ م. حجي، *جولات تاريخية*، بيروت، 1995، ج 1 : 445 ـ 450.

محمد حجي

ابن **سودة، عبد القادر** بن محمد بن الطالب (1301 ـ 1389)، والد المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة، ولد يوم

السبت 28 رجب عام 1301. العلامة المحدث المشارك المطلع المدرس الفصيح الرحالة الذائع الصيت. أخذ عن والده وعن عمه القاضي أحمد بن الطالب، وعن الشيخ مَحمد ـ فتحا ـ بن قاسم القادري الحسني، وعن الشيخ عبد السلام الهواري، وعن الشيخ عبد السلام بناني الطبيب، وعن الشيخ أحمد بن عبد الواحد بن المواز، وعن شقيقه الشيخ محمد، وعن عمه الشيخ علي بن عبد القادر وآخرين. حج سنة 1328 في حياة والده. ثم جال عدة أقطار، منها السنغال وفرنسا وتونس وطرابلس الغرب، إذ كان مولعا بالرحلة والأسفار.

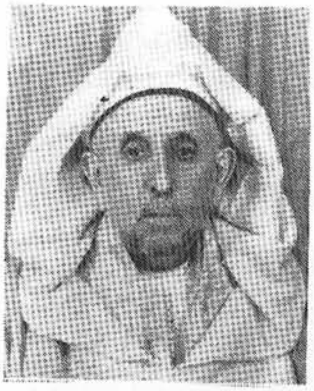

قام بتدريس الفقه والحديث وعلوم الالة في القرويين. وولي خطابة الجامع الذي أسسه الملك محمد الخامس بالفخارين. له تآليف عديدة، منها *الرحلة الكبرى في أخبار هذا العالم برا وبحرا*، طبع السفر الأول منها. وله *رحلة إلى باريز*، و*مولد الرسول* نظما، وهو مطبوع، وتائية على طريق أهل التصوف. اعتقل سنة 1335، على يد شرطة الاستعمار بتهمة التعامل مع الألمان أثناء الحرب العالمية الأولى، فقال في تائيته المذكورة، من جملة ما قال :

لقد ربطوني بالرباط وما دروا بأن رباط الحق يطلق ربطتي

توفي يوم 12 محرم 1389 / 31 مارس 1969.

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، ثم *سل النصال* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

ابن **سودة، عبد الكريم** بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن الطالب ابن سودة (1311 ـ 1395)، فقيه مشارك عالم أديب شاعر تولى القضاء سنين ممتدة. أخذ عن والده وهو عمدته، وعن عمه الشيخ علي بن عبد القادر، وعن شقيقه الشيخ محمد بن محمد، وعن الشيخ عبد الله العلوي الفضيلي، وعن الشيخ أحمد بن الجيلالي الأمغاري وغيرهم. مال إلى العمل فعزف عن التدريس، ورغب في التوظيف فكان أمينا للأملاك في بني ملال، ثم تولى القضاء في بني عمير بتادلة، ثم قضاء تاونات إلى أن توفي. له ديوان شعر ضاع جله، ومجموع أحكامه في مجلدين. اتهم بالتعامل مع الاستعمار في المؤامرة المدبرة على الملك محمد الخامس، فنفر منه الناس مدة، إلى أن تبينت براءته من تلك الوصمة فسرح ما كان قد ثقف من أمواله بعد أخذ ورد طويل.

توفي سنة 1395 / 75 ـ 1976.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

ابن **سودة، عبد الهادي** بن محمد بن عبد القار بن الطالب (1309 ـ 1370)، عم المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة، العلامة المطلع المقتدر المحرر النحرير، ذاع صيته في فنون التوثيق فكان الطلاب يتهافتون على دروسه للنهل من علمه. وكان يقول الشعر على الطريقة الأندلسية. أخذ عن والده الشيخ محمد بن عبد القادر وهو عمدته، وعن شقيقه سميِّ والده الشيخ محمد، وعن الشيخ محمد بن رشيد العراقي، وعن الشيخ القاضي أبي عيسى المهدي بن الطالب ابن سودة، وعن الشيخ محمد بن عبد السلام ابن سودة، وعن الشيخ العباس بن أحمد ابن سودة. تصدر للتدريس، ثم تركه لعلة بدنية أقعدته عن المشي. له ديوان شعر في مجلد ومجموعة فتاوي في مجلد أيضا. ذكره المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة من جملة شيوخه.

توفي سنة 1370 / 50 ـ 1951، ودفن بروضة العبدلاويين بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

ابن **سودة، العربي** بن **أحمد** بن التاودي، خير خلف لخير سلف، أسهب صاحب الروضة المقصودة في ترجمته وأطنب في ذكر خصاله الطيبة ومحامده فقال : "ربي في كفالة أبيه وجده، في أطيب نشأة وأجمل وصف، وأدخل الكتاب لتعلم القرآن، وكان له الظهور في النجابة على الأقران، فحفظه تجويدا في أقرب مدة، وأخذ في حفظ أمهات العلوم بعده، فحصل منها ما هو متداول في هذه الأزمان، معتنيا بتكرارها في كل وقت مخافة النسيان، ونور نجابته لائح ومسك صيانته فائح، لا يشارك الصبيان في ملعب، وليس له في غير القراءة مأرب". تصدر للتدريس والتأليف. فله عدة تآليف، منها شرح على الموطأ لم يكمل، و*المنح القدسية في شرح الوظيفة الزروقية*، و*نهاية المنى والسول في حب آل الرسول*، و*فتح الملك الجليل في حل مقفل فرائض الشيخ خليل*، و*تحقيق الأنباء فيما يتعلق بطاعون الوباء*، و*القول الكاشف في التخصيص والتقييد لنية الحالف*، و*تسهيل المطالب للطالب في الرد على من حرم سكر القالب*، و*حاشية على شرح المكودي للألفية*. كان معظما محترما لدى السلطان المولى سليمان الذي استفتاه في عدة قضايا وتبادل المراسلة معه.

توفي يوم الأحد 10 شوال 1229 / 25 شتنبر 1814 في حياة والده، ودفن بزاويتهم بزقاق البغل.

س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. عبد العزيز تيلاني، فاس، 1994 ؛ ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام

المغرب، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء السابع.

ابن **سودة، العربي** بن **الطالب** بن عثمان ابن سودة (1309 ـ 1392)، العالم المشارك، الشاعر المطلع، صاحب الخط الحسن. أخذ عن والده وهو عمدته، وعن الشيخ حماد الصنهاجي، وعن الشيخ محمد الإيراري، وعن الشيخ عبد السلام الهواري، وعن الشيخ أحمد ابن الخياط الزكاري، وعن الشيخ أحمد بن الجيلالي الأمغاري، وعن الشيخ مَحمد ـ فتحا ـ بن قاسم القادري الحسني، وعن الشيخ أحمد بن المامون البلغيثي، وعن الشيخ عبد الرحمان ابن القرشي الإمامي، وعن الشيخ شعيب الدكالي، وعن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني وآخرين. له تآليف كثيرة وشعر متوسط الجودة في نظر المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة الذي يعده من شيوخه. مارس الوظيف وتقلب على عدة خطط مخزنية في فاس والرباط، إلى أن عيّن خطيبا في مسجد باريس مناوبة مع خطباء الجزائر وتونس.

توفي عام 1392 / 72 ـ 1973.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

ابن **سودة، علي** بن عبد القادر بن الطالب (1254 ـ 1333)، عالم آخر من علماء هذا البيت، مطلع دراكة حيسوبي شاعر. ناب عن قاضي مكناس مدة. له شرح على *همزية البوصيري*، ونظم في مصطلح الحديث، وديوان شعر.

توفي يوم الخميس 17 محرم 1333 / 4 دجنبر 1914. ودفن بزاوية الشرادي قبالة درب الدروج.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن **سودة، عمر** بن محمد بن المهدي بن الطالب بن مَحمد ـ فتحا ـ (1288 ـ 1359)، سيدي وجدي الذي أدركت منه لحظاته الأخيرة في هذه الحياة الدنيا، فمازلت أحس يده اللينة تمسح على رأسي وهو يدعو لي بخير. كان من علماء التلقين والتدريس والوعظ والإرشاد. تخرج على يده من القرويين أجيال المغرب الجديد. وتولى خطبة جامع الرصيف سنين عديدة. أخذ عن والده الشيخ محمد بن المهدي، وعن الشيخ مَحمد ـ فتحا ـ بن قاسم القادري، وعن الشيخ عبد المالك العلوي الضرير، وعن عمه الشيخ المكي بن الشيخ المهدي، وعن الشيخ عبد السلام بن محمد الهواري، وعن الشيخ المهدي الوزاني وغيرهم من علماء نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر. كان رحمه الله نموذج العالم المسلم، دمث الأخلاق، نقي الظاهر والباطن، حليما رؤوفا. كانت خزانة كتبه تبهرني بامتداد رفوفها طولا وعرضا. ويقول المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة إنه قرأ عليه من أول المختصر إلى آخر البيوع والألفية مرتين. وكان الطلبة يحبونه لفصاحته وحسن تبليغه.

توفي يوم فاتح شوال عام 1359 / 2 نونبر 1940، وشيعه أهل فاس في محفل رهيب. ودفن بزاوية جده الشيخ المهدي الكائنة أسفل العقبة الزرقاء.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

ابن **سودة، محمد التاودي** بن **الطالب** بن مَحمد ـ فتحا ـ بن علي بن محمد بن علي بن أبي القاسم بن محمد ابن أبي القاسم بن محمد القادم المدعو أبا القاسم بن محمد بن علي المري القرشي النجار الغرناطي ثم الفاسي الدار. والتاودي نسبة إلى تاودة قرية من أقاليم فاس، صار أهل المغرب عامة وأهل فاس خاصة يلقبون بها أبناءهم، تيمنا بولي الله محمد التاودي دفين خارج باب الجيسة. والشيخ التاودي ابن سودة واسطة عقد البيت السودي دون منازع، تبلور في شخصه أمجاد السلف كأنه يخبر عما كان عليه الخلف من الصيت والظهور. حلاه كل من ترجم له بأسمى عبارات الإجلال والإكبار، لما كان عليه من سعة العلم وحسن الطوية وسلوك النهج القويم في كل ما يقدم عليه. أفرده تلميذه سليمان الحوات بترجمة ضخمة وسمها *بالروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة*، جعلها على تسعة أبواب، لا تخلو من حشو واستطراد، لكنها تصور بأوضح تصوير لمسيرة الشيخ التاودي العلمية، ولما كان له من التأثير في مجتمعه ونبل الخصال وخفة الروح والمكانة، حتى صار قدوة عصره والمدار الذي تدور عليه الفتوى في نوازل الدين والدنيا. فإنه كان أبهى صورة العالم المسلم الثابت اليقين المتضلع في علوم الشريعة المتشبع بأدق علوم الإسلام، ممن تفتحت أبصارهم وقلوبهم على حد سواء، فلا يقولون إلا ما يفعلون ولا يفعلون إلا ما يقولون.

أخذ علوم الوقت من نحو ولغة وتفسير وحديث وفقه ومنطق وبلاغة وعروض من جماعة من الأشياخ ذكرهم في فهرسته من أمثال أحمد ابن جلون وأحمد الوجاري وأحمد الشرادي وأحمد السلجماسي اللمطي وهو عمدته، والشيخ محمد ابن الكندوز والشيخ يعيش بن الرغاي الشاوي والشيخ محمد التماق والشيخ محمد بن قاسم جسوس، هذا في المنقولات والمعقولات. أما في التصوف والروحانيات التي كان يميل إليها ميلا في بعض لحظات حياته حتى كاد أن يغوص في بحارها لولا نهي بعض شيوخه عن ذلك، وهو الحاج بوجيدة بن قاسم الزموري، الذي كان له فيه اعتقاد وإرادة، طلب الشيخ منه الدعاء ذات يوم فقال له الشيخ بوجيدة : "عليك بالعلوم، عليك بالقراءة، ولا تتبع المتفقرة، فإن ما قدر لك من ذلك يأتيك، والعلم إذا فوّت طلبه لم تجده". وهكذا تذوق الشيخ التاودي حلاوة السياحة الروحانية دون أن يغصّ بها، وركب بحار التصوف على متن ما انطوى عليه صدره من علوم اليقين، فخرج ناجيا بالرغم مما اغترف

من تلك المناهل على يد أمثال المولى أحمد بن محمد الصقلي وشيخ الطريقة الناصرية الذي وكل به أمر الإشراف على فرع زاويته بفاس، وغيره من الشيوخ، بمن فيهم ثلاث نسوة من الصالحات العابدات القانتات. وقد أولع الشيخ التاودي بالقطب المولى عبد السلام بن مشيش. كان يزور ضريحه بانتظام بحيث تبرك بالوقوف على قبره أكثر من سبعين مرة، ومن إنشاده في ذلك قوله :

أتيتكم شيخا وكهلا وناشئا

وفي كلها أرجو نوالكم الجما

ولما عاد من تلك الزيارة لحقه ما يلحق في مثل تلك الأحوال بذوي الرغبة الخالصة في الفناء والإيمان حتى لزم الفراش أزيد من سنة.

وقد حج الشيخ التاودي سنة 1191 / 1778، فاستفاد من علماء المشرق كالشيخ السمان والشيخ المرتضى الحسني، شارح *الإحياء* *والقاموس*. وأفاد كل من سمع منه في مصر وفي الديار المقدسة. وتخرج على يده في المغرب أقطاب الجيل اللاحق، وفي طليعتهم ولده أحمد وجماعة أحفاده المبرزين، وأيضا الشيخ الحسن الجنوي والشيخ محمد بن علي الوزاني والشيخ أحمد الملوي والشيخ الطيب ابن كيران والشيخ إدريس العراقي والشيخ يحيى الشفشاوني والشيخ محمد الزروالي والشيخ حمدون بلحاج والشيخ سليمان الحوات مترجمه والشيخ محمد الرهوني وآخرون. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على ما كان عليه الشيخ التاودي من الصيت العظيم والرتبة السامية لدى الخاص والعام حتى صار القطب الذي بيده الحل والعقد في كل الملمات. فإنه على حد قول صاحب *سلوة الأنفاس* : "كان مجتهدا في العبادة، حسن الخلق، محبا لآل البيت، شديد الاعتناء بأمور الناس، رقيق القلب، كثير البكاء، غزير العبرة، وله مآثر شهيرة ومناقب كثيرة وبركات حميدة ومكاشفات عديدة". وهو في قول صاحب *الدرر البهية* : "الإمام الهمام العالي المقام والطود الشامخ السنام فخر الليالي والأيام، من فات الأتراب والأقران وساده، وتوسده هذا القطر فكان نعم الوساد".

له تآليف عديدة منها حاشيته على شرح الزرقاني لمختصر خليل وعنوانها *طالع الأماني*، وشرح *على التحفة* لابن عاصم، أقبل الناس عليه إقبالا كبيرا منذ تأليفه إلى يومنا، وله فهرسة ذكر فيها من أخذ عنهم من العلماء غربا وشرقا، وتقييد بمن انتفع بهم من الأولياء والصلحاء. ولذلك كان معظما مبجلا لدى الجميع. قال تلميذه سليمان الحوات : "وهو شيخ ظاهر النفع كثير التلميذ [...] بلغ من الرئاسة مع السلطان مولانا محمد ابن مولانا أمير المؤمنين عبد الله ما لم يبلغه غيره حتى اكتسب من ذلك هو وأولاده أموالا كثيرة وأكسبوا غيرهم ممن تعلق بهم ما به الغنى، واجتمع له ولأولاده أيضا من المناصب والولايات والأخذ من وفر الأوقاف ما لم يتفق لغيره قط". وقد تأتى له ما لم يتأت لأحد قبله أو بعده، أن قدم ولده أحمد للتدريس، وهو مازال في العقد الثالث من عمره. ولم يكن ذلك من التملق والانصياع المغرض. وإنما كان من عمق دراية الشيخ التاودي بمقاصد الشريعة وبألفاظها ويقينه بأنه لا يخشى الله من عباده إلا العلماء. فإنه استفتي من قبل السلطان سيدي محمد من جملة من استفتي من العلماء سنة 1176، في العمل بالمكوس، فأفتى بجوازها خلافا للجمهور ليقينه بحاجة بيت المال يومئذ إلى ذلك، إذ كان السلطان سيدي محمد بن عبد الله مقدما على تجديد صرح الدولة بعد ما نال منها من الفتن في عهد والده المولى عبد الله بن إسماعيل. ولكن يوم استفتى السلطان المذكور العلماء سنة 1187 فيما رغب فيه من طرد سكان الرباط من مدينتهم لما تمادى عليه منهم من وجوه العصيان والشغب، بدعوى أنهم مقيمون على أرض من أراضي الدولة، لم يتردد الشيخ التاودي في الإفتاء بعدم شرعية ذلك لفظا ومعنى. وقد غضب السلطان عليه وأمر بتجريده من كل الرتب والوظائف. لكنه سرعان ما تراجع، مدركا أن الشيخ التاودي محضه النصيحة، فرد عليه كل ما كان ينعم به. واستمر ذلك في عهد المولى يزيد بن محمد على قصر عهده المنحصر بين سنتي 1204 و1206 / 1790 ـ 1792. وبعد مقتله، هاجت أحوال المغرب وماجت بسبب تنافس الأمراء على العرش. وكانت البلاد في حاجة إلى من يدلها على من يصلح لإمارة المؤمنين. فوقع الإجماع على تطويق الشيخ التاودي بتلك المسؤولية، فأفتى بمبايعة تلميذه المولى سليمان فانعقد له الأمر وصار على نهج والده من الصلاح والإصلاح. وكان الشيخ التاودي قد بلغ من العمر عتيا، ممتعا بحاستي السمع والبصر على نحافة جسمه. وكان من إكبار السلطان المولى سليمان لشيخه أن أمر ببناء مسجد قرب منزله بزقاق البغل ليؤدي فيه الصلوات الجامعة بأقل عناء. وهذا المسجد هو الذي دفن فيه الشيخ التاودي بعد وفاته يوم الخميس 19 ذي الحجة 1209 / 7 يوليوز 1795، وصار زاوية خاصة بدفن أولاده وأحفاده.

س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. عبد العزيز تيلاني، الدار البيضاء، 1994 ؛ إ. العلوي الفضيلي، *الدرر البهية*، فاس، الطبعة الحجرية ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، الطبعة الحجرية ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدارالبيضاء، 1960، 9 أجزاء، الجزء الثامن ؛ ع. الرحمان الجبرتي، *عجائب الآثار في التراجم والأخبار*، القاهرة، 1386 /1967، 9 أجزاء، الجزء الرابع ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*. / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

ابن **سودة، محمد التاودي** بن **المهدي** (1247 ـ 1319)، أحد أبناء القاضي الشيخ أبي عيسى المهدي، علامة مشارك مدرس مطلع فصيح اللسان. تولى قضاء طنجة مدة. له رحلة إلى بلاد الأستانة. أورد المؤرخ ابن زيدان رسالة مخزنية تشير إلى أنه رام الانتساب إلى آل البيت النبوي، فرفع جريدة عدلية في ذلك إلى نظر السلطان المولى عبد العزيز سنة 1318، فجاء الجواب بعدم ثبوت ذلك في أي عصر من العصور. ولما علم عمه القاضي أحمد بالقضية

تنصل منها بصريح العبارة.

توفي عام 1319 / 1 - 1902 ودفن بزاويتهم الكائنة أسفل العقبة الزرقاء.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، فاس، المطبعة الوطنية، 1350 /1932 ، 5 أجزاء، الجزء الرابع ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع، ثم سل النصال/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت ، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن **سودة، محمد** بن **الطاهر** (1305 - 1382)، من حفدة الشيخ التاودي، فهو محمد ابن الطاهر بن عبد الواحد ابن القاضي أحمد بن الشيخ التاودي، عالم مشارك، خطيب فصيح، خير ذاكر، متبتل شاكر، عامل رضي مرضي. أخذ عن والده الشيخ الطاهر وعن الشيخ المهدي الوزاني، والشيخ أحمد بن الجيلالي الأمغاري. قام مقام والده في خطبة مسجد الأندلس منذ سنة 1335. وكان لخطبه بالغ الأثر على المصلين، تبكيهم في الغالب وتحملهم على التذكر والاتعاظ. وكان يخطب أيضا في مصلى باب الفتوح في الأعياد وصلوات الاستسقاء. ولما أبعد السلطان محمد الخامس عن عرشه على يد سلطات الاستعمار، امتنع الفقيه المترجم له من الدعاء للسلطان ابن عرفة، فأخر عن الخطبة وأمر بإجلاء الدار المحبسة على الخطيب في ظرف أربع وعشرين ساعة. فامتحن بذلك امتحانا. ولجأ إلى السكنى لدى بعض المحبين المحسنين، إلى أن عادت الأمور إلى نصابها، فأكرمه الملك محمد الخامس وعوضه عما حل به من تجاوزات الاستعمار.

توفي يوم الجمعة 2 رجب عام 1382 / 9 نونبر 1962، ودفن بروضتهم الكائنة بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع، ثم سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

إبراهيم بوطالب

ابن **سودة، محمد العابد** بن أحمد الفاسي، من علماء فاس خلال القرن الرابع عشر (19 م)، له مؤلفات في مختلف العلوم والفنون، ومنها كتاب *الأنباء المشهودة في شمائل رجال بيت بني سودة* الذي أتمه عام 1352 / 1933. وقد عرف فيه بالأسرة وترجم لعلمائها. ومن مؤلفاته أيضا :

- *بغية الأدباء والأكياس في معرفة قسم وادي فاس.*
- *مسامرة الأعلام وتنبيه العوام بكراهية القيام.*
- *مقامة في تفضيل فاس على سائر المدن.*

وقد وضع محمد العابد في الموسيقى كتابا سماه *استنزال الرحمات بالطبع والنغمات* أو *بإنشاد البردة بالنغمات*، وفرغ من تأليفه عام 1359 / 1940. وهو ما يزال مخطوطا. مهد المؤلف لكتابه هذا بمقدمة مسهبة عرف فيها بالموسيقى عموما والموسيقى الأندلسية خصوصا، ثم انتقل إلى ذكر الطبوع، فصنفها وعرف بمبتكريها، كما ألم بفترات انتقال موسيقى الآلة إلى المغرب معرفا ببعض مصطلحاتها. وبعد المقدمة انتقل المؤلف إلى صلب موضوع الكتاب الذي هو "فن السماع"، فبسط القول في طريقة المسمعين من أهل فاس في إنشاد *البردة والهمزية* للإمام البوصيري.

وتتلخص هذه الطريقة في تقسيم *البردة* إلى ثلاثة عشر قسما، يلحق بكل قسم منها إنشاد "بيتين" ومجموعة من الموشحات والأزجال والبراول، فينشد القسم الأول على طبع معين، وتتلوه الأقسام الأخرى بتوابعها مغناة على طبوع أخرى إلى أن يستوفي المنشدون الأقسام كلها في ثلاثة عشر طبعا من طبوع الموسيقى الأندلسية، وهي على التوالي : الحجاز المشرقي، والصيكة، والاستهلال، والماية، والرصد، وغريبة الحسين، والغريبة المحررة، ورمل الماية، والأصبهان، والحجازي الكبير، ورصد الذيل، والعشاق، وعراق العجم.

توفي محمد العابد بفاس عام 1359 / 1940.

ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، رقم 2036، ج. 2، ص. 441 ؛ م. المنوني، *مجلة البحث العلمي*، العدد 14 و15، ص. 169، السنة 1969.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **سودة، محمد** بن **عبد القادر** (1261 - 1338)، جد المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة. العالم المحدث المشارك، القاضي المدرس النفاعة المفتي المحرر المطلع. أخذ عن كبار شيوخ العصر، من أمثال الشيخ عبد السلام بن الطائع بوغالب الحسني، والشيخ محمد بن المدني كنون، وعن الشيخ المهدي بن الطالب بن سودة وشقيقه القاضي أحمد، وهما عماه، والشيخ أحمد بناني كلا، والشيخ عبد الله بن إدريس البدراوي وغيرهم. تولى قضاء طنجة مدة وحمد الجميع سيرته. ثم كان قاضيا على فاس الجديد. وكانت له اليد الطولى في الإفتاء، يعينه قاضي فاس الإدريسية الشيخ محمد بن رشيد العراقي لحل المشاكل العويصة، لما كان عليه من الذهن الثاقب والفراسة التامة. له *حاشية على صحيح البخاري*، جمعها من تلقينه للكتاب في القرويين. لحقه حفيده المؤرخ عبد السلام فأخذ عنه شيئا من علمه.

توفي يوم 29 شعبان عام 1338 / 18 ماي 1920، ودفن بروضة الشيخ ابن عباد بكدية البراطيل داخل باب الفتوح. رثاه محمد بن المفضل غريط بقصيدة مطلعها :

وما كان إلا سيف فصل لمشكل   أصار الردى بطن التراب له غمدا

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع، ثم سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن **سودة، محمد** بن أبي **القاسم** (1003 - 1076)، الفقيه الجليل العلامة الفاضل، آخر قضاة العدل والدين وكمال المروءة بفاس. أخذ عن الشيخ عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي، وقال سمعت منه جملة من التفسير والرسالة والحكم لابن عطاء الله وتحفة ابن عاصم بشرح ميارة. ثم ولي قضاء فاس الإدريسية مهل شعبان 1057. وكان من الرعيل الأول من المبايعين للدولة العلوية في طور نشأتها. فإنه كتب على لسان المولى محمد بن الشريف العلوي، لدى

دخوله مدينة فاس سنة 1059، إلى آخر ملوك الدولة السعدية محمد الشيخ الصغير ردا على رسالة بعث له بها ينصح له بالحذر من أهل فاس خاصة ومن أهل الغرب بصفة أعم، والرسالة نثر ونظم. تصور لما اشتد من التنافس على الحكم في المغرب يومئذ بين الدولة السعدية الآفل نجمها والدولة العلوية التي كانت في نضالاتها الأولى والزاوية الدلائية التي رام آخر شيوخها ملء الفراغ السياسي في البلاد وجعل حد للفتنة والشغب والتناحر.

وللقاضي محمد بن أبي القاسم تقاييد وأجوبة. وإليه ينسب درب القاضي حيث كانت دار سكناه على يمين الداخل للدرب.

توفي يوم الأحد 25 ذي القعدة عام 1076/ 29 ماي 1666. وأوصى بأن يدفن في روضة سيدي علي بن حرزهم خارج باب الفتوح، وأن تنشد في جنازته أبيات مطلعها :

إلاهي المالك الناصر أتاك عبدك القاصر

م. القادري، نشر *المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1402/ 1982 ، 4 أجزاء، الجزء الثاني ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1419 /1998 .

ابن **سودة، مَحمد** بن **محمد** بن **عزوز** الوطني الغيور والمناضل الكبير الذي تفانى في الدفاع عن حرية الوطن وكرامته. كان في طليعة الصفوف الوطنية الأولى في مدينة فاس منذ أواخر العشرينيات من القن العشرين. تابع داسته بالتعليم العصري، وكان من الأفواج الأولى التي التحقت بثانوية المولى إدريس. ولما كان على جانب كبير من موهبة التنظيم والتأطير، فإنه جعل تلك الموهبة في خدمة جيله من الشباب الفاسي. فكان من مؤسسي ومنشطي الجمعيات الرياضية أول الأمر، وبخاصة منها جمعية النجاح الرياضي، التي كان لها الفضل في بث روح التباري الرياضي العصري في الناشئة الفاسية الصاعدة. ثم كان من ركائز جمعية قدماء تلاميذ ثانوية المولى إدريس. ولا يخفى ما كان لهذه الجمعية من الأدوار الملموسة في استقطاب الشباب في صفوف الحركة الوطنية، ومن المواقف المذكورة في تنوير العقول وفتح الآفاق على باقي الثقافات.

كان المترجم من مؤسسي ومسيري الحزب الوطني ثم حزب الاستقلال في فاس، فهو من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، بحيث كان منزله قبلة للمناضلين وناديا تلتقي فيها الإرادات وتشحذ فيه الهمم. مما حمل عيون السلطات الاستعمارية ومسامعها على تتبع حركاته وسكناته دون فتور، فلا تقع واقعة وطنية نضالية إلا وكان أول من يلقي عليه القبض في فاس. فدخل السجن بعد أحداث يناير 1944، ولقد رأي كاتب هذه السطور بأمّ عينيه من أعلى سطح الدار الذي كان يقطنها والتي تطل على دار المترجم الزبانية الاستعمارية تفتشها تفتيشا دقيقا وتنبش ركاما صلدا من الرمل بقي من بعض الترميمات السابقة بحثا عن المناشير والوثائق الحزبية. ثم كانت أحداث دجنبر 1952 فكان من أول من أودع السجن مرة أخرى.

ولما استرجعت البلاد استقلالها، انضم على التو ومن تلقاء نفسه إلى أطر وزارة الشبيبة والرياضة حيث أسندت إليه مسؤوليات عليا فيها، فمارس شيئا منها في الدار البيضاء، ثم في الإدارة المركزية في الرباط، بنفس الروح التي ما فتئ طيلة حياته يؤدي بها واجباته الوطنية وبنفس القدرات التنظيمية التي كانت من خصاله المتميزة.

وافاه الأجل المحتوم فجأة في القطار سنة 89 ـ 1390 / 1970 وهو في طريقه من باريز إلى فيينا لقضاء العطلة لدى صديقه عبد الكبير الفاسي سفير المغرب يومئذ في النامسا. ونقل جثمانه من هناك ووُوري في مثواه الأخير بمقبرة ابن مسيك في الدار البيضاء.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع : سل النصال للنضال* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9.

إبراهيم بوطالب

ابن **سودة، محمد** بن **محمد** بن **محمد** بن عمر الملقب بالشيخ التاودي. ولد بفاس عام 1330/1911 وبها نشأ ودَرَس في النظام الجديد بالقرويين إلى أن أحرز على شهادة العالمية من القسم الشرعي عام 1358 / 1938 وانخرط في سلك القضاء وعمل في جهات مختلفة، منها قبيلة زعير جنوب الرباط، وانتهى به المطاف قاضيا مستشاراً بالمجلس الأعلى، وشارك في *تخريج المعيار* للونشريشي في طبعته الثانية إلا أنه توفي قبل إنهاء الجزء الموكول إليه فأتمته

عنه. كما كان هاوياً للتاريخ وخلال توليه منصب القضاء بزعير خلال السنوات السبع التي سبقت إعلان الاستقلال ألف كتاب *قبيلة زعير*، وهي أصعب فترة في تاريخ المواجهة المغربية الفرنسية، تفجرت فيها طاقات الوطنية والمقاومة وثار فيها بركان الاستعمار فأصابت حممه مختلف الجهات ومن بينها بلاد زعير.

اعتمد المؤلف في هذا الكتاب على مصادر متنوعة، بعضها مكتوب وبعضها مسموع من أفواه "الطاعنين في السن وأكابر القبيلة وأعيانها الذين لهم خبرة ومعرفة واطلاع بشؤون قبيلهم" واهتدى - بحكم تكوينه الفقهي التوثيقي - إلى نقد هذه المصادر وتمييز الصحيح المقبول من الباطل المرفوض. "وكنت أحرص كل الحرص - يقول المؤلف في المقدمة - على ألا أقيد في تلك الدفاتر إلا ما صح عندي من الأخبار والآثار، وأبتعد عن نقل وحفظ ما لا ترجى من ورائه كبير فائدة، وعلى هذا المنهج سرت في عملي".

ينقسم الكتاب إلى قسمين أو جزئين، أولهما - وقد طبع منذ بضع سنوات - في تاريخ القبيلة وذكر أصولها وفروعها ومواطنها القديمة والحديثة، ولغاتها المستعربة والمستعجمة، وعاداتها، وأسواقها وفلاحتها وعلاقتها بمن يجاورها من القبائل والعشائر. وخصص الجزء الثاني لتراجم أعلام زعير في العلم والجهاد والسياسية والرئاسة، وابتدأه بترجمة مطولة لعبد الله بن ياسين شيخ المرابطين دفين كريفلة من بلاد زعير، كما ترجم لجماعة من الفقهاء الذين تولوا منصب القضاء في زعير وترجم لنفسه من بينهم.

توفي بالرباط يوم الجمعة 20 محرم عام 1401 / 28 نونبر 1980.

م. ابن سودة نفسه، كتاب *قبيلة زعير*، الجزء الثاني، ص. 157 - 164 ؛ م. حجي، *جولات تاريخية*، بيروت، 1995، ج 2 : 451-455.

محمد حجي

ابن سودة، **محمد** بن **المهدي** بن الطالب بن مَحمد - فتحا - (1257 - 1344)، العلامة المشارك المطلع المدرس النفاعة النحرير الخطيب المصقع، صاحب الذهن الثاقب والعلم الصائب. أخذ عن والده وهو عمدته، وعن عمه القاضي الشيخ أحمد بن الطالب، وعن الشيخ عبد السلام بن الطائع بوغالب الحسني، وعن الشيخ أحمد بناني كلا، وعن الشيخ محمد بن المدني كنون، وعن الشيخ المهدي بن الحاج، وعن الشيخ عبد المالك العلوي الضرير وآخرين من كبار شيوخ العصر. له تآليف عديدة، منها شرح على اليوسي في رثاء الزاوية الدلائية في نحو ثمانية أسفار ضخام، وشرح على الألفية في مجلد. ومما يسترعي الانتباه من مؤلفاته، أنه كان يحرر ما يجري بينه وبين أشياخه وأقرانه من المذاكرة، فخرج من ذلك مؤلف قريب مما يسمى اليوم بالمذكرات. تولى خطابة جامع الرصيف. وكان أهل فاس يتهافتون للإصغاء إلى خطبه. ولما سئل عن ذلك قال إنها تعجبهم لعدم طولها، ولما تنبني عليه من الأحاديث الصحاح دون غيرها. فإنه كان سلفي العقيدة، نفورا من كل من يدعي الوساطة بين الخالق والمخلوق، مفوضا أمره إلى الله، مدركا لعيوب المجتمع مثل آفة الاسترقاق متنصلا منها. التزم بيته من يوم فرضت الحماية على المغرب، ولم يبرحه إلى أن وافاه الأجل.

توفي قبل مولدي بأزيد من عشر سنوات. ومع ذلك يخيّل إليّ أنني عرفته عن كثب، مما سمعت من أوصافه الجليلة، ومن سيرته الصارمة الحازمة على لسان الأخوال والخالات، فإنه آخر من تمثلت في شخصه الأبوة القديمة بين أولاده وأحفاده، وقد تزوجوا وأنجبوا تحت رعايته، في غرسته الممتدة في حي الدوح التي توزعها الورثة بعد موته ليقيم كل واحد منزلا لأسرته المنحصرة على الطريقة العصرية.

توفي يوم 3 رمضان عام 1344 / 17 ماي 1926.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم سل النصال / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن سودة، **المكي** بن المهدي (1263 - 1317)، أحد أبناء القاضي الشيخ المهدي، عالم مشارك مطلع مدرس، له شرح على تائية الشيخ الحراق، وشعر متوسط. تولى قضاء فاس الجديد والصويرة.

توفي عام 1317 / 1899 - 1900.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم سل النصال / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن سودة، **المهدي** بن **الطالب** بن مَحمد (1220 - 1294)، القاضي الجليل والعالم الحبر النحرير. ذاع صيت الشيخ المهدي في ديار الإسلام غربا وشرقا بما كان عليه من سعة العلم والتثبت في الفقه والتمكن من كل أصناف المعقول والمنقول. حلاه كل من ترجم له بأعلى عبارات التحلية، فقال عنه صاحب *الدرر البهية* : "هو العالم العلم الذي لا يجهل، وعليه العمل الذي يعمل ولا يجهل". وقال عنه صاحب *سلوة الأنفاس* : "كان فقيها محدثا أصوليا منطقيا نحويا مشاركا، درّس فأفاد، ونفع العباد، وكان بديع الدقائق والفهومات، غريب الأبحاث والإشكالات، مع اتساعه في العلم وتجرده والغوص على نفائسه وإشارته وتدبره". وقال عنه صاحب *الإتحاف* : "ضابط متقن راوية ذرب اللسان ثبت الجنان سياسي ماهر مطلع خبير بصير بالعواقب حامل لواء التحقيق في زمانه مشار له بالبنان بين أقرانه درّس العلم بأقطار المشرقين والمغربين فأجاد وأفاد". أدار المجالس العلمية التي كانت تقام بحثا في *صحيح البخاري* في شهور رجب وشعبان ورمضان في حضرة ملوك عصره، المولى عبد الرحمان بن هشام وسيدي محمد بن عبد الرحمان والمولى حسن بن محمد.

رحل الشيخ المهدي إلى الديار المقدسة مرتين، مرة أولى

سنة 1269 من الهجرة، فحج وزار واجتمع بعلماء المشرق الكبار وألقى الدروس بمصر وبالحرمين فأعجب الجميع به ولهجت الألسن بذكره ومدحه أكثر من واحد، منهم الحسن بن علي اللقاني الذي قال :

همام له في الفضل والعلم والعلى
خصائص قد جلت على الحصر والعد
هو البحر بحر العلم والحلم والتقى
وكشاف ما تخفي العبارة من قصد

وحج مرة ثانية سنة 1274 رفقة أنجال السلطان المولى عبد الرحمان، مكلفا بأن يصل شيوخ الأزهر على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم بما أمر لهم به هذا العاهل من الهبات النقدية، وقد ذكرهم صاحب *الإتحاف* بأسمائهم. وكان الشيخ المهدي قد ولي قضاء الجماعة من مدينة مكناس سنة 1272، فيما بين تلك الحجتين، وبقي على الخطة إلى أن لبى داعي ربه، رغم ما كان عليه من شديد التنصل منها وميله إلى الوقوف عند التدريس والتأليف، وكان يتوسل في ذلك بالوزير الطيب بن اليمني بوعشرين. لكن السلطان ظل يفضل تقديم حقوق الأمة على حقوق الشخص بما تميز به الشيخ المهدي في ممارسة واجبات القضاء من غزارة الحكمة وصفاء الطوية والسير على السنن الشرعي القويم.

تخرج على يد كبار علماء العصر من أمثال عبد السلام الأزمي، وهو عمدته في المعقول، وعبد القادر الكوهن، وهو عمدته في الفقه، ومحمد الحراق، وهو عمدته في التفسير والحديث، وعلي بن إدريس قصارة الذي أخذ عنه النحو والحساب والعروض، وبدر الدين الحمومي شيخ الجماعة، ومحمد بن عبد الرحمان الفيلالي وغيرهم.

أما المتخرجون على يده، ففي المغرب أخوه أحمد بن الطالب قاضي مكناس من بعده، ومحمد گنون وأحمد بن الخياط الزكاري والعباس بن أحمد التازي وجعفر الكتاني والقاضي حميد بناني، هذا في فاس، وأما في مكناس، فممن أخذ عنه فضول ابن عزوز وفضول السوسي وابن الجيلالي السقاط والمختار الأجراوي وآخرون. وأخذ عنه في مصر الشيخ عليش والشيخ عبد الهادي نجا الأبياري، وفي دمشق الشيخ دكدوك.

وكان الشيخ المهدي ابن سودة من جملة من استفتاهم السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان من العلماء بعد هزيمة الجيوش المغربية في حرب تطوان سنة 1276 / 1860، عندما صم عزمه على إصلاح شؤونها بكفها عن أساليب الكر والفر وتمرينها على حرب النظام. فكتب الشيخ المهدي في ذلك جوابا نشره المرحوم محمد بن عبد الهادي المنوني، يبدي مدى خبرته بالأصول وملازمته لها ومدى تفتحه وإدراكه لضرورات الإصلاح في مجتمع تجمد على الثوابت خوفا من البدعة حتى دخل عليه الاستعمار، مستدلا على محاسن فنون القتال العصرية بالآيات البينات والأحاديث الصحيحة. وله إلى ذلك تآليف أخرى، منها حاشية على شرح الخرشي على المختصر، وحاشية على شرح المحلي على جمع الجوامع، وحاشية على شرح بناني على السلم وحاشية على رسالة الوضع، وفهرسة.

توفي الشيخ المهدي يوم 4 رمضان سنة 1294 / 12 شتنبر 1877 ودفن في زاويته الكائنة أسفل العقبة الزرقاء التي هي مدفن أبنائه وحفدته.

إ. العلوي الفضيلي، *الدرر البهية*، فاس، الطبعة الحجرية ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، الطبعة الحجرية ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 2، الدارالبيضاء، 1960، 9 أجزاء، الجزء التاسع ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، فاس، 1350 / 1932، 5 أجزاء، الجزء الرابع ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن سودة الهندي، محمد، حفيد القاضي الشيخ أبي عيسى المهدي من ولده محمد التاودي، فقيه جليل وعالم فاضل وطبيب ماهر. أخذ عن والده وهو عمدته، وعن عمه الشيخ المكي المتوفي عام 1319، وعن الشيخ محمد بن التهامي الوزاني، والشيخ أحمد بناني كلا، وعن عم والده القاضي أحمد بن الطالب، وعن إدريس البدراوي وآخرين. اشتغل بالتدريس مدة. ثم توجه إلى الحج فأدى الفريضة، وأبعد في الرحلة فذهب إلى الهند، فمن ذلك لقبه بعد عودته إلى فاس محملا بالتحف والعجائب، وقد أتقن صناعة الطب. وصار يداوي الناس بدون مقابل. ودفن بزاويتهم بالعقبة الزرقاء.

توفي بفاس عام 1331 / 12 . 1913.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع، ثم سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

إبراهيم بوطالب

السور الجديد بالدار البيضاء. وهو سور طويل يحيط بميدان فسيح يشمل مساحة كبيرة من عدة هكتارات، أمر ببنائه السلطان مولاي الحسن إلى الغرب من مدينة الدار البيضاء القديمة. وكان الدافع لبنائه هو ضيق المدينة، ومنافسة الأجانب للمغاربة في الحي الشعبي "التناكر". فقد كانت البناءات المخصصة للمتاجر الأجنبية تضايق الحي الشعبي وتتوسع على حسابه، ولإبعاد الاحتكاك بين الطرفين ولعزل سكنى التجار الأجانب حتى لا يضيقوا على السكان الفقراء، أمر السلطان ببناء السور الجديد، وخصص مساحته للجالية الأوروبية لتبني فيه مساكنها وأهريتها. لكن الأجانب فضلوا البقاء قرب المرسى بالمدينة ورفضوا الانتقال إلى السور الجديد. وقد تكلف بالصرف على البناء في البداية الأمين محمد بن سعيد الرباطي، ثم بعده الحاج عبد الخالق فرج الرباطي.

ولما بقيت أرض السور الجديد فارغة من البناء، أصبحت مكانا لتخييم الحركات السلطانية عند مرورها بالدار البيضاء، ومتنزها لسكان المدينة، حيث كانت تقام الاحتفالات الشعبية، خاصة الاحتفال بنزهة سلطان الطلبة.

وقد حاول التجار الأجانب، وفي مقدمتهم التجار الألمان اتخاذ ساحة السور الجديد محلا لغسل ونشر الجلود. وتدخلوا لدى السلطان مولاي عبد العزيز (1894 ـ 1908) من أجل ذلك، لكن السلطان رفض وأمر بتعيين محل لما طلبوه، مبينا بأن "بقعة السور الجديد حوطها المخزن لغرض مهم ولا يمكن استعمالها في ما طلبوه"، (من رسالة سلطانية، أنظرها في *إتحاف أعلام الناس*، 1 : 443).

وفي سنة 1907 لما اضطربت أحوال الشاوية نتيجة للتوتر بين المغاربة والفرنسيين، الذين شرعوا في بناء مرسى الدار البيضاء، خيمت محلة من الجيش بقيادة مولاي الأمين عم السلطان بالسور الجديد. وبعد حادث مقتل تسعة عمال أوروبيين بمرسى الدار البيضاء، انتهزت الحكومة الفرنسية الفرصة لتحتل المدينة، ولهذا تدخل الأسطول الفرنسي فقصف المدينة ووجهت قنابل البوارج إلى الحي الشعبي "التناكر"، ففر سكانه إلى السور الجديد حيث توجد القوات المخزنية للاحتماء. لكن السفن الحربية الفرنسية، ارتكبت مجزرة بشعة بين السكان الذين التجأوا للسور الجديد، وبين أفراد الجيش المغربي المخيم بعين المكان. والثابت أن تلك المجزرة ارتكبت عن قصد وسبق إصرار بهدف إرهاب المغاربة. لأن القنصل الفرنسي كان قد اتفق مع مولاي الأمين على أن يلتجئ السكان الخائفون إلى السور الجديد، ولما تجمعوا هناك بلا نظام هاربين من قنابل البوارج الحربية، وجهت تلك البوارج مدافعها نحو السور الجديد فأحالت جمعهم إلى ركام من الجثث (*التدخل الأجنبي والمقاومة*، 261 ـ 262).

ع. الرحمن بن زيدان، *إتحاف*، الجزء الأول ؛ ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، 1991.

G. Bourdon, *Ce que j'ai vu au Maroc, les journées de Casablanca*, Paris, 1908.

علال الخديمي

سورية والمغرب. سبقت سورية المغربَ إلى التحرر، إذ أُلغي الانتداب الفرنسي عليها سنة 1941 والحرب العالمية الثانية مازالت مستعرة، وتم استقلالها بجلاء الجنود الأجنبية عن ترابها سنة 1946. وقد عملت سوريا ـ مع الدول العربية المستقلة الأخرى آنذاك ـ على تأسيس جامعة الدول العربية (7 ربيع الثاني عام 1364 / 22 مارس 1945) ولما استقل المغرب بمقتضى التصريح المشترك المغربي الفرنسي الذي وضع حداً للحماية الفرنسية على المغرب (18 رجب 1375 / 2 مارس 1956) بادر محمد الخامس بالانضمام إلى الجامعة العربية وربط علاقات ديبلوماسية مع الدول العربية المستقلة، ومنها سورية الشقيقة، ووقع تبادل السفراء بين البلدين منذ البداية.

سارت العلاقات المغربية السورية سيراً طبيعياً طوال العقود الماضية رغم ما كان يخيم عليها من ظلال بسبب قضية تحرير الأراضي العربية وإشكالية قيام الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف والممارسات العدوانية الإسرائيلية.

وبهذا الصدد يمكن القول إن هناك تطابقاً في وجهات النظر بين المغرب وسورية تجاه هذه الثوابت التي ينبغي أن تحكم العمل العربي المشترك، وتبايناً غير معلن في أدوات الإنجاز وكيفية التعاطي مع ما يستجد بخصوص القضايا المطروحة.

المغرب وسورية كانا ولازالا يلتقيان على أرضية واحدة لا بديل عنها بالنسبة للصراع العربي الاسرائيلي، وتتمثل في تنفيذ قرارات الشرعية الدولية، وهو مطلب سوري ومغربي لا يلين، فيما تظل الجوانب الإجرائية لتحقيقه موضع تباين في المواقف بين البلدين الشقيقين.

ناهيك عن قيام الجنود المغاربة مع نظرائهم في الجيش السوري، وخوضهم لمعارك حرب رمضان 1393 / أكتوبر 1973 في سبيل إجلاء الجيش الاسرائيلي المحتل عن مرتفعات الجولان السورية، وهي المعارك التي أبلى فيها المغاربة البلاء الحسن في القتال بشجاعة قل نظيرها، والاستشهاد إلى جانب إخْوانهم السوريين كما تدل على ذلك أضرحتهم في مقبرة الشهداء قرب العاصمة السورية.

وبعد فتور خيم على العلاقات بين البلدين على إثر قيام المغرب باسترجاع صحرائه بعد انسحاب الإسبان منها ومعاكسة الجزائر له، وتباين مواقف الدول العربية، عرفت العلاقات المغربية السورية تطورات سعيدة خلال السنتين الأخيرتين.

شكلت زيارة الرئيس بشار الأسد إلى المغرب في أبريل 2001 بدعوة من جلالة الملك محمد السادس محطة رئيسية لتعزيز العلاقات المغربية ـ السورية في مختلف الميادين، وتوجت بالتوقيع على اتفاقية إنشاء لجنة عليا مغربية سورية مشتركة برئاسة الوزيرين الأولين في البلدين.

وأعطت الزيارة دفعاً قوياً للتعاون بين البلدين، حيث تلتها حركة دؤوبة للوفود المغربية باتجاه سورية، توجت بزيارة الوزير الأول لها على رأس وفد وزارى هام، وذلك في إطار انعقاد الدورة الأولى للجنة المشتركة العليا في دمشق بتاريخ 21 أكتوبر 2001 بمشاركة رجال الأعمال المغاربة.

وقد اختتمت أشغال هذه الدورة بالتوقيع في 23 أكتوبر 2001 على أربعة عشر اتفاقاً وبرنامج تنفيذي ومذكرة تفاهم بالإضافة للاتفاقية المتعلقة بإنشاء اللجنة المشتركة العليا التي كان قد وقع عليها بفاس بتاريخ 11 أبريل 2001، أما بقية الاتفاقيات والبرامج فهي كما يلي دون ترتيب :

ـ اتفاق إنشاء مجلس رجال الأعمال السوري ـ المغربي.

ـ اتفاقية حول تشجيع وحماية الاستثمارات وملحقها.

مذكرة تفاهم بشأن إقامةمنطقة تجارية حرة.

ـ اتفاق تعاون بين المركز المغربي لإنعاش الصادرات والمركز السوري للتجارة الخارجية.

ـ اتفاق تعاون في مجالات التشغيل والعمل والتنمية الاجتماعية.

ـ البرنامج التنفيذي لاتفاق التعاون السياحي.

ـ اتفاق للتعاون العلمي والفني في مجالات المواصفات والمقاييس ومراقبة الجودة ومنح شهادات المطابقة بين مصلحة المواصفات الصناعية المغربية وهيئة المواصفات والمقاييس العربية ـ السورية.

ـ مذكرة تفاهم للتعاون في مجال الصحة والعلوم الطبية.

ـ اتفاقية في مجال الصحة البيطرية.

ـ برنامج تعاون علمي وفني في المجال الزراعي.

ـ مذكرة تفاهم في مجالات النقل المختلفة بين وزارة النقل والملاحة التجارية المغربية وبين وزارة النقل في الجمهورية العربية السورية.

ـ اتفاق بين حكومة المملكة المغربية وحكومة الجمهورية العربية السورية بشأن الاعتراف المتبادل برخص السياقة.

ـ اتفاق التعاون في مجال حماية البيئة بين البلدين.

ـ اتفاق تعاون في مجال إعداد التراب والإنشاء والتعمير بين البلدين.

وقد عرفت المبادلات التجارية بين المغرب وسورية في السنوات الأخيرة نمواً ملحوظاً، حيث يستورد المغرب من سورية القطن وخيوط النسيج والتوابل والمواد المنجمية، فيما يصدر إليها مصبرات السمك والأسمدة والعطور... وستتعزز العلاقات أكثر بين البلدين الشقيقين بالزيارة التي قام بها جلالة الملك محمد السادس لسورية في شهر يونيه 2002 والتي تؤكد اتجاه نية البلدين إلى مرحلة جديدة من العلاقات تُقدَّم فيها المصالح الآنية المتبادلة على الاعتبارات الجيوسياسية التي حكمت السياسة الخارجية للبلدين والعلاقات بينهما خلال حقبة من الزمن. وينتظر أن تكون الترسانة الدبلوماسية والقانونية التي تمّ ويتم توقيعها وإقرارها من قبل المسؤولين في البلدين حافزاً مساعداً على تطوير العلاقات الأخوية القائمة بين المملكة المغربية والجمهورية العربية السورية من أجل الوصول بها إلى المستوى المطلوب.

عباس برادة السني

سوريكة (Souriga) مدينة قديمة حدد بطليموس موقعها على خط طول 8 وخط عرض 29 بين أس أوساديون ونخر أونة.

وهي تطابق حسب تيسو موقع قوبية الموجود على نهر تيدسي، على بعد سبعة أميال إلى الجنوب من رأس مسيح.

ويشكل وادي تيدسي ما يشبه واحة في هذا الساحل الجذب.

Ptolémée, *Géographie*, IV, 1, 2 ; Tissot, *Géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, p. 253.

عبد العزيز بل الفايدة

السُّوريّ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Suri أو Soriano نسبة إلى مدينة صوريا Soria شمال إسبانيا، منهم المهدي السوري بن محمد زاول خطة العدالة سنة 1171 (1758). وكان فريق منهم بتطوان عام 1284 / 67 ـ 1868 يقطنون حي "المطْمر" ويوجد منها بقية في بني زيات الغمارية إلى الآن، منهم الفقيه المقرئ محمد السوري.

م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط ؛ م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1407.

محمد ابن عزوز حكيم ومحمد بوخبزة

سوس، مصطلح جغرافي قديم في المغرب. وهو أيضا من المصطلحات التي مايزال مدلولها اللغوي غامضا، فجل الدراسات التي اهتمت بسوس، لم تشر إلى الجانب الطوبونيمي للمصطلح إلا بشكل عرضي، الشيء الذي يجعل البحث في هذا الباب تكتنفه صعوبات جمة.

وعندما نقوم بتتبع كلمة "سوس" في المكان، فإن أول ملاحظة يمكن الانتباه إليها هي تكرارها في مناطق عديدة خارج المغرب. حيث نجدها في كل من تونس (سوسة) والنيجر (أووس) وتشاد... كما نجدها في إيران. فقد ذكر البكري (ق. 11) أن "السوس بضم أوله وبسين مهملة أيضا في آخره، وهو مدينة الأهواز في قديم الدهر..." (البكري، معجم...، ص. 767) وهو أيضا "بلدة من بلاد خوزستان..." (الحموي، *معجم البلدان*...، ص. 280 / 282).

ويربط اللسانيون انتشار هذا المصطلح الجغرافي، باللغات الحامية / السامية Chamito-sémitiques، التي نقلتها شعوبها بين الشرق والغرب، تاركة بصماتها وآثارها على أسماء الأماكن الجغرافية التي مرت منها أو التي استقرت بها. وكلمة "سوس" التي يرجع جذرها اللساني (S.S) إلى الأصل الحامي/السامي تعني شيئا مسطحاً (J. Pérugia) أي الأرض السهلة التي تنعدم فيها التضرسات. وإن كلمة ssu تعني "سطح" plat. وهذا المدلول هو ما تطابقه الكلمة، في أغلب المناطق التي تطلق عليها. ففي جنوب فرنسا تم إحصاء كلمات عديدة من نفس عائلة "سوس" وهي ...sus, sousse, suse وكلها تطابق عموما سهلا قابلا أن يسقى، وهو ما تطابقه في المغرب، وتونس، والنيجر والتشاد. أما في الأهواز، فقد أشار البكري إلى أن "السوس [...] بالفارسية شوش أي جيد..." (معجم...، ص. 767). وأضاف ياقوت الحموي (ق. 12 ـ 13) أن "السوس تعريب الشوش [بالفارسية] بنقط الشين ومعناه الحسن والنزه والطيب، واللطيف" (معجم...، ص. 280 / 281).

ونجد أن المناطق السهلية الساحلية بالغرب والمعروفة بتامسنا، كان يطلق عليها "السوس" (*البيان*، ج. 1 : 6).

إن هذه االأوصاف (الجيد، الحسن، النزه، الطيب) التي قدمها لنا هؤلاء الجغرافيون القدامى، عن المكان الذي يطلق عليه "السوس"، ينطبق على الأراضي السهلية، والجيدة،

والخصبة، والطيبة. كما أن ما قدمته لنا الدراسة اللسنية يدل على أن هذه الكلمة، تأخذ مضمونا يطابق الأراضي السهلية. وبين لنا الرصد الجغرافي لكلمة "سوس" أن العنصر المشترك بين المناطق التي تطلق عليها هذه التسمية هو كونها مجالا سهليا. ولم نعثر من خلال جرد للمناطق التي تحمل اسم "السوس" على ما يدل على أنها غير سهلية وغير خصبة، وأن أغلب الجغرافيين يجمعون على أن تلك المناطق هي أراض جيدة، وخصبة.

يمكن أن نخلص الآن إلى القول بأن كلمة "سوس" ـ اعتمادا على هذه المعطيات السابقة، اللسنية، والجغرافية والتاريخية ـ تعني "السهل الجيد" كمصطلح جغرافي.

ومع ذلك، ليس في وسع الباحث، إلا أن يطمئن اطمئنانا أوليا لهذا الاستنتاج، إذ يتعذر علينا أن نحسم بشكل مطلق، في مثل هذه الدراسة التي تتطلب وسائل معرفية وعلمية أخرى، لم تكن دائما سهلة المنال.

وكلمة "سوس" من المصطلحات التي لها حمولة تاريخية عميقة، حيث واكبت التاريخ المغربي، منذ بدايته إلى الآن. وعرفت تحولات في المكان، من حيث الامتداد والانكماش الجغرافيين، وتغيرات من حيث الاسم، من السوس الأقصى إلى السوس الأدنى. هذه التحولات والتغيرات ميزت مصطلح "سوس" عن باقي المصطلحات الجغرافية المغربية الأخرى.

في الفترة القديمة، اهتم الجغرافيون القدامى بالسواحل المغربية منذ رحلة حانون. وتركوا لنا معلومات نادرة عن القبائل والمدن والأنهار المغربية في العهد القديم. ويعتبر Ptolémée (II°s ap. J.C) وPline L'ancien (23/79) من أشهر الجغرافيين القدامى الذين تركوا لنا بعض المعلومات عن المنطقة الجنوبية. فقد أشار بلين، إلى استقرار أوتولول Autololes في ساحل موكادور (الصويرة) أمام الجزر الأرجوانية (Iles purpuraires) . Carcopino (Le Maroc..., p. 259)، ثم في منطقة سوس بين روسادير Rusaddir (Agadir) وواد سوس [Quosemun] ثم دفعوا بعيداً إلى جوار السود (Aethiopas).

لم نعثر في هذه النصوص القديمة على أية إشارة واضحة إلى كلمة "سوس". لكننا نجد Pline قد أشار إلى نهر سوس الذي سماه (flumen-Quosemun). هل يمكن القول إن كلمة "قوسينوم Quosenum" هي فقط تحريف بسيط للكلمة المحلية سوس ؟ أم أن كلمة "سوس" هي التي انحرفت عن الأولى ؟

إننا إذا ألقينا نظرة، على أغلب أسماء الأنهار الأخرى المغربية، كما ذكرها بلين Pline، نجدها لا تبتعد كثيرا من الناحية الصوتية عن الأسماء التي تحملها حاليا. منها Molochath (ملوية) Lixus (لكوس) Sububus (سبو) Quosémus (تانسيفت) (Thouvenot, La côte...) وMasatat (ماسة) وDarat (درعة). كما أن أغلب أسماء المناطق التي توجد بها هذه الأنهار أخذت من أسماء أنهارها، مما يؤكد أن كلمة "سوس" بدورها قد تكون مشتقة من اسم النهر "Quosemun". وقد أشار مارمول (ق. 16) إلى ذلك بقوله : "اتخذ إقليم سوس اسمه من نهر هو أكبر أنهار بلاد البربر في جهة الغرب..." (مارمول، *إفريقيا*...، ص. 33). واعتمادا على مصادر العصر الوسيط، أشار ماسينيون Massignon إلى أن "...اسم سوس مشتق من اسم نهر سوس" (Massignon, *Le Maroc*..., p. 193).

وبخصوص قوسينوم "Quosemun" فإننا لم نجد في المصادر التي جاءت بعد الفترة القديمة، أية إشارة إلى هذه الكلمة، باستثناء ما انفرد به ياقوت الحموي (ق. 12) إذ يقول : "والسوس أيضا : بلد في المغرب كانت الروم تسميها قمونية..." (الحموي، معجم...، ص. 280 / 281).

هل لكلمة قوسينوم "Quosemun" علاقة مع كلمة "قمونية" الواردة عند ياقوت الحموي؟

إن ندرة المصادر في هذه النقطة، تجعلنا نتحفظ في تأكيد وجود علاقة ما بين الكلمتين. غير أنه من الممكن القول : إن الحموي اعتمد على معطيات معينة لتأكيد قوله. وإن الشيء المؤكد عندنا هو أن الحموي يعرف معرفة جيدة أن "للروم" علاقة بسوس وأن لهم اسما خاصا بهم لسوس وهو "قمونية". هذه المعطيات تسمح لنا بالقول بأن كلمة "قمونية" قد تكون تحريفاً لـ "Quosemun" الواردة عند بلين Pline.

في العصر الوسيط، نجد أن المصادر العربية تشير إلى كلمة سوس، بنوع من الإسهاب. فقد أشار ذ. عمر أفا إلى معظم المؤلفين العرب الذين تحدثوا عن سوس في العصر الوسيط (*مسألة*...، ص. 66). ونستنتج من ذلك أن أغلب نصوص أولئك المؤلفين حول سوس تتشابه وتتكرر. ونستنتج أيضا أن مصطلح "السوس" كان يشمل المغرب تقريباً، من وراء طنجة إلى درعة، ومن غرب سجلماسة إلى البحر، ومن تلمسان إلى سجلماسة. وهذا المجال الواسع لم تتفق حوله كل النصوص، ولكنه يشكل الحد الأقصى لسوس في النصوص الوسيطية. وتشير كذلك إلى السوس الأدنى والسوس الأقصى. فالسوس الأدنى يمتد من الشمال (خلف طنجة، وتامسنا...) إلى نواحي مراكش. أما السوس الأقصى فهو يمتد في ما وراء مراكش إلى مصب درعة. وتوصل أحد الباحثين إلى نفس الاستنتاج قائلا : "كان اسم السوس يطلق في العصور الوسطى على جميع البلاد التي تمتد جنوب مراكش بين المحيط ووادي درعة. والقسم الشمالي يسمى غالباً بالسوس الأدنى والآخر بالسوس الأقصى (شبانة، *الدولة الموحدية*...، م. البحث العلمي، ص. 144).

هذا هو امتداد سوس في العصر الوسيط كما تورده النصوص. وسيعرف تغييرات كبيرة في العصر الحديث.

وأما في العصر الحديث، فنجد أن النصوص تتجه نسبياً إلى تحديد أكثر دقة وأقرب إلى واقعه الحالي.

ففي بداية القرن التاسع (15 م) أصبح مصطلح سوس

ينطبق فقط على ما سمي في القرن الماضي بالسوس الأقصى. "ويبدو أن مصطلح السوس الأدنى - الذي كان يشمل شمال المغرب مع إدخال طنجة كعاصمة - قد عوض بمصطلح الغرب" (Meunié, *Le Maroc*, T. 1, p. 338). ولذلك فإن أغلب النصوص الحديثة، ستتحدث عن السوس الأقصى، وأن السوس الأدنى سيختفي مؤقتاً قبل أن يعود في القرنين السابع عشر والثامن عشر، ليشمل فقط القسم الشمالي لسوس بين واد سوس إلى واد والغاس. أما الحسن الوزان (ق. 16) فهو يحدد سوس فيما وراء جبل درن، ويقول : "ناحية سوس الواقعة وراء الأطلس إلى جهة الجنوب، المقابلة لبلاد حاحة أي في أقصى إفريقيا، تبتدئ غرباً من المحيط، وتنتهي جنوباً في رمال الصحراء وشمالاً في الأطلس عند حدود حاحة، وشرقاً عند نهر سوس الذي سميت به هذه الناحية" (الوزان، *وصف*...، 113).

وفي نفس الفترة كتب إبراهيم بن علي الحساني (ق. 16) *"ديوان قبائل سوس"*، حدد فيه ضمنياً حدود سوس الأقصى حسب القبائل التي أحصاها الديوان، وهي تمتد "من السفوح الجنوبية للأطلس الكبير إلى وادي درعة ومن رأس الواد إلى المحيط الأطلسي" (الحساني، ديوان...، ص. 11). وهو تحديد لا يختلف كثيراً عن التحديد الذي وضعه الحسن الوزان. ولاشك أن هذا التحديد هو الذي استمر طيلة القرنين السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر على الأقل، لدى الجغرافيين ولدى المخزن كذلك.

أما في القرن الثاني عشر (18 م)، فهنالك مصدر مهم، أشار إلى سوس بشكل وضح فيه حدوده وأقسامه : وهو رحلة الوافد لصاحبه عبد الله ابن إبراهيم التاسفتي (18/12)، فهو يقول : "وعدد ما في سوس الأقصى والأدنى والمغرب والفائجة إلى أرض الصحراء وبلاد الأندلس كله بل إفريقيا كلها من الفراسخ ثلاثة آلاف فرسخ طولاً على ما قاله صاحب الجغرافية. كما عد ذلك في الجزء السادس منها قائلا : "وبين بلاد نول من سوس إلى أرض جناوة مسيرة ثمانين يوماً (...) وعرض سوس من جبل درن في الشمال إلى مدينة نول في الجنوب ثمانون فرسخاً ومن الأيام ثمانية أيام..." (التاسفتي، *رحلة*...، ص. 165).

ومن خلال هذا النص، نجد أن حدود سوس تتخذ مجالا جديدا، تمتد فقط "من جبل درن في الشمال إلى مدينة نول في الجنوب" على أبواب الصحراء، فلم يشر التاسفتي إلى المجال الذي يحتله سوس في القرون السابقة في شمال وادي العبيد، مما يدل على أن مجاله قد تقلص ليقترب من مجال المنطقة الجنوبية التي يحتلها حالياً. ويقدم لنا هذا المؤلف نصا آخر يبين فيه حدود قسمي سوس : السوس الأقصى والسوس الأدنى فيقول : "...وبلاد سوس عندهم على قسمين : سوس الأقصى وسوس الأدنى، فالأقصى من بلاد ماسة قرب تارودانت، وهو على يمين القبلة من جبل درن إلى أن يتصل بأرض الصحراء، والأدنى من وادي العبيد قرب مراكش إلى ماسة" (*رحلة*...، ص. 195). ونلاحظ أن سوس الأقصى قد اتخذ حدوده النهائية في نهاية القرن الثاني عشر (18 م)، بينما مازال السوس الأدنى يشمل جزءا شمال جبل

جدول يبين التطور التاريخي لمصطلحي المغرب وسوس

المصطلح	العصر الوسيط	الفترة الحديثة	الفترة المعاصرة
المغرب	يشمل مصطلح المغرب أثناء الفتوحات الإسلامية رقعة جغرافية واسعة غرب الإسكندرية. بعد ذلك أخذ يطلق فقط على ما يشكل حاليا الجزائر والمغرب. - ياقوت الحموي (ق. 13) يطلق المصطلح على المناطق التي يعيش فوقها البربر وأحيانا المغرب الحالي. (ذ. ع. العروي، أصول، 57-59).	ق. 16 أصبح مصطلح المغرب يقتصر فقط على المغرب بعد تقسيمه إلى منطقتين : منطقة خاضعة للأتراك ومناطق خاضعة للدولة الشريفة. ويتكرر في النصوص مصطلحا: - المغرب الأدنى - المغرب الأقصى (نفس المصدر).	المغرب أصبح يطلق بوضوح على المغرب الحالي. وأن المغاربة يعرفون أنفسهم بـ"أرباب المغرب"، ويتكرر أحيانا المغرب الأقصى. ع. العروي، أصول، 57-59.
سوس	يشمل مصطلح سوس مناطق واسعة تكاد تقارب المغرب كله. أبوحيان التوحيدي يجعل سوس تمتد من طنجة إلى تلمسان وسجلماسة نحو الصحراء. وينقسم إلى سوس الأدنى وسوس الأقصى. هذه المعلومات يكررها الجغرافيون العرب طيلة هذه الفترة.	ق.16 أصبح سوس يشمل مناطق ما وراء جبل درن إلى الصحراء. وتكرر النصوص سوس الأدنى وسوس الأقصى. (الحسن الوزان، مصادر العصر الحديث) النصوص المخزنية تتحدث عن أهل سوس.	استقر مصطلح سوس. وأصبح يطلق على سوس الحالية. ويطلق سوس الأدنى في القسم الذي يمتد من واد سوس إلى واد ماسة، بينما يطلق سوس الأقصى من واد ماسة إلى واد نون والصحراء.

درن لكنه يمتد إلى وادي ماسة (والغاس) وهو الحد الذي اتخذه في نهاية القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر. وهو ما حدده المؤرخ السوسي المخضرم محمد الإكراري القرن الثالث عشر (19 ـ 20 م) بقوله : "سوس الأقصى من وادي أولغاس إلى الساقية الحمراء" (*روضة*...، ص. 61).

أما السوس الأدنى، فنجد أنه يتأرجح بين الجزء الشمالي لسوس مع جزء آخر شمال جبل درن، ويمكن تفسير ذلك بالتقسيم الإداري الذي نجده عند المخزن الإسماعيلي في النصف الثاني من القرن الحادي عشر والنصف الأول من القرن الثاني عشر (17 ـ 18 م). حيث نجد أن سوس أصبح ينضوي تحت إقليم مراكش الذي يشمل : دكالة، حاحا، اكلاوة، زانبي، وطاطا. هذا رغم أن الزياني يشير إلى إقليم سوس قائلا : "...وفي عام عشرة ومائة وألف (1110) (...) ولى [المولى إسماعيل] على إقليم السوس ولده محمد العالم..." (*البستان*...، ص. 41).

في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، أصبحت الوثائق الرسمية والنصوص تتحدث عن سوس وراء جبل درن، إلى أبواب الصحراء، بقسميه : الأدنى الذي يمتد من جبل درن ورأس الواد، إلى واد والغاس، والأقصى الذي يمتد من واد والغاس إلى الصحراء. ونجد هذا التمييز بين السوسين حتى في المراسلات المخزنية، الشيء الذي لم يكن معهوداً في ما قبل. ففي مراسلة المولى اليزيد المؤرخة في ديسمبر 1205 / 1790 يقول : "من عبد الله أمير المؤمنين محمد المهدي اليزيد الحسني كان الله له آمين سلطان فاس ومراكش وتافيلالت ودرعة وسوس الأقصى وسوس الأدنى وسائر مماليك المغرب..." (Arribas. *Cartas*, p. 122).

وعندما ستظهر إمارة تازروالت من جديد سنة 1810 سيتكرس هذا التقسيم، حيث سيكون السوس الأدنى قسماً تابعاً للمخزن، بينما سيكون السوس الأقصى تابعاً لسيدي هاشم. وسيستمر هذا التقسيم فيما بعد. ففي رسالة السلطان المولى عبد العزيز المؤرخة في 10 صفر 1321/ 8 ماي 1903 خاطب المخزن أعيان جنوب أولغاس بقواد سوس الأقصى. وفي وثيقة أخرى جاء : "وبعد فقد اتفق عمال سوس الأقصى كافة، عربها وعجمها، من حد وادي نول إلى وادي والغاس على...".

نخلص إلى القول إن مفهوم سوس قد انتقل من الدلالة على مجال واسع، يمتد في العصر الوسيط من طنجة شمالا إلى تامسنا إلى جبل درن. وفي الفترة الحديثة، يمتد إلى ما وراء جبل درن حتى الصحراء. ثم انقسم إلى قسمين : السوس الأدنى والسوس الأقصى، ليشمل في القرن الثامن عشر المجال الذي أشرنا إليه سابقاً، وهو المجال الذي تشمله هذه الدراسة التي نحن بصددها : سوس والمخزن في القرن الثامن عشر.

ولكن ما هي الأسباب التي جعلت مصطلح "سوس" يتخذ هذا البعد ويشمل القسم الأكبر من المغرب ؟ وما هي العوامل التي جعلته يتقلص ليشمل القسم الجنوبي من المغرب، ويتخذ صفة سوس الأقصى ؟

أليست هناك علاقة بين تطور مصطلح سوس وتطور مصطلح المغرب ؟

إن وضع تقابل بين التطور التاريخي للمصطلحين يعطي الانطباع بأن هناك تزامناً وتتابعاً في التطور. فتطور مصطلح المغرب ـ كما عرضه ذ. العروي ـ كان يشمل مناطق شاسعة من شمال إفريقيا، قبل أن يتقلص مجاله ليشمل المغرب فقط، ويتخذ صفة "الأقصى". وهو ما عرفه مصطلح سوس تقريباً.

ويبدو من خلال هذه المقارنة، أن المصطلحين عرفا نفس التطور التاريخي. فبقدر ما يتقلص المجال الذي يشمله مصطلح المغرب في شمال إفريقيا ليستقر مدلوله في القسم الغربي للمنطقة، بقدر ما يتراجع مصطلح سوس بدوره ليشمل المناطق الجنوبية نحو الصحراء.

إن هذا التلازم يعطي الانطباع بأن مصطلح سوس كان يطلق على المغرب في فترة زمنية محددة. لكننا لا نستطيع التأكد من ذلك من دون الاعتماد على علوم أخرى مساعدة كالحفريات واللسانيات المقارنة.

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس 1822-1906)*، الدار البيضاء، 1988 ؛ أ. البكري، *معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع*، الجزء الثالث، تح. مصطفى السقا، ط. 3، 1983 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، المجلد الثالث، بيروت، 1979 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، الجزء الأول، بيروت، ط. 2، 1980 ؛ مارمول، إفريقيا، تر. م. حجي وم. زنيبر، الجزء الأول، الرباط، 1984 ؛ شبانة عمر كمال، *الدولة الموحدية وتأملات في تاريخها*، مجلة *البحث العلمي*، عدد 20/21 السنة العاشرة، 1972/1973 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الجزء الأول، بيروت، ط. 2، 1983 ؛ الحساني إبراهيم، *ديوان قبائل سوس*، تح. ع. أفا، الدار البيضاء، 1989 ؛ ع. الله ابن إبراهيم التاسفتي، *رحلة الوافد، لحظات من تاريخ أدرار ن درن (أطلس مراكش) وسوس في القرن 12/18*، تح. علي صدقي أزايكو، الرباط، 1992 ؛ م. الإكراري، *روضة الإفنان*، تح. أنوش حمدي، د.د.ع، الرباط، 1989 ؛ أبو القاسم الزياني، *البستان الظريف*، مخطوط، خ. ع. د 1577.

Jean del Pérugia. *Noms de lieu d'origine berbère dans le sud-ouest de la France*, *H.T.*, vol. XVIII, fasc. unique, 1978-1979 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1943, 21. ; *La côte océanique du Maroc, ce qu'en ont connu les anciens*, Séance du 29 avril 1949, p. 8 *pub. services des antiquités du Maroc*, s. d. ;D.J. Meunié, *Le Maroc saharien des origines au XVI° siècle*, 1982, tome I ; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVI° siècle*, Alger, 1906 ; Arribas Palau Mariano, *Cartas arabes de Marruecos en el tiempo de Maulay Al Yazid (1790/1792)*, Tetuan, 1961.

محمد حنداين

سوس، منطقة بأقصى بلاد المغرب. ترد هذه الكلمة مُعرَّفةً (السوس) كلما تعلق الأمر باستعمالها بمعنى إقليم، في حين تسقط ال الشمسية عنها كلما تعلق الأمر بالحديث عن النهر الذي يخترق الإقليم، أي وادي سوس. ويغلب على الظن أن تاريخ استعمال لفظة سوس بدون تعريف للدلالة

على الإقليم يعود إلى القرن السابع (13 م)، كما في *المعجب* الذي يستعمل تسمية : سوس الأقصى، وأقصى سوس للدلالة على ما كان عند غيره بالسوس الأقصى (*المعجب*، 337 و483 و489) واستعملت هذه اللفظة بمعاني كثيرة في كتب الجغرافيا وكتب التاريخ. فقد سمى الزهري القسم الغربي من بلاد المغرب باسم السوس الغربي وقال إن من مدنه مدينة تاهرت (*الجغرافية*، 113) ولم يشر في تقسيمه لأقاليم بلاد المغرب إلى المغرب الأوسط، وقال إن بلاد المغرب ثلاثة أصقاع هي : صقع إفريقية وصقع المغرب الأقصى وصقع السوس الأقصى (*الجغرافية*، 117). واعتبر المقدسي السوس كورة بأقصى المغرب تارة ومدينة بأوله تارة أخرى (*أحسن التقاسيم*، 221) وهو ما ذهب إليه القلقشندي حين جعل موقع مدينة السوس حيث الطول 8° والعرض 26°، وقال إنها على طرف من البر داخل في البحر أربعين ميلا، ومن جانبها الشمالي نهر يأتي من المشرق من جبل لمطة (*صبح الأعشى*، 5 : 169 و170).

ميز الكثير من المؤرخين القدماء في السوس بين منطقتين هما : السوس الأدنى والسوس الأقصى، وخير من عبر عن ذلك ابن عذاري حين قال : "وإذا جزت سلا، وأخذت على ناحية الجنوب تركت مغرب الشمس يمنة، وأخذت منها قافلا إلى القبلة، فتسمى تلك البلاد بلاد تامسنا، ويقال لها أيضا بلاد السوس الأدنى، وحدها إلى جبل درن" (*البيان*، 1 : 5 و6). أما السوس الأقصى فيشمل كل ما يقع إلى الجنوب من جبل درن، ويتصل ببلاد الصحراء إلى بلاد السودان، ومنهم من كان يسمي السوس الأقصى ببلاد ماسة (*البيان*، 1 : 5 و6 و*أعمال الأعمال*، 1 و*فتح العرب للمغرب*، 4 و*مجتمع المغرب الأقصى*، 1 : 58).

يعود هذا التمييز بين السوس الأقصى والسوس الأدنى إلى فترة الفتوحات الإسلامية للمغرب الأقصى على الأقل، فقد ورد ذكر السوس الأقصى عند الرقيق القيرواني في معرض حديثه عن حملة حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع على المناطق الجنوبية للمغرب الأقصى. وسمى الرقيق القيرواني السوس الأقصى بالسويس الأقصى، وانفرد بذلك، وهو عنده مرادف لصحراء المغرب الأقصى التي هي صحراء الملثمين (*تاريخ إفريقية*، 72 وابن عبد الحليم، 17).

وعلى هذا فإن السوس الأقصى عند القدماء يشمل المناطق التي تقع إلى الجنوب من جبال درن، أي ما كان يعرف ببلاد القبلة بما فيها درعة وسجلماسة. قال الزهري : "وفي بلاد السوس من المدائن سجلماسة وتاقرسيت وهي الآن خراب وكانت حاضرة وادي درعة، وفيه مدينة تارودانت وتاشكة وأتفركان ونول" (*الجغرافية*، 117) وهذا ما أكده أيضا ابن سعيد الغرناطي (*تحفة الملوك*، 177 من خلال Fagnan, *Extrait*). وقال أبو الفدا إن السوس يطلق على ما وراء جبل درن من جهة الجنوب إلى الصحراء. ومن المناطق التابعة له لمطة وقاعدتها أنون وتارودانت وبلاد درعة، وهي بلاد جليلة قد تضاف إلى السوس وقد تضاف إلى سجلماسة (*تقويم البلدان*، 130). ومعنى ذلك أن سلجماسة ليست من السوس كما زعم كل من الزهري وابن سعيد الغرناطي في الرواية الواردة أعلاه.

كما يشمل السوس الأقصى الصحاري الواقعة إلى الجنوب منه في اتجاه بلاد السودان. قال ابن الفقيه إن بلاد أنبية، التي هي عنده صحراء لمتونة، من السوس الأقصى، وقال بأنها مسيرة سبعين ليلة في براري ومفاوز (*مختصر كتاب البلدان*، 64 و81) وعليه، فإن ما أصبح يعرف في العصور الحديثة ببلاد شنقيط هي من السوس الأقصى. وشنقيط في الأصل تطلق على مدينة من مدن أدرار، واقعة فوق جبل، في جهة غرب الصحراء الكبرى، ثم سمي به القطر كله، فصار من باب تسمية الشيء باسم بعضه (*الوسيط*، 422). وقد ناقش أحمد بن الأمين الشنقيطي في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) مسألة مغربية بلاد شنقيط وجزم بمغربية تلك البلاد وساق العديد من الحجج التي تثبت ذلك (*الوسيط*، 422 و424).

وذكر شارل دوفوكو أن لفظ سوس يطلق في شمال المغرب على المناطق الواقعة جنوب حوض واد سوس، في حين يطلق هذا اللفظ عند المحليين على المناطق الواقعة في حوض هذا الوادي (*Reconnaissance*, 124). وميز J. Meunié في هذا المجال بين ثلاثة نطاقات متباينة من الناحية الهدروغرافية والنباتية وهي النطاق الأطلنتيكي والنطاق الصحراوي لجبال الأطلس الصغير ثم نطاق جبال باني والسباسب المجاورة لها (*Greniers citadelles*, 15).

يُحد السوس الأقصى، حسب ما ورد في المصادر الجغرافية القديمة، بالبحر الأعظم في المغرب، وبالصحراء المتصلة ببلاد لمتونة التي تتصل ببلاد زناتة في المشرق وبجبل الذهب ببلاد السودان في الجنوب، وبالجبل الأعظم المسمى بجبل درن في الشمال (*الجغرافية*، 113 و117 و*تحفة الملوك*، 177 من خلال Fagnan, *Extraits* و*القرطاس*، 157).

ذكر المقدسي أن قصبة السوس هي طرفانة ومن مدنها أغمات ويلا وريكة تندلي ماسة وغيرهن (*أحسن التقاسيم*، 221). وذكر البكري من قواعد السوس المهمة مدن إيجلي وماست وتامدلت ونول لمطة (*المسالك والممالك*، 2/ ف 1425) وذكر ابن سعيد الغرناطي أن بالسوس من المدن تارودانت وهي قاعدته وتافريست وهي الآن خربة (*تحفة الملوك* من خلال Fagnan, *Extraits*, 18 - 19) كما أكد ابن سعيد المغربي أن قاعدة السوس في زمانه هي تارودانت (*الجغرافيا*، 124). وذكر ابن الوردي أن بالسوس الأقصى مدنا عظيمة أشهرها تارودانت (*خريدة العجائب*، 17 - 18). وقال ابن خلدون إن قصور الصحراء بالسوس من اختطاط زناتة تماما كما هي الحال مع قصور توات وقصور جودة (*العبر*، 6 : 78).

اشتهرت السوس بإنتاج كميات وفيرة من التمر في

العصر الوسيط. قال البكري : وهي كثيرة الفواكه، وربما بيع حمل التمر بها بثمن دون ثمن كراء الدابة من البستان إلى السوق (*المسالك والممالك*، 2 : 854 *والروض المعطار*، 71). وقال الزهري : والتمر أكثر فاكهتهم، ومن بلدهم كان يجلب إلى بلاد المغرب والأندلس وبلاد الروم (*الجغرافية*، 118 ـ 119) وقال الوزان إن تمر سوس غير جيد لأنه لا يحتفظ به طول السنة (*وصف إفريقيا*، 1 : 90).

كما اشتهرت السوس بإنتاج كميات وفيرة أيضا من قصب السكر، ومنها كان يحمل السكر إلى جميع بلاد المغرب في القرن الخامس (10 م) (*المسالك والممالك*، 2 : 853). قال البكري وقصب السكر أكثر شيء بها يحمل الرجل بربع درهم ما يؤذيه ثقله، ويعمل بها السكر كثيرا، وقنطار سكرها يباع بمثقالين وأقل (*المسالك والممالك*، 2 : 854 *والروض المعطار*، 71). وقال ابن الوردي إن قصب السكر الذي بالسوس ليس على وجه الأرض مثله طولا وغلظا وحلاوة، حتى قيل إن طول العود الواحد يزيد على عشرة أشبار في الغالب ودورد شبر وحلاوته لا يعادلها شيء، حتى قيل إن الرطل الواحد من سكره يحمل عشرة أرطال من الماء وحلاوته ظاهرة. ويحمل من بلاد السوس من السكر ما يعم جميع الأرض لو حمل إلى البلاد ويصل فاضله إلى أقصى خراسان (*خريدة العجائب*، 17 ـ 18 *والروض المعطار*، 329).

كما اختصت السوس بإنتاج زيت أرگان، لأنه لا يوجد هذا الزيت في معمور الأرض إلا بها، وهم يأكلونه ويسرجون منه، ويبيعونه بأغمات ومراكش، وبالسوس أيضا عسل يعرف بالمناني يجنيه النحل من نوار شجر أرگان وقد سمى المختار السوسي هذا العسل باسم الزمردي (*الجغرافية*، 118 ـ 119 وخلال *جزولة*، 164). وهي بلاد حنطة وشعير وأرز ممكن بأيسر قيمة، (*الروض المعطار*، 330).

واشتهرت بعض مناطق السوس بوفرة العنبر بها. قال الوزان ويوجد بماسة على شاطئ البحر العنبر الجيد يباع بأحسن الأثمان إلى التجار البرتغاليين والفاسيين لا يكاد يقل ثمن الأوقية منه عن مثقال (*وصف إفريقيا*، 1 : 90 ـ 93).

وبالسوس تصنع الدرق اللمطية التي تهدى إلى ملوك المغرب والأندلس، وهي من جلود حيوان اللمط الذي لا يوجد إلا في هذا الصقع (*الجغرافية*، 118 ـ 119). ويصنع بها الخز العتيق، ويعمل بها الأكسية الرقاق، ومن الثياب ما لا يقدر أحد على عمله، ولنسائهم حذق بصناعات أيديهن (*الروض المعطار*، 329). واشتهرت إيجلي بإنتاج النحاس المسبوك الذي كان يتجهز به التجار إلى بلاد الشرق وبلاد السودان (*المسالك والممالك*، 2 / ف 1426 *والروض المعطار*، 71 و330).

والغالب على أهلها الجفاء، وغلظ الطبع، وهم أخلاط من البرابر والمصامدة، وزيهم لباس أكسية الصوف التفافا، ولهم بشعرهم اهتمام يغسلونه بالحناء في كل جمعة مرتين برقيق البيض والطين الأندلسي، ويأكلون الجراد أكلا لما مقليا ومملوحا. وفي نسائهم جمال فائق، وحسن بارع (*الروض المعطار*، 329 و330).

ابن الفقيه الهمذاني، *مختصر كتاب البلدان*، ليدن، 1302 : المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، القاهرة، 1991 : البكري، *المسالك والممالك*، ج. 2، تح. أدريان فان لوفن وأندري فيري، تونس، 1992 : الرقيق القيرواني، *تاريخ إفريقية والمغرب*، تح. ع. الله العلي الزيدان وعز الدين عمرو موسى، بيروت، 1990 : الزهري، *كتاب الجغرافية*، تح. محمد حاج صادق، الإسكندرية، د. ت. : ابن عبد الحليم، *كتاب الأنساب*، تح. محمد يعلى، مدريد، 1996 : ابن سعيد المغربي، *كتاب الجغرافيا*، تح. إسماعيل العربي، بيروت، 1970 : المراكشي، *المعجب*، تقديم ممدوح حقي، الدار البيضاء، 1978 : ابن عذاري المراكشي، *البيان*، ج. 1، بيروت، 1983 : أبو الفدا، *تقويم البلدان*، نشر دوسلان، باريس، 1840 : ابن الوردي، *خريدة العجائب وفريدة الغرائب*، القاهرة، 1939 : القلقشندي، *صبح الأعشى*، ج. 5، القاهرة، د. ت. : الحميري، *الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1984 : ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1970 : ابن خلدون، *العبر*، ج. 7، بيروت، 1988 : الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1982 : الشنقيطي، *الوسيط*، القاهرة، 1958 : المختار السوسي، *خلال جزولة*، تطوان، د. ت. : حسين مؤنس، *فتح العرب للمغرب*، القاهرة، 1947 : هاشم القاسمي العلوي، *مجتمع المغرب الأقصى*، فضالة، 1995.

E. Fagnan, *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 1924 ; Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc 1883 - 1884*, Paris, 1888 : J. Meunié, *Greniers-citadelles au Maroc*, Paris, 1951.

حسن حافظي علوي

سوس ـ ماسة ـ درعة (جهة)، إن جهة سوس ـ ماسة ـ درعة بموقعها وسط المغرب، وبامتدادها بشكل مستعرض بين الساحل الأطلنتي والتخوم المغربية الجنوبية الشرقية، تشكل بالفعل مجالا انتقاليا تتداخل عنده خاصيات المغرب الصحراوي بمميزات المغرب المتوسطي طبيعيا وبشريا واقتصاديا.

1 ـ التنظيم الإداري

1 ـ 1 المكونات الإدارية

بناء على التقسيم الإداري الأخير الذي عرفته المملكة سنة 1997، أحدثت جهة سوس ـ ماسة ـ درعة لتشكل إحدى أهم الجهات التي تغطي التراب الوطني. تحدها من الشمال جهتا مراكش ـ تانسيفت ـ الحوز وتادلة ـ أزيلال، ومن الجنوب جهة گلميم ـ اسمارة، ومن الشرق جهة مكناس ـ تافيلالت، ومن الغرب المحيط الأطلنتي. تمتد هذه الجهة على مساحة 70.653 كلم2، أي حوالي 9.9٪ من مجموع مساحة التراب الوطني. وتتشكل من الأقاليم التالية :

- إقليم أگادير ـ إداوتنان يغطي 3.2٪ من مجموع مساحة الجهة ؛
- عمالة إنزكان ـ أيت ملول تشغل حوالي 0.4٪ من هذه المساحة ؛

- إقليم شتوكة ـ أيت باها يغطي 4,9٪ ؛
- إقليم تزنيت يمثل 9,8٪ ؛
- إقليم تارودانت ويمثل 22,4٪ ؛
- إقليم ورزازات يغطي 27,8٪ ؛
- إقليم زاگورة يغطي 31,4٪ ؛

1 ـ 2 التقسيم الإداري

مجموع هذه الأقاليم السبعة المكونة للجهة تتشكل من 20 دائرة، و212 جماعة قروية، و27 جماعة حضرية. وتتوزع هذه الدوائر والجماعات على النحو التالي :

الإقليم	عدد الدوائر	عدد الجماعات		المساحة (كلم2)
		القروية	الحضرية	
أكادير ـ إداوتنان	1	12	4	2.294
إنزكان ـ أيت ملول	1	3	3	296
شتوكة ـ أيت باها	3	20	2	3.446
تزنيت	5	40	4	6.936
تارودانت	5	82	7	15.802
ورزازات	3	32	5	19.664
زاكورة	2	23	2	22.215

2 ـ جهة سوس ـ ماسة ـ درعة : تضاريس معقدة ومؤهلات طبيعية متنوعة

2 ـ 1 البنية والتضاريس : بنية جيلوجية معقدة وتضاريس شديدة التغير

بنيويا ، يشكل ميدان الأطلس الصغير والميدان الأطلسي وما عرفه مجال اتصالهما من تطورات، العمود الفقري لجيلوجية وتضاريس جهة سوس ـ ماسة ـ درعة. وعليه فإن هذه الجهة تتركب من ثلاث وحدات تضاريسية كبرى متوازية هي الأطلس الصغير والأخدود الجنوب ـ أطلسي والسفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي والأوسط.

2.1 ـ 1 الأطلس الصغير : وحدة بنيوية قديمة

هذه الوحدة المرفبنوية هي عبارة عن تقبب كبير يمتد بين الساحل الأطلنتي وتافيلالت، تطور عند قدم الدرع الإفريقي القديم، تعود تكويناته الصخرية إلى ما قبل الگمبري والزمن الأول. ونظرا لاتساع مجال امتداد هذه الوحدة وقدمها ، فإنها تتميز بمظهر تضاريسي متنوع يجمع بين مظهر الكتل القديمة المشكلة من الأعراف والقمم الجبلية الحادة المتوافقة مع البروزات الصخرية البلورية والمتحولة، والمنخفضات المغلقة عند مختلف البهرات، وذلك إلى جانب العارضات الكوارتزيتية الطويلة والهضاب الكاربوناتية التي تقطعها الأودية العميقة. وإذا كان الأطلس الصغير يتميز بنوع من التكتل عند قسمه الغربي، فإنه يعرف عند القطاع الشرقي تقطعا كبيرا نتج عن تأثير واد درعة وروافده الذي يعتبر النظام النهري الوحيد الذي يستطيع اختراق وحدة الأطلس الصغير من الشمال إلى الجنوب.

وبالقياس إلى الاستقرار البنيوي الذي يميزه، وإلى قدم تضاريسه، فإن الأطلس الصغير يتميز بارتفاعات متواضعة يصل أقصاها إلى 3.304 م عند كتلة سيروة البركانية التي تجعله يتقدم شمالا نحو الأطلس الكبير، ويقطع بذلك استمرارية الأخدود الجنوب ـ أطلسي المتوافق مع سهلي سوس وورزازات.

2 ـ 1 ـ 2 الأخدود الجنوب ـ أطلسي

لقد تطور هذا الأخدود على شكل ممر طويل بفعل تهدل مهم لحق بالهامش الشمالي لوحدة الأطلس الصغير. وينقسم هذا الممر إلى منخفضين تفصل بينهما كتلة سيروة الشاهقة :

أ ـ منخفض سوس

يشكل منخفض سوس في الواقع وهدة واسعة عند الهامش الشمالي ـ الغربي للأطلس الصغير، تطور على شكل مثلث منفتح على المحيط الأطلنتي. عند قسمه الشمالي يتخذ مظهر سهل غريني منحصر بين قدمي الأطلسين الصغير والكبير ليشكل السهل المعروف بسهل سوس ـ ماسة، ويتحول في اتجاه الجنوب الغربي، أي جنوب واد ماسة، إلى هضبة حقيقية تعرف بهضبة تزنيت. وبسبب وضعه الطبوغرافي المنخفض فإن سهل سوس تمكن من تطوير غطاء ترابي غني، ومن استقطاب وخزن مياه المناطق الجبلية العليا الرطبة المحاذية له، الأمر الذي أهله لاحتضان قطاع زراعي مسقي كثيف.

وتسجل هذه الظروف الجيدة تدهورا واضحا في اتجاه الساحل بسبب سيادة التكوينات السطحية الرملية، وأيضا في اتجاه الجنوب بسبب تزايد حدة الجفاف وما يترتب عن ذلك من ندرة في الموارد المائية.

ب ـ منخفض ورزازات

بشكل متماثل مع منخفض سوس وشرق كتلة سيروة، تطور منخفض ورزازات المعروف أيضا بسهل الخلا، وذلك على شكل ممر ضيق منحصر بين سفحي الأطلس الصغير الشرقي والأطلس الكبير الأوسط. وقد استقبل هذا المنخفض طمرا سميكا من المواد الغرينية الثلاثية والرباعية، تعرضت للقطع على شكل قدات وعناصر هضبية متدرجة، وذلك تحت تأثير عمل روافد أودية درعة وواد دادس وتودغة وغريس المنحدرة عبر السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط.

2 ـ 1 ـ 3 الأطلس الكبير : وحدة جبلية شاهقة

تغطي أراضي جهة ـ سوس ـ ماسة درعة قسما هاما من وحدة الأطلس الكبير، يتوافق مع السفح الجنوبي لوحدتي الأطلس الكبير الغربي والأوسط.

يتشكل الأطلس الكبير الغربي من ركائز صخرية قديمة عبارة عن شست وحث وكوارتزيت من الزمن الأول، مع بروزات من الغرانيت وعناصر صخرية بلورية أخرى مرافقة. ويعتبر هذا القسم أعلى وحدات الأطلس الكبير بسبب حركة الرفع القوية التي تعرض لها عند هذا القطاع وجعلته يحتضن قمة توبقال الشهيرة الموجودة عند علو 4.165 م، وهي أعلى قمم إفريقيا الشمالية.

في اتجاه الغرب يتناقص الارتفاع تدريجيا وتختفي المواد الصخرية الأولية تحت غطاء رسوبي سميك من الزمن الثاني والثالث متنوع الطبقات، تعرض لحركات التوائية متنوعة، وعرف تعمقا قويا للشبكة المائية عند قطاع إداوتنان الذي يشرف على المحيط الأطلنتي بأجراف قوية السمك.

إلى الشرق من ممر تيزي ـ ن ـ تشكا يمتد الأطلس الكبير الأوسط، وهو عبارة عن تقبب كبير تغطيه طبقات كاربوناتية سميكة تنتمي للياس والجوراسي. ويتميز الأطلس الكبير الأوسط بتضاريس وعرة عبارة عن هضاب متقطعة وأعراف وقمم حادة، ويحافظ على ارتفاعات شاهقة يصل أقصاها إلى 4.071 م عند جبل مكون الذي يشكل الحد الشمالي لحوض درعة الأعلى.

وجدير بالذكر أن الأطلس الكبير يتصل عموما بميدان الأطلس بواسطة الحادث البنيوي الكبير المعروف باسم "الحادث الجنوب ـ أطلسي"، وهو عبارة عن عنصر بنائي يتخذ مظاهر متنوعة إما على شكل انكسارات أو انثناءات أو طيات... وهو حادث لايزال لم يحقق بعد استقراره البنائي مما يجعله يتميز بزلزالية نشيطة، يبقى من أشهر حركاتها حادثة زلزال أگادير الذي دمر هذه المدينة بشكل يكاد يكون تاما سنة 1960.

2.2 ظروف مناخية سريعة التغير وغطاء نباتي فريد

إن الامتداد الواسع لجهة سوس ـ ماسة ـ درعة وموقعها الوسطي والتنوع التضاريسي الذي يطبع تضاريسها، كلها عوامل تجعلها تتميز بمناخ شديد التغير يتدرج بين المناخ الجبلي الرطب المفرط في البرودة والمناخ الصحراوي الساخن المفرط في الجفاف.

فالأطلس الكبير يشكل شريطا رطبا يبلغ معدل ما يتلقاه من تساقطات مطرية 800 مم في السنة، ويتعدى هذا المعدل هذا الحد بكثير إلى حدود 1.200 مم عند المستويات الجبلية العليا عند كتلة توبقال وكتلة جبل مكون. أما عند الأطلس الصغير، وبسبب تواضع ارتفاعاته وموقعه الجنوبي البعيد عن ممرات اضطرابات النطاق المناخي المعتدل، فإن القطاعات الرطبة لا تشكل بداخله سوى مجالات منعزلة وضيقة حول جبل سيروة وجبل الكست.

في اتجاه الجنوب يمتد شريط شبه ـ جاف يتلقى 250 مم كمعدل مطري سنوي. ويعرف هذا الشريط امتدادا واسعا عند القطاع الغربي من جهة سوس ـ ماسة ـ درعة، إذ يغطي حوضي سوس وماسة وسلسلة أحواض إداوتنان وكتلة إفني. وفي اتجاه الشرق يعرف هذا الشريط تراجعا واضحا ليقتصر فقط على مرتفعات الأطلس الصغير الشرقي، وعلى شريط ضيق من السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط.

ما تبقى من أراضي جهة سوس ـ ماسة ـ درعة يشكل مجالا جافا لا يتعدى معدل التساقطات المطرية بداخله 100 مم في السنة. وفي نفس الوقت يتميز بحرارة مرتفعة تجعل معدل الحرارات العليا يتجاوز 36 ° بكثير. ويشغل هذا المجال قطاعات مهمة من منخفض ورزازات وحوض درعة الأوسط بإقليم زاگورة.

عند كل هذه المناطق يتميز نظام التساقطات المطرية بطابع متوسطي، فالنسبة العالية من الواردات المائية المطرية تنزل خلال فصل الشتاء البارد بينما يسود خلال فصل الصيف الساخن جفاف حاد. غير أن هذا لا يمنع من حدوث اضطرابات صيفية عنيفة ذات نشأة محلية أو ذات أصل

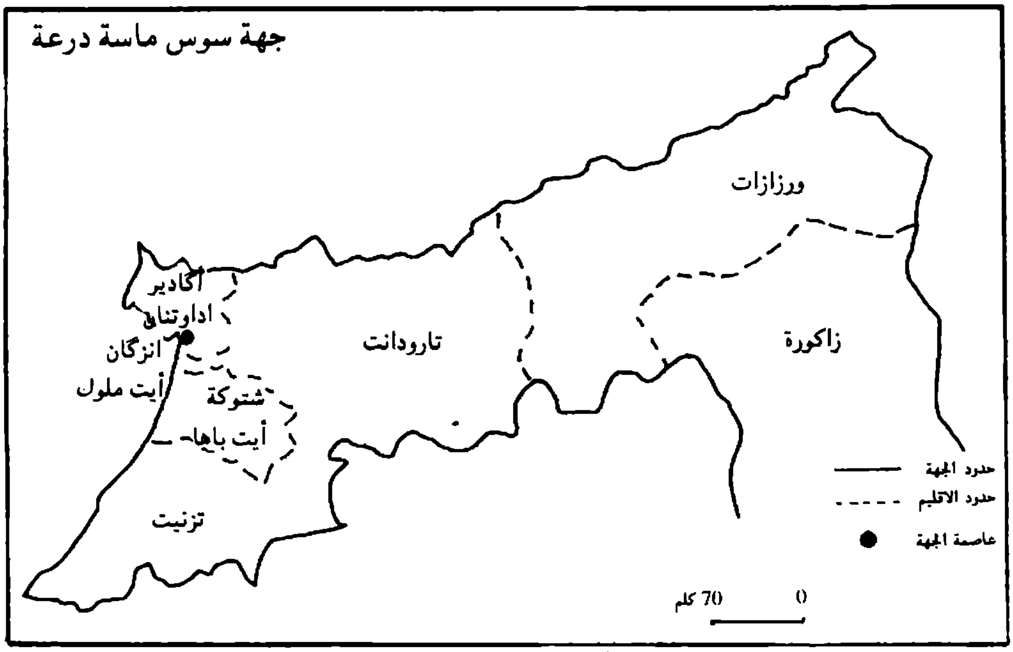

مداري تأتي بواردات مائية تختلف أهميتها حسب السنوات، وتتخذ أحيانا طابعا كارثيا.

نفس التدرج المناخي يتبعه تدرج نباتي، بحيث إن الشريط الرطب الممتد عبر سفوح الأطلس الكبير الغربي والأوسط تكسوه غابات كثيفة مشكلة أساسا من البلوط والعصفية (التويا)، وفي اتجاه الجنوب تنتشر تشكيلة البراري الواسعة الغنية بالنباتات الشوكية المتكيفة مع الجفاف الحاد والحرارة المفرطة.

وبين هذين التشكيلتين تظهر عند القسم الغربي من جهة سوس ـ ماسة ـ درعة تشكيلة أركان التي تمثل غابة فريدة من نوعها على الصعيد الوطني والدولي. وتعتبر شجرة أركان التي تكسو سفوح الأطلس الأطلنتي وتتوغل بعيدا داخل سهل سوس وتغطي مساحات هامة من الأطلس الصغير الغربي، نوعا نباتيا مداريا كان مجال انتشاره يغطي في السابق مساحة أوسع داخل التراب الوطني، لكنه تراجع حتى الحدود الحالية بسبب التغيرات المناخية التي عرفتها المنطقة خلال الزمن الرابع.

لقد تمكن السكان، عبر الزمن، من تطوير نظام عيش متكيف ومتوازن مع غابة أرگان الفريدة. لكن التحولات التي عرفتها المنطقة وعرفها باقي التراب الوطني خلال العقود الأخيرة، والمتمثلة في تزايد عدد السكان وفي تزايد الطلب بالتالي على الموارد الطبيعية، جعل الغابة تسجل تراجعا متواصلا، الأمر الذي دفع بالهيئات الوصية نحو تبني مسألة صيانة وتنمية الرصيد الغابوي في إطار برنامج "الإنسان والمحيط الحيوي" المعروف باسم (الماب) الذي تسهر على تنفيذه منظمة اليونسكو. وقد تم ذلك بالفعل بعد اعتراف هذه الهيئة الأممية بـ"محمية أركان للمحيط الحيوي"، والعمل جارٍ حاليا على تفعيل هذا المشروع بمشاركة السكان.

وفي نفس السياق، ومن أجل صيانة وحماية المجال الواحي من آثار التصحر، فإن مصالح وزارة الفلاحة والتنمية القروية منهمكة في إعداد دراسة معمقة في سبيل إدراج المجال الواحي ضمن شبكة محميات المحيط الحيوي السالفة الذكر.

2 ـ 3 الموارد المائية بين الندرة وعدم انتظام التوزيع

إن الشريط الجبلي المرتفع الذي يشكله الأطلس الكبير الغربي وجزء من الأطلس الصغير الغربي يعتبران المصدر الرئيسي للمياه داخل الجهة. وذلك بسبب الواردات المائية المطرية والثلجية التي تتمكن قممهما من استقطابها وتصريفها لتغذية الجريان السطحي وكذلك الجيوب المائية الجوفية المستقرة عند قدم هذا الشريط التضاريسي المرتفع.

2 ـ 3 ـ 1 المياه السطحية : أهمية الواردات وتركز الجريان

تهيكل أراضي جهة سوس ـ ماسة ـ درعة ثلاثة أحواض رئيسية هي سوس وماسة ودرعة، إضافة إلى حويضات قطاع إداوتنان وكتلة إفني. وما يميز هذه الأحواض هو كونها نافذة نحو البحر، وتعرف تفاوتات كبيرة من حيث مساحتها ومن حيث شكلها الهندسي، مما ينعكس على حجم وارداتها المائية، إضافة إلى كون أنظمة جريانها تنطبع بشكل تام على نظام التساقطات المطرية الذي يجعلها تتميز بتركز كبير. فالجريان يتم على شكل فيضانات عنيفة تقوم بصرف حمولة ضخمة في فترة قصيرة، لذلك فإن جل عمليات الإعداد المائي التي استفادت منها الجهة جاءت على شكل سدود كبرى خازنة شيدت على محاور الجريان الرئيسية قصد جمع وتركيم أكبر حجم ممكن من مياه الفيضانات وإطلاقها عند الحاجة.

إن جهة سوس ـ ماسة ـ درعة اليوم تتوفر على أربعة سدود كبرى تبلغ حقينتها الإجمالية حوالي 1,2 مليار متر مكعب، وتتوزع على النحو التالي :

ـ سد أحمد المنصور الذهبي، شيد منذ سنة 1972 على واد درعة بحقينة 454 مليون م3 لتنظيم سقي سلسلة الواحات الممتدة حول مجرى واد درعة الأوسط بين أكدز والمحاميد ؛

ـ سد يوسف بن تاشفين بدأ يشتغل خلال نفس السنة على واد ماسة لتغذية مشروع شتوكة الزراعي العصري، وضمان استمرار تزويد قطاع ماسة التقليدي، انطلاقا من حقينة تتجاوز 310 مليون م3 ؛

ـ سد عبد المومن الذي أصبح جاهزا للعمل منذ سنة 1981 لتحويل حوالي 216 مليون م3 من مياه واد إسن، أحد أهم روافد واد سوس المنحدرة عبر سفوح الأطلس الكبير، وذلك قصد سقي قطاع زراعي عصري مستحدث، وقصد إنقاذ قطاع الحمضيات عند سافلة سهل سوس الذي كان مهددا بالتراجع بفعل تزايد نضوب الفرشة المائية الجوفية المحلية ؛

ـ سد أولوز الذي أنجز سنة 1990 على واد سوس قبل خروجه إلى السهل، وجاء هذا السد بحقينة 110 مليون م3 للعمل على تغذية فرشة سهل سوس الجوفية ورفع مستوى سطحها الذي يعرف نزولا متواصلا فاق كل التصورات.

وبالإضافة إلى هذه المنشآت المائية الكبرى، فإن الجهة تتوفر على مجموعة من السدود الصغرى، وعلى شبكة ري واسعة تضمن تزويد الدوائر السقوية التقليدية والعصرية، كما أن هناك مجموعة من السدود المبرمجة على المدى القريب.

2 ـ 3 ـ 2 تمثل فرشة سهل سوس المكمن المائي الجوفي الرئيسي

نظرا لطبيعة بنية أراضي جهة سوس ـ ماسة ـ درعة التي تسود بها الركائز الصخرية غير النافذة، وبسبب خضوع مجالات واسعة من أراضيها لمناخ جاف، فإن فرص توفر الجيوب المائية الجوفية تبقى محدودة. وفي غياب فرشات عميقة ذات جودة كيميائية مقبولة، فإن الفرشات القريبة من السطح المرتبطة بالتكوينات السطحية الحديثة تبقى هي المصدر الأساسي للمياه العذبة، وهي فرشات تنتشر على مساحات محدودة على طول محاور الجريان الرئيسية أو عند المنخفضات الفرينية.

وتعتبر فرشة سهل سوس أشهر وأهم هذه الفرشات المعروفة جنوب الأطلس الكبير على الإطلاق. وهي عبارة عن سديمة حرة ومستمرة منفتحة على البحر، يلعب واد سوس وروافده دورا أساسيا في موازنتها نظرا لكونه يساهم في تغذيتها عن طريق حقنها بقسم من مياه الفيضانات. وتقدر مصالح هندسة المياه احتياطي هذه الفرشة بحوالي 40 مليار م3، لكن هذا الحجم لا يتجدد في الظروف المناخية الحالية إلا بشكل محدود.

إن فرشة سهل سوس دخلت خلال العقود الأخيرة في وضعية عجز لم تستطع الخروج منها بسبب توالي السنوات الجافة، وبسبب الضغط المتزايد الذي تتعرض له من أجل سد حاجيات مياه السقي والماء الشروب. وقد قدر متوسط العجز خلال الثلاث عقود الأخيرة بحوالي 260 مليون م3 في السنة.

لا توجد أية مكامن مائية جوفية خارج سهل سوس بنفس المواصفات، سواء من حيث الغزارة أو النوعية. فالجيوب المائية المتوفرة في الغالب هي عبارة عن جريان خفي للمجاري المائية أو عبارة عن فرشات سطحية محدودة الامتداد والمخزون. وعلى الرغم من ضعف مردودية هذه المكامن فإن لها دورا أساسيا في تزويد السكان بمياه الشرب، وفي توفير المياه اللازمة لنشاط تربية الماشية، وتمثل في بعض الأحيان مصدرا مائيا تكميليا لسقي القطاعات التقليدية المنتشرة على طول المجاري المائية المنحدرة عبر سفوح الأطلسين الكبير والصغير.

4.2 الموارد الطاقية والمعدنية

إن طبيعة بنية الجهة الجيلوجية التي تتميز بالاتصال بين ميدان الأطلس الصغير والميدان الأطلسي، لم تقدم إلى الآن أية مؤشرات واضحة حول إمكانيات توفر مكامن مهمة للمحروقات داخل الحوض الرسوبي الثنائي - الثلاثي الواسع والمستمر تحت المياه البحرية. غير أنه في غياب مصادر الطاقة الأحفورية فإن الجهة تتوفر على طيف معدني واسع اشتهرت باستغلاله منذ القديم.

إن الامتداد الواسع للقاعدة القديمة وغطاءها المتحول عند الأطلس الصغير والأطلس الكبير، يجعل الجهة تتوفر على طيف واسع من المعادن تجمع بين كل الفلزات المعروفة بالمغرب: الذهب والفضة والزنك والرصاص والمنغنيز والنحاس والكوبالت والحديد... إضافة إلى معادن كيميائية مثل البارتين والجبس والرخام بأصناف متعددة. ويختزن جوف أرض هذه الجهة عند حوض الأخدود الجنوب - أطلسي بسهل سوس وسهل ورزازات عروقا من الرمال الفوسفاطية، لكنها لا تقدم نفس ظروف الاستغلال المعروفة عند مثيلاتها بمناجم الهضاب الفوسفاطية بشمال البلاد ومناجم الساقية الحمراء بالجنوب.

3. النمو السكاني والتوسع الحضري

3.1 الوزن الديموغرافي لجهة سوس - ماسة - درعة

إن عدد السكان المستقرين حاليا بجهة سوس - ماسة - درعة يناهز ثلاثة ملايين نسمة، وهو ما يعادل حوالي 10.1٪ من مجموع سكان المغرب، بكثافة متوسطها حوالي 42 نسمة/ كلم2 وهي كثافة متساوية مع متوسط الكثافة الوطنية، كما أنها تمثل أعلى كثافة تسجلها المناطق الواقعة جنوب الأطلس الكبير. وتتميز هذه الجهة بدينامية ديموغرافية نشيطة على الصعيد الوطني جعلت حجم ساكنتها تنتقل من حوالي 1.2 مليون نسمة سنة 1960 إلى أكثر من 1.5 مليون نسمة سنة 1972، ثم إلى ما يناهز مليوني نسمة سنة 1982، وأصبحت تتجاوز 2.6 مليون نسمة حسب نتائج إحصاء 1994، أي بنسبة نمو سنوي لا يقل معدلها عن 2.4٪ ما بين 1960 و1994، وهي نفس النسبة المسجلة على الصعيد الوطني.

توزيع ونمو ساكنة جهة سوس - ماسة - درعة

إقليم / عمالة	عدد السكان 1982	عدد السكان 1994	النمو السنوي ٪	الكثافة ن/كلم2
أكادير - إداوتنان	227.638	365.965	4,04	159,7
أنزكان - أيت ملول	150.007	292.799	5,73	979,3
شتوكة - أيت باها	202.096	240.092	1,45	72,3
تزنيت	313.140	347.821	0,88	50,0
تارودانت	558.501	693.968	1,83	42,2
ورزازات - زاكورة	533.892	694.884	2,22	16,7
المجموع	1.985.274	2.635.529	2,39	37,2
الوسط الحضري	386.403	896.140	7,26	-
الوسط الريفي	1.598.871	1.739.389	0,70	-

مصدر المعطيات : مديرية الإحصاء، الرباط

يرتبط بالطبع هذا النمو الديموغرافي بالتزايد الطبيعي للسكان، لكنه يرجع في نسبة عالية منه إلى كون هذه الجهة أخذت تتحول من حوض مغذ للتيارات الهجرية الوطنية والدولية إلى قبلة لتوافد السكان من كل الجهات المغربية، خاصة في اتجاه مراكزه الحضرية التي يعرف توسعا مضطردا. وقد أدت هذه النزعة إلى توسع المدن القائمة وظهور مراكز حضرية جديدة، وجعلت نسبة التمدن تتوسع تدريجيا إلى أن أصبحت تتجاوز 34.1٪ سنة 1994، بعدما لم تكن تتجاوز 5٪ عند السنوات الأولى من الاستقلال.

أما السكان الريفيون فعلى الرغم من تباطئ وتيرة تزايدهم، فإن عددهم لا يقل اليوم عن 1.7 مليون نسمة، ويتركزون بشكل خاص بالمجالات السهلية حيث تتوفر مصادر المياه مثل سهل سوس، وداخل المجالات الواحية مثل حوض درعة الأوسط حيث تتجاوز الكثافة 100 نسمة /

كلم2. وتخف هذه الكثافة بشكل واضح داخل المناطق الجبلية العالية والمناطق الجافة حيث تشح وتختفي مصادر المياه كما هو الأمر في هضاب الأطلس الصغير.

3 . 2 أگادير الكبرى نحو المدينة المتربُول

إن الظاهرة الحضرية ليست غريبة عن جهة سوس ـ ماسة ـ درعة، ويعود ظهور المستوطنات البشرية الحضرية إلى العصور القديمة. غير أن التحولات الاقتصادية والاجتماعية العميقة التي عرفتها هذه الجهة أدت إلى تبلور جهاز حضري يتكون اليوم من 33 مدينة تحتضن قرابة مليون شخص، أي حوالي 7٪ من مجموع السكان الحضريين بالمغرب. ويتشكل هذا الجهاز من مدينة واحدة يتجاوز حجمها 100 ألف نسمة، و13 مدينة تتراوح ساكنتها بين 20 ألف و100 ألف نسمة، و19 مركزا حضريا يقل عدد سكانها عن 20 ألف نسمة. عند بداية الستينيات لم يكن عدد المراكز الحضرية يتجاوز 7 مراكز، وكانت كلها عبارة عن مراكز صغيرة لا يتعدى مجموع ساكنتها 62 ألف نسمة، ولا يمثلون إلا 1,8٪ من مجموع السكان الحضريين المغاربة.

وتتميز هذه المراكز الحضرية بنمو وتوزيع غير متكافئ، فالمدن القديمة مثل تارودانت وتزنيت تعرف نموا بطيئا على عكس المراكز الناشئة مثل ورزازات وأگادير التي تسجل دينامية سريعة جعلت جهة سوس ـ ماسة ـ درعة تعرف انفجارا حقيقيا للظاهرة الحضرية. وقد جعل هذا النمو مدينة أگادير والمراكز المحيطة بها تتطور نحو تجمع مدني متراص يأوي حاليا أكثر من نصف مليون نسمة حول مصب واد سوس، أي حوالي 20٪ من مجموع سكان الجهة، وأكثر من 56٪ من ساكنتها الحضرية. وإن هذا التجمع المدني مرشح للتوسع أكثر في المستقبل القريب بسبب قوة الجذب التي يتوفر عليها بالنسبة للاستثمارات الوطنية والأجنبية وما يتبع ذلك من تيارات هجرية.

4 ـ ركائز الاقتصاد الجهوي : الفلاحة، السياحة والصيد البحري

إن جهة سوس ـ ماسة ـ درعة بموقعها وتعدد مواردها الطبيعية والبشرية والثقافية، استطاعت أن تبني وتطور قاعدة اقتصادية ترتكز بالدرجة الأولى على الفلاحة والسياحة والصيد البحري، وعلى قطاعات أخرى متعددة منها ما يحتل مركزا جيدا على الصعيد الوطني مثل النشاط المعدني.

4 ـ 1 الاقتصاد الفلاحي

تمثل الأراضي الزراعية بجهة سوس ـ ماسة ـ درعة أكثر من 600 ألف هكتار، وهي حصة محدودة إذا ما قورنت مع مجموع مساحة هذه الجهة. غير أن الملفت للنظر هو أهمية حصة الأراضي السقوية التي تمثل حوالي ثلث هذه المساحة ممتدة على مساحة حوالي 180 ألف هكتار. باقي تراب الجهة تحتله مجالات غابوية بنسبة 15٪ ومجالات رعوية شاسعة.

توزيع استعمال التربة بجهة سوس ـ ماسة ـ درعة والمغرب

الاستعمالات	جهة سوس ـ ماسة ـ درعة		المغرب	
	هكتار	٪	هكتار	٪
الأراضي الزراعية	616.500	8,7	9.291.000	13,1
ـ البورية	431.500	6,1	8.411.000	11,8
ـ المسقية	185.000	2,6	880.000	1,2
أراضي الأحراش والغابات	1.092.940	15,5	8.969.600	12,6
الأراضي الرعوية والغير صالحة للزراعة	5.355.860	75,8	52.824.400	74,3
المجموع	7.065.300	100,0	71.085.000	100,0

مصدر المعطيات : ـ المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بسوس ـ ماسة وورزازات.
Annuaires statistiques du Maroc

4 ـ 1 ـ 1 الإنتاج الفلاحي

ارتباطا بظروف النشاط الفلاحي تقدم الجهة إنتاجا شديد التنوع يجمع بين مواد الفلاحة المعاشية التقليدية المسوقة محليا، ومواد الزراعة العصرية المسقية المضاربة الموجهة للتصدير بالدرجة الأولى.

تعتبر زراعة الحبوب النشاط الفلاحي الرئيسي الممارس داخل الجهة، ويقدر متوسط المساحة التي تغطيها هذه المزروعات بحوالي 260 ألف هكتار / سنة، يقدر متوسط إنتاجها بحوالي 2.4 مليون قنطار / سنة. يحتل الشعير حوالي 54٪ والقمح الطري حوالي 33٪ من مجموع المساحة المخصصة لزراعة الحبوب. والمساحة المتبقية يتم تخصيصها لأنواع أخرى مثل القمح الصلب والذرة لكن في إطار تقليدي وأحيانا عصري.

إن المنتجات الفلاحية ذات القيمة المضافة العالية هي التي يوفرها القطاع المسقي العصري على الخصوص والمتمثل في المحيطات السقوية العمومية المعتمدة على مياه السدود أو المياه الجوفية، وهي محيط شتوكة ومحيط إسن ومحيط عالية سهل سوس، وذلك إلى جانب القطاع المسقي الخاص الممتد بسهلي سوس وماسة وحوض درعة الأوسط.

وإذا ما تم الاعتماد فقط على المساحة التي تغطيها المزروعات داخل هذه المحيطات السقوية، فإن الأشجار المثمرة تأتي على رأس القائمة، فهي تغطي أكثر من 110 ألف هكتار، وتنتج حوالي 2,6 مليون طن من الغلال المتنوعة. وفي مقدمة هذه الغلال يوجد النخيل الذي يغطي أكثر من 35 ألف هكتار ويجعل بذلك جهة سوس ـ ماسة ـ درعة تحتل المكانة الأولى على الصعيد الوطني في هذا القطاع.

الحمضيات تتجاوز مساحتها 26 ألف هكتار، أي أكثر من ثلث المساحة المخصصة للحوامض على صعيد كل التراب الوطني. تتركز هذه الزراعة بسهل سوس، وتنتج في المتوسط أكثر من 630 ألف طن في السنة، يصدر منها ما يناهز النصف ويغذي الباقي السوق الوطنية والوحدات الصناعية المحلية.

باقي مساحة قطاع الأشجار المثمرة يحتله الزيتون واللوز والجوز إضافة إلى غلال أخرى آخذة في التوسع كالموز مثلا الذي أصبح يغطي حوالي 2.100 هكتار، أي أكثر من نصف مساحة زراعة الموز بالمغرب.

وتبقى زراعة البقليات البكرية هي أشهر قطاعات الزراعة المسقية العصرية بالجهة وأكثرها مردودية على الإطلاق، ومع أنها لا تغطي إلا 11 ألف هكتار لكنها تنتج حوالي 600 ألف طن / سنة، أي 3/4 الإنتاج الوطني، وتصدر حوالي 170 ألف طن / سنة، أي حوالي ثلثي مجموع الصادرات الوطنية من البواكير. وتعتبر الطماطم هي الإنتاج الرئيسي إذ أنها تغطي حوالي ربع المساحة المخصصة للبقليات بالجهة. أما البقليات الموسمية فإنها وإن كانت لا تغطي سوى 2٪ من المساحة المخصصة لها على الصعيد الوطني فإنها تساهم بحوالي 4٪ من الإنتاج، أي حوالي 145 ألف طن / سنة.

تحتل الزراعات العلفية في الواقع الدرجة الثانية من حيث المساحة بحيث تغطي أكثر من 25 ألف هكتار، وهي زراعة ترتكز بالدرجة الأولى على الفصة، وتزدهر على الخصوص داخل القطاعات السقوية التقليدية حيث تحتل تربية الماشية وإنتاج الحليب النصيب الأوفر من دخل الفلاحين.

4 . 1 . 2 تربية الماشية

إن شساعة المساحات الرعوية وتنوعها، وأهمية المساحات الغابوية وخاصة منها غابة أركان التي تخضع لنظام قانوني نوعي يضمن للسكان حق استغلالها بشكل مستمر، كلها عوامل تجعل من قطاع تربية الماشية نشاطا أساسيا داخل نظام الإنتاج الزراعي ولدى شريحة عريضة من سكان الأرياف بجهة سوس - ماسة - درعة. ويتخذ هذا النشاط أوجها مختلفة تجمع بين النمط المستقر ونمطي نصف - الترحال والترحال، وبين النمطين المغلال والمقلال.

يرتبط حجم القطيع بشكل وثيق بالتغيرات البيسنوية للتساقطات المطرية، وقد بلغ خلال موسم 97 - 1998 حوالي 2,5 مليون رأس، مثلت فيه الأغنام 47٪، والماعز 44٪، والأبقار 10٪، أما الإبل فإنها لا تمثل إلا نسبة محدودة وتتركز بإقليمي ورزازات وزاگورة. وجدير بالذكر أن الجهة تتوفر على أصناف خاصة من الأغنام مثل صنف سيروة المعروف بجودة صوفه، وصنف الدمان المعروف بإنتاجيته المرتفعة. كما أن الجهة، وخاصة مناطقها الشمالية - الغربية، تستقبل خلال فترة طويلة من السنة قطعان الرعاة الرحل القادمين من الجهات الصحراوية الجنوبية.

تساهم تربية الماشية في تغطية جزء هام من حاجيات المنتجات الحيوانية، فقد تجاوز على سبيل المثال، خلال نفس الموسم المذكور، حجم إنتاج اللحوم 14 ألف طن، وتعدى حجم الحليب المعالج داخل الوحدات الصناعية المحلية 47 مليون لتر.

وارتباطا مع المنتجات الحيوانية نذكر أن الجهة تتوفر على ما يقارب 0.16 مليون خلية للنحل، في ملكية حوالي 7 آلاف مستغل، تنتج أكثر من 660 طن من العسل. كما تتوفر على عدد من وحدات تربية الدواجن التي تنتج حوالي 5.700 طن من اللحوم، وأكثر من 42 ألف بيضة في السنة.

4 - 2 الصيد البحري

إن طبيعة سواحل جهة سوس - ماسة - درعة وانفتاحها على أهم المصايد البحرية الأطلنتية المغربية أو قربها منها، جعلت الصيد والنشاط البحري بشكل عام أحد الدعائم الرئيسية في اقتصاد هذه الجهة. وقد سمح لها توفرها على مركب ميناني كبير بأگادير بأن تلعب دورا رياديا في هذا المجال على الصعيد الوطني، وسيتعزز هذا الدور أكثر حينما يتم الانتهاء من أشغال وضع التجهيزات الساحلية المبرمجة مثل ميناء إفني وميناء إمسوان، وأيضا توسيع قاعدة وحدات معالجة وتحويل المنتجات البحرية.

يتشكل أسطول الصيد حاليا من أكثر من 3 آلاف وحدة، وتغلب عليه قطع الصيد الساحلي التي تمثل أكثر من 90٪ من مجموع الوحدات، لكنه لا يمثل إلا 3.5٪ من السعة الإجمالية للأسطول. ترسو غالبية هذه الوحدات بميناء أگادير، ولا ينال منها ميناء سيدي إفني إلا حظا ضئيلا لا يتجاوز 10٪. أما قطع الصيد في أعالي البحار فهي في حدود 267 وحدة، تبلغ سعتها الإجمالية أكثر من 95 ألف برميل، وتتشكل في غالبيتها من سفن الجر المتخصصة في صيد الرخويات التي تمثل 83٪ من مجموع الوحدات و87٪ من السعة الإجمالية.

تجاوز حجم الكميات المصطادة بواسطة أسطول الصيد الساحلي 78 ألف طن سنة 1997، وهو ما مثل آنذاك حوالي 12٪ من الحجم المصطاد على الصعيد الوطني، وحوالي 27٪ من مجموع مداخيل الصيد البحري الوطنية. نصف حجم ناتج الصيد البحري تتم معالجته داخل وحدات التصبير المحلية، وحوالي 40٪ تتم تحويلها إلى مواد صناعية، والباقي يوجه للاستهلاك المباشر. أما حجم صيد أسطول أعالي البحار فإنه قد بلغ سنة 1996 حوالي 69 ألف طن، وجلب حوالي 300 مليون دولار من المداخيل المالية.

ويبقى قطاع الصيد البحري من القطاعات الاقتصادية الواعدة داخل الجهة، وذلك بسبب ما يتوفر عليه من موارد، وبسبب تزايد المواد البحرية الحية في الاقتصاد العالمي، وبسبب ما يتميز به من انعكاسات اجتماعية على مستوى خلق فرص التشغيل المباشر وغير المباشر، وأيضا بما له من قدرة على إثارة وتنشيط القطاعات الأخرى مثل الصناعة والتجارة.

4 - 3 النشاط السياحي

إن جهة سوس - ماسة - درعة بمؤهلاتها السياحية الجذابة، استطاعت في وقت وجيز أن تستقطب حجما مهما من الاستثمارات الوطنية والأجنبية، وتيارا سياحيا دوليا كثيفا،

مما أهلها لتحتل المكانة الأولى على الصعيد الوطني في هذا المضمار سواء من حيث عدد الأسرة أو من حيث عدد الليالي السياحية المسجلة، وبالتالي من حيث المداخيل المالية.

فالموقع الجنوبي المشمس، والمناظر الطبيعية الخلابة المتنوعة، والسواحل الطويلة حيث تتواتر الشواطئ الرملية الواسعة الامتداد والأجراف الصخرية السميكة، والانفتاح الواسع على المشاهد الصحراوية الفسيحة، والموروث الثقافي المتنوع والغني... كلها عوامل ومؤهلات جعلت الدولة تهتم بهذه الجهة منذ أن قررت الاعتماد على السياحة الدولية كوسيلة للتنمية عند بداية الستينيات، وخاصة بمحطة أگادير التي كانت قد عانت حينئذ من زلزال مدمر.

إلى حدود سنة 1997 بلغت الطاقة الإيوائية السياحية الممثلة في الفنادق المصنفة 27.640 سريرا، وهو ما يمثل حوالي ثلث الطاقة الإيوائية الوطنية المصنفة. هذه الأسرّة تتوزع على 117 وحدة فندقية، أي بحجم معدله 236 سرير بالنسبة لكل وحدة سياحية. وفي ذلك دلالة على نوع المنتوج السياحي الذي تخصصت فيه الجهة وهو سياحة إقامة المجموعات الكبرى عند الشاطئ. لذاك فإن 77٪ من الطاقة الإيوائية تم تركيزها بمدينة أگادير، والباقي ينتشر داخل المجال الواسع للجهة مع نوع من التركز الذي يطبع حوض درعة الذي استطاع أن يجذب إليه 19٪ من مجموعة الأسرة المصنفة المتوفرة بالجهة، وخاصة محطة مدينة ورزازات التي أصبحت تشكل قطبا سياحيا واعدا في نمو متواصل عند هوامش محطتي أگادير ومراكش.

تمشيا مع خصوصيات سياحة الإقامة، فإن بنية الطاقة الإيوائية تتميز بسيادة الفنادق الكلاسيكية التي توفر 56٪ من مجموع الأسرة، 21٪ منها من فئة فنادق الدرجات الدنيا والمتوسطة من صنف 1 و2 و3 نجوم، و36٪ تقدمها فنادق الدرجات العليا من صنف 4 و5 نجوم. وتأتي في الدرجة الثانية القرى السياحية بنسبة 29٪ من مجموع الأسرّة، ثم الإقامات السياحية التي تقدم حوالي 14٪ من الأسرة المصنفة المتوفرة بالجهة.

وقد استطاعت الجهة خلال نفس السنة، تسجيل أكثر من 4 ملايين من الليالي السياحية، وهو ما مثل 37٪ من مجموع الليالي السياحية المسجلة على الصعيد الوطني. وبالطبع فإن 87٪ من هذه الليالي سجلت بمحطة أگادير الشاطئية مما يجعل منها المحطة الأولى داخل البلاد. وعلى رأس الجنسيات الوافدة يوجد الفرنسيون متبوعين بالألمان، وفي ذلك تأكيد على أن الجهة تعتمد على السوق الأوربية في المقام الأول.

وعلى غرار الأنشطة الاقتصادية الأخرى، فإن جهة سوس - ماسة - درعة لاتزال لم تتمكن من استثمار كل إمكانياتها السياحية، ومن الممكن أن يزدهر هذا القطاع أكثر في حالة تنويع المنتوج المقدم وتطويره نحو البعد الثقافي والبيئي، وفي حالة الانفتاح على أسواق سياحية أخرى بالإضافة إلى السوق الأوربية التقليدية.

4.4 استغلال الطاقة والمعادن

في غياب أية مؤشرات إيجابية تتعلق بوجود مكامن للمحروقات، فإن المعادن الفلزية تبقى هي القاعدة الأساسية داخل هذا القطاع. وقد جعلت طبيعة البنية الجيلوجية جهة سوس - ماسة - درعة تتمتع بأغنى طيف معدني داخل المغرب، عمل السكان على استغلاله منذ القديم، إلى درجة أن صدى خبرة سكان الجهة في ميدان استخراج وسباكة المعادن تردد في مصادر حقب تاريخية متعددة.

حاليا يتم استغلال معادن متنوعة من المناجم المتوفرة بالجهة، وخاصة بإقليمي ورزازات وزاگورة، من أهم المعادن المستغلة هناك النحاس والحديد والمنغنيز والكوبالت والبارتين والرصاص والفضة... غير أن هذا النشاط المعدني يعاني من عدم الانتظام بسبب التغيرات المفاجئة التي تطرأ على أثمنة بيع المعادن الخام على صعيد الأسواق العالمية.

إن جهة سوس - ماسة - درعة بموقعها الانتقالي بين المغرب الصحراوي والمغرب المتوسطي، تمثل مجالا غنيا بموارده المتنوعة، لكنه يمثل في نفس الوقت مجالا طبيعيا هشا يتعرض لضغوطات متزايدة تحت تأثير التزايد الديموغرافي وتضخم الظاهرة الحضرية، وكل ما يتولد عن ذلك من متطلبات تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية. واليوم فإن النمو المتوازن للجهة لن يحصل دون التوصل إلى الصيغ التنموية القادرة على حل مشاكل تراجع الموارد الطبيعية المحلية مثل المياه والغابات بسبب استمرار تزايد حجم الطلب عليها، وبسبب استفحال مظاهر التصحر والتلوث، وأيضا البحث عن السبل الكفيلة بتقليص التفاوتات الاجتماعية والاختلالات المجالية في ميدان سياسة إعداد التراب الوطني.

ح. المحداد، *الماء بحوض سوس : إسهام في دراسة نظام مائي مغربي جنوب أطلسي*، أطروحة دكتوراه الدولة مرقونة في كلية الآداب، الرباط، 1999، 740 ص. ؛ ولاية أگادير، *منوغرافية جهة سوس - ماسة - درعة*، 1999.

E. El Mahdad et L/ Ouhajou, *Le patrimoine hydrique face aux dangers de l'explosion urbaine dans les milieux arides et semi-arides. Cas du Maroc sud-atlasique.* Colloque International des Chaires maghrébines UNESCO-GAS NATURAL. "*Le Développement durable du Maghreb, l'ouverture sur la Méditerranée et la valorisation du patrimoine écologique, humain et culturel*". Rabat, 27-29 avril 2000 ; J. Ouhajou, *Espace hydraulique et société au Maroc, les systèmes d'irrigation dans la vallée du Dra*. Agadir, 1996 ; M. El Mountasser, *Collectivités traditionnelles et espaces montagnards dans les zones d'arrière-pays atlasiques méridionaux : Cas de la communauté Aït Seddrate-Dadès*. Thèse de Doctorat en Géographie. Aix-Marseille II ; Ministère de l'Habitat et de l'Aménagement du Territoire, *Atlas des ressources naturelles*. Rabat, 1984 ; Direction des Statistiques, *Résultats des différents recensements de la population et de l'habitat*, Rabat : *Annuaire statistique du Maroc 1999*, Rabat, 2000.

الحسن المحداد

سوسان، أسرة فاسية - بإشباع فتحة السين الثانية وبدون ابن - تتكون من عدة فرق : فرقة تنتسب إلى الشرف،

وهم أبناء أعمام اليعقوبيين أولاد خبيزة المعروفين بفاس، وفرقة من تلمسان انتقلوا إلى فاس وقف مؤلف *إزالة الالتباس* على ذكرهم في وثيقة في رق غزال مؤرخة بعام 1041. ونزل بعضهم بمدينة زرهون. ووقف في رسم مؤرخ بعام 1092 على اسم سوسان الهروسي ؛ وفي آخر مؤرخ بعام 1199 على مسعود بن علي سوسان الأندلسي. قال : و"الآن لا يمكن أن يفرق بينهم".

سوسان، علي الفاسي. كان كبير سكان عدوة الأندلس أيام الفتن التي أعقبت وفاة أحمد المنصور الذهبي، وفي خضم الحرب الأهلية الطويلة التي عرفتها فاس بين أبناء المنصور وحفدته قُتل علي سوسان غدراً بحومة جرنيز عام 1037 / 27 - 1628.

م. القادري، *نشر المثاني* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 189.

محمد حجي

السوسن أو **السوسان**، زهر يسمى علمياً إيريسْ Iris، جنس نباتي ينتمي إلى فصيلة السوسنيات Iridaceae ويشمل أكثر من عشرين نوعا طبيعيا بالمغرب وبعض الأنواع الدخيلة وكل الأنواع أعشاب معمرة بجذورها البصلية الشكل أو الجذمورية.

ومن أهم الأنواع تلك التي تستعمل للزينة أو في التطبيب التقليدي.

- السوسن الطنجاوي أو إيريسْ تينجيطانا Iris tingitana : عشب أجرد وذو لون أخضر ضارب إلى الزرقة. يتراوح طول ساقه ما بين 50 و100 سم. ازهراره طرفي. أوراقه ملساء، مستطيلة يتراوح طولها ما بين 30 و70 سم. أزهاره زرقاء بنفسجية ضاربة إلى اللون الأرجواني.

يوجد هذا النوع في الجنوب الغربي من المنطقة المتوسطية. خاصة في شمال المغرب أي في الريف والغرب والأطلس المتوسط والأطلس الكبير.

يعيش هذا النوع على أتربة طينية على العموم، وفي بيومناخات شبه رطبة ورطبة.

من أهم استعمالاته نذكر استخدامه كنبات زينة في الحدائق أو في التطبيب التقليدي أو في صناعة مواد التجميل بواسطة أبصال الجذور بعد تجفيفها.

- سوسن الماء أو إيريسْ بسوداكوروس Iris pseudacorus: عشب أخضر اللون أجرد جذوره جذمورية لحمية وجد متشعبة. سيقانه قائمة وملساء، ذات طول يتراوح ما بين 50 و130 سم، متفرعة في أجزائها العلوية. أوراقه طويلة وذات طول يتراوح ما بين 50 و100 سم. أزهاره ذات لون أصفر فاقع، تظهر ما بين مارس وأبريل.

يصادف هذا النوع في أوروبا وشمال إفريقيا وآسيا الغربية، حيث يعيش في المستنقعات لكن بصفة نادرة. ويستعمل لنفس الأغراض المذكورة بالنسبة للنوع السابق.

- السوسن الجرماني أو إيريسْ جرمانيكا Iris germanica : عشب أخضر ضارب إلى الزرقة أجرد يبلغ ساقه ما بين 60 و80 سم. أوراقه سيفية الشكل. أزهاره بنفسجية اللون أو ضارية إلى البياض.

يعتقد أن الموطن الأصلي لهذا النوع هو الجزء الشرقي من المنطقة المتوسطية ومنها أدخل في مناطق شاسعة من المنطقة الأوروبية وشمال إفريقيا. وذلك كنبات زينة ونبات طبي وعطري. وهكذا ولهذا الغرض اشتهرت مدرجات الأطلس الكبير المغربي بزراعته كنبات عطري وطبي. كما يصدف في الحدائق المغربية كنبات زينة.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997 ; R. Maire, *Flore de l'Afrique du Nord*, Paris, 1952.

زينب بنرحمون

السوسي، أحد بحور القصيدة في شعر الملحون. وتخضع فيه أقسام القصيدة من وجهة النظم لشق محدد تتسلسل فقراته وفق الآتي :

1 - استهلال القسم ببيت مثنى تتحد قافيته مع روي الأقسام السابقة في القصيدة.

2 - يتلو ذلك مجموعة من المطلعات (انكراسا)، وهي عبارة عن اشطار أقرب إلى النثر المرسل، لا يوحدها وزن ولا قافية، وإنما يتحكم في إيقاعها الإنشاد.

3 - يتلو ذلك بيتان أو ثلاثة أبيات موزونة ومقفاة.

ومن أمثلة بحر "السوسي" القسم الأول من قصيدة الزمْنية والعصرية لحسن اليعقوبي :

1) البيت الأول :

يالحضرا سمعوا ما صار   بين زوج ابنات افلكحار

2) المطيلعات :

شابا عصري بكرا * والأخرى زمْنيا عذرا * فرجوني بين الحضرا * وكنت حاضر * نصغي لخصامهم

نسمع العصريا * اتْقول للزْمينا * يا جارتي اهنيا

سمعي مني اخبار ...

3) بيتان

ع. الجراري، *القصيدة*، ص. 144، مجلة *الفنون*، س 5، رمضان، 1398، غشت، 1978، ص. 33 ـ 34، المغرب ؛ ع. العزيز ابن ع. الجليل، مجلة *التراث الشعبي*، ع 10، س 11، ص. 115 ـ 1980، بغداد.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

السوسي، احْمَاد بن إبراهيم، مقاوم ولد سنة 1357/ 1938 بمدينة فاس والتحق بصفوف المقاومة السرية، وعمل ضمن الخلية التي كانت تحت مسؤولية الحبيب بن العربي بدرب أولاد البقال بفاس الجديد.

ومن أهم الأعمال الفدائية التي نفذها :

توزيع المناشير، ورسائل التهديد... وحث الجماهير على المظاهرات في كل المناسبات وتخريب مصالح المعمرين الفرنسيين والاضرار بها، وكان وطنيا مخلصا استشهد سنة 1373 / 1954 في مظاهرة بمدينة فاس.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 526.086.

السوسي، أحمد بن إبراهيم، مقاوم وُلد بأولاد عيسى قيادة برحيل، بإقليم تارودانت وتلقى التعليم الديني في تلك الناحية ثم هاجر إلى الدار البيضاء سنة 1353 / 1934 واستقر بالمدينة القديمة حيث امتهن الخياطة. انخرط في كتلة العمل الوطني، وقد بثّه حزب الاستقلال في حي عمال "كوسيمار" (Cosumar) سنة 1945 معلماً لأبنائهم، فقام بدور وطني لهم في حشد همم العمال على الخصوص إلى غاية أواخر 1952، إذ تعرض للاعتقال إثر الإضراب العام الذي دُعي إليه احتجاجاً على اغتيال النقابي التونسي فرحات حشاد يوم 5 دجنبر 1952 من قبل أفراد تنظيم "اليد الحمراء" الإرهابي. اقتيد إلى السجن المدني بالدار البيضاء (اغبيلة) ثم إلى سجن القنيطرة. أطلق سراحه أواخر عام 1954.

توفي سنة 1420 / 2000.

شهادة من حسن ثابت الحداوي ابن أخت صاحب الترجمة ؛ م. وحيد، *مساهمة في دراسة الحركة الوطنية، مقاومة الدار البيضاء، 1952 ـ 1956*، أطروحة دكتوراه، مرقونة بكلية الآداب، الرباط، 2001.

محمد وحيد

السوسي، أحمد بن علي المراكشي أصله من قبيلة مداس المصمودية. من بيت فضل وورع. ولد بمراكش في سنة 1050 / 40 ـ 1641. وبذلك تكون حياته قد امتدت طيلة سبع وسبعين سنة، شكلت فترة مهمة من بداية الدولة العلوية. لاتسعفنا المصادر المتوفرة، لمعرفة مراحل حياته الأولى غير جده لأمه، قد حج معه وهو صبي (*الإعلام*، 2 : 363) وبعد أن رجع إلى مراكش مات جده فانقطع عن طلب العلم ومال إلى التصوف فاتصل أول الأمر بالشيخ أبي القاسم بن اللوشة السفياني الإدريسي بفاس. ومكث بصحبته مدة ثم انفصل عنه واتصل بأحد نساك هذه المدينة، وطلب منه إرشاده إلى شيخ يشد بيده ويقوده إلى مبتغاه. فنصحه بالعودة إلى أبي القاسم. فقبل نصيحته، ورجع إليه. وتمكنت صحبة هذا الشيخ منه. فصار من أقرب الناس إليه. أخذ عنه الكثير في ميدان العلم والصلاح. وأصبح من أخلص خدام زاويته ثم رحل إلى الشرق صحبة على بن عزوز، أحد كبار تلامذة شيخه اللوشي فجاور مدة في الديار المقدسة. وأتاحت له الإقامة بها الاتصال بالعديد من علمائها، وصلحائها، وفي طريق عودته إلى المغرب، أقام بمصر مدة وأخذ عن صلحائها، ثم انتقل إلى تونس صحبة علي بن عزوز، الذي ظهر بها بعد ذلك، كشيخ صوفي، له سمعة واسعة بين أهلها "فشاعت بركاته وكثر زائروه" فصار السوسي من تلامذته. وبعد أن قضى مدة من التلمذة والتحصيل، أذن له علي بن عزوز بالعودة إلى مراكش والتصدر للمشيخة فيها. فجاءها سنة عام 1080 / 69 ـ 1670.

"كان ـ رحمه الله ـ عالي الهمة على بصيرة من أمره، متعففاً غير مكترث بولاة الأمر ولا مداهن لهم ولا يغشى أبوابهم، وطالما حاولوا منه ذلك فلم يحصلوا منه على طائل، ورزق من الفهم في طريق التصوف والخبرة بكلام القوم ما لم يكن لغيره، فتجده يغوص على دقائق الإشارات ويهتدي لأسرار كلام الأولياء بحيث تجد عند مجالسته سائر الكلام واضحاً جارياً على القانون" (*الإعلام*، 2 : 364).

وما كاد يستقر بمسقط رأسه حتى اشتهر بجودة الفهم، وبلاغة التعبير. وأصبح مشهوداً له برسوخ قدمه في العلم، وينظر إليه بعين التعظيم والإكبار، خاصة عند طلابه وتلامذته الذين كانوا يترددون على دروسه. (الإفراني، *درر الحجال*، 59) ولما تيقن من كثرة أتباعه كوّن زاوية صارت من أكبر الزوايا بهذه المدينة تتلمذ عليه فيها، علماء وشيوخ ومنهم المؤرخ محمد بن الصغير الإفراني.

توفي بمراكش سنة 1130 / 1717 ـ 1718 وضريحه بهذه المدينة كثير الزوار ويقع بدرب يحمل اسمه، قرب ضريح الشيخ الجزولي.

م. الإفراني، صفوة، ط. حجرية، *درر الحجال في مناقب سبعة رجال*، تح. حسن جلاب، مراكش، 2000، ص. 59 ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، الرباط، 86 (صفحات 11 ـ 46 ـ 55) ؛ م. الموقت، *السعادة الأبدية*، ع. ط. حجرية، 1335 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974، ج 2، ص. 364 ـ 365 ـ 366 ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، ج 3، البيضاء، 1985، ص. 551.

عبد السلام السعيدي

السوسي، أحمد بن موسى بن العربي الرسموكي أصلا الروداني إقامة، من علماء سوس الكبار، تولى نيابة القضاء بتارودانت. فقد تخرج بكل من داود الرسموكي الشاعر، ثم انتقل إلى فاس، وأخذ عن بعض علمائها. وفي

أواخر عمره تولى خطة العدالة بتارودانت بعد أن كان نائب القاضي مدة. له مجموعة شعرية ورد بعضها في *المعسول*، 18 : 23 وما بعدها.

كان المترجم محافظا على خزانة أبيه القيمة الضخمة إلى أن توفي فبددها أبناؤه إذ باعوها للسماسرة - على ما قيل لي - بثمن بخس، لا يساوي ثمن مخطوط واحد فيها. فضاع بذلك تراث ضخم لا يقدر عدده ولا قيمته.

م. المختار السوسي، *المعسول : خلال جزولة*، 4 : 174 ؛ اليزيد الراضي، شعر *داود الرسموكي*، ص. 250، جمعية إليغ، 1992

أحمد أبو القاسم

السوسي البهاوي، أحمد بن الحسين خطّاط ماهر، ولد سنة 1346 / 1928 بقرية "الملاليّين" بأحواز تطوان. وبهذه القرية استقر والده بعد أن هاجر في شبابه من مسقط رأسه الكائن بأيت باها أو ملال بقبيلة هشتوكة السوسية .. درس أحمد في طفولته بكتّاب القرية، ثم انتقل إلى مدينة تطوان حيث تابع دراسته الابتدائية والثانوية بمعهد مولاي المهدي. وعمل في بداية حياته العملية موظفاً بأحد مكاتب المشور الخليفي، ثم عمل عدة سنوات بإدارة الأشغال العمومية بتطوان. واتجه بعد تقاعده النسبي إلى أعمال حرة.

ظهرت موهبة أحمد السوسي في فن الخط العربي منذ أواخر الأربعينيات، ولم يتلق قواعد الخط وأصوله على أحد، وإنما اعتمد - هو وشقيقه محمد - على مجهودات ذاتية تتمثل أساساً في التقليد ومحاكاة نماذج خطية لكبار الخطاطين في المشرق والمغرب.

شارك أحمد في مسابقة للخط العربي والزخرفة نظمتها نيابة التربية والثقافة بتطوان سنة 1949. وهو الذي رشّح لكتابة "المصحف الحسني" من لدن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فكتبه بخط مغربي مبسوط رائع سنة 1967. وكتب مصحفاً ثانياً بخط النسخ تولت طبعه دار النشر بالدار البيضاء. وفاز بالجائزة الأولى في مسابقة للخط المغربي والتزويق نظمتها وزارة الشؤون الثقافية بالرباط سنة 1969. كما كان أحد الفائزين في المسابقة الدولية الثانية التي نظمتها بإستانبول خلال سنة 1989 اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري الإسلامي، وهي تعمل كأحد الأجهزة التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي.. وكان هذا الخطاط يجيد بالإضافة إلى الخط المغربي جل أنواع الخطوط العربية المعروفة. ومن ثم فقد خلف - علاوة على المصحفين المذكورين - أعمالاً خطية منوعة كثيرة (عناوين كتب، لوحات فنية، شهادات، كتابات ببعض المساجد والأضرحة، بطاقات دعوة، عناوين مؤسسات ومحلات تجارية، الخ).

توفي بتطوان إثر سكتة قلبية يوم 23 صفر عام 1421 / 27 ماي 2000، ودُفن بمسقط رأسه قرية الملاليين.

معرفة شخصية ووثائق عائلية.

محمد السوسي البهاوي

السوسي، سليمان مقاوم من مواليد سنة 1345 / 1927 بأيت باعمران أقا تيزنيت كان من المنخرطين الأوائل في صفوف المقاومة وجيش التحرير منذ سنة 1954 في المنطقة الجنوبية بأيت باعمران حيث خاض معارك عديدة ضد المستعمر الفرنسي والإسباني مدافعا عن أرض الوطن. كما أنه كان عضواً في صفوف المقاومة بالدار البيضاء حيث ساهم في عدة عمليات فدائية وعمل على توزيع الأسلحة بين المجاهدين، وعلى إثر نشاطه هذا تم اعتقاله لمدة بمدينة الداخلة من طرف السلطات الإسبانية ورغم ذلك ظل مقاوما إلى أن أحرز المغرب على استقلاله وتم استرجاع باقي الأجزاء المغتصبة.

توفي يوم 2 شوال عام 1415 / 4 مارس 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 006 522.

السوسي، علي بن محمد السملالي الفاسي، من ذرية محمد التزكورتي من بني بعقيل بسوس، فقيه نوازلي نحوي مؤرخ وشاعر. درس بسوس والصويرة ومراكش ثم بفاس. وكان من أبرز شيوخه في العاصمة الإدريسية الفقيه النوازلي علي التسولي ومحمد الحراق. كلفه السلطان عبد الرحمان بن هشام بتدريس الحساب لبعض العساكر المتخصصين في المدفعية بمدينة تطوان، وعيّنه خلفه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان معلما للعلوم بالقصر الكبير، وتولى مهمة كاتب ومستشار ضمن البعثة التي ترأسها مولاي عرفة، وقد عهد إليها السلطان مولاي الحسن بمراقبة الحدود الشرقية سنة 1301 / 1884 والقيام بدور الوساطة لدى القبائل الحدودية وتحديداً الخنافسة من أهل توات، الذين أبلغوا بالرسالة السلطانية وأجابوا بالطاعة والامتثال.

نتج عن هذه المهمة أن ألف المترجم كتاب *منتهى النقول ومشتهى العقول* عرّف فيه بالقصور من فگيگ إلى توات، والطريق من هذه الأخيرة إلى تنبكتُ. وتضمن التأليف إفادات عن التنظيمات الإدارية في فگيگ معرفًا بالوضع الاقتصادي للمغرب الشرقي معالجا مدى ارتباط السكان بالمخزن وصمودهم في وجه المد الفرنسي، كما احتوى على استطرادات في مواضيع مختلفة مثل حديثه عن علماء وأشراف فاس. وقد نقل المؤلف جزءاً من هذه الرحلة وضمّنه كتابه اللاحق *نهاية المقول في تنبيه همم الفحول*.

أوعز باشا فاس عبد الله بن أحمد إلى السوسي الفاسي بالإجابة عن استشارة السلطان مولاي الحسن بخصوص الحكم الشرعي لتوظيف المعونة لإقامة جيش حديث، وكان جل العلماء قد تهربوا من الإجابة عن الاستشارة المذكورة ماعدا محمد بن عبد الوهاب ابن سودة. وألف السوسي السملالي،

استجابة لطلب الباشا، كتاب *عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة*، الذي يحمل عنوانا آخر هو *قمع أهل الرعونة في اطلاق المكس على المعونة*، نقل فيه فقرات مطولة عن شيخه التسولي للاستشهاد بها في تبرير سياسة المخزن الحسني بشأن فرض جباية إضافية على الرعية، وتشدد في موقفه، إلى حدّ أنه رأى ضرورة ضرب أعناق العلماء الذين يظهرون المعارضة لما عزم السلطان على تنفيذه "وقال أن للإمام أن يسوسهم بما تقتضيه سياسته في التوظيف حتى في إزالة دماغ من فسد مزاجه، ولم تنفع فيه المداواة" (*عناية*، 65).

إن عدداً من مؤلفات السوسي الفاسي تهم عهد السلطان مولاي الحسن جزئيا أو كليا، منها *نهاية القول في تنبيه همم الفحول*، وهذا المؤلف شرح لقصيدة من البحر الكامل نظمها السملالي في سيرة السلطان المذكور، وضمّن هذا الشرح استطرادات كثيرة، وقد فرغ منه سنة 1302 / 1885، ومنها *مطلع السعادة في فلك سياسة الرآسة*، تناول فيه سياسة السلطان المذكور كذلك ضمن معالجته لقواعد السياسة السلطانية بشكل عام، ومنها *مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولاي الحسن*، تضمن أخبار السلطان واستطرادات كثيرة، منها تفاصيل رحلة المؤلف إلى الأطلس المتوسط سنة 1305 / 1885. ومنها قصيدة من البحر الطويل من 265 بيتا عن حركة مولاي الحسن إلى سوس عام 1299 / 1981، وأخرى في مدح الرسول "صلعم"؛ وشرح *لألفية ابن مالك*، *وتقاييد وطرر* في مسائل نحوية وفقهية ومقامات.

توفي بفاس منتصف ليلة 19 جمادى الثانية سنة 1311/ 28 دجنبر 1893.

ع. السوسي الفاسي نفسه، *عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة*، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 480 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة*، طبعة حجرية، فاس، 1316، ج 3 ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، ج 9 ؛ ع. الله الجراري، *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن 20* (من 1900 إلى 1972)، الرباط، ط 1، 1985 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن 19 (اينولتان 1851 ـ 1912)*، ط 2، الرباط، 1983 ؛ أ. العماري، *نظرية التحديث والمواجهة عند علي السوسي السملالي*، ضمن أعمال ندوة، *الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن 19*، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1986 ؛ أ. المكاوي، *مسألة الإصلاح عند المفكرين المغاربة في النصف الثاني من القرن 19* (من خلال بعض النماذج)، د. د. ع، كلية الأداب، فاس، 1988.

A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830/1912*, Paris, 1978.

أحمد المكاوي

السوسي، محمد بن **أحمد** الزاهد المعروف بالمغربي، من أقدم الزهاد المغاربة الذين احتفلت المصادر المشرقية بذكرهم، وقد ذكره السلمي في الطبقة الثانية من الصوفية، طبقة أبي القاسم الجنيد البغدادي (ت. 297).

انتقل من المغرب إلى إفريقية واستوطن القيروان مدة، ثم غادرها في رحلة إلى المشرق، فأخذ عن علي بن رزين (ت. 225) من أصحاب الحسن البصري. وصار من أعلام التصوف المرموقين فأخذ عنه من شيوخ التصوف بالمشرق إبراهيم الخواص (ت. 291)، وإبراهيم بن شيبان العراقي الذي لازمه 30 سنة.

بلغ السوسي درجة متقدمة من الزهد، فاعتبرته الأدبيات الصوفية من الأوتاد، "وكان متجرداً من الدين... دائم الأسفار على التجريد والتوكل" (*معالم*)، ويكتفي بأكل العشب.

كان تصوفه سنيا، وقد نقل عنه تلاميذه أقوالا كثيرة في التصوف تترجم الدرجة العالية التي بلغها فيه علما وسلوكا، منها تعريفه للزهد بقوله : "الزهد تجريد القلوب ونزوع النفس بالانصراف سراً وجهراً"، ومنها قوله : "أفضل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات". ومنها أيضاً : "يحتاج الفقير إذا سافر إلى أربعة أشياء : علم يحرسه، ووجد يحمله، وورع يسوسه، وذكر يؤنسه". وكان يقول الشعر أيضاً، ومن شعره :

يا من يعدّ الوصال ذنبا ... كيف اعتذاري ولي ذنوب
إن كان ذنبي إليك حبي ... فإنني منه لا أتوب

توفي سنة 299 / 912 بجبل طور سيناء بعد أن عمر حوالي 120 سنة، ودفن بجوار قبر شيخه ابن رزين.

ع. الرحمن الدباغ، (ت. 696)، *معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان*، ج 2، تح. محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضور، تونس، د. ت، ص. 285 ـ 287 ؛ السلمي أبو عبد الرحمن (ت. 412)، *طبقات الصوفية*، تح. نور الدين شريبة، القاهرة، ط 3، 1418 / 1997، ص. 242 ـ 245 ؛ أبو بكر المالكي (ت. 464)، *رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية*، تح. بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي، بيروت، 1983، ج 1، ص. 196 ـ 197 ؛ عمر ابن الملقن (ت. 804)، *طبقات الأولياء*، تح. نور الدين شريبة، القاهرة، ط 1، 1393 / 1973، ص. 402 ـ 403.

محمد المغراوي

السوسي، محمد بن **عبد الله** أحد كبار شيوخ التصوف في القرن الحادي عشر (17 م)، أصله من تمليت الواقعة في المجرى الأسفل لواد تمنارت أحد روافد نهر درعة ببلاد سوس الأقصى. ألف فيه وفي أتباعه أحمد بن يعقوب الولالي *مباحث الأنوار، في أخبار بعض الأخيار*. تربى المترجم في وسط أسرة غلب عليها طابع العلم والزهد والورع. وقد حرص والده عبد الله بن يعقوب على تعليمه قصد ظهوره بالعلم، لكنه تخلى عنه عندما رآه مجتذبا إلى ناحية أخرى (*مباحث الأنوار*، 4). حلاه مترجموه بصفة الخمول وكثرة التستر. أما طريقته فسماها "الطريقة العمرية" نسبة إلى عمر بن الخطاب وعن أصل هذه الطريقة ذكر صاحب الترجمة أن الكتاب يأمره وينهاه والسنة تربيه. لذلك كان تارة يلازم قراءة القرآن الكريم، وتارة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يسمع منه غيرهما. وترد عليه الواردات.

عُرف محمد بن عبد الله السوسي بمحبته الشديدة في آل البيت ولما اشتهر أمره بمراكش، وُشي به إلى السعديين فأوقفوه عن نشاطه الصوفي ثم توجه إلي البقاع المقدسة للمجاورة فيها، ومر في طريقه بالزاوية الدلائية فأقام عند سلطانها محمد الحاج الدلائي عشرة أيام (*الزاوية الدلائية*، 135). كما دخل الصومعة من تادلا ورحب به أهلها والفقيه محمد بن عبد الرحمان الصومعي التادلي وعظموه وأخذ طائفة منهم عنه.

أخذ عن صاحب الترجمة أحمد بن سعيد الكنسوسي المراكشي، والشيخ يحيى الهشتوكي، ومحمد ابن سعيد الميرغشي - مؤلف *المقنع* - والشيخ علي العكاري الذي طلب منه تيسير العلم والعمل. وكان يدعو لمريديه بالأوصاف الواردة في الآيات "قـــد أفلح المومنون" إلى "الذين يرثون الفردوس".

توفي محمد بن عبد الله السوسي بمكة عام 1079 / 1668.

أ. ابن يعقوب الولالي، *مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار*، تح. ع. العزيز بوعصاب، رسالة د. د. ع. مرقونة، كلية الآداب، بالرباط، 1407/1984؛ أ. بن عاشر الحافي، *فهرس*، تح. م. السعديين، رسالة د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، 1991، ص. 222.221؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، 135.

محمد السعديين

السوسي، محمد المختار بن علي الإلغي. ولد في قرية "دّوكادير" في بسيط "إلْغْ" صبيحة أحد أيام صفر سنة 1317 / يونيو سنة 1900 من والده الشيخ علي بن أحمد ابن محمد، ومن والدته السيدة رقية بنت محمد بن العربي الأدوزي، وهذه الأم هي التي علمت ابنها محمد المختار وجميع إخوته القراءة والكتابة وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، ثم حفظ القرآن بعد تنقله في عدة كتاتيب قرآنية لمدة سبع سنوات.

بعد وفاة الشيخ علي الدرقاوي أصبح محمد المختار تحت كفالة أخيه الأكبر محمد الخليفة الذي كان يتولى مشيخة الزاوية ورئاسة الأسرة، ورعاية أمه وزوج أخته سعيد التناني.

هذه الرعاية كانت بمثابة زاد معنوي أمده بالتشجيع الكافي لمتابعة الدراسة في عدد من المدارس العتيقة بسوس. وفي تعليمه الابتدائي تنقل بين عدد من هذه المدارس وتلقى العلوم لدى عدد من أساتذتها، ومنها :

- المدرسة الإلغية في قريته سنة 1911 عند الفقيه الولوقتي التزنيتي لمدة سنة.
- مدرسة إيغشّان في سنتي 1912 - 1913 عند عبد الله الإلغي لمدة سنتين.
- مدرسة بونعمان، الواقعة جنوب تزنيت بحوالي 20 كلمترا لمدة سنة 1914.
- مدرسة تانكرت بإفران الأطلس الصغير لدى العلامة المشهور الطاهر الإفراني إلى سنة 1918. وفي هذه المدارس تلقى مبادىء العلوم الشرعية واللغوية، ثم التحق بمدرسة السعيدات شرق مراكش بحوالي ثمانين كيلومترا لمدة سنة كاملة.

وفي محرم - صفر عام 1338 / أكتوبر من سنة 1919 التحق بجامعة ابن يوسف، وقضى فيها خمس سنوات من الدراسة، وقد وصف قدومه لأول مرة لمدينة مراكش بقوله : "في عشية يوم أقبل هذا الفتى راكبا على "فرس أحمر" يتطلع من بعيد إلى صومعة الكتبية العالية، ويقارن ما إذا كانت مراكش أكبر من الصويرة التي زارها منذ أيام". وقد سكن إذ ذاك في مدرسة ابن يوسف، فانصرف إلى القراءة، وأخذ عن ثلة من العلماء أمثال : ابن عمر السرغيني، وبوشعيب البهلول، والحسن السرغيني، وعمر الجراري، وأحمد العلمي، واليزيد الروداني.

كما تميزت هذه المرحلة أيضا بتأثره بدروس الشيخ أبي شعيب الدكالي، فكان ذلك فتحا جديدا في حياة المختار السوسي، يقول : "في سنة 1342 / 1925 طلع علينا السعد بطلوع الشيخ أبي شعيب الدكالي، فكان ذلك في حياتي إجافة (إغلاقا) لباب وفتحا لباب آخر" (*الإلغيات*، 2 : 225).

والباب الجديد الذي فتحه الشيخ أبو شعيب الدكالي في حياة المختار السوسي هو باب الفكر السلفي بعد أن كان المختار السوسي غارقا في التصوف الطرقي. فها هو يعيش تجربة الصراع بين القديم والحديث بين الطرقية التي كان غارقا فيها ومنسوبا إليها وبين رياح التغيير السلفي الإصلاحي.

تحت طائلة هذا الإحساس قرر محمد المختار الرحيل إلى جامعة القرويين، وبقي بها أربع سنوات بين 1925 و1928. وفي فاس اتضحت غلبة الفكر السلفي في شخصيته، نظرا لكون فاس تعتبر في هذه الفترة من بين المدن التي تركز فيها التفكير في فجر المغرب الجديد، وبعث النهضة الحديثة،

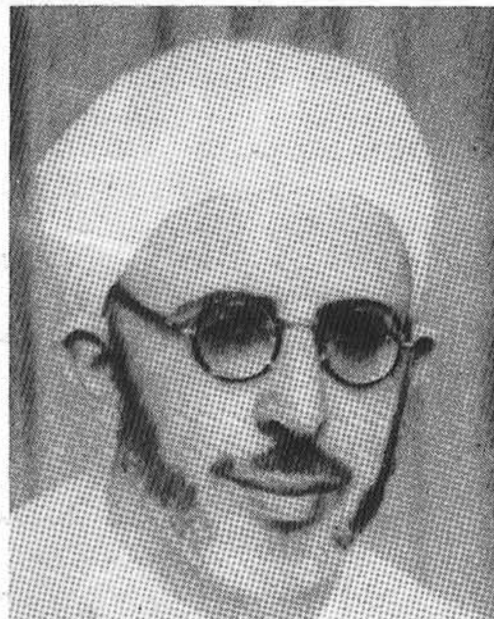

ولتحديد موقع فاس في ثقافته يقول : "في فاس استبدلت فكرا بفكر، فتكون لي مبدأ عصري على آخر طراز، قد ارتكز على الدين والعلم والسنة القويمة".

أخذ عن الشيوخ الرسموكي، والحجوجي، والعباس بناني، ومحمد ابن جعفر الكتاني، ومحمد بن الطيب البكراوي، ومحمد بن العربي العلوي، وعبد السلام الفاسي.

وقد شمل نشاطه الطلابي الاهتمام بالقضايا الثقافية والسياسية، حيث بادر إلى الإسهام في تأسيس جمعيتين : الأولى هي "جمعية الحماسة"، وكان يتولى رئاستها بنفسه ؛ والثانية جمعية "سياسية سرية" تعمل في إطار الدفاع عن القضية الوطنية، وترأسها علال الفاسي. كما تطوع للتدريس في المدرسة الناصرية التي شكّلت ملجأ يستقطب الوطنيين في تلك الظروف التي التهبت فيها حماسة السكان ضد الاستعمار في فاس، وفي أغلب مدن المغرب وقراه، وقد بادرت سلطات الاستعمار إلى نفي مدير هذه المدرسة عن فاس، وضايقت كل الطلاب الناشطين سياسيا، وكانت هذه المضايقة سببا في مغادرة المختار السوسي فاسا إلى الرباط.

حل بالرباط في يونيو 1928، فاستقر بها حوالي سنة كاملة اعتبرها أغنى سنوات تعليمه، حيث كان في هذه المرحلة قد اندمج في بيئة مدنية متحضرة عرفت مختلف وسائل التثقيف، فساير التطور الذي تشهده بلاده بصفة خاصة والعالم بصفة عامة ملازما لدروس شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي والمدني ابن الحُسني، ومحمد السايح ؛ مقبلا على شتى فنون المعرفة، مخالطا لنخبة المثقفين أمثال محمد بن العباس القباج، ومحمد بن أبي بكر التطواني، وأبي بكر بناني، وعبد الله بن العباس الجراري، وعبد الرحمن الدكالي ؛ مساهما بنشاطه في مختلف الأندية الثقافية والفكرية.

وهكذا قضى في مرحلة التعليم زهاء تسع عشرة سنة، تنقل خلالها عبر بيئات مختلفة بدوية وحضرية، وقد حدد بإحصاء دقيق مجمل العلوم والفنون التي حصلها خلال هذه المرحلة من التعليم، مما جعله مؤهلا لأداء رسالته التربوية والوطنية والحضارية، ولا بد من تقديم ملاحظات حول هذه المرحلة قبل الانتقال إلى ما بعدها.

في شهر يونيو سنة 1929 رحل محمد المختار السوسي إلى مراكش، وحل بزاوية والده بباب دكالة حي الرميلة، وبدأ مرحلة جديدة من حياته قرر فيها مع نفسه أن المهمة التي خلق من أجلها هي : التعليم والتربية وتكوين الرجال، كيفما كانت الظروف زمانا ومكانا، فأينما حل وارتحل يسرع إلى تكوين حلقات دراسية في المدارس والمساجد والمعتقلات، وهو في هذا المجال صاحب طاقة علمية وقدرة بيداغوجية تؤهله لأن يصل إلى أذهان مستمعيه، فيبلغ النتائج التي تجعله دائما يشعر بالرضى والاطمئنان.

كان سلوك محمد المختار السوسي وهو يُحوِّل زاوية والده بحي الرميلة بباب دكالة من زاوية إلى مدرسة داخلية يترجم بوضوح التحولات العميقة التي وقعت في تفكيره، والانتقال من العمل الصوفي الطرقي إلى العمل السلفي، وقد أوجد لمدرسته الوسائل الكفيلة بإنجاح مشروعه التعليمي من توفير المأوى والمأكل والملبس للتلاميذ الوافدين من خارج المدينة من سوس والصحراء، والشياظمة وعبدة والرحامنة وسائر جهات المغرب، وبلغ عددهم في فترة وجيزة ثلاثمائة طالب، فاستعان في ذلك بعائدات اشتراكه في الفلاحة مع بعض الفلاحين في السراغنة والرحامنة، وبمساعدات بعض تجار المدينة ممن يقدمون العون، ويدفعون منحا خاصة للطلبة على شكل "وجبات يومية"، فتحمل كل منهم نفقات طالب أو أكثر طيلة مدة انتسابه إلى المدرسة.

دام جهاده التعليمي في هذه المدرسة حوالي أربع عشرة سنة استمرت المرحلة الأولى منها ما بين سنوات 1929 و1937، ثم نفي وعاد إليها لتستمر المرحلة الثانية (1946 و1951)، حيث انتقل بعد ذلك إلى الدار البيضاء للإقامة وممارسة التدريس بها أيضا.

وتخرج من هذه المدرسة على يد المختار السوسي طوال هذه المدة كثير من العلماء والأدباء ورجال الحركة الوطنية، منهم : محمد بن عبد الله الروداني، وعبد القادر حسن، وسعيد التناني، وعلي بن المعلم، والأخوان محمد الدكالي، وأحمد شوقي، وغيرهم كثير.

وبموازاة التدريس كان محمد المختار السوسي يقوم بنشاطات أخرى : فمن الناحية الدينية كان يلقي دروسا عمومية للوعظ والإرشاد في مختلف المساجد، ومن الجانب التعليمي وقع الاعتراف به كمدرس في جامعة ابن يوسف سنة 1935. وفي المجال الاجتماعي ساهم في تأسيس الجمعية الخيرية بمراكش، وترأس مكتبها، وفي هذه الفترة تزوج برفيقة عمره السيدة صفية بنت إبراهيم، وقد ساهمت إلى جانبه بصورة فعالة في مختلف المراحل والمواقف، فكانت نعم المعين والرفيق.

ونتيجة الدور الذي قام به المختار السوسي في الساحة السياسية بمراكش تعرض لعدة اعتقالات، وعاش حياة القمع والمنافي. ومن الصعب تحديد إجابة دقيقة عن طبيعة التزامه السياسي، دون الاقتناع بمبدإ التوفيق، وإن قبوله الالتزام داخل جمعيات سرية في فاس ومراكش وهي من تأسيسه، يعتبره التزاما علميا وخلقيا وفريضة، لأن الأمر يتعلق بمواجهة الاحتلال الأجنبي الذي يمس تطلعات الأمة وهويتها الوطنية والإسلامية واللغوية، فيجعل العلم إلى جانب السياسة أداة للوصول إلى نفس الهدف، وهو محاربة الاستعمار والقهر، والدفاع عن كيان الأمة، وهذا الاقتناع يؤكده في إطار الالتزام الحزبي في نطاق حزب الاستقلال بقوله : "وإن كنت لا أعدو أن أكون فقيها في الحزب وليس زعيما من زعمائه".

نظراً لنشاطه السياسي بمراكش قررت السلطات الفرنسية نقله إلى مسقط رأسه بقرية "دوكادير" في منطقة "إلغ" بتاريخ 11 مارس 1937، وقد حمل في سيارة قديمة عبر مدينة تارودانت وإيغرم ليصل إلى مسقط رأسه، وهناك عهدت الحكومة إلى أخيه الأكبر محمد الخليفة بمراقبته، وفي هذه الأثناء ونظرا لما كان للرجل من أهمية في العمل الوطني احتج سكان مراكش بقوة على هذا النفي، كما استنكرت الجرائد الوطنية هذا التعسف مثل جريدة *الأطلس* وغيرها،

ورفع السكان عرائض احتجاج للسلطان محمد الخامس، وأخرى للمقيم العام بالرباط.

وقد تميزت مرحلة هذا النفي بانقسامها إلى قسمين : ففي القسم الأول منه وقع تشديد الحراسة عليه، بحيث لا يتصل بأي شخصية أجنبية من غير أسرته أو بعض فقراء الطريقة الدرقاوية، فكان مشتغلا بالكتابة، وقد استغرق هذا القسم خمس سنوات.

أما القسم الثاني فقد استغرق أربع سنوات أخرى، وتميز بأن سلطات الحماية سمحت له بالتنقل داخل إقليم سوس، فقام بأربع رحلات سجل مذكراته عنها في كتابه *خلال جزولة*، وفي هذه الفترة جمع معلومات ساعدته على كتابة مؤلفاته، بحيث تمكن من الاطلاع على ما في الخزانات السوسية من كتب ومخطوطات ووثائق، وكان قد اهتم بتاريخ سوس والمغرب والعالم بصفة عامة، في وقت هيمنت فيه على الأحداث وقائع الحرب العالمية الثانية التي عايشها المختار السوسي بعواطفه، وظهرت آثار ذلك في إنتاجه الأدبي، سواء في مجال النثر أو فيما نظمه من قصائد، وأخيرا رفع عنه قرار النفي في نهاية سنة 1945، فتوجه إلى مراكش صحبة زوجته وأطفاله الثلاثة الذين ولدوا في المنفى.

استمرت مرحلة ما بين المنفيين سبع سنوات (1946 و1952) أمضى خمس سنوات منها في مراكش، ثم انتقل إلى الدار البيضاء، وأثناء عودته إلى مراكش زاول نشاطه المعتاد فقام بعدة أعمال : حيث عاد إلى التدريس في مدرسة الرميلة، وإلقاء الدروس العمومية في المساجد، وأسس جمعية لبناء مدرسة محمد الخامس، وأرسله السلطان محمد الخامس في وفود رسمية منها : وفد الحجاج إلى الديار المقدسة 1946، ووفد جمعية أحباس الحرمين الشريفين إلى تونس 1948، وزاد نشاطه الوطني بعدما عرفت الحركة الوطنية انتشارا في عموم مدن المغرب، وكان على رأس الموقعين على عريضة الاحتجاج على حملات الاستعمار التعسفية.

ونظرا لتحرشات السلطات الاستعمارية نقل على وجه السرعة إلى الدار البيضاء بواسطة تنسيق رجال المقاومة بين المدينتين في آخر دجنبر سنة 1950، فاستأنف نشاطه الوطني هناك، وكان يمارس التدريس والإرشاد والتوجيه في بعض مساجد المدينة، حتى قامت مظاهرات في صفوف العمال احتجاجا على اغتيال الزعيم التونسي فرحات حشاد يوم 7 دجنبر 1952، فقامت الحماية بسلسلة من الاعتقالات في صفوف الزعماء الوطنيين، وشمل الاعتقال المختار السوسي وبعض أصدقائه، وتم نفيهم إلى تافيلالت.

استغرق الاعتقال الثاني بتافيلالت حوالي سنة ونصف سنة، ابتداء من 10 دجنبر 1952 أمضى سبعة أشهر منها بمركز "تينجداد" حيث ذاق مع غيره من الوطنيين أصنافا من المعاملة السيئة والتشديد، وكان يملأ وقته بقراءة القرآن والانصراف إلى الكتابة والتأليف. أما القسم الثاني من هذا الاعتقال فقد قضاه بمركز "أغبالو نكردوس" إلى جانب بقية المعتقلين الذين ناهز عددهم خمسين معتقلا، وتميزت هذه الفترة بإعطاء المعتقلين حرية التصرف داخل المعتقل، فوضعوا برنامجا يوميا يشتمل على دروس ومحاضرات، وسماع الأخبار ومناقشتها، وبرامج ترفيهية ورياضية، وكتب مذكرات هذا المعتقل ضمنها كتابه *معتقل الصحراء*. وقد كان ختام هذه الاعتقالات بتاريخ 10 يوليوز 1954.

وبعد عودة محمد الخامس من المنفى سنة 1955 شكلت أول حكومة مغربية في عهد الاستقلال تقلد فيها المختار السوسي منصب وزير الأوقاف، وبقي في هذا المنصب مدة استمرار الحكومة الوطنية الأولى، وهي أحد عشر شهرا، وفي الحكومة الوطنية الثانية تقلد منصب وزير التاج، كما تقلد مهمة القاضي الشرعي للقصور الملكية. وقام بمهام وأنشطة ثقافية كثيرة، مثل حضوره بعض المؤتمرات الخاصة بالقضايا الإسلامية، وإلقاء محاضرات ودروس دينية يومية، وتسجيل أحاديث إذاعية بالعربية والأمازيغية، لكن أهم عمل انكب عليه وكرس له كل أوقاته هو إتمام تأليفه بالمراجعة والتنقيح، ثم دفعها للمطابع المتعددة والعمل على نشرها بين القراء بكل الوسائل.

للمترجم مؤلفات كثيرة منها المطبوع والمخطوط :

أ ـ المؤلفات المنشورة في حياته :

• *المعسول*، طبع بالدار البيضاء والمحمدية والرباط ما بين 1960 ـ 1963، (20جزءا).

• سوس *العالمة*، المحمدية، 1960، أعيد طبعه.

• *خلال جزولة*، تطوان، (1961 ـ 1963)، (4 أجزاء).

• *الرسالتان البونعمانية والشوقية*، تطوان، (د. ت.)، (ملحق بكتابة خلال *جزولة*، ج. 1).

• *الترياق المداوي في أخبار الشيخ الحاج علي السوسي الدرقاوي*، تطوان، 1960.

• منية *المتطلعين إلى من في الزاوية الإلغية من الفقراء المنقطعين*، تطوان، 1961.

• *أصفى الموارد في تهذيب الرحلة الحجازية للشيخ الوالد*، الدار البيضاء، 1961.

• من *أفواه الرجال*، في عشرة أجزاء، طبعت ثلاثة، تطوان 1962.

• *الإلغيات*، الدار البيضاء، 1963، 3 أجزاء.

• على قمة *الأربعين*، (انظر الإلغيات، 1963، ج. 3، ص. 207 وما بعدها).

• بين *الجمود والجحود*، رواية في أفكار إسلامية نشرت في تسع حلقات، مجلة دعوة *الحق*، أعوام الستينيات.

• *إيليغ قديما* وحديثا، تح. محمد بن عبد الله الروداني، الرباط، 1966.

• *معتقل الصحراء* (الجزء الأول)، الرباط، 1982، (الجزء الثاني مازال مخطوطا).

• *حول مائدة الغذاء* (مذكرات)، الرباط، 1983.

• *ذكريات*، الرباط، 1984.

• *طاقة* ريحان من روضة *الأفنان*، مختصر روضة الأفنان للرفاكي، الرباط، 1984.

• مدارس سوس *العتيقة*، نظامها وأساتذتها، طنجة، 1987.

• رجالات *العلم العربي* في سوس، طنجة، 1989.

• *المجموعة الفقهية في الفتاوي السوسية*، إعداد الأستاذ عبد الله الدرقاوي، الدار البيضاء، 1995.

• *كيف عرفتُ الأدب ؟*، محاضرة ألقاها على أدباء مراكش سنة 1936. نشرت بالرباط.

2 ـ المؤلفات المخطوطة (مرتبة حسب المواضيع) :

• *أدوار سوس التاريخية*، كتاب تناول فيه العصور الأخيرة بسوس.

• مجموعة *في أنساب السوسيين*.

• *الصالحون المتبرك بهم في سوس*.

• *الرؤساء السوسيون*.

• *الثوار السوسيون*، محاضرة.

• *من الحمراء إلى إلغ*، رحلة تتضمن معلومات تاريخية عن حاحة وإداوتنان وأگادير.

• *مراكش في عصرها الذهبي*.

• *الرد على كولان*، حول جامعة القرويين.

• معتقل الصحراء، (الجزء الثاني).

• دروس *أغبالو نكردوس*، ألقاها على المعتقلين هناك.

• توفيق *الرحمن إلى مراجعة القرآن*، في كيفية تعليم القرآن بسوس.

• *مواقف مخجلة*، ألفه في منفاه بتنجداد.

• حياة الشيخ الوالد.

• *إتحاف النبيه ببعض مآثر سيدي أحمد الفقيه الركني*.

• *وصف الغطريس*، مختصر كتاب المهدي الناصري في أخبار المقاومين في تافيلالت.

• *مترعات الكؤوس في بعض آثار أدباء سوس*.

• جوف *الفرا*، مجموعة أدبية، قصائد ورسائل ذات طابع تاريخي.

• *حاشية على الكشاف للزمخشري*، مخطوط.

• *وشي المطارف في ثبوت الهلال بالخبر الرسمي من الهاتف*.

• حديث سيدي حمو، في شكل رواية.

• *قطائف اللطائف في الحكايات والنوادر السوسية*.

• *نضائد الديباج في المراسلات بين المختار والقباج*.

• *الألفاظ العربية في الشلحة السوسية*.

• *أمثال الشلحيين وحكمهم نظما ونثرا*، بلغت 1050 مثلا.

• *مشيخة الإلغيين من الحواضر من فاس ومراكش والرباط*، 17 إجازة.

• *إجازات المختار السوسي*.

• *أسانيد وإجازات سوسية*.

• *عقود العقيان في إجازات الإخوان*.

• *أحاديث إذاعية دينية، باللغة العربية والأمازيغية*، بلغت 90 حديثا.

توفي يوم الاحد 29 جمادي الثانية عام 1383 / 17 نوفمبر 1963، ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، 1960 ؛ *الإلغيات؛ الترياق المداوي*، مقدمة؛ *معتقل الصحراء*، الرباط، 1982 ؛ *دليل مخطوطات مؤلفات المختار السوسي*، الرباط، 1988 ؛ *أنا والأدب*، تقديم ع. الله الدرقاوي، *زهرة الآس في فضائل العباس*، الرباط، 1997 ؛ عمر أفا، عبد المجيد الصغير، صدقي علي أزايكو، عبد الغني أبو العزم، أحمد التوفيق، *دراسات حول المختار السوسي*، *أعمال ندوة المختار السوسي، الذاكرة المستعادة*، الدار البيضاء، 1986 ؛ م. خليل، *محمد المختار السوسي، دراسة لشخصيته وشعره*، الدار البيضاء، 1985 ؛ عمر أفا، *أرصدة التراث المخطوط بسوس*، *أعمال ندوة التراث الإسلامي المخطوط بسوس*، أگادير ؛ ع. المتوكل الساحلي، *المعهد الإسلامي والمدارس العتيقة بسوس*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ح. أفا، *الشعر العربي في سوس بين الاتباع والابتداع*، دكتوراة دولة مرقونة بكلية الآداب، أگادير، 2001 ؛ *ديوان البونعماني*، الرباط، 1996 ؛ *مجلة الإيمان*، يناير ـ فبراير، 1982 ؛ م. الشليح وآخرون، *محمد المختار السوسي*، *سلسلة أعلام المغرب*، الدار البيضاء، 1996، *رواية شفوية* عن عبد الله الدرقاوي بالرباط، والمهدي الدرقاوي بأگادير.

عمر أفا

السوسي، المختار (الحاج -) ابن الوزير عبد الله بن أحمد بن مبارك، سليل الأسرة المخزنية المعروفة "آل بًا أحماد"، ولد بمدينة مكناس ونشأ بها، وتتلمذ على يد كبار علماء عصره من أمثال المحدث عبد القادر العراقي والقاضي أحمد بن سودة وإبراهيم التادلي الرباطي والمفضل السوسي وغيرهم..

كان المختار، إلى جانب عمله، يتصف بأخلاق سامية وسجايا حميدة، بشوشا كريما حسن السمت، هينا لطيف المحادثة والمجاملة (ابن زيدان، *الإتحاف*، 4، ص. 306).

كما كان يتمتع بمهارة في السياسة وحسن التدبير للأمور، لذلك استوزره السلطان الحسن الأول مع ولده وخليفته مولاي محمد، وعينه السلطان عبد العزيز وزيراً لعمه وخليفته بفاس مولاي عرفة. ثم أسندت إليه مهمة الكاتب الأول بالصدارة العظمى خلفا للطاهر البلغيثي. ورشح لمنصب الصدارة العظمى خلفا لابن عمه أحمد بن موسى بعد وفاته في فاتح عام 1318 / 7 ماي 1900 إلا أنه عزل أواخر ذي الحجة من نفس السنة، وامتحن وصودرت أملاكه وسلبت ضمن المصادرات التي شملت كل المقربين ممن لهم أدنى اتصال أو قرابة من الوزير أحمد بن موسى. وأخرج من مراكش إلى مكناس بعد أن سلبت كل أملاكه، ومع ذلك لحقت به كتيبة من الخيل بالطريق وفي معيتها مكلف من قبل المخزن للإتيان بجميع ما خرج به من مال ومتمول فسلب منه ذلك كله على وجه التعنيف والانتقام كما صدرت الأوامر المخزنية لفاس بإحصاء جميع أملاكه ومصادرتها (*الإتحاف*، 4، ص. 307).

وعند وصوله إلى مدينة الرباط اعتقل من قبل عملها ومنع من التوجه إلى مكناس، ثم نفي إلى تطوان، وهناك تصدر للتدريس إلى أن أذن له بالعودة إلى مكناس حيث أقبل على نشر العلم والتفرغ له غير مكترث بما حصل له من امتحان وعزل وسلب. فأخذ عنه كثير من علماء مكناس فذكر منهم : الفقيه عبد السلام الطاهري ومحمد العرائشي، وعبد القادر بن زيدان، والمولى راشد بن علي الشبيهي، والمؤرخ عبد الرحمن بن زيدان.

وتعرض المختار لمحنة أخرى أثناء تمرد القبائل المحيطة بمدينة مكناس ضد مولاي عبد الحفيظ (1909 ـ 1911) الذين اعترضوا طريقه وهو متوجه ضمن قافلة إلى مدينة مكناس قادماً إليها من فاس فسلبوهم حتى من ملابسهم ولم يتركوا لهم إلا ما يسترون به العورة.

توفي بمكناس أواسط شعبان عام 1335 / أوائل يونيو 1917 ودفن بالزاوية الكنتية من حومة صدراته.

ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، 4، ص. 306 ـ 307 ؛ مصطفى الشابي، *النخبة المخزنية*، المحمدية، 1995.

السوسي المكناسي، أحمد بن علي رأس الأسرة السوسية المكناسية، أصله من الساقية الحمراء، فقيه عالم مدرس مشارك في كثير من المعارف والعلوم، بلغت شهرته العلمية السلطان المولى سليمان، فأرسل إليه من يأتيه به من مسقط رأسه بالساقية الحمراء، ولما ورد وجد السلطان بالحضرة المكناسية، فرحب به ترحيبا كبيراً وأكرم مثواه، وأنزله بمدرسة الجامع الأزهر المعروف اليوم بجامع الروى بناء على رغبته، وهناك تصدر للتدريس.

ولما علم عبد القادر العلمي (سيدي قدور) بقدمه سعى إليه واجتمع به وأخذ عنه خاصة كما يقول ابن زيدان "سر أسماء الله الحسنى" (*الإتحاف*، 1، ص. 362).

وبعدما طالت مدة إقامته بمدينة مكناس طلب من السلطان أن يرده إلى مسقط رأسه فرفض، وزوجه من إحدى الشريفات، وعندما توفيت زوجه بأخرى ركَراكَية.

وبقي أولاده بمكناس يحملون نسبة السوسي.

لا يُعرف تاريخ وفاته ولا وفاة ولده المكي الذي كان من أعيان علماء وقته وعدولهم المبرزين، إلاّ أنهما عاشا في النصف الأول من القرن الثالث عشر (19م).

ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 362.

السوسي المكناسي، محمد بن **أحمد** بن المكي بن أحمد بن علي فقيه علامة مشارك في علوم التفسير والحديث ومصطلحه، والسيرة النبوية والأصلين واللغة والبيان كما كان بارعا في اللغة وفي النحو والصرف والعروض والقوافي، عالماً بالفقهيات.

ولد بمكناس سنة 1285 / 68 ـ 1869، بدأ مراحله التعليمية الأولى في الكتاب العلوي بالخضارين على يد محمد بن العياشي القبري (ت. 1312). وتابع دراسته فنهل من روافد متعددة على يد ثلة من الفقهاء المكناسيين منهم عمه محمد المفضل السوسي (ت. 1320) وهو عمدته، وأخوه الفقيه محمد بن أحمد السوسي (ت. 1316)، ومحمد المفضل بن عزوز (ت. 1319)، ومحمد القصري العبدري (ت. 1324) ومولاي عبد الله بن إدريس البدراوي (ت. 1317) وقاضي مكناس أحمد بن الطالب ابن سودة المرى (ت. 1319)، وغير هؤلاء من علماء مدينتي مكناس وفاس.

وفي طريقه إلى الحج سنة 1330 اتصل في مصر بالشيخ عبد الجليل بن عبد السلام برادة الفاسي الأصل وأخذ عنه وعن الشيخ عبد الحميد الشهير بسلامة المصري، ويوسف بن إسماعيل النبهاني.

بعد ذلك تصدر للتدريس الذي لم يتوقف عنه طيلة حياته منذ أن سجل في قائمة طبقات علماء مكناس عام 1311 حتى وفاته. وتقلد عدة وظائف إلى جانب التدريس أهمها : العدالة بسماط العدول بمدينة مكناس سنة 1311، والنيابة عن قاضي مكناس أحمد بن بوبكر عواد السلاوي (1341-1386)، ثم العضوية بمجلس الاستيناف الشرعي الأعلى بالرباط (1342 ـ 1346). وأخيرا قاضي مدينة مكناس في شعبان 1346 ظل يشغله حتى أوائل عام 1359 حيث أحيل على المعاش. وكان له دور محمود في أحداث بوفكران.

له مؤلفات عبارة عن شروح وحواش وختمات، منها :

شرح موسع *لهمزية البوصيري*، حاشية على شرح *أرجوزة مصطلح الحديث* للعربي الفاسي، ختم الرسالة القيروانية باسم : عون *الموصوف بالجلالة على ألفاظ ختم الرسالة*، ختم *المرشد المعين*، والشمائل الترمذية بعنوان : عون *الطالب السائل على فهم الأثرين المختوم بهما الشمائل*، وختم *المختصر والألفية*.

توفي في 3 شوال 1369 / 19 يوليوز 1950 ودفن بالزاوية الكنتية بمكناس.

م. المنوني، دعوة *الحق*، العدد 7، السنة 16 غشت، 1974، ص. 151 ـ 159 ؛ ب. بوعسرية، *أحداث بوفكران*، ج 1، ص. 216.

السوسي المكناسي، محمد بن **الحسين** المنبهي الزيادي الشهير بأبي مدين، ولد بمكناس ونشأ بها وأخذ العلم عن علماء عصره، وقرأ على الحسن بن مسعود اليوسي، وهو عمدته. فظهر نبوغه واشتهرت براعته. وكان يتميز بفهم ثاقب وذهن وقاد وذكاء نادر وسرعة بديهة. إلى جانب براعة كبرى في الخطابة والكتابة وكان على حد تعبير ابن زيدان مقتدراً على الترسيل فصيحاً بليغاً سيال القلم خطيباً مصقعاً بل أخطب أهل زمانه.

كل ذلك مكنه من تصدر مكانة مرموقة ضمن علماء المدينة الاسماعيلية وقرّبه المولى إسماعيل إليه وقلده خطة القضاء والفتوى. بمدينة مكناس. إلا أن جفاء حدث بينهما لا تتحدث المصادر عن سببه فعزله عن القضاء في أواسط شوال عام 1088 وولي مكانه بالتتابع كلا من أحمد بن سعيد المجيلدي (1094)، ومحمد بن الحسن المجاطي (1103).

إلا أن القاضي محمد السوسي ولما كان يتمتع به من براعة كبرى وباع طويل في الخطابة والبلاغة إلى جانب الذكاء وحضور البديهة، انتهز فرصة إمامته للصلاة يوم عيد النحر من سنة 1089 فألقى بين يدي السلطان اسماعيل خطبة بليغة أطراه فيها وقال: "لو رآه والده الجليل، في هذا الجمع الحفيل، لقال : "الحمد لله الذي وهب لي على الكبر

إسماعيل..." فأعجب به السلطان وخلع عليه وأعاده إلى منصبه قاضيا للجماعة ومفتيا إلى أن توفي.

إلى جانب القضاء والفتيا تصدر محمد السوسي للتدريس فأخذ عنه كثيرون أمثال : محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بصري وابن عاشر الحافي السلوي، وعبد الوهاب العرائشي وعبد الوهاب بن أحمد بن محمد بصري.

وترك شرحا على *منظومة الأخضري في المنطق* وله كذلك في الأصلين أبحاث وتحقيقات ؛ وفوائد وتدقيقات؛ وله الخطب التي لم يسبق بمثلها ؛ والمنشآت التي يقف فحول الأدباء عند حدها. كما ترك شعراً جميل النظم، يوجد في *الاتحاف* (4، ص. 86 ـ 88) بعض من نظمه ونثره.

توفي بمكناس في شوال 1120 / دجنبر 1708 ـ يناير 1709.

حوالة *أحباس المساكين بمكناس*، ج 3، ص. 11 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 4، ص. 85 ـ 88 ؛ م. القادري، *النشر*، ج 3، ص. 201؛ ر. بلمقدم، *أوقاف مكناس*، ج 1، ص. 191.

السوسي المكناسي، المفضل بن المكي. المعروف أيضاً بفضول، ولد بمدينة مكناس ونشأ بها، وتعلم على يد شيوخها من أمثال : شيخ الجماعة الحاج مبارك الفيضي، والعباس بن محمد بن كيران، والمهدي بن سودة والهادي بادو وغيرهم. وعرف عنه أنه حاد الذكاء، قوي الإدراك جم التحصيل. مبرزاً على الخصوص في العلوم اللسانية ما جعل ابن زيدان يصفه بقوله : "كان صدراً شهيراً عالماً علماً أصيلاً ... منطلق اللسان مشاركاً نقاداً حسن العبارة، مقتدراً على التفنن في أفانين التعبير، إماما في العربية..." يقرأ في دروسه الليلية عدة مؤلفات في مجلس واحد يتخلص من فن لآخر بأبرع تخلص وأحسنه لا يجارى في ذلك ولا يبارى، فلا يقدر أحد على حد تعبير ابن زيدان من الآخذين عنه في حلقة درسه أن يتحرك أو يتنحنح أو يفوه ببنت شفة يجلسون أمامه كأنما على رؤوسهم الطير (*الإتحاف*، 4، 328)، وقد تخرج على يده عدد من العلماء الأعلام كالشيخ محمد القصري المكناسي، والفقيه الحاج المعطي بن عبود، والعلامة الغالي بن المكي السنتيسي والوزير أحمد بن موسى وعبد القادر بن زيدان. له *قصائد شعرية*، و*تقاييد أدبية* يضم *الإتحاف* نماذج منها.

ترك المفضل بن المكي السوسي كرسي التدريس في آخر عمره، ولازم الخدمة المخزنية مع تلميذه الوزير أحمد بن موسى إلى أن لبى داعي ربه ثم لازم بعده المهدي المنبهي وكان يظعن بظعن السلطان ويقيم بإقامته إلى أن وافته المنية بمدينة فاس في 7 ربيع الثاني عام 1320 / 14 يوليوز 1902. ودفن بالزاوية الناصرية هناك.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 4، ص. 328 ـ 333.

رقية بلمقدم

السوق عبارة عن تجمع تجاري يعقد مرة في الأسبوع في الهواء الطلق، ويعرف باسم اليوم والمكان اللذين يقام فيهما. وعادة ما يوجد مقر السوق على حافة الطريق أو قريباً منها، على حدود مجموعة من القبائل أو الفخذات، قريبا من الماء، أو من ضريح ولي من الأولياء، يحجه سكان المنطقة، وأحيانا فوق أنقاض مدينة قديمة.

يشهد انعقاد الأسواق على وجود علاقات تبادل تجارية قديمة ومستمرة بين مختلف المناطق التي كانت كل منها في حاجة إلى الأخرى لتسويق منتجاتها والحصول على ما لا تنتجه من مواد. ونظراً لأهمية الأسواق، فإنها كانت تعقد تحت حماية المخزن، أو زاوية من الزوايا خصوصا عند ما يتعلق الأمر بالمواسم / المعارض (موكار) الكبرى، أو في المناطق غير الخاضعة مباشرة للمخزن (بلاد السيبة) تحت رقابة أحد كبار القياد. لتوفير الأمن للتجار والمترددين على السوق، لذلك كانت المبادلات تخضع لتقنين محكم متعارف عليه.

وللسوق، كمؤسسة موغلة في القدم، أبعاد أساسية ثلاثة : بعد اقتصادي وبعد اجتماعي وبعد سياسي.

على الصعيد الاقتصادي، يمثل السوق مجالا لتبادل ما ينتجه سكان القبائل التي تحجه من ماشية ومواد فلاحية ومنتجات حرفية، وما يعرضه تجار المدن المجاورة من سلع مصنعة أو مستوردة يحتاجها القرويون ولا يستطيعون إنتاجها (سكر، شاي، شمع...).

على المستوى الاجتماعي، كان السوق مجالا للتواصل بين سكان المنطقة والقبائل المجاورة، لتبادل الأخبار وإبرام الصفقات وتحرير العقود العدلية، ولإعلان التحالفات أو عقد المعاهدات بين الأفراد والأسر، لتكوين الرأي العام، لمحاكمة المجرمين ومعاقبتهم، كما كان كذلك مكانا للفرجة والتسلية.

أما سياسيا، فقد كان السوق مجالا ومناسبة للقبائل لحل نزاعاتها، لاتخاذ القرارات الحاسمة المتعلقة بالسلم أو

الحرب، لمناهضة المخزن، ولربط المتمردين عليه بباقي أفراد الأمة ؛ كما كان السوق مكانا ومناسبة للمخزن للاطلاع على أحوال الساكنة، لإبلاغ قراراته، ومراقبة ما يحدث على صعيد القبائل قصد التحكم فيها وتطويعها، إذ كانت محاصرة الأسواق تمثل وسيلة لإرغام القبائل المتمردة على تأدية الضرائب والامتثال للمخزن.

لهذه الأسباب أولى الفرنسيون الذين كانوا بالجزائر - قبل عقد الحماية - أهمية كبرى للأسواق المغربية (خصوصا بالمناطق المحادية للجزائر)، لم يكونوا يروجون فيها بضائعهم التي تنافس الإنتاج المحلي فقط ولكنها تجعل التعامل النقدي يحل أكثر فأكثر محل المقايضة، بل كانوا كذلك يعقدون صفقات شراكة مع بعض المغاربة بخصوص الأرض أو الماشية، ويبيعون بطاقات الحماية القنصلية ؛ كما كانوا يجسون نبض السكان لمعرفة موقفهم من الأجنبي وتهيئهم لتقبل الحماية كحل لمختلف مشاكلهم.

وفي فترة الاستعمار، أصبح التحكم في الأسواق من الأهمية بمكان، إذ من خلالها يمكن مراقبة السكان والتحكم فيهم وإحصاء ما ينتجونه وفرض الضرائب عليهم، تسوية النزاعات التي تنشب بينهم، وإخضاعهم للإدارة الجديدة. ولتحقيق هذه الأهداف حُولت الأسواق إلى جانب الثكنات العسكرية أو إلى جوار المكاتب الإدارية (مكتب الحاكم والقايد، الضرائب، مستوصف، مدرسة...)، مما سيحول تدريجيا الأسواق إلى قرى صغيرة سينمو بعضها لتصبح فيما بعد مراكز حضرية ثم مدنا صغيرة ومتوسطة أحيانا.

ومع انتشار وسائل النقل الحديثة، أضحى السوق نقطة عبور للاتصال بالمدن والهجرة القروية، مما سيؤدي إلى نوع من المثاقفة يتجلى أساسا في انتشار منتجات جديدة وعادات استهلاك جديدة، وأفكار لم تكن من قبل متداولة بين القرويين. هكذا ستمثل المدينة عامل جذب بالنسبة للقرويين الراغبين في الاستفادة من إيجابيات الحضارة الحديثة.

بعد الاستقلال، تعززت وظيفة السوق الإدارية، إذ استقرت به مجموعة من المصالح الممثلة للسلطة بغية مراقبة السكان سياسيا. لكن سير البلاد في الاتجاه الديمقراطي مكن الأحزاب السياسية والجمعيات المدنية من التقرب من القرويين وتأطيرهم.

A. Adam, *Etude économique et sociologique d'un souq du Haut Atlas occidental : Imin-Tanout*. Actes du IV° Congrès international des sciences anthropologiques et ethnologiques, Vienne, 1952 (publié en 1956) ; J. Berque, *Note sur l'histoire des échanges dans le Haut Atlas occidental, A.E.S.C.*, n° 3, 1953 ; B. Desmazièrers. *L'évolution des grands courants commerciaux à l'intérieur du Maroc*. Mémoire C.H.E.A.M., 1948 ; E. Doutté, *Marrakech, 1905* ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc. Essai sur la transformation politique des berbères sédentaires (groupe Chleuh)*, Paris, 1930 ; F. Olivier, *Mémoire sur l'évolution économique des tribus de la banlieue de Meknès depuis l'occupation française*. Mémoire C.H.E.A.M., 1937 ; P. Pascon, *La maison d'Illigh et l'histoire sociale du Tazeroualt*. Rabat, 1984 ; J.-F. Troin, *Les souks marocains. Marchés ruraux et organisation de l'espace dans la moitié nord du Maroc*, Aix-en-Provence, 1975; *Vision et utilisation des souks au Maroc : histoire d'un décalage*, *Connaissances du Maghreb. Sciences sociales et colonisation*, Paris, 1984.

عبد الجليل حلـم

سوق أربعاء الغرب، مدينة صغيرة (43269 نسمة سنة 2000) تقع شمال منطقة الغرب وهو رابع مدينة داخل التراتبية الحضرية للمنطقة بعد القنيطرة وسيدي قاسم وسيدي سليمان. ترجع نشأتها إلى بداية القرن الرابع عشر (20 م) بسبب استغلال إمكانيات سوقها الأسبوعي من طرف بعض المعمرين خاصة "بواسي" Boisset وقد تأكد ذلك فعليا سنة 1923 عندما تقرر ترقية سوق الأربعاء لتصبح مقراً لدائرة سبو مكان مشرع بلقصيري. مازالت المدينة إلى اليوم تفرض نفسها على تنظيم المجال الجهوي على مستوى الغرب الشمالي. وترجع أسباب قوتها إلى مستوى تجهيزها التجاري (سوق أسبوعي نشيط جدا). والخدماتي، غير أن دورها كمركز طرقي تأثر سلبا بنشاط الطريق السيار الرباط - طنجة.

سوق ثلاثاء الغرب، مركز قروي صغير (حوالي 2000 نسمة) يوجد على بعد 15 كلمتر جنوب سوق الأربعاء مازال يظهر بمظهر الدوار الريفي لولا وجود بعض المصالح ذات الطابع الحضري : القيادة، المدرسة، البريد، مركز التنمية الفلاحية، وبعض الدور ذات الطابع الحضري كحي بام، غير أن أغلب ساكنته مازالت تعتمد على أنشطة القطاع الأول.

مبارك الشيكر

سُولانا، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Solana ؛ وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1408.

محمد ابن عزوز حكيم

السوني، عبد السلام مقاوم ولد سنة 1926 ببني زروال غفساي، دفعته غيرته الوطنية لينضم إلى صفوف المقاومة السرية حيث ساهم في العديد من العمليات الهجومية ضد الاحتلال وعلى اثر انطلاق جيش التحرير انخرط في صفوفه تحت قيادة محمد المكناسي وظل يناضل إلى جانب إخوانه إلى أن حصل المغرب على استقلاله.

توفي في 11 شوال عام 1416 / 2 مارس 1996.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 505650.

سَوّاق الجمال، طائر من رتبة طوال الساق الزقزاقيات Charadriiformes ومن فصيلة Glareolidae وهو طائر أغبر اللون، يألف الأماكن الرملية بالمناطق الصحراوية وشبه الصحراوية الجافة. يسمى هكذا في المغرب وفي أقطار شمال إفريقيا لطول ساقيه ولسرعته الفائقة في المشي والركض. توجد منه عشرة أنواع تعيش في آسيا وإفريقيا ونوع واحد شائع في المغرب يدعى علميا Cursorius cursor وبالفرنسية Courvite isabelle وبالإنجليزية Cream-coloured courser وبالإسبانية Corredor وبالإيطالية Corrione biondo.

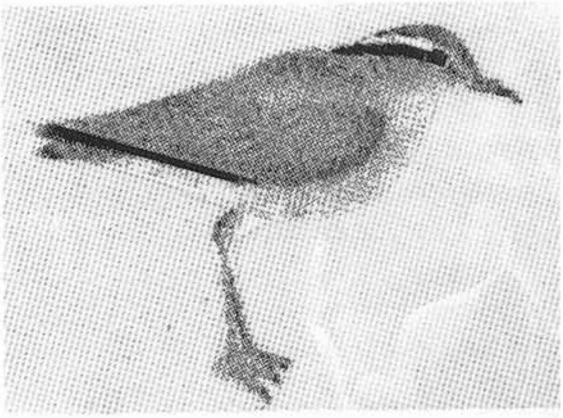

يتميز بخصلة صغيرة من الريش الرمادي على مؤخرة العنق والرأس محفوفة بلفافتين رقيقتين من الريش الأبيض والأسود خلف العينين. سائر الجسد مغطى بريش بني أغبر شبيه بلون الرمال. الجناحان محفوفان بريش أسود. المنقار مقوس قليلا، رمادي مصفر، مستدق الرأس يساعد على أكل الحشرات والديدان والقواقع والزواحف الصغيرة. الإناث شبيهة بالذكور ؛ يبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 42 سم وطول الجسم 21 ـ 23 سم. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة. القائمتان طويلتان رماديتان مصفرتان، لا تتوفران على الأصبع الرابع المتوجه نحو الخلف عند معظم أنواع الطيور، وهذه ميزة الطيور الراكضة السريعة المشي كالنعامة والحبارى. يعيش في مجموعات قليلة الأفراد وتصعب مشاهدته لشدة تشابه لونه بالتربة. يركض بسرعة قوية عند الإزعاج ليحتجب عن أعدائه ويحسن الطيران أيضاً.

طائر مستقر في المناطق المغربية الجنوبية والشرقية ويتوالد منذ فبراير إلى غاية شهر مايو. تضع الإناث البيض مباشرة على الأرض دون أن تتخذ فراشا لأعشاشها. تبيض 2 ـ 3 بيضات بيضوية الشكل ملساء غير لامعة، رمادية مصفرة ومنقطة بالأسود، طول قطريها 27,1 x 34,7 ملم. يحضن الزوجان البيض بالتناوب ويجهل إلى حد الآن عدد أيام الحضانة. تتغذى الصغار من الديدان والحشرات يأتي بها الآباء وتغادر العش مباشرة بعد التفقيس.

يعيش هذا النوع في جميع المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية بالمغرب وفي إفريقيا والجزيرة العربية وآسيا الجنوبية، ومنه مجموعات تهاجر صيفا شمال تركيا. يعد من الطيور المفضلة عند الصيادين لصعوبة قنصه.

م. رمضاني، *الحبارى*، معلمة المغرب، الجزء، 10، ص. 3303 ـ 3304 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، معجم *الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، ط.3 ـ 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979 ; C. Harrisson, Les nids, *les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977.

محمد رمضاني

سويد، قبيلة عربية من فوع قبيلة بني مالك المستوطنين اليوم في سهول الغرب شمالي مدينة سلا. وهم من زغبة من بني هلال المضريين وكانت لهم خدمة ومكانة مكينة عند بني مرين لا سيما أبا الحسن وأبا عنان. وافترقت أسرة السويدي المكناسية القديمة إلى فرقتين فرقة عرفت بابن الأكحل (انظر ابن الأكحل إبراهيم في *المعلمة*). عاش أفرادها في القرنين التاسع والعاشر (15 ـ 16 م) وبعد ذلك ظهرت فيها فرقة أخرى من أسرة سويد، غير أن هذه تحمل لقب الشاهد، فيعرضها الديوان الإسماعيلي هكذا : "أولاد الشاهد من سويد"، ويعرف الآن من أفرادهم خمسة أسماء :

1 ـ علي بن ضيف الله : عدل ثان في وثيقة مؤرخة بأواسط القعدة عام 1016. حوالة الأحباس الكبرى بمكناس، مصورة خ. ع، 5، ص. 182.

2 ـ عبد القادر بن ضيف الله السويدي : بوثيقة وصية مؤرخة في 8 شعبان 1048. المصدر، ص. 273.

3 ـ عبد الرحمن بن عبد القادر بن ضيف الله السويدي: مترجم في *الدرر المرصعة*، مخطوط، خ. ع، ك 265 ص.

4 ـ العربي بن عبد القادر بن ضيف الله، المعروف بالشاهد، ناظر الأوقاف بمكناس، حيث يسجل ـ بوصفه واسمه ـ في وثيقة شراء *للجامع الكبير للسيوطي*، حسب مخطوطة، خ. ع. ق 26.

5 ـ محمد بن العربي الشاهد : عدل في وثيقة إثبات نسب، بتاريخ أواسط صفر عام 1141. حوالة الأحباس الكبرى بمكناس، مصورة، خ. ع 5 ص ومن القريب أن تسلسل هذه الأسماء من الثاني إلى الخامس : قد يشير إلى أن أربعتهم يؤلفون بيتا واحداً يبتدئ من عبد القادر، فابنه عبد الرحمن، فحفيده العربي، والد محمد بن العربي.

وإلى هؤلاء يوجد اسم إبراهيم بن عبد السلام بن كحلة: عدل ثان في نسخة رسم مؤرخ في عام 1126 / (*حوالة أحباس الزوايا بمكناس*، مصورة خ ع ص 251 ـ 252). عدل شاهد على تسجيل القاضي في وثيقة إثبات نسب بتاريخ أواسط صفر 1141. (*حوالة الأحباس الكبرى بمكناس*، مصورة خ ع 5). فهل يكون هذا من أسرة الأكحل الذي نعلق على ترجمته، بعدما طرأ على لقبه العائلي تحريف من الأحكل إلى كحلة؟

والآن : فإن أسرة السويدي ـ بفرقتيها ـ انقطع ذكرها بين عائلات مكناس.

محمد المنوني

السويد والمغرب. السويد من أقدم شعوب أوروبا. ارتبط تاريخه القديم بشعب الفيكيين، وهم الذين بلغوا إلى شاطئ بلاد البربر بسفنهم لأغراض التجارة والغصب ولا سيما في القرون الوسطى.

أما في العصر الحاضر فيوجد في السويد الحديثة 11000 شخص من أصل مغربي 6000 منهم وُلدوا بالمغرب. ويوجد حوالي ثلثي هؤلاء المهاجرين في وضعية مواطنين سويديين، يحتفظ معظمهم بالجنسية المغربية. ويوجد حوالي 70٪ من المهاجرين المغاربة إلى السويد في العاصمة سطوكهولم وفي كوتينبيرغ ومالمو.

ترجع علاقات المغرب بالسويد إلى عام 1763 عندما انعقدت أول معاهدة بين البلدين، ثم عرفت العلاقات فتوراً لا سيما في عهد الحماية الفرنسية بالمغرب. وبعد حصول المغرب على الاستقلال فتحت السويد سفارة بالرباط.

يعتبر المغرب من أهم الدول الإفريقية التي تربطها علاقات تجارية بالمغرب إذ يأتي في الدرجة الثالثة بعد جنوب إفريقيا ومصر، فهناك عدد كبير من الشركات السويدية تشغل في المغرب وتتخذ فيه مقراً ومنها سكانيا Scania وأب ABB و إريسكون Eriscon وطيطرا ـ باك Tetra Pak، إلخ. وتبلغ صادرات السويد إلى المغرب حوالي مائتي مليون في وحدات العملة السويدية، وتشمل الشاحنات ومواد المواصلات والخشب المستعمل في البناء ومنتجات مصنعة متنوعة. أما مستوردات السويد من المغرب فتبلغ حوالي 209 مليون سيك SEK (عام 2000)، وتشمل الحوامض والخضر وغيرها من المنتجات الفلاحية. وللأوساط السويدية اهتمام كبير بقضية الصحراء المغربية.

وفي ميدان محاربة داء السيدا تمول الوكالة السويدية الدولية للتنمية عدداً من المشاريع بالمغرب.

ومما تجدر الإشارة إليه أن سفيراً سابقاً للسويد بالمغرب وهو كنوت محمد برنستروم Knut Mohamed Bernstroem قد اعتنق الإسلام عندما كان يزاول مهامه بالمغرب، ولكنه كتم إسلامه إلى أن تقاعد عام 1983. وقد نشر عام 2000 أول ترجمة للقرآن إلى اللغة السويدية الحديثة، وتلقى من الحكومة السويدية معونة قدرها 58000 دولار بقصد نشر ترجمته للقرآن في 900 صفحة.

علي نجيب

السويدي، رحيمي مقاوم، ولد سنة 1932 بصبوية أيت باعمران إقليم تزنيت.

انخرط في صفوف جيش التحرير بمنطقة أيت باعمران منذ سنة 1956 ضمن المقاطعة الحادية عشرة بمركز گولمين تحت إمرة قاضي ملال. وقد عمل بكل اخلاص وشجاعة إلى جانب اخوانه المجاهدين حيث خاض معارك ضارية ضد الاستعمار الإسباني تسببت في إعاقته إلى أن لبى داعي به. بسيدي إفني يوم 28 / 7 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504101.

السويدي، أبو زيان عريف بن يحيى بن عثمن من سويد أحد بطون زغبة من عرب بني هلال. وهو أمير سويد وشيخها، كان له حضور متميز في البلاط المريني خلال حكم كل من أبي سعيد عثمان وأبي الحسن علي وأبي عنان فارس. فمنذ أن نشب خلاف بين عرب بني هلال وصاحب تلمسان أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو (718 / 1318 ـ 737 / 1337) نزع عريف وعشيرته إلى بني مرين وأصبحوا من شيعتهم، واتصل بالسلطان المريني أبي سعيد سنة 720 / 1320 وقربه إليه وأكرمه وجعله من جلسائه وخاصته. وبعد وفاة أبي سعيد اتخذه خليفته أبو الحسن بطانة له وكان منه "بمنزلة الصاحب والخليل الذي تسقط معه مؤونة التكلف في الغالب" (*المسند*، 367). وكان أبو الحسن "لا يصدر أمراً إلا وله فيه معرفة، فكان مولانا لا يخفي عنه من أموره القليلة والجليلة شيئاً" (*المسند*، 368). ولذلك أصبح عريف من أبرز رجالات المخزن المريني وأكثرهم مصدراً للثقة وأحسن من يكلف بالمهام الصعاب.

عندما أصهر السلطان أبو الحسن إلى السلطان الحفصي أبي بكر أبي يحيى (718 / 1318 ـ 747 / 1346) في إحدى بناته المسماة عزونة، بعث في ذلك عريف بن يحيى مع وفد من رجالات دولته ونجح في خطبتها للسلطان المريني وزفها إليه سنة 746 / 1345. كما بعثه سنة 738 / 1338 في سفارة إلى سلطان مصر الناصر محمد بن قلاوون ضمن وفد من خواص أبي الحسن وكبار دولته يحملون هدية عظيمة ونسخة من المصحف الكريم كتبها بخط يده ليوقفها بالحرم الشريف بمكة. لم يقتصر دور عريف على السفارة إلى إفريقية ومصر والأندلس بل شارك أيضاً إلى جانب مخدومه في حصار تلمسان سنة 737 / 1337 ثم في حملته على إفريقية سنة 749 / 1348، كما تكلف بقمع بعض الثورات التي قامت ضد أبي الحسن كثورة ابن هيدور.

استمر أبو زيان عريف في ولائه وخدمة ملوك فاس إلى أن وافته المنية سنة 755 / 1354 بسلا وهو بصحبة السلطان أبي عنان ودفن بشالة إلى جانب قبر السلطان أبي الحسن.

ونظراً لأهمية هذه العلاقة الحميمية بين عريف وسلاطين بني مرين المذكورين حظي أولاده أيضاً بمكانة متميزة خاصة ونزمار الذي خلف والده على إمارة بدو زغبة ثم أبو بكر ومحمد. ولأولاد عريف هؤلاء قصة مع المؤرخ ابن خلدون الذي يذكر أنه لجأ إليهم وأقام بينهم في قلعة ابن سلامة وسكن بالضبط في قصر أبي بكر مدة أربعة أعوام يكتب مقدمته المشهورة.

ملعبة الكفيف الزرهوني، تح. محمد بن شريفة، الرباط، 1987، ص. 97 ـ 99 ـ 126 ـ 133 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1985 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، ج 6، وج 7 ؛ *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً*

وغرباً (ضمن كتاب *العبر*، الجزء 7، *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، الجزائر، 1903، ج 2) ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، مصر، د. ت، ج 8 ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، بيروت، د. ت. ج 2 : ص. 454 ؛ الزركشي، *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، تح. محمد ماضور، تونس، 1966، ص. 64 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ص.2، الدار البيضاء، 1954، ج 3 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، ط. 2 : 1997، ج 9 : ص. 40 ـ 41 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1979، ص. 146 ـ 156 ـ 158.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*. Paris, 1986.

رشيد السلامي

السويدي، عميرة بن محمد مقاوم ولد سنة 1934 بالساقية الحمراء انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956، فكان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله، نشيطا في عمله قوي الإيمان معروفا بغيرته الوطنية متفان في الجهاد من أجل استرجاع ما تبقى من أرض وطنه.

شارك في جميع المعارك منذ التحاقه بصفوف جيش التحرير إلى أن استشهد سنة 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*؛ بطاقة مقاوم رقم 501839.

السويدي، ونزمار بن عريف أبو يعقوب. يمكن الحديث عنه من خلال موقفين متكاملين يعبران عن قوة شخصيته وأهمية مكانته، هما على الخصوص الجانبان العسكري والسياسي :

الدور العسكري للشيخ ونزمار : برز الدور العسكري لقبيلة سويد تحت زعامة شيخها ونزمار في خدمة الدولة المرينية بسبب ما كان يثير ضدها أعداء الدولة خاصة بني زيان من صعوبات : ـ فقد عقد السلطان أبو الحسن في أول عهده للشيخ ونزمار على قبيلة من سويد وبني مالك وجعل له رئاسة البدو حيث كانوا من أعماله" لمواجهة بني عبد الواد وحلفائهم واستعداداً لحصار تلمسان التي كانت تثير المشاكل للسلطان أبي الحسن بدعم أخيه المتمرّد عليه في سجلماسة واستقبال المتمرّدين على السلطة ؛ هذا بينما كان أبوه عريف ملازماً لمجلس السلطان أبي الحسن ؛ فكان ونزمار يكلّف بمهام عسكرية نيابة عن أبيه، ومن ذلك تكليفه بمحاربة بني عامر ـ لانحيازهم إلى بني زيان بعد انحياز عريف وقومه سويد إلى جانب المرينيين منذ أيام السلطان أبي سعيد، في الوقت الذي كان أبوه عريف يقيم في المنصورة مع السلطان أبي الحسن ويتحرك معه خارجها لتفقّد أحوال جيشه المحاصر لتلمسان، هذا الحصار الذي استمرّ فيما بين سنوات 735 و737 (*العبر*، 7 : 353 ـ 540).

ـ وبعد حادثة القيروان وتحرك بني عبد الواد سنة 749 غربا لاستعادة إمارتهم واجههم ونزمار بن عريف في قومه من سويد وقبيلتي الحارث وحصين من أجل إعادة تلمسان إلى الطاعة، وكان معه في هذه الحركة الناصر بن السلطان أبي الحسن، غير أن الجيش المريني تعرض للهزيمة (*العبر*، 7 : 588 ؛ *بغية الرواد*، 1 : 236) ؛ وعلى إثرها التحق شيخ سويد عريف بن يحيى بالمغرب، وكان غير راغب في البقاء بإفريقية تاركا ابنه ونزمار بجانب السلطان أبي الحسن (*العبر*، 7 : 246).

ـ عند نزول أبي الحسن بالجزائر أوائل سنة 751 بعد كارثة الأسطول عمل ونزمار على تجميع القبائل لنصرته فالتفت حوله قبائل توجين والعطاف والديالم وحصين ... (*بغية الرواد*، 1 : 243) ؛ غير أن أبا عنان أرسل من فاس دعما إلى بني زيان ليتمكنوا من منع أبيه من الوصول إلى المغرب، فكان لقاء أبي الحسن بهم في معركة شلف التي انهزم فيها وفقد ابنه الناصر في المعركة ؛ فسار مع سويد إلى مواطنهم قبلة جبل ونشريس ثم إلى جبل راشد ومنه إلى سجلماسة ومعه ونزمار "حيث ارتحل معه بالناجعة من قومه" (*العبر*، 7: 594)، بينما عاد أمير بني زيان بالغنائم التي جمعها من معسكر أبي الحسن إلى تلمسان فدخلها في مفتتح شوال 751 (*بغية الرواد*، ص. 244).

ـ رحب أهل سجلماسة بالسلطان أبي الحسن غير أن ابنه أبا عنان جهز نحوه جيشا لا طاقة له به، "فأجفل عنه ونزمار وليه في قومه سويد بعدما هدد أبو عنان أباه عريف بن يحيى وأخاه عنتر، فآثر ونزمار رضى أبيه فلحق بالزاب" إلى أن انضم إلى أبي عنان فيما بعد (*العبر*، 7 : 594).

ـ عاد عريف بن يحيى إلى المغرب في الفترة بين حادثة القيروان والحادثة البحرية لأسباب لانعرفها واكتفى ابن خلدون بقوله إنه كره المقام في إفريقية، ويظهر أن الأسباب تتعلق بتوزيع المواقف بينه وبين ابنه موازاة مع توزيع الوضع السياسي بين أبي الحسن وابنه أبي عنان ضمانا لمستقبل وضع قبيلة سويد، فبينما كان عريف في المغرب قريبا من أبي عنان، كان ابنه في إفريقية ثم المغرب الأوسط يجمع الأنصار حول أبي الحسن خاصة في منطقة الجزائر، ثم رأيناه يشارك معه في معركة شلف، ويتحرك معه إلى سجلماسة، إلى أن يئس من انتصار أبي الحسن، فانسحب نحو الشرق بدعوى أنه لا يريد مخالفة موقف والده المهدد من أبي عنان ؛ وتغير الموقف بعد موت أبي الحسن سنة 752 وصفا الجو لأبي عنان، حيث جدد ونزمار ارتباطه به وهو في المغرب الأوسط يستكمل فتحه.

ـ وبعد فرار الأمير أبي ثابت قائد جيش تلمسان شرقا، تتبع فلوله السويديون بزعامة ونزمار وبعض أنصار المرينيين وهزموا بني عبد الواد في أحواز الجزائر، وبعد أن تم القبض على زعيمهم من طرف أمير بجاية الحفصي سلمه لونزمار الذي جاء به إلى أبي عنان فقتله (*بغية الرواد*، 1 : 246 ـ 247 ؛ *العبر*، 7 : 599 ـ 600).

ـ بعد موت أبي عنان استقر ونزمار بقومه في منطقة أگرسيف واتخذ هذه المدينة مكانا له، وكان موقفه الداعم

للدولة المرينية يجعله عرضة لهجمات بني زيان كلما أمكنتهم الفرصة خاصة وأنهم يشعرون بتضييق هذه العصبية عليهم من الغرب ومن الشرق، فقد كانت منطقة حوض شلف وما شرقها حيث عصبية سويد وأحلافها بما فيها مدينة الجزائر تحافظ على ارتباطها بالمرينيين وتستنجد بهم ضد بني زيان مما جعل أمير هؤلاء يشن سنة 770 حملة خربت جهاتهم وخاصة "قلعة ابن سلامة بما كانت أحسن أوطانهم" والقبض على زعيمهم هناك محمد بن عريف، فالتجأ أخوه الأكبر أبو بكر (وهو أصغر من ونزمار) إلى المغرب ببني مالك أجمعهم من أحياء سويد والديالم والعطاف واستقروا ببسائط ملوية طالبين الغوث من السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز بواسطة ونزمار، (وكان السلطان أبو فارس اكتشف مراسلات بين عامر الهنتاتي الثائر بمنطقة مراكش وبني زيان)، فوجه حملة كان طليعتها سويد بقيادة ونزمار انتهت بإعادة فتح تلمسان أول سنة 772 فبقي بها السلطان المريني إلى وفاته سنة 774 (*العبر*، 7 : 274 ـ 275 ـ 7 : 682).

ـ خلال انشغال السلطان أبي العباس أحمد المريني بحصار مراكش حيث الأمير عبد الرحمن هاجم أبو حمو صاحب تلمسان الثغور الشرقية حتى تازة، فحرك الشيخ ونزمار عرب الأحلاف المعقليين معه لدعم الوزير المستخلف على فاس علي بن مهدي العسكري، فلما تمكن السلطان من فتح مراكش تراجع الزياني نحو تلمسان بعد أن خرب قصر مرادة الذي ابتناه ونزمار في نواحي بطوية، ثم تحرك السلطان نحو تلمسان ومعه ونزمار مع قومه سويد ففتح تلمسان 785، وهذا ما دفع ابن الأحمر لتوجيه أمير مريني منافس تمكن من دخول فاس في غياب أبي العباس وهو موسى بن أبي عنان (*العبر*، 7 : 727).

أما بالنسبة لتلمسان فقد استعاد السلطان أبو العباس فتحها سنة 791 مدعما لابن أميرها الثائر على أبيه فنصبه في الإمارة مبايعا للسلطان المريني (العبر، 7 : 757 ـ 758)، واستمرت تبعية تلمسان بشكل مباشر أو غير مباشر حتى نهاية العقد الأول من القرن اللاحق (9) على الأقل أي إلى حين انهيار الوضع المريني الذي أدى إلى سقوط سبتة وبداية الضغط الأجنبي على السواحل المغربية.

* الدور السياسي لونزمار :

وصفه ابن مرزوق بـ "الشيخ الفاضل الأصيل الماجد الذي خلف والده وأحيى طريقته .. كان إذا قدم [على مجلس السلطان] يخلي له والده العشيات، فيقوم مقامه، ويجري حسن الوساطة وجميل الطريقة على ما عهد من أبيه بل زاد سراوة ومكارم، وله في الخدمة المرضية الأعمال التي لا تداني والفعلات التي قصر عنها كثير من فضلاء الأوائل" (*المسند*، ص. 246) ؛ وصفه ابن الخطيب عندما دعاه وقومه ـ باسم سلطانه ـ إلى الجهاد في الأندلس بـ "الشيخ الأمير الزاهد الصالح" (*نفاضة*).

سار ونزمار بعد وفاة أبيه على سيرته مع السلطان أبي عنان مدعما له في حركاته ومناهضا لخصومه إلى أن توفي هذا آخر سنة 759، ووقع انقسام داخل البيت المريني الحاكم واستبد الوزراء على السلاطين فانصرف ونزمار مؤقتا إلى المغرب الأوسط بعد أن حاول أمير تلمسان استمالته وتغيير موقفه من قبائل سويد في المغرب الأوسط المعادية بشكل شبه دائم لأمير تلمسان، فأقطعه قلعة ابن سلامة وجباية المنطقة حولها "فأصبحت بطون توجين كلها خولا لسويد وعبيدا لجبايتهم ..." (*العبر*، 7 : 282 ـ 283).

غير أن ونزمار لم يلبث أن ارتبط بالسلطة المرينية فكان خير ناصح وأحسن وسيط في المهام التوفيقية والسياسية الناجحة التي تخدم غالبا السلطة المركزية وتحث على تجنب العصيان، خاصة في فترة ضعف السلطة المركزية، وقد اكتسب الكثير من خصال أبيه في هذا الباب، فمن مواقفه الحسنة :

ـ أنه ساهم خلال سنة 763 في تقليل التوتر بين السلطة المركزية بفاس وكل من أبي ثابت عامر شيخ هنتاتة المدعم لأحد الأمراء المرينيين بمراكش، وكذا أبناء الأمير عبد الحليم (ابن عمر المعروف بصاحب سجلماسة الذي تمرد بها على أبيه أبي سعيد ثم على أخيه أبي الحسن)، فحاول أبناء عبد الحليم مزاحمة سلطان فاس فيما قرب منها كتازة ومكناسة مدعمين من طرف أمير تلمسان. (*نفاضة*، 3 : 69 ـ 70 ؛ *الغرب الإسلامي* ـ دراسة تاريخية، ص. 189 ـ 191) (مرقونة).

ـ ثم توسط ونزمار بين الوزير عمر بن عبد الله والأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ـ من أحفاد عمر صاحب سجلماسة المذكور ـ المتمرد بمنطقة دبدو طالبا الاستعانة بقبائلها، وإقناعه مع وزيره ابن ماساي المحرض له على التمرد بتخليهما عن الفتنة وتوجههما للجهاد بالأندلس، فانتقلا إليها في أول سنة 767 (*العبر*، 668 ـ 669 ؛ *الغرب الإسلامي*، ص. 192 ـ 193، دراسة تاريخية، مرقونة).

ـ وفي سنة 776 بعد استقرار السلطان أبي العباس أحمد بفاس أراد التقرب إلى سلطان غرناطة الذي ساعده على تولي العرش فأغرى وزيره محمد بن عثمان على قتل ابن الخطيب في معتقله بفاس، ثم وجه الشيخ ونزمار مع الوزير المذكور رسولين عنه إلى ابن الأحمر سنة 778 (*العبر*، 7 : 711).

وعندما تمرد الوزير المخلوع أبو بكر بن غازي سنة 779 مدعما من أمير تلمسان وعرب الأحلاف المعقليين حتى وصل إلى تازة، ثم تراجع أمام جيش السلطان، تدخل ونزمار لإقناعه بالتوقف عن التمرد، فاستجاب لنصيحته (*العبر*، 7 : 712 ـ 713).

وخلال إبعاد السلطان أبي العباس إلى الأندلس بعد الانقلاب عليه، ثم حدوث انقلاب آخر ضد الوزير محمد بن عثمان وسلطانه، حاول هذا الوزير اللجوء إلى ونزمار لحمايته، فرفض تجنبا لإثارة المشاكل مع سلطان فاس الجديد

وحفاظا على الوحدة كما نجده يحرص عليها عادة (*العبر*، 7: 733).

ـ ولما أعيد أبو العباس إلى السلطنة وجد في ونزمار خير معين في المهام التوفيقية رغم أنه دعم أبا العباس في حركته هذه نحو فاس ـ من ذلك أنه توسط بين أبي العباس المذكور وهو محاصر للبلد الجديد وبين الوزير مسعود بن ماساي المتحصن داخله، فحصل على الأمان من السلطان أبي العباس بواسطته وسلم البلد الجديد (رمضان 789).

توفي ونزمار بعد سنة 789 / 1387.

م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، الجزائر، 1981؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، الدار البيضاء، 1989 ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد*، الجزائر، 1980 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1956، ج.6.

أحمد عزاوي

السوير (أد نوفاس) موقع أثري يعود للقرن الثاني الميلادي عُثر به على آثار رومانية وذلك في الضفة اليسرى لوادي الخروب، في بلاد بني عروس، على بعد 41 كلم من مدينة طنجة.

إن تطابق المسافات والأهمية الزراعية لهذه المنطقة الآهلة بالسكان منذ القديم تجعل من المنطقي أن نوطن المحطة الرومانية "Ad Novas" بهده النقطة والتي من الممكن أن تكون محطة وسطى بين طنجة والقصر الكبير (أو بيدوم نوڤوم).

M. Euzennat, *Les voies romaines du Maroc dans l'itinéraire d'Antonin, Mélanges A. Grenier*, II, p. 602 - 603 ; Ch. Tissot, *Géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, p. 299-300 ; T. Garcia Figueras, *La ignognita del valle del jarub : las ruinas romanas de suiar, I, Congreso arqueologico del Marruecos Español*, Tetouan, 1953, p. 331-335.

عبد العزيز بلقايدة

سويسرا والمغرب. أو الاتحاد التعاهدي السويسري La Confédération hélvétique جمهورية اتحادية تأسست في القرن الثالث عشر سنة 1291 وتكونت بالتدريج إلى أن أصبحت تتألف من ثلاث وعشرين مقاطعة أو محافظة Canton لكل واحدة منها استقلالها الذاتي. يحدد الدستور الفدرالي واجبات وصلاحيات الاتحاد بينما يترك للمقاطعات السيطرة التامة على أهم الشؤون، ويحقق بذلك أسلوباً فريداً من الديمقراطية المباشرة. يرتكز الدستور السويسري على ثلاثة مبادئ أساسية : المبدأ الديمقراطي حيث يعتبر الشعب صاحب السلطة العليا، والمبدأ الاتحادي ويكرس الدولة الكونفيدرالية التي تتمتع بصلاحيات خارجة عن صلاحيات المقاطعات، والمبدأ الليبيرالي الذي يضمن حقوق الفرد وحرياته.

يتجسم النظام السياسي السويسري في مجلسين منتخبين : الجمعية الاتحادية (بمثابة مجلس النواب) ومجلس الدولة (بمثابة مجلس الشيوخ) ومن مجلس الاتحاد (الحكومة) ؛ ينتخب رئيس الدولة من بين أعضائه بصفة دورية لمدة سنة واحدة. ومن الخصائص الهامة للنظام السياسي السويسري ممارسته للديمقراطية مباشرة. فالمواطن السويسري يحق له التدخل في شؤون الدولة مباشرة حيث تخضع القوانين والقرارات الاتحادية ذات الأهمية العامة للتصويت الشعبي La votation والاستفتاء، Le référendum لتعديل الدستور حسب شروط معينة.

يعتبر الحياد ركيزة للسياسة الخارجية السويسرية منذ القرن السابع عشر، فلم تشارك في الحربين العالميتين ولم تنضم لهيئة الأمم المتحدة وإن كانت تعتبر عضواً مراقباً فيها. ويحتضن كانطون جنيف المكتب الأوروبي للمنظمة العالمية وأغلب اللجان المختصة التابعة لها وتنعقد بها المؤتمرات الدولية التي تمس الحاجة إليها وكثيراً ما يقع الاختيار عليها.

هذه المواصفات أهلت سويسرا لاحتلال مركز خاص في السياسة الدولية، وجعلت الدول تكثف تمثيلها على الصعيدين الثنائي والدولي.

وقد سارع المغرب منذ الاستقلال في أواخر سنة 1955 إلى اعتماد سفارة بعاصمة الكونفيديرالية السويسرية وتبادل التمثيل الدبلوماسي معها، وتعيين سفارة في أوائل الستينيات بالمكتب الأوروبي لهيئة الأمم المتحدة. وكلتا السفارتين تعتبران من الأهمية بمكان بارز، كما يعتبر المغاربة الذين تعاقبوا عليهما من المقام الرفيع وعياً من المسؤولين بأهمية سويسرا في حد ذاتها وكمركز مراقبة هام من الوجهتين السياسية والدبلوماسية.

يضاف إلى هذا وذاك أن جنيف تتوفر على تمثيل لجامعة الدول العربية ومكتب إعلامي تابع له. ولما طلب من الحكومة المغربية أن تسهم بأحد سفرائها في التمثيل الخارجي للجامعة عينت أحد المواطنين مندوباً دائماً ورئيساً لمكتب الجامعة في جينف. وكان ذلك في أواخر الستينيات، وقد أدى المكتب خدمة متميزة في حرب الستة أيام بوجه خاص (يونيو 1967).

ومما يجدر التذكير به أن سويسرا وجنيف بالأخص لعبت دوراً إعلامياً متميزاً بالنسبة للعرب بعد الحرب العالمية الأولى 1914 ـ 1918 وفي عهد عصبة الأمم، وكذلك أثناء النضال المغربي والأزمة الفرنسية ـ المغربية (1930 ـ 1944) ويطول الحديث عن هذه الفترة وعن النضال الذي قام به القادة العرب دفاعاً عن حرية بلادهم. من بين هؤلاء الشيخ محمد عبده، مصطفى كامل، محمد فريد، رياض الصلح، جميل مردم، إحسان الجابري، خير الدين الزركلي، محمد باش حامبا، وبالأخص شكيب أرسلان. كلهم استقروا بسويسرا بعض الوقت لمكافحة الاستعمار الذي كان في أوج طغيانه بعد إبرام معاهدة سايس ـ بيكو الفرنسية الانجليزية عام 1916 ووعد بلفور 1914. ومن بين العديد من الاصدارات التي نشرها أولئك المهاجرون *مجلة* مغرب، الجزائر، تونس،

المغـــرب، طرابلس" "Algéric, Tunisic. Maroc, Tripoli" التي كان يصدرها محمد باش حامبا التركي الأصل التونسي مقراً وكفاحاً.

لكن أمير البيان شكيب أرسلان هو الذي كان له الفضل الكبير في الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي والانجليزي في المشرق والمغرب حيث اتخذ جنيف مركز عصبة الأمم مقراً له وأصدر صحيفة *الأمة العربية* التي أصبحت لسان حال الحركات التحريرية في الثلاثينيات وخلفت "مجلة مغرب" الآنفة الذكر ومجلة "La tribune d'Orient" منبر الشرق" التي كان يصدرها علي الغاياتي المصري. كانت *الأمة العربية* لسان حال الوفد السوري ـ الفلسطيني لدى عصبة الأمم في الأصل، لكن الأمير شكيب أرسلان سخرها في سبيل تحرير العالم العربي كافة وخص صفحات كثيرة منها في الدفاع عن المغرب بعد ما اتصل بقادة الحركة الوطنية، إذ ذاك الحاج أحمد بلافريج، الزعيم علال الفاسي، الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني، الأستاذ محمد الفاسي وكان يعتبرهم من أبنائه الروحيين. وقد أبلى الأمير شكيب أرسلان البلاء الحسن في سبيل الدفاع عن القضية المغربية إلى أن وافاه الأجل.

خير الدين الزركلي، *الأعلام*، بيروت، 19 ؛ مختار الوكيل، جنيف *والسياسة الدولية* ؛ روجي باسكيي، *سويسرا بين يديك* ؛ أنطوان فلوري، *الحركة القومية في جونيف* ؛ ق. الزهيري، جنيف *والعالم العربي*.

قاسم الزهيري

السويسن، آلة موسيقية من ذوات الأوتار، وهو أصغر أنواع الفرخ بعد آلتي الهجهوج والكنبري.

يستخدم هذه الآلة أصحاب طرب الملحون، ويطلقون عليها، أحيانا السويسدي أو الفريخ.

والسويسن عبارة عن قطعة من خشب على شكل إحاطة يحفر جزؤها الأسفل في وسطه، فتصبح على شكل الرباب، ثم تلف بقطعة من الجلد وعلى وجه الجلد يوضع وتران ممتدان من الحمّار إلى أعلى العنق، وهما مشدودان على نغمتي الرمل (صول) والذيل (ضو).

ويتم العزف على السويسن بواسطة مضراب كالريشة يمسك بالسبابة والابهام، وهو ما يعرف بالسطعة.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

السويسي، أسرة رباطية عريقة يقال إن أصلها من الساقية الحمراء، برز فيها عدة شخصيات خلال القرن الثالث عشر (19 م) على الخصوص وابتداءً من عهد السلطان مولاي سليمان. وإليهم ينسب الحي الأرستوقراطي بضاحية مدينة الرباط.

السويسي، أحمد، تولى عمالة الرباط سنة 1318 / 1900. وعندما احتل الجيش الفرنسي مدينة الدار البيضاء ظهر رد فعل سكان الرباط ـ كغيرهم من المغاربة ـ الذين أرادوا تفجير غضبهم ضد الأوربيين القاطنين بالمدينة مما جعل هؤلاء يخافون على أنفسهم ويحتمون بالقائد أحمد السويسي، ونظراً لوجوده في موقع المسؤولية لم يجد بدا من حماية هؤلاء الأوربيين الذين أقام أمام أبواب دورهم الحراس.

قتل أحمد السويسي في المعركة التي جرت بين السلطان مولاي عبد العزيز وأخيه مولاي عبد الحفيظ سنة 1326 / 1908. وحمل إلى الرباط ودفن بمقابر سيدي الخطاب.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 289، ع. الإله الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 191.

Mission scientifique du Maroc, *Villes et Tribus du Maroc. Rabat et sa région*. V.1, p. 11.

السويسي، عبد السلام بن محمد الرباطي، ولي عمالة الرباط بعد والده المتوفى سنة 1855. وقد حقق أطول مدة في العمالة حيث عمل مع ثلاثة سلاطين وهم مولاي عبد الرحمن وسيدي محمد بن عبد الرحمان ومولاي الحسن. وكان السلطان الأخير يسند إليه النظر في تعيين الأمناء بالمراسي.

توجه سفيراً إلى مدريد عام 1294 ومعه العالم علي دينية ككاتب خاص له، بقي في العمالة مدة تقرب من ثلاثين سنة إلى أن توفي عام 1302 / 1885.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 210، ع. الإله الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 114.

السويسي، عبد الله ولد بالرباط حوالي سنة 1909، وبها درس وتعاطى في شبابه لتجارة الزرابي في شارع القناصل. وكان يستعين به بعض كبار تجار الزرابي ليقوم بالعمليات الحسابية التي تخص تجارتهم.

شارك في الحركة الوطنية وبعد الاستقلال التحق بوزارة الداخلية وعين قائداً بالمقاطعة الأولى بالرباط. ثم أصبح مديراً لديوان عامل الرباط. وفي سنة 1975 أحيل على التقاعد، وألف كتاب *تاريخ رباط الفتح* الذي نشر سنة 1979. اهتم فيه بتطور المدينة منذ تأسيسها وذكر مظاهرها الاجتماعية وعادات سكانها ومآثرها العمرانية وأشهر عائلاتها ورجالاتها. وجاء في تقديم ناشر الكتاب : "فقد اطلع المؤلف على كثير مما كتب عن الرباط وأفاد منه، ثم أضاف من معلوماته الخاصة الشيء الكثير مما عرفه كرباطي صميم من عادات اجتماعية تكاد تنقرض، ومعالم عمرانية تتغير أو توشك أن تختفي. وسجل بأمانة ما عاين في مسقط رأسه ـ كرجل سلطة ـ من تغييرات إدارية، وأنظمة مستحدثة، واحصاءات مدققة، فجاء كتابه هذا موفيا بغرض الافادة عن تاريخ رباط الفتح في القديم الحديث. وفي خزانته عدد من وثائق أسرة السويسي وهي عبارة عن ظهائر تعيين أجداده العمال ومراسلات مخزنية.

توفي يوم الثلاثاء 29 رمضان 1421 / 26 دجنبر 2000 ودفن بالرباط.

ع. الله السويسي نفسه، *تاريخ رباط الفتح*، الرباط، 1979 : *وثائق عائلية ومعرفة شخصية*.

السويسي، عبد النبي عينه السلطان مولاي عبد الحفيظ قائداً على الرباط بعد وفاة أخيه أحمد سابق الترجمة، غير أنه لم يستمر سوى سنة واحدة حيث انتهت مدة ولايته سنة 1327 / 1909، ليعوّض بشخص من أسرة أخرى هو الصديق برگاش الذي كان خليفة للعامل.

ع. الإله الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 141.

عبد الإله الفاسي

السويسي، علال بن التهامي بن القائد المحجوب. ولد بمكناس حوالي عام 1344 / 1925، ونشأ في بيئة موسيقية منذ طفولته، فأحب الموسيقى وولع بها، كان والده التهامي من حفاظ الملحون، يمارس العزف على الگنبري بمعية الفقيه المدرر الشيخ المحجوب الملقب بـ "بوگنيبر"، كما كان عمه الحاج عبد القادر وجده من والدته الحسين الغريسي من رواد الزاوية العلمية.

أخذ علال السويسي عن هؤلاء، كما تعلم العزف على العود، ثم استبدل به الكمنجة بتشجيع من شيخ الملحون بنعيسى الدراز، وأصبح منذ الأربعينيات متفرداً بالعزف على هذه الآلة بين أشياخ الملحون، وخاصة بعد وفاة أقطابها يومئذ بمكناس : محمد بن الحسن، وسيدي المدني بلكورة، وفتح دادة، ومحمد الرزيمة.

من رجال الملحون الذين عاشرهم السويسي في شبابه : عازفو الگنبري : الجيلالي التوروكي، والتهامي التوروگي، وبنعيسى الكدار، ومحمد الريفي. ومنهم الشيخ محمد الوانجلي المنشد وضارب الهندقة، ومحمد بن عمرو ضارب الطرّ والتعريجة، والمنشد عازف الكمان مَحمد الخياطي، والگراح المتميز الشيخ المحجوب الملقب "بوحمارة".

ويذكر السويسي أن عدد عازفي الكمنجة في أجواق الملحون كان قليلا، ثم تكاثر بعد الاستقلال، كما يذكر أن شيخ الملحون كان يستقبل في أبواب الدور بالزغاريد احتفاء به وتكريما له.

ومن شيخات الملحون بمكناس اللواتي عرفهن السويسي أيضاً : الشيخة الوشام، والشيخة بنت هاشم، والشيخة الإدريسية، وكن يستخدمن التعريجة في مصاحبة الإنشاد.

التحق السويسي منذ السبعينيات بجوق الحسين التولالي، فكان عمدته في العزف على الكمنجة، وشارك إلى جانبه في إنجاز الأشرطة التي سجلها بدار الإذاعة الوطنية أو في الاستوديوهات الخاصة، كما شارك في جل الرحلات والجولات الفنية التي قام بها داخل الوطن وخارجه.

توفي علال السويسي بمكناس يوم الاثنين 14 الثاني عام 1421 / 17 يوليوز 2000.

بطاقة شخصية من انجازي.

عبد العزيز بن عبد الجليل

السويسي، محمد الرباطي، ذكره الضعيف عندما حكى التمرد الذي قاده أهل الرباط والخرازون منهم على الخصوص على عاملهم الحاج عبد الرحمان عشعاش التطواني. وانضاف العوام وعدد من الأطفال إلى الخرازين وتبعوا العامل ورموه بالحجارة فاضطر السلطان مولاي سليمان إلى استبدال عشعاش بالحاج محمد السويسي سنة 1226 / 1811 الذي بقي في الخطة إلى 19 ربيع 1 عام 1229 / 11 مارس 1814.

الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري، ص. 392، الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 111.

السويسي، محمد بن القائد محمد ولي عمالة الرباط بعد أخيه عبد السلام وبقي عاملا أربع عشرة سنة من 1302 إلى 1317 / 1885 إلى 1899. عثر محمد بن علي دينية على رسالة كان وجهها له العالم عمر عاشور يعزيه بها في أخيه المتوفى ونعلم منها الاحترام والتقدير اللذين كانا يشملان القائدين المتوفى والجديد خصوصا وأن الرسالة هي خطاب عالم له وزنه الكبير. وقدم له فيها نصائح ووصايا دينية وأخلاقية لممارسة مهنته.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 210، ع. الاله الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 141.

السويسي، محمد بن محمد تولى عمالة الرباط قبل 1244 / 1829، وبقي فيها أكثر من 15 سنة إلى أن ثار عليه أهل الرباط وعزله أعيانها بزعامة محمد بن الطاهر الزبدي الذي حل محله سنة 1261 / 1845.

أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج 9، ص. 55، ع. الإله الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 114.

عبد الإله الفاسي

سويطونيوس بولينوس Caïus Suetonius Paulinus والمغرب القديم. هو قائد روماني شهير وصفته المصادر القديمة بالقائد النزيه الرزين المتزن. شارك في العديد من الحروب الإفريقية في العقد الرابع من القرن الأول للميلاد والحروب البيزنطية خلال العقد السادس من نفس القرن.

اعتقد الكثير من الباحثين خطأ أن روما كلفته ما بين سنتي 41 و44 م بمحاربة الزعيم الموري ايدمون الذي ثار في موريطانيا الغربية عقب اغتيال بطليموس ملك موريطانيا آنذاك، على غرار تكليفها خلفه هوزيديوس جيتا Hosidius

Geta بنفس المهمة. إلا أن دقة الأبحاث التاريخية التي اهتمت بوضعية المغرب القديم بعد اغتيال الملك بطليموس سنة 40 م أوضحت أن القادة الرومان الذين تصدوا لمحاربة إيدمون هم Marcus Valerius Severus وMarcus Licinius Crassus Frugi.

تقلد سويطونيوس في حياته السياسية والعسكرية عدة مناصب سامية، منها منصب بريتور Préteur حسب ديون كاسيوس ؛ ومنها منصب القنصل حسب ما أورده بليونس، وأكده تاكيتوس مضيفا أن ذلك كان سنة 66 م بمعية لوكيوس تليسينوس Luccius Telisinus ؛ ومنها كذلك أنه كان حاكما لولاية بريطانيا مدة ثلاث سنوات ما بين سنة 59 وسنة 61 م، وأنه استطاع خلال هذه المدة أن يسحق العديد من الثورات المحلية هناك.

تجمع العديد من الأبحاث واعتماداً على نصوص مصدرية لبلينوس الشيخ وديون كاسيوس أن سويطونيوس انطلق من غرب موريطانيا القيصرية إلى ما وراء الأطلس الكبير ليشن غارات ضد موريي شرق المغرب آنذاك سالكا طريقه عبر تلمسان وسبدو وعين بني مطهر وتندرارة وسهل تاملالت، وعين الشعير عند سفح شرق الأطلس الكبير، على امتداد ثلاثمائة كيلومتر بمعدل ثلاثين كيلومترا في اليوم وتعدى الأطلس الكبير بجيوشه بعد ذلك إلى وادي كير Ger بضواحي بوعنان وعين الشواطر، وربما دخل تافيلالت نفسها. والراجح أن كايوس سويطونيوس بولينوس كان في حملته هاته يحارب حلفا موريا يضم قبائل الباكواطيين والمكنيتيين برآسة زعيم ذكرته المصادر باسم Salabos سالابوس.

م. اللبار، *دور المغرب الشرقي في عرقلة الوجود الروماني في إفريقيا الشمالية*، مجلة جمعية *تاريخ المغرب*، العدد الأول، السنة الأولى، سلسلة جديدة، يونيو، 1993، ص. 24 ؛ *حول مقاومة المغرب للأهداف التوسعية الرومانية خلال منتصف القرن الأول للميلاد*، الأعمال المهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب، الرباط، 2000 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*، دوسلان، الجزائر، 1857، طبعة منقحة، باريز، 1956 ؛ إ. بوطالب، وبوغالب العطار، *سبتة ومليلية، تاريخ وواقع*، الدار البيضاء، 1981.

J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1948 ; F. De la Chappelle, *L'expédition de Suetonius Paulinus dans le sud est du Maroc, Hesp*, T. XIX, 1934 ; Dion Cassius, *Histoire romaine*, LX, 9, 1 - 6 ; Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, Livre V, 14 - 15 ; Tacite, *Les Annales*, Livres I - XVI ; *Vita Agricolae* ; Vivien De Saint Martin, *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine, Etude historique et géographique*, 1863 ; *Carte topographique du Maroc au 1/500.000, Feuille d'Oujda*, Paris, 1954 ; P. Ricard, *Maroc, les Guides Bleus*, Paris, 1948 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; *Index de topographie antique du Maroc*, Paris, 1938 ; C. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878.

محمد اللبار

السياحة بالمغرب، كانت تعتبر نشاطا ثانويا لا يساهم فيه سوى نخبة من الأثرياء، لكن بعد التحولات الاجتماعية والحضارية لمنتصف القرن العشرين، التي حولت الشعوب إلى مجتمعات استهلاكية، صارت في متناول كل شخص واكتست أهمية اقتصادية عالمية إذ صارت من أهم صادرات العالم وتحولت إلى سياحة جماهيرية، فعرفت أنضطتها توسعا مذهلا وتزايد أعداد السواح بوتائر عالية.

تحظى السياحة في المغرب اليوم بأهمية كبرى نظراً للدور الذي تلعبه في التنمية من خلال مساهمتها في التشغيل وإعداد المجال وتنشيط قطاعات اقتصادية كثيرة. وقد حققت تطوراً كبيراً بفضل مؤهلات المغرب الذي يتميز بتنوع تضاريسه ومناظره، فهناك السواحل الممتدة على طول 2.936 كلم تختلف إمكانياتها السياحية، فالسواحل المتوسطية : 512 كم يغلب عليها الأجراف والصخور لكن يوجد بينها سواحل رملية ضيقة تتميز بجماليتها ودفئها وهدوء مياه بحرها. وتتسع الشواطئ الرملية كثيراً على الساحل الأطلنتيكي 2.422 كلم لكنها تعرف عوائق كهبوب الرياح وبرودة المياه وقوة الموج ووجود سواحل صخرية أو أحزمة تلال رملية قديمة متصلبة أو حديثة متحركة يصل ارتفاع بعضها إلى 80 م كما نجد بالساحل بين العرائش وسلا وأحيانا أشرطة رملية واسعة يصل عرضها إلى 3 كم بين الصويرة ومصب واد تنسيفت. كما تنتشر بها الأجراف العالية خاصة بالجنوب، لكن هناك شواطئ محمية من هذه السلبيات أفضلها شواطئ أگادير والجديدة والصويرة المحمية بخلجان أو جزر، والسواحل المنخفضة المنحصرة بين المهدية والجديدة. لكن كل السواحل المغربية تتميز بكثرة الأيام المشمسة 210 - 270 يوما في السنة ولا تنزل حرارتها الدنيا عن 16 درجة وتظل مرتفعة في خليج أگادير مما يسمح بالسباحة طول السنة.

وهناك مجالات جبلية واسعة غنية بتنوع مناظرها، تتجاوز مساحتها 100.000 كم2 تضم 350 قمة + 3.000 م وثماني قمم تزيد عن 4.000 م تكثر بها أودية جبلية رطبة وشلالات وبحيرات طبيعية واصطناعية وغابات متنوعة الأشجار، تغطي قممها وهضيباتها العالية الثلوج عدة أشهر في السنة، توفر مجالات غنية لممارسة أنشطة سياحية ورياضية.

وتمثل المناظر الصحراوية بيئة فريدة من نوعها تجتذب بآفاقها الواسعة ومناظرها ودفئها ونوعية عمرانها هواة كثير من الأوروبيين وغيرهم. كما تقدم الطرق والمسالك الجبلية الوعرة والصحراوية بصعوباتها وأخطارها المثيرة نموذجا آخر لأنشطة سياحية ورياضية يتزايد محبوها باستمرار لتنظيم رحلات على دراجات نارية وسيارات متنوعة. كما أن الطريق الصحراوي سواء الداخلي أو الساحلي الرابط بين المغرب الشمالي وإفريقيا الغربية، يعد ببرامج سياحية رياضية مهمة

مستقبلا، وقد صار ميدانا مفضلا للرالي الشتوي : باريس ـ دكار.

يزخر المغرب بتراث حضاري عريق يتجلى غناه في النقوش الحجرية بالجبال ومآثر الحضارات الفينيقية والقرطاجية والرومانية، والتراث المغربي الإسلامي الذي يغني الكثير من المدن العريقة، أضيف إليه مخلفات فترة الحماية من مآثر ومنشآت عمرانية وثقافية واقتصادية عديدة. وهناك مظاهر حضارية أخرى تستهوي السيّاح تتجلى في تحف الصناعة التقليدية والفنون الشعبية وكثرة الأسواق الريفية والمواسم والمهرجانات السياحية وتنوع العادات والتقاليد التي تذكر البعض بجو ألف ليلة وليلة، بالإضافة إلى منشآت ترفيهية جديدة كملاعب الگولف والكازينوهات والمسابح وغابات الصيد السياحي...

ومع هذا يجب التحفظ من المؤهلات السياحية لأنها ليست هي العامل الأساسي في إنجاح المشروع إذ يرجع أساسا إلى العلاقات السياسية الدولية بين الدولة المستقبلة والدولة الباعثة للسياح، كما أن الاستقرار الاجتماعي والسياسي ووعي السكان يلعب دوره في جلب السياح وكذلك العلاقات التاريخية، واللغوية. كعلاقة الدول المستعمرة بمستعمراتها السابقة حيث خلفت أجيال مستعمريها السابقين بصماتهم العمرانية والاقتصادية والثقافية. لكن الذي يلعب الدور الحاسم هو خطط الشركات السياحية التي غالبا ما تكون تابعة لشركات النقل الجوي أو شركات فندقية فهي التي تخلق الجو السياحي وتروج له وتكيف أذواق السياح وتضطر الدولة المستقبلة لتلبية هذا الذوق وتكييف بنية الاستقبال والخدمات والترفيه لتستجيب له. فالمنتوج السياحي يدخل في الصادرات يستهلك من أجانب لكن يجب على المستهلك أن ينتقل إلى داخل البلد لاستهلاكه، ومن أمثلة ذلك ادعاء نادي البحر البحر الأبيض المتوسط خلق الإنتاج السياحي : أگادير، وجلب السياح للإقامة بمركبه هناك، غير أن الواقع يثبت أن أگادير استفادت كذلك في انطلاقتها من إسقاطات السياحة الأوروبية نحو جزر كناريا.

تنقسم السياحة من حيث المضمون إلى قسمين :

ـ سياحة دولية : تحظى باهتمام الدول النامية لأنها تجلب العملة الصعبة، تفترض وجود مناطق إرسال خارج المغرب تنطلق منها فئات لها من الدخل ما يمكنها من التجول خارج مجال استقرارها الأصلي. وتلعب الوضعية الجغرافية والاقتصادية دوراً في تحديد نوعية السياحة واختيار السياح، كقرب المغرب من أوروبا الغربية التي تكون أهم مصدر للسياح في العالم إذ يمكن للسائح أن يصل إليه عن طريق السيارة بالإضافة إلى الجو والبحر، وهنا تتجسد علاقات التبعية شمال ـ جنوب، فالتجهيزات السياحية الجديدة موجهة لخدمة الأجانب مقابل عملة صعبة يحتاجها المغرب لدفع تكاليف مشترياته من الخارج. فسياحة المغرب تدخل في إطار العلاقات بين المركز والهامش، فجل السياح يأتون من بلاد بعيدة مما يتطلب وسائل مهمة تكون غالبا بين أيدي شركات الدول الباعثة. فالمبادرة هي غالبا بيد شركات سياحية وطنية أو متعددة الجنسية، فالسائح يثق ويرتاح لشركته الوطنية وأحيانا يكون زبونا مخلصا لها كأعضاء نادي البحر المتوسط، ويصبح المشكل أكثر حدة كلما ابتعد البلد الباعث للسياح حيث تصبح المبادرة كليا بيد شركاته السياحية المهتمة بالإشهار وبيع التذاكر كما يحدث في دول اسكندفانيا وألمانيا. وهكذا يشكل المغرب في إطار السيحة الدولية منطقة استقبال بالدرجة الأولى، يساعد انخفاض أسعار الخدمات والفنادق والنقل وبالتالي رخص الرحلات على جلب زبناء معظمهم من الفئات المتوسطة والمتقاعدين والشبان غير النشيطين.

ورغم وقوعه بمنطقة سياحية عالمية، فإن له منافسين أقوياء يتوفرون على مؤهلات وبنية سياحية أفضل، مثل إسبانيا وإيطاليا واليونان ومصر وتونس. كما أن التيار السياحي المعاصر يتجه من بلدان متقدمة إلى بلدان متقدمة أخرى توفر للسائح ظروفا مادية أفضل وحرية أكبر مثل الولايات المتحدة بالنسبة لليابانيين والأوروبيين، وبحر الكرايب وجزر المحيط الهادي والهندي بل الصين وجنوب شرق آسيا وكذلك أوروبا الشرقية التي انفتحت مؤخراً وتحتاج إلى عملة صعبة، بحيث لا يحظى حوض البحرالمتوسط إلا بحوالي 5٪ من السياحة الدولية والمغرب 0.38٪ (1999) ويلاحظ أنه أضاع مرتبته السياحية الأولى على مستوى إفريقيا بعد 1988 لصالح مصر وتونس التي استقبلت 5 مليون سائح. إن نصيب السياحة بكل الدول النامية لا يتجاوز 10٪ من السياحة العالمية وغالبا ما يزورها السائح للوقوف على خصائصها الحضارية ومظاهر تخلفها مرة واحدة، كما يلاحظ أن الكثير من دول إفريقيا والشرق الأوسط تعرف وتائر نمو سياحي يبلغ 15٪ تفوق مثيلتها بالمغرب. ويعرف هذا النشاط من آن لأخر أزمات خطيرة تهدد بتوقفه لانعكاساتها السلبية مثل حرب الخليج 1990 ـ 1991 أو تدهور العلاقات مع إسبانيا أو فرنسا، ومؤخراً انعكاس أحداث 11 شتنبر 2001 بأمريكا، مما يؤدي إلى إلغاء كثير من الرحلات المبرمجة بالمغرب.

ويلاحظ أن سياحة المغرب بدأ يغلب عليها طابع سياحة البحر والشمس بعد أن كانت سابقا تتسم بطابع الجولات الاستكشافية والثقافية والاستجمام، فأغلبية السياح صاروا يأتون من نفس المجموعات الدولية والاجتماعية في إطار رحلات منظمة جماعية، لهم أهداف وتصرفات متشابهة فحوالي 76٪ منهم يطلبون ثلاثية S : الشمس والبحر والرمال 15٪ تجتذبهم المناطق الصحراوية و11٪ الجبال. فجل التجهيزات الجديدة تتجه للسواحل حتى المشاريع التى تنجز ضمن "قانون الإطار" الجديد لإنعاش السياحة المتفق عليه بين الحكومة المغربية والكونفدرالية العامة للمقاولات المغربية، ورفع قدرة الاستقبال بالمغرب سنة 2010 إلى 10

ملايين سائح، تركز على إعداد شواطئ جديدة وتوسيع المنشآت السياحية بالسواحل الجنوبية خاصة خليج أگادير بالسعيدية وخميس الساحل والحوزية والصويرة وتاغزوت وگلميم.

لم تكن الطاقة الإيوائية عند الاستقلال تتجاوز 200 فندق و7.300 سرير، وظل هذا العدد يتزايد إلى أن وصل إلى 461 فندقا مصنفا بطاقة 74.383 سريراً سنة 1980 وبلغ في 1 / 1 / 2000 : 568 فندقا مصنفا و39 إقامة سياحية و26 قرية سياحية طاقتها 93.383 سريراً منها 14،25٪ تعود لفنادق 5 نجوم و27،15٪ لفنادق 4 نجوم حيث يبيت 45٪ من الأوربيين و20،33٪ لفنادق 3 أنجم و9،25 لنفادق 2 أنجم و6,63٪ لفنادق نجمة واحدة. يضاف إلى هذا حوالي 20.000 سرير بفنادق غير مصنفة وعدد متزايد من المخيمات ومركبات الاستجمام ذات الطابع الاجتماعي تملكها مؤسسات عمومية وشبه عمومية والأندية الرياضية بالإضافة إلى الإقامات الثانوية الخاصة، كما تنتشر بالمناطق الجبلية مآو تابعة لهيآت رياضية وسياحية وغرف المبيت لدى السكان المحليين. وكان المسؤولون بالمغرب يعملون على رفع الطاقة الإيوائية إلى 100.000 سرير بالفنادق المصنفة سنة 1992 لكن ذلك لم يتحقق حتى في سنة 2000. ويتوقع "قانون الإطار" استثمار 30 مليار دهـ 70٪ منها بالسواحل وإضافة بناء 80.000 غرفة إلى غاية سنة 2010.

توزيع التجهيزات والمجالات السياحية :بعد أن كانت معظم المنشآت مركزة في مثلث طنجة إفران الجديدة، فإنها عرفت خلال العقود الأخيرة توزيعا تميز بالدفع بالسياحة نحو السواحل والجنوب، كما ظهرت مجالات سياحية جديدة كالواحات والمراكز الجبلية. وأصبحت أگادير هي قطب السياحة المغربية إذ ارتفعت طاقتها الإيوائية إلى 187. 21 سرير و76 فندقا، وظهرت بها فنادق كبيرة : 1.000 سرير، وتمثل اليوم حوالي 25٪ من الطاقة الإيوائية بالمغرب مقابل 6,8٪ سنة 1964 بعد أن عرفت انفجاراً سياحياً في عقدي السبعينيات والثمانينيات. ولهذا تعزز دور المنطقة الجنوبية الساحلية التي ستعرف أهمية أكبر بعد إنجاز مشاريع خليج أگادير حيث يتوقع إنشاء خمس وحدات سياحية على طول 100 كلم بين رأس گير ومصب واد ماسة، يساهم في هذا المشروع شركات أجنبية وأبناك ومنظمات تنموية عالمية. وهذا يعزز سياحة الإقامة الشاطئية، ومع ذلك مازالت أگادير بعيدة عن حيوية جزر كناريا التي يزورها سنويا 15 مليون سائح. كما بدأت تظهر مراكز أخرى بأقصى الجنوب مثل العيون : 8 فنادق و619 سرير وتارودانت 5 فنادق و745 سرير، وبهذا يكون نصيب جهة سوس ماسة درعة أو الجنوب الكبير الساحلي والداخلي 28.580 سرير تمثل 3،60٪.

كما عرفت المنطقة المتوسطية نمواً متوسطاً وتمديداً نحو الشرق إلى السعيدية وظهرت بها أقطاب جديدة كالحسيمة وواد لاو وبساحل تطوان، يتركز خاصة في طنجة : 7.050 سرير بـ 38 فندقا مصنفا، وتطوان 4.213 سرير و22 فندقا وبالحسيمة 2.146 سرير بـ 10 فنادق تعززت بنادي البحر المتوسط : 1.200 سرير تنتشر منشآته فوق 90 هكتاراً. وبهذا تكون الطاقة الإيوائية للشمال : العرائش طنجة الحسيمة 15,66٪. ويلاحظ أن إقبال الأجانب على الساحل المتوسطي يتزايد بوتيرة أقل مما في الجنوب رغم قربه من قطب سياحي دولي هو إسبانيا حيث يمكن الدخول معها في برامج للاستفادة من ثروتها السياحية. ويلاحظ أن طنجة فقدت الكثير من أهميتها كباب للمغرب السياحي بعد تراجع أعداد السياح القادمين على سياراتهم عبر المضيق إذ صار جلهم يحلون بمطارات المراكز التي اختاروها كأگادير ومراكش، إلا أن هذا الفراغ بدأ يسده السياح العرب والجزائريون والمغاربة المهاجرون خاصة العائدون إلى بلدهم على سياراتهم. وكذلك السياح الوطنيون القادمون من مختلف مدن المغرب مثل مراكش والدار البيضاء وفاس الذين يتزايدون بوتائر كبيرة للاصطياف وللاستفادة من تجارة الأسواق شبه الحرة بالشمال.

يلاحظ تقلص نسبي للسياحة الأجنبية بالشاطئ الأطلسي بين طنجة والصويرة، رغم محافظة المدن الكبيرة على بنية فندقية مهمة كالدارالبيضاء : 7.809 سرير بـ 50 فندقا والرباط 3.714 سرير في 25 فندقا والجديدة 648 سرير في 7 فنادق. لكن تعرف هذه المنطقة توسعا كبيراً للإقامات الخاصة والقرى السياحية ومخيمات رسمية أو تلقائية. وتضم منطقة الوسط الأطلسي ما بين القنيطرة والصويرة 17,43٪ من الطاقة الإيوائية تستأثر الدار البيضاء بـ 53,52٪ منها.

ومن المناطق التي عرفت نمواً سياحياً كبيراً منطقة الجنوب الداخلي خاصة مراكش : 18.007 سرير بـ 72 فندقا مصنفا ويوجد بها فندق اللوكس فوق التصنيف هو المامونية و8 فنادق من فئة 5 أنجم و15 من فئة 4 أنجم و15 فندقاً من فئة 3 أنجم. وتبلغ الطاقة الإيوائية بجهة مراكش تانسيفت الحوز 10.013 سرير أي 20,36٪. يلاحظ اتجاه عام نحو الفنادق الكبرى التي تتسع لمآت السياح خاصة بالمناطق التي تسودها سياحة الإقامة كأگادير والحسيمة أو سياحة المؤتمرات والأعمال كمراكش والدار البيضاء، فجل الفنادق الجديدة بأگادير تتسع لأكثر من 400 سائح لتستجيب للسياحة الجماعية إذ يجب أن يتسع الفندق لحمولة طائرة كبيرة على الأقل، فالفنادق تتجه نحو الضخامة، ففي 1964 كان معدل حجم الفنادق المصنفة 80 سريراً وارتفع إلى 131 سنة 1978 ثم وصل 164،40 سنة 1999. ويبلغ معدلها في أگادير 214،88 بعد إنشاء فنادق كبرى تتسع لأكثر من 1.000 سرير مثل "الموگار"، لكن مراكز سياحة العبور لا تزال فنادقها صغيرة.

ونظراً لموسمية هذا النشاط فإن معدل استهلاك الطاقة الإيوائية السنوية يبلغ 63٪ لكن الطلب يتميز بعدم المرونة إذ يتكدس في قمة الموسم مما يجعل الطاقة الإيوائية غير كافية.

ويلاحظ أن عدد الأسرة الحقيقي الموجه للسياحة خاصة الوطنية يفوق كثيراً هذا العدد بعدة أضعاف إذا ما أدخل في الاعتبار الفنادق غير المصنفة والمخيمات، والاقتناء المتزايد للإقامات الثانوية وكراء منازل وغرف بالأحياء الشعبية وتخصيص بعض الأحياء الجامعية وداخليات بعض المدارس العليا والمنشآت الخصوصية الموجهة لاصطياف العاملين بها.

ويلاحظ أن معظم التجهيزات السياحية مازالت ترتبط بالمدن وذلك على ثلاثة مستويات :

- اندماج المجال السياحي داخل المجال الحضري كما في بعض الأحياء بالدار البيضاء ومراكش وأگادير، مما يطرح منافسة بين المجالين السكني والسياحي، ويوجه جزءا من ميزانية البلدية لفائدة السياح.

- توطين المنشآت السياحية بضواحي المدن كما في طنجة وحي المشتى بمراكش لكنه يطرح مشاكل عند توسيع المدينة.

- استقرارها بعيداً عن المجال الحضري كما هو الحال في محطات الساحل المتوسطي بين مارتيل وسبتة ومنطقة النخيل بضفاف تانسيفت قرب مراكش أو بالأطلس الكبير. وهذا يطرح مشكل سكن عمال الفنادق، ويتسبب في استلاب الريفيين إذ تغري أجوره المرتفعة والسهلة نسبيا الشباب بترك العمل الزراعي، وسلب مساحات زراعية ومياه.

النقل السياحي :

يشمل الاهتمام بالسياحة جانبا آخر هو النقل وما يرتبط به من تأمين وحوادث ... فعلى المستوى الداخلي طور المغرب النقل البري بتوسيع شبكة الطرق السيارة وترصيف المزيد من الطرق وإصلاحها وكذلك النقل الحديدي والبحري والجوي، ويقدم قروضا وتشجيعات لاقتناء عربات النقل المريحة وتكوين شركات السيارات والجيبات 4 × 4 للقيام بجولات حضرية وريفية. وفيما يخص النقل البحري ازداد عدد البواخر التي تنقل الركاب والسيارات عبر المضيق من الخزيرات وموانئ جنوب إسبانيا وفرنسا إلى طنجة والناظور والدار البيضاء زيادة على سبتة وتستأثر بحوالي 50٪ من حركة عبور المضيق، كما بني عدد من موانئ اليخوت خاصة بالساحل المتوسطي بين مارتيل وسبتة. وحقق النقل الجوي أكبر تقدم وذلك بتوسيع المطارات وتجهيزها وتوسيع نشاط الخطوط الجوية الملكية التي تقوم بتكثيف الرحلات مع البلاد الموفدة للسياح، إلا أن الشركات العالمية تلعب دوراً مهماً في نقل السياح من بلدها إذ تمتلك وكالات الأسفار وفنادق وتنظم حملات الإشهار وبيع التذاكر.

في سنة 1999 تم دخول السياح الأجانب عبر الطرق التالية :

- الطريق البري 17,6٪ منها 16,1 من باب سبتة و0,3٪ من بني نصار قرب مليلية أما محطة زوج بغال قرب وجدة فقد تراجعت كثيراً بسبب إغلاق الحدود وسجلت مساهمتها 19٪ سنة 1989.

- الطريق الجوي : 46,8٪ منها 18،9 بمطار محمد الخامس بالدار البيضاء و11،5 بمطار مراكش المنارة و9،6 بمطار أگادير المسيرة و2,3 بمطار طنجة و0،8 بمطار الرباط سلا و0,5٪ بمطار فاس سايس. ويأتي حوالي نصف السياح إلى المغرب على طائرات شارطر مكتراة خصيصاً لرحلة جماعية.

الطريق البحري : 36,2٪ منها بطنجة و0,3٪ بالدار البيضاء. أما حركة سبتة فلا تدخل حاليا ضمن الإحصاءات المغربية.

نمو الحركة السياحية :

حقق تزايد السياح وتائر نمو كبيرة لكنها دون الطموحات الوطنية التي كانت تتوقع استقبال 10 مليون سائح سنة 2000. لقد تزايد عددهم بالفعل من 189.236 سنة 1962 إلى 2.350.895 سنة 1999 وإذا ما أضيف إليهم المهاجرون المغاربة وسياح الرحلات البحرية يصل العدد إلى 4.095.256. حقق تزايد السياح قفزة كبيرة خلال عقدي الستينيات والسبعينيات حيث تضاعف 11 مرة بين 1961 و1973 إلا أن هذه الزيادة ليست منتظمة إذ تتبع منحنى منشاريا، تتراجع في بعض السنوات بسبب أزمات سياسية أو اجتماعية أو خلاف مع شركات سياحية...

ولإعطاء السياحة دفعة قوية عقد في مطلع سنة 2001 مؤتمر بمراكش لدراسة مشاكلها وأبعادها وأصدرت السلطات المختصة "قانون إطار" جديد لإنعاش الاستثمارات السياحية أملا في استقبال 10 ملايين سائح سنة 2010.

تعرف بنية السياح تحولا نوعيا في السنوات الأخيرة إذ بدأت نسبة الأوروبيين تتراجع نسبيا وتتزايد نسبة سياح الدول العربية وأمريكا الشمالية وجنسيات أخرى، لكن مازالت أوروبا الغربية تعتبر أكبر باعث للسياح بنسبة 82,83٪. ومازال السياح الفرنسيون يحتلون المرتبة الأولى 1999 :

1 - الفرنسيون 811.805 سائح يمثلون 34,53٪ من المجموع.

2 - إسبانيون 255.333 سائح يمثلون 10,86٪.

3 - ألمانيون 228.620 سائح يمثلون 8,62٪.

4 - إنجليز 134.635 سائح يمثلون 5,72٪.

5 - بلجيكيون 88.443 سائح يمثلون 3.76٪.

6 - هولنديون 82.122 سائح يمثلون 3,49٪.

مازال السائح الفرنسي هو الزبون التقليدي، وقد عرف المغرب قبل عهد السياحة الجماهيرية، ويفسر ذلك بالعلاقات التاريخية وبثقل القرى السياحية والأندية الفرنسية مثل نادي البحر الأبيض المتوسط. وللسائح الفرنسي تصرفات خاصة فهو يمارس سياحة عبور وإقامة وسياحة ثقافية. ويعتبر أهم زبناء مراكش + 60٪ ولوحظ أن بعضهم تربطهم علاقات عاطفية بالمغرب كمولد بعض أفراد أسرهم خلال الحماية أو من اليهود المغاربة الذين استوطنوا فرنسا وغيرها ولبعضهم علاقات عائلية مع المغاربة كما يأتي بعضهم كرجال أعمال ومتعاونين. تبلغ عندهم نسبة إعادة زيارة المغرب أعلاها 40٪ سنة 1995.

يمثل السائح الألماني نموذج سياح شمال أوربا، تتزايد أعدادهم بنسب كبيرة يقومون بأسفار جماعية تهيمن عليها شركات قوية تفرض نموذجا هو سياحة الإقامة بالشواطئ، يعتبرون أهم زبناء أگادير، يتوزع قدومهم على طول السنة خاصة في الشتاء، يفضلون الابتعاد عن السكان إلى آفاق رحبة مشمسة.

برزت أهمية السياح الإسبان والإيطاليين في السنوات الأخيرة لتفتح بلدانهم على المغرب والعمل على تمتين العلاقات الاقتصادية معه، يغريهم انخفاض الأسعار النسبي، تجتذب الإسبان سياحة إقامة بالشمال ويصلون في تنقلاتهم جنوبا إلى الدار البيضاء بل مراكش وتوبكال إذ تعتبر نواديهم الجبلية من زبنائه الرسميين، كما يقبل الإيطاليون على زيارة العواصم التاريخية.

يتذبذب عدد السياح الأمريكيين الشماليين من سنة لأخرى وإن كان يعرف نسبة نمو لا بأس بها إذ بلغ عدد الأمريكيين 129.707 سائح والكنديين 30.686 سائح يأتي 90٪ منهم من أوربا، وسياحتهم ثقافية أكثر مما هي ترفيهية إذ يرغب الكثير منهم في وضع قدمه بإفريقيا.

أما السياح العرب فقد تراجع عددهم بسبب إغلاق الحدود الجزائرية فتراجع عدد الجزائريين من حوالي مليون سائح إلى 17.965. ويبلغ عدد سياح المغرب العربي الكبير 60.368 منهم 28.193 تونسيا و9.235 ليبيا. أما سياح الدول العربية بالشرق الأوسط فقد بلغ عددهم 69.648 منهم 32.891 سعوديا و12.277 مصريا و2.617 كويتيا. يأتي معظمهم لقضاء عطلات ترفيهية بالمدن الكبرى خاصة طنجة والدار البيضاء وأگادير حيث يجدون وسائل الترفيه والمتعة التي يفتقدونها في بلدانهم.

وقد أُبعد إحصاء المغاربة العاملين بالخارج ضمن السياح إذ يقيمون في منازل لدى عائلاتهم وليس بالفنادق. وسياح الرحلات البحرية الذين يتوقفون ببعض الموانئ فإنهم يحصون على حدة إذ يبيتون بيخوتهم وقد يقضون في المدينة الشاطئية بضع ساعات أو أيام لكنهم يتبضعون منها، بلغ عددهم 271.274. ولتشجيع هذا النشاط أنشأ المغرب عدداً من الموانئ الترفيهية لهؤلاء السياح بطنجة وتمارة وأگادير، لكن أهمها يوجد بالساحل المتوسطي بجنوب سبتة. ويلاحظ أن 80٪ من السياح رجال نصفهم من الأطر الإدارية العليا والمتوسطة والربع من ذوي المهن الحرة. 70٪ منهم متوسطو الاعمار 40 سنة و10٪ شيوخ (دراسة لوزارة السياحة 1995).

لقد أنجز كل هؤلاء السياح 13.063.800 مبيتة سنة 1999 بزيادة 9٪ عن سنة 1998 منها 35.73٪ بمنطقة الجنوب الساحلي و27.47٪ بالمنطقة الجنوبية الوسطى حيث مراكش و14.48٪ بالمنطقة الوسطى حيث الدار البيضاء والرباط و7.85٪ بالمنطقة الوسطى الشمالية، و8.84٪ بالساحل المتوسطي و4.09٪ بالجنوب الصحراوي الكبير. ويقدر معدل إقامة السائح في المغرب بـ 5.55 أيام سنة 1986 (بمراكش 3.1 أيام وبأگادير 8.3). وهي تتجه نحو تمديد أكبر إذ بلغت 11 يوما سنة 1995. ويلاحظ أن القسم الأكبر من السياح يزور المغرب بين مارس وشتنبر لكن بالنسبة للجنوب: أگادير مراكش ورزازات، تتم أغلب الزيارات في الشتاء والربيع بين أكتوبر وماي وهذا ما يدل على أن الشمس والشاطئ هما اللذان يجتذبان السياح.

وأما السياحة الجبلية فتحظى بجاذبية خاصة إذ تبدو الجبال المغربية بغاباتها ووديانها وقممها المكللة بالثلوج كجزر من الخضرة والرطوبة بين سهول شبه جافة، اشتهرت منذ القديم بجاذبية صيفها بطقسه المعتدل ومياهه الباردة. لذا كانت تجتذب الزوار دائماً للاستجمام والنزهة، كما تجتذب أسواقها ومواسمها أعداداً من الزوار، لكن شتاءها كان فصلا عبوسا تشتد فيه البرودة، وكان ارتياد الجبال عملية صعبة بالنسبة للحضريين. لكن التطور الحديث وانفتاح المناطق الجبلية لمختلف التيارات والمواصلات الحديثة وتطلع الإنسان إلى آفاق جديدة للاستطلاع والترفيه وتعميم الذوق الاستهلاكي الذي جعل من المجالات الواسعة والفارغة ومن البرودة والمنحدرات الصعبة والغابات والوديان والقمم العالية والثلوج النقية التي تعد من النفائس في بلد إفريقي مجاور للصحراء، عنصراً ثمينا للسياحة والرياضات الجبلية خاصة وأن معظم المساحات بقيت مجالا للحياة الطبيعية. ذلك أن تدخل القرويين لإعداد المجالات الفلاحية ظل مقتصراً على مساحات ضئيلة بقعور الأودية والسفوح الدنيا وبعض المراعي. ولما كانت السياحة الجبلية مرتبطة أساسا بالجغرافية فإن المميزات التضاريسية منحتها إمكانيات سياحية ورياضية مهمة، أدرك الأوروبيون الوافدون على المغرب منذ بداية عهد الحماية أهميتها، فمناظر القمم والأودية والغابات والإرث الحضاري الذي ينعكس على القرى والأسواق والملابس والعادات، اجتذب الباحثين والمستكشفين ثم السياح والرياضيين والمستثمرين، فاستثمروا أموالهم وخبراتهم لاستغلال المناجم والغابات وتكوين مزارع حديثة بالأودية والأحواض، وأنشأت السلطات العمومية مراكز إدارية وتجارية وفتحت الطرقات التي عبرت الأودية والفجاج للتنقل والاستطلاع والاستثمار، وأقام بعض الأجانب محطات استراحة على الطرق تطور بعضها إلى مراكز اصطياف واستجمام مثل أسني ووبرگان... كما عمل المسؤولون على إنشاء مراكز عمرانية جديدة لاستقبال المصطافين وهواة الرياضة الجبلية مثل إفران وأنشأوا حولها عدداً من محطات التزحلق، كما أنشأوا محطة أوكايمدن للتزحلق، وبتوسع شبكة الطرق الوطنية تم ربط عدد من مدن الدير المشهورة مثل آزرو والحاجب وصفرو والقصيبة ودمنات بتيارات السياحة الحديثة. فظهرت بها فنادق ومنشآت سياحية متنوعة، وهكذا بدأت المجالات السياحية الجبلية تتوسع تدريجيا.

وبنمو مجالات السياحة والرياضات الجبلية تميزت بينها نماذج عديدة أهمها :

ـ مدن للاصطياف والاستجمام قديمة مثل آزرو وإموزار والقصيبة أو جديدة مثل إفران ومراكز وادي أوريكا، بنيت بها فنادق وإقامات متنوعة ومخيمات ومنازل للكراء.

ـ مراكز طرقية للاستراحة والتغذية خاصة بالطرق العابرة للفجاج وطرق الأودية.

ـ مجالات ريفية واسعة يتم التجول فيها بين القرى والغابات والجبال عبر طرق ومسالك والمبيت بمآو للقرويين غالبا أو مخيمات خفيفة، وغالبا ما تتم الجولات هنا في إطار منظمات متخصصة.

ـ مجالات جبلية فارغة من السكان تتناول القمم والأودية العليا ينجز رحلاتها هواة صعود القمم والتسلق التقني وتزحلق الأعماق بالسفوح غير المجهزة.

ـ محطة التزحلق المجهزة مثل أوكايمدن وميشليفن تربطها طرق جيدة بالمدن الكبرى الباعثة لهواتها من الأسر والأطفال والشباب وممارسي رياضة التزحلق.

ـ محطة البحيرات الاصطناعية والطبيعية لممارسة الرياضات المرتبطة بالمياه : سباحة، قوارب، صيد، وغالبا ما يبيت هواتها بخيامهم الخاصة يقيمونها بمخيمات منظمة أو عشوائية.

وهناك مجالات جبلية احتياطية تتميز بأصالتها وجمالها لكن الإقبال عليها مازال ضعيفا فهي تنتظر دورها عندما تكتظ المجالات السابقة، ذلك أن السياحة الجبلية والبيئية تنفر من الازدحام والتلوث، فمادامت تبحث دوما عن المجالات الطبيعية النقية فإنها متوفرة بمناطق عديدة بالمغرب، مثل كتلة العياشي بالأطلس الكبير الشرقي حيث تبرز قمة جبل العياشي المشرفة على مدينة ميدلت وعلى الحوض الأعلى لوادي ملوية، والريف الأوسط حيث تغطي سلاسل منطقة واسعة تشمل كل شمال المغرب المشرف على البحر المتوسط شمالا كما تشرف على سهل الغرب بتلال مقدمة الريف.

وثائق متنوعة ودراسات قطاعية لوزارة السياحة، *أفكار حول السياحة المغربية* من الجرائد الوطنية خاصة *الاتحاد الإشتراكي والعلم والأحداث المغربية*، بحوث طلبة السنة الرابعة جغرافية حول السياحة، كلية الآداب، مراكش : أحمد هوزالي، *التحولات المجالية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي*، كلية الآداب، الرباط، 1987 ؛ وزارة التربية الوطنية، *الجغرافية للسنة الثانية ثانوي*، الدار البيضاء، 1989 ؛ وزارة التوقعات الاقتصادية والتخطيط، مديرية الإحصاء، *المغرب في أرقام، 1999*.

J. Dresch et J. Lepiny. *Guide alpin de la montagne marocaine : le massif du Toubkal.* Rabat. 1938 ; Ministère du Tourisme, *Randonnées pédestres dans le massif du Mgoun.* Idéal, Casablanca, 1989 ; *Villes et montagnes marocaines* (guide touristique), Rabat, 1964 ; M. Berriane, *L'espace touristique marocain*, D.E.S. Université de Tours, 1979 ; *Tourisme national et migration de loisirs au Maroc. Etude géographique*, Rabat, 1992 ; *Réflexions à propos du tourisme national*, *Lamalif*, n° 142, janvier 1983; R. Lanquar, *Le tourisme international. Paris* ; R. L. et Y. Raynourt, *Le tourisme social, Paris* ; *L'Atlas du Maroc : Tourisme international et espace touristique*, notice + carte.

أحمد هوزالي

السي المُوذّن، «الكاتب الفقيه، الأديب اللبيب النبيه، الحاذق الإخباري النسابة المؤرخ». بهذا حلاه القادري في *نشر المثاني*، ولم يستحضر اسمه قال : "جرى على ألسنة الناس تعيينه بنسبه". وأهله بنو الموذن من سجلماسة أصبحوا من أعيان قبائل حضور فاس وقدماء سكانها.

كان المترجم شاعراً ناثراً يحسن الانشاء والترسيل، بديع الخط سريع البديهة خفيف الروح ينشئ الكلام اللائق بالمجلس وياتي في الجواب بالعجب العجاب. أراد السلطان المولى الرشيد بن الشريف أن ينسخ كتبا لنفسه، فكان السي الموذن ممن استؤجر لكتابة بعضها، فاستحسن السلطان خطه فاتخذه كاتباً له وصار من جلسائه يُضحكه وينطق بين يديه بمالا يقدر أحد أن ينطق به أمامه، يستشيره السلطان في مهمات الأمور فإذا أشار عليه بأمر كانت عاقبته خيراً.

ولما توفي الرشيد خدم السي الموذن أخاه المولى إسماعيل وتمتع لديه بنفس الحظوة. وأورد القادري نماذج من الخدمات الدينية والسياسية والاجتماعية التي تمت في فاس أيام المولى الرشيد والمولى إسماعيل بواسطة السي الموذن الذي كان يشير على العاهلين بما تقتضيه المصلحة العامة في بعض الأحداث الداخلية بسبب اختلاطه بعامة الناس واطلاعه على الأحوال.

لم يذكر القادري تاريخ وفاة السي الموذن، بالضبط وإنما أورد ترجمته في خاتمة الكتاب ضمن الذين لم يقف على تعيين وفاتهم. ولعله توفي في أواخر عهد المولى إسماعيل حوالي سنة 1135 / 1723.

م. القادري، *نشر المثاني* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 6 : 2272 ـ 2274.

محمد حجي

سيباستيان، ضون Don Sebastian ملك البرتغال. ولد بلشبونة يوم 20 يناير 1554 بعد ثمانية عشر يوما من وفاة والده الأمير خوان Juan ابن الملك خوان الثالث Juan III فكان حفيده سيباستيان وارث عرشه الوحيد ؛ وحيث إنه لم يكن له من العمر آنذاك سوى ثلاث سنوات فقد تولت وصاية العرش جدته الملكة كاطالينا دي أوسطريا Catalina de Austria أرملة الملك خوان الثالث وابنة امبراطور قشتالة كارلوس الخامس Carlos V ثم تولى الوصاية على العرش البرتغالي سنة 1562 الأسقف إنريكي Enrique أخ الملك خوان الثالث وذلك إلى غاية يوم 20 يناير حيث بويع سيباستيان ملكا على البرتغال.

تقول المصادر البرتغالية إن سيباستيان تربى في وسط تهيمن عليه روح الكنيسة وبخاصة بعد أن تولى الأسقف إنريكي وصاية العرش ؛ هذا بالإضافة إلى أن الملك الشاب كان له ولوع كبير بمطالعة كتب التاريخ خصوصا منها الكتب المتعلقة بالفتوحات البرتغالية ؛ وكان الأسقف الملازم له

گاسپار ماوريشيو يوهمه بأن الله يريد منه أن يتابع الحرب المقدسة ضد "الكفار" ببلاد المغرب.

وكان سيباستيان يقارن بين ما كانت عليه بلاده من صولة بأرض المغرب حيث كانت تحتل عدة جيوب، وما آلت إليه في زمانه حيث لم تعد البرتغال تمتلك بالشواطئ المغربية سوى ثلاثة مراكز هي : سبتة وطنجة ومازاگان (البريجة) ؛ وحيث إن سيباستيان كان قد تربى وترعرع في جو مفعم بالعداء للإسلام والمسلمين، فقد اعتقد بأنه مطالب ليس فقط باسترجاع مكانة بلاده بأرض المغرب، بل عليه أن يستولي على المملكة المغربية برمتها.

وفي هذا الصدد تقول المصادر البرتغالية إنه منذ سنة 1570 أصبح سيباستيان يستعد لتنظيم حملة صليبية ضد المغرب لم يسبق لها مثيل في تاريخ الفتوحات البرتغالية، حيث "صار يعمل ويخطط بل ولا يعيش إلا من أجل تحقيق حلمه حيث إن فكرة الاستيلاء على المغرب لم تعد تفارقه لحظة واحدة".

وفي 24 غشت حل بسبتة للاطلاع على ما يجرى فيها وظل بها إلى يوم 30 يصطاد الخنزير بأرض أنجرة ؛ ثم توجه إلى طنجة فمكث بها إلى يوم 25 أكتوبر، يقوم يوميا بجولة تفقدية بضواحي المدينة.

ولما علم السلطان المتوكل بالاستعدادات التي كان يقوم بها عمه عبد المالك بالجزائر ؛ اقترح على ملك إسبانيا فيليبي الثاني إبرام حلف دفاعي بين المغرب وقشتالة ضد الأتراك العثمانين.

وفي يوم 28 يناير 1576 أجتمع مجلس الدولة القشتالية وقرر قبول اقتراح المتوكل وإخبار الملك سيباستيان به قصد انضمامه إلى الحلف المقترح ليكون حلفا ثلاثيا.

وكان لانتصار عبد الملك على المتوكل في معركة الركن ليوم 17 مارس 1576 واستيلائه على فاس حيث تمت مبايعته يوم 31 من نفس الشهر أثر كبير على كل من ملك قشتالة والبرتغال، وأعلن سيباستيان أنه يفضل الاستيلاء على العرائش.

لم يكن فيليبي الثاني يشاطر سيباستيان رأيه في غزو المغرب، وقام بعدة محاولات من أجل أن يقنعه بالتخلي عن ذلك دون جدوى.

وفي يوم 20 نوفمبر 1577 التجأ المتوكل إلى قصبة أسنادة بالريف لكي يكون بالقرب من جزيرة بادس المحتلة من طرف قشتالة ويمكنه اللجوء إليها عند الحاجة. وانتهت سنة 1577 ولا حديث للعامة والخاصة في البلدان الأوربية إلا على الحملة الصليبية التي يستعد لها الملك سيباستيان لغزو المغرب.

وفي يوم 14 يونيو ترأس سيباستيان القداس الذي أقيم بكاتدرائية لشبونة لتلاوة الصك البابوى الذي يبارك الحملة الصليبية ويغفر ذنوب جميع من يشارك فيها.

وفي نفس اليوم ركب سيباستيان السفينة الرئيسية لأسطول الحملة بميناء لشبونة وظل على متنها إلى يوم 25 حيث غادر الأسطول العاصمة البرتغالية وكان يتكون من ألف قطعة بين كبيرة وصغيرة ويرأسه الأميرال بيگو ذي صوثا.

حل سيباستيان بطنجة يوم 7 يوليوز وفي اليوم التالي استقبل المتوكل على ظهر سفينته، فكانت هذه المقابلة الأولى بين الرجلين، فلا صحة لما يؤكد بعض المؤرخين بأن المتوكل كان قد سبق له أن توجه من سبتة إلى لشبونة ؛ وفي يوم 11 يوليوز غادر سيباستيان ميناء طنجة متوجها إلى أصيلا صحبة المتوكل، وفي اجتماع الضباط الذي ترأسه سيباستيان بأصيلا يوم 20 يوليوز تم الاتفاق على احتلال القصر الكبير ثم العرائش لكن معركة وادي المخازن أو تامده Tamida جرت يوم الاثنين 30 جمادى الأولى 986 موافق 4 غشت 1578 وفيها لقي حتفه الملك سيباستيان والسلطان المتوكل المخلوع، وأما السلطان عبد المالك المعتصم فقد وافته المنية أيضا وقت المعركة على إثر مرض ألزمه الفراش.

م. ابن عزوز حكيم، *معلمة معركة وادي المخازن*، تحت الطبع وبها ببيليوغرافيا تحتوي على 605 مصدر ومرجع بجميع اللغات.

محمد ابن عزوز حكيم

السَّيبة، حالة عدم الخضوع للحاكم أو التمرد عليه في المغرب. تستعمل كلمة السيبة في عبارات مثل "بلاد السيبة" و"بلاد المخزن" أي البلاد التي لا تنالها أحكام السلطة المركزية (المخزن) والبلاد التي هي تحت مراقبة هذه السلطة. ويتذكر الناس أيام السيبة ويقصدون بها على الخصوص أيام ضعف سلطة الدولة مما جعل بعض القبائل تتحلل من سلطتها، وتجلى ذلك في عدم أداء الضرائب أو عدم الاستجابة لأنواع أخرى من المطالب والفروض أو حتى القيام بأنواع من أعمال الشغب تستهدف على الخصوص القواد والشيوخ المخزنيين. ولا يعني هذا أن القبائل السائبة تبقى

على حالة الفوضى، بل إنها في غالب الأحيان ما تنصب متولين لتسيير أمورها حسب أعرافها، وقد يكون حكمها بالتناوب بين مختارين من الأقسام التي تتكون منها القبيلة السائبة.

ما من شك أن أصل الكلمة في القاموس العربي حيث يعني السائب المهمل ففي معجم *مقاييس اللغة* لابن فارس : السائبة : "العبد يسيب أي يترك في غير ولاء، يضع ماله حيث يشاء". والسيبة باللسان العربي الدارج بالمغرب هي حالة ناس خرجوا من وضع الرعية المنقادين لأمير هو صاحب السلطة المخزنية المركزية.

وقع ترويج مبالغ فيه لكلمة سيبة في الكتابات الأوربية الواصفة لأحوال المغرب في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وكانت تعني على العموم الوضعية التي كانت توجد فيها عدة مناطق لم يكن فيها ممثلون مخزنيون يحصلون الجباية لبيت المال ويتولون استنهاض الحركات العسكرية وتنفيذ الأوامر المخزنية بصفة مباشرة. وهذا الغياب راجع إما لانقراض أولئك الممثلين وعدم تجديدهم على يد المخزن أو لانقطاعهم عن الاتصال بالمخزن استضعافا له ولقيام جماعة القبائل باستبدالهم بآخرين عندما يقدرون أن يد السلطة المركزية أضعف من أن تصل إليهم أو طمعا في اغتنام ولو فرصة قصيرة تتنفس فيها الجماعة الصعداء بعد ضغط قد يكون فيه شيوخ مخزنيون من بني جلدتها مستعملين فيه.

غير خاف أن ما يمكن أن نسميه بالحضور المخزني في مختلف مناطق البلاد، ولا سيما في البوادي النائية والجبال الوعرة، كان على امتداد التاريخ حضوراً غير متساو في كثافته ولاتام، وذلك بسبب طبيعة وسائل الدولة في استعمال الإكراه وهذا النقص ليس ظاهرة جديدة في القرن التاسع عشر، ذلك أن نفوذ الدولة كان دوما في تمدد وتقلص حسب عدد من العوامل كقوة شخصية السلطان ومدة حكمه، وظروف الرخاء أو الشدة السائدة في البلاد، وبحسب ما إذا كانت الدولة في بدايتها وعنفوانها أو في طور شيخوختها واضمحلالها، وبالنظر إلى ضغط مشاغلها الخارجية، وتعرضها للتقلبات المناخية أو الكوارث الطبيعية، وتبعا لحكمة الحاكم أو تهوره. وكيفما كان الحال فإن الدولة التي كان لها أكثر من مركز تاريخي واحد كانت تربطها بمختلف نواحي البلاد خيوط تدق كلما ابتعدنا على المركز في فترة من الفترات. ولطالما اضطرت إلى الاكتفاء بالولاء المعنوي من طرف عدد من القبائل أو بهدية موسمية رمزية تكون بمثابة اعتراف بنفوذها وسيادتها غير المنازعة سياسياً من حيث المبدإ. أما المجتمع، ولاسيما في البوادي فله بُناه السياسية المحلية ونظمه الشرعية والعرفية وتقاليده الاجتماعية، ينصب شيوخه أو يقترحهم على المخزن ويحتكم في كثير من نزاعاته إلى عرفائه أو فقهائه أو مرابطيه أو مجالس أعيانه، كما كان يكفل طلبته (مدرسيه) وأئمة مساجده. ومتى عين المخزن قاضياً في بادية واسعة فإنما يحتكم إليه من يريد أن يحتكم أو يستطيع الوصول إليه.

إن من بين ما يميز البنية السياسية للقبائل عن البنية المخزنية هو أن القبائل قد تختار شيوخها لمدة محدودة، مالم يستبد بعضهم، بينما كان المخزن يزكي بعض الأعيان المقترحين في القبائل أو المستبدين بها من الشيوخ فيعينهم عمالا. وإذا لم يتوفروا، ووصل نفوذ المخزن إلى القبائل البعيدة ولا سيما في الجبال، فقد يعين عليها، أشخاصا أجانب من خارجها يسمون حينئذ عمالا أو قواداً، فيكون عليهم أن يحاولوا أن ينتزعوا من المجالس العرفية للجماعات بعض سلطها في التحكيم والتقرير، لأنها في الغالب سلطات مثمرة. أما ما عدا هذا من الأنظمة والشؤون فقلما يتدخل فيه المخزن، لأن هذا الموقف يخفف من أعبائه ويتناسب مع طبيعته، إذ كان يحبّذ ترك الأمور تصرف على عوائدها حتى عندما تتوفر له وسائل التدخل. وما أن تضعف القوة المخزنية في المراكز حتى تنقلب القبائل على حكامها ولا سيما إذا كانوا قد تعسفوا مستنصرين بقوة الدولة، وحينئذ ترجع هذه القبائل إلى نظام الشيوخ المختارين المؤقتين أو نظام العرفاء المسمون في بعض جهات الجنوب بالنفاليس.

ولا شك أن النقطة الحساسة في هذا التمفصل هي الجباية والتسخيرات إذ أن القبائل لا ترفض المخزن مالم يطالبها بأموال وخدمات لاتطيقها، وهي قلما تطيق نظراً لضعف إنتاجها. وإذا اضطرت إلى الرفض فإن شرطة الدولة تخرج إليها في "حركات" قد ينتج عنها الاصطدام. أما إذا كان للمخزن جهاز أسس عاملا على إذلال الرقاب فإنه ما يزال يبتز الأموال ويعتصر الذمم إلى أن يقع الانفجار، وقد تكون وفاة سلطان هي الفرصة المواتية لهذا العصيان الذي يدخل القبائل في حالة "سيبة" فيعود بعضها بوعود السلطان الجديد إلى الطاعة أو يضطر إلى الخروج عنها، وهو ما يستغرق بعض الوقت.

غير أن مسألة الجباية وحدها لا يمكن أن تخفي وجود عناصر ثقافية ونفسية كامنة وراء هذا الصراع، عناصر لا يمكن للمؤرخ أن يتلمسها إلا من خلال نتف إشارات عارضة في الوثائق، ولكنها تنبئ عما كوّن على الدوام مدار التفاهم أو عدم التفاهم بين الحاكمين والمحكومين، بين القبائل على الخصوص وبين المخزن، ذلك أن نفور المحكومين الذي يؤدي إلى الحالة التي يحكم عليها المخزن والموالون له بحالة "السيبة" هو نوع من التعبير على الاعتراض لم يطرح بكيفية واقعية من طرف المنظرين لسلوك المخزن أي الذين يبررونه في جميع حالات العنف ومن هذا القبيل ما نجده من عبارات بعض الكتاب المخزنيين أو المؤرخين أو حتى الفقهاء من الحكم المطلق على القبائل بأنها بطبيعتها فاسدة على الدوام أو مجبولة على العصيان. وهكذا يطرح صراع تاريخي بصيغة الصلاح والفساد. وقد تشبع بهذا المنظور حملة ثقافة الخوف من الفتنة حتى ولو كانوا من صغار الطلبة الكتبة،

فالمنعوتون بالسيبة هم طرا جميع المخالفين على صاحب السلطة مهما كان وبقطع النظر عن الملابسات والدوافع والظروف.

وهكذا فكلمة السيبة لم ترد في المراسلات والوثائق المخزنية لأن استعمالها من باب استعمال تابوات يعد ترويجها إقراراً بواقعيتها. ولكن الكلمة حملت مع الأيام مضامين خوارجية ورفضية حتى إن السكان كانوا يستعملونها في حق أنفسهم فيقولون : "نكًا السيبت" أي نحن سائبة أو دخلنا حالة السائبة ولا يعنون بها سوى أنهم صاروا غير محكومين من طرف وال مخزني.

والحقيقة أن كلمة "السائبة" التي تقابل "الرعية" أي الذين لا حاكم عليهم لسبب من الأسباب قد وردت في كتابات الفقهاء النوازليين منذ أواخر العصر المريني. فإذا كان ابن خلدون لم يستعملها فإنه أقر الظاهرة وهو يتحدث في مقدمة تاريخه عن تدرج قوة الحكم في الضعف بقدر الابتعاد عن مركز الدولة. بيد أن الفقهاء المتخصصين قد طرحوا منذ هذا الوقت على الأقل مسألة الإشهاد ومسألة صحة العقود المترتبة عليها ومسألة الحيازة وصحتها في علاقة مع جهات البلاد التي لا تجري فيها الأحكام أي تلك التي ليس فيها ممثل مخزني، قاضياً كان أو عاملاً. وقد وردت كلمة "السياب" أي الذين هم في حالة "السيبة" خمس مرات في تاريخ الدولة السعدية التاگمادرتية" الذي ألفه مجهول في النصف الثاني من القرن السابع عشر لتعني الممتنعين عن الخضوع للسلطان أو العصاة أو المتآمرين أو الثوار وأطلقت حتى على المعتصمين داخل أسوار فاس عندما حاصرها محمد الشيخ السعدي. أما في القرن الثامن عشر فقد استعمل هذا المصطلح فقيه في فرقة كرول من قبيلة إينولتان التي مركزها دمنات اسمه محمد الكيكي (ت. 1185) حيث وضع فتوى تتعلق بحكم الحيازة بعنوان : "مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال"، وقد شرح معنى البلاد السائبة بأنها "البلاد التي تجري فيها الأحكام لشغورها عن الإمام أو لبدء الجور والإهمال في الحكام". ويظهر أن هذا هو التعريف الدقيق لحالة "السيبة" لا كما كان ينظر إليها الفقهاء فحسب بل كما يمكن للمؤرخ أن يستقصي طبيعتها ويوضح الظروف التي تؤدي إليها، فهي ثلاث حالات :

- حالة غياب ممثل للمخزن في حالة قصور المخزن عن تعيين هذا الممثل أو إقراره ؛

- حالة وجود حاكم ولكنه جائر، أي لا يمثل العدل السلطاني ؛

- حالة غياب ممثل للمخزن لأن القبيلة طردته أو استعصت عن قبوله، لتعسفه في غالب الأحيان.

ومنطق الفقيه المشار إليه ومن استند إليهم كيوسف بن عمر الأنفاسي (661 - 761) ومحمد بن إبراهيم التتاني المتوفى عام 942 يقتضي أن نتصور أن الوضع الطبيعي هو أن يكون الناس رعية يرعاهم نائب عن الأمير الشرعي ويقيم فيهم العدل حتى تكون كل عقودهم جارية في شروط صحة وهي شروط الحرية واستبعاد الإكراه وكل أنواع المفسدة المخلة. أما مجالس الجماعات فحتى لو "عدلت" فلا عبرة بها لأنها إنما تحكم بالأعراف، بينما يعتقد هؤلاء الفقهاء أن الطلاب (كتاب العقود) المفتين والمرابطين الذين يرجع إليهم رجال القبائل في شؤونهم يعتبرون غير كفاة مادامت آراؤهم غير معززة بأنواع الزجر والإلزام الذي لا يوفره إلا وجود الحاكم.

يشهد الواقع التاريخي أن القبائل كانت دائما في إحدى هاتين الحالتين، فإما هي متروكة لأمرها وهي "حالة الشغور" نظراً لضعف الجهاز المخزني، وإما هي ثائرة ضد حاكم متعسف أو مهمل وهي "حالة الجور" وفيما عدا هاتين الوضعيتين فالقبائل كانت رعية ولم تكن "سائبة". وعلى كل حال فإن أحداً لا يستطيع أن يتحدث في حالة "السيبة" إلا إذا نظر من مركز حكم في حالة عجز أي أنها إدانة للمخزن قبل أن تكون اتهاما للقبائل. أما إذا نظر من داخل القبائل فأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية لا تتغير إلا بقدر ما تتعرض له من المطالب أو التعسفات. وفي حالة الاعتدال فهي منقادة ومرتبطة بالدولة بخيوط ولاء متعددة. ولهذا السبب نفخت بعض الكتابات الأجنبية كلمة السيبة (قصد الطعن في فعاليات الدولة في أواخر القرن 19 وأوائل القرن 20 في حين أن الانتقادات ذات النزعة الوطنية جاءت ردوداً إنكارية قاطعة، أو بين الحدين (توجد السيبة أو السائبة) أمراً واقعاً كمصطلح له أصله وكوضعية لها جذورها في نمط اقتصاد معين وفي طبيعة دولة لا تتوفر إلا على وسائل هيمنة محدودة. فإذا استبعدت من حقل الدراسة ميول النزعة الاستعمارية المغرضة والوطنية المدافعة بقي على الباحث أن يستقصي في كل زمان حالات السيبة التي تعود إلى قصور في وسائل الدولة وتملص القبائل لامن الطاعة بل من الواجبات المترتبة عليها، وحينئذ ينصرف الاهتمام إلى كشف البنى الذاتية للقبائل وآليات تنظيمها بدون تدخل مباشر للدولة المركزية وأن يستجلي الحالات التي نتجت فيها السيبة عن القيام والانتفاض ضد حكام جائرين أو مهملين، وبهذه الوضعية ترتبط ظاهرة تاريخية أخرى هي ظاهرة الفورات الشعبية التي عرفها المغرب كما عرفتها بلدان أخرى.

م. الكيكي، *مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال*، تح. أ. التوفيق، بيروت، 1997 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن 19 إينولتان*، 1850 - 1912.

De Lachapelle, *La formation du pouvoir monarchique dans les tribus berbères du Haut Atlas Occidental*, *Hesp.*, T. 8, 3ème et 4ème trim., 1928 ; M. Lahbabi, *Le gouvernement marocain à l'aube du 20ème siècle*, Rabat, 1958 ; Michaux-Bellaire, *L'organisme marocain*, *R.M.M.*, n° 23 ; R. Montagne, *Les berbères et le makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1932 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, 1830-1912*, Casablanca..

أحمد التوفيق

سيبيل (Cybèle) معبودة فريجية دخلت عبادتها إلى روما بعد الأزمة التي عرفتها خلال الحرب البونيقية الثانية أثناء مواجهتها لجيوش حنبعل. اعتبرت عبادتها بمثابة عبادة وطنية وأخذت مكانة هامة، وعلى نطاق واسع طوال فترات تاريخ روما. فما هي المكانة التي حظيت بها في إفريقيا الشمالية وفي المغرب على الخصوص ؟

إن الشواهد الأثرية المتعلقة بعبادتها كثيرة في إفريقيا حيث إنها تغطي هذا المجال من حدوده الشرقية إلى حدوده الغربية أي من لبتس ماكنا في الطرابلسية إلى بناصا في المغرب.

حملت سيبيل لقب "الأم الكبرى" أو "أم الآلهة"، فهي في اعتقادهم أم كل الأشياء التي تمنح الخصوبة وتشرف على عالم الأرواح والأموات.

إنها عادة ما تجسد إلى جانب عشيقها أتيس (Attis) ويبدو أن الإغريق والرومان والفريجيين كانوا يقدسون هذا الأخير في صورة روح للطبيعة وتبدو هذه العلاقة بينهما كذلك من خلال بعض الاهداءات التي تم العثور عليها في مختلف المواقع.

ويبدو أن عبادتها احتفظت في ظل الامبراطورية بمظهرها الرسمي الذي تبنته عند دخولها إلى روما وكان يشرف على ممارسة الطقوس جهاز كهنوتي منظم بالإضافة إلى جمعيات كهنوتية مثل الدندروفورس (Dendrophores) والمتدينين (Religiosi) وجمعية الارشگاليس (Archigales) التي تنحصر مهمتها في إعطاء التعليمات أثناء إقامة الطقوس القربانية.

ومعلوم أن أهم قربان يقدم لسيبيل هو قربان الثور والكبش (Taurobole et Crisbole) وتشير النقائش أيضا إلى بعض اللوازم التي تصاحب الطقوس مثل الكرنوس (Cernos) وهو عبارة عن مزهرية من الفخار تستعمل لاحتواء الأشياء المقدسة.

لقد أقيمت لها معابد في المجال الرسمي للمدينة مثل معبدها في لبتس ماكنا الذي أقيم جنوب الفوروم ومعبد قرطاج الموجود في السفح الشرقي لتل بيرصا ومعبد مكتار في الجهة الشمالية من المدينة.

أما في موريطانيا الطنجية فقد أقيم لها معبد في مدينة بناصا خلال حكم انطونينوس الورع بقرار من المجلس المحلي وعلى نفقة المدينة (IAM, 2, 93) ويمكن أن نستنتج من خلال الشواهد التي عثر عليها في كل من بناصا وقرطاجة أن عبادتها دخلت إلى إفريقيا ابتداء من الفترة الانطونينية لكن يبدو أن الازدهار الذي شهدته العبادة تزامن مع فترة السيويريين (Sévères) وخلاصة القول إن عبادة سيبيل عرفت انتشاراً واسعاً نظراً لكونها أصبحت ربة حامية للامبراطورية وفقدت مقوماتها الشرقية وأصبحت معبودة رسمية.

M. Graillot, *Le culte de Cybèle, mère des Dieux à Rome et dans l'empire romain*, *BEFAR*, 1912 ; *Les dieux tout puissants Cybèle et Attis et leur diffusion dans l'Afrique du Nord*, *R.A.*, I, 1904 ; H. Pavis d'Escurac, *La Magna Mater en Afrique*, *B.A.A.*, VI, 1975-76.

عبد العزيز بل الفايدة

السيتي (Saëttie) سفينة من النوع المتوسطي المستعملة منذ القرن الخامس (11 م)، وهي عبارة عن مركب صغير خفيف غير مغطى يصل طوله إلى عشرين متراً، ويتميز بغاطسه الضعيف الذي كان ييسر له الملاحة في الخلجان والمصبات ؛ لكنه منذ القرن العاشر (16 م) عرف تعديلات مهمة جعلت منه مركبا مجسرا، وزادت من كفاءة حمولته وعدد مجاذيفه وتصريته من صار واحد إلى ثلاثة.

ظلت السيتي ضمن السفن الصغيرة المستعملة في الأسطول المغربي طوال القرن الحادي عشر (17 م)، وكانت حمولتها تتراوح بين ستين ومائة طنة، وطاقم مؤلف من مائة رجل، لكن وجودها سوف يندثر في القرن الثاني عشر (18 م).

S.I.H.M., 2e série, *France*, T. I, p. 279-80 et A. du Sein, *Histoire de la marine de tous les peuples*, Paris, 1879, p. 41.

حسن أميلي

السيحل، قبيلة تنتشر فوق جزء من الأطلس الصغير الغربي، وتمتد من الشرق إلى الغرب في الضفة اليسرى لوادي "أودُودُو" حتى المحيط تحدها قبائل أگلو في الشمال، وأيت باعمران إلى الجنوب، وأيت برايبم في الشرق، والمحيط الأطلنتي في الغرب.

تعني الكلمة في النطق المحلي المجال المشرف على البحر أو الأكثر ارتباطاً به. ينتمي سكانها الأصليون إلى الغور اللمطي القديم (صنهاجة)، انضافت إليهم مجموعات من القبائل المجاورة وخاصة من قبائل اتحادية إيداولتيت. وتنقسم قبيلة السيحل إلى أربع وحدات : إيفردا، أيت الريح، إيدوانگيضا، تيغانيمين، كما أُلحق بها سنة 1934 جزء من قبيلة أيت النص الباعمرانية. تعد القبيلة ممراً أساسياً للقوافل التجارية القادمة من منطقة واد نون. كما عرفت بتحالفاتها مع قبائل أيت باعمران وأگلو في إطار لف تاگوزولت. ومما يبين الأهمية العسكرية للقبيلة أنها كانت تتوفر خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) على 1800 بندقية و200 فارس. ومن أبرز الأحداث التي شهدتها القبيلة :

- تعيين حسون بن عمارة قائداً على قبيلة السيحل خلال رحلة السلطان الحسن الأول إلى سوس 1882.
- مساندتها لمحمد بن الحسين الاليغي في مواجهة القائد الگيلولي سنة 1315 / 1897 - 1898.
- دعمها لحركة أحمد الهيبة وأخيه مربيه ربه.
- تصديها لحملتي حيدة بن مّايس 1916، والجنرال دولاموط 1917 نحو أيت باعمران.

استعمال أراضيها من طرف جيش التحرير بتمرير الأسلحة إلى أفراد المقاومة بأيت باعمران.

ومن مزارات القبيلة سيدي أبو الصدقات، وهو مجهول الأصل والنسب، وإنما تروج عنه عدة كرامات. بنيت عليه قبة عام 1278 / 1862. ويقام على مشهده موسم ديني خلال شهر غشت من كل سنة. وبجانبه تقع مدرسة إفردا العلمية، وهي مشهورة بأدوارها التعليمية. كما نجد مدرسة الكريمة بوسط مدشر إخربان، ومدرسة تيغانيمين، وكلها مازالت تؤدي رسالتها التعليمية والارشادية. ومن العلماء البارزين داخل القبيلة سواء في مجال التدريس أو التأليف : أحمد بن إبراهيم الكريمي (امجّوط)، الطاهر السماهري، إبراهيم التيغانيمني (بيرعمان)، محمد بن الحسين بشوارين، اليزيد بن محمد أبلوش، ابراهيم كزور المعدري، أحمد بن يابولوقت...

ع. المتوكل الساحلي، *المدارس العلمية العتيقة بسوس*، الدار البيضاء، 1990، ج. 3، ص. 195 - 221 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 13 : 188 - 201 - 190 - 309 ؛ م. الأكراري، *روضة الافنان*، تح. حمدي أنوش.

Alfred le Chatelier, *Tribus du Sud-Ouest marocain : bassins côtiers entre Sous et Draa*, Paris, 1891, p. 19.

أحمد بومزكو

السيدا بالمغرب ← فقدان المناعة

السيدالي، الحاج علال وُقدّور. قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني سيدال انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف سيدي مَحمد امزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور وقد شارك في عدة معارك واستشهد في معركة سيدي ورياش بقبيلة مزوجة يوم 24 شوال عام 1327 / 7 نوفمبر 1909.

أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي، (1909 - 1912) تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

السيدالي، محمد قائد قلعية على عهد المولى عبد الرحمن بن هشام، وهو من فرقة القضيا المندرجة في خمس الكعدة أو بني سيدال من قبيلة قلعية. سبق لمحمد السيدالي أن كان مقدم مجاهدي خمس بني سيدال المرابطين بميدان مليلة بناء على طريقة النوبة حسبما اقتضته عادة قبيلة قلعية، ثم اختير قائداً للقبيلة كلها. ظهر بالوثائق أول مرة بتاريخ أوائل ذي الحجة 1264 / أواخر أكتوبر 1848، كان ذلك بسبب احتلال الإسبان لجزر كبدانة، حين أمره السلطان بالاستعداد للجهاد، فور وصوله إلى قرية عين زورة من قبيلة المطالسة، إحدى قبائل الريف الشرقي.

صادف قائد قلعية محمد السيدالي تصاعد استعدادات جنود مليلة لغزو الأراضي القلعية، محاولة منهم للقضاء على المقاومة، وكان تحت قيادته استعدادا لمواجهة هذا التطور الحربي الجديد قوة وصلت إلى تسعة آلاف محارب، فكانت النتيجة وقوع سبعة من جنود الإسبان أسرى يوم 22 يوليوز 1858 على يد مقدم بني شكر محمد الحطري وتم تسليمهم للمقدم القائد محمد السيدالي، حيث بقوا بمعتقله ببني سيدال، كان منهم كاتب قصة الاعتقال خوان ديانا Juan Diana، إلى أن تم نقل السجناء إلى فاس، ليتأتى للقنصل الإسباني تسلمهم يوم 16 مارس 1859 بحضور محمد السيدالي، غير أن القائد القلعي لم ينج من مكيدة اغتياله أثناء طريق العودة في 26 شعبان عام 1275 / آخر مارس 1859.

ح. الفكيكي، *قلعية ومشكل الوجود الإسباني بمليلة*، الرباط، 1997 ؛ وثائق خ. ح. ومديرية الوثائق الملكية بالرباط : ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، تطوان، 1951.

Juan Diana, *Un presionero en el Rif*, Madrid.

حسن الفكيكي

السيفي، الحسن بن محمد البكري الدغمي فقيه مشارك متمكن، اهتم بعلم التنجيم، حسن الكتابة ماهر في الخط يعدّ من أعلام الوراقين بالمغرب في القرن الثاني عشر (18 م). استقر بزاوية بجعد من تادلا، وصحب محمد الصالح الشرقي وأخذ عنه ولازمه مدة إقامته بها واستمر ببجعد بعد وفاة صاحبه وفي إبان ولاية خليفته محمد المعطي صاحب "ذخيرة المحتاج" كما تذكر المصادر الشرقاوية.

كان من رفقائه سيدي محمد بن يوسف الدلائي والسيد أحمد بن الصغير السمعلي البركوسي والزايدي السمعلي الريكي، والفقيه محمد بن الحنيشي السالمي. ونفاجأ بسكوت كبير فيما يخص حياته ومسيرته العلمية غير أن مصادر شرقاوة تذكره في ثنايا أحاديثها عن رجالات الزاوية خلال القرن (12 هـ) .. أما قبل هذا التاريخ الذي اتصل فيه السيفي بزاوية شرقاوة فإننا لا نعرف عنه شيئاً ... ويرجح أن يكون قدم إلى بجعد في عهد ولاية محمد الصالح على زاوية أجداده إثر رجوعه إليها من مراكش بعد وفاة والده.

وعن ظروف اتصاله بالشيخ المذكور تحكي مناقب شرقاوة أنه سمع بمحمد الصالح في أحد المجالس واستمع إلى كراماته في هذا الشأن وأحب أن يرى ذلك رأي العين فليس الخبر كالعيان.. فكان أن قدم عليه واجتمع به فأصبح من خاصته وأهل وداده.

منتهى القول في شأن اتصال السيفي بمحمد الصالح أنه استقر لديه طويلا، وحضر مجلسه وصحبه في بعض رحلاته إلى أحواز الزاوية... بل إنه حضر وفاته وشهد سرد بمحضر بعض أصحابه ومنهم العهداني صاحب "*الروض اليانع في مناقب أبي عبد الله المدعو بالصالح*"، والفقيه علي بن المنصور السمكتي وهو من أصحاب أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي.. وآخرون.

وقد كان السيفي مقيماً بمصرية قرب دار الشيخ المذكور ببجعد كان قطن بها الفقيه أحمد بن فتوح التازي أيام إقامته بالزاوية. وتذكر مصادر زاوية بجعد أن السيفي رحل إلى

الشرق رفقة الفقيه علي بن محمد العوني.. وهما من خيار أصحاب سيدي صالح.. فخرج يشيعهما وأظهر لهما محبته ودعا لهما بالدعاء الصالح..

شغل السيفي شغل الإمامة في عهد سيدي محمد الصالح كما ذكر في "الروض اليانع" (ص. 211)، يصلي به الأوقات الخمسة، وهو وظيف أهله لملازمة الشيخ وحضور مجالسه التي كانت عامرة بالعلم والعلماء جمة الفوائد.

وكان هو الكاتب الرسمي لرسائل الشيخ التي يبعثها لمن أراد إن لم يتول الشيخ ذلك بيده، ولذلك تجد بخطه من غالب الرسائل الصادرة عن الشيخ آلافاً مؤلفة من كل ناحية كان فيها الفقراء إذاك. هذا علاوة على القيام بأغراض أخرى مثل كتابة بعض المؤلفات العلمية التي يحتاج إليها الشيخ.

ومن منتسخات السيفي :

1 - *خلاصة الوفا* للسمهودي عام 1131 (خ ع. 27 ك).

2 - السفر الأول من "*بهجة النفوس*" لابن أبي جمرة عام 1140 (خ ح. 9707).

3 - تفسير النسفي في سفرين عام 1143 (خ ع 2062ك).

4 - السفر الأول من "*تحفة الباري بشرح البخاري*" لزكريا الأنصاري (خ ح 3874).

5 - السفر الأخير من "*بهجة النفوس*" لابن أبي جمرة (خ ع 4017).

6 - شرح *البردة* البوصيرية للغبريني في سفرين (خ ع 776 ز).

7 - صحيح *البخاري*، ن. خ (بدون تاريخ).

هذه فضلاً عن مؤلفات أخرى انتسخها من أهمها "النسخة العشارية" من صحيح البخاري" التي كانت معتمدة بزاوية بجعد.

وتدل بعض الإشارات في أدبيات شرقاوية أن السيفي كان على قيد الحياة في أعوام الخمسين من القرن الثاني عشر الهجري... وفي هذا التاريخ كان محمد المعطي الشرقي يؤلف كتابه الشهير "*ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج*" ويروى أن السيفي رأى رؤيا في شأن هذا الكتاب وقصها على المؤلف في سياق إظهار سر هذا الكتاب وبيان مزيته لذوي الألباب (يتيمة، ص. 289).. مما يعني أن السيفي استمر في الإقامة ببجعد بعد وفاة صاحبه سيدي محمد الصالح عام 1139.

محمد المعطي الشرقي، *سفر المراني والبشارات*، بذيل *يتيمة العقود الوسطى* (17 فيلم)، ص. 371 ؛ المعداني، *الروض اليانع الفائح في مناقب أبي عبد الله المدعو بالصالح*، ص. 175 - 180 - 211 ومواضع أخرى، (86 ج) خ ع ؛ العبدوني، *يتيمة العقود الوسطى في مناقب محمد المعطي*، 289 - 391 - 392، 305 ك ؛ الشرقي المكي بن المعطي، *اختصار يتيمة العقود الوسطى*، ورقات، 33 ظ. 34 - 35 - 47 ظ. ومواضع أخرى (905 ج). خ ع؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، ص. 132 - 133.

عبد المجيد بوكاري

سيدي أحمد أوموسى ← أحمد أوموسى

سيدي إسماعيل، مركز وزاوية وسط دكالة على بعد 50 كلم جنوب مدينة الجديدة في طريق أسفي. نسبة إلى دفينهما الشيخ الصالح المجاهد إسماعيل بن سعيد بن محمد الدكمالي المشنزائي، المدعو أيضاً - كأبيه - بوسجدة (انظر بوسجدة في المعلمة) أخذاً من كنية جدهما الشيخ الصوفي علي بن أبي القاسم السبخاني المعروف بأبي سجدة دفين مراكش (انظر أبا سجدة في المعلمة).

انظر خريطة التقسيم الإداري لجهة دكالة عبدة (دكالة / *المعلمة*).

م. الكانوني، *أسفي وما إليه*. مصر، 1353 ؛ محمد مكبل ومحمد سدبري، *زاوية سيدي إسماعيل*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، كلية الآداب بالجديدة، 1991.

أحمد الوارث

1 - **سيدي إفني ← إفني**

2 - **سيدي بوزكري ← بوزكري**

3 - **سيدي بوزيد ← بوزيد**

4 - **سيدي بوسجدة ← بوسجدة** (إسماعيل وسعيد)

5 - **سيدي بوعبيد ← الشرقي**

6 - **سيدي بوعثمان ← بوعثمان**

7 - **سيدي حرازم ←** ابن **حرزِهِم**

8 - **سيدي حْماموش ← حْماموش**

سيدي رحال (المركز) ويسمى أيضا أنْمَاي، ينتمي مركز سيدي رحال إلى إقليم قلعة السراغنة، ويقع ضمن مجال قبيلة زمران على الطريق الثلاثية رقم 6205 الرابطة بين مراكش ودمنات، يبعد عن مراكش بحوالي 50 كلم نحو الشرق بمحاذاة الحاشية الشمالية للأطلس الكبير وعن قلعة السراغنة بحوالي 52 كلم في اتجاه الشمال على امتداد سهل الحوز الشرقي.

يقع على الضفة اليمنى لمخروط وادي غدات أحد أهم روافد واد تانسيفت. يشغل المركز جزءاً هاماً من منطقة الدير المنحصرة بين الحاشية الشمالية للأطلس الكبير وسهل الحفر. تشرف على المركز من الجنوب تضاريس تلية تنتمي إلى الحاشية الشمالية للأطلس الكبير أهمها تل يدعى "كُدية العفو" بارتفاع يقدر بـ 700 م، تتكون أساسا من صخور بركانية وطينية تنتمي للزمن الجيولوجي الثاني - الترياس".

يمتاز مناخ سيدي رحال بحرارة مرتفعة خلال فصل الصيف حيث تصل إلى 46 بينما تنزل في فصل الشتاء إلى حدود 3 درجات.

أما التساقطات فهي نادرة وغير منتظمة تتركز بين شهري دجنبر وأبريل ولا يتعدى معدلها 300 ملم.

يرتبط تاريخ هذا المركز بمؤسسه الشيخ سيدي رحال البدالي (انظر البدالي في *المعلمة*) وكان يدعى قبل ذلك

«أغمايْ» نسبة إلى ربّي يهودي "يعقوب ناحيماس" الذي كوّن خلية سكنيـة تقطن داخل حي الملاح، ومايزال قبـر الربي اليهودي موجوداً إلى الآن جنوب "كدية العفو"، بالإضافة إلى معبد صغير. وعن أغماي المركز يقول الحسن الوزان الفاسي في *وصف إفريقيا* : "أغماي بلدة صغيرة واقعة في منحدرات السهل على بعد نحو أربعين ميلا من مراكش في الطريق الذاهبة إلى فاس المحاذية لسفوح الجبل، ويمر نهر أغمات على نحو خمسة عشر ميلا من هذه البلدة، والبادية فيها بين النهر وأغماي ممتازة كبادية أغمات تماما".

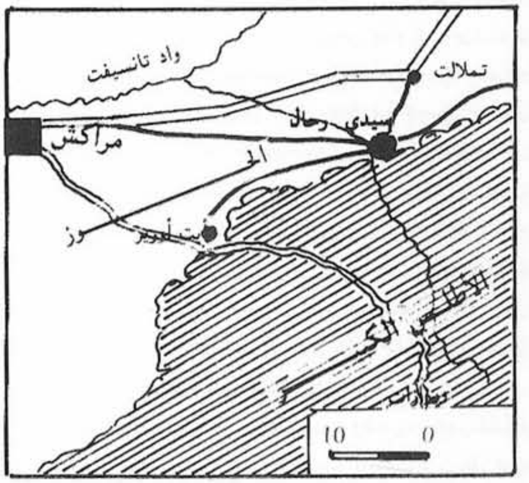

ولمّا قدم سيدي رحال إلى المنطقة نزل في أغماي وربطته علاقة ودية مع الربي لكن سرعان ما تدهورت فأسس سيدي رحال زاوية بضاحية البلدة، نمت العمارة حولها واحتوت أغماي القديمة. وأصبح المركز يعرف بسيدي رحال، وبوسطه قبة مشيدة على هذا الصالح.

عرف مركز سيدي رحال تطوراً ملحوظاً بعد الاستقلال، تضاعفت ساكنته ثلاث مرات تقريبا في أقل من 30 سنة حيث انتقل من 2708 ن سنة 1971 إلى 6292 ن سنة 1994.

كان مركز سيدي رحال يتكون سنة 1971 من ثلاثة أحياء فقط وهي الزاوية، الملاح، الحي الإداري. إلى حدود سنة 1982 حيث أضيف حي البهجة وحي بياضة.

وعلى مستوى التعمير ظل المركز يعاني من نقص كبير رغم التطور السكاني الذي عرفه ورغم قدم استقرار السكان بالمركز الذي لم يعرف إلاّ تشييد خمسة أحياء هي حي الملاح، الزاوية الرحالية، الحي الإداري (المنزه) البهجة ثم بياضة وهي أحياء بسيطة جداً تنعدم في أغلبها مواصفات أحياء المدينة بالمفهوم الصحيح.

ومن الناحية الاقتصادية تسجل سيادة القطاع الثالث المتمثل في الخدمات والمبادلات التجارية حيث نجد حسب إحصاء 1994 أن نسبة المشتغلين في قطاع الفلاحة ضعيفة لا تتعدى 10،2٪ رغم موقع المركز ضمن مجال فلاحي، بينما لا يتجاوز عدد المشتغلين في قطاع الصناعة نسبة 1.7٪ وفي المقابل تشكل نسبة المشتغلين في القطاع الثالث التجارة والخدمات والإدارة أزيد من 88٪.

أ. زروال، *دراسة جيومورفولوجية للحاشية الشمالية لأطلس مراكش ما بين وادي الزات وغدات*، الرباط، 1987 ؛ م. الأكلع، *دراسة جيومورفولوجية للنهاية الشرقية للحوز*، الرباط، 1989 ؛ الحسن شوقي، *تاريخ قبائل السراغنة في نهاية القرن (19 م)*، الرباط، 1991 ؛ بن الحرش المحجوب، *سيدي رحال، مركز هامشي في طريق التمدن*، مراكش، 1996، بحث لنيل الإجازة.

محمد الأكلع

سيدي الزوين (زاوية –) تقع غرب مدينة مراكش في الكيلو ميتر 36 على الطريق الرئيسية إلى أگادير، أسسها الشيخ محمد بن مَحمد الشرادي العمري الفحلي الشهير بسيدي الزوين في منتصف القرن الثالث عشر (19 م) بأمر من شيخه محمد الحاج الشريف الإدريسي الهواري ومباركة شيخه محمد التهامي الأوبيري الحمري. تلاحق بها الطلبة والمريدون وبنوا حولها بيوتهم بالطين والقصب.

كان الشيخ سيدي الزوين يطعم الطلبة اعتماداً على ما يقدمه الوافدون من صدقات، وما يقدمه سكان القبائل المجاورة من أعشار وهبات، أو يقومون به من حرث الأراضي التابعة للزاوية ورعي غنمها مع أغنامهم. وكانت تصله إعانات وهبات من المخزن مساعدة له على تعليم كتاب الله تعالى حفظا وقراءات. وكلما توفر له مال اشترى به أملاكا وحبسها على الزاوية دون أفراد أسرته، إلى أن دعاه السلطان مولاي الحسن إلى إدخال أبنائه ضمن الحبس حتى لا يتركهم يتكففون.

وبعد وفاة سيدي الزوين وسع ابنه محمد المدرسة وسكنى الطلبة والمسجد، وشيدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في منتصف الستينيات من القرن العشرين قاعات للدرس وغرفا حديثة لسكنى الطلبة، وخزانة للكتب ومكاتب إدارية ومرافق صحية.

وخلال التسعينيات أضيفت إلى الزاوية عمارات حديثة تشرف المدرسة وتاريخها المجيد وتوفر للطلبة المناخ الملائم للحفظ والتعلم.

يبدأ الطلبة الوافدون على الزاوية بحفظ القرآن الكريم على الطريقة التقليدية : كتابة الألواح وتصحيحها وحفظها على يد الفقيه وبعض مساعديه من الطلبة المتقدمين في الدراسة. وبعد حفظ القرآن يتعلمون القراءات السبع الواحدة بعد الأخرى، ومبادئ النحو والفقه والتفسير والحديث ... على الطريقة التقليدية.

وكان الشيخ سيدي الزوين يحرص على ختم *صحيح البخاري* كل سنة ويستدعي لذلك الفقهاء والعلماء من مدينة مراكش. ومن أشهر المدرسين بهذه الزاوية بعد الشيخ المؤسس وابنه محمد، وإخوته شيوخ الزاوية عبد الله وحامد والعربي، وبوطبيب حفيد الشيخ. والمعطي المسكيني، وحمادي العيشي

وعروب المسفيوي، ومحمد المصلوحي، وبلغالي الرحماني، وسعيد الجرموني، وعلال بن إسماعيل العشراوي القاسمي، والحاج عابد بن محمد الگرسيفي القاسمي والمختار بوستة الغجدامي. وعبد الكريم بن صالح الراجي الشيظمي ومحمد ابن أحمد الزيدي الأموي، محمد بن العروسي بلعواد، وسمير ابن محمد بن محمد الزوين وإبراهيم بن عبد الرحمن العاطفي الذي دَرّس بالزاوية ثم عين أستاذاً بها سنة 1401 / 1980.

وقد كانت زاوية سيدي الزوين دائماً محط عناية ملوك الدولة العلوية ينعمون على شيوخها بظهائر التوقير والاحترام، ويرسلون إليها الهدايا والهبات في المواسم والأعياد. ومازالت الزاوية تؤدي هذه الرسالة النبيلة إلى اليوم.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ط. 2، الدار البيضاء، 1954 - 1956 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. 2، الرباط، 1977 ؛ المهدي الخياري، *مدرسة سيدي الزوين، نشأتها ومنهجها في القراءات*، بحث مرقون بمراكش، 1986.

حسن جلاب

سيدي سعيد، مركز أثري بمنطقة الغرب، يعتقد الباحث ريبفا (Rebuffat) أنه يطابق المدينة القديمة : بابا يوليا كمبستريس "Babba Iblia Compestris" نظراً للدور التكتيكي لأبراج المراقبة التي تشرف على الموقع ونظراً للموقع الذي احتله المكان في لائحة جغرافي راڤينا، لكنه لا يؤكد قطعا هذه المطابقة ويترك الباب مفتوحا للنقاش.

وقد مكنت البعثة المغربية - الفرنسية المشرفة على التحريات في حوض سبو من إعادة توطين هذا الموقع قرب سيدي قاسم إذ تم الكشف عن معسكر روماني مستطيل الشكل حيث كانت ترابط الكتيبة الثالثة المكونة من الغاليين بالإضافة إلى مخلفات أثرية أخرى وجدت على الضفة اليسرى لوادي الردم.

ومكنت عملية الالتقاط السطحي من القول إن الموقع يمتد على مساحة 12 هكتاراً تقريباً.

R. Rebuffat, *Histoire de l'identification des sites urbains antiques du Maroc, Africa Romana XIII*, Djerba, 1998 ; *L'implantation militaire en Maurétanie Tingitane, Africa Romana IV. Atti del Convegno di Studio Sassari*, Dic., 1986.

عبد العزيز بل الفايدة

سيدي سعيد بن أبي **بكر** المشنزائي، صاحب الضريح الشهير بالحي الذي يحمل اسمه بمدخل مدينة مكناس. سلك طريق التصوف على يد الشيخ أبي عثمان سعيد الداعي، دفين مدشر المقرمدة، على وادي إيناون من حوز فاس (*ممتع*، 93). ونعلم أن هذا الأخير من أصحاب الشيخ مَحمد بن سليمان الجزولي، أو مريده الشيخ عبد العزيز التباع (*مرآة*، 191، *ممتع*، 94).

اشتهر المترجم بالزهد والتقشف، حتى قيل إنه ما كان "يلبس سوى مرقعة خشنة، وقلنسوة كذلك من الصوف"، وشدة التوكل، حتى قيل إنه لم يكن يُرى له سبب ولا حراثة، ومع ذلك كان يطعم الطعام، بل يكفل الضعفاء والأيتام. كما اشتهر أيضاً بأنه كان "كثير الخشية، لا يفتر عن ذكر الله تعالى... كثير الصمت والفكرة، له موضع بزاويته يلازم الجلوس فيه، فلا يرى قائما إلا إلى الصلاة" (*دوحة*، 77)، حتى "إذا كان يوم الجمعة... يجمع الفقراء في زاويته، ويذكرون، فيهتز الشيخ لذلك ويتواجد" (*ممتع*، 93).

حظي سيدي سعيد بشعبية واسعة في صفوف العامة، الراغبين في نيل البركة "ترد زاويته الوفود في كل يوم وليلة، ونعم الله تشمل جميعهم وتعمهم". وقد اعتبر ذلك من باب الفتح الرباني، لأن الله يبسط الرزق لمن يشاء (*دوحة*، 77). كانت زاويته تضم مرافق عديدة منها خزائن الزرع، وزريبة للبهائم، وله مكلفون بتلك الخزائن، ورعي تلك المواشي.

كان لزاوية سيدي سعيد حَرَم معروف، يحترمه الوطاسيون وعمّالهم حتى إن الذي يفعل ما عسى أن يفعل من عظائم الجنايات ويلجأ إلى ساحة الزاوية فلا يتبعه أحد، وحد الحرم من ناحية البلد (مكناسة) الساقية الجارية بالماء، وهي إلى البلد أقرب منها إلى الزاوية. ولقد رأيت الحكام (يقول ابن عسكر) يتبعون الجاني حتى إذا وصل الساقية رجعوا عنه ... وما رأيت بزوايا المغرب ومصارع الأولياء حرما مثل حرم زاوية هذا الشيخ. وإن الأمراء يتحامون حماها احترازاً..." من غضب شيخها (*دوحة*، 78).

ظل سيدي سعيد، مواليا لبني وطاس، رغم انتقاده لسياستهم السلبية، ولا سيما الضريبية والجهادية، مثل غيره من أرباب الزوايا في مملكة فاس التابعة لبني وطاس، غير أن تنامي حركة الأشراف السعديين على حساب بني وطاس، ثم اختيار الوطاسيين، نتيجة ذلك، سياسة التحالف مع الأتراك العثمانيين، بعد انهزامهم في معركة درنة سنة 952 / 1545، جعل سيدي سعيد المشنزائي، وباقي أرباب الزوايا الجزولية في الشمال يقلبون ظهر المجن للوطاسيين، ويعلنون الدعوة للأشراف السعديين. (*الأولياء*، 653 - 655).

توفي سيدي سعيد عام 956 / 1549، ودفن في زاويته. وروضته شهيرة بها في الربع الغربي الجنوبي من مكناس خارج باب يعرف باسمه : باب سيدي سعيد، ويقال له باب الملاح وباب وجه العروس. كما صار الحي الذي بني حول ضريحه يحمل اسمه كذلك : حي سيدي سعيد. وقد اعتنى بضريحه الأمير زين العابدين بن الحسن الأول، الذي أمر بتزليج أرض ضريحه، وما انضم إليه، وبناء الصفة الواقعة خارج بابه، "وذلك أيام الفتنة التي حدثت في دولة أخيه السلطان مولاي عبد الحفيظ عام 1327".

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، ج 10؛ م. ابن عسكر، *دوحة*، تح. محمد حجي، الرباط، 1977؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية فاس، 1324/1906؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع*، طبعة حجرية بفاس، 1313/1896، ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1410/1990؛ أ. الوارث، *الأولياء، ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرن العاشر (16م)*، رسالة جامعية مرقونة، كلية الآداب بفاس، ظهر المهراز.

أحمد الوارث

سيدي سعيد مْعاشُو، بن علي، من آل الشيخ عامر المكنى أبا السباع دفين سوس الأقصى، الذي ينتهي نسبه إلى إدريس بن إدريس (*تحفة الحواشي*، 6 ـ 7).

ويذكر أن والد سيدي سعيد، أبا الحسن علي معاشو، ولد في بلاد أولاد بوالسباع بمحل يدعى أيت الصغير (*الزاوية المعاشية*، 9)، ثم رحل إلى الشياظمة، وبقي يتنقل فيها من مكان إلى آخر، إلى أن استقر به المقام في أفوغال، مقر الشيخ محمد بن سليمان الجزولي، وبه توفي حوالي عام 870/ 1464.

وفي أفوغال، بعيدا عن الصويرة بنحو 30 كلم في اتجاه الشمال، أسس سيدي علي مْعاشو زاويته، المعروفة بزاوية المعاشات الأم، التي قامت بجوار ضريح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي. وفي أفوغال نفسها ولد سيدي سعيد مْعاشو. وفي زاوية والده نشأ وتعلم، وتفقه وتصوف، حتى غدا عالما كبيرا، وصوفيا كاملا، ولاشك أنه كان جزولي الطريقة مثل والده.

لكن سيدي سعيد مْعاشو سرعان ما فارق أفوغال ومن فيها من أب وإخوة، وراح يمشي في الأرض إلى أن استقر به المقام في الشاوية. واختار النزول على الضفة اليمنى من شط أم الربيع، في جهة الحدود مع دكالة.

حظي سيدي سعيد بسمعة فائقة، وأدركت زاويته شهرة واسعة بالنظر إلى ما استقطبته من أعداد وفيرة من طلبة العلم والمريدين. ونجد صدى ذلك واضحا في شهادة وافية بالمرام، قال فيها أحدهم بأنه : "كان رضي الله عنه كثير التلميذ والأتباع..."، وكان له "... الصيت العظيم والذكر الفخيم والرسوخ في العرفان والولاية" (*تحفة الحواشي*، 12).

وإذا كنا لا ندري العلوم التي درسها في الزاوية، فإنه كان "... له أوراد ودعوات وأسماء وأحزاب معروفة" (*تحفة الحواشي*، 12). مما يفيد تصدره للمشيخة وتربية المريدين في زاويته.

وإلى جانب طلبة العلم والمريدين قصده عامة الناس وخاصتهم للإستشفاء، إذ اشتهر بعلاج المصابين بداء الكلْب أو السعار، على غرار والده، وسائر المعاشيين في حاحا ودكالة والشاوية.

توفي في منتصف القرن العاشر (16م).

سعيد بن عمر لمعاشي، *تحفة الحواشي في مناقب سيدي علي لمعاشي*، الرباط، د.ت؛ زينب الشبكل وكوات نجية، *الزاوية المعاشية ودورها الإجتماعي والسياسي*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، كلية الآداب بالجديدة، 93-1994، *روايات شفوية محلية ومشاهدات عينية*.

أحمد الوارث

** أمّا سدّ سيدي سْعيد مْعاشو فهو آخر سدّ على نهر أمّ الربيع صوب سافلة مجراه، حيث لا يبعد عن المصب إلا بحوالي 35 كلم، وتفصله عن سدّ الدورات (1946 ـ 1950) مسافة 60 كلم. لكنه يعد أول سد تم بناؤه على الصعيد الوطني بين 1925 و1929.

في هذا الموقع يرسم المجرى المائي ثلاثة منعطفات واسعة ذات شكل نفلي تمتد على طول 13 كلم، وفي هذا المستوى يشكل النهر حداً فاصلاً طبيعيا بين الكثبان المتصلبة لساحل دكالة وسهل الشاوية الأسفل ؛ مما جعل سد ودوار سيدي سعيد يتموقعان بالقرب من مفترقين طرقيين يربطانهما بالجديدة وأولاد سعيد ـ سطات وإثنين الشتوكة ـ أزمور وبير الجديد ـ الدار البيضاء.

إن الطبيعة المتموّجة للتضاريس المتاخمة من جهة دكالة وتعمق النهر حتى حدود المحيط، وكذا تموضع السد في سافلة الوادي، كلها عوامل حالت دون تمكين استعمال مياهه لريّ جزء من سهل دكالة. وقبل كل شيء كانت سلطات الحماية في أمس الحاجة آنذاك إلى الطاقة الكهربائية دون اهتمامها بعد بالسقي، وذلك لتوفير الإنارة للمدن التي أخذت تتوسع باطراد ولكهربة السكك الحديدية الحديثة العهد وكذا تشغيل الصناعات الناشئة، وبالأخص في الدار البيضاء. كما كان طلبها ملحاً على وجه التحديد على الطاقة المائية التي ظل إنتاجها يفوق حجم الطاقة الحرارية بأربع مرات في المتوسط على مدى فترة الحماية، نظراً لافتقار المغرب لمصادر الطاقة الحرارية من فحم ونفط وغاز.

لقد بنيت المنشأة السدية على صخور صلصالية تنتمي إلى حقبة الترياس وتعلوها هنا وهناك مدرجات نهرية طميية ترجع إلى الرباعي الأوسط أو تكوينات رصيصية نهرية وبحرية تعود إلى حقبة البليوسين. ويمتد السد التحويلي على طول إجمالي قدره 150 م وعلى ارتفاع عن الأساس بمقدار 20 م. وهكذا يستطيع رفع منسوب الماء إلى علو 8،6 م وبالتالي تخزين مليوني م3.

يتكون الجزء الأوسط من السد من خمس مدقات تخترقها أربعة أسكار مزدوجة علوها 8 أمتار. وكل سكر يشتمل في جزئه الأعلى على أجنحة متحركة بارتفاع 2،5م تسمح بإفراغ 500 م3 في الثانية. فضلاً عن ذلك قد وضع حاجز ترابي في الضفة اليسرى تغطيه خرسانة على سمك مترين، وبني كذلك جدار مصرف على الضفة اليمنى. وتعلو كل هذه المكونات قنطرة طرقيّة تمكن من تصريف مياه الفيضانات التي يبلغ صبيبها الأقصى 4500 م3 في الثانية. لذلك يطلق على هذا الصنف من المنشآت اسم السد القنطرة.

تتم عملية إنتاج الكهرباء على النحو التالي. يؤخذ الماء من نقطة على الضفة اليمنى ليدفع عبر سرداب صرّاف باطني قطره 6،5 م وطوله حوالي 1500 م نحو حجرة ماء سعتها 24000 م3. ومن هذه الحجرة ينسكب الماء على شكل شلاّل ارتفاعه الصافي 17 م لينصب على العَنَفات الأربع المولدة للكهرباء.

يتميز إنتاج المحطة الكهربائية بتذبذب كبير خلال السبعين عاما من عمرها. ذلك أن متوسط الانتاج كان يعادل

إلى حدود الثمانينيات 65 مليون كيلواط في الساعة، قبل أن يتقهقر وينزل إلى 15 مليون منذ 1981، بسبب توالي الجفاف، حتى إن السد أضحى يعتبر الآن ثاني أصغر سد بحوض أم الربيع الذي يضم 12 منشأة مائية وأصبحت المحطة الكهربائية تعد ثاني أصغر وحدة أيضاً بنفس الحوض الذي يشمل تسع محطات، أي تقريباً نصف عدد المحطات المائية بالمغرب.

السنوات	إنتاج الكهرباء مليون ك. و / س
1979	51
1981	33,6
1983	10.5
1985	1,2
1987	8,5
1989	33.8
1991	38,2
1993	1.2
1995	0,3
1997	0.4
1999	--

إضافة إلى الخط الكهربائي الرابط بين محطة سيدي سعيد والدار البيضاء عبر البير الجديد، ينطلق من المعمل الكهربائي خطان آخران نحو الجديدة (ثم مولاي عبد الله)، الأول مباشرة والثاني عبر أزمور. وابتداءً من 1952 تمّ جلب مياه السدّ بواسطة ست مضخات لمعالجتها محلياً وجرها بعد ذلك نحو شبكة الماء الصالح للشرب بالدار البيضاء عبر قناة طولها 175 كلم.

شوقي بنعزّو، الماء ذلك التحدي المستمر، منشورات بانوراما، الرباط، 1994 : مصطفى عياد، أم الربيع (نهر -)، معلمة المغرب، عدد 3، 1991، ص. 781 ـ 785.

J. Loup, *L'Oum-Er-Rebia*, Rabat, 1960 ; *Les barrages du Royaume*, Direction Générale de l'Hydraulique, Ministère de l'Equipement, Juin 1998 ; *Annuaires statistiques du Maroc*, Direction de la Statique, Ministère de la Prévision Economique et du Plan, 1980-2000.

مصطفى عياد

سيدي سليمان، مدينة متوسطة (79339 نسمة سنة 2000) وهي ثاني مدينة بإقليم القنيطرة، تعود نشأتها إلى فترة الحماية حينما قررت السلطات الاستعمارية خلق تجزئة حضرية أولى عند ملتقى خط السكة الحديدية والطريق المؤدية إلى مشرع بلقصيري، وبذلك ستصبح سيدي سليمان مقراً إدارياً واقتصاديا لأولاد يحيى ـ الصفافعة وعندما تقرر بناء سدّ القنصرة ـ الذي سيمنح الكهرباء ومياه السقي ـ نجد أن سيدي سليمان ستكون أكبر مستفيد من هذا الإنجاز لأنها توجد في قلب القطاع السقوي المبرمج (قطاع بهت). وهكذا ستشهد المدينة أول توسع سنة 1937 بإضافة 20 هكتار جديدة لمدارها الحضري.

وغداة الحرب العالمية الثانية، لعب عاملان حاسمان لصالح توسع المدينة : توسيع تجهيز القطاع السقوي لبهت وإقامة القاعدة الجوية الأمريكية.

وبعد الاستقلال، ارتفع عدد ساكنتها بوتيرة سريعة جدا: من 11484 نسمة سنة 1960 إلى 69645 نسمة 1994 الشيء الذي يؤكد مكانتها داخل التراتبية الحضرية لمنطقة الغرب.

ويبدو أن لهذه الأهمية علاقة وطيدة بالموقع الجغرافي لسيدي سليمان وسط القطاع السقوي لبهت الذي ينتج أساسا زراعات صناعية (شمندر، حوامض، فلفل، تبغ قطن...) وبمستوى تجهيزها التجاري والخدماتي.

مبارك الشيكر

سيدي العايدي، مركز سكني ومحطة طرقية وضريح وجماعة قروية بإقليم سطات. يقع على الطريق الوطنية رقم 7 الرابطة بين الدار البيضاء ومراكش على بعد 57 كلم من الدار البيضاء. وقد ظهر كمركز طريقي في بداية عقد الثلاثينيات واتخذ أهمية استراتيجية باعتباره نقطة تفرع الخط الحديدي المكهرب والمزدوج المنطلق من الدار البيضاء إلى فرعين، خط منفرد مكهرب يتجه جنوبا إلى مراكش وخط مزدوج مكهرب يتجه شرقا إلى مناجم الفوسفاط بخريبگة وواد زم. وقد اتخذ اسمه من ضريح الولي سيدي العايدي الذي وفد قبل قرون من فاس ومنحه السكان أرضا خصص جزءاً منها لمقبرة لازالت تحيط بضريحه على بعد 5 كلم شمال المركز، وكان مزاراً مهما باعتبار "بركته التي تحمي السكان والمواشي من عين الحسود كما تشجع على الزواج والإنجاب" وذلك حسب ادعاء بعض السكان.

وبتوالي العقود ازدادت أهمية المركز كمحطة طرقية حديدية وبرية وتكاثرت دكاكينه ومقاهيه ومنشآته الخدماتية العمومية والخصوصية كما جدد سوقه الأسبوعي، إذ يمر به حاليا كل يوم آلاف الحافلات والشاحنات والسيارات الخصوصية، أما محطة القطار فيمر بها 18 قطاراً للركاب و24 قطاراً للفوسفاط و8 قطارات للبضائع في حركات ذهاب أو إياب. لكن منازله السكنية ظلت محدودة إذ اقتصرت على سكن بعض التجار والموظفين ولازال جل العاملين بمنشآته من مقاه وحرف إصلاح ... يسكنون القرى المجاورة. فالمركز ذو طابع قروي محض بلغ عدد سكانه 245 بالمركز التجاري و288 بالمحطة (1994) ولم يرق التجمع بعد إلى مستوى مركز حضري، لكن الإقبال المتزايد عليه دفع السلطات إلى إنشاء ثلاث تجزئات سكنية ومنطقة صناعية مساحتها 10 هـ تقع بالزاوية الجنوبية الشرقية بين الطريق

الرئيسي المتجه إلى مراكش وسكة الحديد إلى خريبگة بها مطحنة عصرية ومخزن للحبوب يتكون من عدة صوامع ومعمل لمعالجة الزيتون ومحطة معالجة الماء الشروب التي تستمد ماءها من عدة آبار وثقوب بجوارها.

أما المنشآت العمومية فتتكون من القيادة ودار الجماعة القروية يعمل بها 47 موظفا بنيت سنة 1990 ومسجد لصلاة الجمعة ومراكز للأشغال العمومية والفلاحة والمياه والغابات والبريد ومركز جهوي للبحث الزراعي ومركز لبيع البذور المنتقاة والأسمدة ومدرسة إبتدائية وإعدادية ومستوصف كما يوجد بالمركز طبيب خاص وصيدلية وطبيب بيطري. أما البنية التجارية فقد توسعت بعد بناء مركز تجاري حديث ومحطة واسعة لوقوف السيارات أمامه تتكون من حوالي 50 دكانا منها 24 للجزارة، إذ يشتهر المركز ببيع اللحوم وبتوفره على 6 مقاهي تتميز بشي قضبان اللحوم على الفحم ولهذا يتوقف المسافرون والسياح به للاستراحة وتناول وجبات شهية. كما يتوفر المركز على سوق أسبوعي حديث ينعقد يوم الخميس مجهز بمجزرة وأروقة ودكاكين ببابه لبيع التجهيزات الفلاحية تفتح أبوابها طيلة الأسبوع، وكل منشآت المركز مجهزة بالماء الشروب والكهرباء، لكنه لا يتوفر على نظام قنوات الصرف مما يفرض على كل منشئة دفن فضلاتها السائلة في مطمورة خاصة بذلك. ويلاحظ أن كل منشآت المركز تمتد بشرق الطريق الرئيسي وتتوسع شرقا. أما بالجهة الغربية فيحد توسعها وجود الخط الحديدي ومحطته، إذ لا يوجد بينه وبين الطريق الرئيسي سوى شريط ضيق من الأرض لا يتجاوز 25 م خصص للنباتات الطبيعية وأشجار الظل والزينة.

تبلغ مساحة جماعة سيدي العايدي 135 كلم2 تنتشر فوق جزء من سهل الشاوية السفلى، مستو ذي تربة طينية سوداء خصبة : التيرس كلها صالحة للزراعة باستثناء 94 هـ. وتمتد أراضيه على طول الطريق الرئيسية لمسافة 16 كلم وعلى طول السكة الحديدية لمسافة 19 كلم يحدها جنوبا ضواحي مدينة سطات وحادورها الذي يفصل بين الشاوية العليا جنوبا والشاوية السفلى شمالا وهو ينطبق على خط ساحل قديم عندما كانت مياه البحر تغمر كل أراضي الشاوية السفلى. تتميز الجماعة بمناخ معتدل شبه قاري رطب نسبيا يصل معدل أمطاره إلى 400 ملم / السنة، يستفيد من المؤثرات المحيطية التي تنعش زراعته بندى ليلي يغذيها برطوبة وبلل يعادل 200 ملم من الأمطار مما يجعل الإقليم مناسبا لزراعة القمح.

بلغ سكان الجماعة 13.540 (1994) وكان في حدود 17.578 (1982) ويرجع سبب هذا التراجع إلى تقسيم الجماعة، ينتمون كلهم إلى قبيلة المزامزة وتذكر المعطيات التاريخية أنهم ينحدرون في معظمهم من قبائل أمزميز (*مونوغرافية الجماعة*) يتوزعون على أربع مشيخات و47 قرية أكبرها قرية أولاد منصار الترس : 737 نسمة ولازالت القرى هنا تعرف بالدوار الذي شاع منذ أن كان سكان الشاوية الوافدون إليها بعد خراب تامسنة يهتمون بتربية الشاة ومنها استمدوا تسميتهم، كانوا يقيمون خيامهم على شكل دائري تتوسطها قطعان أغنامهم لتشديد الحراسة عليها.

تعتبر الزراعة وتربية المواشي النشاط الرئيسي للسكان، وذلك بتطبيق أساليب عصرية ورأسمالية، فالملكية الخاصة هي السائدة أما أراضي الجموع السلالية فلا تتجاوز أربع بقع مساحتها الكلية 400 هـ تستغل كمراعي. وبعد أن تفتت الملكيات الزراعية بتوالي التقسيم بين الورثة عبر الأجيال حتى فقدت أهميتها، فإنها أصبحت تندمج تحت الضغوط الاقتصادية والاجتماعية الجديدة، ذلك أن الملاكين الجدد وجلهم حضريون من مدينة سطات والدار البيضاء وبرشيد أو من أبناء المهاجرين المحليين، يشترون ملكية صغيرة ثم يضيفون إليها بالشراء تدريجيا هكتارات مجاورة بإغراء الملاكين الصغار والورثة خاصة الجدد، وبهذا تكونت ضيعات عصرية كبيرة وصغيرة 5 - 20 هكتارا بها إقامات ذات منظر حضري تزود غالبا بمولدات كهربائية وخزانات مائية، كما تجهز الضيعة بأموال الأنشطة الحضرية والهجرة بالآبار والمضخات التي بلغ عددها في منتصف عقد التسعينيات 300 بئراً وحوالي 100 ثقب عميق كلها مجهزة بمضخات بخارية وأحيانا هوائية إذ شاعت المضخات التي تشغلها مراوح فوق أعمدة فولاذية بالشاوية منذ عهد الحماية بضيعات بعض المعمرين الأوروبيين، وآبار قروية لتزويد سكانها بالماء الشروب، وتتميز الجماعة بفرشة مائية غنية كان عمقها 25 م لكنها اليوم انخفضت بسبب الإستنزاف إلى 50 م أو أكثر. يشيع بالجماعة العمل الفلاحي الآلي إذ تتوفر على 82 جراراً و26 آلة حصاد و10 وحدات للبذور و10 وحدات لجمع التبن. كما تتوفر على تعاونية لجمع الحليب وثلاث تعاونيات لتسويق الحبوب. وتقدر المساحات المسقية بمياه الآبار وأنابيب البلاستيك أو الرش والتنقيط بحاولي 11.000 هـ، ويهتم المزارعون بزراعة الخضر لتزويد المدن خاصة الدار البيضاء وسطات : بطاطس جزر بصل جلبان بطيخ قرعيات ... كما يستفيد القمح كذلك من السقي ويعطي مردوداً مرتفعا بإضافة الأسمدة والمبيدات : 40 - 50 ق / هـ أما القمح البوري المعتمد على الأمطار فقط فلا يتجاوز مردوده 15، وقد انخفض عن ذلك كثيراً في السنوات الجافة الأخيرة، كما يهتم المزارعون الجدد بزراعة الأشجار المثمرة التي بلغ مجموع مساحتها 160 هـ يستخدم المزارعون العمل المأجور من طرف عمال وعاملات القرى المجاورة التي صارت كل مبانيها صلبة بعد أن كانت أكواخا وخياما في بداية عهد الحماية. أما المواشي فتربى في حظائر مجهزة معتمدة على مخازن علفية وتبن لأن جميع الأراضي تزرع بالحبوب وغيرها شتاءا، فلا يبقى هناك مجال للرعي. ولوفرة الحصائد صيفا فإنها تكرى للكسابين الذين يأتون بقطعان

الأغنام لتسمينها من مناطق بعيدة خاصة من أقاليم السراغنة والحوز وتادلة، ولهذا يهتم المزارعون بزراعة العلف كما يحولون فضلات القمح والذرة والخضر إلى علف. ويقدر قطيع الأبقار بحوالي 4200 رأس والأغنام 15.500 رأس. أما الدواب من خيل وبغال وحمير وإبل فإنها في تراجع مستمر إذ لم يعد القرويون يعتمدون عليها لا في العمل ولا في التنقل، ويقدر ما تبقى منها بحوالي 1.000 رأس وتعرف تربية الدجاج الاصطناعي في حظائر عصرية توسعا لازال مستمراً إذ تجد في الدار البيضاء والمدن المحيطة بها سوقا كبيراً مغريا.

الجماعة القروية، *مونوغرافية سيدي العايدي، بحث ميداني.*

أحمد هوزالي

سيدي علال التازي مركز قروي صغير (2500 نسمة سنة 2000) يتوسط المسافة الفاصلة بين القنيطرة وسوق الأربعاء يتخذ صفة تجمع طرقي ثانوي ويستفيد من نشاط سوق أسبوعي مهم "سوق أحد أولاد جلول" ومن النشاط الصناعي لمعملي السكر "سوناك" ومعالجة الأرز "سكاري".

مبارك الشبكر

سيدي الغازي، أبو القاسم بن محمد درعي الأصل سجلماسي الدار والقرار. شيخ صالح ومربٍّ شهير. أسس هو وأتباعه زوايا في الحواضر والبوادي المغربية. كان له عدد غفير من المريدين أشهرهم تلميذه المجدوب، أبو حامد سيدي الحاج العربي الرندي الأندلسي المتوفى سنة 1177 / 1716 المدفون بدار برأس "الشراطين" من فاس. ويصعد إليها الآن بالأدراج في مقابلة وجه الداخل للزنقة المقابلة لباب مدرسة الشراطين بانحراف، وهي أيضاً المكتنفة بين زاوية سيدي مسا الخير ودار الحبس. (*روض الأنفاس العالية*، ص. 13).

وقد تحولت تلك الدار فيما بعد، إلى زاوية يجتمع فيها أتباع سيدي الغازي،، ويقيمون «الحضرة» أثناء الذكر بالشطح والنقر على بعض الآلات الجلدية (الطبلة) جيلا بعد جيل. وصارت أيضاً مقبرة دفن بها عدد من الصلحاء. وكانت تقام بها الصلاة ولها أوقاف يستفيد منها الإمام والمؤذن والمكلف بوظيفة التدريس. وهناك زوايا غازية عديدة في سلا وغيرها من المدن والقرى.

توفي سيدي الغازي في شعبان سنة 981 / نونبر ـ دجنبر 1573. ودفن بتبوبكرت بسجلماسة وقبره هناك مشهور يتردد عليه عدد من الزوار.

أحد تلاميذ الشيخ سيدي الغازي، *مناقب الشيخ أبي القاسم*، مخطوط : م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، تح. التوحي، د. د. ع مرقون : ع. الكبير، الكتاني، *روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية*، ميكروفيلم الخزانة العامة بالرباط، رقم 63.

العربي اكنينح

سيدي قاسم، مدينة متوسطة (67.622 ن سنة 1994، حوالي 80.000 ن في 2002) تلعب دور المركز الجهوي لمنطقة الغرب، تتميز عن باقي مدن المنطقة بتوفرها على نواة حضرية قديمة (قبل القرن العشرين) ممثلة بزاوية سيدي قاسم. وقد فرضت سيدي قاسم نفسها كمركز جهوي نشيط منذ بداية القرن (حينما كانت تسمى Petit-Jean) بفضل دافع نشاط المعمرين بالأرياف المجاورة واكتشاف البترول وأخيراً بفضل موضع المدينة في مفترق الطرق والسكك الحديدية ويرتبط نموها في الوقت الراهن بتطور وظيفتها الإدارية (عاصمة إقليم منذ 1982) وبوظيفتها التجارية (جمع المنتجات الفلاحية وخاصة الحبوب) وأيضا بنشاطها الصناعي المتميز (تكرير البترول). وكذلك بتمركز شبكة للطرق والخطوط الحديدية بين الرباط وفاس وطنجة.

* * يمتد إقليم سيدي قاسم على مساحة 4060 كلم مربع، ويكون مع إقليم القنيطرة جهة الغرب الشراردة بني حسن. بلغ عدد سكان الإقليم 645.872 نسمة حسب إحصاء 1994، ويفترض أن يصل سنة 2010 إلى 779.000 نسمة (على أساس نسبة نمو 1،2٪ بين 1994 و2010) وتتوزع ساكنة الإقليم إلى 470512 قرويا و360 175 حضريا، بينما يصل معدل الكثافة السكانية إلى 159 نسمة في الكيلومتر المربع.

من أهم القبائل الموجودة بالإقليم هناك :

- قبيلة الشراردة حول سيدي قاسم.
- قبيلة بني حسن حول مشرع بلقصيري ودار الگداري.
- قبيلتا بني مالك وسفيان حول أحد كُرت وجرف الملحة.
- قبيلة صنهاجة حول وزان.

يضم الإقليم ست جماعات حضرية وأربعة وثلاثين جماعة قروية تنتظم إداريا حول أربع باشويات وأربع دوائر وأربع عشرة قيادة واثنتي عشرة مقاطعة حضرية.

من الناحية الاقتصادية تعتبر الفلاحة أساس الاقتصاد بالإقليم، وينقسم مجاله الفلاحي إلى قطاعين مختلفين :

قطاع سقوي يدبره المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للغرب (وتبلغ مساحته 55.000 هكتار) وقطاع بوري تابع للمديرية الإقليمية للفلاحة. وتشغل الفلاحة عددا من الأسر بالإقليم أي حوالي 50.000 فرد، وتموِن قطاع الصناعة الغذائية النشيط الذي يتضمن 16 مؤسسة بالإقليم. تشكل الحبوب الزراعة الأولى بالإقليم (55٪ من المساحات) متبوعة بالزراعات الصناعية (22٪) المكونة أساسا من الشمندر وقصب السكر. وبفضل توفره على المياه ينتج الإقليم نسبة مهمة من الإنتاج الوطني من الحوامض والقطن والأرز.

وفيما يخص تربية المواشي فالإقليم يتوفر على أزيد من 700.000 رأس، تعتبر الأغنام والماعز الأكثر عدداً (61،5٪) وبالرغم من قلة عددها (29٪ من المجموع الإقليمي) فإن الأبقار تساهم مساهمة فعالة في تلبية حاجيات السوق الداخلية من الحليب (حوالي 20 مليون لتر سنويا) واللحوم.

ومن شأن إنشاء سد الوحدة (3، 8 مليار متر مكعب من المياه، منها 1،1 مليار مخصصة لسقي الشطر الثالث للري بالغرب) أن تواكبه حتما زيادة كبيرة للإنتاج الفلاحي بالإقليم.

في مجال الصناعة، تعتبر الصناعة الفلاحية أهم عنصر في هذا الميدان حيث يضم الإقليم معملا لتحويل الشمندر إلى سكر وآخر لمعالجة قصب السكر بمشرع بلقصيري، ومعملا لحلج القطن (كومابرا) ووحدتين لمعالجة الحوامض، ووحدة عصرية لمعالجة الزيتون بوزان.

ورغم العدد البسيط للمؤسسات ولمناصب الشغل المرتبطة بها، فإن إقليم سيدي قاسم يتوفر على ظروف مثلى لتنمية القطاع الصناعي، كما يتوفر على مؤهلات سياحية هائلة ممثلة أساسا في مآثره التاريخية (مدينتا بناصا الرومانية، والبصرة العربية الإسلامية) وفي أصالة صناعته التقليدية خاصة في مدينة وزان.

مبارك الشيكر

سيدي لحسن، منجم رصاص - فضة يوجد في بهرة دبدو، على بعد 50 كلم إلى الجنوب الشرقي من تاوريرت، بالمغرب الشرقي.

تمعدنات الرصاص المحتوي على الفضة، معروفة بسيدي لحسن منذ العصر الوسيط حيث انصبت الأشغال على الركاز الرئيسي، فوصلت إلى عمق 30 م اضطرت معه إلى التخلي عن الاستغلال بسبب العرقلة المائية.

حصل استئناف للأبحاث في سنة 1918، لكن لم يتيسر الاستغلال إلا سنة 1979، على يد شركة مختصة (مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية BRPM والشركة العربية للمعادن ARMICO) زاولت العمل لبضع سنين فقط ثم توقفت.

شرع حاليا في البحث من جديد بواسطة الشركة المنجمية لتويسيت (CMT). تتمتع التمعدنات الرصاصية لسيدي لحسن بمضمون مرتفع من الفضة يصل إلى 1000 غ في الطن الواحد.

عدي عزّى

سيدي محمد بن عبد الله (سد -)، يوجد في المنخفض المسمى باسمه على وادي أبي رقراق بضاحية مدينة سلا. كان دوّارا مسكونا قبل أن تغمره مياه بحيرة السد. وقد تم التفكير ببناء السد لسببين رئيسيين :

- الحد من خطورة فيضانه على مدينتي الرباط وسلا،
- تجميع المياه لأجل استغلالها في التصفية وتأمين الماء الصالح للشرب للشريط الساحلي بين الرباط والدار البيضاء.

وتم اختيار موقعه على مقرن وادي أبي رقراق مع رافديه كرو وكريفلة، حيث توجد خوانق ضيقة منحوتة في صخور الحث المتحول الأولى لأبي رقراق وصخور صلبة أخرى من أهمها الكلس الديفوني، والتي تشكل موقعاً نموذجياً لبناء السد.

تم تدشينه سنة 1974، حيث يبلغ ارتفاعه 5.67م، وطوله 340 م، ويصل ارتفاع الماء فيه إلى حدود 50 م فوق مستوى البحر. يستطيع تخزين ما قدره 480 مليون م3، تقدر مساحة البحيرة في حالة الملء ب 28 كلم2، ويصل أقصى عمق فيها إلى 35 م.

أقيمت على السد محطة تستطيع أن تضخ 860000 م3/ اليوم، وترفعها إلى محطة التصفية في سطح الهضبة المشرفة على وادي عكراش، عند ارتفاع 150 م، والتي تبلغ قدرتها على تصفية 720000 م3 /اليوم. وهي أكبر محطة للماء الصالح للشرب بالمغرب.

لكن بحيرة السد تعاني من مشكلين أساسيين :

المشكل الأول التوحل : تقدر مصلحة تدبير المياه بإدارة هندسة المياه أن معدل ما يترسب في قعر بحيرة السد من أوحال حوالي 889 مليون م3 / السنة، أي بمعدل 2.28 م3 / ثا. تتوزع على قعر البحيرة بمعدل 271 م3 / كلم2، وتزداد في السنوات الرطبة، في حين تتناقص في السنوات الجافة. وهذا ما يقلل من عمر بحيرة السد ويجعل المدى العمري المؤقت للسد لا يتعدى 50 سنة منذ 1983.

المشكل الثاني تلوث مياه بحيرة السد : يأخذ التلوث أهمية كبيرة في سد سيدي محمد بن عبد الله من كون مياهه مخصصة أساساً للماء الصالح للشرب. ومن أهم مظاهر التلوث فيها ما يلي :

1 - ازدياد كمية المادة العضوية في بحيرة السد بمعدل 3 - 6 غ / م2 / اليوم. بمعدل سنوي يصل 5.1 مليون طن.

2 - تزايد نسبة الفوسفور ((Po4 في الشريحة العليا لسطح مياه البحيرة.

3 - ارتفاع حدة الأملاح وخصوصاً النترات ((NH4 في أعماق البحيرة.

4 ـ ارتفاع حدة PH التي تتراوح بين 7.7 و4.9 وتعرف أقصاها في فصل الصيف وذلك ارتباطاً بتمثيل Co2 بواسطة عملية Phytoplancton والتي يؤثر فيها عاملان أساسيان هما الأوكسجين الذؤوب والنترات.

ويقوم المكتب الوطني للماء الصالح للشرب بالتعاون مع منظمات دولية ووطنية من أجل حل هذه المشاكل أو التخفيف من حدتها.

رفع القدرة التخزينية للسد : أدى تزايد احتياجات سكان الشريط الساحلي للمياه الصالحة للشرب من جهة، وتناقص القدرة التخزينية للبحيرة بفعل التوحل من جهة ثانية، إلى التفكير في الرفع من مستوى ملء البحيرة من 50 م إلى 70 م، وذلك لرفع القدرة التخزينية من 480 مليون م3 إلى 5.1 مليار م3، وبالتالي مضاعفة مساحة البحيرة لتصل إلى 56 كلم2، مما سيوفر كمية مائية تصل إلى 245 مليون م3 سنوياً لكنه في نفس الوقت سيغمر أراضي زراعية واسعة تشمل عدة دواوير في عمالتي سلا الجديدة والصخيرات تمارة تضم 224 أسرة.

دراسة ميدانية.

عبد الرحيم وطفة

سيدي يحيى الغرب، مدينة تحتل الرتبة الخامسة ضمن التراتبية الحضرية لمنطقة الغرب (33840 نسمة سنة 2000) وترجع نشأتها هي أيضاً إلى ظروف الحماية التي قررت سلطاتها سنة 1926 خلق مركب استعماري عند سيدي يحيى على مشارف المرجة الكبيرة المجففة، ثم بعد ذلك خلق تجزئة غابوية شاسعة لأشجار الأوكليبتوس بين سيدي يحيى وسيدي سليمان.

مازالت المدينة حتى اليوم تركز أهم أنشطتها على استغلال خشب الأوكليبتوس وأيضاً على وجود معمل عجين الورق (سيليلوز الغرب)، بينما يشكل سوقها الأسبوعي نشاطا مكملا. ولكن مدينة سيدي يحيى تعاني كثيراً من قرب القنيطرة (28 كلم) التي تتعامل معها كتابع حقيقي.

مبارك الشيكر

سيدي يوسف بن **علي** الصنهاجي المراكشي المعروف بالمُبتلى وبصاحب الغار، لأنه كان يعيش في كهف بعد ما ابتلى بالجذام، وقد اطلق على ذلك المكان رابطة الغار، وحارة الجذمى، يقع خارج باب أغمات شرقي مدينة مراكش. وتعرف المدينة رابطات أخرى شبيهة هي : رابطة أبي إسحاق داخل باب أيلان، ورابطة الصالحين بحومة النجارين.

أخذ سيدي يوسف بن علي الطريقة عن شيخه أبي عصفور يعلى بن وين يوفن الأجذم، أحد مشايخ مراكش وسادات العارفين في وقته، وكان عبداً صالحاً (ت. 583 / 1187). وهو تلميذ أبي يعزى يلنور بن ميمون، وعاش سيدي يوسف بن علي في عصر الموحدين الذي انتشر فيه التصوف، وكثرت الرباطات ويمكن الوقوف على ذلك من خلال ما ورد من أخبار الصوفية ومواقفهم في كتاب *التشوف*.

واعتبر من رجالات مراكش السبعة المشاهير، واطنب المؤرخون في ذكر أسباب البدء به، واعتباره أولهم، فالناس إنما اصطلحوا على جعل أبي يعقوب أولهم لأنه يمني. ولعل من أسباب هذا الاختيار كذلك تقليد الطواف حول الكعبة فضريح المترجم يقع قبلي مراكش، فأشبه الركن اليماني من كونه قبلي البيت، لأنه ناظر إلى جهة الشرق والانطلاق منه إلى باقي الأضرحة (*بادرة الاستعجال*، 20).

وهو قريب كذلك من القصر السلطاني بالقصبة منطلق السلاطين ورجال الدولة للزيارة، فهم يخرجون منه يمينا لبدء الطواف الذي ينتهي بالإمام السهيلي.

توفي في شهر رجب عام 593 / ماي ـ يونيه 1197 ودفن خارج باب أغمات برابطة الغار، إلى جانب شيخه أبي عصفور يعلى بن وين يوفن كانت هذه الرابطة حارة للجذمى بمراكش قبل أن تنقل خلال العصر السعدي إلى الحي المسمى حالياً بالحارة خارج باب دكالة.

وعند الإفراني أن سيلا جارفا أصاب المدينة سنة 1134 / 1721 ودخل رابطة الغار وجرف البيوت الموجودة حولها، فأعيد بناء الضريح من جديد من طرف والي المدينة، بحضور المؤرخ المذكور (*درر الحجال*، 140).

ي. ابن الزيات، التشوف، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984؛ م. الإفراني، *درر الحجال في مناقب سبعة رجال*. تح. جلاب، مراكش، 2000 ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، طبعة حجر فاس، 1335 ؛ أ. ابن العريف، *محاسن المجالس*، نشرة اسين بلاسيوس، باريس، 1933 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *معلمة المدن والقبائل*، المحمدية، 1977 ؛ ع. ابن إبراهيم، *إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال*، مخطوط ؛ *الإعلام*، الرباط، 1974 ؛ د. الغالي بن المكي الأندلسي، *بادرة الاستعجال في مناقب سبعة رجال*، مخطوط ؛ ح. جلاب، *الحركة الصوفية بمراكش*، 1994.

حسن جلاب

السيروا (جبل –) تتحدد إحداثيات القمة من جبل السيروا بخط عرض 42 30 شمالاً، وخط طول 37 7 غرباً، وبارتفاع 3305 م. وهي كتلة جبلية متميزة، تمثل نقطة الربط بين الأطلسين الكبير والصغير، فاصلة بذلك ما بين سهل سوس إلى الغرب، وباقي المنخفض الجنوب أطلسي الممتد من ورزازات إلى ما بعد الرشيدية.

تنتمي القمة بالتأكيد إلى الأطلس الصغير بمختلف المقاييس الطبيعية. لاشك أن أهمها أنه من الجبال الموجودة إلى الجنوب من "الحادث البنيوي الجنوب أطلسي". وهو بذلك يخرج من ميدان النظام البنيوي الأطلسي الصرف، المنتسب للمجال المتوسطي، ويدخل في عداد الميدان الإفريقي الأكثر رسوخا واستقراراً. وعلى هذا الأساس، تكون كناية الأطلس في تسمية الأطلس الصغير إشارة لإقليم جغرافي بدون أية

إحالة على الوضع البنيوي. حيث من المعلوم أن الميدان البنيوي الأطلسي يقتصر في المغرب على الأطلسين المتوسط والكبير، من نفس المنطلق الذي يجعل سلسلة الريف تنتسب للنظام الألبي.

لكن يبقى جبل السيروا، رغم خروجه عن النظام الأطلسي الحقيقي، شديد التأثر به نظراً لقربه الكبير منه. وذلك بسبب وضعه اللصيق بالشفة الجنوبية لنطاق الانفصال الجنوب أطلسي، تماماً كما هو الشأن في كتلة توبكال الوثيقة الصلة بالشفة الشمالية.

وقد تصح المقابلة بين الكتلتين على مستويات عدة.

فكما أن توبكال محصور بين الحادث الجنوب أطلسي والانكسار الكبير للتيزي نتاست شمالاً، فإن السيروا معزول بين نفس الحادث الجنوب أطلسي وما يسمى بالحادث الرئيسي للأطلس الصغير جنوباً. وكلها انكسارات نشيطة، تأججت حركيتها على الخصوص في سياق البنائية الأطلسية في الحقب الثالث، مع احتدام في الميوجين والرباعي.

لكن هذا الأمر أعطى امتيازا خاصا للسيروا، إذ حسم في مصيره وأحاله إلى بركان حديث العهد، باعتبار المقاسات الجيولوجية، غطى القاعدة القديمة للركيزة المحلية بفيوض من الأدفاق البركانية. زلزال مدينة أگادير، سنة 1960، شاهد حالي على النشاط الانتهاضي العميق الجذور لهذا النطاقي البنائي الحدودي، والذي يهز بحركيته، ليس القشرة الأرضية وحدها، ولكن المعطف الأعلى كذلك.

ومن جهة أخرى، فإنه لولا السيروا، لكان توبكال هو آخر مجال إلى الجنوب، في مجموع الحوض المتوسطي، يتيمز بمظاهر التشكيل الجمدي الموروثة عن الحقب الرابع، وإن كانت هذه الأشكال خافتة في السيروا بسبب الارتفاع الأقل والمواجهة الأقرب للصحراء. كذلك الخفوت النسبي للغطاء النباتي. لكن تبقى عادات السكان، في تربية الماشية والزراعة وأنماط السكن، شديدة التشابه.

وتكاد المقابلة مع توبكال تتوقف عند هذا الحد.

أما من حيث الأساس البنيوي، فلا تختلف قاعدة السيروا عن باقي مكونات الأطلس الصغير، القديم التركيب. فهي أولا بهرة شديدة القدم، شبيهة بكل تلك التي تكون السلسلة، من جناحها الغربي إلى امتداداتها في الوسط والشرق، وصولا إلى الصاغرو والوگنات. تهم البهرة تقبُّب الأساس الهرسيني المغلّف بالطبقات الكمبرية الشيستية والكلسية، التي تكشف عن القلب المكون من الصخور قبل ـ الكمبرية، وأساسها الگرانيت مع بعض الشيست والكوارتزيت والحمم القاعدية.

لكن أهم حدث مميز للكتلة هو التشييد المتأخر، من فوق القاعدة القديمة، لمخروط تراكمي هائل مكون من أدفاق الفونوليت، تتخلله طبقات قارية ميو ـ بليوسينية.

ولقد تشكل، من جراء هذه الأزمات الاختراقية النيوجينية ومن تراكبها مع حطام التعرية والمواد القارية عموما، ذلك البركان الطبقاتي الذي أعطى الهيئة والحجم النهائيين للجبل، والذي قدرت له القياسات النظائرية عمراً من فئة 10،5 إلى 6،5 مليون سنة (A. Rique. *Géol. Mar.*, 1994). وقد اكتسبت المنطقة من وضعها البنيوي مشاهد بركانية فريدة من نوعها اتساعا وجمالا. ومن أهم مظاهرها حقول أنابيب الأرغن النادرة في غيرها من المناطق المغربية بكل الأعمار، والتي تناهز ارتفاعاتها هنا الخمس مائة متر (تيكنيوين).

لذا جاءت القمة مخالفة لكل ما حولها شكلا وتطوراً. وقد زاد من تفردها انعزالها عن السلسلتين الجبليتين بفجاج عميقة، هي دون قمتها بألف متر عند الاتصال بالأطلس الكبير وألفي متر جهة الأطلس الصغير. أما بالنسبة للقادم من سوس في الغرب أو من مقدمة الصحراء في الشرق، فإن القمة تبدو شامخة، فاصلة بين عالمين.

يتجلى الاعتراض في كل شيء ظاهر. إذ تتمتع قمة السيروا، مع بقع قليلة أخرى محدودة تخص أعلى ما في الأطلس الصغير، بتساقطات من فئة 500 مم، لكن مع تناقض صريح بين السفحين الغربي، المنفتح على التأثيرات المحيطية، والشرقي، الملفوح بالرياح المتاحة الآتية من الصحراء، الشديدة الحر والجفاف. تستقبل مدينة أولوز، إلى غرب الجبل وفي أقصى عمق السوس، معدلا مطريا بـ 360 مم، تليها تاليوين، في القدم الجنوبية الغربية، بمعدل 240 مم، لكن تازناخت، في القدم الجنوبي الشرقي لا يتعدى 120 مم. على أن التضارب لا يتوقف عند التفاوت في مقادير التساقطات، بل هو حقيقة الحدّ الفاصل بين نظامين بيومناخيين واضحي الاختلاف.

إلى الغرب، يتمثل الفصل الرطب في الفترة بين أكتوبر وأبريل، مع أقصى مستوى له في دجنبر ـ يناير. أما في الشرق فلا ينتظر المطر إلا في شتنبر إلى نونبر أو دجنبر، ويكاد لا يكون إلا على شكل زخات عاصفية شديدة التأرجح في الزمان. فيكون عدد أيام التساقط النافع بحدود الثلاثين يوما في الغرب، في حين أنها لا تتعدى العشرة أيام في الشرق. وتبلغ على القمم الخمسين يوما، مع نصيب من الثلوج منتظم في فصل الشتاء.

لذا فإن الطريق الرئيسية الرابطة بين تارودانت وورزازات، التي تحف في وسطها بقدم الجبل من جهته الجنوبية، تصلُ في وقت وجيز بين طرفي نقيض. فهي إذ تأتي من الغرب، صاعدة وادي سوس الأعلى، اليانع الخضرة، سرعان ما تواجه المجال الشرقي القاحل، وإن كان به بعض الشعاب الرافدة لوادي درعة.

بين أولوز ووادي تيفنوت، من عالية سوس، والجبل، توجد روائع نباتية لا مثيل لها من حيث التموضع. منها آخر تجمع كبير للأركان (Argania spinosa) في اتجاه الشرق، الشجرة الثمينة الفريدة بجنسها في العالم، والتي استطاعت أن تعطي لسهل سوس رغم جفافه (حيث يبقى التساقط في

كل مكان منه دون 300 مم) خضرة وكثافة الحياة في الغابات.

وتجدر الإشارة، إلى أنه آخر موقع إلى الشرق من "محمية أركان للمحيط الحيوي". وهي محمية تشكل كل الإقليم الطبيعي للتشكيل الغابوي لشجرة أركان، حظيت بالاعتراف الدولي بوصفها إحدى أهم الجهات الطبيعية والحضارية في العالم. وتأتي الحظوة من كونها تضم شجرة الأركان بالذات، وذلك لما للشجرة من التفرد المطلق بالجنس، وهو بالطبع إسهام فريد في تراث التنوع الحيوي الكوني، وما تتميز به من أدوار في مكافحة التصحر. وقد تم التسجيل باللائحة الدولية لمحميات المحيط الحيوي، المقامة من طرف منظمة اليونسكو، وبالضبط في إطار برنامجها البيئي التنموي الهام الذي يحمل اسم الإنسان والمحيط الحيوي، المعروف بالماب (Man and Biosphere : MAB))، وذلك بمقر المنظمة بباريس في ثامن دجنبر من سنة 1988.

أما إذا واصلنا التحرك صوب قمة جبل السيروا انطلاقا من مدينة تاليوين، وهي بالضبط المدخل الرئيسي لكيانه الضيق، يلاحظ تكاثر العرعر المغاربي (Tetraclinis articulata) مع عناصر ثانوية من العرعر الأحمر (Juniperus phoenicea) والخروب (Ceratonia phoenicea) والضرو (Sistacia Lentiscus) وغيرها. ثم صعوداً إلى القمم، تنتشر غابات زگموزن والسيروا من قواعد العرعز المغاربي إلى البلوط الأخضر (Quercus rotundofoléa)، (Boudy P. 1958) ولا شك أنها آخر مناسبة إلى الجنوب يبين فيها البلوط الأخضر عن بعض الحيوية، إذا ما استثنينا بعض العناصر المشتتة والمتداعية التي لا يعتد بها.

ومعلوم، من جهة أخرى، أنه انطلاقا من هنا سرعان ما يتراجع ظهرر العرعر المغاربي، يعوضه في اتجاه الشرق، بصفة كلية، العرعر الأحمر.

وفي جل الحالات هنا، عندما تختفي التشكيلات الشجرية، تحت الضغط الحثيث للإنسان، خاصة عندما تتضافر القارية والارتفاع لجعل تدهورها لارجعيا، يتحول الغطاء النباتي الطبيعي إلى سهوب الشيح (Artemisia) والزعتر (Thymus). كما تبدو بعض أعالي السفوح على شكل حافات انهيال، حطامها مهيكل ومنتظم التفريش. وينتهي التشكيل على القمم إلى تجويفات جمدية عريضة موجهة صوب الشمال والشمال الشرقي. وكلها شواهد، ثمينة في هذا الموقع رغم تواضعها، تدل على ما سلف من الفترات الرطبة والباردة من الرباعي.

يعتبر الموقع العام للسيروا من الوجهة المشهدية مجال إمتاع طبيعي. ولخلوه من الطرق المعبدة، فإنه يرتاد من أجل الاستجمام أو النزهة الرياضية. وهو في مجمله عبارة عن مخروط هائل مفلطح القمة، تعلوه تشكيلات بديعة من أعمدة الصخر البركاني، وتنحدر منه أودية عميقة بشكل شعاعي، تشكل العاليات منها خوانق سحيقة تتخللها العزبان وملاجئ القطعان المنتجعة صيفا. أما ما دون حوالي الألفي متر، فتتقاسمه الأحراج وما تبقى من الغابات، على البيأنهار، والمنشآت الريفية المتكاثفة في الأودية.

المشهد الريفي بسيط، تقليدي في الإقليم، قوامه حقول الشعير الشتوي المتسلقة للمصاطب السفحية والمقواة بالدعامات الحجرية، وهي في الغالب مصحوبة بأشجار أو جنان اللوز.

جبل سيروا في إطاره البنيوي المبسط

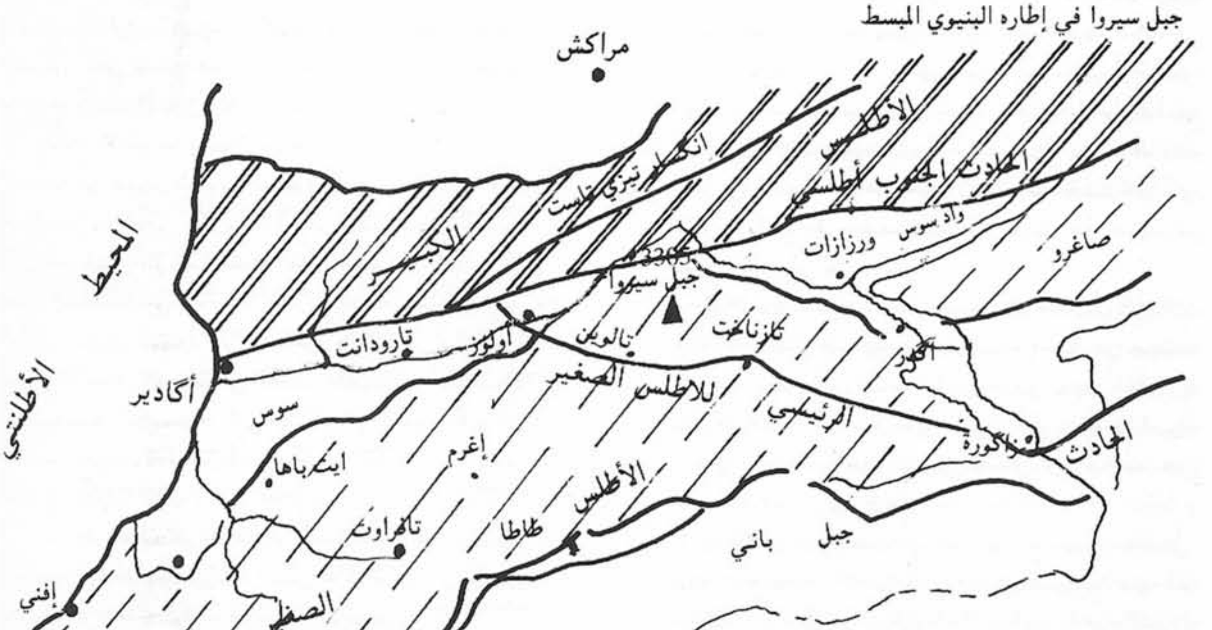

أحدث ما في الجبل، القطاع السقوي لسد تاغدوت في جنوبه الشرقي، في العالية المباشرة لمدينة تازناخت. وهو أقدم السدود العصرية جنوب الأطلس، وأصغرها (*Ressources en eau du Maroc*, t. 3, 1977). انتهى من بنائه سنة 1956، ولا يروي إلا مائتي هكتار، يبدو أنها قابلة للزيادة إلى الضعف بشيء من الإصلاح. يقوم بتنظيم مياه وادي عمارة، رافد واد نايت دوشان ورافد لهذا الأخير هو واد ورزازات. توجد جل أراضي القطاع على المصاطب الدنيا بالضفة اليسرى من الوادي. تنمو بها مغارس اللوز وتتواتر على حقولها منتوجات الخضر والأعلاف وخاصة الحبوب ومنها الذرة.

تلزم الإشارة إلى أن هذا السد العصري، القديم نسبيا، والذي يكاد يكون مجهولا لصغره ومحدودية وسائله، يطرح مع ذلك الإشكالية المعقدة والمفيدة المتسائلة عن النسق التقني المناسب وظيفيا والذي يجب أن تتميز به سدود المناطق الجافة، وخاصة منها الموجودة في مقدمة الصحراء. ذلك لأنها مطالبة بأن تفيد في كل الأغراض المعروفة التي تضطلع بها السدود على العموم، لكن مع أقل ضرر ممكن بالبيئة الطبيعية، ذات المواصفات الخاصة هنا، والموسومة بالهشاشة الشديدة، وكذلك بأقل تدخل غير عارف ولا مسؤول بالبيئة البشرية الشديدة الغنى بالمكونات الحضارية ذات الأهمية (التصحر : الجزء السابع من *المعلمة*، ص. 2384).

لاشك أن سد تاغدوت يتميز بالحجم التجريبي المناسب، وبالعمر المعياري للتقويم، من أجل استشراف المقاسات المواتية لحقينات هذه الفصائل من أساليب التخزين، وذلك في علاقتها مع طاقة التبخر السائدة، وسلاسة تصريف الفائض حتى يعبر إلى الخطارات مثلا ويطعم زراعات السافلة ويزود بما يمكن أن تحتاجه مواقع الصمود الأمامي في وجه التصحر.

جدير بالذكر، هنا كذلك، الإشعار بأنه بمجرد المرور إلى السفح الشرقي من السيروا، وبالتالي إلى الحوض الأكبر لوادي درعة، يتحقق الولوج إلى المحمية الثانية من محميات المحيط الحيوي المغربية. وتعتبر أكبر محمية من هذا الطراز في ما يسمى بالجهة الغربية من التقسيم المعتمد باليونسكو، لكونها تجمع بين الحوض الأعلى والأوسط لدرعة والحوض الإجمالي لواديي زيز واغريس وما بينهما. وقد أعلن عن المصادقة في عاشر شهر نونبر من سنة 2000 بتسمية محمية المحيط الحيوي لواحات الجنوب المغربي.

واستحقت المحمية الاعتراف والعناية الدوليين بوصفها آخر نموذج واسع ونشيط من نماذج نطاق مقدمات الصحراء، الموجود في حاجة ماسة إلى الصون والدعم حتى يُتمكن من مواصلة مكافحة الزحف الصحراوي. وتقترح خطاطة تدبير المحمية أن يكون الاعتماد المادي في بلوغ ذلك، بالأساس، على *إعادة التأهيل الطبيعي* للسفح الجنوبي من الأطلس الكبير، والعناية الفائقة بما لازال قائما من المهارات البشرية وبالموروث الحضاري من أجل الإدراك الحقيقي لدواليب التنمية المستدامة في الإقليم ومنها في مجالات الخصاص المائي بصفة عامة.

ومن جهة أخرى، عرف الموقع، منذ عهد بعيد، العديد من الأنشطة في القطاع المعدني، ولازال يعرف بعضها ولو جزئيا. الآثار الفلزية الغالبة من حول الجبل هي ولا شك المنغنيز، الذي عرف استغلالا مكثفا إلى عهد قريب حول مركز بوتازولت بالمنجم المعروف باإيميني في الشمال الشرقي. ومن العناصر الأخرى، القابلة للاستثمار، الجبس والرصاص والزنك. ولاشك أن من أهم المواقع وأقدمها منجم الفضة بالزكوندر، مباشرة إلى الشمال الغربي من القمة. وهو من القدم والرسوخ إلى حد أنه أكسب الساكنة مهارات في صياغته (الزكوندر : *المعلمة*).

في الواقع، تتمتع الجهة بالعديد من ميادين الخبرة، جعلت السكان يبرزون في منتوجات تستحق إفاضة في الإشهار على الصعيد الوطني وحتى العالمي. فبالإضافة إلى عمل الفضة، يتميز الإقليم، من جملة ما يزخر به، بزراعة الزعفران (Crocus sativus) وصناعة الزرابي النفيسة.

تسمى الحقول المتخصصة في استنبات الزعفران محليا بالزعفرانيات، ويمارس هذا النوع من الزراعة تقليديا بالأساس في واحات الجنوب، وفي الأطلس الكبير. كما أن للزعفران عاصمة، تضم تعاونية المنتجين، هي مدينة تاليوين، عند المدخل الجنوبي الغربي لجبل السيروا. مشاهد رائعة يمكن أن تكتشف إلى الجنوب من قمة السيروا (3305 م) وقمة گيليز (2905 م) والخوانق المحدقة، حيث قرية تاكويامت، أكبر تجمع سكني بالكتلة الجبلية، ومن حولها حقول الزعفران الدائبة النشاط. يعتبر الزعفران المغربي من أجود الضروب نكهة، لكنه لا يمثل إلا النزر القليل جدا، بالمقارنة مع الجارة إسبانيا مثلا التي تسيطر على الإنتاج العالمي، ويحتاج بالتالي إلى دفع جديد حتى ترتفع مردوديته ويتسع تسويقه.

كما أن كل المجتمع البشري المحيط بالسيروا، من آولوز غربا إلى تازناخت وما بعدها شرقا، يبدي حذقا متناهيا في صنع الزربية. وقد عرفت بها قبائل سكتانة وزكيطة، واتخذت من تازناخت عاصمة لأثمن الزرابي، وهي عامة أصغر حجما من سجاد الأثاث المتعارف عليه، تستعمل بسطا لتغليف الفرش وكذلك للتزيين. وتباع بالمدينة كذلك أنواع البرنس الأمازيغي الصوفي المصنوع محليا. عمل الصوف هنا متقن بديع، يضع المنتَج الأصيل من ضمن أغلى ما يوجد في السوق المغربية على الإطلاق.

بالنظر لكل هذه الخاصيات، فإن جماليات المشهد ليست حكرا على مظاهر الطبيعة وحدها، وإن كانت تجلب في حد ذاتها سنويا العديد من الزوار العارفين، خاصة في فصل الربيع تجنبا لبرودة الشتاء في الأعالي. بل تنضاف المنشآت البشرية إلى البيئة الطبيعية من أجل الإمتاع المتكامل. هناك

بالطبع مناظر التدبير الزراعي، التي تندرج من الإطار البديع للمدرجات النهرية وللزعفرانيات، إلى رياض اللوز التي تبهر الزائر بألوان إزهارها الشتوي، غير المألوف في ما عداها.

روعة من نوع آخر يصبغها التناسق الحاصل بين الخوانق والأجراف العالية والقصبات المعلقة من فوقها، التي تبدو عاتية ممتنعة، كما هو الشأن في تيسكي، جنوب شرق قمة كليز، حيث تطل المنازل القديمة من أعلى شاهق بمئات الأمتار، وقد استحالت في الحاضر إلى خزانات للحبوب.

مناظر من هذا القبيل، تنمقها أنواع الصخور في ألوانها الزاهية واختلاف تشكيلها، بزخم لا يوجد لا في القواعد القديمة والبنيات البركانية، تزينها خضرة الأودية والغابات، والأعراف المتوجة بالثلوج، المشرفة على المجالات الرحبة الوضاءة، وشموخ القصبات وحميمية الأسواق التي تبدو، ومعها الحياة النشيطة بها، كما لو كانت موروثة عن حكايات الأزل، هي التي استدعت صانعي السينما العالمية لإنجاز بعض أضخم الأفلام التاريخية بها، وبعض أروع إنتاج المتخيل البشري.

معلوم أن ورزازات، في شرق المنطقة، تعتبر "هوليود" المغرب. كما يمكن أن نسوق من بين الأمثلة كيف أن قمم الأطلس الكبير والقصبات المجاورة، إلى الشمال، قد استعملت في إنتاج سينمائي ضخم حديث (1996) لتشخيص جبال الهيمالايا والتبت ! وقبل ذلك، سنة 1952، وإلى الغرب هذه المرة، استعيرت مناظر سوسية، جنوب شرق تارودانت (تيوط) لالتقاط مشاهد الفيلم الدولي الكبير علي بابا، الذي قام بالبطولة فيه الأمريكي يول باينر والفرنسي فرنانديل، ونخص بالذكر ممن شارك فيه من الفنانين المغاربة المرحوم البشير العلج (انظره في *المعلمة*).

سيطرح جبل السيروا باستمرار، ورغم حجمه الصغير نسبيا، مسألة انتمائه الإقليمي. ذلك لأن أهميته الحقيقية تكمن في العوالم التي يربط بينها، والتي تمثل جل سحنات المغرب الواسع الممتد جنوب الأطلس جمالا وروعة وعبقرية.

إدريس الفاسي

السينغال والمغرب. السينغال قطر صغير مساحته تزيد قليلاً عن مائتي ألف كلمتر مربع، يقع على شاطئ المحيط الأطلسي في مجموعة إفريقيا الغربية. جوه معتدل بالمقارنة مع بقية الأقطار المجاورة له. تحقق تقدمه في العمران والتجهيزات الاقتصادية والاجتماعية على مدى ثلاثة قرون عاشها الشعب السينغالي تحت الاستعمار الفرنسي. كما تكونت نخبة من المتعلمين والمثقفين السينغاليين أكثر عدداً من سائر الأفارقة. توفقوا في ميادين التعليم والإدارة والعسكرية، ونبغ منهم كتاب ومفكرون لا معون. انتشروا في فرنسا وفي غيرها من الأقطار.

حصل السينغال على الاستقلال سنة 1960 وأصبح جمهورية على رأسها الرئيس ليوبولد سيدار سنغور. مر من تحالفات واتحادات عدة إلى أن استقر الوضع بانفصال السودان (مالي) وقيام الجمهورية السينغالية وبداخلها جمهورية غامبيا، وبجانبها جمهورية مالي. وفي بداية سنة 1961 بادر المغرب بربط علاقات دبلوماسية مع السينغال على مستوى تبادل السفراء.

علاقات المغرب بالسينغال كانت وثيقة الارتباط في الواقع على مدى قرون بعد الفتح الإسلامي للمغرب وامتداده إلى السينغال بواسطة الفتوحات الواردة عليه مما جعل تاريخ البلدين يلتقي في فترات عديدة وتعاطفهما يزداد. وتبلغ نسبة المسلمين في السينغال تسعين في المائة، الكثرة الكاثرة منهم أتباع الطريقة التجانية ممن يهوون بأفئدتهم إلى فاس حيث ضريح الشيخ أحمد التجاني صاحب الطريقة. وإلى جانب هؤلاء، أتباع الطريقة القادرية المعروفون بالمريدين الذين يتمتعون بنفوذ كبير اعتباراً للدور الاقتصادي وخاصة الزراعي الذي يقومون به.

لذلك ظلت علاقات الود والتعاون وطيدة بين السينغاليين والمغاربة بالرغم من الزحوف الاستعمارية وما أقامته من حواجز بينهم. ولقد أقامت جالية مهمة من المغاربة في ربوع السينغال أبا عن جد يتعاطون التجارة، وكانوا يتمتعون بالاعتبار والتقدير. اختلطوا بالسينغاليين وتصاهروا معهم.

رعياً لكل هذه الاعتبارات، اتجهت حكومة المغرب المستقل إلى تمتين علاقاتها مع إفريقيا السمراء وخاصة مع السينغال، وصدرت أول محاولة لتوحيد الدول الافريقية حديثة العهد بالاستقلال قام بها جلالة محمد الخامس في يناير 1960 فانعقد أول مؤتمر للقمة بالدار البيضاء. ولأول مرة كذلك امتد جسر بين ما كان يسمى بإفريقيا السوداء وإفريقيا البيضاء حيث كان الاستعمار يحرص كل الحرص على التفريق بينهما. وتابع مناوراته. فكانت تقوم تكتلات مفتعلة لا تلبث أن تنهار.

وفي آخر سنة 1960 بعث جلالة محمد الخامس "وفد ود وصداقة" إلى الدول الإفريقية قام برحلة إلى اثنتي عشرة دولة ما بين 10 نوفمبر إلى 10 دجنبر. كان من ضمن مهام الوفد : الحصول على دعم كفاح الجزائر في سبيل الاستقلال، والدعوة للتضامن الإفريقي وتعاون المغرب مع جميع الدول الإفريقية، والتنسيق في القضايا الدولية، والحوار حول قضية موريتانيا التي كانت موضوعة.

ولقد حصل الوفد المغربي على نتائج طيبة سواء في الأقطار الإفريقية التي كانت تعرف بالدول المتكلمة بالانجليزية أو الناطقة بالفرنسية. ولقي حفاوة كبيرة في السينغال من لدن الرئيس ليوبولد سيدار سنغور الذي سبق أن تابع القضية المغربية إبان اشتداد الأزمة بين المغرب وفرنسا حين كان عضواً في حكومة ايدغار فور التي أسهمت في حلها بقبول عودة محمد الخامس من المنفى وما ترتب عن ذلك من إعادة المشروعية والاستقلال. لم يمر شهر على رجوع

وفد الود والصداقة المغربي إلى الدول الإفريقية حتى تقرر فتح سفارة مغربية في دكار في 13 يناير 1961.

على مدى كل هذه العقود ظلت الوشائج طيبة لا يشوبها شيء بين المغرب والسينغال، وكذلك التعاون في شتى المجالات. خاصة في المجال الثقافي والدبلوماسي والسياسي. وقد ساعد الرئيس سنغور على التوفيق بين المغرب وموريتانيا، واستمر السينغال في تأييد وحدة المغرب. وقام كل من المغفور له جلالة الحسن الثاني وجلالة محمد السادس بزيارة دولة للسينغال كما قام الرئيسان عبده ضيوف وواد بزيارة المغرب. وأبرمت عدة أوفاق بين البلدين. ويوجد المئات من الطلبة السينغاليين يدرسون في المغرب.

ق. الزهيري، *مذكرات دبلوماسي*، الرباط، 1990.

قاسم الزهيري

السينما بالمغرب. تعرّف المغرب على السينما خلال السنوات الأولى لظهورها بأروبا. فبعد أقل من عامين على تنظيم أول عرض سينمائي عمومي بباريس يوم السبت 28 دجنبر 1895، شهد المغرب سنة 1897 تنظيم أول عرض سينماتوغرافي به، وقد تم ذلك بالقصر الملكي بمدينة فاس. وابتداء من توقيع معاهدة الحماية بين فرنسا والمغرب عام 1912 أخذت العروض السينمائية ودور العرض في الظهور والانتشار بمختلف المدن المغربية.

إلا أنه قبل هذا التعرف، وبالموازاة معه، مثل المغرب فضاء مفضلاً للتصوير السينمائي، حيث بعث الأخوان لوميير بطاقم تصوير إلى المغرب في الفترة المتراوحة بين 1895 و1905 قصد إنجاز أفلام قصيرة لأماكن وسحن وعادات تبدو غريبة إذاك في أعين المشاهد الأروبي (تتوفر قائمة المشاهد الخاصة بشركة الأخوين لوميير علي "فيلم" قصير يحمل عنوان "راعي الماعز المغربي"، كما قام المصور والصحافي فيليكس ميسغيش بتصوير مدينة الدار البيضاء عام 1907، أثناء مهاجمة القوات البحرية الفرنسية لها وشروعها في احتلالها، فيما يمكن اعتباره لحد الآن أول وثيقة سينمائية مصورة عن بدايات الاحتلال الفرنسي للمغرب، وهي وثيقة تملك، فوق ذلك، أهمية خاصة بسبب ما تؤشر إليه من علاقة بين السينما والاستعمار.

وفعلاً، فقد عرف المغرب ابتداء من سنة 1919 وإلى حدود حصوله على استقلاله سنة 1956 تصوير قرابة 80 فيلماً روائياً غربياً طويلاً، يدخل تصوير معظمها في إطار النظرة العجائبية المتعالية التي يحملها الغرب تجاه العالم العربي الإسلامي، إلا أن هذا التصوير كان يؤكد، في الوقت ذاته، نجاح السلطات الاستعمارية الفرنسية في السيطرة على البلاد، وتحويلها إلى مكان آمن بالنسبة للغربيين.

إن أول فيلم أجنبي تم تصويره بالمغرب، وهو "مكتوب" للفرنسيين ج. بانشون ودانيال كانتان، يعود تاريخه، كما سلف، إلى عام 1919. وهي فترة كانت قد مرت فيها 7 سنوات على إعلان الحمايتين الفرنسية والإسبانية على المغرب في 30 مارس و27 نونبر 1912 على التوالي، بما يعني أن السلطة قد استقرت في يد قوات الاحتلال بمدن مغربية مختلفة، مما مكن من تصوير الفيلم دون أي مشكل في مدن الدار البيضاء وطنجة ومراكش.

لقد صار تصوير الفيلم الأروبي على أرض المغرب، بهذا المعنى، تأكيداً لنجاح سلطات الحماية في "تهدئة" البلاد وإخضاعها. لذلك لم تتوان هذه السلطات عن تقديم مختلف أشكال الدعم لهذا النوع من الأفلام، ففي عام 1922 ولأجل تصوير فيلم "دم الله" للفرنسي لويتزمورا، قامت السلطات المحلية لمدينة مراكش بتجنيد حوالي 12.000 فرد، واحتجاز قرابة 4.000 حصان، و2.000 جمل لمدة 3 أشهر قصد تصوير الفيلم. كما أن المقيم الفرنسي العام، المارشال ليوطي، قام بالشيء نفسه بالنسبة لفيلم "الرجال الجدد" (1922) للفرنسيين دوناتيان وفيولي، حيث جند جميع مصالحه المدنية والعسكرية للمساعدة على ظهور الفيلم في أحسن صورة ممكنة. يضاف إلى ذلك أن فيلم "الغرب" (1928) للفرنسي هنري فيسكور تم تصويره بمساعدة القوات العسكرية الاستعمارية وعرض في باريس وسط ضجة كبرى، وبحضور عدة جنرالات على رأسهم وزير الحربية الفرنسي، والمقيم العام لفرنسا بالمغرب.

لا يعني ذلك أن كل الأفلام التي صورت بالمغرب كانت أفلاما دعائية لصالح السلطات الاستعمارية، وإنما هو يعني فحسب أن عدد الأفلام التي برزت عالمياً وسط ذلك الكم قليلة جداً ومعدودة على أصابع اليد الواحدة، مثل : "اللعبة الكبرى" (1934) لجاك فايدر، "عطيل" (1949) لأورسون ويلز، "الوردة السوداء" (1949) لهنري هاتاواي، و"الرجل الذي كان يعرف أكثر مما يلزم" (1955) لألفريد هيتشكوك.

ومثلما فتحت فرنسا الفضاء المغربي لتصوير أفلام أجنبية، أنشأت أولى قاعات العرض السينمائي بالمغرب. ومع أن هذه القاعات كانت موجهة بالأساس إلى جمهور المعمرين الفرنسيين المقيمين بالبلاد، قصد التخفيف من إحساسهم بالعزلة والاغتراب، ومواصلة ربطهم ثقافياً وفنياً ببلدهم، فإنها استطاعت أن تجد لها جمهوراً آخر وسط "الأهالي" الذين لم يخفوا افتتانهم بالفرجة الجديدة أو الفن الجديد. هكذا سيرتفع عدد قاعات العرض ليصل إلى 50قاعة سينمائية قبيل الحرب العالمية الثانية، ثم إلى 131 قاعة بالمدن الكبرى و61 قاعة في المناطق القروية سنة 1954.

وإذا كانت السلطات الفرنسية رأت في هذا الانتشار نجاحا لها ولسياستها في "تحديث" المجتمع المغربي، مثلما رأى فيه مالكو القاعات إمكانية استثمار مربحة من الناحية الاقتصادية، فإن المشاهد المغربي اتخذ منه وسيلة للتواصل مع سينما أخرى (غير غربية) هي السينما المصرية، مقيماً، بذلك، وشائج ثقافية فنية جديدة ومتينة مع عمقه القومي العربي الذي حاولت الحماية الفرنسية فصله عنه، وموفراً

المزيد من أسباب المقاومة ورفض الاحتلال. هكذا تحول عرض الأفلام بدوره، وبشكل عفوي وغير منتظر، إلى مجال لصراع سياسي قوي بين الاستعمار الفرنسي وحركة المقاومة الوطنية، بلغ أوجه في مطلع عام 1944.

ففي نفس الفترة، تقريبا، التي عرفت توقيع "عريضة المطالبة باستقلال المغرب" وتقديمها إلى الإقامة العامة بالرباط (11 يناير 1944) صدر بالجريدة الرسمية (يوم 8 يناير 1944). ظهير يقضي بإنشاء المركز السينمائي المغربي"، ووضعه تحت سلطة "مدير الشؤون السياسية" الخاضع مباشرة لسلطة المقيم العام. كما أنشئت في السنة نفسها "استوديوهات السويسي" بتمويل هام من "البنك الوطني (الفرنسي) للتجارة والصناعة (الذي سيحمل، فيما بعد، اسم "بنك باريس الوطني").

فمن جهة، كانت هناك "عريضة الاستقلال" التي تطالب بجلاء الاستعمار الفرنسي عن المغرب، ومن جهة أخرى كان ظهير 8 يناير يهدف، وعلى العكس من ذلك، إلى توفير مقومات جديدة لمواصلة الاستعمار، انطلاقاً من فهم للدور الذي يمكن أن يلعبه الفن السابع في الحد من تنمية الحس الوطني، وفك الارتباط بين المواطن المغربي وعمقه القومي العربي.

لقد استطاع المواطن المغربي أن يوطد صلاته بهذا العمق العربي انطلاقاً من مشاهدة الأفلام المصرية التي كانت تحظى بإقبال شديد في المغرب منذ أواخر ثلاثينيات القرن الماضي، بخلاف الأفلام الغربية التي لم تكن تحظى بمتابعة وإعجاب سوى نخبة قليلة من المشاهدين المغاربة، لذلك تمثلت إحدى المهام الرئيسية للمركز السينمائي المغربي آنذاك في إنتاج أفلام ناطقة بالعربية الدارجة المغربية، شبيهة في مضمونها وبنائها بالأفلام المصرية.

إلا أن الفرنسيين المشرفين على إنجاز هذا المشروع لم يكونوا قادرين على فهم كنه الفيلم المصري وطبيعة علاقته بالمشاهد العربي، فاختزلوه في الرقص والغناء وقصص الحب والغرام، التي تدور في أجواء غرائبية ترتبط بالتخيل الاستشراقي أكثر مما ترتبط بالمتخيل العربي.

هكذا، وخلال سنتين فقط (1946 ـ 1947)، ساعد المركز السينمائي على ظهور أزيد من عشرة أفلام من هذا النوع، منيت بفشل شديد عند عرضها في القاعات السينمائية المغربية. ويقول الناقد الفرنسي غي هانيبال تفسيراً لذلك إن هذه الأفلام لم تحظ بالإقبال المنتظر لسببين : أولهما غياب الواقعية عنها، بحيث إن المشاهد المغربي لا يجد فيها حقيقة وضعه ولا أصالة مطامحه السياسية ؛ وثانيهما "عجز الأفلام الكولونيالية عن تملك الميلودراما وإعادة توجيهها بما يتيح لها استقطاب الأهالي" (السينما الكولونيالية، انظر قائمة المراجع أدناه، ص. 11 ـ 12).

وفعلاً، فمن قراءة لملخصات الأفلام المذكورة يتبين أنها أخفقت في التواصل مع المشاهد المغربي، بالضبط لأنها اختارت مضامين لا تبتعد عن مضامين الأفلام الكولونيالية، بحيث ركزت على الخرافات والحكايات الشعبية المحلية (أو ما تعتقد أنه كذلك)، مبتعدة عن الواقع وقضاياه، بل ومبتعدة عن "النزعة الواقعية" كما تعرف عليها الجمهور المغربي انطلاقاً من عدد لا بأس به من الأفلام المصرية.

ومن اللافت للنظر أن الغالبية العظمى من الأفلام الفرنسية المصورة بالمغرب، حتى وإن كان أصحابها من المخرجين المتميزين في وقتهم، ظلت سجينة الرؤية الاستشراقية في أكثر صورها تطرفا : فموضوعات هذه الأفلام لا تخرج عن الغرابة والهوى والسحر والغيرة القاتلة والتطرف في الانفعال بوجه عام، كما لم يخرج مجالها البصري عن الرمال والنخيل وقوافل الجمال ومآذن المساجد وقبابها والأزقة الضيقة والشمس الحارقة، الخ ... ولم تتعد مضامينها مجال الخرافة أو الحكاية الشعبية.

هذه الخاصية التي ميزت الأفلام المسماة "كولونيالية" لم ينتبه إليها أصحابها، مثلما لم ينتبه إليها أفراد من النخبة المغربية ذاتها، أعجبوا بالسينما وعبروا عن اهتمامهم بها. نشير هنا، مثلاً، إلى فيلم "وردة السوق (أو الريح الشرقية)" (1930)، الذي أخرجه جاك سيفيراك عن حكاية شعبية رواها له محمد المعمري، وكيف أن هذا الأخير بعث برسالة إلى المخرج يوم 29 يوليوز 1931 يقول فيها (فيما يمكن اعتباره أول نص مغربي في النقد السينمائي): "أجدد لك كل تهانئي. إن فيلم "وردة السوق"، وأكرر لك، هو من تلك الأفلام النادرة التي لا تجرح كرامة المسلم. لقد عرفت كيف تتجنب عقبة مزج الشخصيات الأروبية بشخصيات أهلية. فإلى حدود اللحظة، كان الدور الجميل يعطى للأوائل، وهو شيء مفهوم بقدرما يبعث على الأسف.

"إن فيلمك يظل ضمن إطار مغربي، بشخصيات مغربية، والحكاية قابلة للتصديق، كما أن طريقة عرضها فنية جداً. وفي ظني أنه، إذا نحن استثنينا بعض المسائل التفصيلية، فإنه لاشيء بحاجة إلى إعادة تناول وتنقيح" (م م. ص. 55 ـ 56).

ومن المحتمل جداً أن تكون وجهة النظر الشخصية هذه مشتركة بين صاحبها وعدد من أفراد النخبة المغربية، الذين كان أقصى ما يطلبونه من السينما كما يتصورونها، هو أن تعبر عن الفضاء المغربي، انطلاقا من حكايات شعبية محلية، وبشخصيات مغربية، وذلك دون أن تخطر على بالهم مطلقا إمكانية تصوير فيلم محلي يتناول مجال الواقع لا الخرافة، وبإمكانيات أبناء البلاد أنفسهم لا بإمكانيات الأجانب.

ولعل ما يظل غائباً عن هذه المحاولة الفرنسية لإخراج أفلام "مغربية" هو التفكير في إنجازها بأيدي مغاربة، حيث لم تكن هناك أية محاولة جدية من طرف سلطات الحماية للعمل على تكوين مغاربة في إحدى مهن السينما، وأقصى ما قدمته هذه السلطات من تنازل يتمثل في ظهور مغاربة

كممثلين يلعبون أدواراً رئيسية في أفلام المرحلة الجديدة، بعد أن كان وجودهم في الأفلام "الكولونيالية" السابقة مجرد تكملة لديكورها ومناظرها الطبيعية.

إلا أن هذا الموقف، الذي ينم عن نظرة متعالية تعتبر "الأهالي" مجرد تابعين منفعلين، لم يحل دون ظهور "مخرجين" وتقنيين عصاميين في مجال السينماء استفادوا من الاحتكاك بسينمائيين أجانب، أو كونوا أنفسهم وصمموا على ولوج ميدان الإخراج السينمائي، مثل المخرج محمد عصفور.

فهذا المخرج الذي قدم إلى الدار البيضاء من البادية واشتغل في مهن يدوية عديدة سرعان ما استهواه الفن الجديد، فعمل على اقتناء كاميرا تصوير هاوية أنجز بواسطتها، بعد عدد من التمارين الفاشلة، مجموعة من الأفلام القصيرة ابتداء من مطلع الأربعينيات، وشرع في عرضها على الأطفال في مرائب لا يتطلب تجهيزها أكثر من مقاعد طويلة للجلوس، وملاءة بيضاء على الحائط وآلة عرض هاوية. وبما أن محمد عصفور لم يكن يتوفر وقتها على حمولة جمالية وإيديولوجية تجعله يختط لنفسه طريقه الخاص ويختار موقعه تجاه الواقع المغربي لذلك الوقت، فقد اكتفى بتقليد أفلام غربية شاهدها ونالت إعجابه : "ابن الغابة" (1941) الذي يقلد فيه طرزان، "أموك الذي لا يقهر" (1948) ويقلد فيه "روبن هود"، إضافة إلى سلسلة أفلام "جحية" التي قلد فيها شارلي شابلن.

وقد حافظ محمد عصفور على تصوره هذا للسينما، أي باعتبارها مجرد تقليد لمشاهدات سابقة، حين أتيح له أن يخرج فيلمه الروائي الطويل الأول "الكنز المرصود" (1970)، فجعل من هذا خليطا من أفلام الغرب الأمريكي والمصارعة والميلودراما الهندية والفيلم الغنائي المصري وأفلام المغامرة... بما يجعل الفيلم عنده مجرد أداة للتسلية والترويح عن النفس، ويحصر جمهوره في الأطفال أساسا، في عمل أقرب إلى الهواية منه إلى الاحتراف، يقع على هامش دوائر الإنتاج والتوزيع القائمة.

من هنا يمكننا أن نتحدث عن إخفاق عام للسلطات الاستعمارية في توظيف السينما من أجل تثبيت دعائم سيطرتها على البلاد، وإن كان هذا لا يمنع من الاعتراف، مع ذلك، بفضلها في إدخال هذا الفن إلى المغرب، رغم ما يمكن تسجيله على طريقة دخوله تلك من مآخذ، على رأسها ربط السينما في المغرب باللغة والثقافة الفرنسيتين، مما جعلها عاجزة لحد الأن عن الاندماج ضمن باقي مكونات الثقافة المغربية التي تعبر عن نفسها أساساً باللغة العربية (القصة والرواية والمسرح، بوجه خاص).

بعد حصول المغرب على استقلاله بما يزيد قليلاً عن سنتين، أعيد النظر في وظيفة المركز السينمائي المغربي ابتداء من 7 نونبر 1958، بحيث أصبح مكلفا بمراقبة مهنة السينما بالمغرب، والسهر على تطبيق التشريع المنظم لها ولممارستها، والإشراف على عملية توزيع الأفلام وعرضها، إضافة إلى "إنتاج أفلام سينمائية".

ويكتسي النص على هذه المهمة الأخيرة طابعا خاصا، وذلك لكونها، رغم التأويل المحدود الذي أعطي لها، والمتمثل في إنجاز نشرة أسبوعية مصورة لتغطية الأخبار الرسمية وإخراج أفلام دعائية قصيرة للإنجازات الحكومية، فإنها تفتح المجال واسعاً أمام إلقاء مسؤولية إنتاج الأفلام في المغرب المستقل على عاتق القطاع العام.

لقد ظهر أول فيلم روائي مغربي طويل عام 1968، تحت عنوان "الحياة كفاح"، ومنذ ذلك الحين إلى الآن ظهر قرابة مائة فيلم مغربي طويل وأزيد من مائتي فيلم قصير، تم إنتاج معظمها بفضل المركز السينمائي المغربي، إما مباشرة أو عن طريق "صندوق الدعم السينمائي" (العامل ضمن المركز) في صيغته الجديدة التي عرفت النور ابتداء من سنة 1980.

ففي سنة 1954، كانت سلطات الحماية الفرنسية قد أنشأت في إطار المركز السينمائي المغربي صيغة لتشجيع انتشار السينما بالمغرب أطلق عليها اسم "صندوق دعم السينما". وقد استمر العمل بهده الصيغة ست سنوات، دون نتيجة تذكر، إلى أن تم إيقافها عام 1959. تتمثل هذه الصيغة في فرض رسم ضريبي إضافي على تذاكر الدخول إلى قاعات العرض السنمائي، يخصص لإنعاش استغلال القاعات وإنتاج الأفلام. لكن الذي حصل، عمليا، هو تخصيص مبالغ الدعم لترميم القاعات وتحسينها وتطويرها من الناحية التقنية، دون أن يذهب أي قسم منها لمجال الإنتاج.

وبعد حوالي عشرين سنة على إيقاف هذه الصيغة، قدمت غرفة مهنيي السينما، المتضررة من ضريبة إضافية عام 1963 وبلغت نسبتها 21 بالمائة من المداخيل، مجموعة من المقترحات إلى المركز السينمائي المغربي على رأسها ضرورة العودة إلى صيغة صندوق الدعم القديمة، مع إيلاء أهمية خاصة لإنتاج الأفلام.

هكذا ظهر "صندوق الدعم" في صيغته الجديدة ابتداء من عام 1980، على أساس أن تأتي وارداته من الرسم الضريبي الإضافي على تذاكر السينما، وتقسم نسبة تتراوح بين 94 و93 بالمائة من مداخيله بالتساوي بين الإنتاج السينمائي وترميم القاعات السينمائية القائمة وإنشاء قاعات سينمائية جديدة. وإذا كانت هذه الصيغة الجديدة غير مكتملة، مما حتم تعديلها مرتين، مرة أولى عام 1988، ومرة ثانية عام 1997، فإن المهم هو أنها أدت إلى ظهور كم هام من الأفلام يقدر بحوالي 80 فيلما روائياً طويلاً و60 فيلما قصيراً خلال الفترة الممتدة من 1980 إلى 1999. علما أن مداخيل القاعات السينمائية في تناقص مستمر، بحكم الإحجام المتزايد عن ارتياد القاعات السينمائية وتناقص أعدادها، مما حتم تدخل الدولة ممثلة في وزارة الاتصال (ثم الثقافة والاتصال، فيما

بعد) من أجل ضخ مبالغ إضافية في صندوق الدعم رفعت المبلغ الإجمالي السنوي الذي يتصرف فيه إلى 20 مليون درهم.

وبحكم هذا الوضع الخاص للفيلم المغربي، يعتبر المهرجان الوطني للسينما المغربية أداة هامة لترويجه والتعريف به داخل المغرب وخارجه. وقد أنشأ المركز السينمائي المغربي هذا المهرجان لأول مرة عام 1982، وإلى حدود شهر فبراير من العام 2001 عقدت منه، وعلى نحو غير منتظم، ست دورات، كانت أولاها بالرباط، والثانية بالدار البيضاء (1984) والثالثة بمكناس (1991)، والرابعة بطنجة (1995)، والخامسة بالدار البيضاء (1998) والسادسة بمراكش.

لكن رغم ذلك يلاحظ أن معظم الأفلام التي تم إنتاجها خلال الثلاثين سنة الأخيرة لاتجد طريقها إلى قاعات العرض، أو تعرض لوقت وجيز قبل أن تسحب لتخلي مكانها لأفلام أخرى، أجنبية في الغالب. ويمكن تفسير هذا الأمر بانعدام الحوافز، التشريعية والمادية، التي تشجع مستغلي القاعات على إعطاء الأولوية للفيلم المغربي، إلا أنه يمكن تفسير الأمر كذلك باندراج الفيلم المغربي، بوجه العموم، ضمن جماليات تختلف عن تلك التي تعود عليها المشاهد المغربي ونحتت ذائقته على مر السنين.

إن هذا المشاهد، الذي ارتبط منذ نعومة أظفاره بنوع خطي من السرد، يعتمد على القصة البسيطة سريعة الإيقاع، ذات البداية والوسط والنهاية، والتي تحقق الانتقال بين المشاهد بسيولة يساعد عليها توظيف الموسيقى والمؤثرات الصوتية، يجد صعوبة في متابعة أفلام ذات سرد متقطع، وإيقاع رتيب أو غير منتظم، يسودها صمت قاتل. كما أن المشاهد المتعلم، الذي تلقى تكوينه في أحد الأندية العاملة ضمن الجامعة الوطنية للأندية السينمائية (تأسست عام 1972، وكانت تضم في النصف الأول من ثمانينيات القرن الماضي قرابة 40 ألف منخرط)، يجد صعوبة في الحكم على الفيلم المغربي انطلاقاً من مشاهداته لروائع السينما العالمية.

لذلك كانت الأفلام السينمائية المغربية التي حظيت بترحيب الجمهور أو هواة السينما أو هما معا قليلة جداً، نذكر من بينها : "وشمة" (1970) لحميد بناني "ألف يد ويد" (1972) لسهيل بنبركة، "أحداث بدون دلالة" (1974) لمصطفى الدرقاوي، "الشركي، أو الصمت العنيف" (1975) لومن السميحي، "أليام أليام" (1978) لأحمد المعنوني، "السراب" (1979) لأحمد البوعناني، "عرائس من قصب" (1981) للجيلالي فرحاتي، "حلاق درب الفقراء" (1982) لمحمد الركاب، "باديس" (1988) لمحمد عبد الرحمن التازي، "أيام من حياة عادية" (1991) لسعد الشرايبي، "البحث عن زوج مراتي" (1993) لمحمد عبد الرحمن التازي.

خالد الخضري، *موقع الأدب المغربي من السينما المغربية*، الرباط، 1981، *دليل المخرجين المغاربة*، الرباط، 1999 : مصطفى المسناوي، *أبحاث في السينما المغربية*، منشورات الزمن العدد، 27، الرباط، 2001 : أ. سجلماسي، *المغرب السينمائي*، منشورات شراع العدد، 65، الرباط، 1999 : المركز السينمائي المغربي، *الفيلم المغربي الطويل*، جرد فيلموغرافي، الرباط، 2000. *الفيلم المغربي القصير* جرد فيلموغرافي، الرباط، 2000.

P. Boulanger, "*Le cinéma colonial : de "l'atlantide" à "LAwrance d'Arabie"*", Paris, 1975 ; D. Maillot, "*Le régime administratif du cinéma au Maroc*", Rabat 1961 : *Souffles* (revue), n°2, 1966, Rabat, "*Dossier sur le cinéma marocain*" ; My Driss Jaidi, "*Le cinéma au Maroc*", Rabat, 1991 : My Driss Jaidi, "*Public(s) et cinéma*", Rabat, 1992 ; "*Cinégraphiques*", Rabat, 1995 : "*Vision(s) de la société marocaine à travers le court métrage*", Rabat, 1994 ; F. Souiba, F. Z. El Alaoui , "*Un siècle de cinéma au Maroc : 1907-1995*", Rabat, 1995 : Gallaoui (Mohamed), "*La critique au pluriel*", Casablanca, 2002.

مصطفى المسناوي

السيّار، العربي، موسيقي ولد بمدينة طنجة عام 1309 / 1892 ومنذ طفولته ظهر تعلقه بالموسيقى الأندلسية وولعه بحفظ مستعملاتها، فكان يواظب على حضور منتديات الفنانين، حتى إذا شب عن الطوق لم يتردد في الترحال إلى المدن المغربية وخاصة فاس رغبةً في تعلم العزف وأخذ الصنعات من أفواه رجال الفن، وهكذا تعرف على الفقيه محمد المطيري وغيره، ولم يمض بعض الوقت حتى أتقن الضرب على آلة الطر، ومهر في الإنشاد، فضلاً عن حفظه للنوبات الأحدى عشرة ؛ وبذلك تجمع لديه رصيد هام من مستعملات الآلة ساعد على تفتق موهبته وملكته في التلحين.

وقد شغله إلى حد كبير هاجس استكمال ميازين النوبات وشجعه على ذلك ما لمس في نفسه من نزوع إلى التلحين، فقام بإنجازين فنيين أسهما في إغناء الرصيد الكمي للموسيقى الأندلسية المغربية :

أولهما تلحينه لبعض صنعات ميزان القائم ونصف من نوبة الحجاز المشرقي. وقد جاء عمله هذا على نحو مغاير لما سيصنعه من بعده محمد بن عمر الجعايدي. ولعل الحاج إدريس بن جلون يكون قد استفاد من صنيعه واتخذه نواة لما أثبته في تحقيقه لكناش الحايك.

وثاني الإنجازين تلخيص ميزان درج العشاق، وقوامه ثلاث عشرة صنعة، وقد أطلع السيار أستاذه الفقيه المطيري على هذا الإنجاز في لقائهما بفاس بمناسبة احتضانها للمؤتمر الأول للموسيقى المغربية في ماي 1939.

وبالرغم على المكانة الفنية التي بلغها السيّار فقد عرف بأنه كان يأبى على نفسه التكسب بالموسيقى، ومن ثم آثر تعاطي التجارة فاتخذ له متجراً بمدينة الدار البيضاء.

وقد عاد في أواخر حياته إلى مسقط رأسه طنجة، ومكث بها إلى أن وافته المنية في 13 حجة عام 1383/ 26 أبريل 1964 عن عمر يبلغ الثانية والسبعين.

الوكيلي، *الموسيقى الأندلسية من خلال مسيرة الفنان مولاي أحمد الوكيلي*، سلسلة المعرفة للجميع، مارس، 1999، ص. 61 : *معلومات شخصية*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ش

شابس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Chavez وChaves ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1189 /1775.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطوان، 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1467.

محمد ابن عزوز حكيم

الشابل كما هو شائع في المغرب، أو الصابوغة في بعض المعاجم، حيوان من الأسماك العظمية شائكات الزعانف وفصيلة الصابوغيات Clupcidac، يسمى بالفرنسية Alose وبالإنجليزية Shad. منه نوعان يعيشان في السواحل المغربية:

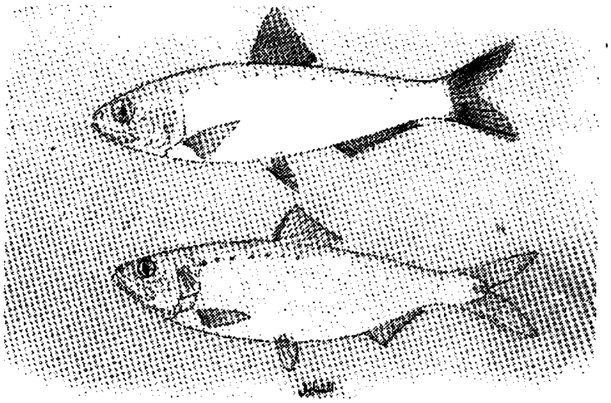

الشابل

ـ الشابل الكبير أو الشابل الحقيقي ألوزا ألوزا يدعى بالفرنسية Alosa, alosa, Linnacus, 1758 وبالإنجليزية Allis Shad وبالإسبانية Sabalo comun . ظهره أزرق قاتم وجوانبه فضية، بقعة داكنة على مؤخرة الزاوية العلوية لغطاء الخياشيم متبوعة أحيانا ببقعة أو بقعتين تكميليتين، مغزلي الشكل مضغوط جانبيا شيئا ما. مصدر الزعنفة الظهرية متقدم قليلا عن وسط الجسم. مصدر الزعنفة الشرجية في الجهة الخلفية من قاعدة الزعنفة الظهرية. يحمل القوس الخيشومي الأول 85 ـ 130 شوكة خيشومية، طويلة ورقيقة. جانبيته البطنية محفوفة بدرقات متسلسلة ويحمل الفك العلوي فتحة متوسطية تلج فيها مقدمة الفك السفلي. لا يتعدى طول الكبار منه 70 سم وشائع بين 25 ـ 50 سم.

ـ الشابل الصغير ألوزا فالاكس Alosa fallax Lacepède 1803 يدعى بالفرنسية Alose feinte وبالإنجليزية Twaite Shad وبالأسبانية Saboga. أصغر حجما من الشابل الكبير ولا يتعدى طوله 60 سم. ظهره أزرق داكن وجوانبه فضية، بقعة داكنة على مؤخرة الزاوية العلوية لغطاء الخياشيم متبوعة بعدة بقع على طول الخط الجانبي، الجسم مغزلي الشكل ومضغوط جانبيا شيئا ما يحمل القوس الخيشومي الأول 80.30 شوكة خيشومية، قصيرة وغليظة.

يعيش النوعان في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ويلجان أعالي مياه الأنهار العذبة لوضع البيض فيها حيث يقطعان أحيانا حوالي 700 كلم بداخل الأنهار. يعود الكبار إلى البحر مباشرة بعد وضع البيض. والشابل سمك سطحي بحري، يعيش في مجموعات متعددة الأفراد ويقوم بهجرات طويلة المسافة. يصير بالغا بعد 4 سنوات بالنسبة للإناث.

يوضع البيض على سطح الماء ثم يستقر في الأعماق. تخرج الصغار من البيض بعد 4 ـ 8 أيام في مياه تتراوح حرارتها بين 18.17، تبقى الصغار سنة أو سنتين في الأنهار قبل الذهاب إلى البحر. سمك لاحم يتغذى من العوالق وخاصة منها القشريات مجذافيات القوائم وعشاريات القوائم والأفوزياسيات وصغار الأسماك. تتغذى الصغار في الأنهار من القشريات مجذافيات وبراغيث الماء ومن يرقانات الحشرات. صيد النوعين تقليدي في المغرب ويصاد في مصبات الأنهار بشباك الحواجز وفي الهضبة القارية بحبال الصنانير والشباك المزودة بالإنارة والجيبيات العمقية والسطحية والشباك المستقيمة القعرية والسطحية. سمك نادر في أسواق المغرب بعد أن كان شائعا خلال النصف الأول من هذا القرن. يستهلك طريا ولحمه لذيذ المذاق يكثر الإقبال عليه.

صيد أنواع الشابل مرخص لشركات وتعاونيات الصيد في مصبات الأنهار والبحيرات الساحلية بواسطة الظهير الشريف الصادر بتاريخ 23 يناير 1957 و16 يونيو 1961. ومن أهم الشركات نذكر شركة صيد الشابل بالقنيطرة (COPAK). والشابل سمك مهاجر يدخل الأنهار للتوالد بين دجنبر - مايو فيتم صيده بكيفية مكثفة في معظم مصبات الأنهار المغربية وعرف هذا النشاط ازدهاراً في قطاع الصيد البحري والتبادل التجاري بين مختلف البلدان منذ القرن السادس عشر الميلادي.

والصيد الحرَفيّ للشابل كان متمركزاً في مطلع القرن العشرين بالأساس في المناطق الوسطى لمصبات أنهار أم الربيع وأبي رقراق وسبو واللكوس وملوية بواسطة مراكب خشبية ذات مجاذيف لا يتعدى طولها 5 م. ثم تطورت باستعمال الشباك المستقيمة الثابتة أو الهائمة البالغ طولها 230 - 180 م وعرضها مترين. تنصب الشباك متعامدة مع النهر خلال فترة الجزر وتجمع على حوالي كل نصف ساعة لاستخراج المصايد المتكونة من الشابل والشبوط والبوري وأحيانا من الدرعي وسمك موسى (الصول).

لقد عرفت كمية مصايد سمك الشابل بالأنهار المغربية خلال أواخر القرن العشرين تراجعا مدهشا، فقد انخفضت من ألف طن سنة 1917 إلى 671 طنا سنة 1965 و19 طنا سنة 1986 وبين 3 - 8 أطنان خلال العشر سنوات الأخيرة 1990 - 1999. يرجع هذا الانخفاض أساسا إلى الصيد المكثف من طرف الشركات خلال موسم التوالد وإلى حدة التلوث لهذه الأنهار من طرف الأنشطة البشرية المختلفة (نفايات معاصر الزيتون ومعمل السيلولوز والدباغة) وإلى بناء السدود: لقد انقطع نشاط صيد الشابل في نهر أم الربيع مباشرة بعد بناء سد سيدي سعيد معاشو سنة 1929 وفي ضواحي فاس على نهر سبو سنة 1970 على إثر تلوث المياه.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d identification des ressources marines vivantes du* Maroc, Rome, FAO, 1998.

محمد رمضاني

الشابِني، الحاج عبد السلام التطواني، ولد هذا الرحالة بمدينة تطوان حوالي عام 1773/1187، ونشأ بها وتعلم. ولما بلغ الرابعة عشرة من عمره، رافق والده التاجر في سفر طويل من فاس إلى تنبكتو حيث مكث ثلاث سنوات ثم انتقل إلى مدينة الهوسة وأمضى بها كذلك ثلاث سنوات ثم عاد إلى تنبكتو وبقي فيها سبع سنوات أخر قبل أن يعود إلى المغرب، وقد بلغ من العمر سبعاً وعشرين سنة وحقّق أرباحا طائلة بتجارته في السودان.

التحق الشابني بمسقط رأسه تطوان، وخرج منها في قافلة متوجهة عن طريق مصر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وسعياً كذلكَ في طلب الربح بواسطة التجارة، فقضى في الذهاب من تطوان إلى مكة والرجوع إلى فاس سنتين، أدى الفريضة وحقق بعض الأرباح في تجارته.

استقر الشابني في تطوان مع والده وأصبح يتاجر مع جبل طارق في الأبقار والدجاج وغيره. وفي تلك الأثناء تعرّف على القنصل الأنجليزي لُوقا Lucas الذي كانت له علاقة طيبة مع عائلته. وفي أحد الأيام، ركب البحر قاصدا الميناء الألماني هَمبُورج Hambourg لشراء الأقمشة، وفي طريق عودته اعترض القراصنة مركبه وسيق إلى الميناء البلجيكي أُوسْتاند Ostende ومنه إلى الميناء الإنجليزي دُوفْر Douvre، حيث تمّ إطلاق سراحه بفضل تدخل القنصل الأنجليزي لُوقا الذي لم يكتف بذلك، بل قدّم الشابني إلى بُوفْوا Beauvoi، كاتب الجمعية الإفريقية، فأنس به وحكى له الشابني ما شاهده طوال أكثر من ثلاث عشرة سنة بتنبكتو والهوسة فأُعجب بُوفُوا بالقصة ودونها باللغة الإنجليزية من إملاء الرحالة. وقد ترجمها بعد ذلك إلى الفرنسية الكاتب أ. جاكسن A. Jackson، صاحب كتاب *وصف المغرب Description du Maroc*، ونشرها في مجلة *الحوليات الجديدة للأسفار*.

ظلت هذه الرحلة مجهولة عند المغاربة. لم يتحدث عنها أحد. وقد قمت بترجمتها إلى العربية منذ أكثر من عشر سنوات لقيمتها التاريخية، إذ يحدثنا الشابني فيها عن التجارة التي كانت تُمارس في العبيد والذهب بالسودان وعن الصعوبات التي كانت تواجه القوافل في الصحراء، وعن الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في تلك الديار أثناء الربع الأخير من القرن الثاني عشر (18م).

يقدر تاريخ وفاة الشابني في منتصف القرن الثالث عشر (19م).

Beauvoi, *Nouvelles annales des voyages*.

محمد الشباظي

شابُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Chavo ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1779/1193 ؛ غير أنه كانت بتطوان أسرة أخرى شريفة النسب تحمل نفس الاسم وإليها ينتمي الفقيه محمد بن محمد شابو الذي زاول خطة العدالة من سنة 1254 إلى 1280 (1838 - 1864).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون، 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

شاتلان (لويس) فرنسي متخصص في التاريخ القديم والآثار. من مواليد 1883، حاصل على دبلوم المدرسة التطبيقية للدراسات العليا (E.P.H.E.) وأحد أعضاء المدرسة الفرنسية بروما.

يعتبر شاتلان مؤسس مصلحة التاريخ القديم والاركيولوجيا بالمغرب إذ كان أول مدير لها. وقد لعب دوراً بارزاً في تدوين العديد من المخلفات الأثرية المكتشفة بالمغرب خلال فترة الحماية.

عينه المارشال ليوطي سنة 1915 مسؤولا عن الأبحاث الأثرية في وليلي وهكذا أشرف على تنظيم حفريات منظمة في وليلي وتاموسيدا وأخرى في بناصا.

وقد كللت أعماله باكتشاف نماذج فنية مثل الكلب البرونزي، ورأس الفتى الجميل بوليلي، والعديد من النقائش اللاتينية أهمها نقشية ماركوس ڤاليريوس سيڤوس بالإضافة إلى بعض الأشكال الفسيفسائية. ومكنت حفرياته بشالة من التعرف على ساحتها العمومية وعلى بعض نقائشها فضلاً عن نقائش أخرى تم اكتشافها في مدينة طنجة.

وقد مكن هذا الكم الهائل من التحف الفنية من التفكير في بناء متحف لعرض هذه الآثار، وهو المتحف الذي سيحمل اسمه خلال عهد الحماية (متحف لويس شاتلان بالرباط) قبل أن يحمل اسم المتحف الأثري في عهد الاستقلال.

رجع شاتلان إلى فرنسا سنة 1941 حيث عين أستاذاً محاضراً بجامعة Rennes، وفي سنة 1942، قدم أطروحة بعنوان مغرب *الرومان* ولم ينقطع اتصاله بالمغرب إذ ظل على ارتباط دائم به إلى حين وفاته عن سن يناهز 67 سنة..

ترك شاتلان العديد من الأعمال والمنشورات التي تتعلق بالمجال الأثري المغربي - لا يسع المجال لذكرها - وسنكتفي بأعطاء فكرة عن طيماتها، وقد صدرت في شكل مقالات في مجلات أثرية متخصصة أهمها : (CRAI) و(B.C.T.H) و(B.S.A.F) و(HESPERIS) و(PSAM).

ويبقى كتابه *مغرب الرومان* من أهم مؤلفاته وهو عبارة عن تعريف بأهم المدن والمراكز الرومانية بالمغرب حيث أخذت مدينة وليلي حيزاً كبيراً من هذه الدراسة، وهو نتيجة خمس وعشرين سنة من البحث والتقصي كما ساهم في نشر *جامع النقائش اللاتينية المغربية* (I.L.M.).

ومن خلال قراءة المواضيع التي تطرق لها، يتضح أنه أعطى اهتماماً كبيراً للمواقع الرومانية، مثل بناصا وتموسيدا وسلا وطنجة، ووليلي وغيرها، كما أنه كان من الباحثين الذين اهتموا بمجال الابيغرافيا حيث نشر العديد من النقائش. أما بالنسبة للمعالم الأثرية، فقد كان له دور في إبراز الفوروم بمدينة شالة، وقوس النصر بوليلي بالإضافة إلى قصر گورديانوس بنفس المدينة.

وعلى مستوى التحف الفنية وخاصة البرونزية منها، فقد كتب مقالات عن الحصان البرونزي وعن مجموعة أخرى من البرونز اكتشفت في مدينة بناصا. وتجدر الإشارة إلى أن شاتلان اهتم كذلك بمجال الفسيفساء حيث كتب مقالا خصصهُ لفسيفساء وليلي.

كتب لويس شاتلان ما يقرب من 140 مقالاً، كلها تصب في حقل الآثار، وبالرغم مما يؤاخذ عليه من نظرة كولونيالية كغيره من الأثريين الفرنسيين، فقد ساهم في وضع لبنات البحث الأثري في المغرب.

توفي حوالي سنة 1950.

ع. العزيز بنكاعو، *الاركيولوجية المغربية من خلال أعمال لويس شاتلان*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، الرباط، 1988 ـ 1989.

E. Lenoir, V. Bronquier-Reddi, *Bibliographie du Maroc antique Africa Romana : Atti del XIII Convegno di Studio*, Djerba, Dicembre 1998.

عبد العزيز بل الفايدة

شاجعي، ميلود مقاوم ولد بمدينة سيدي قاسم سنة 1931 انخرط في صفوف جيش التحرير منذ سنة 1955 وذلك بعد فراره من صفوف الجيش الفرنسي الذي كان يعمل به كجندي حيث سجن عدة مرات وذلك لرفضه المشاركة في الهجوم على مراكز جيش التحرير بأكنول وتازة وتاونات وحين وجوده بالسجن خطط للهروب مع مجموعة من المجاهدين حيث التحقوا بصفوف جيش التحرير بمركز باب الحيط الذي كان يرأسه مصطفى بن عثمان. وقد شارك في عدة هجومات منها معركة الخندق وفرحلة كما عمل تحت قيادة بلبقال الذي حل محل مصطفى بن عثمان. وقد ظل يكافح إلى أن أحرز المغرب على استقلاله.

توفي بتاريخ 14 يوليوز1995 .

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504472.

الشادلي، إسماعيل بن محمد الريفي تولى تسيير الحركة الجهادية بقبيلة قلعية ضد الإسبان ابتداء من سنة 1328 / 1910، بعد وفاة والده القائد محمد الشادلي آتي الترجمة، وذلك بصفته شيخ قبيلة قلعية. ولد سنة 1297 / 1880 وهو أكبر إخوته، بقي وحيدا في الميدان بعد أن اشتشهد اثنان منهم سنة 1908 خلال العمليات الحربية الدائرة بقلعية، أحدهما أخوه عبد العزيز، أما الثاني فلا نعرف اسمه. والأحياء منهم كانوا سنة 1909 مازالوا صغاراً.

يظهر أن إسماعيل كان في بداية سنة 1910 مستقراً بأرض صبرة من قبيلة أولاد ستوت، على الضفة اليسرى من واد ملوية بعد نزول الإسبان برأس الماء بكبدانة واحتلالهم لأراضي قلعية سنة 1909. هذا ما ظهر من مراسلة وهران، 16 يونيو 1910، التي أعلنت مجيء عدد من أقربائه (عمر بن ميمون أخي المتوفى محمد الشادلي وحمو أحدو عم أو خال أبناء الشادلي) إلى حاكم بركان الفرنسي لطلب الدخول في حماية منطقة النفوذ الفرنسية.

وربما رغب الإسبان في استباق الفرنسيين إلى احتضان الأسرة الشادلية. ففي الوقت الذي كان الشيخ إسماعيل الشادلي معسكراً خلال شهري غشت وشتمبر 1910 بصبرة مع 300 من الخيم القلعية المهاجرة بعثوا إليه قصد استمالته إلى الخدمة لقاء راتب مهم. وكان مما أجاب به الشيخ إسماعيل: "إنه لا يمكن أن يتعامل مع أولئك الذين هدموا

دار والده ولو أنهم وعدوا بإعادة بنائها". وزاد "إنه مستغني عن منحة الإسبان ومترفع عن هداياهم، وأنه سيعبر قريبا مجرى واد ملوية إلى الضفة اليمنى للعيش في نطاق النفوذ الفرنسي إذا لزم الأمر ذلك. وهذا القرار الأخير هو الذي لجأ إليه إسماعيل الشادلي على ما يبدو خلال عهد الحماية أو فترة منها، إذ أن بعض أفراد الأسرة كانوا في بداية الاستقلال ما يزالون بمدينة زايو، حسب شهادة تقييد الحاج حمو الشكري آتي الترجمة، كان منهم في يناير 1954 الأخوان علي الشادلي والخضر الشادلي.

ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، تطوان، 1952 ؛ *معلمة المغرب*: الحاج حمو الشكري، تقييد 26 يناير 1954.

Affaires du Maroc. *Documents des Affaires Etrangères de la République Française* ; G. Calvo. *España en Marruecos*; A. Riera, *España en Marruecos*; E. L. Alarcon, *Melilla* 1909; *Documentos Presentados a las Cortes en la Legislatura de 1893.*

الشادلي، محمد الريفي أحد أعيان قبيلة مزوجة القلعية وقوادها خلال العقد الأول من القرن العشرين. ولد حوالي سنة 1864/1281 ولا نعرف إلى حد الساعة شيئاً عن أسلافه. ينتمي من حيث الموطن إلى فرقة بني أنصار المزوجية، ومدشر سيدي محمد المجاهد المشرف على مدينة مليلة المحتلة التي لا يبعد عنها سوى بخمس كيلومترات، وعن الحدود المغتصبة إلا بنحو ثمانمائة متر. ومنزله هناك بارز ومشهور يماثل منظره القلعة المحصنة. ومن موقع مدشره وموضع منزله كان يراقب لحساب الروكي بوحمارة القسم الشمالي من سبخة بوعرك (البحر الصغير) وموقع تل تاليوين ومعبر الفتق الشمالي من الجزيرة.

لا تشير الوثائق إلى ماضي محمد الشادلي قبل التحاقه بركب بوحمارة، وفي غالب الاعتقاد أنه كان من الأعيان التجار الأثرياء. ويمكن إبراز دورين في حياته، أولهما المدة التي قضاها مناصرا للروكي بوحمارة ما بين سنة 1903 وسنة 1908، وقد لعب أثناءها دوراً مزدوجا بين الإسبان وبوحمارة، ثم المدة التي قضاها مجاهداً ضد الإسبان إلى وفاته سنة 1909.

ففي الوقت الذي كان فيه بوحمارة ما يزال بتازا كان محمد الشادلي، إلى جانب كل من حميدة بنشلال البويفروري والحاج عمر بوطيب السيدالي، من الأوائل الذين مهدوا له الطريق لامتداد نفوذه إلى قلعية، فأصبح من قواده معتمداً على خمس مزوجة وعلى مساعديه من مدشره ومن جماعة فرخانة المجاورة خاصة.

ومحمد الشادلي من الذين قادوا الحملة العسكرية الروكية التي حاصرت المخزن العزيزي بقصبة جنادة فرخانة في 20 محرم 18/1321 أبريل 1903 ومن المساهمين فيما تعرضت له من التخريب. وكانت حراسة ممر جزيرة سبخة بوعرك أو الناظور من مهامه، وذلك لاعتراض طريق القوات المخزنية المتسربة من كبدانة والحيلولة بينها وبين الوصول إلى قصبة جنادة فرخانة عبر ذلك الممر، مثلما فعل عدة مرات في أكتوبر سنة 1905 ومارس 1906.

لعب محمد الشادلي دور الوسيط بين حاكم مليلة والروكي بوحمارة في مشروعهما بقلعية بخصوص التعاقد في شأن استغلال معدن جبل ن إيسان (إكسان) إلى أن تم بنجاح في يوليو 1907. وقد قدمت له الشركة المعدنية هدايا نقدية عدة مرات لتسهيل مد الخط الحديدي عبر أراضي مزوجة إلى جبل ن إيسان. (مراسلة بوحمارة إلى الشادلي بتاريخ 1908/1326).

وتبعا لتلك الخدمات رقاه بوحمارة إلى مرتبة أمين مزوجة بعد 4 يوليو 1906، غير أنه سرعان ما قرر عزله يوم 13 يونيو 1908 وسجنه ثم أطلق سراحه يوم 18 من نفس الشهر والسنة. ويعود العزل إلى عدة أسباب تناقلتها المراجع الإسبانية. فقيل إن من جملة تلك الأسباب ما لوحظ عليه من عدم رضاه عن نزول الإسبان بفتق "الريستينكا" من جزيرة سبخة بوعرك ثم برأس الماء من كبدانة. كما كان محمد الشادلي قد غير رأيه في تمكين الإسبان من استغلال معدن الحديد بقلعية. وهذا كان في نظره تدخلا أجنبيا يستلزم المقاومة.

وهناك رأي مرتبط بسابقه وهو ظهور ميل محمد الشادلي إلى مبايعة المولى عبد الحفيظ، إذ أن مناسبة بيعة قبيلة قلعية تمت في أكتوبر 1908 بسوق خميس جزولة بني بويفرور بحضور الشريف محمد أمزيان لأول مرة بعد دخول السلطان إلى مدينة فاس في أول يونيو 1908 (*المعلمة*، 9). إذ أن محمد الشادلي كان نتيجة لقرار قلعية قد بعث إلى فاس أربعة فرسان مع رسائل الاعتراف والبيعة، مكلفا بهذا الأمر ابنه عبد العزيز.

استقر محمد الشادلي بعد العزل بمليلة برهة، ما بين صيف 1908 وآخر خريف نفس السنة. كان في أغلب الاعتقاد خلال تلك المدة يرتب سراً مع الشريف محمد أمزيان وزعماء الريف الشرقي لطرد بوحمارة أولا. وقال الإسبان إن أصداء قوله بلغت إلى قبيلتي تمسمان وبني ورياغل مشيرة إلى ما صدر منه عن كشف حقيقة ما ادعاه من النسب العلوي، مضيفا إلى ذلك ما قام به من بيع معدن جبل وكسان للإسبان وما ترتب عن ذلك من احتلال أراضي قلعية (415)، وسيساعده في كل ذلك نجله إسماعيل.

يعتبر طرد بوحمارة من قصبة سلوان آخر سنة 1908 بداية نجاح تنسيق محمد الشادلي مع الشريف محمد أمزيان ضد الإسبان، ويظهر ذلك باقتسام الزعامتين الحربية والروحية بقلعية التي كانت من نصيب الثاني. وهذا هو الطريق الذي سلكه الشريف أيضاً أثناء ثورة بوحمارة، إذ أنه احتفظ بسر العداوة الدفينة للإسبان، ثم أظهرها بمجرد اختفاء الثائر من قلعية. وإثر إعلان تضامن محمد الشادلي مع الشريف محمد أمزيان سارع الأول إلى نقل أفراد أسرته من منزله ببني أنصار إلى أعلى جبل أوكسان ومعها جميع أملاكه من

رؤوس الأغنام، وقد رد الإسبان عن هذا الموقف الجديد أن هدمت المدفعية الإسبانية مسكنه ومساكن المجاورين له إلى أن استأصلت أسسه ولم تترك حجرا قائما بالمكان.

وحسب الرواية الإسبانية في 2 يوليو 1909 وما أدلت به وثيقة مخزنية بتاريخ 2 ذي القعدة عام 1327 أن محمد الشادلي كان قد سار في خط مقاومة الشريف محمد أمزيان لتدبير توقيف توسع الجهاز الحربي الإسباني ببني أنصار. ورواية محمد ابن أحمد الشكري تحكي عن أول اجتماع شارك فيه الزعيم القلعي بزاوية سيدي محمد أمزيان بأزغنغان لترتيب ما يوجبه تنظيم الجهاد والمقاومة. وتظهر نتيجة قرار الاجتماع المذكور في الخطة الحربية المتفق عليها قبل يوم 9 يوليو 1909 لتخريب السكة الحديدية التي شق طريقها الإسبان من مرسى مليلة إلى المكان المعروف لديهم في بني أنصار بالمحطة الثانية (Segunda Caseta)، تمهيداً لمد الخط عبر أراضي مزوجة وبني بويفرور في اتجاه جبل ن إكسان لاستغلال منجم الحديد.

وتبعاً للأحداث نعرف من رواية الفقير محمد الشكري أن تطبيق تعليمات الاجتماع أدى إلى تكوين الخلية الجهادية الأولى في تاريخ مقاومة الشريف محمد أمزيان، مؤلفة من ستة وعشرين مجاهداً بمساهمة جميع أخماس قلعية، فكان منهم إلى جانب محمد الشادلي بصفته قائد مزوجة، السيد عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري، شيخ قبيلة بني شكر ومحمد النصري، أحد شيوخ بني أنصار.

وتظهر استعدادات 20 يوليو 1909 أن محمد الشادلي كان زعيم حركة المقاومة، مسموع الكلمة في عموم الريف الشرقي، ولا ينتظر سوى اكتمال تعبئة جميع الريف ووصول رجالها إلى الميدان. المقاومة يقوم بها بني يفرور بني بوكافر ومزوجة وبني شكر وبني بويحيى ومطالسة وأولاد ستوت.

ويشهد ما أسفرت عنه معركة 27 يوليو 1909 من الخسائر البشرية التي مني بها الجيش الإسباني بمكانة تاريخ المقاومة بالشمال الشرقي المغربي ضد توسعات حكام مليلة، وذلك بمقتل العديد من ضباطه، في ميدان خندق سيدي موسى من بني انصار في مساء ذلك اليوم وعلى رأسهم الجنرال بينتوس.

استمر محمد الشادلي بعد معركة 27 يوليو الشهيرة في تأطير المقاومة، ففي منتصف غشت كان المجاهدون مسيطرين على الوضع ببني أنصار. ولكن الأهم هو الخبر الذي أعلن في 18 شتمبر 1909 عن توجهه سرا إلى فاس للقاء المولى عبد الحفيظ وتقديم الوضع الراهن بالميدان وإشعاره بخطورته والمتمثل في خطة الزحف الإسباني المدبر على أراضي قلعية. وهذا هو ما تم بالفعل.

فحسب التقارير الصادرة بين 20 و28 شتمبر 1909 قصد الإسبان بني شكر بقوة 24.000 عسكري ووصلوا إلى تيغرفاتين على حدها الجنوبي الغربي ونزلو بحرا بالقرب من زاوية الشرفاء القادريين بهورك على الساحل الشرقي، وعميدها الحاج محمد القادري، رفيق الشادلي ثم قصدوا سوق أحد بني شكر، كما أنهم احتلوا جبل أكركور (سيدي أحمد الحاج) مروراً بأراضي مزوجة يوم 2 أكتوبر 1909.

ربما عاد محمد الشادلي من فاس على عجل ليقابل التوسع الإسباني بقلعية، لكنه لم يلبث أن عاد سريعا برفقة الحاج محمد القادري لإتمام مهمته بفاس الحفيظية، إذ أننا نعرف أنه غادر قلعية قبل 22 أكتوبر، وكان بالعاصمة يوم 25 أكتوبر 1909. هذا ما علمناه من التصريح الذي انتزعه منه قنصل فرنسا بفاس يوم 25 أكتوبر 1909. ومن جواب محمد الشادلي نفهم أن أمله كان كبيراً لإيقاف الزحف الإسباني تجاه البادية، كما أن مجيئه إلى فاس كان من أجل الحصول على المعونة الحربية. وحسب مراسلة بركان الصادرة يوم 7 ديسمبر 1909 : فإنَّ الشادلي كان ما يزال بفاس في انتظام صدور ما كان ينتظره من مساعدة المولى عبد الحفيظ.

غير أننا من جهة أخرى نشعر من خلال التصريح أن هناك جديداً مبعثه من خيبة أمل الحصول على المساعدة الذكورة. ويعبر عن هذا مطلبه من الفرنسيين الترخيص له لسكنى الضفة اليمنى من واد ملوية. والمفاجأة التي لم نجد لها صدى في الوثائق الإسبانية هي الإعلان عن وفاة محمد الشادلي بفاس، بناء على ما صرحت به مراسلتا الإدارة الفرنسية ببركان يومي 16 أو 17 أبريل 1910 وما رددته مراسلة وهران يوم 16 يونيو 1910. وسرعان ما خلفه في الزعامة الجهادية ابنه البكر إسماعيل سابق الترجمة.

ح. الفكيكي، *وثائق مديرية الوثائق الملكية*: جنادة، *جزولة بمعلمة المغرب*؛ ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، تطوان، 1952 : حمو بن محمد الشكري، *تقييد*؛ وثائق خاصة في ملك محمد البنيحياتي.

Documents des Affaires Etrangères de la République Française ; G. Calvo. *España en Marruecos* ; A. Riera, *España en Marruecos* ; E. L. Alarcon, *Melilla* 1909 ; *Documentos Presentados a las Cortes en la Legislatura de 1909.*

حسن الفكيكي

الشاذلي، أبو **الحسن** علي بن عبد الله الغماري، ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب (*لطائف المنن*، 51)، راس الطائفة الشاذلية. ولد بقبيلة الأخماس ببلاد غمارة، فرقة بني زرويل، شمال المغرب سنة 1195/591. وفي بعض المصادر سنة 1197/593.

نشأ بقريته وحفظ بها القرآن، ثم رحل إلى فاس فدرس على كبار علمائها من أمثال محمد بن علي ابن حرزهم.

ولم يسلك طريق القوم حتى أخذ قسطا وافرا من العلم الظاهر وكان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة؛ ثم تزهد وتنسك، وخرج من بلاده باحثا عن الشيخ المربي، وقاصداً حج بيت الله الحرام حوالي سنة 1223/620.

حل بشاذلة قرب مدينة تونس واستقر بها مدة، فنسب إليها، وكان خلال ذلك يلجأ إلى جبل زغوان للخلوة برفقة صاحبه أبي عبد الله بن سلامة الحبيبي من أهلها، وكان هدفه

من ذلك التفرغ للعبادة قصد معالجة علل نفسه وعيوبها والتغلب على هواه، والابتعاد عن كل أنواع الفتنة.

وكان يعيش على نبات الأرض وعشبها أثناء ذلك مع صاحبه المذكور، وكانت سلطات شاذلة تتعقب خطاه وتحركاته لما له من تأثير في عامة الناس في شخص ابن البراء قاضي الجماعة. وقد خرج الشاذلي بسبب ذلك إلى تونس حيث لقي عدداً من الأصحاب والأتباع، ومكث مدة ثم توجه إلى الإسكندرية على نية الحج والبحث عن الشيخ، إلا أنه لم يجد بها ما كان ينتظره من اهتمام بسبب وشاية ابن البراء التي سبقته إلى الديار المصرية. فترك الاسكندرية إلى القاهرة حيث لقي استقبالا أفضل، واعتذر له السلطان بنفسه عما بدر منه، وبقي بها زمنا ثم تابع طريقه إلى الديار المقدسة حيث أدى فريضة الحج، ومن الحج دخل بغداد، واجتمع بالصوفية يسألهم عن القطب فقال له أحدهم - ولعله أبو الفتح الواسطي - أنت تبحث عن القطب في العراق وقد تركته في بلادك، يقصد الشيخ عبد السلام ابن مشيش (*درة الأسرار*، 23).

عاد الشاذلي إلى بلاده للالتقاء بالشيخ ابن مشيش دفين جبل العلم سنة 1225/622، وكان متمسكا بالكتاب والسنة عاملا بهما، فلازمه مدة إلى أن فتح الله عليه. ثم عاد إلى تونس واستقر بها مدة قبل التوجه من جديد إلى الديار المصرية لتربية المريدين اعتماداً على رؤية رآها في منامه تحثه على ذلك. فنزل بالإسكندرية في برج من أبراج السور حبسه عليه سلطان مصر. ومعه عدد كبير من الفقراء يعبدون الله ويذكرونه.

وهناك تزوج ورزق أولاداً ذكرت بعض المصادر اسماءهم وهم: شهاب الدين أحمد، وأبو عبد الله محمد شرف الدين، وزينب وعريفة الخير (*درة الأسرار*).

وكانت حياته بمصر هادئة، تفرغ فيها للتربية والتوجيه والعبادة، والتف حوله المريدون وروي عنه قوله عن حياته بمصر (ذهبت أيام المحن، وأقبلت أيام المنن) (*درة الأسرار*). وفي سنة 1258/656 عزم على السفر لأداء الحج من جديد. فوافته منيته بصحراء عيذاب، بين قنا والقصير. وعند احتضاره جمع أصحابه وزودهم بوصاياه ومن أهمها: مداومة تلاوة حزب البحر، بعدما استخلف عليهم تلميذه أبا العباس المرسي، (*درة الأسرار*).

كان أبو الحسن آدم اللون، نحيف الجسم، طويل القامة، خفيف العارضين، طويل أصابع اليدين، ... فصيح اللسان، عذب الكلام، غير متزمت في المأكل والمشرب، يحب الخيل ويقتنيها ويركبها ويرتدي الثياب الحسنة، وكان يقول: لا تسرف بترك الدنيا فتغشاك ظلمتها، أو تنحل أعضاؤك لها، فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها، (*لطائف المنن*، 129). وكان يكره من المريد البطالة وسؤال الناس.

وقد قيلت فيه أقوال كثيرة تصف حاله، وعلمه، وطرق معاملته لمريديه، ومن أهمها قول تقي الدين بن القشيري عنه: (ما رأيت أعرف بالله من الشيخ الشاذلي) (*لطائف المنن*، 51). وقول ابن عطاء الله الاسكندري (لم يختلف في قطبانيته ذو قلب مستنير، ولا عارف بصير).

ويعد الشاذلي مجدداً للطريقة الصوفية في القرن السابع الهجري، والناشر لها والداعي إليها، في عصر شهد أقطاب التصوف على اختلاف اتجاهاتهم: كابن عربي، وابن سبعين، وأبي مدين الغوث، وأبي يعزى، وأبي الحسن الششتري، وغيرهم.

ترتكز الطريقة الشاذلية على العمل بالكتاب والسنة ومحاولة التوفيق بين الشريعة والتصوف، وكل ما عارضها تركه ولم يعتبره، وإباحة الاستفادة من الخيرات في الطيبات من مأكل ومشرب ومركب، فقد كان الشاذلي يقول عن طريقته: ليس هذا الطريق بالرهبانية، ولا بأكل الشعير والنخالة ولابقية الصناعة، وانما هو بالصبر على الأوامر، واليقين في الهداية، والتيسير والتبسيط ونبذ الرموز الفلسفية الغامضة، والشطحات الصوفية المشينة، والدعوة إلى الجهاد في سبيل الله ومحاربة الغزاة الأجانب المحتلين لبلاد الإسلام. أعطى المثال من نفسه عندما شارك في موقعة المنصورة بالرغم من تقدمه في السن.

وللشيخ الشاذلي مؤلفات وأحزاب وأدعية وردت في كتب التصوف *كلطائف المنن*، *ودرة الأسرار* وغيرها، منها: *نزهة القلوب وبغية المطلوب*؛ *والسر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل*؛ وحزب رواه عنه ابن عطاء الله ولم يضع له عنوانا، أوله: الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم؛ وحزب *الفتح* أو حزب *الأنوار*؛ وحزب *البحر*؛ وحزب *اللطيف*؛ *والحزب الكبير*.

وسند الشاذلي في التصوف متعدد الطرق، أشهرها المتصلة بالشيخ أبي مدين الغوث دفين العُبّاد، عن علي ابن حرزهم عن القاضي ابن العربي دفيني فاس مسلسلا إلى أبي القاسم الجنيد ثم إلى الحسن البصري عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ.

وقد انتشرت الشاذلية في العالم الإسلامي كله من جنوب شرق آسيا إلى غرب إفريقيا وتركيا وغيرهما من بلاد الإسلام.

توفي أبو الحسن الشلذلي بصحراء عيذاب بمصر في صفر عام 656/ فبراير 1259.

ابن عطاء الله الاسكندري، *لطائف المنن*، بيروت، 1998؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، تح. م. الفاسي وأ. فور، الرباط، 1963؛ د. ابن العباس السوسي، *المواهب القدسية في أسانيد المشايخ الصوفية*، مخطوط؛ عمر ابن الملقن، *طبقات الأولياء*، تح. مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 1998؛ ع. التليدي، *المطرب في مشاهير أولياء المغرب*، ط.2، 1987؛ ع. الحليم محمود، *المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي*، القاهرة؛ *أبو الحسن الشاذلي الصوفي*، القاهرة، 1967.

حسن جلاب

الشاذلية (طريقة) ← **الشاذلي، أبو الحسن**

شارابات، محمد الخلفي في موضع إدْ بًادنيا، من شهداء معركة تيزي سنة 1917، يعد من رجال الحرب ومن أعيان القبيلة ومن الذين يخططون كيفية إجراء المعركة إلى جانب الداهية عيسى بن عثمان الخلفي.

كان المترجم شجاعاً ومحارباً ورامياً بشكل دقيق، ويعد من القلائل الذين يملكون البندقيات المتطورة، مثل - تامنبهيت TAMNABHIT والرباعية. وكان شارابات هذا هو الوحيد في تلك الجهة الذي يستعمل السيف في المعركة.

ولشجاعته كان يعلن في - أجموع - قبل المعركة: من يشتري مني البندقية من نوع كذا التي سآخذها غنيمة من العدو، وكان يتوغل في الصحراء المغربية غازيا الجيوش الفرنسية في جهة تيندوف، كما كان يتصل ببرابرة الأطلس المتوسط الذين غنموا من فرنسا البندقيات المتطورة وينقلها إلى أيت باعمران.

كان هذا الرجل يلازم المجاهد القائد محند بن علي الخلفي حتى استشهدا معا في معركة - تيزي - ضد حملة الجنرال - دو لاموطْ - سنة 1917 إلى جانب 600 شهيد (ستمائة شهيد) وبتلك المعركة، انتقمت سلطة الحماية من أيت باعمران لحملة الباشا - حيدا - في معركة - إيگالفنْ في نفس السنة.

فإذا كان شارابات وأمثاله الشعبيون الشجعان، لم يحظوا بمداد أقلام الفقهاء فإن ما تسجله الثقافة الشعبية، يكون أبلغ أحيانا من الرسميات ومن ذلك قول الناظمات المتداول حتى الآن: شعر:

- أجّيگ ؤزاغارْ - لبركت - نـْ ميتْ أتّوفيتْ - يسد - لقايد - محند أگيون يساكانْ أيّيس - نتّاد - شارابات - د - أيت - ربّي غْ ؤ غاراس.

ترجمة معنى ذلك:

- أيّ نُور وأي نَور وأيّ نَوْر نلتها يازهور - أزاغارْ -

- فهل بفضل سرور فرس القائد محند وشارابات وأهل الله معهما في الطريق ؟

بحث ميداني، الروايات الشعبية، جانب من *تاريخ أيت باعمران*.

الحسين جهادي الباعمراني

الشّارفْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Xarafi و Xerafi؛ وقد هاجرت هذه الأسرة أول مرة إلى قبيلة بني يدر ومنها انتقلت إلى تطوان. منهم أحمد بن محمد الشارف، زاول خطة العدالة سنة 1055 (1645).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطوان، 1999، والمراجع العربية والأجنبية الرقم 1412.

محمد ابن عزوز حكيم

الشاري، علي بن محمد السبتي، اشتهر بكنيته أبي الحسن، واختلف الكتاب في إيراد نسبه. يقدم ابن رشيد السبتي نسبته على هذا النحو: علي بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الغافقي (*إفادة*، 105)، أما ابن عبد الملك المراكشي فيورد نسبته على الشكل التالي: علي بن محمد بن علي بن يحيى ابن عبد الله [ابن يحيى ابن يحيى الغافقي]. ويرفع نسبته اعتماداً على أحد النبهاء من أهل بيته وهو أبو مروان عبد الملك بن محمد، إلى أمير الأندلس عبد الرحمان بن عبد الله بن مخش بن زيد بن جبلة بن [ظهير بن] العائد بن غافق بن الشاهد بن علقمة بن عك بن عدنان (*الذيل*، 196). يكنى أبا الحسن ويعرف بالشاري. أصله من شارة فليين بجوفي مرسية. انتقل أبوه منها أيام فتنة 1167/562. واستقر بسبتة وبها ولد يوم الخميس من شهر رمضان عام 1176/571 وبها نشأ وتعلم علوم عصره (*إفادة*، 105 ؛ *جذوة*، 486).

أخذ أبو الحسن الشاري عن شيوخ بلده أولهم أبوه محمد ابن علي بن محمد الغافقي الشاري الذي علمه القرآن. كما كان يرشده في اقتناء الكتب وينهاه عن كتب الجاحظ (*التكملة*، 2: 687). وأخذ القراءات السبع عن أبي بكر الهوزني الإشبيلي. وسمع *الموطأ* والكتب الخمسة *والمسند الكبير* لأبي بكر البزار وسيرة *ابن هشام* وغيرها من كتب الحديث والفقه. وتلا بالسبع في ختمة واحدة وهو ما يزال يافعا على يد الفقيه عبد الله بن حجر بن محمد بن علي الحجري المعروف بأبي محمد بن عبيد الله (*إفادة النصيح*، 106). ومن مشايخه أيضاً أبو الصبر أيوب بن عبد الله بن أحمد الفهري الذي سمع عليه من أول كتاب البخاري إلى كتاب المغازي، ومحمد بن حسن بن عطية الشهير بأبي عبد الله بن غازي السبتي. ثم رحل إلى فاس حيث تتلمذ في علم الكلام وأصول الفقه عن الإمام الأصولي أبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي المشهور بابن الكتاني. ولقي بفاس أبا الحاج ابن نموي وسمع منه. كما أخذ عن أبي القاسم عبد الرحيم ابن الملجوم، وأبي محمد عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي. كما لقي بفاس علي ابن محمد بن علي بن محمد الحضرمي الإشبيلي النحوي المكنى بأبي الحسن والمعروف بابن خروف، فحضر مجالسه العلمية وأخذ عنه كتب العربية. كما التقى بالرحالة الزاهد أبي الحسن أحمد بن جبير الأندلسي وسمع منه بعض أشعاره. كما أخذ عن أبي القاسم ابن جبيش، وأبي زيد السهلي، وأبي عبد الله ابن الفخار المالقي وغيرهم كثير. وأجاز له معظمهم (*إفادة*، 108؛ *الذيل*، 186؛ *الإحاطة*، 4 : 189؛ *جذوة*، 486).

عندما استكمل تكوينه عاد إلى مسقط رأسه سبتة حيث بدأت مرحلة العطاء من حياته العلمية الحافلة، "وأحيا بها العلم حيا وميتا" كما يقول ابن رشيد الفهري بحيث شيد المدرسة والمكتبة المنسوبتين إليه، وقد بنى المدرسة بقرب باب

القصير أحد أبواب سبتة، وأوقفها للطلبة من أهل العلم، وحبس عليها خيار أملاكه وأفضل رباعه متتبعا في ذلك طريقة أهل المشرق. وهي المدرسة التي أكثر علماء عصره حولها وحول صاحبها القول نظما ونثراً تخليداً لهذه المنقبة النبيلة التي تنبّه لها وسبق إلى التفرد بها بين أهله وفي بلده، من بينها القصيدتان اللتان كانتا من نظم كل من القاضي الأديب أبي القاسم بن عمران وأبي الحسن بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الاغماتي مهنئين بها شاكرين صاحبها عليها (*الذيل*، 197 ـ 199). وقد عرف عن أبي الحسن عنايته بجمع الكتب وباقتناء الأعلاق الثمان، ونافس في ذلك وبذل الأموال الطائلة لاقتنائها وربما ارتحل من أجل ذلك. وحبس منها جملة بالمكتبة المذكورة (*الإحاطة*، 4 : 188؛ *إفادة*، 105 : *اختصار*، 29).

جلس أبو الحسن للإقراء والتحديث بمدرسته وبجامع سبتة الأعظم وغيرهما، فكانت له مشاركة في القراءات ومعرفة بطرق التحديث والتاريخ. كان جيد التقييد حسن التعريف بالأشياخ والمصنفين. ومما يؤثر عنه أنه كان كامل المروءة والعدالة، سنيا، مبغضا لأهل البدع. ومما يذكر عن نزاهته أنه لم يباشر قط ديناراً ولا درهما، إنما كان يتصرف له في ذلك وكلاؤه والقائمون بأعماله (*الإحاطة*، 4 : 188؛ *الذيل*، 201). فكان معظما لدى الخاصة والعامة من أهل بلده. وقد تتلمذ على يديه جملة من العلماء من بينهم أبي الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي الذي قرأ عليه بالجامع الأعظم من سبتة صحيح البخاري وكتاب الالماع في تصحيح الرواية والسماع لعياض، وأبو فارس عبد العزيز بن إبراهيم ابن عبد العزيز بن أحمد بن نبيه الذي أخذ عنه جميع الجامع الصحيح بقراءة الرعيني (*إفادة*، 109).

ظل أبو الحسن الشاري بسبتة إلى أن غرب مجبراً عن وطنه إلى ألمرية وذلك قبل أن يتمم مشروعه الذي بدأه من أجل الزيادة في المدرسة التي ابتناها. وقد حدث ذلك في منتصف سنة 1244/641. وقد يخطئ ابن الخطيب عندما ينسب محنة تغريب أبي الحسن الشاري إلى اليانشتي الذي انتهت فترة حكمه لسبتة سنة 1238/635 ؛ إذ الصحيح أن الظرفية تناسب فترة حكم ابن خلاص المستقل بحكم سبتة (37/635 ـ 1238 ـ 47/646 ـ 1248) وبالضبط فترة إعلان هذا الأخير التبعية لأبي زكرياء الحفصي. يقول ابن الزبير "فعاق عن كمال غرضه في ذلك قواطع الفتن الموجهة لإخراجه عن بلده وتغريبه" (*صلة*، 153). قد يكون لابن خلاص يد في هذا الإزعاج الذي امتحن به أبو الحسن الشاري، وربما عكس الحدث موقفا معينا لأبي الحسن مخالفا لسياسة ابن خلاص الذي خرج عن طاعة الدولة الموحدية الأم، وارتمى في أحضان حكام إفريقية. لا تفيد المصادر المترجمة له أي شيء حول الموضوع سوى أنه قضى بقية حياته في الأندلس. نزل أول الأمر في ألمرية حيث استقبله أميرها ووزراؤها وأعيانها وأهل العلم منها بما يليق بعالم مثله من كرم الحفاوة وجزيل العطاء.

وقد مكث بألمرية أعواما. لكن عندما اختلت أحوال المدينة خاصة وشرق الأندلس عامة غادرها فراراً من الفتنة (*الذيل*، 201). وقد قضى بقية حياته متنقلا بين كبريات حواضر الأندلس: غرناطة وألمرية ومالقة. يقوم بتدريس معارفه اينما حل. وقد حاول العودة إلى بلده سبتة لكنه لم يفلح. وفي آخر عمره استقر به المقام في مالقة مع نهاية محرم أو أوائل صفر من سنة 1250/648. ومكث بها إلى أن أدركته المنية ضحوة يوم الخميس 29 من رمضان سنة 1251/649. وكان من بين أهل مالقة وغيرهم ممن أخذوا عنه أبو جعفر بن الزبير المترجم له والمحدث أبو عبد الله الطنجالي وأبو بكر القرطبي المدعو بحميد وأبو العباس بن علي الماردي وأبو القاسم عبد الكريم بن عمران. كما حدث بالإجازة عنه أبو عبد الله بن الأبار (*الإحاطة*، 4 : 189؛ *الذيل*، 197 ؛ *صلة*، 152). لم يخلف أبو الحسن أي تأليف على ما يبدو سوى ما ذكره الرعيني من أن له استدراكات نبيهة على كتاب *الصلة* لابن بشكوال أطلعه على بعضها. كما أطلعه على بعض أسانيده في *الجامع الصحيح* للبخاري (برنامج الرعيني، 75).

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. عزت العطار، 1955، القسم الثاني؛ ابن رشيد السبتي، *إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح*، تح. م. الحبيب ابن الخوجة، الدار التونسية للنشر، ص 105 ـ 112 ؛ علي الرعيني، *برنامج شيوخ الرعيني*، تح. إبراهيم شبوح، دمشق، 1962/1381، ص 74 ـ 75 ؛ أ. ابن الزبير، *صلة الصلة*، ط. بروفنسال، الرباط، ص. 149 ـ 153 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، الرباط، 1403/ 1983، ص. 29 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1975/1395، ج. 4، ص. 187 ـ 190 ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. محمد بن شريفة، 1984، القسم الأول ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974.

زليخة بنرمضان

شَارْيَة ويكتب أيضاً شريّة أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Sarria وهو نفس الاسم الذي تحمله حاليا بعض الأسر الإسبانية نسبة إلى مدينة Sarria الإسبانية.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطوان، 1999، والمراجع العربية والأجنبية ذكرها في الرقم 1413.

محمد ابن عزوز حكيم

شاسبو، نوع من البنادق الأوربية كمارتيني ـ هنري (Martini Henry)، وكومبلان (Comblain)، وگرا (Gras)، ووينشستر (Winchester) ... وكان أول عاهل مغربي قد استخدم بندقية شاسبو في جيوشه هو السلطان محمد بن عبد الرحمن (1276 ـ 1859/1290 ـ 1873).

وقد أعطي لها هذا الاسم تكريما لصانع ماهر في السلاح

الناري الخفيف في وقته يُدعى أنطوان ـ ألفونص شاسبو (Antoine Alphonse Chassepot) (1833 ـ 1905).

بدأ تعلُّمَه في هذه المهنة على يد والده الذي كان يشتغل مُراقبا لصُنع السلاح بمعمل بمدينة موتزيگ (Mutzig) الواقعة في حوض نهر الرين الأسفل (Bas- Rhin) بمقاطعة الألزاس (Alsace) بفرنسا، وهو المنصب الذي أُسند إليه، بعد أن أتمَّ تكوينه، واتضحت موهبته وقدرته على الإبداع والابتكار.

وبالفعل، ما إن بلغ سنّ الأربع والعشرين سنة من عمره، حتى قدم مشروعا متطوراً للبندقية التي تشحن من الخلف (Culasse)، وذات إبرة ومكبس، وهي من اختراع خبيرين ماهرين في الأسلحة النارية، وهما صامويل بولي (Samuel Pauly) السويسري الأصل، وتلميذه ومساعده يوحنا نيقولوس فان دريز (Johann Nickolaus Dreyse) ومن خصوصيات هذه البندقية التي أجريت عليها تجارب تقنية سنتي 1858 و1862، أنها تشحن بالبارود من الخلف، وزنادها منعزل عن باقي أجزائها الأخرى، يسدّ بواسطة قطعة من المطاط دائرية الشكل، كما أن خلفها طويل الشكل وإزلاج مغلاقه دائري هو الآخر.

وبعد ذلك، عكف صاحبنا على تطوير وتحسين أداء بندقيته، وبالخصوص فيما يتعلق بقدراتها الباليستيكيّة، فأثمرت جهودد بندقية سنة 1866 التي زوّدت بقذيفة جديدة، فاقت مثيلاتها جودة وإتقاناً. فبفضل هذا الإنجاز، اكتسب شهرة واسعة. في أوساط صناعة الأسلحة في فرنسا وخارجها، إذ وُفّق كل التوفيق في تقدير وضبط التناسب الأمثل ما بين شحنة البارود الأسود، ووزن وكثافة وعيار القذيفة (Projectile) من جهة، ووزن البندقية الإجمالي من جهة أخرى.

وهكذا، إذا كانت سُرعة القذيفة عند خروجها من جعبة البندقية تبلغ 480 متراً في الثانية، فإن وزنها يجب أن يُساوي 25 غراما، كما يخفض عيّارها إلى 11 ميليمتراً، الأمر الذي يمثل في حدّ ذاته إنجازاً عظيماً، إذا ما قيس بما كان معمولا به وقتئذ في هذا المجال.

أضف إلى هذا أنّ الثمانمائة دورة (Rotation) التي تنجزُها في الثانية، كانت تكسبُها قوة قاتلة فظيعة.

Y. Cadiou, *La Winchester* 1895, *la Gazette des Armes*, n° 24, 1975 ; J. Florentüs, *Histoire du Fusil*, Paris, 1975 ; P. Lorain, *Petite Histoire du Projectile*, *Gazette des Armes*, n° 24, 1975 ; D. Venner, *Les Armes à feu françaises*, Ed. Grancher, Paris 1979.

مصطفى الشابي

الشاشية أو غطاء الرأس. لم يكن هندام الشخص في المغرب يكتمل إلا بوضع الشاشية على الرأس وتعتبر الجزء الرئيسي في اللباس كله، وهذا تقليد متوارث في المغرب من عدة قرون ولم يكن بوسع أحد أن يخرقه. وكانت أغطية الرؤوس المتداولة في المغرب قبل انتشار اللباس العصري وما ارتبط به من كشف للرأس وحلق للشعر وكشط للحي تتألف من أربعة أصناف هي العمائم والطرابيش والطاقيات ثم الشاشيات. ومما تجدر الإشارة إليه أن الشاشيات التي تختلف وظيفتها وجودتها باختلاف الإمكانات المادية والمواقع الاجتماعية تنتمي إلى أصل فارسي. فالشاشية مذكرها شاشي وهما في الأصل سكان مدينة شاش "الموجودة فيما وراء النهر من بلاد فارس" (المسعودي، *مروج الذهب*، الجزء الرابع، ص. 319)، هذه المدينة التي توارث أهلها التخصص في نسج الصوف وحياكة الزرابي وتفننوا في تلبيد الصوف لصناعة السجاجيد وأغطية الرؤوس ومنها انتقلت إلى العراق وبلاد الشام وتركيا ثم إلى باقي بلدان شمال إفريقيا بانتشار الحضارة الإسلامية وازدهار صناعاتها. وكانت أول مدينة انتشرت فيها صناعة الشاشيات المغربية هي مدينة فاس فتراكمت لدى صناعها الخبرة الكافية واجتمع فيها ما لايحصى عدده من اللبادين والشواشين ومنها انتقلت هذه الصناعة إلى مكناس والرباط ومراكش. لكن صناعة الشاشيات بدأت تتلاشى في البلاد ابتداء من 1898 منذ أن بدأت المصانع الفرنسية والنمساوية تحاكي صناعة هذا النوع من الطرابيش الأهلية وتنتجها في المعامل الأوروبية وتوزعها في سائر أرجاء العالم الإسلامي بأسعار منخفضة وبجودة صنع كبيرة.

تنقسم الشاشيات المستعملة في المغرب إلى ثلاثة أنواع هي:

ـ الشاشية المخزنية: وهي عبارة عن غطاء رأس مقعر من صوف ملبد مخروطي المنظر لونه أحمر يشبه إلى حد كبير شكل ولون فلفلة حمراء مجوفة من الوسط، وتكون في أعلى قمته هدب سوداء متدلية تسمى "الشوشة" أو ينتهي بقطعة صوف ملبدة سوداء ناتئة في حجم قلم الرصاص تدعى "البلوطة". وقد كان هذا النوع من غطاء الرأس خاصا بالمستخدمين في القصور السلطانية والمرتبطين بالوظائف المخزنية من مشاورية وفرسان ومخازنية ومسخرين وأصحاب حنط داخلية (عبد الرحمان بن زيدان، *العز والصولة*، الجزء الأول، ص. 144). كان هؤلاء وغيرهم ممن يعمل في وظيفة مخزنية يضع الشاشية وجوبا على رأسه وحدها دون غيرها

باستثناء قائد المشور وقواد الفرسان وقواد المسخرين وقواد المخازنية الذين كانوا يلفون حولها عمامة بيضاء.

- الشاشية التونسية: وتدعى أيضاً الطربوش التونسي وطربوش الشوشة وطربوش الطاسة، وسميت كذلك لأن أحسنها وأجودها كان ومازال يُصْنَعُ في تونس وكان شكلها يشبه شكل الوعاء النحاسي الذي كان السقاء يمنح فيه الناس الماء ليشربوا ويدعى عند المغاربة بالطاسة، وتنتهي في أعلاها بهدبة من صوف ملبد أسود أو في الغالب السائد بخيوط مجدولة سوداء تتدلى على جانبيها أو في مؤخرتها تسمى الشوشة. وكان استعمال هذا الغطاء في مغرب القرن (19 م) مقتصراً على الجنود حيث كان يوضع على الرأس تحيط به عمامة بيضاء ثم انتقل في مرحلة لاحقة إلى صفوف المدنيين، وفي عهد الحماية الفرنسية ساد تداوله لدى عامة الناس من الفئات الوسطى من الحرفيين والتجار والبحارة وسائر الناس.

- شاشية اليهود: كان اليهود المغاربة يتميزون عن المسلمين بلباسهم الأسود بما في ذلك غطاء الرأس. وكانت الشاشية اليهودية تشبه إلى حد كبير الشاشية التونسية فيما عدا اللون فإنه كان أسود. وكان الذكور من اليهود يضعونها في أعلى قمة الرأس فوق شعر كثيف وغير محلوق ولحية كثة سوداء. إلا أن الفصائل الشابة منهم تخلت عن هذه الشاشية منذ مطلع القرن 20 وعوضتها بالبرنيطة كما عوضت اليلكة والجوخة والهندام الأسود التقليدي بالبذلة الأوربية.

ص. العبيدي، *الملابس العربية الإسلامية*، بغداد، 1980 ؛ م. بن أحمد شماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته خلال خمسين سنة*، الرباط، 1980 ؛ م. عناني، *الشاشية التونسية*، *مجلة الأمل الثقافي*، دون عدد ولا مكان الطبع، أكتوبر، 1970 ؛ م. فهد بدري، *العمامة*، مطبعة الحكومة، دون مكان، 1968 ؛ ع. الحميد العلوي، *تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد*، الجزء الأول، الدار البيضاء، 1958؛ محمد السليماني، *اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب*، الرباط، 1971 ؛ م. رضا شرف الدين، لباس الرأس في المغرب، د. ت. و. د. م.

M. Heim, *A travers le vieux Maghreb*, Paris 1926; J. BALDOUI, *L'artisanat marocain à la croisée des chemins*, Alger, [s.d.] ; L. Golvin, *Aspects de l'artisanat en Afrique du Nord*, Paris, 1975 ; P. Ghiho, *La nationalité marocaine*. Paris, 1961 ; J. Goulven, *Les mellahs de Rabat-Salé*, Paris, 1927 ; J. Mathias, *L'artisanat marocain*. *B.E.S.M.* n° 96 et 97, 1963; M. Eisenbeth, *Les juifs au Maroc*. Alger, 1948 ; H. Basset, *Les rites du travail de la laine à Rabat*, *Hesp.*, tome 2, 1er et 2e tri, 1922 ; M. Bencheneb, *Origine du mot Chéchia*. *R.A.*, n° 51, 1907.

محمد بوسلام

الشاط، أسرة عربية أنصارية أندلسية كان موطنها في القرن الخامس الهجري بجهة مرسى الشاط على ساحل مالقة وبه سميت. وقد ذكر محمد الأنصاري السبتي أن معنى اللفظ هو الطويل. وقد انتقلت الأسرة إلى شمال المغرب في فترة تالية. وما تزال أسرة الشاط إلى يومنا هذا بالمنطقة، بواد راس، وقد تعرفنا منها على عدة أفراد، منهم: الشاط شيخ أنجرة أثناء غزوات المجاهد محمد العياشي. كان من الداخلين في الحركة الجهادية العياشية ضد سبتة وطنجة. فحينما كان سليمان بن يوسف أخديم وأحمد أبو علي وآل المفضل، من مجاهدي جبل حبيب يستعدون للغزوة انضاف إليهم أهل أنجرة ووادراس بزعامة الشيخ الشاط، ومن جبل حبيب نظم الجميع الغزوة الأولى في نفس الشهر على سبتة بنحو 1000 من الفرسان و6000 من المشاة الهبطيين. والشاط سيدي لا يعرف اسمُه كذلك، وهو من موريسكيي إشبيلية التجار، هاجر من إشبيلية من مرسى سانت ماريا بقادس واستقر بتيطاوين. لا ندري متى عبر ولا الظروف التي مر بها، لكن من المعتقد أن ذلك تمّ خلال السنوات الأولى من القرن الحادي عشر الهجري. ففي سنة 1606/1004 كان بتطوان مشتغلاً بالتجارة مثلما كان بإشبيلية، وبعد سنتين كان بجوار القائد أحمد النقسيس. والأسرة معروفة بأنجرة الداخلية منذ ما قبل القرن الحادي عشر الهجري (17 م).

الشاط، علي مجاهد حظي باهتمام زورارا خلال غزوة أبي زكرياء يحيى الوطاسي، وقد استعنا لرد الاسم إلى أصله المغربي بناء على ما علمناه عنه من وصفه بضخامة الجثة وطول القامة، اعتماداً على ما أفادنا به محمد الأنصاري في معنى لفظ الشاط. ربما كان أصله من قبيلة وادراس، عملاً بما علمناه بعد ذلك من ظهور أفراد الأسرة بالقبيلة الودراسية.

م. الأنصاري، *اختصار الأخبار*؛ أبو عبيد الله البكري، *المغرب في أخبار المغرب*؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*؛ ح. الفكيكي، *الموريسكيون بمنطقة مضيق جبل طارق*، الثلث الأول من القرن (11 هـ/17 م) الأكاديمية، عدد، 15.

G. Ianes de Azurara, C. de D Pedro, *Archivo General de Simancas*, Estado. Legajo 2639 ; F. de Meneses, *Historia de Tanger*.

حسن الفكيكي

ابن **الشاط، قاسم** بن عبد الله بن محمد الأنصاري. يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن الشاط نسبة إلى جده الذي يقال عنه إنه كان طوالاً، فجرى عليه هذا الاسم. ولد بمدينة سبتة عام 643 / 1246، وبها نشأ وتتلمذ على علماء عصره متأثراً بالمناخ الفكري الذي كان يطبع عصره. فغرف من العلوم الدينية والعربية والعقليات. قرأ على الأستاذ أبي علي الحسين بن أبي الربيع، وعلى الحافظ أبي يعقوب المحاسبي. أجازه أبو القاسم بن البراء، وأبو محمد بن أبي الدنيا، وأبو العباس بن الغماز، وأبو جعفر الطباع، وأبو بكر ابن فارس، وغيرهم (درة، 3 : 271 ؛ *الديباج*، 226 ؛ *برنامج*، 170). جلس للإقراء بسبتة واعتبر إمام الأصول والفرائض والحساب. كما عد نسيج وحده في أصالة النظر، ونفوذ الفكر، وجودة القريحة، وتسديد الفهم إلى حسن الشمائل، وعلو الهمة، والعكوف على العلم والاقتصار على

الآداب السنية، والتحلي بالوقار والسكينة. وكان مجلسه حافلا بالطلبة والنبلاء، من العامة (*الديباج*، 226). أخذ عنه جملة من أجلة العلماء مغاربة وأندلسيين من بينهم محمد ابن أحمد بن علي بن موسى الحسيني (*الإحاطة*، 2 : 184)، ومحمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري (*الإحاطة*، 3 : 135)، ومحمد بن علي هانئ اللخمي السبتي (*الإحاطة*، 3 : 134). كما أخذ عنه أبي زكريا بن هذيل، وأبي الحسن بن الحباب، والقاضي أبي بكر بن شبرين، وغيرهم. التقى به ابن الزبير الأصغر بسبتة عام 1287/686 (درة، 3 : 270). من تآليفه *أنوار البروق في تعقب مسائل القواعد والفروق*، و *غنية الرائض في علم الفرائض*، و "*تحرير الجواب في توفير الثواب*"، و"*برنامج ابن أبي الربيع*" وغيره. توفي بسبتة عام 1323/723 (*الديباج*، 226).

ابن فرحون، كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، بيروت، ص. 225 ـ 226 ؛ الأنصاري، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تح. ع. الوهاب بن منصور، الرباط، 1983/1403، ص. 18 ؛ ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تح. م. الأحمدي أبو النور، تونس ـ القاهرة، الجزء 3، ص. 270 ـ 271 ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1975/1395، الجزء الثاني، ص. 184، الجزء الثالث، ص. 134 ـ 135؛ الوادي أشي، برنامج ابن جابر الوادي آشي، تح. م. الحبيب الهيلة، تونس، 1401 / 1981، ص. 170.

Z. Benramadane, *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècles*, Thèse de Doctorat de 3 :cycle, Aix-Marseille I, 1987 ; P. Chalmeta, *Le Barnamag d'Ibn Abi l-Rabi'*, *Arabica*, juin, 1968, fasc. 2.

زليخة بنرمضان

الشاطبي، أسرة فاسية أصلها من مدينة شاطبة الأندلسية. قال عنهم صاحب *إزالة الالتباس* كان لهم ذكر بفاس، ومازالت تنسب إليهم أرض خارج باب الفتوح بفاس إلى الآن، وانتقل بعضهم إلى مراكش على عهد السعديين.

ع. ابن السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 192.

الشاطبي، أحمد بن أبي القاسم المراكشي، من الفقهاء الشباب الذين نشؤوا في عهد المنصور الذهبي وتحت رعايته. درس على والده أبي القاسم، قاضي الجماعة بمراكش وعلى أقرانه كبار الفقهاء المتوافرين بالحاضرة السعدية، أمثال عبد الواحد بن أحمد الحسني وعبد الوهاب ابن إبراهيم الدكالي المشنزائي ومحمد بن علي السالمي وغيرهم.

برع في الفقه، أصوله وفروعه، وحذق الكتابة والتوثيق على حداثة سنه، فكان ينوب عن والده في القضاء والخطابة والتدريس بجامع المنصور بقصبة مراكش.

توفي بالوباء المنتشر في مراكش، بعد سنة 1010/01ـ 1602.

أ. ابن القاضي، درة *الحجال*، القاهرة، 1970، ج 1 : 172 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974، ج 2: 243 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 2 : 385.

الشاطبي أبو القاسم بن علي بن قاسم بن مسعود المراكشي، يكنى أبا محمد، قاضي الجماعة بحاضرة السعديين زهاء ثلث قرن، وخطيب جامع المنصور بالقصبة السلطانية والمدرس به، وقارئ صحيح البخاري بين يدي أحمد المنصور بحضور أعيان علماء المغرب وكبار رجال الدولة أيام رمضان، حتى كان يحفظ الصحيح من كثرة التكرار.

ولد سنة 933/26-1527. ذكره معاصره أحمد المنجور في فهرسه ضمن من ذاكرهم واستفاد كل من صاحبه، وحلاه بالفقيه العلامة القاضي الخطيب. وأثنى عليه كذلك من معاصريه أحمد ابن القاضي، وعبد العزيز الفشتالي الذي قال عنه في *مناهل الصفا* : "العلامة جملة الفضل الصلب العود القوي الشكيمة، صدر الفئة أثير الخلفاء سفير الأئمة خطيب الخطباء، بلبل منابر الجمع والأعياد". وذكروا له قصائد في مدح أحمد المنصور ومولديات كان يُقدَّمُ في إلقائها بين يديه في الاحتفالات المشهودة التي كانت تقام بقصر البديع بمناسبة المولد النبوي الشريف.

كان المترجم محط عناية المنصور وتقديره، وأرسله سفيراً عنه إلى الخليفة العثماني بالقسطنطينة سنة 989/ 1581، وكانت العلاقات قد تدهورت بين المغرب وتركيا، فلما وصل الشاطبي أمام الخاقان "صنع كلاماً بليغاً أعرب فيه عن فضل الدولتين، وقرر فيه حق أهل البيت، وأطرى المنصور غاية الإطراء، وحض على اتحاد كلمة الاسلام". ففرح بذلك الخاقان واهتز لسماعه، وأحسن إلى السفراء المغاربة. (*الحركة*، 2 : 378).

وقد حرف محمد الطيب الفاسي في كتابه *مطمح النظر* اسم المترجم فجعله علي ابن مسعود واعتبر أبا القاسم كنية له، وتبعه في ذلك الإفراني في *الصفوة*، والحضيگي في *الطبقات*. والصواب ما ذكرناه نقلا عن معاصريه المذكورين.

توفي بمراكش عام 1002/93 ـ 1594 ودفن قريباً من ضريح الشيخ أبي عمر القسطلي بحي رياض العروس.

أ. المنجور، *فهرس* تح. م. حجي، الرباط، 1976، ص 79 ؛ أ. ابن القاضي، درة *الحجال*، القاهرة، 1974، ج 3 : 284 ـ 285 ؛ *المنقى المقصور*، تح. م. رزوق، الرباط، 1986، ج 1 : 249 و409 ؛ ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. ع. الله گنون، تطوان، 1964 ؛ م. الطيب الفاسي، *مطمح النظر*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس، د. ت. *نزهة الحادي*، تح. ع اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، 98، ص. 157 ؛ م. القادري، *نشر المثاني* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 3: 1077 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، د. د. ع مرقون كلية الآداب، الرباط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج 5: 154 ـ 155 ؛ ع. المراكشي، *الإعلام*، ط 2، الرباط، ج 9 : 193 ـ 195 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1977، ج 2: 378.

الشاطبي، محمد الفاسي، حلاه مؤلف *السلوة* "بالفقيه الأرضى المشارك المرتضى، الأستاذ" ولم يذكر مشيخته ولا مهنته إلاّ ما يفهم من الأستاذ أنه كان يدرس

علوم القرآن، ولا ندري إن كان له اتصال بنوّة بشاطبيي مراكش سابقي الترجمة.

توفي بفاس يوم تاسع شعبان عام 12/1079 يناير 1669 ودفن بباب الجيسة قرب ضريح الأستاذ محمد بن محمد البوعناني.

م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 4 : 1557 ؛ م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300. ج 1: 200؛ م. الطالب ابن الحاج السلمي، *الإشراف على من بفاس من الأشراف*، 3 : 306.

محمد حجي

شاطنيير Chatinières Paul من الأطباء العسكريين الذين عملوا بالمغرب خلال النصف الأول من فترة الحماية. من مواليد 1884، التحق بالمغرب قبيل الحرب العالمية الأولى كطبيب مساعد. وكانت أولى مهامه إلى سوس حيث قطع جنوب المغرب في ما بين 1914 و1916 وسجل مشاهداته وأعماله هناك في كتاب صدر له سنة 1919 تحت عنوان: *"Dans le grand Atlas marocain"* عمل شاتنيير منذ 1917 على رأس المجموعة الصحية بمراكش (G.S.M) ولعب دوأ مهماً في عملية التدخل السلمي بالمغرب وذلك بما كان يقوم به جاهداً من أعمال تقربه من المغاربة وتفتح قلوبهم نحوه، حتى نشأت بينه وبين سكان تارودانت الذين كان يقيم بين ظهرانيهم علاقة خاصة جعلته يساهم بنصيب وافر في بسط إشعاع فرنسا ونشر نفوذها الروحي في تلك الربوع.

توفي شاتنيير وهو يقاوم التيفوس الذي طرق المغرب في سنتي 1927 و1928 حيث مسه طائف منه أودى بحياته في فبراير 1928، ودفن بتارودانت. وقد جاء في برقية المقيم العام تيودور ستيگ Théodore Steg إلى المفوض لدى الإقامة أوربان بلان Urbain Blanc "لقد تلقيت ببالغ الألم وفاة الدكتور شاطنيير الذي مات ضحية مجهوده الرائع. أرجو أن تكونوا المعبر عن عرفان الحكومة وامتنانها لدى عائلته وزملائه".

سجلت الحماية الفرنسية هذا الطبيب ضمن لائحة من سقطوا خدمة للواجب وجعلته من الحاصلين على ميدالية الذهب في مقاومة الأوبئة.

Le Figaro artistique illustré, Mai 1931, p. 36-37; *Maroc Médical*, Février 1928, p. 67 ; *Maroc Catholique*, Mars 1928.

بوجمعة رويان

الشاعر (أولاد -) شرفاء يملحيّون من جبل العلم كان لهم ذكر بفاس، ولم يبق لهم اليوم ذكر بها. قال في *إزالة الالتباس*: "ويوجدون بمدينة تطوان بكثرة وبمدشر بني گرفط القريب منها، وهو موطنهم الحقيقي".

ع. ابن السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 193.

الشاعر الجرفطي، عبد السلام الحسني الفاسي، حلاه في *السلوة* بالفقيه الأستاذ الشهيد. كان مقيماً بفاس، يخالط رجال المخزن، وفي أثناء الاضطرابات التي قامت في أواخر أيام المولى سليمان وقيام السعيد بن اليزيد عليه في فاس اتّهم المترجم بميله إلى المولى سليمان وقتل صبراً بحي الصفارين سنة 1236 / 1820 . 21.

م. الطالب ابن الحاج، *الإشراف على من بفاس من الأشراف*، مخطوط : م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، 3: 306. 307 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2510.

الشاعر اليجمي، أحمد، من قبيلة بني يجم المعروفة اليوم باسم بني حزمر المقابلة لتطوان. كان يقيم بمدشر بوخلاد القريب من مدشر دار بن قريّش. حلاه معاصره ابن عسكر في *الدوحة* بقوله: "كان فقيها نزيها عارفاً بالله تعالى كثير الورع والزهد حافظاً للتاريخ ومولعاً به كثير الاطلاع، شأنه الفكرة والاعتبار" ولم يذكر الكتب التي كان يرجع إليها المترجم لكن يبدو من السياق أنه كان يهتم بكتب التراجم والحوليات.

كانت له عُريصة - يقول ابن عسكر - بإزاء داره يزرع فيها شيئاً من الزرع وينبشها بفاس بيده فما جاء فيها من الزرع فذلك عولته وعولة عياله، ويطعم منها الطعام لكل من نزل بالمسجد الذي بإزاء داره على محجة الطريق من أبناء السبيل. وكان يذهب كل يوم جمعة على قدميه مسافة اثني عشر ميلاً من مدشره إلى مدينة تطوان ليصلي بها الجمعة حاملاً قفة في يده ليشتري ما يحتاج إليه ويحمله فيها حتى ورمت يده اليسرى فإذا أراد أحد المارين أن يحملها عنه امتنع من ذلك وقطب وجهه.

يعتبره ابن عسكر من شيوخه في التاريخ والاعتبار، صحبه سنين كثيرة فكان إذا لقيه لا يتكلم معه إلا في علم التاريخ وأخبار من تقدم من العلماء والصالحين والملوك وغيرهم، فإذا فرغ من حديثه قال: البقاء لله. ألا إلى الله تصير الأمور. كل شيء هالك إلا وجهه. ثم يصفر لونه ويعتريه حال وينصرف.

ومازال عقب الشيخ اليجمي حتى اليوم يقيمون بجوار ضريح المترجم المعروف بجوار مسجده بضاحية تطوان. وقد لقي محمد داود أحد حفدته بهذا المسجد، وهو على سنن جده نسكاً وحسن سمت، وسمع منه أخبار وكرامات ذكرها في تاريخ تطوان.

توفي في حدود سنة 1558/965، ودفن بإزاء مسجده في ضاحية تطوان.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 2 : 901 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ط 2، تطوان، د. ت. ج 1: 155 . 156.

محمد حجي

الشافعي (ابن -) **أحمد** المسكيني القائد، أصله من

دوار أولاد مَحمد أحد مداشر فخذة أولاد العكارية، المنصورية تحت لواء قبيلة بني مسكين، إحدى قبائل الشاوية الجنوبية الكبرى (*Répertoire alphabétique*. p. 42). يعرف بالقائد الشافعي.

على الرغم من أن قبيلة بني مسكين لم تكن "تخرج عن الجادة" إلا قليلا؛ حيث نجدها ضمن القبائل التي تدفع للمخزن باستمرار "ما نابها" من جبايات؛ فإن قوادها لم يكونوا من بين المشاهير. وهكذا فإن القائد الشافعي المترجم كان من القواد المغمورين، إلى غاية عام 1293/ 1876، حين بعث به السلطان المولى الحسن ليأخذ له الثأر من قبيلة غياثة، التي كان المتمردون من رجالها قد نصبوا لجيشه كمينا ذهب ضحيته عدد كبير منهم؛ وجرح أثناءها الأمير المولى عرفة. ولم ينج السلطان بنفسه إلا بأعجوبة (*الاستقصا*، 9 : 108 ـ 109 ؛ *الإتحاف*، 2 : 160).

ولما بعث إليهم بجيش ثان لقي نفس مصير الجيش الأول. فتوجه إليهم القائد الشافعي "في خصوص أبطال إخوانه"، فأوقع بهم وقعة شنعاء، ورجع سالما منصوراً، حاملا لرؤوس من مات منهم، فشكر السلطان صنيعه، وأثنى على شهامته. وبسبب شهرة هذا القائد أصبح مدشر أولاد مَحمد يدعى دار الشافعي.

وتنقطع أخباره بالمرة، مما يدل على أنه لم يعمر بعد ذلك إلا قليلا، حيث تفيد رسالة سلطانية مؤرخة بعام 1302/ 1885 أن ابنه أحمد بن الشافعي مصاب في يده اليمنى، مما تسبب له "في الوهن وضعف في حركته". وهذا ما دعا السلطان إلى أن يأذن له في التوجه إلى طنجة بقصد التداوي؛ حيث بعث برسالة إلى النائب مَحمد برگاش يأمره بمساعدته على إيجاد من يعالجه إما بطنجة، وإما بجبل طارق، "وإما بغير ذلك من بلاد النصارى، حتى يرجع مجبور الخاطر واليد مسروراً.." (*رسالة سلطانية* مؤرخة في 25 ذي الحجة عام 1885/1302 خ.ح. ك 364 ص. 231). ومما يدل على المكانة التي أصبح هذا القائد بدوره يتبوؤها لدى السلطان، ما خاطب به برگاش موصيا به: "واعتن به ولا تقصر في البرور به وتبصرته". فلا يدل هذا العطف إلا على تفاني القائد في خدمة المخزن. وتزداد تبينا من حدب السلطان على مخدومه حين يردف قائلا: "فإنه رجل حيي غير عارف بما يأتيه في ذلك وما يذره بحيث إذا سافر لأي محل يكون تحت نظرك وإشارتك حتى لا يقع له شيء.." والغالب على الظن أن عملية الاستفتاء قد أتت أكلها، لأن القائد أحمد بن الشافعي رجع إلى مباشرة المخزنية؛ إذ تخبر رسالة أخرى أنه دافع المهاجمين من الرحامنة والسراغنة وأولاد بوزيدي، و"فساد بني مسكين" الذين هاجموا داره ونهبوا كل ما وجدوه من متاع المخزن، وأحرقوا وخربوا. جاء ذلك في سياق الهرج الذي نزل بالمغرب على إثر وفاة السلطان المولى الحسن، حيث قصدت القبائل مختلف رموز المخزن للانتقام منهم. ويعزو الشافعي ما فعل به إلى تفانيه في خدمة المخزن حيث يقول: "ما فعلوا بنا هذا الفعل إلا لما تحققوا من نصحنا واستغراقنا في خدمة أعتاب مولانا خلف عن سلف .." (*رسالة سلطانية* مؤرخة في 19 ربيع الثاني عام 1312 خ.ح. مح 13). وقد صمد الشافعي في وجه المهاجمين طويلا، حتى إذا انفض من حوله مختلف خدامه ولم يبق معه إلا ابنه، لاذ بالفرار لاجئا عند أخواله الموجودين في عين بلال ـ إحدى فخذات قبيلة بني مسكين، على بعد حوالي ساعتين من داره.

ويبدو أن الشافعي لم يستطع إعادة الاستقرار لإيالته إلا بعد أن جاءته الإمدادات من قواد تادلا وبعض عمال المراسي، الذين شدوا له العضد "على فساد قبيلته".

وتنقطع أخباره منذ عام 1897/1314، حيث تفيد *رسالة سلطانية* مؤرخة في 17 رمضان 1315 أن الذي ولي قيادة بني مسكين هو ابنه محمد بن أحمد بن الشافعي (خ.ح. مح 415).

استمرت القيادة في عقبه حتى سيطرة السلطات الفرنسية على تراب قبيلة بني مسكين سنة 1914، حيث تم خلع القائد حسن ابن الشافعي، وصودرت أملاكه، وأجبر على الانتقال إلى مدينة مراكش التي مكث بها حتى وفاته سنة 1916 ؛ فآل هذا المنصب إلى أسرة بوحافة المنتمية إلى فخذة ليساسفه.

وللشافعي خط جميل ورسائل ممهورة بأسلوب جيد، مما يدل على أن بضاعته العلمية لم تكن مزجاة. وكان يوقع رسائله بالعبارة التالية: "خديم المقام العالي بالله أحمد بن الشافعي أمنه الله".

وثائق خ. ح ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *إتحاف*، ط. 2، الرباط، 1990، 2 : 160 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ط. 2، الدار البيضاء، 1956، 9 : 108 109.

الشافعي الشاوي، أحمد الرباطي، فنان موسيقي ظهر ولعه بالطرب الغرناطي وهو ما يزال فتى يافعا، فأقبل منذ مطلع الثلاثينيات على مجالس هذا الفن بالرباط، ومعه ثلة من شباب المدينة، يحدوهم ما كانوا يلقونه من تشجيع عشاق هذا الفن على تعلم أصوله وحفظ مستعملاته. وسرعان ما ظهر تفوقه بين أقرانه في العزف على العود، وفيهم يومئذ أحمد بيرو، والحسين بن المكي الحجام، ومحمد ابن عبد الله، والحسني التازي وآخرون.

وقد أهله نبوغه ليكون من بين أعضاء فرقة الطرب الغرناطي التي مثلت المغرب في معرض باريز للفنون الشعبية الذي أقيم بغابة بولوني تحت شعار "القرية المغربية" عام 1935/1353، وإلى جانبه محمد بن صالح على آلة الطر، ومصطفى المعروفي عازفا على الرباب، والحسين بساطة منشداً وعازفاً على الكمان وآخرون.

اشتغل لفترة أستاذاً للطرب الغرناطي في معهد مولاي رشيد بالرباط إلى جانب الحسين بلمكي، ومحمد امبيركو، والحاج أحمد الدكالي، وأحمد بنغبريط، وأحمد بناني.

وقد انضم إلى جوق الإذاعة الوطنية للموسيقى الأندلسية الذي أسندت رئاسته إلى الفنان الفاسي مولاي أحمد الوكيلي عام 1952، فكان عمدته في العزف على العود، وإليه يوكل أداء الوصلات الآلية الفردية في الجوابات والتغطيات.

وقد بلغ من تمكنه في استخدام هذه الآلة أن أصبحت طوع أنامله، تتنقل بين أوضاع دسْتانها بسهولة ويسر، وتبدع في "تصوير الطبوع وتحويل درجات قراراتها إلى دجات نغمية أخرى؛ غير أنه كان شديد التكتم على أسرار مهنته، إذ قلّما ينشرح صدره للبوح بها لزملائه.

توفي يوم 11 أكتوبر 1983 بعد حياة حافلة بالعطاء، وخاصة في مجال العزف على العود، وذلك ما تشهد عليه التقاسيم الرائعة التي تختزنها الأشرطة المودعة بدار الاذاعة الوطنية.

رواية شفوية لعازف العود المختار المفرج التطواني.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الشافعي الشاوي، الحسن بن المكي الرباطي. درس على شيخ الجماعة بالرباط إبراهيم التادلي واختص به مدة طويلة منكباً على نسخ مصنفاته وتعليقاته. وقد كتب هوامش على مؤلفات الشيخ التادلي - وأكثرها تعليمية - ممّا سمعه منه حولها في تقريراته بالمجالس العلمية. وبعد وفاة الشيخ التادلي تصدر الشافعي للتدريس بمساجد الرباط إلى أن وافته المنية في حدود سنة 1897/1315.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2813 ؛ ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، د. ت. ج 2 : 294.

محمد حجي

الشافعي (ابن -) **مبارك** بن محمد، مقاوم ولد سنة 1920 بدوار مسعود بني خلف إقليم خريبگة. كان معروفا بين رفاقه بالغيرة الوطنية حيث قام بعدة أعمال من أجل الحرية والاستقلال إلى أن استشهد رميا بالرصاص وذلك يوم 20 غشت 1955 في أحداث مظاهرة ذكرى نفي رمز الأمة جلالة المغفور له محمد الخامس بوادي زم حيث تم إحراق جثمانه من طرف جنود الاستعمار الفرنسي كما تمت مصادرة جميع ممتلكاته.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524285.

الشافعي، أبو **مدين** (الدكتور -) شعلة ذكاء وفطنة، وطاقة جياشة متفجرة، وانتهازية متوثبة لاقتناص الفرص، مهما كانت وفي أي نطاق بدت، حضر إلى المغرب من الجزائر، إثر نيله لشهادة "الباكلوريا" بإحدى مدارس تلمسان.

وكان حضوره إلى تطوان أواخر سنة 1938 وهي تحتفل بتوديع البعثة المغربية، التي كانت ستتوجه إلى مصر بعد يوم أو يومين، فحضر الحفل الذي ألقيت فيه خطب بهذه المناسبة، أنهيت إحداها بتحية الجزائر.

فما كان من الضيف الكريم، إلا أن صعد المنصة، وقال: بم تحيى الجزائر ؟ أتحيى وهي مكبلة في أغلال العبودية، أتحيى وهي ترسف في قيود الاضطهاد ؟ أتحيى ... أتحيى ... وهي كذا وكذا ؟.

كلاّ، إنها لن تحيى إلاّ إذا كانت لها بعثة كبعثتكم هذه، تحيى... إن قدّر لها مصير كهذا المصير الذي ينتظر من هؤلاء الشباب، القاصدين إلى المعاهد والديار، للارتواء من المعارف والاهتداء بنور العلم الوهاج...

بمثل هذا المضمون صار يركز كلامه، وينطلق بقلب خطابه، فتأثر الجميع أن يكون أبو مدين محروماً من هذه المائدة الشهيّة التي سيتناول منها إخوانه الطلبة المغاربة.

وودعنا المغرب في حفل مؤثر، كان يجهش به رصيف سبتة، وقد امتطينا باخرة كانت ستحملنا إلى مدينة الجزيرة الخضراء... ملوحين بأيدينا إلى اهلينا وآبائنا... وألسنتهم تبتهل بالدعاء إلى الله، وقلوبهم تخفق لفلذات الأكباد، الذين كان فيهم من يودع الوداع الأخير، ولالقاء الا في اليوم الآخر.

وبعد أسبوع كنا نرسو على رصيف بور السعيد، وكان بعض الزملاء السابقين، وبعض الأساتيذ من المصريين في استقبالنا. وامتطينا القطار الذي حملنا إلى القاهرة، حيث وجدنا "بيت المغرب" قد أعدّ لنا، وأثث بأدواره الثلاثة ورجال الخدمة قائمين عليه.

وفي اليوم الثاني أو الثالث، كان احتفال بنا يقام، شارك فيه كبار رجالات الفكر والعلم والسياسة والصحافة والفن من المصريين، وخطب الخطباء، وكان فيهم آنذاك وزير المعارف (محمد هيكل باشا)، الذي فاجأنا بثورته على العربية، التي كنا نحترم قواعدها، فكان هو يهضم حقها هضما... وانتهى الحفل، بقطعة موسيقيّة عزفها سامي الشوا، الذي لم يكن في الموسقيين من يباريه في عزف الكمان خاصة.

في هذا الحفل، كان أبو مدين يحضر إلينا، فابتهجنا لحضوره، ووجم القائمون بمهام الأمور والعالمون بمجاريها، لحضوره... وبدأت المحاولات والمناورات، التي لم تجد في اقتلاع هذا الجذر، الذي كان قد ارتكز على فرصة عداء سافر كان المقيم العام الإسباني "بيكبيدر" يحمله لفرنسا، ويمد يده المطلقة إلى كل من يطربه بهذه النغمة، وكان صاحبنا يحسنها ويختار لها إيقاعها وموقعها، فسلم إليه المقيم بعد أن تمكن هذا من لقائه، تذكرة الطائرة "طاوا"، ولاشك أنه سلم إليه نقوداً "محترمة" تسعفه وتسعدد في رحلته إلى مصر ...

وحطت الطائرة في "روما" حيث التقى بالزعيم عبد الخالق الطريس، الذي احتضنه كعادة منه كريمة، فارتبط به ارتباطا جعله يبيع التذكرة التي كان بها سيتابع رحلته هذه إلى مصر، ولذلك احتفظ بثمنها، وصار في ركاب الطريس "سيدي لا أفارقك"...

لقد كان الطريس في طريقه إلى مصر، سيركب سفينة من إحدى الموانيء القريبة من "روما"، فأركب معه الشاب الوطني الجزائري، ليلتحق هذا بنا، وليمثل هو المغرب في ذكرى وعد "بلفور" المشئوم، التي حضر إليها رجال العالم العربي والإسلامي، فأقيمت بمصر...

وأخيراً وزعت أفراد البعثة على المعاهد التي سيلتحقون بها، بعد امتحان عقد لها بدار المغرب، على يد جماعة من العلماء الرسميين، أذكر منهم إسماعيل مظهر، فكنا الأربعة، أبو مدين، وابن تاويت الطنجي، ومحمد مشبال، وأنا العبد لله، نوجه إلى جامعة فؤاد الأول. والتحق كل منا، بشعبته من كلية الآداب فكان الشافعي من نصيب قسم الفلسفة، فواظب على التلقي من محاضراته، التي كان بعضها يضم كل الأقسام بالكلية فكنا نحضر معا، محاضرات المرحوم "أبو العلاء عفيفي" ومحاضرات الدكتور إبراهيم مذكور بيومي.

وكان هذا يعجب الشافعي جداً، خصوصاً أنه كان يعتمد على رجال الفلسفة من الفرنسيين، بخلاف عفيفي الذي كان يعتمد على رجالها من الانجليز، ولم يكن أبو مدين يحسن أو يعرف شيئا من الانجليزية ولكنه تداركها بجد واجتهاد فيما بعد.

كان أبو مدين على قدرة عظيمة في الفرنسية، تضاهي قدرته في العربية، فكان لهذا تأثير في نفسه وفي غيره، حيث أصبح إلى جانب دراسته، يقوم بتعليم الفرنسية للمصريين، الطلبة والطالبات، في البيوت، فيتلقى على ذلك مقابلا ماليا سينفعه فيما بعد، وقد احتفظ به وضمه إلى ما كان له من ذي قبل...

وشق طريقه المستقيم، وأدى امتحاناته بكل نجاح وتوفيق، فنال شهادة "الليسانس"، ثم حضّر رسالة نال بها درجة "ماجستير" وفي النهاية أحرز درجة "دكتوراة" في الفلسفة.

وكان ينال الإعجاب من الجميع في قدرته العربية واطلاعه على قديمها، وهو من الشباب الذين كونهم مصلحو الجزائر من الإبراهيمي وسلفه ابن باديس، رحمهما الله.

طلبت منه أن يكتب لي مقولات الفيلسوف "كنت" التي جعلها اثنتي عشرة، بدل عشرة، قال بها ارسطو واتبعه في عددها من أتى بعده من المسلمين وغيرهم قدماء ومحدثين، فكتبها لي منظّرا بها، تلك التي رمز لها بالبيتين اللذين كان يحفظهما :

زيد الطويل الأزرق ابن مالك	في بيته بالأمس كان متكي
بيده سيف لـواه فالتـوى	فهذه عشر مقولات حـوى

فاستغربت لهذه الموسوعية، وإن كان موضوعه الفلسفي ورجال تدريسه على اضطلاع ما قيل فيه، ولقد استغربت يوما من "إبراهيم مذكور" استأذنه بعض الطلبة في طبع محاضرات، فأجابهم ببيت للمقري في "إضاءة الدجنة" كنا نحفظه ونحن ندرسها بالقرويين :

ومن يقل بالطبع أو بالعلة	فذاك كفر عند أهل الملة

وكذلك قدر لأبي مدين الشافعي، فقد حدث إثر العدوان الثلاثي على قنال السويس، أن شرّد اليهود من حارتهم التي كانت بباب اللوق بالقاهرة، وسجن بعضهم لخطرهم المكتشف أو لتلبسهم بتهم مريبة.

فكان من هؤلاء الاخيرين من كانت زوجته يعالجها الدكتور الشافعي. ولخوفها على نفسها أو من زوجها عند السراح، فإنها طلبت من الدكتور أن يعمل على مغادرتها لمصر، فأسعفها في ذلك. ولما أطلق سراح زوجها اكتشف الأمر الذي دبّر عليه.

فما كان من هذا اليهودي إلا أن حمل خنجراً حاداً معه، وتوجه لزيارة الدكتور في مستوصفه أو مصحته، فلما اجتمع معه أخرج خنجره وذبحه واقفا على قدميه فخر يتخبّط في دمه الفضولي، ولم يرث له أحد في هذا المصير المحزن، كما لم يرث لزميله الورتلاني سابقا.

لم يكن هذا من اليهودي انتقاما لعرضه، فإن الشافعي كان أبعد الناس عن انتهاك الأعراض، من هذا النوع، فلم يكن من أولئك "الفحول" الذين يفتنون بغريزة المرأة، أو يفتنون بغرائزهم المرأة، بل كان أبعد الناس عن هؤلاء وأولئك، كل البعد، لكن الفضول، وقبح الله الفضول، هو الذي أوقعه في هذه المصيبة الشنيعة، التي دنست كل ما كان من طاهر، وطمست كل ما كان له من محاسن وذهب هكذا، ما بكت عليه السماء والأرض، وما دمعت لمصرعه عين أو خفق له قلب - رحمه الله - ووقانا شر ما لقي من هذا المصير الأليم.

لقد ألف الدكتور كتبا متوسطة، تتصل باختصاصه، إلى جانب رسالتيه المذكورتين، وطبع الجميع بمصر، وليس بيدنا من كتبه إلا كتابه "*الاطمئنان النفسي*" الذي ضمنه تجاربه الخاصة، وتناوله تناولا تجريبيا، أكثر من كونه تناولا علميا أو نظريًا. وهو مفيد للغاية في إعادة الاطمئنان إلى النفوس الحائرة، التي يعصرها عالمنا الحالي، الذي تفسخت فيه عقد الدين، فتركت فراغا، استولى على الكبير والصغير. وصار كل ينعى على غيره، وقد افتقد الزمام، وصارت الأفكار تتصارع مع نفسها، والأخلاق تتناحر فيما بينها، والمجتمع العالمي في هرج ومرج لا يدري ماذا يصنع، وإن درى فانه لا يقدر، وإنْ قدر فإنه لا يثبت ولا يستمر ولله الأمر من قبل ومن بعد.

محمد ابن تاويت التطواني

شاكر، محمد القصّار الدمشقي السلاوي، ولد ونشأ في دمشق بالشام، درس بها ثم في بيروت، وتخرج في الكلية الطبية العثمانية في بيروت، ثم نزح إلى المغرب أوائل القرن (14 هـ) ليستقر بسلا، حيث زاول مهنة الطب ولقي إقبالا ونجاحا كبيرين بفعل علمه وأخلاقه وليونته مع المرضى من العدوتين (سلا والرباط).

ظل شاكر الدمشقي على صلة بالمشرق، يتلقى من هنالك

الصحف والدوريات العلمية والمطبوعات الجديدة الصادرة في الشام، وكان يقوم بإطلاع النخبة المثقفة بالعدوتين عليها، وبذلك أسهم في التواصل الفكري بين المغرب والمشرق وفي نشر الثقافة العصرية في العدوتين.

كان لشاكر الدمشقي خزانة علمية حافلة بالمطبوعات العلمية والتاريخية والأدبية، تشتت بعد مماته. ذهب إلى أداء مناسك الحج وزيارة موطنه الأصلي سنة 1314/ 1896، ثم عاد إلى سلا، التي تزوج بها مخلفا ولداً واحداً، توفي في هذه المدينة ودفن بها سنة 1323 / 1905.

م. ابن علي الدكالي، *إتحاف أشراف الملا ببعض أخبار الرباط وسلا*، مخطوط خ. ع.، الرباط، رقم 11 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تاريخ العدوتين، تح. مصطفى بوشعراء، سلا، 1986 ؛ ع. الله الجراري، من *أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، الرباط وسلا*، ج 2، ط 1، الرباط، 1971.

أحمد المكاوي

الشاكري، التهامي بن عبد الله بن إبراهيم بن عثمان بن طاهر بن الحسن بن يوسف بن مولاي علي الشريف، من شرفاء أولاد شاكر بالرتب، إحدى مناطق تافيلالت، ينسب إليها بالشاكري. يوقع أجوبته ب: وكتب عبد الله محمد التهامي بن عبد الله (*الأدوية الرواقي*، 76 أ). ذكره محمد الطالب بن حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي (ت. 1857/1273) في ترجمته لمعاصره، حفيد المترجم له، عبد الهادي بن عبد الله، قاضي الجماعة بفاس، وصهر السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام. وقال عنه: "كان علامة مشاركاً، محققاً في جميع علوم العربية والمنطق والحساب والفرائض والميقات والتعديل، متبحراً في التفسير والحديث والتصوف والأصول، أقعد أهل عصره بمعرفة الفقه، مستحضراً للنوازل، مشاركاً في الفتاوي والأحكام، شاعراً، ورعاً زاهداً" (*الإشراف*، 146). وحلاه الزكي العلوي بالعالم المشارك، الحافظ الضابط، الشاعر الناثر، المعقولي المنقولي، الفقيه المحدث، الأصولي البياني وقال : "اجتمع فيه ما افترق في غيره، توجه الهلالي بتاج المعرفة التامة، ورداه برداء الفهم الثاقب والبصيرة النافذة، وصاغه في قالب لا يدرك شأوه" (*مطالع الزهراء*، 183). وحلاه الفضيلي بالإمام الحافظ وبالعالم العلامة المشارك النفاعة، الناظم الناثر، ذو التآليف العديدة والتقاييد المفيدة (*الدرر البهية*، 1 : 298).

أخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي، وهو عمدته في سائر الفنون، ولا ينتسب إلا إليه. وبعد وفاة شيخه الهلالي رحل إلى فاس، وأخذ علم التعديل والميقات عن خاتمة الحكماء بالديار المغربية الشيخ سليمان بن أحمد الفشتالي (ت. 1208/ 1793). كما أخذ أثناء حجته عن بعض شيوخ المشرق الإسلامي. فقد ذكره صاحب *فهرس الفهارس* فيمن أخذ من المغاربة عن أبي الفيض مرتضى الزبيدي الحسيني المصري، وفيمن أغفل هذا الأخير ذكرهم من كبار الآخذين عنه في كتابه المعجم المختص (*فهرس الفهارس*، 2 : 541) وأجازه الشيخ مرتضى بجميع مروياته في سائر الفنون (*الإشراف*، 146). وذكره الكتاني أيضاً في معرض حديثه عن مروياته لفهارس الهلالي أبي العباس أحمد، وكل ما له، إجازة وسماعاً، عن أبي العلاء إدريس بن قاضي فاس أبي محمد عبد الهادي بن عبد الله عن والده عن جده أبي محمد التهامي بن عبد الله عن الهلالي.

ولي القضاء بمدغرة والرتب بتافيلالت كما ولي الفتيا وانتهت إليه الرياسة فيها (*الإشراف*، 146).

كان التهامي بن عبد الله الحسني ولياً صالحاً ورعاً زاهداً، أخذ بيد أقوام بتلقين الورد الجيلاني، انتفع به خلق كثير ظاهراً وباطنا، وكان كثير البكاء والخشية، سيما إن كان يخطب، يكون دمعه ساكباً، وقلبه على فرس الخوف راكباً، وكان له في الإحسان يدٌ طويلة (*مطالع الزهراء*، 183 و*الدرر البهية*، 298).

ألف التهامي بن عبد الله الحسني عدداً من الكتب ذكر منها حمدون بالحاج: *أرجوزة* نظم فيها تلخيص المفتاح (*الإشراف*، 164). وهي في علم المباني وأحوال الإسناد الخبري، وأحوال المسند، وأحوال المسند إليه، وأحوال متعلقات الفعل والقصر والإنشاء والإيجاز والإطناب؛ وفي علم البيان في التشبيه والحقيقة والمجاز، وفي علم البديع، وقفت على نسخة منها ضمن مجموع يحمل رقم: 2893 بالخزانة الحسنية. كما له أيضاً *أرجوزة* تعرض فيها لنسب الأشراف العلويين، وقال إنه استقرأ فيها جل فروعهم وأصولهم (*الإشراف*، 164)، ومختصر *فتح القدوس في شرح خطبة القاموس* (*الإشراف*، 164). وذكر الفضيلي أنه نظم جمع الجوامع (*الدرر البهية*، 1 : 289).

ووقفت له على عدة تآليف منها: نظم سماه *سبل الفلاحة لمن أراد الحكم في الملاحة* موضوعه كراء المملحات وأجوبة فقهية عن مسائل أصولية وكلامية ومنطقية ونحوية، وأبيات متلوة بشرحها في قسمة الكسر، وأبيات ستة في علم الحساب والفلك والتوقيت مع شرحها ونظم من ثلاثة أبيات في تركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتوي في المختصر في باب الاستحقاق منه أو المجهول الحكم بخط يده. وتخميس همزية *البوصيري* ألفها بإشارة من الولي الصالح سيدي الطيب الدرعي، وقصيدة في رثاء شيخه أحمد بن عبد العزيز الهلالي نقلها محمد بن الطيب القادري في *الدر السني* في معرض حديثه عن شيخه الفقيه الهلالي المذكور. وقصيدة يرثي فيها فرسا للسلطان مولاي اليزيد نظمها بطلب من السلطان المذكور. وقصائد في زيارة بعض المزارات كمزار الولي الصالح سيدي أبي نعامة : أبو عبد الله محمد، ومزار الولي العلامة مولاي عبد الله بن علي طاهر بمدغرة، و*الأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي*.

توفي التهامي بن عبد الله الحسني الشاكري ضحى يوم الخميس 6 جمادى الأولى عام 19/1210 نونبر 1796 كما وقف عليه الفضيلي بخط حفيده الفقيه العلامة القاضي عبد

الهادي بن عبد الله. قال الفضيلي: "وحدث عنه أنه لما دنت وفاته كان يقول: نصعد إلى الرفيق الأعلى اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن طلعت روحه رحمه الله ورضي عنه "(*الدرر البهية*، 1 : 298). وذكر حمدون بالحاج أنه توفي وهو ابن ست وستين سنة (*الإشراف*، 164).

التهامي بن عبد الله الحسني الشاكري، *الأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي*، تح. حسن حافظي علوي، مراكش، 2001 ؛ م. الطالب ابن الحاج، *الإشراف على بعض من بفاس من الأشراف*، مخطوط خ. ح.، رقم 11732 ؛ الزكي العلوي، *مطالع الزهراء الجامع لأسماء بني الزهراء*، مخطوط خ. ع.، رقم 656 ؛ الفضيلي، *الدرر البهية والجواهر النبوية*، قابله وراجعه أحمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، الرباط، 1999 ؛ الكتاني، *فهرس الفهارس*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1982.

الشاكري، عبد الهادي بن عبد الله الحسني من شرفاء أولاد شاكر بالرتب من بيت قديم في العلم والعمل. ولد بأولاد شاكر ونشأ في حجر جده مولاي التهامي، ولازمه في جل الفنون المتداولة، ولما توفي جده ارتحل إلى فاس، وأخذ عن جمع من الأعلام بها كالشيخ أبي محمد عبد القادر بن شقرون والطيب بن كيران وغيرهما (*الإشراف*، 164). وأخذ عنه جم غفير من طلبة فاس كحمدون ابن الحاج وجعفر الكتاني ومحمد بن حمادي المكناسي (*الإشراف*، 164 و*سلوة الأنفاس*، 1 : 117 و*الإعلام*، 8 : 507).

قال في *الإشراف* : شيخنا مولاي عبد الهادي أحد الأئمة المعتبرين، والأعلام المشهورين، مشارك في عدة فنون، بصير بالمذهب وفروعه، ضابط لقواعده، عارف بصناعة الأحكام، فصيح اللسان، صحيح النظر، قوي الحجة، جماع للدواوين، متجر في معرفة أسماء الكتب، كثير المطالعة (*الإشراف*، 164 و*الإعلام*، 8 : 506). وذكر مولاي إدريس ابن المترجم له أن والده كان له حفظ بارع، وروى أنه دخل عليه مرة في المحكمة فقال له: اذهب إلى خزانة الكتب واتني بشرح الحطاب، فإنني حكمت في قضية وقع لي الشك فيها، ثم راجع فوجد النص فيه كما حكم به، وقال له إنني طالعت فيه هذه المسألة بالصحراء تحت النخلة الفلانية في اليوم الفلاني (*الإعلام*، 8 : 507).

انتهت إليه رياسة العلم في وقته ورياسة الفتوى وصار من أهل الشورى، وكان لا يقبض على عمله مرتبا قبل أن يتولى خطة القضاء (*مطالع الزهراء*، 183 و*سلوة الأنفاس*، 1 : 117).

تولى خطة القضاء بسجلماسة ونواحيها، ثم وليها أيضاً بفاس وما والاه مرتين المرة الأولى في 10 جمادى الأولى سنة 1240 / الجمعة 31 دجنبر 1825 بعد عزل الفقيه محمد بن إبراهيم الدكالي، ثم أخر في 6 ربيع الأول عام 1247/ الأحد 15 غشت 1832 وولي بعده العربي بن الهاشمي الزرهوني، ثم ولي بعد الزرهوني أبو الحسن علي التسولي. والمرة الثانية عام 1835/1250، لما أعفي التسولي، وبقي بها إلى أن توفي، وقد بلغت مدة اشتغاله بخطة القضاء أزيد من عشرين سنة أحيى فيها موات هذه الخطة وجدد معالمها، وكان ينوب عنه إذا تغيب لسبب من الأسباب محمد الزعري المباركي (*سلوة الأنفاس*، 1 : 117 و*الإشراف*، 163 و*الدرر البهية*، 1 299 و*الإتحاف*، 5 : 225 ـ 226 و*الإعلام*، 8 : 506).

صاهره السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام بينته الأميرة خديجة، ولم تزل عنده إلى أن توفيت في حياته، فلم يتزوج بعدها إلى أن لقي ربه (*الدرر البهية*، 1 : 300 و*سلوة الأنفاس*، 1 : 117).

كان عظيم الحرمة شديد المهابة، وكان يقول الحق ولو في نفسه أو في عظماء أبناء جنسه، لا يراجه أحداً ولا يداريه، ولا يحاذي الجور ولا يجاريه، وكان يخاطب السلطان وحواشيه بكلام لا يقدر أحد أن يخاطبهم به (*الدرر البهية*، 1 : 299 و*سلوة الأنفاس*، 1 : 117).

خلف عبد الهادي بن عبد الله الحسني عدداً كبيراً من الكتب أكثرها تداولا كتاب: *شرح جمع الجوامع* وشرح اختصار الكتب الست المسمى *بتيسير الوصول إلى جامع الأصول* لابن الديبع الشيباني (*الدرر البهية*، 1 : 300 و*مطالع الزهراء*، 183 و*سلوة الأنفاس*، 1 : 117) وذكر الفضيلي أن له غير هذا غير أنه مخدر، أي أن كتبه غير مشهورة (*الدرر البهية*، 1 : 300).

وذكر العباس بن إبراهيم الذي ترجم لعبد الهادي بن عبد الله باسم عبد الهادي بن عبد الرحمن العلوي أنه قرأ في ديوان الوزير ابن إدريس العمراني عدة قصائد في مديح المترجم له (*الإعلام*، 8 : 507 و508).

توفي عبد الهادي بن عبد الله الحسني ضحوة يوم الأربعاء تاسع رمضان المعظم سنة 1272/14 مايو 1856. وذكر الفضيلي أن وفاته كانت في أواخر رمضان من نفس العام (*الدرر البهية*، 1 : 300) ودفن عصر يومه بزاوية التاودي بن سودة قريبا منه، وحضر جنازته أهل فاس على التمام وأهل الدائرة السلطانية وولد السلطان مولاي عبد الرحمن سيدي محمد (*سلوة الأنفاس*، 1 : 117).

م. الطالب ابن الحاج، *الإشراف على بعض من بفاس من الأشراف*، مخطوط، خ. ح، رقم 11732 ؛ الزكي العلوي، *مطالع الزهراء الجامع لأسماء بني الزهراء*، مخطوط، رقم 656 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية والجواهر النبوية*، تح. أ. بن المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، الرباط، 1999 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 1، فاس، 1316 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 5، الرباط، 1933 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 8، الرباط، ط. 2، 1977.

حسن حافظي علوي

تـــم طبـــع الجـــزء 15 مـــن معـلمـة المغـــرب
بـمطابـع ســـلا وبـمـطبعـة النجـاح الجــديـدة
في رجــب عــام 1423 / شتنبر 2002

مـــطــــــــــابـــع ســـــــــــلا
قـسمة 14، زنـقـة عـثمان بـن عـفـان
الحـي الصـناعـي لـتابـريـكت
ص.ب. 596 ســلا

Directeur de publication : Mohamed **Hajji**

Comité de rédaction : Ahmed **Toufiq**
Mohamed **Hajji**

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed **BENCHERIFA**, Faculté des Lettres, Rabat.
Brahim **BOUTALEB**, Faculté des Lettres, Rabat.
Salem **YAFOUT**, Faculté des Lettres, Rabat.
Mustapha **NAIMI**, Institut Universitaire pour la Recherche Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah **LAOUINA**, Faculté des Lettres, Rabat.
Dris **EL-FASSI**, Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II, Rabat.
Mustapha **AYAD**, Faculté des Lettres, Rabat.
Abdelmalek **BENABID**, Ecole Nationale Fôrestière, Salé.
Mohamed **RAMDANI**, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction même partielles sous quelque forme que ce soit.

IMPRIMERIE DE SALÉ

Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane
Zone Industrielle de Tabriquet
B.P. 596 SALÉ

Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

15

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

"SALA"

2002 - 1423

Copyright © IMPRIMERIE DE SALÉ "SALA" 2002
ISBN 9981 - 03 - 000 - 7 (Ensemble)
ISBN 9981 - 03 - 021 - X (Tome 15)

التقسيم الزمني	وقائع سياسية واقتصادية
	في المغرب
1163/558	أبو يوسف يعقوب يتولى خليفة للموحدين
1171/567	
1180/578	بداية دخول بني هلال وبني سليم إلى المغرب الأقصى
1184/580	يعقوب المنصور خليفة، و عهده قمة مجد الموحدين
1185/581	وفاة الفيلسوف ابن طفيل
1186/583	
1195/591	الانتصار في معركة الأرك
1198/595	وفاة ابن رشد
1206/603	وفاة أبي العباس السبتي بمراكش
1212/609	غزوة العقاب بالأندلس
1227/624	
1228/625	وفاة المولى عبد السلام بن مشيش
1228/625	
1230/627	الموحدون يتخلون عن عقيدة ابن تومرت في المهدوية
1233/630	
1235/633	
1237/634	
1238/635	
1240/638	
1240/638	
1258/656	
1260/658	هجوم القشتاليين على سلا

وثقافية واجتماعية

في بقية العالم الإسلامي	*المواقع الرئيسية*
	مراكش
صلاح الدين الأيوبي يضع نهاية للدولة الفاطمية	القاهرة
	المغرب
	مراكش
	الأندلس
صلاح الدين يستعيد القدس من الصليبيين	القدس
	الرباط
	مراكش
	مراكش
	الأندلس
وفاة جانكيزخان	
الحفصي حاكم إفريقية يقطع مع الموحدين	تونس
	مراكش
فيردرنياندا الثالث صاحب أراكون يقيم وحدة مع ليون صاحب قشتالة	الأندلس
سقوط قرطبة	قرطبة
قيام مملكة بني عبد الواد بتلمسان	تلمسان
قيام مملكة الحفصيين بتونس	تونس
بداية الأشغال في بناء قصر الحمراء بغرناطة	غرناطة
قيام أمبرطورية مالي	تينبكتو
وفاة الصوفي ابن العربي الحاتمي	دمشق
دخول المغول بغداد	بغداد
	سلا